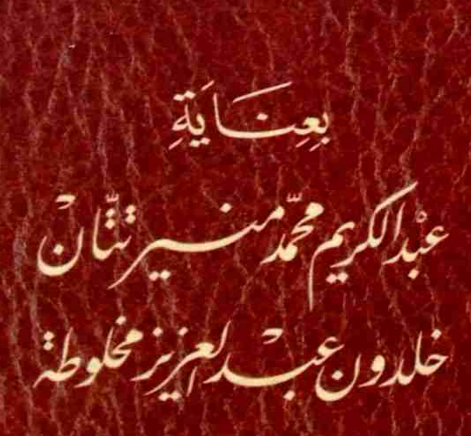
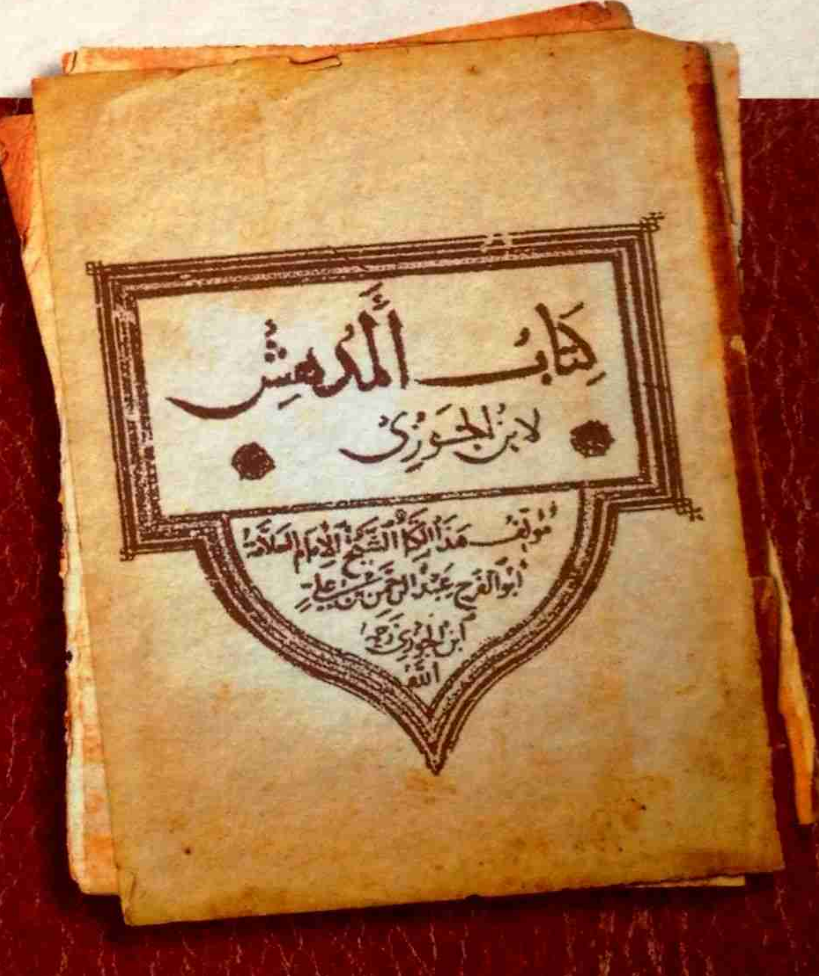


تأليف

الإمام جمال الدّين أبي الفرج عبد الرّحمن بن علي ابن الجوزيّ





المجلّد الأوّل

دار القلم
دمشق



تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

بعناية

عبد الكريم محمد منير تتان

خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الأول

دار القلم

دمشق



الطبعة الثانية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

www.alkalam-sy.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

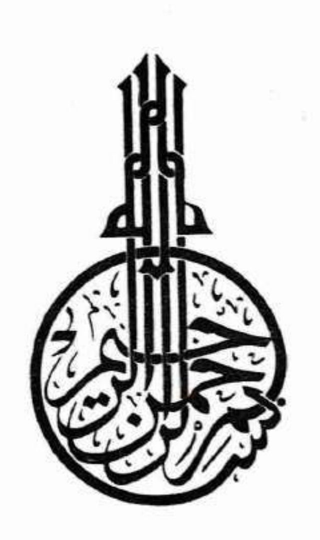
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

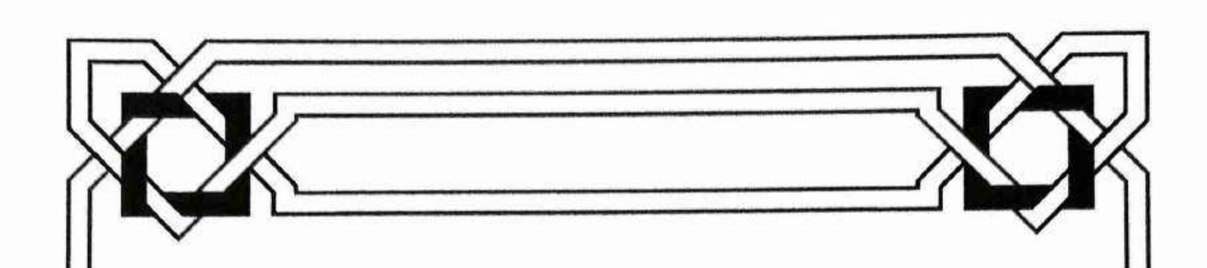
دار البشير - جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

المدهش

المجلد الأول


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

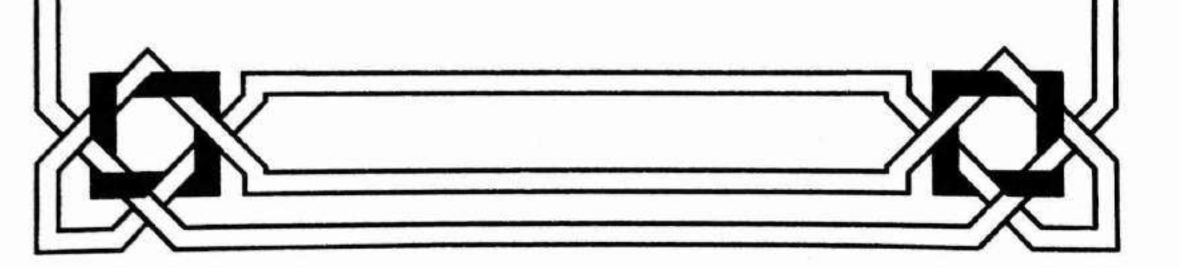
إلى كل مَن تجذبه الفكرة الناضجة..

وتُطربه العبارة الرشيقة، والنكتة الأنيقة..

ويحلو به الرمز الذكيُّ، والمعنى المبتكر..

ويأسره الموقف المتميِّز الصادق..

ويسمو بهمّته السلوك الربانيّ..



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بقلم
فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي

قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ يومٍ إلّا والذي بعدَه شرٌّ منه حتّى تَلْقَوْا ربَّكُمْ**»[(١)].

(١)

فإذا كان الإمام أبو الفرج ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول في (**المدهش**) مايقول في أغنياء زمانه، وعلمائهم وقادتهم وحكامهم كما نقل الشيخ عبد الكريم في مقدمة (**المدهش**) ـ مما سيقرؤه القارئ ـ فماذا كان يقول ـ رحمه الله تعالى ـ لو عاصر زماننا، وقد ظهر فيه الأمر بالمنكر، والنهيُ عن المعروف بألوان من الصور، وضروب من الوسائل، وأضحى أكلُ المال بالباطل مطلباً للعامة، يتبارون على التعامل مع المصارف الربوية أخذاً من مالها، ودفعاً إليها طمعاً في الربا، وأضحى المجون والفجور له نواديه، وله دعاته، وله أبواقه، وأضحى الزنى واللواطة وشرب الخمر مظهراً من مظاهر المدنيَّة، وزاد ظهورُ العقوق، حتى أقيمت مساكن يؤوي إليها كبار السن بأيدي أبنائهم البررة؟! . . . كما وقع قريباً.

فقد كان رجلٌ يتمشّى مع عائلته بجوار البحر ليلاً، حتى إذا كاد ينتصفُ الليل، رأى الرجلُ امرأةً عجوزاً تقعد وحدها بجوار البحر، ليس معها أحد، فدنا منها، وقال للسيدة: لقد تأخر الوقتُ كما ترين، وما نرى معك أحداً، فهل يمكننا أن نأخذك إلى بيتك؟ فقالت: لا، إنَّ ولدي وضعني في هذا المكان، وترك معي هذه الورقة! أخذ الرجل الورقة فإذا فيها: «من ينظر في هذه الورقة، فيرجى منه أن يأخذ حاملة هذه الورقة إلى دار رعاية العجزة!».

---

(١) رواه الإمام أحمد في (مسنده).

لقد أضحى للباطلِ كلُّ سلاحٍ باطلٍ، ولم يكد للحق مكان يعلن فيه عن نفسه بما شاء، ولئن كان إيثار الهوى والركون إليه بل الاطمئنان إليه ديدنُ بعض الناس، فقد أضحى فيما بعدُ ديدن كثير من القوانين والأحكام، فإنَّ من لا يتَّبع أحكام الله تعالى إنما يتبع الهوى، ولئن كان للأمم فتن يختبرون بها، وفتنة هذه الأمة المال، فقد أضحى الكثير حقّاً لا يبالون من أين جاءهم المال؟ أمن حرام أم من حلال؟ فالحلال عندهم ما حلَّ في اليد، والحرام ما حُرِموا منه!.

ولئن كان فساد النساء والشباب محدوداً في السابق، فقد أضحى شارةَ الوقت، وعلامةَ الزمان، وفتحت المؤتمراتُ المختلفة أبوابَ الفجور، ودلَّت على وسائل الفساد بما لم يكن قبل، وفي الحديث: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النساءِ**»... إلخ.

(٢)

ومع ذلك نقول على يقين: إنه لا يأس مع الحياة، وإن جولةَ الباطلِ إلى زوال، وإننا لنرى تباشير فجر العودة إلى الله تعالى تبدو، وأنوارها تشعُّ على قلوب بعض الناس وحياتهم، وقريباً يملأ الضياءُ القلوبَ الكثيرة، والأرض الكبيرة، فيشمُّ بذلك الناسُ عبير العودة إلى الله، ويعيشون بنور من الله تعالى، ويومئذ يفرح المؤمنون، عجَّل الله تمام ذلك الأمر الصالح وقَرَّبه. آمين.

لما تقدم، وأكثر، كانت الحاجة ماسَّة إلى حديث يُوجَّه إلى القلوب فيهزّها بالموعظة، ويطلق من عيونها الدمع والدم عبرة، ثم تستكين إلى رحمة الله تعالى وفضله.

(٣)

كانت الحاجة ماسة إلى من يقف للناس في الطريق المزخرَف المزيَّنِ بالشهوة والباطل، المحفوف بالورد والزهر؛ ليقول للناس: هذه الطريق مَسبعة، مهلكة، حُفَّت النار بالشهوات، فاستقيموا على الجادة تسعدوا.

كانت الحاجة ماسة إلى من يحضر منتدياتِ الناس واجتماعاتهم؛ ليذكّرهم

أنّ هذه المجالس ستصبح قريباً آثاراً! والاجتماعات أخباراً! ثم يكون المآل إلى ما زرع كلُّ زارعٍ في هذه الدار، وإنها لجَنَّـةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً.

(٤)

لقد كان الإمام ابن الجوزي، ذلك الديدبان الذكي، والحارس الأمين على المحارم، والقائم على مراقبة الناس في أحوالهم وأعمالهم.. فكانت عظاته ناراً تحرق شهوات النفوس، وتقذف الهدى في القلوب.

يقول في وصف وعظه الرحالة ابن جُبير: «... ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت لها النفوس احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردد بشهقاته النشيجُ، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كلٌّ يلقي بناصيته بيده فيجزّها، ويمسحُ على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشى عليه، فَيُرْفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوسَ إنابةً وندامةً، ويُذكّرها هولَ يوم القيامة.

فلو لم نركب ثبجَ البحرِ، ونعتسفْ مفازاتِ القفرِ إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل؛ لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أنْ مَنَّ بلقاء مَنْ تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله[1]... إلخ».

وستجد أيها القارئ طلبة النفس الظمأى إلى التذكرة، والقلب اللاحب إلى الريّ، والشوق المحرق إلى الخير.. ستجد في **(المدهش)** الذي أحسن الشيخان ـ عبد الكريم وخلدون ـ أيما إحسان، إذ قاما بتحقيقه، وتزيينه وتقريبه من حيث التصحيح وتزويق الكلم والسطور، وأسأل الله تعالى أن يثيبهما على ما بذلاه من جهد، وينفع المسلمين بعلميهما.

(٥)

حياة ابن الجوزي ووفاته: قال ابن العماد: كان ابن الجوزي كثير التعبد

---

(١) رحلة ابن جبير، ص ١٩٥ ـ ٢٠٠.

والصلاة، يختم القرآن كلّ أسبوع، ويزهد ويتقلل من الدنيا، ويتحرَّى الحلال في مطعمه. يقول سبطه أبو المظفر: كان زاهداً في الدنيا، متقللاً منها، وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلّها، وما زال على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله تعالى.

وقيل أيضاً: وكان يختم في كلّ أسبوع ختمة، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة والمجلس.

لم يَسْلَمْ ابنُ الجوزي من طعن الحُسّاد، أو ممن حملت نفوسهم الضغينة والحسد بسبب هجومه وانتقاده له، وقد وصل بهؤلاء الحاقدين أن وَشَوا به إلى الخليفة الناصر، ونجحت الوشايةُ، فجاء من شتمَ ابنَ الجوزي وأهانه، وأقفل داره، وأخذه مقبوضاً عليه، مغلولاً بيديه، ورُحّل بسفينة إلى مدينة واسط، فسجن بها، وظل خمسَ سنين في هذا المحبس، وفي تلك المحنة كان يغسِلُ ثيابه، ويقوم بشؤونه وحدَه، وقد بلغ من الكبر مبلغاً، فكان في ذلك شدة ومحنة نالت منه، وأثرت فيه.. حتى توسَّط له ابنُه يوسف، فجاء إلى واسط، فأخرجَ أباه من السجن، وكان الشيخ إذ ذاك ابن ثمانين سنة.

وعاد ابنُ الجوزي إلى بغداد، فاستقبله أهلها فرحين، مستبشرين بقدومه، ولم تحجزه الشيخوخة عن مجالس وعظه، فعاد إليها في يوم السبت سنة سبع وتسعين وخمسمئة هجرية، وجلس عند تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي في مجلس، وبينما هو كذلك قطع المجلسَ منشداً يعلنُ أبياتاً، منها قوله:

اللهَ أَسْأَلُ أنْ يُطَوِّلَ مُدَّتِي ... لأَنَالَ بِالإنْعَامِ مَا فِيْ نِيَّتِي
لِيْ هِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ ما إنْ مثلها ... وهِيَ الَّتِي جَنَتِ النُّحولَ هيَ الَّتِي

(٦)

وإذا ذُكِرَ الإمامُ ابن الجوزيّ في مواعظه، فحسَنٌ أن يُذكَرَ الإمامُ المربّي (تاج الدين ابن عطاء الله السكندري)، وأنقل هنا عبارات عنه من رسالة (تاج العروس) فيها ما أرجو من الخير والنفع لي ولإخواني المسلمين:

قال في التوبة، ص١٠: «من تاب ظفر، ومن لم يتب خسر، ولا تقطع

يأسك، وتقول: كم أتوب وأنقض؟! فالمريضُ يرجو الحياةَ ما دامت فيه الروحُ».

«إذا تاب العبد فرحت بـه داره من الجنـة، وتفرحُ به السـماء والأرض، والرسول ﷺ، فالحقّ سبحانه لم يرضَ أن تكون محبّاً بل محبوباً، وأين المحبوب من المحب؟!».

«أفٍّ لعبد يعلمُ إحسانَ المحسنِ فيجترئ على معصيته، ولكن ما عرف إحسانه من آثر عصيانه، وما عرف قدره من لم يراقبه، وما ربح من اشتغل بغيره، وعلم أنَّ النفـسَ تدعوه إلى الهلكـة فتبعها، وعلم أنَّ القلب يدعوه إلى الرشد فعصاه، وعلم قدر المعصيّ فواجهه بالمعصية.

ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته، ولو علم قرب مولاه، وأنّه يراه، لسارع لما عنه نهاه، ولو علم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى، وغيباً وشهادة، لاستحيا من ربه. ولو علم أنّه في قبضته لما قابله بمخالفته».

«واعلم أنّ المعصيةَ تتضمن: نقض العهد، وتحليلَ عقد الود، والإيثار على المولى، والطاعة للهوى، وخلع جلباب الحياء، والمبادرة لله بما لا يرضى، والجمود في العين، والكسل في الخدمة، وترك الحفظ للحرمة وظهور كسب الشهوات، وذهاب بهجة الطاعات».

ويقول عن التوبة في موضع آخر: «إنْ تفضّلَ عليك بالتوبة فمن فضله تبتَ إليه، وإنك تذنب سبعين ذنباً فتتوبَ إليه في نَفَسٍ واحد، فيمحو ما عملته في تلك المدة».

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

«فالمؤمن كلّما ذكر ذنبه حزن، وكلّما ذكر طاعته فرح».

ويقول موبخاً للغافل: «ولكن ما أرخصَ نفسَك عليك! لولا هوانها عليك ما عرَّضتها لعذاب الله سبحانه وتعالى، وما أغلاها في طلب الدنيا وجمعها، والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجّم عن حاله، ولا يسأل كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ».

«إذا ضعفتَ عن العبادة، فَرَقِّعْ عبادتَكَ بالبُكَاءِ والتَّضَرُّعِ، إذا قيل لك: من يُبكى عليه؟ فقل: عبدٌ عوفي، فأنفقَ عافيتَه في معصية الله!».

ويقول ناصحاً للمتذكر ضعيف الجسم: «هب أنك تريدُ الجدّ، ولكن لا تساعدك القوى، فاعمل على قدر حالك، ورقّع الباقي بالذكر، فإنّه لا شيءَ أسهلُ منه، يمكنك في حال القيام والقعود، والمرض والاضطجاع، فهذا أسهل العبادات، وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**وليكنْ لسانُك رطباً بذكرِ الله**»، وأيُّ دعاءٍ أو ذكرٍ سهلُ عليك فواظب عليه، فإنّ مدده من الله عزَّ وجلّ، فما ذكرته إلا ببره، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره، فاعمل واجتهد، فالغفلة في العمل خير من الغفلة عنه».

وقال: «يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات، بل تنتخب لدابتك العلف، وتعامل الله بالمجازفة(١)! وربما قلّبت عشرين بطيخة حتى تصلحَ لك واحدةٌ لدهليز مرحاض، وتقع عند الأكل متربعاً، وربما طوّلت في الأكل، وإذا جئت إلى الصلاة نقرتها نقر الديك، والوساوس والخواطر الرديئة تأتيك في صلاتك، مثال من هذه حالتُه كمن نصَّب نفسه للهدف، وقعد والرماح والسهام تقصده من كلّ جانب، أفما هذا أحمق؟! لقد مر رسول الله ﷺ على قوم تحلّقوا حول رجل يضحكون منه، فسأل عن حاله؟ فقالوا: مجنون، قال ﷺ: «**قولوا مصابٌ، المجنون من ثابرَ على معصية الله تعالى**». **والعياذ بالله**».

الرجوع إلى الله تعالى: قال مذكّراً بذلك: «كفى بك جهلاً أن تتردد إلى مخلوق وتترك باب الخالق، فقد ارتكبتَ المعاصي من كل جانب، أفلا تكونُ محزوناً على نفسِك؟ والعجبُ كلُّ العجبِ من عبدٍ يُقبل على صحبة نفسه، ولا يأتيه الشر إلا منها، ويتركُ صحبةَ اللهِ، ولا يأتيه الخيرُ إلا منه».

فإن قيل: كيف الصحبة لله؟.

فاعلم أن صحبة كلِّ شيء على حسبه؛ فصحبته لله سبحانه وتعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وصحبة الملكين بأن يمليهما الحسنات، وصحبة الكتاب والسُّنَّة أن يعمل بهما، وصحبتك السماء بالتفكر، وصحبتك الأرض بالاعتبار لما فيها.

---

(١) أي: دون تمحيص.

وليس من لازمِ الصحبة وجودُ الرتبة[1]، فالمعنى في صحبة الله سبحانه وتعالى صحبة أياديه ونعمه، فمن صحب النعم بالشكر، وصحب البلايا بالصبر، وصحب الأوامر بالامتثال، والنواهي بالانزجار، والطاعة بالإخلاص، فقد صحب الله تعالى، فإذا تمكنت الصحبة، صارت خلّة.

(٧)

وأختم هذه النقول الكريمة بمناجاةٍ لعلي رضي الله عنه، جعلنا الله من المتحلّين بها، والمقبلين عليها:

إلـٰهي! ما ألطفك بي مع جهلي، وما أرحمك بي مع قبيح فعلي، وما أقربك مني وما أبعدني عنك، وما أرأفك بي، فما الذي يحجبني عنك؟!.

إلـٰهي! كلَّما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك، وكلَّما أيئستني أوصافي أطمعتني مِنَّتُك.

إلـٰهي! مَنْ كانت محاسنُه مساوئ، فكيف لا تكون مساويه مساوئ؟ ومن كانت حقائقُه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى؟!.

إلـٰهي! كيف أعزِمُ وأنت القاهر، وكيف لا أعزم وأنتَ الآمر؟! ترددي في الآثار يوجِبُ بعدَ المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك. آمين.

(٨)

خاتمة: لقد أكرم الله تعالى الأستاذ المربي الشيخ (عبد الكريم) والشيخ (خلدون) بخدمة (المدهش) وتحقيقه وتصحيحه، وتقديمه إلى الناس تحفةً علميّةً رائدة إلى الخير، ودالة على جميل السلوك.

لقد أفاضَ الله تعالى بكلماتِ ابن الجوزي الدموعَ من عيون الغافلين والمذنبين فسالت، وسالت حتى غسلت القلوبَ من أدرانها، وفاضتِ المآقي، فزال عنها غبشُ الرؤية، وأوضحت معالم الطريق، وأفاضت على آذانها وأسماعها

---

(١) أي: كون الصاحِبِ بمرتبة المصاحَب

خريرَ أنهار الجنة، وأصوات الحور العين، فسكنت إلى ذلك، واطمأنت به، ووجهت السلوك، ووضعت صور الحق وأعلام النور في الطريق، فَهُدي الضالّ، وأرشد الحائر، وأخذت بيد الناس على لطف وحنان، فانقاد بها إلى الله تعالى.

لقد كان ابنُ الجوزي بحاله وقاله وعلومه الرائدَ الذي لا يكذِبُ أهله، والنذيرَ الذي ينذر قومه، فكم تاب وأناب على يديه من البشر، وساحت دموعهم، وعلا نشيجهم، واشتد شهيقهم بين يديه في مواعظ ودروس!.

لقد كان الحاديَ العاقلَ الحكيمَ، والدليلَ المرشدَ الخبيرَ، كان كأنه يقولُ للناس في كل موعظة، وكل درس، وعند كل عبرة، وعند كل خاطرة:

فحـيَّ علـى جنـاتِ عَـدْنٍ فـإنَّهـا مَنَـازِلُـكَ الأُولـى وفيهـا المُخَيَّـمُ

فاهنأ أيها القارئ الكريم بهذا الكتاب، واهنأ يا شيخ عبد الكريم ويا شيخ خلدون من الله تعالى بفضل وثواب.

وصلَّى الله على سيدنا محمد النبيّ الأمي، وعلى آله وصحبه وإخوانه ونحن معهم وسائر المسلمين... والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله الذي منَّ على العباد بنعمتي الإيجاد والإمداد، بل لا يخرج عنهما موجود شمّ بعد عُدمه رائحة الوجود، وأفاض على قلوب مَنْ شاء من عباده ما شاء من الأنوار والأمداد، ونصبهم على درب الهدى مناراتٍ وأدلةً، وأقامهم مناهلَ يرِدُها كل صاد إلى ما ينقَعُ الغلة، بل جعلهم أوعيةً تموجُ فيها لآلئ المعاني، وتلقي في مجالس الأنس والتذكير أصدافَ المباني، تشنِّفُ الأسماعَ، وتَبلُغُ من القلوب الشغاف.

والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ المصطفى المختار، مَنْ حباه المولى بالأنوار، وأعطاه جوامع الكلم؛ فيعبّر بالكلمات القليلة عن المعاني الغزار، وأطلقَ في سماءِ الدنيا شمساً دونها شمس النهار، إذ هذه تغيب، وهاتيك لا تعرف المغيب، فتح الله به قلوباً غُلفاً، وآذاناً صمّاً، وأعيناً عمياً.

أما بعد: فها هو ذا كتاب **(المدهش)**، المدهش في بابه، جمع بين دفتيه من المعارف والعلوم شذرات، ومن المعاني والبصائر فيوضاً، نرجو أن ينفَع الله سبحانه وتعالى به القارئ الذي أقبل بالقلب عليه، ونهل ـ مما قُدر له ـ من بين دفتيه، بادئين ـ بعدَ حمد الله سبحانه وتعالى، والصلاة والسلام على نبيه ـ بعباراتٍ تجلِي نظرَة أصحابِها من العلماء إلى ابن الجوزي، كاتبِ هذا الكتاب ومنشيه، وفي مجالس وعظه وتذكيره ممليه.

ورجاؤنا مِنْ هذا دعوةٌ صالحةٌ يلحقنا نورها إلى عالم البرزخ إن شاء الله تبارك وتعالى.

* * *

قالوا في الإمام ابن الجوزي

«شيخُنا جمالُ الدين، صاحبُ التصانيف في فنون العلوم؛ من: التفسير، والفقه، والحديث، والتواريخ، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديثِ وعلومِه، والوقوفُ على صحيحِه من سقيمه، وكان مِنْ أحسنِ الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً».

أبو عبد الله الدُّبيثي

«الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسّر، شيخُ الإسلام، مفخرُ العراق، جمالُ الدين أبو الفرج ابن الجوزي القرشيّ، التيميّ البكريّ، البغداديّ الحنبليّ، الواعظُ، صاحبُ التصانيف».

الحافظ الذهبي

«كان ابنُ الجوزي لطيفَ الصورةِ، حلوَ الشمائلِ، رخيمَ النغمةِ، موزونَ الحركاتِ والنغمات، لذيذَ المفاكهةِ».

الموفق عبد اللطيف

ويقول ابن الجوزي هو عن نفسه:

«إلـٰهي أيقظتني في الصبا، وأقمتني أدلَّ الخلقَ عليك، ومزجتَ كأسَ نُطقي بعذوبة، وجعلتني في أخباري معروفاً بالأمانة، فركنَ إليَّ أهلُ المعاملة، ولو عرفوا إفلاسي ما عُوملت.

إلـٰهي طالما اجتذبتُ العُصاةَ بعد أن تهافتوا في النار، أفيُصدِورن وأرِد؟!.
سيدي إنْ لم أصلحْ للرضا فالعفوَ العفوَ».

المدهش

* * *

ترجمة الإمام ابن الجوزيّ رحمه الله تعالى

لمعرفة أي شخصية من شخصيات التاريخ يُسْلَكُ واحدٌ من مسلكين:

إما **أن تُتناول الشخصية مباشرةً**، فتُدرسَ الأسرةُ والخصائصُ والتعلّمُ والمكانةُ والثمرات... إلخ؛ وهذا يدعو إلى البحث في البيئة العامة والخاصة، والتعرف إلى الصفات البارزة النفسية والعقلية، والعوامل الأخرى التي ميّزت تلك الشخصية، أو دفعت بها إلى الظهور فيما ظهرت فيه.

وإما **أن يسلك مسلك الاتصال المباشر بالشخصية عبرَ ما أنتجت**، أي من خلال الآثارِ التي تركتها، فتلتمس ملامحها العامة، وصفاتها الخاصة من خلالها ما دَبَّجَ يَرَاعُهُ، ويماط اللثام عنها بتحليل الإنتاج، وتتبع أنفاس الكاتب فيه، ومنابع ثقافته، ووجهة نظره فيما تناوله، كذلك تَتَبدَّى معالمُ شخصيته من المواقف الحياتية التي نُقِلَتْ عنه.

ونحن في هذه المقدمة سنعَرِّف بالكاتب صاحب (المدهش)؛ سالكين المسلكين معاً، فنتعرّف إليه من خلال البيئة الخاصة (النشأة والأسرة)، والعامة (العصر وما اتسم به)، ومن خلال (الإنتاج والمواقف)، ثم نختم بمسرد لأهم مؤلفات ابن الجوزي.

أولاً: اسمه ونسبه وشهرته:

هو العلامة الحافظ[١] المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، أبو الفرج

---

(١) انظر مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٢١/ ٣٦٥؛ وفيات الأعيان: ٢٧٩/١ ، ٢/ ٣٢١؛ البداية والنهاية: ٢٨/١٣ ـ ٣٠؛ مفتاح السعادة: ١/ ٢٠٧؛ ذيل الروضتين: ٢٨/٢١؛ ابن الوردي: ١١٨/٢؛ شذرات الذهب: ٤/ ٣٢٩؛ دائرة المعارف: ١/ ١٢٥؛ الكامل، لابن الأثير: ١/ ٢٢٨؛ اليافعي: ٣/ ٤٨٩ ـ ٤٩٢؛ =

عبد الرحمن بن علي أبي الحسن بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي[1]. وقد لُقّبَ جعفرُ بالجوزي نسبة إلى (مشرعة الجوز) على نهر البصرة، أو إلى جوزة (شجرة تثمر الجوز المعروف) كانت في داره، وهو الملقّبُ جمال الدين الحافظ، وهو عربيّ قرشيّ تيميّ بكريّ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعرف بالبغدادي[2] مولداً وإقامة، وبالحنبليّ مذهباً[3]، وهو علاّمة عصره، وإمام وقته في الحديث، وفي صناعة الوعظ[4]، صاحبُ التصانيف، ولد سنة تسعٍ[5] - أو عشر - وخمسمئة للهجرة.

ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية:

مات والد ابن الجوزي وله ثلاث سنين، وقيّضَ الله له من يساعده على تجاوز اليتم، والوقاية من كثير من مرائر آثارِه، والإهمالُ أمرُّها، وكان لعمّته فضلٌ كبير، إذْ هي التي تولّت تربيتَه ورعايتَه، ودفعت به في دروب العلم، وهذا شأن كثير من العلماء النابغين، وحسبك البخاري، ينشؤون يتامى في كنف الكفيل خاصّةً، والأمة بعامة، قال ابن الجوزي: «.. فإن أبي مات وأنا لا أعقل، والأم لم تلتفت إليّ»[6]. حملته عمته صغيراً ابن ثلاث إلى دروس العلم التي كانت تعمرُ بها مساجد بغدادَ، وكان أولُ سماعِهِ سنة (٥١٦هـ)، واختارت له مسجد خاله المحدث اللغوي الفقيه الحافظ (محمد بن ناصر الحنبلي)[7]، فاعتنى به عنايةً

= مختصر دول الإسلام: ٩/ ٧٩٢؛ النجوم الزاهرة: ٦/ ١٧٤ - ١٧٦؛ تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣١ - ١٣٥؛ الأعلام: ٢/٣١٦.

(١) لدى ابن خلكان نسبة إلى (فرضة الجوز)، ولدى ابن العماد إلى (محلة الجوز).

(٢) جاء أنه ولد ببغداد في زقاق درب حبيب.

(٣) وأنت ترى أن العلماء السابقين لا يخرجُ واحدٌ منهم عن مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة، ولو بلغ مرتبة الاجتهاد فيه. فلا تجد عالماً دون مذهب التزم به مهما بلغ من العلم، ورقى في مضماره.

(٤) انظر: ابن خلكان: ١/ ٢٧٩.

(٥) لدى ابن العماد أنه ولد سنة (٥١٠هـ) أو قبلها، وتردد ابن خلكان أنه بين سنة ثمان وعشر.

(٦) هناك من قال: توفي والده فرعته أمه وعمته.

(٧) توفي الحافظ محمد بن ناصر سنة (٥٥٠هـ).

فائقة، وكان أول معلّم.

قال ابن الجوزي عن استعداده الفطري وعناية خاله به: «فركز في طبعي حُبّ العلم، وما زال يوقفني على المهم فالمهم، ويحملني إلى مَنْ يحملني على الأصوب، حتى قُوّمَ أمري».

وبهذا تكون قد أتيحت له نشأة ذكية، واتجاه قويم، فسمع بنفسه الكثير، وعني بالطلب، وحبس نفسه على التحصيل، ولم يلتفت إلى ما يلتفتُ إليه مَنْ كان في مثل سنه، ونظر في جميع الفنون.

حفظ ابن الجوزي في هذه المرحلة المبكرة من عمره القرآن الكريم، وقرأه على جماعة من القراء بالروايات، وسمعَ الحديث الشريف، ولا سيما: (مسند الإمام أحمد) و(جامع الترمذي) و(صحيحي البخاري ومسلم)، وتعلم اللغةَ والأدب، ومرن على الوعظ، وسمع (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي.

كان خاله ابن ناصر أحد شيوخِه الذي أكثرَ الرواية عنه، وقد سمع من علي الدينوري، وابن الحصين، وأبي عبد الله البارع، وأبي الوقت السجزي، وقد وصل عدد شيوخه إلى سبعة وثمانين شيخاً. وكان معظِّماً لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي، وتابعه في كثير من آرائه، وبهذا يتبين أنَّ ابن الجوزي سمع ـ على غرار العلماء الراسخين ـ من الكثيرين، ولم يكن صحفيّاً يحتطب، ولا ماخراً لعباب العلم جامعاً ما يطيق، من دون أن يتتلمذ على أيدي العلماء، الذين يغذونه بالمعرفة وفق مناهج محددة، ويبصرونه بمواقع المناهل على طريق التحصيل، ويسددون خطاه فكراً وسلوكاً، إنه سمع الحديث، وحفظ القرآن الكريم على الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر (خاله)، ثم درس الوعظ على أبي القاسم الهروي، وبعده صاحَبَ الفقيه ابن الزاغوني الحنبلي، فأخذ عنه من فنون العلم حظّاً وافراً، وبخاصة الحديثُ والفقهُ والوعظ.

وكان المحدّث ابن الطبري الحريري المتوفى سنة (٥٣١هـ) من أساتذته، ثم إنّه قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى وغيرهما كثير؛ كابن مندة.

إنه لم يرحل في طلب الحديث كسُنَّة العلماء الطالبين، لكن كان عنده

(مسند الإمام أحمد)، و(الطبقات) لابن سعد، و(تاريخ الخطيب)، وأشياء عالية، و(الصحيحان)، و(السنن الأربعة)، و(الحلية) لأبي نعيم، وعدة تآليف وأجزاء يخرّج منها[1].

ثالثاً: أهم الصفات التي تميَّز بها:

١ ـ الهمة العالية في طلب العلم:

تميَّـزَ ابنُ الجوزي ـ رحمـه الله ـ بالجَلَدِ، وشـدّة الانكباب على الجمع والتصنيف مع التصوّن والتجمّل، وحسن السيرة والشارة ورشاقة العبارة، يقول متحدثاً عن نفسه: «وعينُ همّتي لا تَرى إلا لذّةَ تحصيل العلم، فأثّر ذلك عندي».

ثم يصف شغفه وتعلّقه بالعلم فيقول: «إنّي رجل حُبِّبَ إليّ العلم من زمن الطفولة، فتشاغلت به، ثم لم يحبَّبْ إليّ فنٌّ واحدٌ منه، بل فنونه كلها».

ويتحدث عن مدى عواقب علو الهمة على صاحبها قائلاً: «ما ابتلي الإنسانُ قط بأعظم من علوِّ همةٍ، فإن علت همتُه يختار المعالي، وقد لا يساعِدُ الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب، وإني أُعطيت من علوِّ الهمةِ، فأنا به في عذاب»[2].

يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (مشكلات في طريق الحضارة الإسلامية): «ابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري لو رأى المسلمين ـ الآن ـ في عصر الفضاء ينظرون إلى غزاة الجو ببلاهة، لحملَ السَّوْطَ، وجلد به الظهور، ولبرأ الإسلام من هذا الانتماء المخزي».

ويقول: «من الأمارات النضرة في ثقافتنا كلمات لابن الجوزي يدعو فيها إلى علوّ الهمـة، ويطلب من المسـلم أن يكون طليعة سـابقة في كلّ ميدان قال: «ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السـماوات لرأيت من أقبح القبائح رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض!» أسمعتَ مثل هذه الصيحة

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/٣٦٦.

(٢) انظر: صيد الخاطر، ص١٥، ٢٦.

الشمّاء تنضحُ من وحي الإيمان بالحق؟! هذه ثمرة يانعة من خصائص التربية الإسلامية في الشروق المحمدي، شروق قادة رجال أصحاب عزمات شداد، وآمال عراض، فطووا في سباقهم المشارق والمغارب، وعلّموا الإنسان كيف تكون الحياة الكريمة الحقة».

٢ ـ ترجمة العلم عملاً وسلوكاً:

كان ابن الجوزي رحمه الله على منهج السلف في ترجمة العلم إلى عمل؛ دلالة على إخلاص صاحبه، وثمرة طيبة من ثمار تلقي العلم وحفظه، واستمع إليه كيف يعتبر عدم العمل بالعلم متاجرة يُسأل عنها صاحبها يوم القيامة: «من يهمل العمل بعلمه أو يتراخى في جوانب منه، فيكون كالمتاجرين بالعلم عند الحكام والأمراء».

ومما نصح به ولده قوله: «وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به».

وبهذا يجلّي العلاقةَ العميقة بين العلم والسلوك، فالعلم شجرةٌ ثمارُها وظلالُها العمل.

قال في كتابه (لفتة الكبد) ص٥٨: «إنّ الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمنعوا البركة والنفع».

ولعل هذا الربط بين العلم والعمل من وراء التأثير بالموعظة، وهذا الفيض من الدقائق والرقائق والحقائق؛ إذ مَنْ عمل بما علم أُورثَ علم ما لم يعلم، وأوتي من أبكار ما لا تَفْتَضُّها فحول القرائح.

٣ ـ اغتنام الأوقات والمحافظة على اللحظات:

من المعلوم: أنّ السلف الصالح كانوا يغتنمون اللحظات، ويحرصون عليها حرصَ الشحيح على ماله، وكان ابن الجوزي رحمه الله على هذا النهج، إذ ضنّ بساعات عمره أن تضيعَ دون تحصيل فائدة، وإليك نبذة من سيرته لتشهَدَه كيف عرف شرفَ الوقت وقيمتَه، وكيف كان يكسبُ الوقتَ إذا زاره ضيوف، أو نزل به ثقلاء بطالون؟ قال ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (صيد الخاطر)[1]:

---

(١) صيد الخاطر، ص٢١، ٤٦.

«ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيّع منه لحظة في غير قربة، ويقدّم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتـور، بما لا يعجز عنه البدن من العمل، كما جـاء في الحديث الشريف: «**نيةُ المرءِ خيرٌ مِنْ عملِهِ**»(١). وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس ـ أحد التابعين العباد الزهاد ـ: أنَّ رجلاً قال له: كلِّمني، فقال له عامر: أمسك الشمسَ. وهيهات أن يمسكها فيوقف الزمان!».

ويتابع ابن الجوزي قائلاً: «وقد رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم.. وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فاللهَ اللهَ في مواسم العمر، والبدارَ البدارَ قبل الفوات، ونافسوا الزمان. وأعوذ بالله من صحبة البطّالين.

لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيـارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس.. فلما رأيتُ أنَّ الزمان أشرف شيء، والواجبُ انتهابه بفعل الخير، كرهتُ ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكـرتُ عليهم وقعت وحشـة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلتـه منهم ضـاع الزمان، فصرت أدافعُ اللقاء جهدي.. ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من الاستعداد للقائهم قطْعَ الكَاغِدِ ـ أي: قص الورق ـ وبَري الأقلامِ، وحَزْمَ الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بدَّ منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي».

رابعاً: ابن الجوزي واعظاً:

لا بدَّ قبل الكلام عن تألّق ابن الجوزي في الوعظ وسحر البيان أن نكشفَ

---

(١) جـزء من حديث ضعيف، أخرجـه الطبراني في (المعجم الكبير): ٦/ ٢٢٨؛ وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد): ١/ ٦١؛ والسيوطي في (الجامع الصغير) بشرح المناوي: ٦/ ٢٩٢.

ملامحَ البيئة التي امتاز بها العصر الذي عاشه ابن الجوزي رحمه الله تعالى، وذلك حتى نكونَ على بصيرة في مدى الحاجة الماسة لأولئك العلماء الذين يقومون بتذكير الأمة، والأخذ بيدها إلى طريق السعادة والصلاح:

١ ـ لمحة موجزة عن طبيعة العصر الذي عاشه ابن الجوزي:

هذه نظرة سريعة على العصر الزاخر الذي وجد فيه ابن الجوزي، فولادته في أوائل القرن السادس الهجري أيام الدولة العباسية ووفاته في آخره سنة (٥٩٧هـ)، فهو عمر مديد ـ كما ترى ـ في حقبة من أهم سماتها التشققات السياسية التي ألمَّت بكيان الدولة، والنزعات الانفصالية الرهيبة التي تبنت توجهات دنيوية بحتة، لا حظ فيها لمباشرة الحقائق الإيمانية شغاف القلوب.

وقد قام السلطان السلجوقي وقتذاك بإدارة شؤون البلاد بتفويض من الخليفة تفويضاً مطلقاً سنة (٤٤٩هـ) بعد أن أوصاه بتقوى الله تعالى، وعمارة البلاد، وإصلاح العباد، ونشر العدل، وكفّ الظلم، وكان السلاجقة على مذهب أهل السنة والجماعة، مما حال دون كثير من ألوان الشقاق والنزاع التي سعت بها فرقٌ تبنت مذاهب أخرى، وعملت على تفتيت وحدة الأمة.

هذا، ولم تخلُ هذه الحقبة من خصومات هيَّجتها الأهواء والمصالح الشخصية[1]، فكانت معارك داخلية زادت الطين بلة، والتصدعات غوراً. ولا ريب أن هذه الأوضاع تركت بصماتها على وجه الحياة الاجتماعية بعامة دون الحركة العلمية.

وقد تناول قلم ابن الجوزي هذا الواقع[2]، وصوّره بقلمه، وبَيَّن ألواناً من الفساد ظهرت وتسرّبت إلى دواخل كثير من النفوس، ولم ينجُ منها سوقٌ ولا قصر، وشغف الكثير بجمع المال، وقامت للدنيا والانهماك فيها سوق رائجة، وزحفت الغفلةُ عن الآخرة، لتحتلَّ النفوسَ، وتأخذَ بمجامع الهمم، وظهر تطفيف المكيال، وتخسير الميزان، وأكل الربا، وهضم الحقوق، وخفتت الأصواتُ

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: ١٢/ ٧٠ ـ ٧١؛ والكامل، لابن الأثير: ٩/ ٦١٠.

(٢) انظر تصوير ابن الجوزي هذا الواقع في: (صيد الخاطر) مفرقاً في مواضع، منها: ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

الصادقة المخلصة، وفي مجال العبادات باتت الصلاة نقر ديك، وربما جُمع بين الصلاتين الظهـر والعصر في آخـر وقت الظهر وأول العصر دون عذر، وإنّمـا التخفف من النهوض إلى الصلاة، والتقليل من اعتياد المساجد، والانفلات من ضبط الصلاة للسلوك، والطامّة ـ هنا ـ التي أخذت تنوء بِكَلْكَلِهَا انتشارُ الجهل في الأريـاف، فلا يدري الكثيرُ حتى أحكامَ الطهارةِ! فمن يتصدّى لهذا الفسـادِ الكبير، والشر المستطير، الذي يمهّدُ لتسليط الأعداء؟.

قـال ابن الجـوزي مصوراً حـال العلماء في ذلـك العصر: وأما العلماء **فـالمبتدئون منهم** ينقسمون إلى ذي نية خبيثة، **يقصد** بالعلم المباهاة لا العمل، ويميل إلى الفسق ظنّاً أنّ العلم يدفع عنه، وإنما هو حجة عليه.

وأما **المتوسطون والمشهورون** فأكثرهم يغشى السلاطين، ويسكت عن إنكار المنكر، وقليل من العلماء تسلمُ له نيته، ويحسن قصده. فإذا كان العلماء ـ وهم المصلحون ـ بهذه المثابة، فكيف بمن هم دونهم؟!.

هذا وقد ذكر الرحالة ابن جبير[1] الأحوال بعامة، ورصد منها مظاهر، ومما قال: «وأما أهلها ـ أي بغداد ـ فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنّع بالتواضع رياءً، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباءَ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمّن سواهم الأحاديث والأنباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخَلَدِهِ أن الوجود كله يصغرُ بالإضافة لبلده.. كأنّهم لا يعتقدون أنَّ لله بلاداً أو عباداً سواهم، يسحبون أذيالهم أشراً وبطراً، ولا يغيّرون في ذات الله منكراً، يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً، وما منهم من يحسِنُ فرضاً.. لا تكاد تظفَرُ من خواصّ أهلها بالوَرَعِ العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبتَ له الويل في سورة التطفيف، ولا يبالون في ذلك بعيب، وكأنّهم من بقايا مَدْين قوم النبيِّ شعيب عليه السلام، فسوء معاشرة أبنائها يغلبُ على طبع هوائها ومائها، ويقلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها، أستغفر الله، إلا فقهاءهم المحدّثين، ووعّاظهم المذكرين». أرأيتَ بعد هذا كله سبب اكتساح التتار لديار المسلمين من المشرق، وهجمات الصليبيين الحاقدة من المغرب؟!.

---

(١) رحلة ابن جبير، ص١٩٤، دار بيروت، ١٣٨٤هـ.

٢ ـ الحاجة الماسة للعلماء الربانيين والوعاظ المذكرين:

من خلال إلقاء نظرة سريعة إلى تاريخنا نجد أنه قُيِّضَ للأمة أئمة أعلام، خدم كل فريق منهم ركناً من أركان هذا الدين العظيم، فمرتبةُ الإسلام قُيِّضَ لها الأئمة الأربعة: الإمام أبو حنيفة (٨٠ ـ ١٥٠هـ)، والإمام مالك (٩٥ ـ ١٧٩هـ)، والإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)، والإمام أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ). وقد نضجت الأحكام الفقهية في العبادات والمعاملات وغيرها أيّما نضج على أيدي هؤلاء الأعلام وتلامذتهم.

وقد تصدى لأمر العقيدة علماءُ التوحيد، ففصلوا فيها، وجَلَّوْهَا بالأدلة والبراهين، وذبُّوا عن حياضها، وهدَّموا بمعاول الحق الشبه التي أثارها مَنْ أوقعهم الشيطان في حبائله.

وكذلك قام علماء التزكية والتربية والسلوك المرشدون المربون بدورهم، وقامت مدارس تسعى كلُّها إلى تحقيق مقام الإحسان، الركن الثالث من أركان الدين، فكان منهم الجُنيد (ت٢٩٧هـ)، والجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ)، والرفاعي (٥١٢ ـ ٥٧٨هـ).

وقد جمع تراثنا العظيم بين دفتيه حِكَماً وتوجيهات، ولفتات ربانية، شارك فيها الرجالَ النساءُ كذلك، قالت عائشة بنت أبي عثمان: «مَنْ تهاونَ بالعبيدِ فلقلَّةِ معرفتِهِ بالسيِّد، ومَنْ أحبَّ الصانعَ أحبَّ صنعته».

ومن لفتات السيد الرفاعي رحمه الله: «أي أخي! أما تنظر الطفل إذا ولد يبرز إلى الدنيا قابضاً كفّه حرصاً عليها، وإذا خرَج يخرجُ باسطاً كفه، معترفاً بفراغ يده من الأمر العارض الذي حرص عليه، كفى بالموت واعظاً».

وعصر ابن الجوزي رحمه الله كان بحاجة ماسة لقيام المذكرين الواعظين بواجب الوعظ والتذكير، ولا ريبَ أنَّ ثمةَ فئة قليلة فاضلة من أهل العلم ـ وهؤلاء لا يخلو منهم زمان ـ كان لهم حضور طيب، أخذوا يدعون إلى الله تعالى بصدق وإخلاص بعد أن انتشر الجهل وعمّ الترف. إلى جانب ذلك نشأت في ذلك العصر مدارس شرعية من أهمها (المدرسة النظامية)، وقد كانت مجالس العلم تعقد فيها

وفي المساجد، وقد تسلّم ابن الجوزي مشيخةَ مدرسةٍ في بغداد كانت من قبلُ داراً لنظام الدين أبي نصر بن جُهير، ثم جعلت مدرسةً، ووقفت على أصحاب الإمام أحمد، فكانت هناك نهضة علمية واسعة لم تتأثر هذه الحركة المباركة بما مسَّ نظامَ الحكم والخلاف السياسي من ضعف.

٣ ـ تألق ابن الجوزي في الوعظ وجودة الأداء:

إنّ من المعلوم أنّ الوعظ يقومُ على أسس، منها: جودة المباني وعمق المعاني، وقد استكمل ابن الجوزي هذا، إذ كان يختار لعرائس المعاني نفائس المباني وأزواج الألفاظ الأكفاء، ويعقد بينهما قِراناً، لا يُنقَضُ بعدم الكفاءة، ولا يجد المطلع عليه، أو السامع له إلا الانفعال، وأخذة الانبهار.

لقد نال ابن الجوزي في فن الوعظ قصب السبق، وله فيه الحظ الأسمى، والقدح المعلَّى، وإليه فيه المنتهى، قال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن الجوزي: «أحبَّ الوعظَ، ولهجَ به وهو مراهق، فوعظ الناس وهو صبي، ثم ما زال نافِقَ السوق، معظّماً، متغالياً فيه، مزدَحَماً عليه، مضروباً برونق وعظه المثل، كماله في ازدياد واشتهار، إلى أن مات رحمه الله وسامحه»[١].

وقال عنه كذلك: «كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب، ويُعجب، ويُطرب، ويُطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثلُه، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة»[٢].

وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله: «تفرَّد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه، في طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبة كلامه، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك؛ بحيث يجمعُ المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، وقد حضر مجلسَ وعظه الخلفاءُ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق نفسه.

والوزراءُ، والملوكُ والأمراءُ، والعلماءُ والفقراءُ، ومن سائر صنوف بني آدم، وأقل ما يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف، وربما اجتمع فيه مئة ألف أو يزيدون، وربما تكلّم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً، وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره»[1].

٤ ـ لمحات من خصائص وعظ ابن الجوزي:

بالإضافة لما سبق من فصاحته وبلاغته، وعذوبة كلامه، وغوصه على المعاني الفريدة، فإنّ مِنْ عواملِ نجاح ابن الجوزي في وعظه مراعاةُ مقتضى الحال، إذ أتقن التحدُّثَ بالمعاني التي يرى أن المستمعين يحتاجون إليها، وفي هذا يقول: «كلامي ثوبٌ مفصَّلٌ على قدر أسماعكم، فهو لا يصلحُ إلا لكم».

ثم بيّن مجالس الآخرين التي خلت من معرفة ما يحتاجُ إليه المستمعون فقال[2]: «إنَّ العاميَّ إذا دخل إلى مجلسهم ـ يقصد مجالس القصاص الذين لا علم لهم ـ وهو لا يحسِنُ الوضوءَ؛ كلّموه بدقائق الجنيد وإشارات الشبلي، فرأى ذلك العاميُّ أنَّ الطريقَ الواضحَ لزوم زاوية، وترك الكسب للعائلة، ومناجاة الحقِّ في خلوة على زعمه، مع كونه لا يعرفُ أركانَ الصلاة، ولا أدَّبَه المعلم، ولا قوّمَ أخلاقه شيءٌ من مخالطة العلماء، فلا يستفيدُ من خلوته إلا كما يستفيد الحمار من الإصطبل».

وقال: «في الوعّاظ من يتكلّم على طريق المعرفة والمحبة، فترى الحائكَ والسوقيَّ الذي لا يعرف فرائض الصلاة يمزّقُ أثوابه بدعوى محبة الله»[3].

ويرسم للوعظ حدوداً مع العوام فيقول: «الواعظ مأمورٌ بألا يتعدّى الصوابَ، ولا يتعرّض لما يفسدهم، بل يجذبهم إلى ما يصلح أمورهم بألطف وجه، وهذا يحتاج إلى صناعة، فإنَّ من العوام مَنْ يعجبُه حسن اللفظ، ومنهم من تعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت الشعر، من هنا كان أحوج الناس إلى البلاغة الواعظ، ليجمعَ مطالبهم، لكنّه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٣١ـ٣٢.
(٢) صيد الخاطر، ص١١٨.
(٣) المصدر السابق، ص٩٩.

من المباح في اللفظ قدرَ الملح في الطعام، ثم يجذبهم إلى العزائم، ويعرّفهم طريق الحق».

هذا، ولم يغفل ابن الجوزي ـ وهو بصدد مراعاة مقتضى الحال ـ أن يضعَ معياراً لوعظ السلطان، حيث يقول[1]: «ينبغي لمن وعظ سلطاناً أن يبالغ في التلطّف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم. وإنما ينبغي أن يمزجَ وعظه بذكر شرف الولاية، وحصول الثواب في رعاية الرَّعايا، وذكر سير العادلين من أسلافهم، ثم لا بدَّ أن ينظر الواعظ في حال الموعوظ قبل وعظه، وقد جاءنا أنَّ المنصور بن عمار كان يعظ الرشيد وهو يبكي، وأبو حازم وعظ سليمان بن عبد الملك فأبكاه، ومجلس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان عامراً بالتذكرة واستحضار الآخرة».

بالإضافة إلى ذلك كلِّه فإنَّ خبرةَ ابن الجوزي بالنفوس وتقلباتها من وراء إتقانه فنّ الوعظ؛ قال مرّة[2]: «قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة، فتدبرتُ السببَ في ذلك فعرفته: الحالة العامة أنّ القلبَ لا يكونُ على صفة واحدة من اليقظة عندَ سماع الموعظة وبعدها، لسببين:

أحدهما: أن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها، إيلامها وقت وقوعها.

والثاني: أنَّ حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مُزاحَ العلة ـ أي: أزيحت علته ـ قد تخلّى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه، فإذا عاد إلى الشواغل اجتذبته بآفاتها، فكيف يصحُّ مع تلك الجواذب أن يبقى كما كان، وهذه حالة تعمُّ الخلقَ، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي بغير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا، كما قال حنظلة رضي الله عنه عن نفسه: «نافق حنظلة!».

---

(١) صيد الخاطر، ص٤٠٢.

(٢) المصدر السابق، ص١١.

ومنهم أقـوام يميل بهم الطبع إلى الغفلـة أحياناً، ويدعوهم ما تقدم من المواعظ إلى العمل أحياناً، فهم كالسنبلة تميلها الرياح.

وأقوام لا يؤثّر فيهم إلا بمقدار سماعه كماء دحرجته على صفوان».

٥ ـ تصوير بديع لأحد مجالس ابن الجوزي في الوعظ:

وإليك ما كتبه الرحالة محمد بن أحمد بن جبير في كتابه: (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار)[١] حين مرّ ببغداد، واستمع إلى أبي الفرج ابن الجوزي في ثلاثة مجالس، يقول: «لو لم تكن تلك الرحلةُ ـ بعد حج بيت الله ـ إلا لمشاهدةِ مجلسٍ من مجالس ذلك العلامة لكانت صفقةً رابحةً، ووجهةً ناجحةً».

ويقول أيضاً: «ما كنّا نحسبُ أنّ متكلّماً في الدنيا يُعطَى من ملكة النفوس، والتلاعب بها ما أُعطي هذا الرجل، فسبحانَ مَنْ يخصُّ بالكمال من يشـاء من عباده».

ثم كتب يصف المجلس الأول: «ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت.. مجلسَ الشـيخ الفقيـه الإمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل عبـد الرحمن بـن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي، وفي آخره على اتصالٍ من قصور الخليفة.. وهو يجلسُ به كلَّ يوم سبتٍ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرٍو ولا زيد، وفي جوف الفَرَا كلُّ الصيد، آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيسُ الحنبلية، والمخصوصُ في العلوم بالرُّتب العلية، إمامُ الجماعة، وفارسُ حلبة هـذه الصناعـة، والمشـهودُ له بالسـبق الكريم في البلاغة والبراعة، ملكُ أزمَّةِ الكلامِ في النظم والنثر، والغائصُ في بحر فكره على نفائس الدّر، فأما نظمُـه فرضيُّ[٢] الطباع، مهياريُّ[٣] الانطباع، وأما نثرُهُ فيصدع بسحر البيان، ويعطّل المثل بقُسٍّ[٤] وسَحْبان[٥]، ومن أعظم آياته، وأكبر معجزاته: أنّه يصعدُ المنبرَ،

---

(١) انظر: (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار) المشهور برحلة ابن جبير، ص١٩٥ ـ ٢٠٠.

(٢) نسبة إلى الشاعر الشريف الرضي.

(٣) نسبة إلى الشاعر مهيار الديلمي.

(٤) **قُس بن ساعدة الإيادي**: خطيب جاهلي مشهور.

(٥) **سحبان وائل**: خطيب إسلامي مشهور.

ويبتدئ القُرَّاء بالقراءة وعددهم نيَّفَ على العشرين قارئاً، فينزعُ الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسقٍ بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا، تلت طائفةٌ أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آياتٍ من سورٍ مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءةً، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكادُ المتقد الخاطر يحصّلُها عدداً، أو يسمّيها نسقاً.

فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريبُ الشأن في إيراد خطبته عَجِلاً مبتدِراً، وأفرغَ في أصداف الأسماع دُرراً، وانتظمَ أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فِقَراً، وأتى بها على نسقِ القراءةِ لها، لا مقدِّماً ولا مؤخِّراً، ثم أكمل الخطبة على قافيةِ آخرِ آيةٍ منها، فلو أنَّ أبرعَ مَنْ في مجلسِه تكلّف تسميةَ ما قرأ القراءُ به آيةً فآيةً على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغرَّاء عجلاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: ١٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]. فحدِّث ولا حرجَ عن البحر، وهيهات ليس الخَبرُ عنه كالخُبْر.

ثم إنه أتى بعد أن فرغَ من خطبته برقائق من الوعظ، وآياتٍ بيّناتٍ من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابتْ لها الأنفسُ احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردّدَ بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كلٌّ يلقي بناصيته بيده فيجزّها، ويمسحُ على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشَى عليه، فيُرْفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويُذكّرها هولَ يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، إلا لمشاهدة مجلسٍ من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقةُ الرابحةُ والوجهةُ المفلحةُ الناجحةُ، والحمد لله على أنْ مَنَّ بلقاء مَنْ تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله. وفي أثناء ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرعَ من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء، لا إلـٰه سواه».

خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي:

يقول ابن كثير في (البداية والنهاية): «فهو ـ أي: ابن الجوزي ـ أحدُ أفراد

العلماء، بـرز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمعَ المصنّفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمئة مصنف، وكتب بيده نحواً من مئتي مجلدة، وله في العلوم كلِّها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات ما يضيقُ هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها»[1].

وقـال الموفق عبد اللطيف في تـأليف له[2]: «كـان ابنُ الجـوزي لطيفَ الصورة، حلوَ الشمائل، رخيمَ النغمة، لذيذَ المفاكهة، يحضر مجلسه مئة ألفٍ أو يزيدون، لا يضيّعُ من زمانه شيئاً، يكتبُ في اليوم أربع كراريس، وله في كل علم مشـاركة، لكنّه كان في التفسـير من الأعيان، وفي الحديث من الحفّاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع فله فيه ملكة قوية».

قال ابن خِلِّكَان في (وفيات الأعيان)[3]: «كان علاّمةَ عصره، وإمامَ وقته في الحديث وصناعة الوعظ، وصنّف في فنون عديدة».

قال أبو عبد الله الدّبيثي في تاريخه (الذيل، ص١٢٢ ـ ١٢٣): «شيخُنا جمال الـدين صاحبُ التصانيف في فنـون العلوم من التفسـير، والفقـه، والحديث، والتـواريخ، وغير ذلك، وإليه انتهت معرفةُ الحديث وعلومه والوقـوف على صحيحه من سقيمه، وكان من أحسنِ الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودِهم بياناً. . . وأنشدني لنفسه:

يـا سَـاكِـنَ الـدُّنْيـا تَـأَهَّـبْ ... وانْتَظِـرْ يَـوْمَ الفِـرَاقِ
وَأَعِـدَّ زَاداً للـرَّحِيْـلِ ... فَسَـوْفَ يُحْـدَى بـالْفِـرَاقِ
وابْـكِ الـذّنـوبَ بـأَدْمُـعٍ ... تنْهَـلُّ مِـنْ سُحُـبِ المـآقـي
يـا مَـنْ أضَـاعَ زَمَـانَـهُ ... أَرَضِيْـتَ مَـا يَفْنَـى بِبَـاقِ؟

وترجم له أبـو الخير الجَزري في (غاية النهاية) فقال[4]: «الإمام الحافظ

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٣١.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧١.
(٣) الوفيات: ٣/ ١٤٠.
(٤) غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: ١/ ٣٧٥.

أبو الفرج شيخُ العراق، وإمامُ الآفاق، تلا بالعَشْرِ على أبي بكر محمد بن الحسين المرزوقي».

وفي (طبقات المفسرين)[1] للداوودي نجده يقول: «الإمام العلامة، حافظ العراق، وواعظ الآفاق، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك».

وغير هؤلاء من العلماء كثير شهدوا، وإنما اكتفينا بالشعاع عن الشمس.

سادساً: مختارات من غُرَر ألفاظِ ابن الجوزي[2]:

ـ عقارِبُ المنايا تلسَعُ، وخَدَرانُ جسمِ الآمال يمنعُ، وماءُ الحياةِ في إناءِ العُمْرِ يَرْشَحُ.

ـ يا أميرُ! اذكر عندَ القدرةِ عدلَ الله فيك، وعندَ العقوبةِ قدرةَ اللهِ عليك، ولا تشفِ غيظَك بسقمِ دينك.

ـ ومن أجوبته الحكيمة السديدة: أنَّ رجلاً ـ أيام ظهور الشيعة ـ سأله: أيُّهما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فأجاب: «أفضلُهما مَنْ كانت ابنته تحته». والمعروف أنَّ السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما أم المؤمنين وزوجة رسول الله ﷺ، والسيدة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وزوجة علي رضي الله عنه، وعلى هذا يفهم الجواب على الوجهين.

ـ وسأله رجلٌ مرةً: أيهما أفضل.. أُسَبِّح أو أستغفر؟ قال: «الثوبُ الوسخُ أحوجُ إلى الصابون من البخور».

ـ واستمع إلى تعليقه على الحديث الشريف: «**أعمارُ أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلُّهم من يجوز ذلك**»[3]. حيث يقول: «إنّما طالتْ أعمارُ الأوائل لطولِ الباديةِ، فلمَّا شارفَ الركبُ بلدَ الإقامةِ قيل: حثّوا المطي».

---

(١) طبقات المفسرين، للداوودي: ١/ ٢٧٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٥٥) بسند حسن؛ وابن ماجه برقم (٤٢٣٦)؛ والخطيب البغدادي في تاريخه؛ وصححه ابن حبان (٢٤٦٧)؛ والحاكم: ٢/ ٤٢٧ ووافقه الذهبي.

- ومن حكمتـه في وعظه الكبراء، قوله: «يا أميرَ المؤمنين! إنْ تكلّمتُ خفتُ منك، وإن سكتُّ خِفْتُ عليك، وأنا أقدِّم خوفي عليك على خوفي منك؛ فقولُ النَّاصحِ: اتق الله، خيرٌ من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم».

سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي:

قال الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفاظ)[1]: «ما علمتُ أحداً من العلماء صنّف ما صنف هذا الرجل - أي ابن الجوزي - ويكفي فيه ما نقله القمّي في (الكُنى والألقاب)[2]: أن بُراية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديثَ جُمعت فحصل منها شيءٌ كثير، وأوصى أن يسخَّنَ بها الماء الذي يُغسّل به بعد موته، ففُعل ذلك، فكفت وفضل منها».

وقـال الحافظ ابـن رجب فـي (ذيـل طبقـات الحنابلـة) في ترجمـة ابـن الجوزي[3]: «لم يترك فنّاً من الفنون إلا وله فيه مصنّف، وسُئل عن عدد تآليفه فقال: زيادة على ثلاثمئة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً؛ ومنها ما هو كراس واحد».

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: «سمعتُ جَدّي يقول على المنبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفَ مجلّد».

وقد ألف الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتاباً باسم (مؤلفات ابن الجوزي)، وعدد فيه أسماء مؤلفاته فبلغت (٥١٩) كتاباً، ما بين كبير في أكثر من عشـر مجلدات، وصغير في صفحات. ومع ذلك فاته مؤلفات أخرى.. وإليك أخي القارئ ثَبْتاً بأهمّ ما ألف صاحب (**المدهش**) من المطبوع فحسب:

١ - إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث.

٢ - أخبار الحمقى والمغفلين.

---

(١) ٤/ ١٣٤٤.

(٢) الكنى والألقاب، للقمي: ١/ ٢٤٢.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٤١٢ - ٤١٣.

٣ ـ أخبار الظراف والمتماجنين.

٤ ـ أخبار النساء.

٥ ـ الأذكياء.

٦ ـ إعلام العالم بعدد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه.

٧ ـ بستان الواعظين.

٨ ـ تاريخ عمر بن الخطاب.

٩ ـ تقويم اللسان.

١٠ ـ تلبيس إبليس.

١١ ـ تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير.

١٢ ـ دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة.

١٣ ـ تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.

١٤ ـ صيد الخاطر.

١٥ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز.

١٦ ـ ذم الهوى.

١٧ ـ الوفا في فضائل المصطفى.

١٨ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز.

١٩ ـ مناقب بغداد.

٢٠ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

٢١ ـ صفة الصفوة.

٢٢ ـ زاد المسير في علم التفسير.

٢٣ ـ (المدهش) وهو كتابنا هذا الذي بين يديك.

٢٤ ـ كتاب القرامطة.

ثامناً: وفاته:

لعل شهادة جنازته تقوم وحدها في التدليل على ما ترك في الناس من بصمات، إنّه مرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين، الثالث عشر من رمضان سنة (٥٩٧هـ) في داره بقطُفْتا، وحضر غسله الشيخ ابن سُكينة وقت السحر، وغلّقت الأسواقُ يومها، واجتمع خلق كثير في جنازته، وصلّى عليه ابنه أبو القاسم علي، لأنَّ الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه.

وكان يوماً مشهوداً، لم تصل الجنازةُ إلى حفرتها بمقبرة الإمام أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان رمضان وقتها في تموز ـ وهو شهر حار ـ فأفطر خلق من شدة الظمأ، ورمى كثيرون أنفسهم في الماء طلباً للتبرد، وأُنزل في الحفرة والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون القرآن، وقد رآه ـ في النوم ـ تلك الليلة المحدّث أحمد سليمان السُّكَّر، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق، والملائكة بين يديه.

هذا وقد أوصى ابن الجوزي أن يكتب على قبره:

يا كثيرَ العَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
جاءكَ المُذْنِبُ يَرْجو الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ
أنا ضَيْفٌ وجَزاءُ الضَّيفِ إحْسانٌ إليهِ[1]

* * *

(١) سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٧٩ـ ٣٨٠.

تعريفٌ عام بكتاب المدهش

سنبيّنُ تحتَ هذا العنوان الموضوعَ الذي عالجه هذا الكتاب، وتحقيق نسبته إلى مؤلفه ابن الجوزي، وكذلك قيمة الكتاب، وأهميته، وأشهر العلماء الذين نقلوا عن الكتاب دون الإشارة إلى ذلك، مع إبراز بعض العبارات الرائقة الممتعة البليغة في هذا الكتاب.

أولاً: موضوع الكتاب:

الموضوع الذي يعالجه كتاب (**المدهش**) هو الوعظ والتذكير، وتنشيطُ الهمة للاستعداد للدار الآخرة، واستغلالُ الأوقاتِ والأعمارِ، وعدم الاغترار بالدنيا الفانية.

ولما للموعظةِ من أهمية وأثرٍ، فقد كان النبيُّ ﷺ يتعهّدُ بها أصحابَه بين الفينة والأخرى، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يتخوّلنا بالموعظةِ في الأيام كراهةَ السآمة علينا[1].

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يقيمَ على كلِّ قلبٍ أسلم له واعظاً يسدِّدُ خطواته، إذ قد جاء عنه ﷺ أنه قال: «**وعلى رأسِ الصراطِ واعظُ الله في قلبِ كلِّ مسلم**»[2].

وواعظُه هنا حججه التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله منه، وحرّمه عليه، كذلك البصائر التي جعلها فيه، وهذه وتلك تحرّكها موعظةُ الواعظين، ويكفي في بيان أثر الموعظة في النفس ما قيل: «السعيدُ من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظَ به غيرُه».

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبيَّنُ أنَّ الوعظ والموعظة هما النصح والتذكير بالعواقب، قال (ابن سِيدَهْ) يُحدّدُ معنى الوعظ: «هو تذكيرك الإنسانَ بما

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم (١١)، ودعوات (٦٩)؛ ومسلم في كتاب المنافقين (٨٢)؛ والترمذي في كتاب الأدب (٧٢)؛ والإمام أحمد: ١/ ٣٧٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده؛ والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي.

يُلَيِّنُ قلبَه من ثوابٍ وعقابٍ».

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. جاء هذا في سياقِ بيان حرمة الربا.

وقالوا: «الوعظُ: زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ».

وقال الخليل: «هو التذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب.

والعظَةُ مصدر وَعَظَ، والاسم منه الموعظة.

ويلاحظُ أثر الموعظة إذا تلقتها النفوس تلقياً صحيحاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال سبحانه وتعالى بعدما أمر بالسير في الأرض والتعرّف إلى سنن اجتماعية وعواقب ترتبت على التكذيب: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وقد جاءت المواعظ حشو التوراة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

على أنَّ مساحةً واسعةً في الكتاب تناول فيها المؤلِّفُ بعضاً من علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، واللغة، وغرائبَ من عيون التاريخ، مع تركيزِه على الجانب الوعظيِّ فيما عرضَ من قصص.

ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي:

إنَّ نسبةَ الكتاب ثابتةٌ لابن الجوزيِّ رحمه الله، وذلك من خلال الرجوع إلى المصادر المعتمدة التي ذكرت **المدهشَ** من مؤلفاته، وهناك عِدَّةُ تسميات أطلقت على هذا الكتاب، لكنّها كلَّها اتفقت على كلمة **المدهش**، واختلفت في بعض الزيادات المضافة إليها. فالعلماء الذين أطلقوا عليه (كتاب المدهش) فقط دون زيادةٍ هم: **الحافظ الذهبي** في (تذكرة الحفاظ): ٤/ ١٣٦، و(سير أعلام النبلاء): ٢/ ٣٦٨، **وابن رجب البغدادي** في كتابه (الذيل على طبقات الحنابلة): ١/ ٤١٧، **وسبط ابن الجوزي** في كتابه (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان): ٨/ ٤٨٨، **وبروكلمان** في كتابه (تاريخ الأدب العربي): ١/ ٦٦١ ـ ٦٦٦ تحت رقم (١٠٦).

وذُكِرَ أحياناً باسم (**المدهش في المحاضرات**) كما في (كشف الظنون عن

أسماء الكتب والفنون) لحاجي خليفة: ٢/ ١٦٤٥، وكذا في كتاب (هدية العارفين): ٥/ ٥٢٠ . كما ذكر باسم (**المدهش في الوقائع العجيبة**) وهذا في كتاب (روضات الجنات) للخوارنساري: ٣/ ٤٢٧ . وفي أحيانٍ أخرى ذكر باسم (**المدهش في المواعظ وغرائب الأخبار**)، وهذا في كتاب (الأعلام) للزركلي: ٣/ ٥٢٠ .

ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن (المدهش):

نظراً للمكانةِ المرموقةِ التي احتلّها كتابُ (المدهش)، فقد اعتنى به العلماء المتقدمون عنايةً كبيرةً، وأدلُّ دليلٍ على ذلك النقولاتُ الكثيرةُ التي تضمنتها كتبهم منه، إما نقلاً كاملاً بكلماته وحروفه، أو اقتباساً لبعض كلماته محاكاةً لأسلوبه.

وقبل أن نستعرض بعضَ الكتب التي نقلت عن (**المدهش**) لابدَّ أن نذكرَ أمراً هو من الأهمية بمكان، وهو أنَّ عادةَ العلماء المتقدمين النقلُ من كتبٍ غيرِ كتبهم، دونَ الإشارةِ إلى المصدر الذي أخذوا عنه، وهذا لا يؤثِّرُ في أمانتهم العلمية، لأنَّ نظامَ الجمع والتأليف يختلِفُ من زمانٍ لآخر، وخاصّةً إذا علمنا أن نقلهم كان عن علماء قد عُرفوا بأسلوبهم المميَّز في الفصاحة والبلاغة، وشهرة أصحاب هذه العبارات تُغني عن ذكر أسمائهم عندما تتمُّ عمليةُ النقل من كتبهم.

ولعلَّ أشهرَ منْ نقلَ عن كتاب (**المدهش**) ـ حسب علمنا ـ الإمام ابن قيم الجوزية في كتابيه (الفوائد) و(بدائع الفوائد)، وكذلك الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه (لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف).

وإليك عرضاً لأهم المواضع التي ذكرت فيها عباراتٌ منقولةٌ عن كتاب (**المدهش**):

● في كتاب (**بدائع الفوائد**): ٣/ ٢٢٣ ـ ٢٣٩ تحت عنوان: (فصل: حكم ومواعظ وعبر)؛ تكاد تكونُ جميع هذه الصفحات مأخوذة بجملتها من كتاب (**المدهش**) مع تقديم وتأخير، وإليك بعض الأمثلة لما ذكر فيه:

ـ في ص٢٢٣: «**ليس العجبُ من أمرِ الخليلِ بذبح الولدِ، وإنَّما العجبُ من مباشرةِ الذبحِ بيدِه**»، وهو في نهاية الفصل السابع في قِصّةِ الذبيح بحروفه من (**المدهش**).

ـ وفي ص٢٢٤ : «لمّا تمكّنَ الحسدُ من قلوب إخوة يوسف أُري المظلومُ مآلَ الظالم في مرآه : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف : ٤]»، وهو مذكورٌ في الفصل العاشر في قصة يوسف عليه السلام .

ـ وفي ص٢٢٤ : «مَنْ أدلجَ في غياهبِ الليلِ على نجائبِ الصَّبْرِ صبَّحَ مَنزِلَ السرورِ، ومن نامَ على فراشِ الكَسَلِ أصبحَ ملقّى بوادي الأسفِ . .

ما حظيَ الدِّينارُ بنقشِ اسمِ الملكِ فيه، حتى صبرت سبيكتُه على الترداذِ إلى النارِ . . »، هكذا بحروفِه في الفصل الخامس من المواعظ .

ـ وفي ص٢٢٥ : «الحيوانُ البهيمُ يتأمَّلُ العواقبَ، وأنت لا ترى إلا الحاضرَ، ما تكادُ تهتمُّ بمؤونة الشتاءِ حتى يقوى البردُ . . »، بحروفِه من الفصل السادس من المواعظ .

ـ وفي ص٢٢٨ : «حِرْصُ العصفورِ يخنقه، وقنع العنكبوت في زاوية الضعف يسـوقُ إليها الذبابَ قوتاً لها، ربَّ ساعٍ لقاعدٍ . . »، بحروفه من الفصل التاسع والثمانين .

ـ في ص٢٢٩ : «قُفْلُ قلبِكَ روميّ، ما يقع عليه فَشٌّ، متى خامر من جنود عزمك عليك واحد لم تأمن قلبَ الهزيمةِ عليكَ . . »، بحروفه من الفصل السابع والثمانين .

ـ في ص٢٣٣ : «فتّش على القلب الضائع قبل الشروع، فحضورُ القلبِ أولُ منزلٍ من منازلِ الصلاةِ، فإذا نزلتَه انتقلتَ إلى بادية المعنى»، من الفصل الحادي والثمانين .

ـ في ص٢٣٤ : «يا حاضرين معنا بنيّةِ النُّزهةِ لستم معنا، عودوا إلى أوكارِ الكسلِ، فالحربُ طعنٌ وضربٌ، ويا مودعين ارجعوا فقد عبرنا العذيب . . »، من الفصل التاسع والسبعين .

ـ في ص٢٣٥ : «إذا لم تخلص فلا تتعب، لا تَحْدُ وما لكَ بعيرٌ . . شجرة الصنوبر تثمِرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدّبّاء تصعد في أسبوعين . . »، من الفصل الثالث والسبعين .

● وفي كتـاب (**الفوائد**) من الصفحـات (٣٦ إلى ٥١)، وإليـك بعض الأمثلة:

- في ص٣٦: «هبّت عواصفُ الأقدار في بيداءِ الأكوان، فتقلّبَ الوجودُ وعمَّ الخيرُ، فلما ركدتِ الريحُ إذا أبو طالب غريقٌ في لُجّةِ الهلاك، وسلمانُ على ساحلِ السلامة..»، بحروفه من الفصل التاسع عشر من المواعظ.

- وفي ص٤٥: «كان ذو البجادين يتيماً في الصغر، فكفله عمُّه، فنازعتْهُ نفسُه إلى اتباع الرسول ﷺ، فهمّ بالنهوضِ، فإذا بقيةُ المرضِ مانعةٌ..»، كذا بحروفه من الفصل العاشر من المواعظ.

- وفي ص٥١: «كن من أبناءِ الآخرة، ولا تكنْ من أبناء الدنيا، فإنَّ الولدَ يتبعُ الأم»، «الدنيـا لا تسـاوي نقل أقدامـك إليها، فكيف تعدو خلفها..»، من الفصل الحادي والثلاثين.

● وفي كتاب (**لطائف المعارف**) لابن رجب، نجد مقتطفات من كتاب **المدهش** في الصفحات التالية:

(٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٦١، ٢٨٧، ٣١٠، ٣٧٦) وإليك بعض الأمثلة:

- فـي ص٢٦١: «سـلامُ اللهِ علـى تلـك الأرواح، رحمـةُ اللهِ علـى تلـك الأشباح، ما مثلنا ومثلهم..»، من الفصل الثالث والستين.

- وفي ص٣٧٦: «التوبةَ التوبةَ قبل أن يصلَ إليكم من الموتِ النوبة، فيحصلَ المفرّط على الندم والخيبة. والإنابةَ الإنابةَ قبل غلْقِ باب الإجابة. والإفاقةَ الإفاقةَ فقد قرب وقت الفاقة»، بحروفه من الفصل الرابع والعشرين من المواعظ.

رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائقة في (المدهش):

وقد اخترنا لك من رائقِ عباراته، وناصعِ أسلوبه، وما يدلُّ على قُدرتِه الفائقة على التعبير البليغ، والتصوير الدقيق الشرود، والغوص الماهر الذكي على

العلاقات الخفية بين المباني والمعاني، والرمز والمرموز إليه، والخبرة الحصيفة بتاريخ الكلمة وتوظيفاتها، اخترنا العبارات الآتية التي لا تشعر معها بفارق الزمن بينك وبين كاتبها، فكأنه بأسلوبه يكتب الآن، وبأرقى ما تكون الكتابة، ولا ننكر أننا وجدنا بعض عباراته قد غلب عليها التصنُّع، مما أفقدها رواءها وتأثيرها، وإن كانت لا تُخرِج أسلوبه بعامة عن التأنق والتألق لقلتها وغلبته.

قال: «كلامي نهرٌ يأخذ من بحر الكتاب والسُّنَّة، صافٍ ما تغيّر قط، يسقي قلوبكم سيحاً بلا كلف، وقد قنع من الخراج بالدعاء» يرصد مناهله العذبة وحرصه على صفاء ما يأخذ، لا تشوبه شوائب النفس، ولا تكدره تلوثات الأهواء، ثم لا يبتغي من ذلك أجراً إلا من الله تعالى.

وقال: «هل في مجلسي نقص؟ فيقال: لو أنه. أو عيب؟ فيقال: إلا أنه. أوَرأيتم مثله؟فيقال: كأنه. آهٍ لو كان من أعجمي، ولكنه أبلغ بلفظي منزل المعنى، وما طال سفر العبارة، المعاني واسعة الفيافي، والألفاظ ضيقة العِراص، وما يقدر على حشو العرصة فوق ما تسع إلا مهندس لآلئ».

ألا ترى فيما قال افتخاراً بالقدرة على التعبير القريب، والمعنى الكبير، وهذا من أهم أدوات الوعظ؛ قال: «إذا مرضت الأفهام السليمة من وباء طعام العبارات الركيكة عمل لفظي في شفائها، ولا رُقَى الهند، كَلِمٌ تُداوي كلَّ كَلْم، ظلمٌ قياسها بعذوبة الظَّلْم، وجواهر كلها يتيم، توجد مفقودةَ المثال».

ويرى تفوّقه في هذا الميدان فيقول: «تجنب الغائصون عنها عجزاً، وجاشت بحارُها لي».

ويرصد أثر الموعظة الصادقة فيقول: «لوّح للقوم فأجابوا، وكرر الصياح بك وما تلقفتَ، إذا سمعوا موعظةً غرست في قلوبهم نخيل العزائم».

وبيَّن أثر سلوك الواعظ في تأثير كلامه فقال: إذا صدر العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية ينطق بها البدوي .. جمعتُ بين الكتاب والسُّنَّة ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين: «**ولدت من نكاح لا من سفاح**»[1].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الأوسط؛ والبيهقي في الدلائل؛ وابن سعد في الطبقات بلفظ: «**خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح**».

إن ابن الجوزي كان طِبّاً بالقلوب، خبيراً بالنفوس وحاجاتها يقول: «أنا طبيبٌ لبيبٌ، أمزجُ التحذير بالتشويق للعاملين، وأجعل كأسَ التخويف صِرْفاً للغافلين، وأجتهُد في التلطّف جهدي بالعارفين». كأنه يقول: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، والساقي أعظم.

ثم يقول: «وا عجباً لألفاظي وعملها، بطل السحر عندها، كل المذكورين رجّالة وأنا فارس، أخرج إلى المعاني في كمين فأصيدها لا بأحبولة، إذا حضرتُ ملكتُ العيونَ، وإذا غبتُ استرهنتُ القلوبَ».

إنّه يرى مدى تأثير كلامه وحاله في الناس، حيث جعلوا قلوبهم عنده رهائن، إذا غاب ينتظرون منه الإياب، ويذرفون الدموع إذا وعظ، ويعود ليرصدَ آثار الوعظ المخلص فيقول: «إذا هبّتْ رياحُ المواعظ أثارتْ من قلوب المتيقظين غَيْمَ الغمِّ على ما سلف، وساقت إلى بلدِ الطبع المنحرف برعدِ الوعيدِ، وبرقِ الخشيةِ، فترقى دموعُ الأحزان من بحر قعر القلب إلى أوج الرأس، فتسيلُ في ميازيب الشؤون على سطوح الوجناتِ، فإذا أعشبَ السرُّ، اهتزّ فرحاً بالإنابة». . هل سمعت بمثل هذا التغلغل في حركة النفس، وهي تتلقى إشعاعات التوجيه ونبضات الإرشاد، وترفعُ لها مصابيح الدلالة.

ولا يغفِلُ ابنُ الجوزي آفاقاً أخرى من التعلق بالله تعالى سوى الإنابة والخشية والرغبة والرهبة فيقول: «قال ذو النون: لقيتُ امرأةً متعبّدةً، فوعظتني فبكيتُ، فقالت: لم تبكي؟ قلتُ لها: أو العارف لا يبكي؟ قالت: إذا بكى استراحَ، ولا راحةَ للمؤمنِ دونَ لقاءِ ربّه».

* * *

السّبب في إعادة طبع الكتاب

طبع كتاب (**المدهش**) لأول مرة في بغداد بمطبعة الآداب عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) بعنوان (**المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ والوعظ**) بعناية الشيخ محمد السماوي، ثم أعيد تصوير هذه الطبعة في بيروت بالمؤسسة العالمية عام (١٩٧٣م)، ثم طبع مرة ثانية بدار الكتب العلمية حيث ضبطه وصححه وعلّق عليه الدكتور مروان قباني، وقد اعتمد على الطبعة البغدادية.

إلا أن هاتين الطبعتين قد حُشيتا أخطاءً وتحريفاً، مما لا يتناسب مع نفاسة الكتاب وتألُّقه، وطرافة ما زخر به من فوائد. ولو اقتصر الأمرُ على الأخطاء لكان بالإمكان أن يلحق بالكتاب جدولٌ يضمّ إليه، يستطيع القارئ على ضوئه تصويبها، لكنْ ما حلَّ به من تحريف رهيبٍ جعلَ من المستحيل الاستفادة منه على ما هو عليه، إنّه تحريفٌ لا ندري لكثرته ما سببه؟! وكأن الذي تولّى طباعته أبى إلا أن يسلخَ الكتابَ عن صاحبه سلخاً، لم يبق له فيه منه إلا اسمه، تحريف باتت فيه كثير من العبارات طلاسم، لايفهمها أمهرُ القرّاء، وقد ترك هذا التحريفُ بصماتِ الإهمالِ والإعراضِ عن الكتاب، إذ كيف يُقبل القارئ على كتابٍ فيه هذا الكمُّ من الالتواءات في العبارات، وفاضَ من ثنايا سطوره غموضٌ غطّى وجه كثيرٍ من معانيه، فبدا مشوّهاً مهشّماً، كأنما مسَّه زلزال، ولم يبق منه إلا ذماء، وبقية روحه.

تلك دعتنا إلى أن نعيدَ طباعته محققاً، ونكشفَ تلك الغُمة عن وجهه الذي لا يزال وضاءً في مخطوطته، فلبينا الدعوة، وشمّرنا له زمناً ليس بالقصير، حتى خرجَ على هذه الصورة التي يراها القارئ الكريم.

إننا حين أقبلنا على قراءة المطبوع، ووجدنا هذا الكمّ الهائل من الأخطاء الصارخة، التي لا نستطيع بسببها الوصول إلى معانيها ولو بتأويلٍ، وشدَّنا موضوع الكتاب بجاذبيةٍ نبضتْ بها معانيه، وتألّقت مبانيه، والتي لمسناها مِنْ عموم الكتاب، واعترضتنا عباراتٌ منه عرجاء عوجاء، وجمل كثيرة استغلقت

على الفهم، حتى كِدْنا نتَّهم المؤلِّفَ على جلالةِ قدره مضطرين، لولا وقوفنا على مخطوطتين للكتاب، فدفعنا ذلك إلى إعادة قراءة الكتاب ومطابقته مع ما جاء في المخطوطتين.

أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب:

١ ـ قمنا بمطابقة ما جاء في الكتاب المطبوع ـ في طبعتيه المعروضتين في السوق ـ مع المخطوطتين، فوقفنا على مدى ما في المطبوع من أخطاء ونواقص ومباينات، فتتبعناها حتى بلغنا بالكتاب ما نرجو له من سلامةٍ تليقُ بروعةِ مضمونه، ونفاسةِ معانيه، ودقة تعابيره.

٢ ـ أشرنا للنسخة الأولى ـ وهي الأقدم ـ بالرمز (أ) وجعلناها الأصل والعمدة، والثانية أشرنا لها بالرمز (ب)؛ فأيّ زيادة وجدناها في النسخة الثانية (ب) قمنا بإثباتها في السياق ضمن معكوفتين [ ]، أما الاختلاف بين النسختين فأشرنا له في هامش الكتاب.

٣ ـ بيَّنا موقع الآيات القرآنية من سورها، وذلك ليتمكن القارئ من الرجوع إليها، خاصة وأنَّ من خصائص أسلوب ابن الجوزي في كتابه، التوظيفَ الدقيقَ للآيات، والإشارة إلى المعنى غالباً عبر كلمة من آية ما، وأحياناً أكثر من كلمة، تركيزاً على موطن الشاهد، وإبرازاً للمعنى المشار إليه فيها.

٤ ـ خَرَّجْنا الأحاديث الشريفة بصورة شاملةٍ إلا ما لم نقف له على أصل، وذلك بعد الرجوع إلى كثيرٍ من المصادر والموسوعات الحديثية والفهارس، وقد رصدنا من خلال ذلك بعض أحاديث ضعيفة أوردها ابن الجوزي، وهذا لا يضرُّ بقيمةِ الكتاب ومكانته، ذلك لأن **(المدهش)** كتابُ وعظٍ وتذكيرٍ، وإيقاظٍ وحفزٍ، ومعلومٌ أنَّ العلماء قد تساهلوا في الوعظ بإيراد أمثالها، ولم يشترطوا فيها أن تكون قد استكملت شروط الصحةِ التي لا بد منها فيما يتعلّق بالحلال والحرام والعقيدة.

٥ ـ قمنا بالتعليق على ما أورده المؤلف من أخبار تتعلّقُ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مما سمّاه علماؤنا: الإسرائيليات، وبينّا أنها تتعارض مع العقيدة الراسخة في النبوات وعالم الملائكة، ومثال ذلك: ما أورده في حقِّ

سيدنا داود وأيوب ويوسف عليهم السلام، وكذلك هاروت وماروت.

٦ ـ ضبطنا الأشعار ضبطاً يعينُ القارئَ العادي على القراءة السليمة، ورجعنا إلى كثير من الدواوين الشعرية الميسرة، واعتمدنا الموسوعة الشعرية المبرمجة على قرص حاسوبي للتحقق مما ورد من أشعار زخر بها الكتاب، والإشارة إلى مواطنها من تلك الدواوين ما أمكننا ذلك.

٧ ـ لم نكتفِ بضبط الأشعار الواردة في الكتاب، بل قمنا بضبط غالب كلمات الكتاب، وقد وجدنا ذلك ضرورياً، خاصة في كتابٍ يعتَبَرُ مُعجماً لغوياً ثرّاً، وخزانةَ نصوصٍ شعريةٍ ونثريةٍ، ومناهلَ لمعانٍ لبِست في صورتها الحسية ألواناً من البلاغة، وكان الجناس السِّمةَ البارزةَ فيها، ومعلومٌ أنَّ الضبطَ فيه أمر ضروريٌّ، ليفـرِّق القارئْ بين المعاني في كلمات اتفقت في أشكال حروفها، واختلفت في معانيها بسبب حركةٍ في حرف من حروفها.

٨ ـ حاولنا إضاءة بعض العبارات بعد أن شرحنا الكلمات الغريبة أو التي ألغز بها المؤلف، وذلك ليكونَ القارئْ على بصيرة من مغزاها. وقد أحجمنا عن شرح عبارات جاءت ومضاً فيها إشارات لطيفة تدركها بأدنى ملامسة الروحُ الشفيفة، إذ وجدنا أنَّ أيَّ توضيحٍ لمعناها إغماضٌ، وأيَّ تعليقٍ عليها تحجيمٌ، فاحترمنا قدرةَ القارئْ على التفاعلَ العميق معها، فتركناها تأخذُ سبيلَها إليه دون الحاجة لدهاليز التعليقات.

٩ ـ وضعنا علامات الترقيم التي تساعد القارئْ على فهم العبارات والوقوف الصحيح عند نهايات الجمل.

١٠ ـ إنَّ الكتاب قد عبق بأسماء صالحينَ وصالحات، فكانوا مادّةً ثرّةً فيه، ووقعت لفتات بين الحين والآخر، تطلّبت تبصيراً بصاحبها وبالموقف، وهذا تطلَّب منا أن نعكفَ على جلِّ الشخصيات التي ورد ذكرُها في الكتاب، وقد قام أخونا (نور الدين البوريني) فجمع تراجمَ الكثيرين منها في موضع واحد، ورتبها ترتيباً ألف بائيّاً، وألحقناها بالكتاب، وذلك لئلا تضيع في ثناياه، وليسهل التعرفُ عليها، ولنقف على مدى ما أحاط به المؤلف من سير الصالحين، فكانت مادة أساسية لوعظه، كيف لا؟ وهو الذي ألّف كتاب (صِفَة الصفوة) بعدما حفظ كتاب

(حليـة الأولياء) لأبي نُعيم، وأتقنَ ما فيـه، فكان مَنْجَماً لهذه السـير، وبحراً لأصداف لآلئه، وقد أبى باذِلُ هذا الجهد جزاه الله كل خير ـ إلا أن يحلّي ما يتصل بالشـخصية المترجَم لها بما له صلة واشجة بالكتاب وعظاً وتبصيراً بالسـلوك الراشد الرباني، فتكون التراجم على هذا كتاباً متصلاً منفصلاً يجلّي أنماطاً من السلوك ومناراتٍ على طريق الهدى.

وحرصنـا على ضبط الأعلام في الكتـاب احتراماً لأسـمائهم أن تحرِّفَها الألسـنةُ، خاصةً أسـماء أولئك الذين شـهدوا أول معركة فاصلـة بين التوحيد والشرك، والإسلام والجاهلية: معركة بدر الكبرى، والذين شهدت لهم النبوّةُ بالجنة وسعادة الأبد.

ثانياً: وصف المخطوطتين:

عندما عزمنا على إعادة طبع هذا الكتاب، حاولنا البحث عن مخطوطة له، فلم نجد سـوى مخطوطة واحـدة في مركز (جمعـة الماجد للثقافـة والتراث)، وعندما اطلعنا عليها وجدناها ناقصة في كثير من فصول الكتاب، بالإضافة إلى رداءة خطها، وعدم وضوحه، والاهتراء الكبير الذي أصاب جوانبها، فأثَّر في كثير من كلماتها فطمسها، فأعرضنا عنها.

عند ذلك قررنا قراءة الكتاب المطبوع لتصحيح ما أمكن من الأخطاء، وفك التراكيب الغامضة المبهمة فيه، ووضع علامات الترقيم المناسبة بين جمله، وبعد أن فرغنـا من قراءته تماماً إذا بنـا نفاجأ ببشرى سارة من قبل القائمين على مركز (جمعة الماجد للثقافة والتراث) جزاهم الله كلَّ خير أنهم استطاعوا الحصول على مخطوطتين لكتاب (**المدهش**)، ثم تكرَّموا علينا مأجورين بنسخة مصورة عن كلِّ مخطوطة.

وإليك أخي القارئ وصف هاتين المخطوطتين اللتين قمنا بالمطابقة عليهما:

١ ـ النسخة الأولى ـ والمرموز لها بالرمز (أ):

نسخة مصوّرة عن أصل محفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم (٣٣١٥/ أدب ٥٧٠).

بدأت بـ (قال شيخُ الأمة، وعلمُ الأئمة، ناصرُ السنة فخر الإسلام، جمالُ الدين وزينُ الأنام، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي: الحمدُ لله الذي لا منتهى لعطاياه ومِنَحِه، حمداً يقوم بالواجبِ من شكره ومِدَحِهِ. . أما بعدُ: فإني قمتُ بحمدِ الله في عِلْمِ الوعظ بأصحه وأملحه. .). وختمت بالفصل المئة المنتهي بأبيات من الشعر آخرها:

قُــلْ لــذِي الأَلْبَــابِ أَهْــلِ التُّقَــى   قنطــرةُ العَــرْضِ لَكُــمْ مَــوْعِــدُ

وانتهت بقوله: (تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وكان الفراغ من نسخها في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة (٧٤٩هـ). عدد صفحاتها (٤١٧) صفحة، بمعدل (١٩) سطراً في كل صفحة).

ملاحظات حول النسخة:

١ ـ كُتبت النسخةُ بخط نسخي متوسط الجودة.

٢ ـ عليها عددٌ من التملّكات: تملُّكٌ باسم عبد السلام بن برهان بن أحمد ابن برهان بن أحمد الحراكي الحسيني الشافعي القادري المعرّي، وآخر باسم عبد الباقي الجزائري الحسني، وباسم أحمد بن حيدر بن محمد الحنفي الحلبي، وباسم البرهان بن البرهان الحسيني.

٣ ـ ومطالعة باسم إبراهيم جاويش.

٤ ـ نسخة جيدة تنقص من الآخر عدةَ ورقات، حيث شمل النقص الفصولَ الثلاثة الأخيرة بعد المئة والخاتمة.

٥ ـ فيها بعض التصحيحات القليلة.

٢ ـ النسخة الثانية ـ المرموز لها بالرمز (ب):

نسخة مصورة عن أصل محفوظ في دار الكتب الظاهرية برقم (٧٠٥٢/ أدب).

كتبت في أواخر شهر ربيع الثاني سنة (١١٤٢هـ)، والناسخ: مصطفى بن

بكتـاش، وفيها زيادة ثلاثة فصول بعد المئة، حيث قال في تمام المئة: «ولما أتممتُ المئة التي ضمّنتُها رأيتُ الثلاثةَ الأُوَل كالخارج عن الوعظيات، لمشابهتها القصص، فعزمت هاهنا ثلاثة عوضها لتخلص مئة وعظية، والله الموفق».

وقال في آخـرها: «فرغ منه ناظمـه يوم الثلاثاء رابع عشـر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة، حامداً الله تعالى ومصلياً على رسولهﷺ».

ملاحظات حول النسخة:

١ ـ كتبت النسخةُ بخط نسخي جميل وواضح.

٢ ـ نسخة مصححة ومراجعة، مع تعليقات تضمنت لبعض كلماتها.

٣ ـ عدد ورقاتها (١٨٨) ورقة، أي (٣٧٦) صفحة، بمعدل (٢٩) سطراً في كل صفحة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الامة وعلم الايمة ناصر السنة نجم الاسلام جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ابن حمادى بن الجوزى الحمد لله الذى لا منتهى لعطاياه ومننه حمداً نقوم به بالواجب من شكره ومدحه وصلى الله على اشرف نبي وانصحه وعلى اصحابه وازواجه ما استتن طرف فى مرحه اما بعد فانى قمت بحمد الله فى علم الوعظ باصحه واملحه وآثرت ان انتقى فى هذا الكتاب من ملحه والله الموفق فى كل عمل لاصلحه وقد قسمته خمسة ابواب الباب الاول فى ذكر علوم القران العزيز الباب الثانى فى تصريف اللغة وموافقة القران لها الباب الثالث فى علوم الحديث الباب الرابع فى عيون التواريخ الباب الخامس فى ذكر الوعظ وهذا الباب ينقسم قسمين قسم نذكر فيه القصص وقسم نذكر فيه المواعظ مطلقا والله الموفق

واصلحه

الباب

الصفحة الأولى من النسخة (أ) وهي الأصل المعتمد

دارت على الكل كاس الحمام • ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام • الى متى مزاحمة الانعام • ردوا هذه الانفاس
بزمام • ازجروا هذه القلوب عن الاثام • اقرأوا اصحابي بقت
العبر بالستر الانهام • موت الجيران شكل واخذ الاقران
اعجام • يا من اجله خلفه واملة قدام • رب يوم لم يمضنا ع
ماليه ختام • يا مقتحما على الحرام اي اقتحام • ستعلم من
يبكي في العقبى عقبى الاجرام • وتتارك الندامى شرب
الندامى والمدام • يا طول المرض متى يبرأ السقام • يا من ان
تعد فالدنيا وكذلك قام • اول الدنيا هم واخوها موت
زوام • حل لها الفراق وحرم عليها الدوام • سحايبها لا تمطر
وسماؤها قتام • كلها عيب في عيب وذام في ذام • انعيبها
عند محبها متى يسمع العذل مستهام • خلها واخرج عنها
بسلام الى دار السلام • فالجنة رخيصة ثم ما تغلو
على مستام • خذها اليك نصيحة من طب يداوي
الاسقام • يضع الهناء موضع النقب ويعرف اصل الالام
ويركب المرهم من خبر ويدبر كيف سار الكلام ما بعدها
نصيحة تكفي والسلام اخر كتاب المدهش
الحمد لله عدد انفاس اهل الجنة وصلواته على
محمد واله وسلم كثيرا وشرف وكرم فرغ منه
ناظمه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم
الثلاثاء رابع عشر جمادى الاخرة سنة
احدى وتسعين وخمسمائة حامدا
لله سبحانه ومصليا على
رسوله محمد وعلى اله وصحبه
[illegible]
[illegible]
والعفوات
[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين فخر الاسلام
زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي قدس الله
روحه ونور ضريحه الحمد لله الذي لا انتهى لعطاياه ومنحه حمدا يقوم
بالواجب من شكره ومدحه وصلى الله على اشرف نبي وانصحه وعلى اله
واصحابه وازواجه ما انشق طرف في برجه اما بعد فاني قد بحمد الله
في علم الوعظ بمجده واصلحه واثرت ان اسعى في هذا الكتاب من ملحه
والله الموفق لكل عمل الاصلحه وقد قسمته خمسة ابواب

في ذكر

الباب الاول

في علوم القرآن وبيانه

الباب الثاني

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها

الباب الثالث

في علوم الحديث

الباب الرابع

في عيون التواريخ

الباب الخامس

في ذكر المواعظ

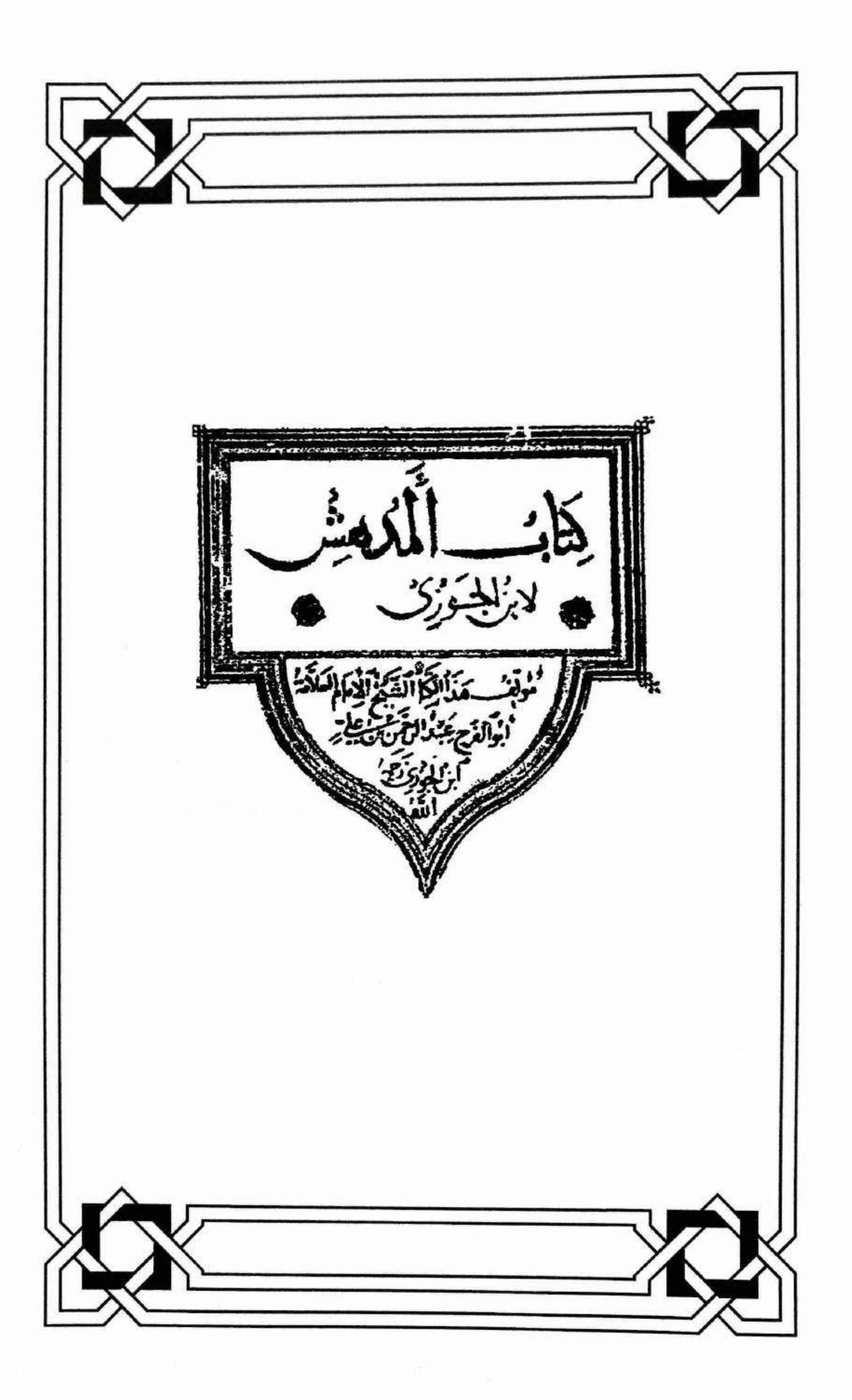
وهذا الباب ينقسم قسمين قسم فيه ذكر القصص وقسم فيه المواعظ مطلقا والله
الموفق

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

٤٢٧

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحين الفراغ من نسخه في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبع مايه غفر الله لمن به ولقاريه ولجميع المسلمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وحسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)


كتاب المدهش
لابن الجوزي
مؤلف هذا الكتاب الشيخ الإمام العلامة
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي رحمه
الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[ربي يسِّر يا كريم][١]

قال شيخ الأمة، وعلمُ الأئمة، ناصرُ السنة، [نجمُ الإسلام][٢]، جمال الدين زينُ الأنام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن حمادي ابن الجوزي، رحمه الله تعالى:

الحمدُ للهِ الذي لا منتهى لعطاياه ومِنَحِه، حمداً يقوم بالواجب من شكره ومدحه، وصلى الله على أشرف نبي وأنصحِه، وعلى أصحابه وعلى آله وأزواجِه ما استنَّ[٣] طِرْفٌ[٤] في مَرَحِه[٥].

أما بعدُ: فإني قمتُ بحمدِ الله في عِلْمِ الوعظ بأصحِّه وأملحِه، وآثرت أن أنتقي في هذا الكتاب من مُلحه[٦]، والله الموفق في كلِّ عمل لأصلحه، وقد قسمته خمسةَ أبواب:

- **الباب الأول: في ذكر علوم القرآن العزيز وبيانه[٧].**
- **الباب الثاني: في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها.**

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) زيادة من (ب).
(٣) **استن**: جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة.
(٤) **طرف**: بكسر الطاء وسكون الراء: الفرس الكريم الأبوين.
(٥) **مرح**: كفرح: النشاط.
(٦) **مُلحه**: جمع ملحة كسبحة: الأحاديث الحسنة.
(٧) زيادة من (أ).

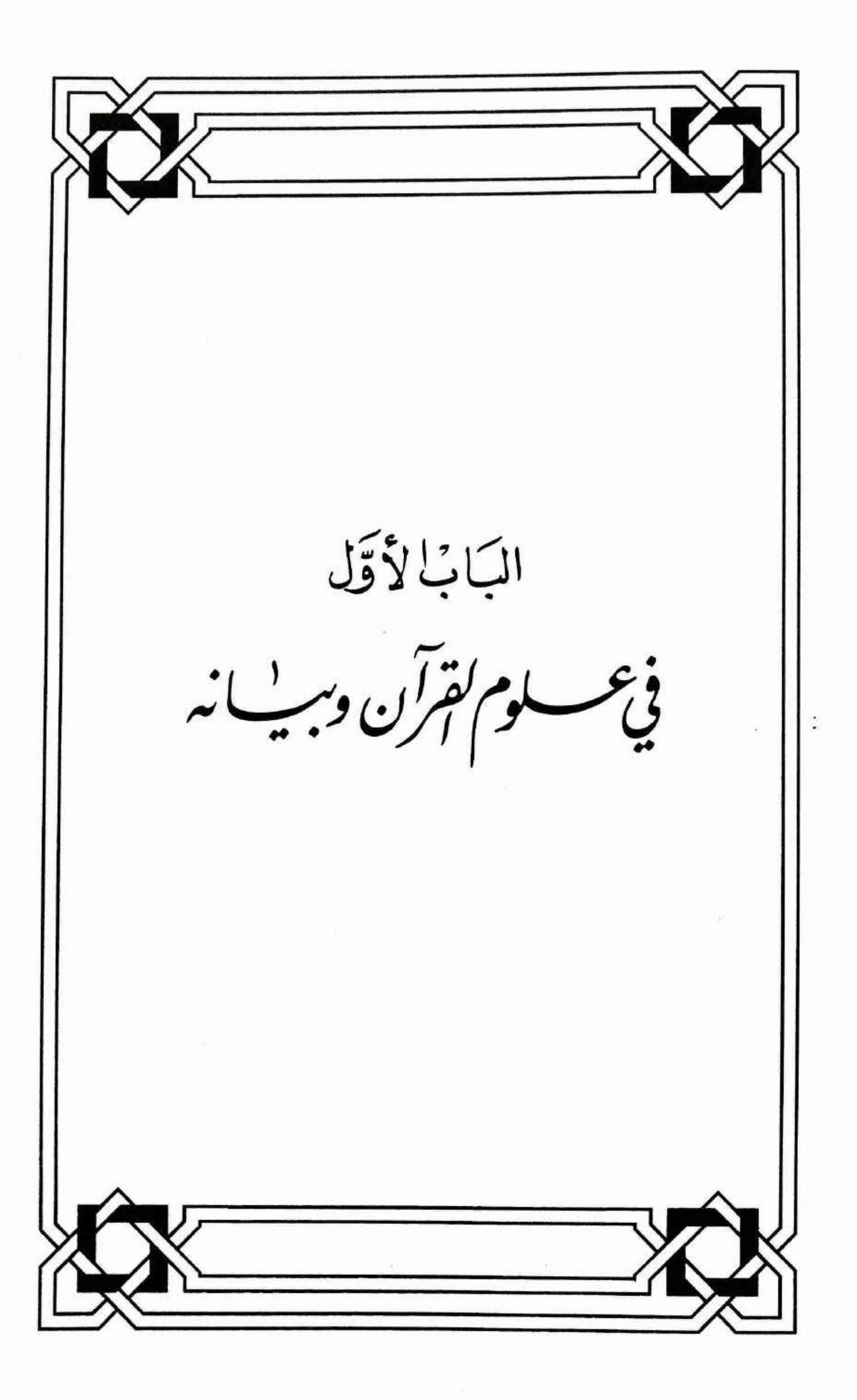
- **الباب الثالث : في علوم الحديث .**
- **الباب الرابع : في عيون التواريخ .**
- **الباب الخامس : في ذكر المواعظ . وهذا الباب ينقسم قسمين :**

ـ قسمٌ فيه ذكر القصص .

ـ وقسمٌ فيه المواعظ مطلقاً .

والله الموفق .

* * *



الباب الأوّل

في علوم القرآن وبيانه

فصل

في ذكر أقسام الخطاب في القرآن

● الخطاب في القرآن على خمسةَ عشر وجهاً:

١ ـ خطاب عام: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

٢ ـ وخطاب خاص: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦].

٣ ـ وخطاب الجنس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١].

٤ ـ وخطاب النوع: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦، ٣١].

٥ ـ وخطاب العين: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [طه: ١١٧].

٦ ـ وخطاب المدح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤].

٧ ـ وخطاب الذم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التحريم: ٧].

٨ ـ وخطاب الكرامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

٩ ـ وخطاب الإهانة: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤].

١٠ ـ وخطاب التودد: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

١١ ـ وخطاب الجمع بلفظ الواحد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ﴾ [الانفطار: ٦].

١٢ ـ وخطاب الواحد بلفظ الجمع: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦].

١٣ ـ وخطاب الواحد بلفظ الاثنين: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [سورة ق: ٢٤].

١٤ ـ وخطاب الاثنين بلفظ الواحد: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

١٥ ـ وخطاب العين والمراد به الغير: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤].

١٦ ـ وخطاب التلون[١] ؛ وهو ثلاثة أوجه :

الأول : أن يخاطِبَ ثم يخبرَ :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس : ٢٢] .

﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ [الروم : ٣٩] .

﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ ﴾ [الحجرات : ٧] .

والثاني : أن يخبرَ ثم يخاطب :

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴾ [الإنسان] .

والثالث : أن يخاطب عيناً ثم يصرف الخطاب إلى الغير :

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الفتح] .
وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، فإنهما قرأا بالياء[٢] .

* * *

---

(١) **خطاب التلون : الالتفات ، وهو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس . (انظر : التعريفات ، للجرجاني ، ص٩١) .**

(٢) **لعله على غير قراءة ابن كثير ، فإن قراءة (لتؤمنوا) فيها خطاب إليهم بعد مخاطبة النبي ﷺ ، بخلاف قراءة (ليؤمنوا) فإنها إخبار بالغيبة بعد الخطاب .**

فصل
في ذكر أمثال القرآن

● **في القرآن اثنان وأربعون مثلاً[1]:**

١ ـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] .

٢ ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] .

٣ ـ ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦] .

٤ ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٧١] .

٥ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

٦ ـ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

٧ ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] .

٨ ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] .

٩ ـ ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

١٠ ـ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

١١ ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١١٧] .

١٢ ـ ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١] .

١٣ ـ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] .

١٤ ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٤] .

---

(١) من الكتب الجامعة في هذا الموضوع: (الدر واللآل في بدائع الأمثال) لمحمد علي الأنسي، فقد جمع فيه أمثال القرآن والسُّنَّة والكتب السماوية.

١٥ ـ ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ [هود: ٢٤] .

١٦ ـ ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الرعد: ١٤] .

١٧ ـ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] .

١٨ ـ ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥] .

١٩ ـ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

٢٠ ـ ﴿ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم: ٢٤] .

٢١ ـ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] .

٢٢ ـ ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥] .

٢٣ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [النحل: ٧٦] .

٢٤ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل: ١١٢] .

٢٥ ـ ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] .

٢٦ ـ ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥] .

٢٧ ـ ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ٣١] .

٢٨ ـ ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الحج: ٧٣] .

٢٩ ـ ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النور: ٣٥] .

٣٠ ـ ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩] .

٣١ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

٣٢ ـ ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] .

٣٣ ـ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [يس: ٧٨] .

٣٤ ـ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ [الزمر: ٢٩] .

٣٥ ـ ﴿ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد: ٢٠] .

٣٦ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [محمد: ١٥] .

٣٧ ـ ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

٣٨ ـ ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الحشر: ١٥] .

٣٩ ـ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٦] .

٤٠ ـ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ [الجمعة: ٥] .

٤١ ـ ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [التحريم: ١٠] .

٤٢ ـ ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [التحريم: ١١] .

● **وكم من كلمة تدور على الألسن مثلاً ، جاء القرآن بأخصر(١) منها وأحسن ، فمن ذلك:**

١ ـ **قولهم** : «القتل أنفى للقتل» مذكور في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

٢ ـ **وقولهم** : «ليس المُخْبِرُ كالمعاين» مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

٣ ـ **وقولهم** : «ما تزرع تحصُد» مذكور في قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

٤ ـ **وقولهم** : «للحيطان آذان» مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] . وقوله : ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] .

٥ ـ **وقولهم** : «الحمية رأس الدواء» مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

٦ ـ **وقولهم** : «احذر شرَّ مَنْ أحسنتَ إليه» مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤] .

---

(١) (ب) بألخص.

٧ ـ **وقولهم**: «من جهل شيئاً عاداه» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

٨ ـ **وقولهم**: «خير الأمور أوسطها» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

٩ ـ **وقولهم**: «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه» مذكور في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

١٠ ـ **وقولهم**: «لمّا أنضجَ رمّد»(١) مذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤].

١١ ـ **وقولهم**: «لا تلد الحية إلا حيّة» مذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

* * *

---

(١) ذكر ابن الأثير في النهاية: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمّد، مثلٌ يضرَبُ لمن يصنع المعروف، ثم يفسده بالمنّة أو يقطعه، ومعنى رمّد الشواء: ملّهُ في الجمر.

فصول
في عيون المتشابه

● فصل في الحروف المبدلات:

- في [البقرة: ٢٩] ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾، وفي [حم السجدة: ١٢] ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾.

- في [البقرة: ٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، وفي [الأعراف: ١٩] ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ﴾.

- في [البقرة: ٥٧] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦٠] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ ﴾.

- في [البقرة: ٦٠] ﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦٠] ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾

- في [البقرة: ١٢٠] ﴿ بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾، وفي [الرعد: ٣٧] ﴿ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾.

- في [البقرة: ١٢٥] ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ ﴾، وفي [الحج: ٢٦] ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ ﴾.

- في [البقرة: ١٣٦] ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾، وفي [آل عمران: ٨٤] ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾.

- في [البقرة: ١٧٠] ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾، وفي [المائدة: ١٠٤] ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾.

- في [آل عمران: ١٥٣] ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾، وفي [الحديد: ٢٣] ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ ﴾.

- في [النساء: ١] ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، وفي [الأعراف: ١٨٩] ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

- في [النساء: ١٤٩] ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾، وفي [الأحزاب: ٥٤] ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا﴾.

- في [الأنعام: ١٥١] ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣١] ﴿خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ﴾.

- في [الأعراف: ١٠٥] ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وفي [طه: ٤٧] ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

- في [الأعراف: ١١١] ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾، وفي [الشعراء: ٣٦] ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

- في [الأعراف: ١٢٤] ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾، وفي [طه: ٧١] ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾.

- في [التوبة: ٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ﴾، وفي [الصف: ٨] ﴿لِيُطۡفِـُٔواْ﴾.

- في [يونس: ٩٠] ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، وفي [طه: ٧٨] ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾.

- في [هود: ٨٢] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ﴾، وفي [الحجر: ٧٤] ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾.

- في [الحجر: ١١] ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾، وفي [الزخرف: ٧] ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

- في [الحجر: ١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ﴾، وفي [الشعراء: ٢٠٠] ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾.

- في [الكهف: ٣٦] ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾، وفي [حمٓ السجدة: ٥٠] ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾.

- في [الكهف: ٥٧] ﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾، وفي [السجدة: ٢٢] ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ﴾.

- في [طه: ٥٣] ﴿وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾، وفي [الزخرف: ١٠] ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾.

- في [الأنبياء: ٧٠] ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾، وفي [الصافات: ٩٨] ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

- في [الأنبياء: ٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾، وفي [المؤمنون: ٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾.

- في [النمل: ٨٧] ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وفي [الزمر: ٦٨] ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

- في [القصص: ٦٠] ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾، وفي [حمٓ عٓسٓقٓ (الشورى): ٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾.

- في [العنكبوت: ٣٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً﴾، وفي [القمر: ١٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾.

- في [حمٓ السجدة: ٥٢] ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾، وفي [الأحقاف: ١٠] ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

- في [المدثر: ٥٤] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾، وفي [عبس: ١١] ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

● فصل في الحروف الزوائد[(١)] والنواقص:

- في [البقرة: ٢٣] ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وفي [يونس: ٣٨] ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.

- في [البقرة: ٣٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾، وفي [سورة صٓ: ٧٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾.

- في [البقرة: ٣٨] ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، وفي [طه: ١٢٣] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾.

---

(١) ليس في القرآن حرف زائد دون معنى، إنما أراد ابن الجوزي رحمه الله المقارنة بين بعض المواضع في الآيات.

- في [البقرة: ٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾، وفي [الأعراف: ١٤١] ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾.

- في [البقرة: ٤٩] ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، وفي [إبراهيم: ٦] ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

- في [البقرة: ٥٨] ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾.

- في [البقرة: ٥٨] ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

- في [البقرة: ٥٩] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا﴾، وفي [الأعراف: ١٦٢] ﴿مِنْهُمْ قَوْلًا﴾.

- في [البقرة: ٨٣] ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وفي [النساء: ٣٦] ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

- في [البقرة: ١٣٦] ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وفي [آل عمران: ٨٤] ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾.

- في [البقرة: ١٩٣] ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وفي [الأنفال: ٣٩] ﴿كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

- في [آل عمران: ٩٩] ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، وفي [الأعراف: ٨٦] ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا﴾.

- في [آل عمران: ١٢٦] ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ﴾، وفي [الأنفال: ١٠] ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ﴾.

- في [النساء: ٢٢] ﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣٢] ﴿فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

- في [الأنعام: ٨١] ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾، وفي [آل عمران: ١٥١، الأعراف: ٣٣، الحج: ٧١] ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

ـ في [الأنعام: ٥٠] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾، وفي [هود: ٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾.

ـ في [الأعراف: ١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾، وفي [الشعراء: ٣٥] ﴿ بِسِحْرِهِۦ ﴾.

ـ في [الأعراف: ١١٤] ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾، وفي [الشعراء: ٤٢] ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾.

ـ في [الأعراف: ١١٦] ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾، وفي [طه: ٦٦] ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾.

ـ في [الأعراف: ١٥٠] ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ ﴾، وفي [طه: ٩٤] ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾.

ـ في [التوبة: ٣٩] ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ ﴾، وفي [هود: ٥٧] ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ ﴾.

ـ في [هود: ٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا ﴾، وفي [العنكبوت: ٣٣] ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ ﴾.

ـ في [يوسف: ٢٢] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾، وفي [القصص: ١٤] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾.

ـ في [النحل: ٧٠] ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾، وفي [الحج: ٥] ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ ﴾.

ـ في [النحل: ٧٢] ﴿ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾، وفي [العنكبوت: ٦٧] ﴿ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾.

ـ في [النحل: ١٢٧] ﴿ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾، وفي [النمل: ٧٠] ﴿ وَلَا تَكُن ﴾.

ـ في [الحج: ٢٢] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾، وفي [الٓمٓ السجدة: ٢٠] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾.

ـ في [الحج: ٦٢] ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾، وفي [لقمان: ٣٠] ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾.

ـ في [الشعراء: ٧٠] ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾، وفي [الصافات: ٨٥] ﴿ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾.

ـ في [النمل: ٤٠] ﴿ وَمَن شَكَرَ ﴾، وفي [لقمان: ١٢] ﴿ وَمَن يَشۡكُرۡ ﴾.

ـ في [القصص: ٨٢] ﴿ وَيَقۡدِرُۖ ﴾، وفي [العنكبوت: ٦٢] ﴿ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ ﴾.

ـ في [النازعات: ٣٥] ﴿ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾، وفي [الفجر: ٢٣] ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ﴾.

● فصل في المقدَّم والمؤخَّر:

ـ في [البقرة: ٥٨] ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾، وفي [الأعراف: ١٦١] ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾.

ـ في [البقرة: ٦٢] ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾، وفي [الحج: ١٧] ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾.

ـ في [البقرة: ١٢٠، والأنعام: ٧١] ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ ﴾، وفي [آل عمران: ٧٣] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾.

ـ في [البقرة: ١٤٣] ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾، وفي [الحج: ٧٨] ﴿ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾.

ـ في [البقرة: ١٧٣] ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾، وفي [المائدة: ٣، الأنعام: ١٤٥، النحل: ١١٥] ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ ﴾.

ـ في [البقرة: ٢٦٤] ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ ﴾، وفي [إبراهيم: ١٨] ﴿ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ﴾.

ـ في [آل عمران: ١٢٦] ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ ﴾، وفي [الأنفال: ١٠] ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ ﴾.

ـ في [النساء: ١٣٥] ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾، وفي [المائدة: ٨] ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾.

ـ في [الأنعام: ١٠٢] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾، وفي [حمٓ المؤمن: ٦٢] ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾.

- في [الأنعام: ١٥١] ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾، وفي [بني إسرائيل: ٣١] ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾.

- في [النحل: ١٤] ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾، وفي [فاطر: ١٢] ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾.

- في [بني إسرائيل: ٤١] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾، وفي [الكهف: ٥٤] ﴿ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ ﴾.

- في [بني إسرائيل: ٩٦] ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾، وفي [العنكبوت: ٥٢] ﴿ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾.

- في [المؤمنون: ٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾، وفي [النمل: ٦٨] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾.

- في [القصص: ٢٠] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾، وفي [يس: ٢٠] ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾.

* * *

أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر

● باب (أو):

- **تكون بمعنى التخيير:** ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

- **وتكون بمعنى الواو:** ﴿أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

- **وتكون بمعنى بل:** ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

- **وتكون بمعنى الإبهام:** ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

● باب (أدنى):

- **تكون بمعنى أجدر:** ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ﴾ [المائدة: ١٠٨].

- **وتكون بمعنى أقرب:** ﴿مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ [السجدة: ٢١]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

- **وتكون بمعنى أقل:** ﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ﴾ [المجادلة: ٧].

- **وتكون بمعنى أدون:** ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

● باب (الإنزال):

- **تكون بمعنى الحط من علو:** ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الشورى: ٢٨].

- وبمعنى **الخلق** : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ [يونس : ٥٩] ، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر : ٦] ، ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

- وتكون بمعنى **القول** : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

- وبمعنى **البسط** : ﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى : ٢٧] .

● باب (الأرض):

- **الأرض** : تذكر ويراد بها **أرض الأردن** : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : ٦٠] .

- ويراد بها **القبر** : ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء : ٤٢] .

- ويراد بها أرض **مكة** : ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النساء : ٩٧] .

- ويراد بها **أرض المدينة** : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً ﴾ [النساء : ٩٧] .

- ويراد بها **أرض الإسلام** : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ [المائدة : ٦٤] .

- ويراد بها **أرض التيه** : ﴿ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة : ٢٦] .

- ويراد بها **أرض الشام** : ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

- ويراد بها **الأرضون السبع** : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

- ويراد بها **أرض مصر** : ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ﴾ [يوسف : ٥٥] .

- ويراد بها **أرض الحِجْر** : ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

- ويراد بها **القلب** : ﴿ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

- ويراد بها **أرض العرب** : ﴿ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف : ٩٤] .

- ويراد بها **الجنة** : ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

- ويراد بها **أرض الروم** : ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم : ٣] .

- ويراد بها **أرض بني قريظة**: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

- ويراد بها **أرض فارس**: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

- ويراد بها **أرض القيامة**: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

● باب (الأمر):

- **الأمر**: يُذكر، ويراد به **قتل بني قريظة وجلاء النضير**: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩].

- ويراد به **النصر**: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- ويراد به **استدعاء الفعل**: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

- ويراد به **الخصب**: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢].

- ويراد به **الذنب**: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [المائدة: ٩٥].

- ويراد به **المشورة**: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠].

- ويراد به **قتل كفار مكة**: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

- ويراد به **فتح مكة**: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

- ويراد به **الحذر**: ﴿قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٥٠].

- ويراد به **القضاء**: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

- ويراد به **القول**: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٤٠].

- ويراد به **الغرق**: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣].

- ويراد به **العذاب**: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤].

- ويراد به **الشأن**: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧].

- ويراد به **القيامة**: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

● **باب (الإنسان)**[1]:

- **الإنسان**: يذكر ويراد به **أبو حُذيفة بن عبد الله**: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢].

- ويراد به **عُتبة بن ربيعة**: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: ٩].

- ويراد به **النَّضر بن الحارث**: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١].

- ويراد به **أُبيّ بن خلف** ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريم: ٦٧].

- ويراد به **آدم**: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

- ويراد به **بديل بن ورقاء**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الزخرف: ١٥].

- ويراد به **سعد بن أبي وقاص**: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا﴾ [لقمان: ١٤].

- ويراد به **عيّاش بن أبي ربيعة**: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ﴾ [العنكبوت: ٨].

- ويراد به **أبو بكر الصديق رضي الله عنه**: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

- ويراد به **عُقبة بن أبي معيط**: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٩].

- ويراد به **بنو آدم**: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾ [سورة ق: ١٦].

- ويراد به **بَرْصيصا**[2]: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦].

---

(١) من المستقر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإسقاط النصّ على شخص معين لا يعني أنه لا يشمل غيره، بل يعم سائر أفراد الجنس، وما ذكره الشيخ إنّما ذكر أسباب نزول هذه النصوص.

(٢) **برصيصا**: عابدٌ كان من بني إسرائيل، ثم وسوس. ذكره الزبيدي في (تاج العروس). وقال القرطبي (١٨/ ٣٧) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ =

- ويراد به **الأخنس بن شُريق** : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج : ١٩] .

- ويراد به **عديّ بن أبي ربيعة** : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾[القيامة : ٣] .

- ويراد به **أُمية بن خلف** : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ [الفجر : ١٥] .

- ويراد به **الحارث بن عمرو** : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤] .

- ويراد به **الأسود بن عبد الأسد**(١) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [الانشقاق : ٦]

- ويراد به **كلدة بن أسيد** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] .

- ويراد به **الوليد بن المغيرة** : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] .

- ويراد به **أبو طالب بن عبد المطلب** : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق : ٥] .

- ويراد به **عتبة بن أبي لهب** : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس : ٢٤] .

- ويراد به **قرط بن عبد الله** : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات : ٦] .

- ويراد به **أبو جهل** : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦] .

- ويراد به **أبو لهب** : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر : ٢] .

- ويراد به **الكافر** : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٣] .

● باب (الباء):

- **الباء** : تذكر بمعنى **اللام** : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [البقرة : ٥٠] .

- وبمعنى **عند** : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] .

= [الحشر : ١٦] : وقال ابن عباس : كان راهبٌ في الفترة يقال له : برصيصا ، قد تعبّدَ في صومعته سبعين سنة ، لم يعصِ الله فيها طرفةَ عين ، حتى أعيا إبليس ، فجمع إبليسُ مردةَ الشياطين ، فقال : ألا أجدُ منكم من يكفيني أمر برصيصا؟ فقال واحد منهم : أنا أكفيكه ، فانطلق ، ولم يزل ببرصيصا حتى أغواه عبر جارية من بنات الملك ، فزنى بها ، ثم قتلها ، ثم أومأ للشيطان ساجداً لينقذه ، ثم تبرأ منه بعدما كفر . انظر قصته كاملة في تفسير القرطبي .

(١) الذي ذكره المفسرون أنه أبو الأشد بن كلدة الجُمحي ، وسماه أبو حيان أسيد ، فلعلّ الصحيح الأسود أبو الأشد .

- وبمعنى في : ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

- وبمعنى بعد : ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] .

- وبمعنى على : ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [النساء: ٤٢] .

- وتكون صلة : ﴿ فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ ﴾ [النساء: ٤٣] .

- وبمعنى للمصاحبة : ﴿ وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٦١] .

- وبمعنى إلى : ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا ﴾ [الأعراف: ٨٠] .

- وبمعنى السبب : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠] أي من أجله .

- وبمعنى عن : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] .

- وبمعنى مع : ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾ [الذاريات: ٣٩] أي مع جنده .

- وبمعنى من : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٦] .

● **باب (الحق):**

- **الحق** : يأتي بمعنى **الجرم** : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٦١] .

- وبمعنى **البيان** : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [البقرة: ٧١] .

- وبمعنى **المال** : ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .

- وبمعنى **القرآن** : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة ق: ٥] .

- وبمعنى **الصدق** : ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣] .

- وبمعنى **العدل** : ﴿ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٨٩] .

- وبمعنى **الإسلام** : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنفال: ٨] .

- وبمعنى **المنجز** : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [التوبة: ١١١] .

- وبمعنى **الحاجة** : ﴿ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ [هود: ٧٩] .

- وبمعنى **لا إلـه إلا الله** : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الرعد: ١٤] .

- ويراد به الله عزَّ وجلّ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

- وبمعنى التوحيد: ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

- وبمعنى الحظ: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [المعارج: ٢٤].

● باب (الخير):

- الخير: يذكر ويراد به القرآن: ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

- ويراد به الأنفع: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

- ويراد بها المال: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ [البقرة: ١٨٠].

- ويراد بها ضد الشر: ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

- ويراد بها الإصلاح: ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

- ويراد بها الولد الصالح: ﴿ وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

- ويراد به العافية: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ [الأنعام: ١٧].

- ويكون بمعنى المنافع: ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

- وبمعنى الإيمان: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال: ٢٣].

- وبمعنى رخص الأسعار: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ [هود: ٨٤].

- وبمعنى النوافل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

- وبمعنى الأجر: ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج: ٣٦].

- وبمعنى الأفضل: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

- وبمعنى العفة: ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢].

- وبمعنى الصلاح: ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣].

- وبمعنى الطعام: ﴿ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤].

- وبمعنى الظفر: ﴿ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

- وبمعنى **الخيل**: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة ص: ٣٢].

- وبمعنى **القوة**: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الدخان: ٣٧].

- وبمعنى **حسن الأدب**: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠].

- وبمعنى **حب الدنيا**: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

- **باب (الدِّيْن):**

- **الدين**: يذكر ويراد به **الجزاء**: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

- ويراد به **الإسلام**: ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

- ويراد به **العدد**: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

- ويراد به **الطاعة**: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩].

- ويراد به **التوحيد**: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

- ويراد به **الحكم**: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦].

- ويراد به **الحد**: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

- ويراد به **الحساب**: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

- ويراد به **العبادة**: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦].

- ويراد به **الملة**: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

- **باب (الذِّكر):**

- **الذكر**: يذكر ويراد به **ذكر اللسان**: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

- ويراد به **الحفظ**: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣].

- ويراد به **الطاعة**: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- ويراد به **الصلوات الخمس**: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

ـ ويراد به ذكر القلب : ﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

ـ ويراد به البيان : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٣] .

ـ ويراد به الخير : ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] .

ـ ويراد به التوحيد : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ [طه : ١٢٤] .

ـ ويراد به القرآن : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] .

ـ ويراد به الشرف : ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

ـ ويراد به العيب : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

ـ ويراد به صلاة العصر : ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّى ﴾ [سورة صٓ : ٣٢] .

ـ ويراد به صلاة الجمعة : ﴿ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : ٩] .

● باب (الروح):

ـ **الروح** : يذكر ويراد به **الأمر** : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .

ـ ويراد به **جبريل** : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم : ١٧] .

ـ ويراد به **الريح**(١) : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

ـ ويراد به **روح الحيوان** : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

ـ ويراد به **الحياة** : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ [الواقعة : ٨٩] ، على قراءة من ضَمَّ الراء في (رُوح) .

● باب (الصلاة):

ـ **الصلاة** : تذكر ويراد بها **الصلوات الخمس** : ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [المائدة : ٥٥] .

---

(١) تأتي الروح في اللغة بمعنى الريح كما ذكره أبو البقاء الكفويّ في (الكليات) ، ولكن يستبعد إرادة هذا المعنى في هذه الآية .

- ويراد بها صلاة العصر: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

- ويراد بها صلاة الجنازة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

- ويراد بها الدعاء: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ [التوبة: ١٠٣].

- ويراد بها الدين: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ [هود: ٨٧].

- ويراد بها القراءة: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

- ويراد بها موضع الصلاة: ﴿ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ [الحج: ٤٠].

- ويراد به المغفرة والاستغفار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فصلاة الله تعالى المغفرة[١]، وصلاة الملائكة الاستغفار.

- ويراد بها الجمعة: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ ﴾ [الجمعة: ٩].

● **باب (عن):**

- ترد صلة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ ﴾ [الأنفال: ١].

- وتكون بمعنى الباء: ﴿ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ [هود: ٥٣].

- وبمعنى من: ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

- وبمعنى على: ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾ [محمد: ٣٨].

- وبمعنى بعد: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩].

● **باب (الفتنة):**

- تذكر ويراد بها الشرك: ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

- ويراد بها القتل: ﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ ﴾ [النساء: ١٠١].

- ويراد بها المعذرة: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [الأنعام: ٢٣].

---

(١) الصلاة من الله سبحانه وتعالى الرحمة، ومنه على نبيه ﷺ زيادة رحمة، أو الرحمة المقرونة بالتعظيم، أو الرحمة والمغفرة، أو التمجيد والثناء.

ـ ويراد بها **الضلال**: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٤١].

ـ ويراد بها **القضاء**: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ـ ويراد بها **الإثم**: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩].

ـ ويراد بها **المرض**: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦].

ـ ويراد بها **العبرة**: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [يونس: ٨٥].

ـ ويراد بها **العقوبة**: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

ـ ويراد بها **الاختبار**: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣].

ـ ويراد بها **العذاب**: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

ـ ويراد بها **الإحراق**: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

ـ ويراد بها **الجنون**: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦].

● **باب (في):**

ـ تكون بمعنى **الظرف**: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

ـ وبمعنى **نحو**: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ـ وبمعنى **الباء**: ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ [البقرة: ٢١٠].

ـ وبمعنى **إلى**: ﴿فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

ـ وبمعنى **مع**: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨].

ـ وبمعنى **عند**: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: ٩١].

ـ وبمعنى **عن**: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ [الأعراف: ٧١].

ـ وبمعنى **على**: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

ـ وبمعنى **اللام**: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

ـ وبمعنى **من**: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النمل: ٢٥].

● **باب (القرية):**

- تذكر ويراد بها **أريحا**[1] : ﴿ ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [البقرة: ٥٨] .

- ويراد بها **دير هرقل**[2] : ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

- ويراد بها **أيلة**[3] : ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] .

- ويراد بها **مصر** : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] .

- ويراد بها **مكة** : ﴿ قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ ﴾ [النحل: ١١٢] .

- ويراد بها **مكة والطائف** : ﴿ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] .

- ويراد بها **جميع القرى** : ﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا ﴾[الإسراء: ٥٨] .

- ويراد بها **قرية لوط** : ﴿ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [الفرقان: ٤٠] .

- ويراد بها **أنطاكية** : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [يسٓ: ١٣] .

● **باب (كان):**

- ترد بمعنى **وجد** : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

- وبمعنى **الماضي** : ﴿ كَانَ حِلّٗا ﴾ [آل عمران: ٩٣] .

- وبمعنى **ينبغي** : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

- وبمعنى **صلة** : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٦] .

- وبمعنى **هو** : ﴿ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴾ [مريم: ٢٩] .

- وبمعنى **صار** : ﴿ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴾ [الواقعة: ٦] ، أي: منثوراً.

---

(١) **أريحا** : بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، ثم الحاء المهملة والألف الممدودة: بلدة بالشام.

(٢) في معجم البلدان: **(دير هرقل)** دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرّم.

(٣) **أيلة** : بالفتح؛ مدينة على خليج العقبة.

● **باب (كلا):**

هي في القرآن على وجهين:

ـ**أحدهما**: أن تكون بمعنى **لا**، ومنه:

في [مريم]: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّآ﴾، وفي [مريم]: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا﴾.

وفي [المؤمنون: ١٠٠]: ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ﴾.

وفي [الشعراء]: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا﴾، وفي [الشعراء]: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾.

وفي [سبأ: ٢٧]: ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا﴾.

وفي [المعارج]: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ﴾. وفي [المعارج]: ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ﴾.

وفي [المدثر]: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ﴾، وفي [المدثر]: ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢ كَلَّا﴾.

وفي [القيامة]: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا﴾، وفي [القيامة]: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا﴾.

وفي [المطففين]: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا﴾.

وفي [الفجر]: ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّا﴾.

وفي [الهمزة]: ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا﴾.

فهذه خمسة عشر موضعاً **يَحْسُنُ الوقوف عليها**.

ـ**والثاني**: بمعنى **حقاً**، ومنه:

في [المدثر: ٣٢]: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾، وفي [المدثر: ٥٤]: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾.

وفي [القيامة: ٢٠]: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾، وفي [القيامة: ٢٦]: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾.

وفي [النبأ]: ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴾ .

وفي [عبس: ١١]: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ ، وفي [عبس: ٢٣]: ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ .

وفي [الانفطار: ٩]: ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ .

وفي [المطففين: ٧]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ ﴾ ، وفي [المطففين: ١٥]: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ ، وفي [المطففين: ١٨]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ .

وفي [الفجر: ٢١]: ﴿ كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴾ .

وفي [العلق: ٦]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴾ ، وفي [العلق: ١٥]: ﴿ كَلَّاۖ لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ ﴾ ، وفي [العلق: ١٩]: ﴿ كَلَّاۖ لَا تُطِعۡهُ ﴾ .

وفي [التكاثر: ٣]: ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ، وفي [التكاثر: ٤]: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ، وفي [التكاثر: ٥]: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ .

فهذه تسعة عشر موضعاً يَحْسُن الوقف عليها .

وجملةُ ما في القرآن أربعة وثلاثون حرفاً هي هذه ، وليس في النصف الأول منها شيء .

وقال ثعلب : **لا يوقفُ على ﴿ كَلَّا ﴾ في جميع القرآن .**

● باب (اللام):

اللام في القرآن على ضربين **مفتوحة ومكسورة** :

ـ فالمفتوحة ترد بمعنى التوكيد : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ [هود: ٧٥] .

وبمعنى **القسم** : ﴿ لَيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۚ ﴾ [هود: ٨] .

وزائدة أي للتوكيد : ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل: ٧٢] .

ـ والمكسورة ترد بمعنى الملك : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

وبمعنى **أن** : ﴿ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

وبمعنى **إلى**: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وبمعنى **كي**: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [يونس: ٤].

وبمعنى **على**: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [يونس: ١٢].

وصلة: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

وبمعنى **عند**: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

وبمعنى **الأمر**: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ [النور: ٥٨].

وبمعنى **العاقبة**: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨].

وبمعنى **في**: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

وبمعنى **السبب والعلة**: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

● باب (لولا):

وهي في القرآن على وجهين:

ـ أحدهما: امتناع الشيء لوجود غيره، وهو ثلاثون موضعاً:

في [البقرة: ٦٤]: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾، **وفي** [البقرة: ٢٥١]: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾.

وفي [النساء: ٨٣]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، **وفي** [النساء: ١١٣]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾.

وفي [الأنفال: ٦٨]: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾.

وفي [يونس: ١٩]، و[هود: ١١٠]، و[طه: ١٢٩]، و[حمٓ السجدة: ٤٥]، و[عٓسٓقٓ: ١٤]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾.

وفي [يوسف: ٢٤]: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

وفي [بني إسرائيل: ٧٤]: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾.

وفي [الحج: ٤٠]: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾.

وفي [النور: ٢٠]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي [النور: ٢١]: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ﴾.

وفي [الفرقان: ٤٢]: ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، وفي [الفرقان: ٧٧]: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

وفي [القصص: ١٠]: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا﴾، و﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ [القصص: ٤٧]، و﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٢].

وفي [العنكبوت: ٥٣]: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

وفي [سبأ: ٣١]: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾.

وفي [الصافات: ٥٧]: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾، و﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

وفي [عسق: ٢١]: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾.

وفي [الزخرف: ٣٣]: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ﴾.

وفي [الفتح: ٢٥]: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾.

وفي [الحشر: ٣]: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾.

وفي [نٓ: ٤٩]: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾.

والوجه الثاني: لولا بمعنى هلاّ، وهو أربعون موضعاً:

في [البقرة: ١١٨]: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾.

وفي [النساء: ٧٧]: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ﴾.

وفي [المائدة: ٦٣]: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾.

وفي [الأنعام: ٨]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وفي [الأنعام: ٣٧]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾، وفي [الأنعام: ٤٣]: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾.

وفي [الأعراف: ٢٠٣]: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾.

وفي [يونس: ٢٠]: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وفي [يونس: ٩٨]: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾.

وفي [هود: ١٢]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾، وفي [هود: ١١٦]: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾.

وفي [الرعد: ٧]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾.

وفي [الكهف: ١٥]: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾، وفي [الكهف: ٣٩]: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

وفي [طه: ١٣٣]: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، وفي [طه: ١٣٤]: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾.

وفي [النور: ١٢]: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ﴾.

وفي [الفرقان: ٧]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وفي [الفرقان: ٢١]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وفي [الفرقان: ٣٢]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً﴾.

وفي [النمل: ٤٦]: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾.

وفي [القصص: ٤٧]: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾، وفي [القصص: ٤٨]: ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ﴾.

وفي [العنكبوت: ٥٠]: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وفي [سجدة المؤمن: ٤٤]: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾.

وفي [الزخرف: ٣١]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾، وفي [الزخرف: ٥٣] ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾.

وفي [الأحقاف: ٢٨]: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾.

وفي [سورة محمد: ٢٠]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾.

وفي [الواقعة: ٥٧] ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٦٢]: ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٧٠]: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، وفي [الواقعة: ٨٣]: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، وفي [الواقعة: ٨٦]: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ﴾.

وفي [المجادلة: ٨]: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾.

وفي [المنافقون: ١٠]: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾.

وفي [نٓ: ٢٨]: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

● **باب (من):**

- **تكون صلة**: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

- وبمعنى **التبعيض**: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

- وبمعنى **عن**: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٧].

- وبمعنى **الباء**: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

- **ولبيان الجنس**: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١].

- وبمعنى **على**: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

- وبمعنى **في**: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠].

● **باب (الواو):**

قال ابن فارس: لا تكون الواو زائدة **أولاً**[١]، وقد تزاد **ثانية**[٢]، نحو كوثر، **وثالثة**: نحو جدول، **ورابعة**: نحو قرنوة[٣]، وهو نبت يدبغ به الأديمُ، **وخامسة**: نحو قَمحدوة[٤].

- **والواو في القرآن، تكون بمعنى إذ**: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

---

(١) أي: في أول الكلمة.

(٢) أي: في الحرف الثاني من الكلمة.

(٣) **القرنوة**: بالقاف والراء المهملة والنون كتَرْقُوَة.

(٤) **القَمَحْدُوَة**: بفتح القاف، والميم المفتوحة، والحاء المهملة والساكنة، والدال المهملة المضمومة، والواو المفتوحة، والتاء، وهي عظمة بارزة في مؤخر الرأس فوق القفا، أعلى القذال خلف الأذنين.

ـ وبمعنى **الجمع** : ﴿ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ [النساء : ٤٣] .

ـ وبمعنى **القسم** : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام : ٢٣] .

ـ وتكون **مضمرة** : ﴿ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ ﴾ [التوبة : ٩٢] : المعنى أتوك وقلت .

ـ وصلة : ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر : ٤] .

ـ وبمعنى **العطف** : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات : ١٧] .

● **باب (الهدى):**

ـ يكون بمعنى **الإرشاد**[1] : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] .

ـ وبمعنى **البيان** : ﴿ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٥] .

ـ وبمعنى **الرسول** : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ [البقرة : ٣٨] .

ـ وبمعنى **السُّنَّة** : ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

ـ وبمعنى **الإصلاح** : ﴿ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٢] .

ـ وبمعنى **الدعاء**[2] : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] .

ـ وبمعنى **القرآن** : ﴿ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [الإسراء : ٩٤] .

ـ وبمعنى **الإيمان** : ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] .

ـ وبمعنى **الإلهام** : ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] .

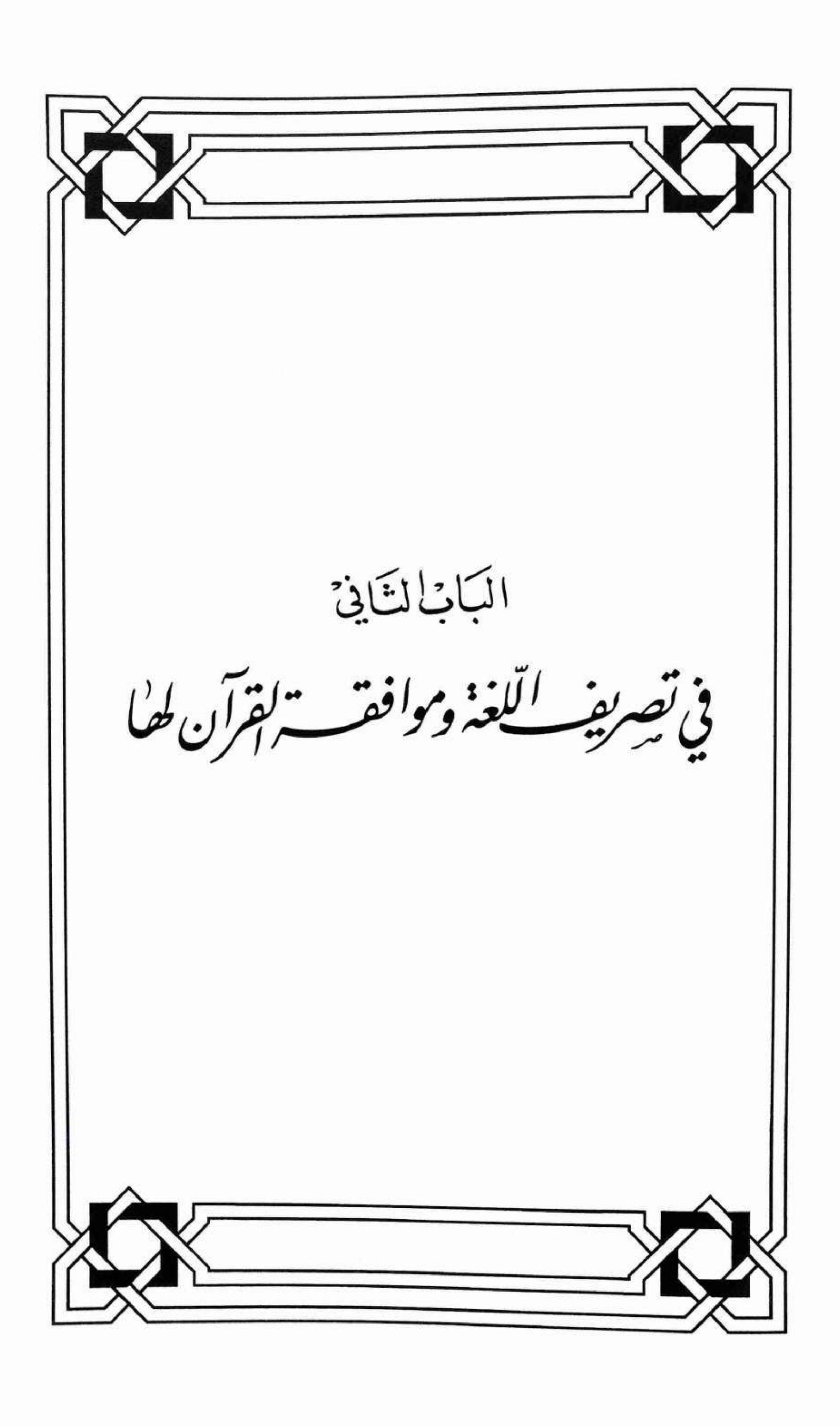
ـ وبمعنى **التوحيد** : ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [القصص : ٥٧] .

ـ وبمعنى **التوراة** : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [غافر : ٥٣] .

* * *

---

(١) في (ب) الثبات بدل الإرشاد، وتفسير الهداية ـ هنا ـ بالثبات أدق .
(٢) أي : داع يدعوهم إلى الله .



البَابُ الثَّانِي

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها

فصل

[في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما][1]

لما كانت اللغة تنقسم قسمين:

أحدهما: **الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه، ولا يحتمل غير ظاهره.**

والثاني: **المشتمل على الكنايات والإشارات والتجوزات، كان هذا القسم** هو المستحلى عند العرب.

وقد نزل القرآن بالقسمين، ليتحقق عجزُهم عن الإتيان بمثله، فكأنّه قال: عارِضوه بأي القسمين شئتم، ولو نزل كلُّه واضحاً لقالوا: هلاّ نزل بالقسم المستحلى عندنا، ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية أو استعارة أو تعريض أو تشبيه كان أحلى وأحسن.

قال امرؤ القيس:

وما ذرَفتْ عيناكِ إلاّ لِتَضرِبي بِسَهْمَيْكِ في أعْشارِ قلبٍ مُقتَّلِ[2]

فشبه النظرَ بالسهم، فحلا هذا عندَ السامع.

وقال أيضاً:

فقلتُ لَهُ لمّا تَمطَّى بِصُلْبِهِ وأرْدَفَ أعْجَازاً وناءَ بكَلْكَلِ

فجعل لليل صُلباً وصدراً على جهة التشبيه.

وقال الآخر:

---

(١) زيادة من المحققين.

(٢) **سهميك**: مثّل عينيها بسهمي الميسر: **المعلا**: وله سبعة أنصباء، **والرقيب**: وله ثلاثة أنصباء، فصار جميعُ أعشار قلبه للسهمين، ومثّل قلبه بأعشار الجزور.

مِنْ كُمَيْتٍ[1] أجادَها طابخاها   لَمْ تَمُتْ كلَّ موْتِها في القُدُوْرِ

أراد بالطابخين الليلَ والنهارَ.

فنزل القرآنُ على عادة العرب في كلامهم.

● فمن عادتهم **التجوّزُ**، وفي القرآن: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]. ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧].

● ومن عاداتهم **الكناية**: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥][2]، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣].

وقد يكنون عن شيء ولم يجرِ له ذكر: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقد يصلون الكناية بالشيء وهي لغيره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون].

● ومن عاداتهم **الاستعارة**: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

● ومن عاداتهم **الحذف**: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

● ومن عاداتهم **زيادة الكلمة**: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢].

ويزيدون الحرف: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

ويقدمون ويؤخرون: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف].

ويذكرون عامّاً ويريدون به الخاص: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، يريد نُعيم بن مسعود.

وخاصّاً ويريدون به العام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

---

(١) **كُميت**: بضم الكاف وفتح الميم وسكون الباء: الخمرة، لما فيها من سواد وحُمرة.

(٢) قوله: **سرّاً**: أي نكاحاً.

وواحداً ويريدون به الجمع : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي ﴾ [الحجر : ٦٨]، ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر : ٦٧] .

وجمعاً ويريدون به الواحد : ﴿ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ ﴾ [التوبة : ٦٦] .

وينسبون الفعل إلى اثنين، وهو لأحدهما : ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف : ٦١] ، ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

وينسبون الفعل إلى أحد اثنين، وهو لهما : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] ، ﴿ ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة : ١١] .

وينسبون الفعل إلى جماعة وهو لواحد : ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا ﴾ [البقرة : ٧٢] .

ويأتون بالفعل بلفظ الماضي وهو مستقبل : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١] .

ويأتون بلفظ المستقبل وهو ماض : ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩١] .

ويأتون بلفظ فاعل في معنى مفعول : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [هود : ٤٣] ، ﴿ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ [الطارق : ٦] ، ﴿ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [القارعة : ٧] .

ويأتون بلفظ مفعول بمعنى فاعل : ﴿ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [مريم : ٦١] ، ﴿ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، ﴿ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ [الإسراء : ١٠١] .

ويأتون بفعَّلت في التكثير : ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، **وفي التقليل :** ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

ويضمرون الأسماء : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الصافات : ١٦٤] ، **أي منزلة .**

ويضمرون الأفعال : ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ ﴾ [البقرة : ٧٣] **أي فضربوه .**

ويضمرون في الحرف : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [طه : ٢١] .

● ومن عاداتهم : **تكرير الكلام،** وفي القرآن : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] .

وقد يريدون **تكرير الكلمة**، ويكرهون إعادة اللفظ، فيغيرون بعض الحروف، وذلك يسمى **الإتباع**، فيقولون: (أسوان أتوان): أي حزين، وشيء (تافه نافه)، وإنه (لثقف لقف)، و(جايع نايع)، و(حِل وبلّ)، و(حيّاك الله وبيّاك)، و(حقير نقير)، و(عين حَدرة بَدرة): أي عظيمة، و(خضر نضر)، و(سمج لمج)، و(سيغ ليغ)، و(شَكِس لكس)، و(شيطان ليطان)، و(تفرقوا شذر مذر)، و(شغر بغر)، و(يوم علكّ لكّ) إذا كان يوماً حارّاً، و(عطشان نطشان) و(عفريت نفريت)، و(كثير بثير)، و(كَزّ لَزّ)، و(كن أن)، و(حار جار يار)، و(قبيح لقيح شقيح)، و(ثِقة تِقة نِقة)، وهو (أشق أمق جبقّ)، للطويل، و(حسن بسن قَسَنْ)، و(فعلت ذلك على رغمه ودغمه وشغمه)، و(مررت بهم أجمعين أكتعين أبصعين)[١].

* * *

(١) وقد أفرد العلماء هذا الباب بالتصنيف، من ذلك: (الإتباع) لأبي الطيب اللغوي، وقد نشره المجمع العلمي بدمشق، بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي؛ و(الإتباع والمزاوجة) لابن فارس، وقد نشرته وزارة الثقافة في سورية. (الناشر)

فصلٌ
ورودُ عبارتين متّصلتين لجهتين مختلفتين

وقد تأتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها، وهي غيرُ متصلة بها.

وفي القرآن: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٠] هذا قول الملأ. فقال فرعون: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠].

ومثله: ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [يوسف: ٥١]، فقال يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥٢].

ومثله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤] انتهى قول بلقيس، فقال عزَّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٤].

ومثله: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢]. انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢].

* * *

فصلٌ

رجوعُ كلٍّ من المجتمعين إلى ما يليقُ به

وقد تجمعُ العربُ شيئين في كلام واحد، فتَرُدُّ كلَّ واحدٍ منهما إلى ما يليق به.

وفي القرآن: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. والمعنى يقول المؤمنون: متى نصر الله، فيقول الرسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

ومثله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. فالسكون بالليل، وابتغاء الفضل بالنهار.

ومثله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩]. فالتعزير والتوقير للرسول ﷺ، والتسبيح لله عزَّ وجلّ.

* * *

فصلٌ

مجيءُ البيانِ متصلاً بالمبيّنِ ومنفصلاً عنه

وقد يحتاجُ بعضُ الكلام إلى بيانٍ، فيبيِّنُونَهُ متصلاً بالكلام تارةً، ومنفصلاً أخرى.

وجاء القرآن على ذلك:

- فمن **المتصل** بيانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤].

- وأما **المنفصل**: فتارة يكون في **السورة** كقوله في [براءة: ٩٤]: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ﴾، بيانه فيها عند قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [براءة: ٤٧].

وتارة يكون في غير السورة: كقوله في [البقرة: ٤٠]: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، بيانه في [المائدة: ١٢]: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

وفي سورة [النساء: ١٤٢]: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾، بيانه في [الحديد: ١٣]: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾.

وفي [الأعراف: ٣٧]: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾، بيانه في [تبارك: ٩]: ﴿قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

وفي [الأعراف: ٣٧]: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ﴾، بيان النصيب في [الزمر: ٦٠]: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ﴾.

وفي [الأعراف: ١٣٧]: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ۖ﴾، بيانها في [القصص: ٥]: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾.

وفي [براءة: ١١٤]: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾، بيانها في [مريم: ٤٧]: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾.

وفي [يونس: ٧١] ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، بيانها في [نوح: ١٥]: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾.

وفي [يونس: ٦٤]: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، بيانه في [حمٓ السجدة: ٣٠]: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾.

وفي [إبراهيم: ٤٤]: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾، بيانه في [النحل: ٣٨]: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ﴾.

وفي [إبراهيم: ٤٥]: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، بيانه في [العنكبوت: ٤٠]: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

وفي [النحل: ١١٨]: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾، بيانه في [الحجر: ٤٠]: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وفي [مريم: ٨٣]: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، بيانه في [بني إسرائيل: ٦٤]: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾.

وفي [طه: ٤٤]: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، بيانه في [النازعات: ١٨]: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾.

وفي [طه: ٩٤]: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾، بيانه في [الأعراف: ١٤٢]: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾.

وفي [النمل: ٤٥]: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾، بيان خصومتهم في [الأعراف: ٧٥]: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وفي [الأحزاب: ٢٢]: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، بيان الوعد في [آل عمران: ١٤٢]: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾.

وفي [الصافات: ٧٥]: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾، بيانه في [القمر: ١٠]: ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾.

وفي [الصافات: ٣١]: ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ﴾، بيانه في [سورة صٓ: ٨٥]: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾.

وفي [الصافات: ١٧١]: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾، بيانه في [المجادلة: ٢١]: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾.

وفي [المؤمن: ١١]: ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾، بيانه في [البقرة: ٢٨]: ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾.

وفي [المؤمن: ٣٢]: ﴿ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾، بيانه في [الأعراف: ٤٤]: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾، و[الأعراف: ٥٠]: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾.

وفي[المجادلة: ١٨]: ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾، بيانه في [الأنعام: ٢٣]: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾.

وفي [نٓ: ٤٨]: ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾، بيانه في [الأنبياء: ٨٧]: ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾.

* * *

فصلٌ

مجيءُ جوابِ الكلامِ مقارِناً له، أو بعيداً عنه

وقد تذكر العرب جوابَ الكلام مقارِناً له، وقد تذكره بعيداً عنه.

وعلى هذا ورد القرآن.

ـ فأما **المقارن** من الجواب؛ كقوله في [البقرة: ١٨٩]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾، و[البقرة: ٢١٩]: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

ـ وأما **البعيد** فتارة يكون في السورة، كقوله في [الفرقان: ٧]: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، جوابه فيها [الفرقان: ٢٠]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾

وتارة يكون في غيرالسورة؛ كقوله سبحانه وتعالى في [الأنفال: ٣١]: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾، جوابه في [بني إسرائيل: ٨٨]: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾.

في [الرعد: ٤٣]: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾، جوابه في [يس: ٣]: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

في [الحجر: ٦]: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، جوابه في [ن: ٢]: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

في [بني إسرائيل: ٩٢]: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾، جوابه في [سبأ: ٩]: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

في [الفرقان: ٦٠]: ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، جوابه في [الرحمن]: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

في [سورة ص:٦]: ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾، جوابه في [حمٓ السجدة: ٢٤]: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

في [المؤمن: ٢٩]: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، جوابه في [هود: ٩٧]: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

في [الزخرف: ٣١]: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، جوابه في [القصص: ٦٨]: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾.

في [الدخان: ١٢]: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾، جوابه في [المؤمنون: ٧٥]: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

في [القمر: ٤٤]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾، جوابه في [الصافات: ٢٥]: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

في [الطور: ٣٣]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾، جوابه في [الحاقة: ٤٤]: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

* * *

فصلٌ

تصرُّفُ العرب في اللفظ بالحركات، والإعجامِ، والقلْبِ

واعلم أنَّ لغة العربِ واسعةٌ، ولهم التصرُّف الكثيرُ:

ـ فتراهم يتصرّفون في اللفظة الواحدة **بالحركات**، فيجعلون لكلِّ حركة معنى كالحِمْل والحَمل[1]، والرُّوح والرَّوْح[2].

ـ وتارة **بإعجام**: كالنضح والنضخ[3]، والقبضة والقبصة[4]، والمضمضة والمصمصة[5].

ـ **وتارة يقلبون حرفاً من كلمة ولا يتغير عندهم معناه**، كقولهم: صاعقة وصاقعة، وجَبَذ وجذب، وما أطيبه وأيطبه، وربض ورضب، وأنبَض في القوس وأنضب، ولعمري ورعملي، واضمحل وامضحل، وعميق ومعيق، وسبسب وبسبس، ولبكت الشيء وبلكته، وأسير مكلب ومكبل، وسحاب مكفهر ومكرهف، وناقة ضمرز وضرزم إذا كانت مسنة، وطريق طامس وطاسم، قفا الأثر وقاف الأثر، وقاع البعير الناقة وقعاها، وقوس عطل وعلط (لا وتر عليها)، وجارية قتين وقنيت (قليلة الدر)، وشرخ الشباب وشخره (أوله)، ولحم خنز وخزن، وعاث يعيث وعَثِي يَعْثى (إذا أفسد)، وتنح عن لقم الطريق ولمق الطريق،

---

(١) بكسر الحاء في الأول، وفتحها في الثاني.

(٢) بضم الراء في الأول، وفتحها في الثاني.

(٣) النضح بالحاء المهملة أقل من النضخ بالخاء المعجمة.

(٤) القبضة بالضاد المعجمة في الكف، وبالصاد المهملة في الأصابع.

(٥) المضمضة بالمعجمتين ملأ الفم، وبالمهملتين بطرف الشفاه.

وبطيخ وطبيخ، وماء سلسال ولسلاس، ومسلسل وملسلس (إذا كان صافياً)، ودقم فاه بالحجر ودمقه (إذا ضربه)، وفثأت القدر وثفأتها (إذا سكَّنْت غليانها)، وكبكبت الشيء وبكبكته (إذا طرحت بعضه على بعض).

* * *

فصلٌ

التصرفُ في إطلاقِ الأسماءِ ودقتها

ومن سَعةِ اللغة وحسنِ تصرُّفها، أنَّ العربَ تضعُ للشيءِ أسماءَ من غيرِ تغيُّرٍ يعتريه، **فيقولون**: السيف، والمهند، والصارم.

ويغيرون الاسم بتغير يعتريه **فيقولون** لمن ينزل في الركي[1] يملأ الدلو: مايح، وللمستقي من أعلاها: ماتح، فالتاءُ المعجمة من فوق لمن فوق، والياء المعجمة من تحت لمن تحت.

وتضع العرب للشيء الواحد أسماء تختلف باختلاف محالّه، **فيقولون** لمن انحسرَ الشَّعرُ عن جانبي جبهته: **أنزع**، فإذا زادَ قليلاً قالوا: **أجلح**، فإذا الانحسارُ نصَّفَ رأسه قالوا: **أجلى، وأجْلَهُ**، فإذا زاد قالوا: **أصلع**، فإذا ذهبَ الشعرُ كلُّه قالوا: **أحص، والصلع** عندهم: ذهاب الشعر، **والقرع**: ذهاب البشرة.

ويقولون: **شفةُ** الإنسان، ويسمّونها من ذوات الخف: **المشْفر**، ومن ذوات الظِّلف: **المِقَمَّة**، ومن ذوات الحافر: **الجَحْفَلَة**، ومن السباع: **الخَطْم**، ومن ذوات الجناحِ غير الصائد: **المنقار**، ومن الصائد: **المِنْسَر**، ومن الخنزير: **الفِنْطيسة**.

ويقولون: **صدر** الإنسان، ويسمونه من البعير: **الكركرة**، ومن الأسد: **الزَّور**، ومن الشاة: **القَصّ**، ومن الطائر: **الجُؤجؤ**، ومن الجرادة: **الجَوْشَن**.

والثدي للمرأة، وللرجل: **ثَنْدُوَة**، وهو من ذوات الخف: **الخَلْف**، ومن ذوات الظِّلف: **الضَّرْعُ**، ومن ذوات الحافر والسباع: **الطَّبي**.

---

(١) **الركي**: جنس للركية، وهي: البئر.

والظُّفر للإنسان، وهو من ذوات الخف: **المِنْسم**، ومن ذوات الظِّلف: **الظِّلف**، ومن ذوات الحافر: **الحافر**، ومن السباع والصائد من الطير: **المِخْلب**، ومن الطير غير الصائد والكلاب ونحوها: **البُرْثُن**، ويجوز البُرْثن في السباع كلها.

والمعدة للإنسان بمنزلة **الكَرِش** للأنعام، **والحَوْصلة** للطائر[1].

* * *

(١) انظر في هذا الفصل والذي بعده كتاب: (فقه اللغة سِرُّ العربية) لأبي منصور الثعالبي.

فصلٌ

اختلافُ الأسماءِ باختلاف أحوال المسمّى

وتُفَرِّقُ العربُ في الشهوات، **فيقولون**: **جائع في الخبز**، **قَرِم إلى اللحم**، **عطشان إلى الماء**، **عَيْمان إلى اللبن**، **قَرِد إلى التمر**، **جَعِم إلى الفاكهة**، **شبق إلى النكاح**.

ويقولون: **البيض** للطائر، **والمُكْنُ** للضِّباب، **والمازن** للنمل، **والسَّرو** للجراد، **والصؤاب** للقمل.

ويفرقون في المنازل، فإن كان من مَدَر، قالوا: **بيت**، وإن كان من وبر، قالوا: **بجاد**، وإن كان من صوف، قالوا: **خِباء**، وإن كان من الشعر، قالوا: **فُسْطاط**، وإن كان من غَزْل، قالوا: **خَيْمة**، وإن كان من أدَم، قالوا: **قِشَع**. مفرده قَشع[1].

ويفرقون في الأوطان، **فيقولون**: **وطنُ** الإنسانِ، **وعَطَنُ** البعيرِ، **وعرينُ** الأسدِ، **ووِجَارُ** الذئب والضَّبُع، **وكِنَاس** الظبي، **وعُشُّ** الطائر، **وقرية** النمل، **وكُوَّر** الزنابير، **ونافقّاء** اليُرْبوع.

ويقولون لما يضعه الطائر على الشجر: **وَكْر**، فإن كان على جبلٍ أو جدارٍ فهو: **وَكْن**، وإذا كان في كِن فهو: **عش**، وإذا كان على وجه الأرض فهو: **أُفْحوصٌ**، والأُدْحيُّ للنعام خاصة.

ويقولون: **عَدا** الإنسانُ، **وأحضرَ** الفرس، **وأرْقلَ** البعير، **وعسَّلَ** الذئب، **ومَزَع** الظَّبْيُ، **وزَفَّ** النعام.

---

(١) **قشْع**: على وزن فَلْس.

ويقولون: **طَفَر** الإنسان، **وضَبَر** الفرس، **ووَثَبَ** البعير، **وقَفَز** العصفور، **وطَمَر** البرغوثُ.

ويفرقون في أسماء الأولاد، **فيقولون** لولد كل سَبُع: **جَرْوٌ**، ولولد كل ذي ريش: **فرخٌ**، ولولد كل وحشية: **طِفْل**، ولولد الفرس: **مُهْرٌ وفَلُوٌ**، ولولد الحمار: **جَحْش وعفو**، ولولد البقرة: **عجل**، ولولد الأسد: **شبل**، ولولد الظبية: **خِشْف**، ولولد الفيل: **دَغْفَل**، ولولد الناقة: **حُوَار**، ولولد الثعلب: **هجرس**، ولولد الضب: **حِسْل**، ولولد الأرنب: **خِرِنْق**، ولولد النعام: **رَأْلٌ**، ولولد الدُّب: **دَيسم**، ولولد الخنزير: **خنَّوْص**[1]، ولولد اليَرْبُوع والفأرة: **دِرْصٌ**، ولولد الحية: **حَرِيش**.

ويفرِّقون في الضرب، **فيقولون** للضرب بالراح على مقدم الرأس: **صقعٌ**، وعلى القفا: **صفْعٌ**، وعلى الوجه: **صكٌّ**، وعلى الخد ببسط الكف: **لطمٌ**، وبقبضها: **لَكْمٌ**، وبكلتا اليدين: **لدْمٌ**، وعلى الذقن والحنك: **وهْزٌ**، وعلى الجنب: **وَخْزٌ**، وعلى الصدر والبطن بالكف: **وَكْزٌ**، وبالركبة: **زبْنٌ**، وبالرجل: **ركْلٌ**، وكل ضارب بمؤخرِه من الحشرات كلها كالعقارب: **لسعٌ**، وكل ضارب منها بفيه: **لدغٌ**.

ويفرّقون في الكشفِ عن الشيء من البدن، **فيقولون**: **حسرَ** عن رأسه، **وسفرَ** عن وجهه، **وافترَّ** عن نابه، **وكشَّر** عن أسنانه، **وأبدى** عن ذراعيه، **وكشفَ** عن ساقيه، **وهتك** عن عورته.

ويُفرِّقون في الجماعات؛ **فيقولون**: **موكب** من الفرسان، **وكَبْكَبة** من الرجال، **وجوْقة** من الغلمان، **ولمَّةٌ** من النساء، **ورعيل** من الخيل، **وصَرْمة** من الإبل، **وقطيع** من الغنم، **وسِرْب** من الظباء، **وعرْجَلة** من السباع، **وعِصابة** من الطير، **ورِجْل** من الجراد، **وخَشْرمٌ** من النحل.

ويفرقون في الامتلاء **فيقولون**: بحر **طام**، ونهر **طافح**، وعين **ثرَّة**، وإناء **مفعَمٌ**، ومجلس **غاصٌّ** بأهله.

---

(١) كجردحل، وجمعه: خنانيص.

ويفرِّقون في اسم الشيء الليّن؛ **فيقولون**: ثوب **لَيِّن**، ورمح **لدْن**، ولحم **رَخْص**، وريح **رُخَاء**، وفراش **وثير**، وأرض **دَمِثة**.

ويفرقون في تغيّر الطعام وغيره، **فيقولون**: **أرْوَحَ** اللحم، **وأَسِنَ** الماء، **وخنِز** الطعام، **وسَنِخَ** السمن، **وزنِخَ** الدهن، **وقتِم** الجوز، **ودَخِن** الشراب، **وصدِئ** الحديد، **ونَغِل** الأديم.

ويقولون: يدي من اللحم **غمِرة**، ومن الشحم **زَهِمة**، ومن البيض **زَهِكَة**، ومن الحديد[1] **سَهِكة**، ومن السمك **صَمِرة**، ومن اللبن والزبد **شتِرة**، ومن الثريد **مردة**، ومن الزيت **قنِمة**، ومن الدهن **زَنِخَة**، ومن الخل **خَمِطة**، ومن العسل **لزِقة**، ومن الفاكهة **لزِجَة**، ومن الزعفران **ردِغة**، ومن الطين **وَدِغَة**، ومن العجين **وَدِخَة**، ومن الطيب **عبِقة**، ومن الدم **ضَرِجة وسَطِلة وسَلِطة**، ومن الوحل **لَثِقَة**، ومن الماء **بلِلَة**، ومن الحمْأةِ **ثَئِطة**، ومن البَرَد **صرِدة**، ومن الأشنان **قضِضة**، ومن المداد **وَجِدة**، ومن البزر والنفط **نَمِشَة ونَثِمَة**، ومن البول **قَتِمَة**، ومن العذرة **طَفِسة**، ومن الوسخ **دَرِنة**، ومن العمل **مَجِلة**.

ويفرقون في الوسخ، فإذا كان في العين قالوا: **رَمَصٌ**، فإذا جف قالوا: **غَمَص**، فإذا كان في الأسنان قالوا: **حَفَر**، فإذا كان في الأذن فهو: **أفٌّ**، وإذا كان في الأظفار فهو: **تُفٌّ**، وإذا كان في الرأس قالوا: **حَزازٌ**، وهو في باقي البدن: **دَرَن**.

ويقولون: في الرياح: فإذا وقعت الريحُ بين ريحين فهي: **نَكْباء**، فإذا وقعت بين الجنوب والصَّبا فهي: **الجِرْبِيَاء**، فإذا هَبَّتْ من جهات مختلفة فهي: **المتناوِحَة**، وإذا جاءت بنَفَس ضعيف فهي: **النسيم**، فإذا كانت شديدة فهي: **العاصف**، فإذا قويت حتى قلعتِ الخيامَ فهي: **الهَجُوم**، فإذا حركت الأشجار تحريكاً شديداً وقلعتها فهي: **الزَّعْزَع**، فإذا جاءت بالحصباء فهي: **الحاصِب**، فإذا هبت من الأرض كالعمود نحو السماء فهي: **الإعصار**، فإذا جاءت بالغبرة فهي: **الهَبْوَة**، فإذا كانت باردة فهي: **الحَرْجَف والصَّرْصَر**، فإذا كان مع بردها

---

(١) **من الحديد**: أي: من صدئه.

ندى فهي: **البَليل**، فإذا كانت حارَّة فهي: **السَّمُوم**، فإذا لم تُلْقح ولم تحمل مطراً فهي: **العقيم**.

ويفرّقون في المطر، فأوله **رشٌّ**، ثم **طشٌّ**، ثم **طل**، ورذاذ، ثم **سحٌّ**، ثم **نضخ**، ثم **هطل**، **وتهتان**، ثم **وابل**، وجود.

فإذا أحيا الأرض بعد موتها فهو: **الحيا**، فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة فهو: **الغيث**.

وإن كان صغار القطر فهو: **القَطْقِط**، فإذا دامَ مع سكون فهو: **الدّيمة**، فإذا كان عامّاً فهو **الجَدا**، وإذا روّى كلَّ شيء فهو: **الجود**، فإذا كان كبير القطر فهو: **الهطل**، و**التهتان**، فإذا كان ضَخْمَ القطر شديد الوقع فهو: **الوَبْل**.

ويقولون: **هَجْهَجْت** بالسباع، **وشايعت** بالإبل، **ونَعَقت** بالغنم، **وسأسَأت** بالحمار، **وهَأهَأت** بالإبل: إذا دعوتها للعلف، **وجأجأت** بها: إذا دعوتها للشرب، و**أشليت** الكلب: دعوته، **وأسدته**: أرسلته.

ويفرقون في الأصوات **فيقولون**: **رغا** البعير **وجرْجَر** **وهدر** **وقبقب**، **وأطلت** الناقة، **وصهل** الفرس **وحمْحم**، **ونهم** الفيل، **ونهَق** الحمار **وسَحَل**، **وسَحِج** البغل، **وخارت** البقرة **وجأرت**، **وثاجت** النعجة، **وثغت** الشاة **ويَعَرت**، **وبَغَم** الظبي **ونَزَب**، **ووعوع** الذئب، **وضَبَح** الثعلب، **وضَغَت** الأرنب، **وعوى** الكلب **ونبح**، **وصَأت** السِّنَّوْر، **وضَأت** الفأرة، **وفحَّت** الأفعى، **ونعق** الغراب **ونَعَب**، **وزقا** الديك **وسقَع**، **وصَفَر** النسر، **وهدَر** الحمام **وهدل**، **وغرَّد** المكَّاء، **وقبَع** الخنزير، **ونقَّت** العقرب، **وأنقَضَت** الضفادع **ونَقّتْ**، **وعَزَفت** الجن.

* * *

فصل

اختلافُ الأوصاف باختلاف الموصوف

وتقولُ العربُ في الأمر: **وهْنٌ**، وفي الثوب: **وهيٌ**.

وفي الحساب: **غَلَتٌ**، وفي غيره: **غَلَط**.

من الطعام: **بَشَمٌ**، ومن الماء: **بَغَرٌ**.

وحلا الشيء في فمي، وحَلِيَ في عيني.

* * *

فصل

اختلافُ الأسماءِ مع اتفاقِ الأحوال

المراهق من الغلمان بمنزلة **المُعصِر** من الجواري .

والحَزَوَّر من الصبيان بمنزلة **الكاعب** .

والكهل من الرجال بمنزلة **النَّصَف** من النساء .

والقارح من الخيل بمنزلة **البازل** من الإبل .

والعجل من البقر ، **والشادن** من الظباء ، **كالناهضِ** من الفراخ .

والبِكر من الإبل بمنزلة الفتى ، **والقَلُوص** بمنزلة الجارية ، **والجمل** بمنزلة الرجل ، **والناقة** بمنزلة المرأة ، **والبعير** بمنزلة الإنسان .

والغـرْز للجمل **كالركـاب** للفرس ، **والغُدّة** للبعيـر **كالطاعون** للإنسـان ، **والهالـة** من القمر **كالدّارة** من الشمس ، **والبصيرة** في القلب **كالبصر** في العين ، **والأسباط** في بني إسحاق **كالقبائل** في بني إسماعيل ، **وأرداف** الملوك في الجاهلية **كالوزراء** في الإسلام ، **والأقيال** لحِمْير **كالبطارق** للروم ، **والقواد** للعرب .

* * *

فصل

للعربِ في ألفاظِها عامٌّ وخاصٌّ

وللعرب خاصٌّ وعامٌّ:

فالبغض عام، **والفَرْك** بين الزوجين خاص.

والنظر إلى الأشياء عام، **والشَّيْم** إلى البرق خاص.

الصُّراخ عام، **والواعية** على الميت خاص.

الذنَب للحيوان والبهائم عام، **والذُّنابى** للفرس خاص.

السير عام، **والسُّرى** بالليل خاص.

الهرب عام، **والإباق** للعبيد خاص.

الرائحة عام، **والقُتَار** للشواء خاص.

* * *

فصل
أسماءٌ تطلقُ على مسمّياتها بشروط

ومن جملة المُسلَّم للعرب: أنهم لا يقولون **مائدة** إلا إذا كان عليها طعام، وإلاّ فهي: **خِوَان**.

ولا للعظم **عِرْق** إلا ما دام عليه لحم.

ولا **كأس** إلا إذا كان فيه شراب، وإلا فهي: **زجاجة**.

ولا **كوز** إلا إذا كانت له عُرْوة، وإلا فهو: **كوب**.

ولا **رُضاب** إلا إذا كان في الفم، وإلا فهو: **بصاق**.

ولا **أريكة** إلا للسرير إذا كان عليه قُبة، فإن لم يكن عليه قبة فهو: **سرير**.

ولا **ريطة** إلا إذا كانت لفْقتين، وإلا فهي: **مِلاءة**.

ولا **خِدْر** إلا إذا كان فيه امرأة، وإلا فهو: **ستر**.

ولا للمرأة **ظعينة** إلا إذا كانت في الهودج.

ولا **قلم** إلا إذا كان مبرياً، وإلا فهو: **أنبوب**.

ولا **عِهن** إلا إذا كان مصبوغاً، وإلا فهو: **صوف**.

ولا **وقود** إلا إذا اتقدت فيه النار، وإلا فهو: **حطب**.

ولا **رَكيّة** إلا إذا كان فيه ماء، وإلا فهي **بئر**.

ولا للإبل **راوية** إلا ما دام عليها الماء.

ولا للدلو **سَجْل** إلا ما دام فيه الماء.

ولا **ذَنوب** إلا ما دامت ملأى .

ولا **نَفَق** إلا إذا كان له منفذ ، وإلا فهو : **سَرَب** .

ولا **لسرير نعشٌ** إلا ما دام عليه الميت .

ولا **للخاتِم** خاتِم إلا إذا كان عليه فَصٌّ .

ولا **رُمح** إلا إذا كان له زَجٌّ وسِنان ، وإلا فهو : **أنبوب وقناة.**

ولا **لطيمَة** إلا للإبل التي تحمل الطِّيْبَ والبزَّ خاصة .

ولا **حمولة** إلا للتي تحمل الأمتعة خاصة .

ولا **بدنة** إلا للتي تُجعل للنحر .

ولا **رَكْب** إلا لركبان الإبل .

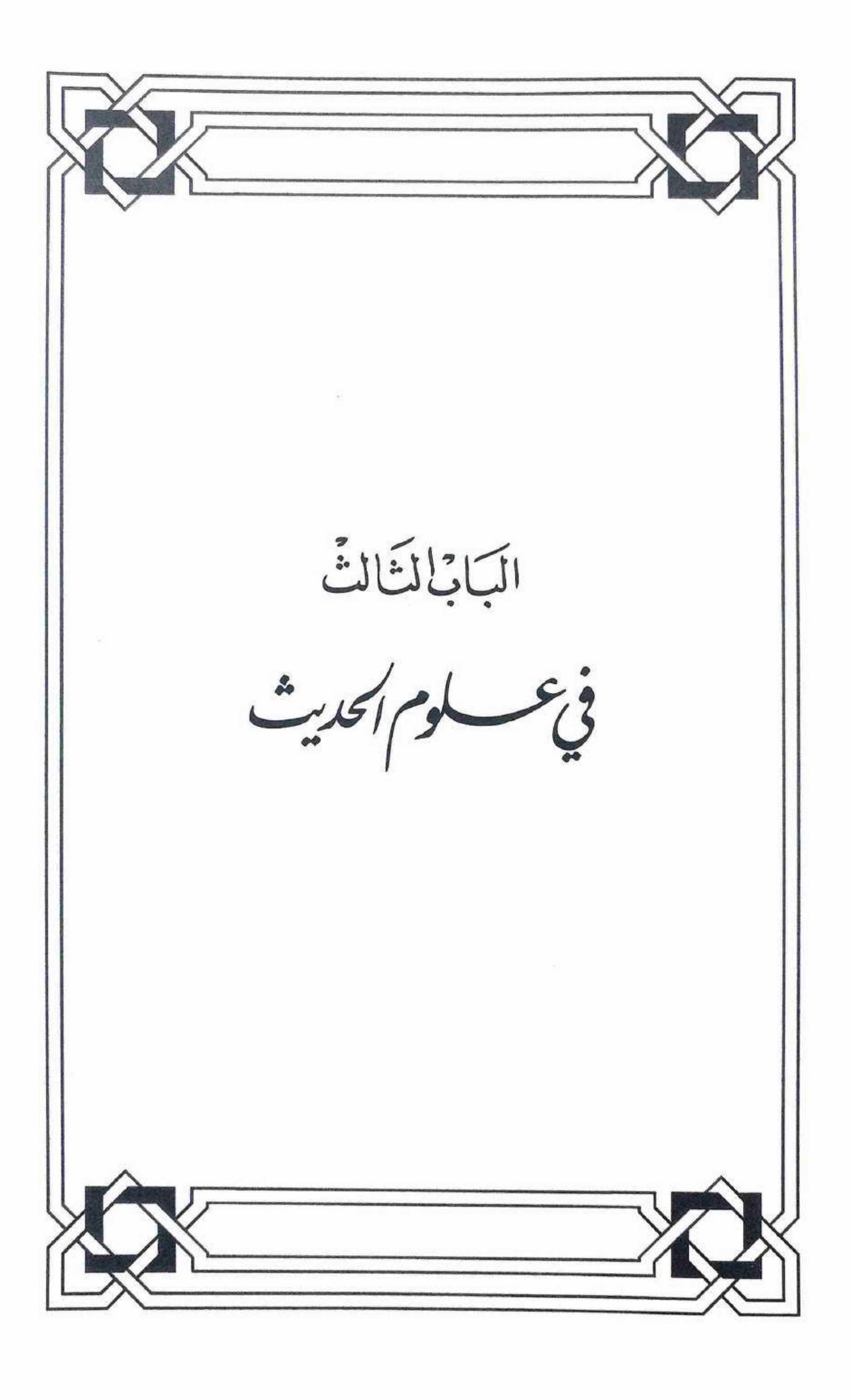
ولا **هضبة** إلا إذا كانت حمراء .

ولا **يقال غيث** إلا إذا جاء في إبّانه[١] ، وإلا فهو : **مطر** .

ولا يقال **عُشٌّ** حتى يكونَ عيداناً مجموعةً ، فإذا كان نَقْباً في جَبلٍ أو حائط فهو : **وكر ، ووكن** .

* * *

(١) **إبّانه** : أي جاء في وقته .



الباب الثالث

في علوم الحديث

فصل

في ذكر نبينا محمد ﷺ

● **ذكر نسبه ﷺ:**

هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان(١) بن إدّ بن أُدد بن زيد بن يَقدر بن يَقدم ين الهُمَيْسَع بن النَّبْت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالَخ بن أرْفَخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوَشلَح بن أخنوخ بن يارد بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

● **ذكرُ أسمائه ﷺ:**

هو محمد ﷺ، وأحمد، والماحي، والحاشر [والعاقب(٢)، والمقفّي، ونبيُّ الرحمة، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الملاحم، والشاهد، والبشير، والنذير،

---

(١) حكي عن النبي ﷺ أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز عدنان، روى مسلم بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم**».
وقال ابن كثير في (السيرة): «هذا النسبُ (أي إلى معد بن عدنان) لا خلافَ فيه بين العلماء، وقد حرّره ابنُ إسحاق وابنُ عساكر، كذلك حرر الكلامَ فيه أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه، وجاء بالنافع الجيد» انظر: ١/ ١٨٣.

(٢) هذه الأسماء وردت في صحيح البخاري: ٤/ ١٦٢.

والضَّحوك، والقتّال، والمتوكل، والفاتح، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبيّ، والأميّ، والقُثم].

فالعاقب آخر الأنبياء، والمقفي تبع الأنبياء، والضحوك صفته في التوراة، لأنه كان طيِّبَ النفس فكِهاً، والقُثَم من القَثْم: وهو الإعطاء.

● **ذكر عمومته ﷺ:**

الحارث، والزُّبير، وأبو طالب، وحمزة، وأبو لهب، والغَيْداق، والمُقَوِّم، وضِرار، والعبَّاس، وقُثم، وحِجْل واسمه المغيرة.

● **ذكر عماته ﷺ:**

أمُّ حكيم وهي البيضاء، وبَرّة، وعاتكة، وصَفِيَّة، وأروى، وأُميمة. وأسلمت صَفيّة، واختلف في عاتكة وأروى وأميمة.

● **ذكر أزواجه ﷺ:**

تزوَّج خديجةَ، ثم سَوْدة، ثم عائشة، ثم حَفْصة، ثم أمَّ سلمة، ثم جُويْرية، ثم زينبَ بنت جحش، ثم زينبَ بنت خُزيمة، ثم أمَّ حَبيبة، ثم صَفيَّة، ثم ميمونة. فماتت خديجةُ وزينب بنت خُزيمة في حياته، وتوفي عن التسع البواقِ.

● **ذكر أولاده ﷺ:**

القاسم، وعبدُ الله ـ وهو الطيِّب والطاهر ـ، وإبراهيم، وفاطمة، وزينب، ورُقيَّة، وأُمُّ كُلْثوم.

● **ذكر مواليه ﷺ:**

أسْلَم، ويُكنى أبا رافع، أو آخر والد البهي، حُمران، أنسة، أُسامة، أفلح، ثوبان، ذكوان، رافع [رباح][1]، زيد بن حارثة، سلمان، سالم، سليم، سابق، سعيد، شُقران واسمه صالح، ضميرة، عبيد الله، عبيد، فضالة، كيسان، مهران وهو سَفينة، وقيل اسمه: سفينة، وقيل: رومان، وقيل: عبس، مِدْعم،

---

(١) زيادة من (ب).

نافع، نفيع وهو أبو بكرة، نبيه، واقد، وَردان، هشام، يسار، أبو أثيلة، أبو الحمراء، أبو ضميرة، أبو عبيد، أبو مُوَيهبة، أبو واقد، أبو لُبابة، أبو لقيط، أبو هند، سابورا.

● **ذكر مؤذِّنيه ﷺ:**

بلال، وسعد، وابن أم مكتوم، وأبو محذورة.

● **ذكر كتّابه ﷺ:**

أبو بكر، عمر، عثمان، علي، أُبيّ، زيد، معاوية، حنظلة، خالد بن سعد، أبان بن سعيد، العلاء بن الحضرمي، وكان المداومَ على الكتابة زيدٌ ومعاوية.

● **ذكر نقباء الأنصار رضي الله عنهم:**

أسعدُ بن زرارة، أُسيد بن حضير، البراء بن مَعْرور، رافع بن مالك، سعد ابن خَيْثمة، سعد بن الربيع، عبد الله بن رواحة، عبد الله بن عمرو بن حرام، عُبادة بن الصامت، سعد بن عُبادة، المنذر بن عمرو، أبو الهيثم بن التيهان، ونَقَّب النبي ﷺ على النقباءِ أسعدَ.

● **تسمية من جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ:**

عثمانُ بن عفان، أُبي، معاذ بن جبل، أبو الدرداء، زيد بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، قال ابن سيرين: وتميم الداري، وقال القرطبي: وعُبادة بن الصامت، وأبو أيوب.

● **تسمية من كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ:**

أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وأُبي، ومعاذ، وعمار، وحُذيفة، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وسلمان.

● **تسمية من تأخر موته من الصحابة رضي الله عنهم:**

آخر من مات من **أهل العقبة**: جابر بن عبد الله بن عمرو، **ومن أهل بدر**: أبو اليسر، ومن **المهاجرين**: سعد بن أبي وقاص، **وهو آخر العشرة موتاً**، وآخر

من مات بمكة من الصحابة: ابن عمر، **وبالمدينة**: سهل بن سعد بن معاذ، **وبالكوفة**: عبد الله بن أبي أوفى، **وبالبصرة**: أنس بن مالك، **وبمصر**: عبد الله بن الحارث بن جُزْء، **وبالشام**: عبدالله بن بُسْر، **وبخراسان**: بُريدة، **وآخر الناظرين إلى رسول الله ﷺ موتاً**: أبو الطفيل عامر بن واثلة.

● تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم:

سعيد بن المسيِّب، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وخارجة، وعبيد الله بن عبد الله، وعُروة، وسليمان بن يسار.

* * *

منتخب من ذِكر الأوائل

أوّل ما خلق الله : **القلم**.

أول جبل وضع في الأرض : **أبو قبيس**.

أول مسجد وضع في الأرض : **المسجد الحرام**.

أول ولد آدم : **قابيل**.

أول من خط وخاط : **إدريس**.

أول من اختتن وضاف : **إبراهيم**.

أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية : **إسماعيل**.

أول من عمل القراطيس : **يوسف**.

أول من سرد الدروع وقال : أمّا بعد : **داود**.

أول من صبغ بالسواد : **فرعون**.

أول من دخل الحمام وعمل الصابون : **سليمان**.

أول من طبخ الآجر : **هامان**.

● **فصل أوليّـات في الجاهلية:**

أول من سيَّب السوائب : **عمرو بن لحي**.

أول من سَنَّ الدية مئةً من الإبل : **عبد المطلب**.

أول من قطع في السرقة في الجاهلية، وقضى بالقَسامة، وخلع نعليه عند دخول الكعبة : **الوليد بين المغيرة**.

أول من قضى في الخُنثى من حيث يبول : **عامر بن الظرب**.

أول عربي قسم للذكر مثل حظ الأنثيين : **عامر بن جُشَم**.

● **فصل أوليّـات في الإسلام:**

أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

أول آية نزلت في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩].

أول من أسلم من الرجال: **أبو بكر**، ومن الصبيان: **علي**، ومن الموالي: **زيد**، ومن النساء: **خديجة**، ومن الأنصار: **جابر بن عبد الله بن رباب**.

أول من هاجر إلى الحبشة: **حاطب بن عمرو**، وإلى المدينة: **مصعب بن عمير**، ومن النساء: **أم كلثوم بنت عقبة**.

أول من بايع ليلة العقبة: **أسعد بن زرارة**، أول من بايع بيعة الرضوان: **أبو سنان الأسدي**.

أول من أذن: **بلال**.

أول من بنى مسجداً في الإسلام: **عمّار**.

أول من سل سيفاً في الإسلام: **الزبير**.

أول من عدا بفرسه في سبيل الله: **عبد الله بن جحش**، وهو أول من دُعيَ بأمير المؤمنين.

أول شهيد في الإسلام: **سُمَيَّة**.

● **فصل أوائل متفرقة:**

أول ظِهار كان في الإسلام: ظهارُ **أوس بن الصامت** من المجادِلة.

أول خُلْعٍ كان في الإسلام: خُلْع **حبيبة بنت سهل** من ثابت بن قيس.

أول لِعان كان في الإسلام: لعان **هلال بن أمية** مع زوجته.

أول مرجوم كان في الإسلام: **ماعز**.

أول من سَنَّ الصلاة عند القتل: **خُبيب**.

أول من أوصى بثلث ماله: **البراء بن معرور**.

أول من دفن بالبقيع: **عثمان بن مظعون**.

● **فصل أوائل متنوعة:**

أول من جمع القرآن: **أبو بكر**.

أول من قصّ: **تميم**.

أول من وضع النحو: **أبو الأسود**.

أول من نقّط المصحف: **يحيى بن يعمر**.

● **فصل أوليّـات مستقبلية:**

أول ما يُرفع من الناس: **الخشوع**.

أول ما تفقدون من دينكم: **الأمانة**.

أوّل الآيات: **طلوعُ الشمس من مغربها**(١).

أول من تنشق عنه الأرض: نبيّنا **محمد** ﷺ. وهو أول من يقرع باب الجنة، وأول شافع، وأول مشفَّع.

أول من يُكسى: **إبراهيم**.

أول ما يحاسب به العبد: **الصلاة**.

أول أُمّةٍ تدخل الجنة: **أمّة نبينا محمد** ﷺ.

* * *

---

(١) ليس هناك من الأدلة ما يقطع بأن أولّ علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها. انظر: (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للإمام الكشميري، ص١٣٢.

منتخب في ذكر المنسوبين إلى غير آبائهم

ـ فمن المنسوبين إلى أمهاتهم:

بلال بن حمامة، واسم أبيه: رباح.

ابن أم مكتوم، واسم أبيه: عمرو.

بشير بن الخصاصيّة، واسم أبيه معبد.

الحارث بن البرصاء، واسم أبيه مالك.

خُفاف بن ندبة، واسم أبيه عمير.

سعد بن جنبة، واسم أبيه بجير.

شُرحبيل بن حسنة، واسم أبيه عبد الله.

عبد الله بن بحينة، واسم أبيه مالك.

مالك بن نميلة، واسم أبيه ثابت.

معاذ ومعوِّذ ابنا عفراء، واسم أبيهما الحارث.

يعلى بن سيابة، واسم أبيه مرة.

يعلى بن مُنيّة، واسم أبيه أمية.

وهؤلاء كلُّهم صحابة.

ـ ومن العلماء بعدهم:

إسماعيل بن عُلية، واسم أبيه: إبراهيم.

منصور بن صفية، واسم أبيه عبد الرحمن.

محمد بن عائشة ، واسم أبيه : حفص .

إبراهيم بن هراسة ، واسم أبيه : سلمة .

محمد بن عثمة ، واسم أبيه : خالد .

* * *

فصل
في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء

فمن ذلك ما تساوى فيه الاسم والنسب :

ـ **أميَّةُ بن أبي الصلت**، قال فيه النبي ﷺ : «كاد أُمية أن يُسلم»[1].

أمية بنت أبي الصلت، روى حديثها ابن إسحاق .

ـ **أمية بن عبد الله** : حدث عن ابن عمر .

أمية بنت عبد الله : تروي عن عائشة .

ـ **عمارة بن حمزة** : من ولد عكرمة .

عمارة بنت حمزة : وهي التي اختصم فيها عليٌّ وجعفرُ وزيدٌ .

ـ **فضالة بن الفضل** : حدّثَ عن أبي بكر بن عياش .

فضالة بنت الفضل : روى عنها عبد الرحمن بن جبلة .

ـ **طلحة بن أبي سعيد المصري** : روى عن القاسم بن محمد .

طلحة بنت أبي سعيد : روى عنها ابن أبي جبلة أيضاً .

ـ **هند بن المهلب** : روى عنه محمد بن الزبرقان .

هند بنت المهلب : حدثت عن أبيها .

ـ **هبة الله بن أحمد** : شيخنا .

هبة الله بنت أحمد : حدّثت عن أحمد بن محمود القاضي .

* * *

(١) رواه البخاري برقم (٣٨٤١)؛ ومسلم وابن ماجه والإمام أحمد.

فصل

التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ

ومن ذلك ما تشابه في الخط ويتباين في اللفظ مع تساوي الأب :

- **بُسْرة بنت صفوان** : صحابية .

يُسرة بن صفوان : حدث عن إبراهيم بن سعد .

- **حمزة بن عبد الله** جماعة[1] .

جمرة بنت عبد الله : صحابية .

- **خيثمة بن عبد الرحمن** : روى عن ابن عمر .

حَنْتمةُ بنت عبد الرحمن : أخت أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه .

* * *

---

(١) **جماعة** : أي تسمّى بحمزة جماعةٌ .

فصل

أسماء أُطلقت على الرجال والنساء معاً

ومن الأسماء التي تساوى فيها الرجال والنساء دون أنسابهم:

- أسماء بن حارثة، وأسماء بن رباب (صحابيان).

أسماء بنت أبي بكر، وأسماء بنت عُميس (صحابيتان).

- بركة أم أيمن (مولاة رسول الله ﷺ)، بركة أم عطاء بن أبي رباح.

ومن **الرجال**: بركة بن الوليد (روى عن ابن عباس)، وبركة بن نشيط (روى عن عثمان بن أبي شيبة).

- بريدة بن الحُصَيْب (صحابي). بريدة بنت بشر (صحابية).

- جويرية بن مسهر (يروي عن علي)، جويرية بن بشير (يروي عن الحسن)، جويرية بن أسماء (عن نافع)، جويرية بن الحجاج (شاعر).

ومن **النساء** جويرية (أم المؤمنين)، جويرية بنت زياد، جويرية بنت علقمة.

- ومن **الرجال** حمَيضة بن رقيم (صحابي)، حميضة بن الشَّمَرْدل (تابعي)، حميضة بن قيس (شاعر).

ومن **النساء**: حميضة بنت ياسر، حميضة بنت أبي كثير.

- الرباب بنت البراء بن معرور، الرباب [بنت كعب][1] (أم حذيفة)، الرباب بنت النعمان (عمة سعد بن معاذ)، الرباب (زوجة الحسن بن علي).

---

(١) زيادة من (ب)

ومن **الرجال**: تابعي يقال له: رباب، سمع من ابن عباس.

ـ زيد في الرجال كثير.

وزيد بنت مالك بن عميت.

ـ ومن **الرجال**: عصيمة (حليف للأنصار من بني أسد)، عصيمة (حليف لهم من أشجع) ـ كلاهما شهدا بدراً.

ومن **النساء**: عصيمة بنت حبار، عصيمة بنت أبي الأفلح (تابعيتان).

ـ علية بن زيد (صحابي).

ومن **النساء**: علية بنت شريح (أم السائب ابن أخت نمر)، وعلية بنت المهدي.

ـ عميرة بن يثربي (قاضي البصرة لعمر بن الخطاب)، عميرة بن سعد (يروي عن علي رضي الله عنه)، وعميرة بن زياد (عن ابن مسعود).

ومن **النساء**: عميرة بنت سهل، عميرة بنت ظهير، عميرة بنت ثابت (صحابيات).

* * *

فصل

أسماء وقع فيها إشكال

ومما يقع الإشكال فيه:

- إسحاق الأزرق، وإسحاق بن الأزرق، فالأول مصري روى عنه الليث بن سعد، والثاني يروي عن الثوري.

- عياش بن الأزرق، وعباس الأزرق، فالأول بالشين المعجمة(روى عن جعفر الفرياني)، والثاني بالسين المهملة (روى عنه حماد).

- هاشم بن البريد، وهاشم البريد، فالأول **كوفي** حدَّث عن أبي إسحاق السَّبيعي، والثاني **بصري** يروي عن عبد الصمد بن عبد الوارث.

* * *

منتخب من الأسماء المفردة[1]

أجمد بن عجيان، أثال، أثان، أرطيان، أسفع، أيقع، أفلت، أكيل، أخيل، بحبح، يشمين، بلهط، بلج، بيحرة، ثهلان، جاحل، جيب، جحدل، خنفر، خِرباق، ديسم، رعيان، زنيح، ركيح، زبيد، سرق، سياك، شبيب، شتير، شنيف، شُويس، شَبيم، صحار، صمصم، ضريك، طيسلة، عِتريس، عذافر، عرزب، عرعرة، عسعس، عبّاق، فصافص، فنج، قحذم، قريع، كركرة، كهدل، لبي، لبطة، لمازة، مراجم، مشرح، معقس، مقلاص، مليل، هلقام، المنقع، منجل، ياسم، نبتل، نسطاس، نوسجان، وقدان، هبيب، هجنع، هداج، هرماس، هصان، ينحس، يعفر، هيطان.

* * *

(١) أي: الأسماء التي لم يسمَّ بها أحد سوى المذكورين.

منتخب من مشتبه الأسماء

- **أحمد** : كثير ، **أجمد بن عجيان** الذي شهد فتح مصر .

- **أنس** : كثير ، **وأتش** جد محمد بن الحسن بن أنس الصنعاني .

- **بشر** : كثير ، **وبسر بن أبي أرطأة صحابي** ، **ونشر** هو محمد بن نشر الكوفي ، روى عن ابن الحنفية ، **ويسر أبو اليسر** هو صحابي ، **ويسر بن أنس** هو متأخر ، **ونسر** هو جد يحيى بن أبي بكير قاضي كرمان .

- **بيان** : كثير ، **وبنان بن محمد الزاهد** ، **وبنّان ين يعقوب** ، **وبتان** هو سعيد بن بتان الأيلي .

- **يزيد** : كثير ، **وبريد بن أصرم** يروي عن علي ، **وتزيد بن جُشَم** في نسب الأنصار ، **وبرند** هو عرعرة بن البرند .

- **حماد** : كثير ، **وحماد بن أيوب** روى عن حماد بن أبي سليمان .

- **جَرير** : كثير ، **وجُرير**[1] : هو عبد الله بن جرير ، **وحريز بن عثمان** ، **وحرير** أم الحرير تروي عن طلحة بن مالك ، **وجريز بن صدقة الجريز** ، يروي عن شعبة .

- **جماز** هو الهيثم بن جماز ، وحبيب بن **حماز** ، ونعيم بن **خمار** ، وعياض ابن **حمار** ، **وحماز** يروي عن ابن مسعود .

- **خباب** : صحابي ، **وحباب** بن المنذر صحابي ، **وجناب** بن الخشخاش يروي عن أبي كلدة ، **وجباب** بن صالح ، **وحتات** بن يحيى .

- **خُبيب** : كثير ، **خَبيب صحابي** ، **وخُبيب**[2] **صحابي** ، **وجبيب** بن النعمان ابن يحيى ، **وجبيب** أخو حمزة الزيات .

---

(١) هذا مصغر ، وما قبله مكبر .

(٢) هذا مصغر ، وما قبله مكبر .

خنيس بن حذافة صحابي، وهب بن حنيش صحابي، **حبيش بن خالد** صحابي، **حبيس بن عايد** مصري.

نعيم: كثير، **يغنَم بن سالم** يروي عن أنس.

* * *

فصل

من مشتبه النسبة

ـ الحسن **البصري**، طلحة بن عمرو **النصري**، الحسين بن الحسن **النضري**.

ـ سفيان **الثوري**، محمد الصلت **التَّوْزي**، محمد بن عمرو **البُوري**، أبو الحسين **النُّوري**.

ـ أبو بكر **الخياط**، فطر بن خليفة **الحنّاط**، مسلم **الخبَّاط**، وقد جمع مسلم هذه الصفات الثلاث.

ـ **الخزّاز** جماعة، وعبد الله بن عون **الخراز**، وعيسى بن يونس **الجزاز**، ويحيى بن **الجزار**.

ـ أبو عمرو **الشَّيْباني**، أيوب بن سويد **السيباني**، الفضل بن موسى **السَّيْناني**.

ـ فرقد **السَّبْخي**[1]، سليمان بن معبد **السنْجي**، أبو بكر **السبْحي**، بدر **الشيحي**.

ـ عامر **الشَّعْبي**، معاوية بن حفص **الشُّعْبي**، زكريا بن عيسى **الشغبي**، حذيفة بن اليمان **العبسي**، عمار بن ياسر **العنسي**، صعق بن حزم **العيسي**، وتقع النسبة في المحدثين إلى هذه الألفاظ الثلاثة، قال الحسن بن سفيان الفسوي: كلَّما ورد في الحديث عبسي فهو كوفي، وعنسي فهو بصري، وعيسي فهو مصري.

ـ إبراهيم بن يزيد **الخوزي**، محمد بن يزيد **الحوزي**، محمد بن يزداد الجوري، عبد الرحمن بن علي الجوزي[2].

* * *

---

(١) **فرقد السبخي**: بفتح السين المهملة والباء الموحدة وبخاء معجمة، صدوق عابد، لكنه لين الحديث كثير الخطأ.

(٢) **عبد الرحمن**: هو مؤلف كتاب (**المدهش**) الذي تقرؤه.

بيان أحاديث أهمل فيها تبيين الأسماء المشتبهة

● **حديث:**

روى أبو قُلابة عن أنس عن النبيِّ ﷺ: **«أنَّ الله تعالى وضَعَ عِن المسافر شَطْرَ الصَّلاةِ، وعنِ الحاملِ والمُرْضِع يعني الصيام»**[1]، **أنسٌ هذا هو ابن مالك القُشيري.**

● **أحاديث:**

روى **عطاء** عن أبي هريرة قال: **«في كلِّ صلاةٍ يُقرأ، فما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم، وما أخْفَى عنا أخفينا عنكم»**[2].

وروى **عطاء** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يجتمعُ حُبُّ هؤلاءِ الأربعة في قلبِ منافقٍ: أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي»**[3].

وروى **عطاء** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أقيمتِ الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبة»**[4].

وروى **عطاء** عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ سجد في: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[5].

وروى **عطاء** عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مضى ثُلثُ الليل**

---

(١) ولفظه: «.. **والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى**»، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب القراءة في الفجر، رقم (٧٧٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر، انظر: كنز العمال، رقم (٣٣١٠٣).

(٤) رواه مسلم والأربعة.

(٥) ولفظه: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾» رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة.

يقولُ اللهُ: ألا داعٍ يجابُ»[1].

عطاء الأول: هو ابنُ أبي رباح، والثاني: الخراساني، والثالث: ابن يسار، والرابع: ابن ميناء، والخامس: مولى أم صُبية.

● **أحاديث:**

روت **عَمْرةُ** عن عائشةَ قالت: لو أنّ رسولَ الله ﷺ رأى ما أحدثَ النساءُ بعدَه لمنعهنّ مِنَ المساجدِ كما مُنع نساءُ بني إسرائيل[2].

وروت **عَمْرةُ** أنها دخلت مع أمها على عائشةَ فسألتها: ما سمعتِ من رسولِ الله ﷺ يقول في الفرار من الطاعونِ؟ قالت: سمعته يقول: «**كالفرار من الزحف**»[3].

وروت **عَمْرةُ** قالت: خرجتُ مع عائشةَ سنةَ قُتِل عثمانُ إلى مكةَ، فمررنا بالمدينة، ورأينا المصحفَ الذي قُتل وهو في حِجْرِه، فكانتْ أولُ قطرةٍ قَطرَتْ على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] قالت: فما مات منهم رجل سويّاً[4].

وروت **عَمرةُ** عن عائشةَ قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ ينهى عن الوِصَال[5].

---

(١) رواه ابن جرير، انظر: كنز العمال، رقم (٣٣٩١).

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والدارمي والإمام أحمد.

(٣) رواه ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها ـ بلفظ: «**الفرار من الطاعون كالفرار من الزحف**» ورمز السيوطيُّ لصحته. وفي مسند الإمام بلفظ: «**الفار من الطاعون كالفار من الزحف**» المسند: ٦/ ٢٥٥ بإسنادٍ جيدٌ، وابن عبد البر في التمهيد.

(٤) انظر: البداية والنهاية: ٧/ ١٨٨، ثم قال: ولما بلغ سعدُ بن أبي وقاص قتلَ عثمان استغفر له وترحّمَ عليه، وتلا في حق الذين قتلوه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، ثم قال: اللهم ندمهم ثم خذهم. وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحدٌ من قتلة عثمان إلا مقتولاً. رواه ابن جرير. قال ابن كثير: وهكذا ينبغي أن يكون، لوجوه منها: دعوة سعد المستجابة، كما ثبت في الحديث الصحيح. وقال بعضهم: ما مات أحدٌ منهم حتى جُنّ.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

عمرة الأولى: هي بنت عبد الرحمن الأنصارية، والثانية: بنت قيس العدوية، والثالثة: بنت أرطأة، والرابعة: يقال لها: الطاخية.

● **أحاديث:**

روى **حمَّادُ** عن ثابت عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ سمع في النخل صوتاً فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يؤبِّرُ النخلُ، فذكر الحديث[1].

وروى **حماد** عن ثابت عن أنس قال: رأى رسولُ الله ﷺ على عبد الرحمن صُفرَة، فقال: «**ما هذا؟**» قال: تزوجتُ، قال: «**أَوْلم**»[2].

روى **حماد** عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ أمّتي مثلُ المطرِ**»[3].

حماد الأول: هو ابن سلمة، والثاني: ابن زيد، والثالث: الأبح.

واعلم أنّ مثل هذه الأسماء المشتبهة إذا لمْ يصرّحْ في الحديثِ ببيانها لم يفرِّق [بينها] إلا الناقدُ المجوّدُ.

وفي الفرق بينها فائدةٌ عظيمةٌ، وهي أنَّ بعضَ الرواة ثقة، ومشابهه في الاسم يكون ضعيفاً، فَيُطلب الفرقُ لذلك.

مثاله: أن يروي قتادةُ عن عكرمةَ، وهو يروي عن عكرمة مولى ابن عباس، وذاك ثقة، وعن عكرمة بن خالد، وهو **ضعيف**.

وكذا قول وكيع: حدثنا **النضر** عن عكرمة، وهو يروي عن النضر بن عربي وهو **ثقة**، وعن النضر بن عبد الرحمن وهو **ضعيف**.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله ﷺ تشريعاً؛ وابن ماجه والبزار والطبراني والإمام أحمد، و(**التأبير**): هو تلقيح النخل.

(٢) وتمامه: «**أولم ولو بشاة**» رواه البخاري والنسائي وأحمد وغيرهم. **والصُّفرة**: هي لونٌ لنوع من الطيب يُتَّخَذُ من الزّعفران، و**عبد الرحمن**: هنا هو ابنُ عوف رضي الله عنه. **والوليمة**: هي طعامُ العرسِ.

(٣) وتمامه: «**لا يُدْرَى أولُه خيرٌ أم آخرُه**» رواه أحمد والترمذي عن أنس؛ وفي الجامع الصغير برقم (٨١٦١)، وصححه السيوطي.

ومثله قول حفص بن غياث: عن **أشعث** عن الحسن، وهو يروي عن **أشعث** بن عبد الملك وهو **ثقة**، وعن أشعث بن سوار وهو **ضعيف**.

* * *

منتخب من المُتّفق والمُفترق

ـ أنس بن مالك خمسة: اثنان من الصحابة: أبو حمزَة الأنصاريّ، وأبو أميةَ الكعْبيّ، والثالث أبو مالك الفقيه، والرابع كوفيّ، والخامس حِمصيّ.

ـ أسامةُ بن زيد ستة: أحدهم مولى النبيّ ﷺ، والثاني تنوخِيّ، والثالث ليثيّ، والرابع كلبيّ، والخامس شيرازيّ، والسادس مولى لعمرَ.

ـ أحمد بن جعفر بن حمدانَ أربعة في طبقة واحدة: أحدهم دِيْنَوريّ، والثاني طَرْسَوسيّ، والثالث قطيعيّ، والرابع سقطيّ.

ـ جابر بن عبد الله سبعة: أحدهم ابن عمرو، والثاني ابن رباب صحابيان، والثالث سلميٌّ، والرابع محاربيّ، والخامس غطفانيّ، والسادس مصريّ، والسابع بصريّ.

ـ الخليل بن أحمد خمسة: ثلاثة بصريون، والرابع أصفهانيّ، والخامس سجزيّ.

ـ سعيد بن المسيِّب ثلاثة: أحدهم مَدَنيّ، والثاني بَلَويّ، والثالث شيرازيّ.

ـ عبد الله بن المبارك ستة: أحدهم مروزيّ، والثاني خراسانيّ، والثالث بخاريّ، والرابع جوهري، والباقيان من أهل بغداد.

ـ عمر بن الخطاب سبعة: : أحدُهم أمير المؤمنين، والثاني كوفيّ، والثالث بصريّ، والرابع إسكندرانيّ، والخامس سجسْتانيّ، والسادس راسبيّ، والسابع عنبريّ.

ـ عثمان بن عفان اثنان: أحدهما أمير المؤمنين رضي الله عنه، والثاني سجزيّ.

ـ علي بن أبي طالب ثمانية: أحدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه، والثاني

بصريّ، والثالث جُرْجانيّ، والرابع استراباذيّ، والخامس تَنُوخيّ، والسادس بكراباذيّ، والسابع بغداديّ، والثامن يقال له: الدّهان.

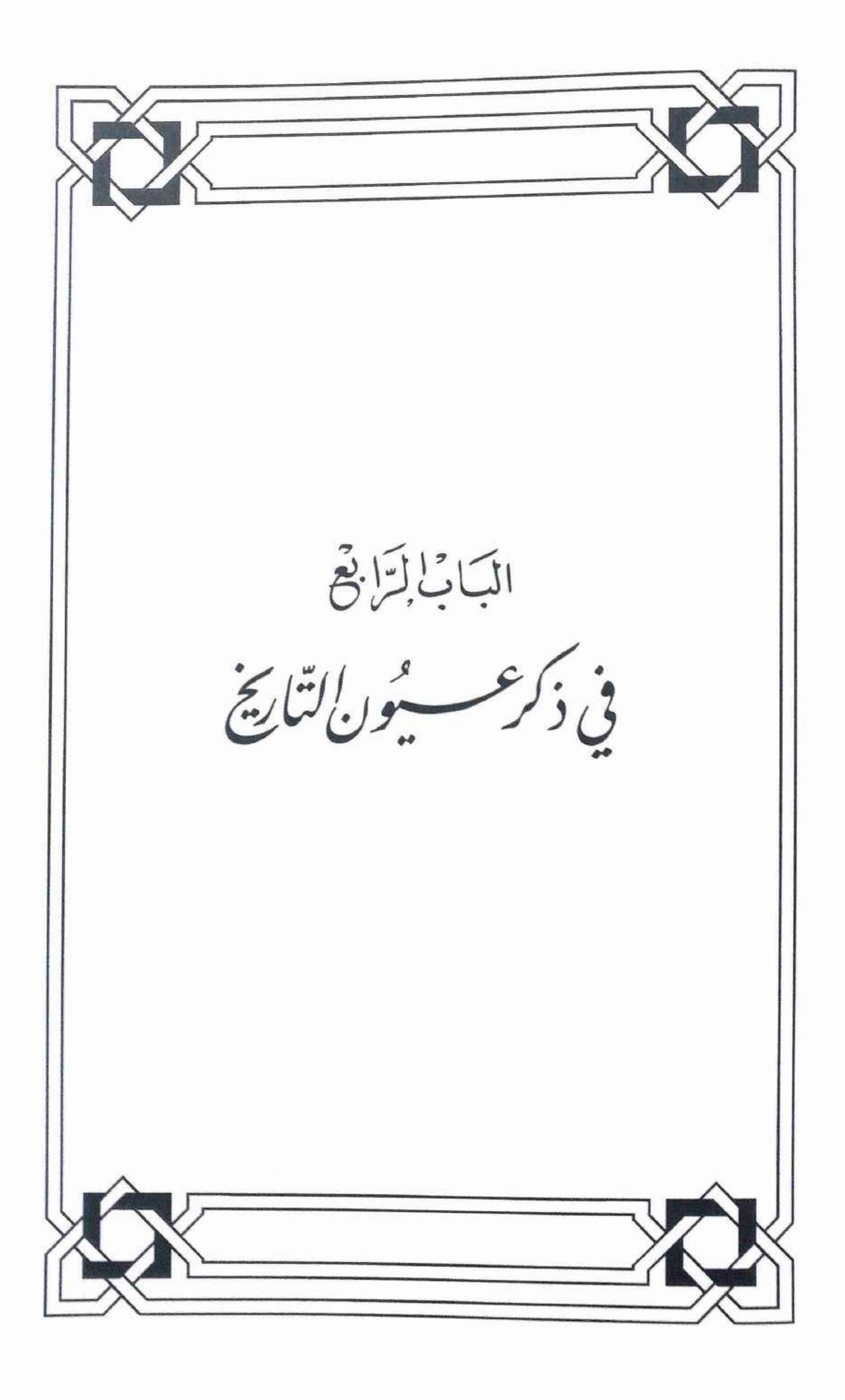
ـ عُمران بن حصين **أربعة**: أحدهم صحابيّ، والثاني ضبي نَيْسابوريّ، والثالث بصريّ، والرابع أصبهانيّ.

ـ فضيل بن عياض **اثنان**: أحدهما مصريّ، والثاني مكيّ.

ـ يحيى بن معاذ **ثلاثة**: أحدهم نيسابوري، والثاني رازي، والثالث تُسْتريّ.

ـ يوسفُ بن أَسْباط **ثلاثة**: أحدهم كوفيّ، والثاني حمصيّ، والثالث سُلَميّ.

* * *



الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ

الباب الرابع

في ذكر عيون التاريخ

روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**خلقَ اللهُ تعالى التربةَ يوم السَّبتِ، وخلقَ الجبالَ فيها يومَ الأحدِ، وخلقَ الشَّجَرَ فيها يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النورَ يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدوابَّ يومَ الخميس، وخلقَ آدمَ يومَ الجمعة بعد العصر**»[1].

قال علماءُ التاريخ: الأرضُ كلُّها على صخرة. الصخرة على مَنْكِبَيْ مَلَك، والمَلَك على الحوت، والحوت على الماء، والماء على متن الريح[2].

● فصل في أقاليم الأرض:

أقاليمُ الأرضِ سبعةٌ: فالإقليم الأول **الهند**، والثاني إقليم **الحجاز**، والثالث إقليم **مصر**، والرابع إقليم **بابل**، والخامس إقليم **الروم** و**الشام**، والسادس إقليم **بلاد الترك**، والسابع إقليم **بلاد الصين**.

وأوسط الأقاليم: إقليم بابل، وهو أعمرها، وفيه جزيرة العرب، وفيه **العراق** الذي هو سُرّةُ الدنيا[3] **وبغداد** في أوسط هذا الإقليم، فلاعتدالِه اعتدلت ألوانُ أهله، فسَلِموا من شُقرةِ الروم، وسواد الحَبَش، وغِلَظ الترك، وجفاءِ أهلِ الجبال، ودمامة أهل الصين، وكما اعتدلوا في الخِلقة لطُفوا في الفِطنة.

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٢٧، واللفظ للإمام أحمد. وقد تكلَّمَ في هذا الحديث ابن المديني، والبخاري، وابن كثير في تفسيره، وغيرهم من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار. انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٤٨.

(٢) لا أصل لهذا القول لا في الشرع ولا في الواقع.

(٣) هذا الكلام مخالِفٌ لما ثبتَ من كون الكعبة المشرفة هي سرّةُ الأرض.

● **فصل في الجبال:**

قال علماء التواريخ: جميع ما عُرفَ في الأرض من الجبال مئة وثمانية وتسعون جبلاً، ومن أعجبها جبل سرنديب[1]، وطوله مئتان ونيف وستون ميلاً، وفيه أثرُ قدم آدم حين أُهبط، وعليه سنا البرقِ لا ينقطع شتاءً ولا صيفاً، وحوله حجارة ياقوت، وفي واديه حجر الماس الذي يقطع به الصخور، ويثقب اللؤلؤ، وفيه العود والفلفل، ودابة المسك، ودابة الزَّباد[2].

وجبل الردم الذي فيه السد، طوله سبعمئة فرسخ، وينتهي إلى البحر المظلم.

● **فصل معادن الأرض:**

قالوا: في الأرض سبعمئة معدن، ولا ينعقدُ الملح إلا في السَّبَخ[3]، ولا الجصّ إلا في الرمل والحصى، والبحر الأعظم محيطٌ بالدنيا، وجميعُ البحار تستمد منه[4].

● **فصل آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما:**

قالوا: وعاش آدم ألفَ سنة، وولدت له حواءُ أربعين بطناً، في كلِّ بطنٍ ذكر وأنثى، قالوا: فأول أولاده قابيل، وتوءمته أقليميا، ولم يمت آدم حتى رأى من أولاده وأولاد أولاده أربعين ألفاً، وانقرض نسلُهم، غير نسل شيث.

ثم انقرض النسل، وبقي أولاد نوحٍ وهم: سام، وحام، ويافث؛ فسام أبو العرب، وحام أبو الزَّنْج، ويافث أبو الروم والترك، ويأجوج ومأجوج بنو عم الترك.

---

(١) جبل في جزيرة سيلان، وهي تقع في المحيط الهندي جنوب شبه القارة الهندية.

(٢) **دابة الزَّباد**: الزَّباد: مثل السنور الصغير، يجلب من نواحي الهند، وقد يأنس فيقتنى، ويحتلب شيئاً شبيهاً بالزُّبد يظهر على حَلْمته بالعصر مثل ما يظهر على أنوف الغلمان المراهقين، وله رائحة طيبة.

(٣) **السَّبخ**: السَّبخة واحدة السِّباخ، يقال: أرض سبخة ذات ملح ونزّ.

(٤) ما ذكره الشيخ في هذا الفصل استناداً إلى ما كان شائعاً في عصره من العلوم الجغرافية.

● فصل في تسمية الحواريين:

شمعون الصفا، وشمعون القناني، ويعقوب بن زندي، ويعقوب بن حلقي، وقولوس، ومارقوس، وأندراوس، وبرثملا، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومتى.

● فصل من ملوك فارس:

كان أول ملوك الفرس: دارا، ملكَ نحواً من مئتي سنة، ثم ملك بعده خمسة وعشرون؛ منهم امرأتان، وكان آخر القوم يزدجرد، هلك في زمان عثمان، وكان مُلْكُهم خمسمئة سنة وكسراً.

وكان أظرفهم ولايةً ذو الأكتاف، فإنه لا يُعْرَف مَنْ مَلَك وهو في بطن أمه غيرُه، لأن أباه كان قد مات ولا ولد له، وإنّما كان هذا حَمْلاً، فقال المنجِّمون: هذا الحَمْل يملك الأرض، فوُضِعَ التاجُ على بطنِ الأمِّ، وكتب منه إلى الآفاق، وهو جنين، وسمي سابورَ، وإنَّما لقّبَ بذي الأكتاف، لأنه حين ملك كان ينزع أكتاف مخالفيه، وهو الذي بنى الإيوان، وبنى نيسابور وسجِسْتان والسوس.

وما زال الملكُ ينتقل بعده فيهم إلى أن ملك أنوشروان، وكان أحزمَهم، وكان له اثنا عشر ألف امرأة وجارية، وخمسون ألف دابة، وألفُ فيلٍ إلا واحداً، وفي زمانه ولد نبيُّنا محمد ﷺ، ومات لثمان سنين مضت من مولد نبينا ﷺ، ولما دخل المسلمون المدائن، أحرقوا ستر باب الإيوان، فأخرجوا منه ألفَ ألفِ مثقالٍ ذهباً.

● فصل في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً:

أربعةٌ تناسلوا، رأوا رسولَ الله ﷺ: أبو قحافة، وابنه **أبو بكر**، وابنه **عبد الرحمن**، وابنه **محمد**، ويكنى أبا عتيق.

أربعة إخوة كان بين كلِّ واحد منهم وواحد عشرُ سنين: أولادُ أبي طالب: **طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي**، فكان طالبُ أسنَّ من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسنَّ من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسنَّ من علي بعشر سنين.

ولا يعرف أخوان تباعدا في السنِّ مثل موسى بن عبيدةَ الرّبذي وأخيه عبيد الله بن عبيدة، فإنَّ **عبد الله أسنُّ من موسى بثمانين سنة**.

ومن العجائب: **ثلاث إخوة ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة**، ولهم من العمر **ثمان وأربعون سنة**: يزيد، وزياد، ومدرك بنو المهلّب بن أبي صُفرة.

ومن العجائب: **أربعة أنفس رزق كل واحد منهم مئة ولد: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمير الليثي، وخليفة السعدي، وجعفر بن سليمان الهاشمي**.

ومن العجائب: **ثلاثةٌ بنو أعمام**، كلُّهم كانوا في زمان واحد، كل واحد منهم اسمه علي، ولهم ثلاثة أولاد، كل واحد منهم اسمه محمد. الآباء والأبناء علماء أشراف، وهم: **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبدالله ابن العباس، وعلي بن عبد الله بن جعفر**.

ومن العجائب: **أنه في ليلة السبت لأربعَ عشْرَةَ بقين من ربيع الأول سنة** تسعين ومئة، مات الهادي، واستُخْلِف الرشيدُ، ووُلد المأمون.

ومن العجائب: **أنّه سلَّم على الرشيد بالخلافة عمُّه** سليمانُ بن المنصور، **وعم أبيه** المهدي وهو العباس بن محمد، **وعم جَدِّه** المنصور، وهو عبد الصمد ابن علي، وقال له عبد الصمد يوماً: يا أميرَ المؤمنين هذا مجلسٌ فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعمُّ عمِّ أمير المؤمنين وعمّ عمِّ عمِّه، وذلك أنّ سليمان بن أبي جعفر عمُّ الرشيد، والعباس عمُّ سليمان، وعبد الصمد عمُّ العباس.

ومن العجائب: **أنَّ** عبد الصمد حجَّ بالناس سنة خمسين ومئة، وقد حجَّ قبلـه يزيد بن معاوية سـنة خمسين: **وهما في النسب إلى عبد مناف سواء**، لأن يزيـد هو ابن معاويةَ بنِ صخر بن حـرب بن أميةَ بن عبد شمس بن عبد مناف، وعبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ومن العجائب: وقد سلَّم على المتوكل بالخلافة **ثمانية**، كلهم ابن خليفة: المنتصر ابنه، ومحمد بن الواثق، وأحمد بن المعتصم، وموسى بن المأمون،

وعبد الله بن الأمين، وأبو أحمد بن الرشيد، وأبو العباس بن الهادي، والمنصور ابن المهدي.

ومن العجائب: قد ولي الخلافة: أخوان، وثلاثة، وأربعة.

فأما **الأخوان**: فالسفاح والمنصور، والهادي والرشيد، والواثق والمتوكل ابنا المعتصم، والمسترشد والمقتفي.

وأما **الثلاثة**: فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد، والمستكفي والمقتدر والقادر بنو المعتضد، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر.

وأما **الأربعة فلم يكونوا إلا بني عبد الملك**[1].

- ومن العجائب المختصة بالنساء:

من ذلك **أن امرأة شهد لها بدراً سبعة بنين مسلمين وهي: عفراء بنت عبيد**، تزوجها الحارث بن رفاعة، فولدت له معاذاً ومعوِّذاً، ثم تزوجها بُكير فولدت له إياساً وخالداً، وعاقلاً وعامراً، ثم رجعت إلى الحارث، فولدت له عَوْفاً، فشهدوا كلُّهم بدراً، ويخرج من هذا جواب السائل هل تعرفون أربعة إخوة لأب وأم شهدوا بدراً مسلمين؟

ومن هذا الجنس: **امرأة كان لها أربعة إخوة وعَمَّان شهدوا بدراً، فأخوان وعمٌّ مع رسول الله ﷺ، وأخوان وعمٌّ مع المشركين، وهي هند بنت عتبة بن ربيعة، فالأخوان المسلمان: أبو حذيفةَ بن عتبة ومصعب بن عمير، والعم المسلم: معمر ابن الحارث، والأخوان المشركان: الوليد بن عتبة وأبو عزيز، والعم المشرك شيبةُ بن ربيعة.**

ومن العجائب: أن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان كان له أربع بنات: عبدة، وعائشة، وأم سعيد، ورقية، تزوجهن أربعة من الخلفاء: تزوج عبدةَ الوليد بن عبد الملك، وعائشة سليمان، وأم سعيد يزيد بن عبد الملك، ورقية هشام.

---

(١) وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام.

وكان لهذا الرجل، أعني عبد الله بن عمرو، ولدٌ اسمه محمد كان يقال له: الديباج لحسنه، وكان لمحمد بنتٌ اسمها حفصةُ لا يُعرف امرأة ولَدها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير والحسين وابن عمر سواها.

أما **ولادة رسول الله ﷺ لها**، فإن أمَّ أبيها محمدٍ فاطمةُ بنت الحسين بن علي، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ومن طريق **الحسين بن علي** ولادته لها، وولادة **علي** لها.

وأما ولادة أبي بكر لها، فإنَّ أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق، ومن طريق عروةَ ولدها **الزبير**.

وأما ولادة عمر لها، فإنّ أم جدّها عبدِ الله زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فمن هذه الطريق ولادة عمر لها.

وأما **ولادة عثمان لها**، فمن طريق أبيها.

وأما **ولادة طلحة** فإنّ جدتها من قِبَلِ أبيها هي أم إسحاقَ بنتُ طلحةَ بنِ عبيد الله.

ومن العجائب: **امرأة ولدت خليفتين**، وهنّ **ثلاث**:

الأولى: **ولادة بنت العباس العبسية**: تزوّجها عبد الملك بن مروان، فولدت له: **الوليدَ وسليمان** فَوليا الخلافة.

والثانية: **شاهْفِرِنْد بنت فيروز بن يزدجرد**: تزوجها الوليد بن عبد الملك، فولدت له: **يزيدَ وإبراهيم**، فوليا الخلافة.

والثالثة: **الخَيْزُران**: ولدت للمهدي **الهاديَ والرشيدَ**.

● فصلٌ في الجدوب وعموم الموت:

أجدبت الأرض (في سنة ثماني عشرة) فكانت الريحُ تسفي تراباً كالرماد، فسمي **عامَ الرمادة**، وجعلت الوحوشُ تأوي إلى الإنس، فآلى عمرُ ألا يذوقَ سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناسُ، واستسقى الناسُ بالعباسِ فسُقوا.

وفيها كان **طاعونُ عَمْواس**، مات فيه أبو عبيدة، ومعاذ، وأنس.

وفي سنة أربع وستين وقع **طاعونٌ بالبصرة** وماتت أم أميرهم، فما وجدوا مَنْ يحملها.

وفي سنة ست وتسعين كان **طاعون الجارف**، هلك في ثلاثة أيام سبعون ألفاً، ومات فيه لأنس ثمانون ولداً، وكان يموتُ أهلُ الدار، فَيُطَيَّنُ الباب عليهم.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومئة مات أولَ يوم في **الطاعون** سبعون ألفاً، وفي الثاني نيفٌ وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث خمد الناس.

وفي سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمئة **كثر الموت**، وكان يُدفَنُ في القبرِ الواحدِ جماعة.

وفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة ذُبحَ الأطفال، وأُكِلَتِ الجيفُ، وبيع العقارُ برغيفَيْن، واشتري لمُعزِّ الدولة كُرٌّ[1] دقيقٍ بعشرين ألف درهم.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة **عمت الأمراض البلاد**، فكان يموتُ أهلُ الدار كلهم.

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة أصاب أهل البصرة حرٌّ، فكانوا يتساقطون موتى في الطرقات.

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمئة **عم القحطُ**، فأُكلتِ الميتةُ، وبلغ المكُّوك[2] من بزر البقلة سبعة دنانير، والرُّمَّانةُ بدينار، والسفرجلة بدينار، والخيارة واللينوفرة بدينار.

وورد الخبرُ من مصر بأنَّ ثلاثةً من اللصوص نقبوا داراً فوُجِدُوا عند الصباح موتى، أحدهم على باب النقب، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على الثياب المكوَّرة.

---

(١) **الكُرّ**: مكيال يعادل (٢٨٨٠) كغ من القمح. انظر: (المكاييل والموازين) من منشورات الجامعة الأردنية.

(٢) **المكّوك**: مكيال يعادل (٦) كغ من القمح. المرجع السابق.

وفي السنة التي تليها وقع وباءٌ، فكان تحفر زُبْية[1] لعشرين وثلاثين فيُلقَوْن **فيها**، وتاب الناس كلُّهم، وأراقوا الخمور، ولزموا المساجد.

وفي سنة ست وخمسين وأربعمئة **وقع الوباءُ**، وبلغ الرطل من التمر الهندي أربعة دنانير.

وفي سنة اثنين وستين وأربعمئة **اشتد الجوع والوباءُ بمصرَ**، حتى أكل الناسُ بعضهم بعضاً، وبِيْعَ اللوز والسكر بوزن الدراهم، والبيضةُ بعشرة قراريطَ، وخرج وزير صاحب مصر إليه فنزل عن بغلته، فأخذها ثلاثة فأكلوها، فصُلبوا، فأصبح الناس لا يرون إلا عظامهم تحت خشبهم، وقد أُكلوا.

وفي سنة أربع وستين وأربعمئة **وقع الموتان**[2] **في الدواب**، حتى إنَّ راعياً قام إلى الغنم وقت الصباح ليسوقها فوجدها كلَّها موتى.

● فصل في الزلازل والآيات:

زلزلت الأرض على عهد عمرَ في سنة عشرين.

ودامتِ الزلازل في سنة أربع وتسعين: أربعين يوماً، وقعت الأبنيةُ الشاهقةُ، **وتهدَّمت أنطاكية**.

وفي سنة أربع وعشرين ومئتين **زلزلت فِرْغانة، فمات فيها خمسةَ عشرَ ألفاً**.

وفي السنة التي تليها **رجفت الأهواز**، وتصدّعتِ الجبال، وهرب أهلُ البلد إلى البحر والسفن، ودامت ستة عشر يوماً.

وفي السنة التي تليها **مُطر أهل تيماء**[3]، مطراً وبَرَداً كالبيض، فقتل بها ثلاثمئة وسبعون إنساناً، وسُمع في ذلك صوت يقول: ارحمْ عبادك، اعفُ عن

---

(١) **الزبية**: بالضم حفيرة الأسد.

(٢) **الموتان**: ضد الحيوان، والمواتُ والموتان: كله الموت، يقع في المال والماشية، قال الفرَّاء: وقع في المال موْتان: هو الموت، وفي الحديث: **«يكون في الناس موتان كقُعاص الغنم»** والموتان: الموت الكثير الوقوع.

(٣) بالفتح والمد: بليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام.

عبادك، ونظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع، وعرضها شبران، والخطوة إلى الخطوة خمسةُ أذرعٍ أو ست، فاتبعوا الصوتَ فجعلوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً.

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئتين **رجفت دمشق** رجفةً حتى انقضَّتْ منها البيوت، وسقطت على مَنْ فيها، فمات خلقٌ كثير، وانكفأت قريةٌ في الغوطة على أهلها، فلم ينجُ منهم إلا رجلٌ واحد، **وزلزلت أنطاكية** فمات منها عشرون ألفاً.

وفي السنة التي تليها **هبت ريحٌ شديدة** لم يُعهد مثلُها، فاتصلت نيفاً وخمسين يوماً، وشملت بغدادَ والبصرة والكوفة وواسط وعَبَادان والأهواز، ثم ذهبت إلى همذان، فأحرقتِ الزرع، ثم ذهبت إلى الموصل، فمنعتِ الناسَ من السعي، فتعطلت الأسواق. **وزُلزلتْ هراةُ** فوقعت الدور.

وفي سنة ثمان وثلاثين [ومئتين][1] وجَّه طاهر بن عبد الله إلى المتوكل حجراً سقط بناحية طبرستان، وزنه ثمانمئة وأربعون درهماً، أبيض، فيه صدع، وذكروا أنّه سُمعَ لسقوطه هدَّة أربع فراسخ في مثلها، وأنه ساخَ في الأرض خمسة أذرع.

وفي سنة أربعين ومئتين خرجت ريحٌ من بلاد الترك، فمرت بمرو فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام، ثم صارت إلى نيسابور، وإلى الري، ثم إلى همذان وحلوان، ثم إلى العراق، فأصاب أهلَ بغداد وسرَّ مَنْ رأى حُمَّى وسُعال وزكام.

وجاءت كتب من المغرب أن ثلاث عشرة قرية من **قرى القَيروان** خُسِفَ بها، فلم ينجُ من أهلها إلا اثنان وأربعون رجلاً سودُ الوجوهِ، فأتوا القيروان فأخرجهم أهلها، وقالوا: أنتم مسخوطٌ عليكم، فبنى لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها.

وفي سنة إحدى وأربعين [ومئتين][2] **ماجت النجوم في السماء**، وجعلت تتطاير شرقاً وغرباً كالجراد، من قبل غروب الشمس إلى الفجر، ولم يكن مثلُ

(١) زيادة من المحققين للتوضيح.
(٢) زيادة من المحققين للتوضيح.

هذا إلا عند ظهور رسول الله ﷺ.

وفي السنة التي تليها **رُجمت قرية يقال لها: السويداء** ناحية مصر بخمسة أحجار، فوقع حجر منها على خيمة أعرابي فاحترقت، ووزن منها حجرٌ فكان فيه عشرة أرطال.

وزلزلت الرّي وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد، **وزلزلت الدامغان** فهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً، وتقطعت جبال، ودنا بعضها من بعض، وسمع للسماء والأرض أصوات عالية، فهلك من أهلها [خمس وأربعون ألفاً][1].

وسار جبل باليمن، عليه مزارع، حتى أتى مزارع قوم آخرين.

ووقع طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب على دُلبة[2] بحلب، لسبع مضيْنَ من رمضان، فصاح: يا معشر الناس، اتقوا الله، اللهَ، اللهَ، حتى صاحَ أربعين صوتاً ثم طار، وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً ثم طار، فكتب صاحبُ البريد بذلك، وأشهد خمسمئة إنسان سمعوه.

ومات رجل في بعض كور الأهواز فسقط طائر أبيض على جنازته، فصاح بالفارسية والحوزية: إنَّ الله قد غفر لهذا الميت ولمن شهده.

وفي سنة خمس وأربعين ومئتين **زلزلت أنطاكية فسقط منها ألف وخمسمئة دار، ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً، وسمع أهلها أصواتاً هائلة، من كُوى المنازل.**

وسمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت فمات منها خلق كثير.

وذهبت جيلة[3] بأهلها.

وفي سنة خمس وثمانين ومئتين مطرت قريةٌ حجارةً بيضاء وسوداء.

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم: ١١/ ٢٩٤، للمؤلف.

(٢) **دُلبة**: شجرة.

(٣) حصن باليمن.

وفي سنة ثمانٍ ومئتين زلزلت دُنْبُل[1] في الليل، فأصبحوا، ولم يبق من المدينة إلا اليسير، فأخرج من تحت الهدم خمسون ومئة ألف ميت.

وفي سنة تسعَ عشرة وثلاثمئة عَدَلَ الحاجُّ عن الجادة خوفاً من العرب، فرأوا في البرية صورَ ناسٍ من حجارة، ورأوا امرأة قائمة على التنور وهي من حجارة، والخبز الذي في التنور من حجارة.

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة هبت ريحٌ **بفم الصلح**[2]، شبهت بالتنين، جرفت دجلة، حتى ذكر أنّه بانت أرضها، وأهلكت خلقاً كثيراً، واحتملت زورقاً منحدراً، وفيه دواب، **فطرحته في أرض جوحى**[3].

وفي سنة عشرين وأربعمئة جاء **بَـرَد هائل**، ووقعت بردة حُزِرت بمئـة وخمسين رطلاً، فكانت كالثور النائم[4].

وفي سنة أربع وثلاثين [وأربعمئة][5] **زلزلت تبريز**، فهدم سورها وقلعتها، وهلك تحتَ الهدمِ خمسون ألفاً.

وفي سنة أربع وأربعين وأربعمئة كانت **بأذربيجان زلازل**، انقلعت منها الحيطان، فحكى من يعتمَدُ على قوله أنّه كان قاعداً في إيوان داره، فانفرج سقفه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد.

وفي سنة ستين وأربعمئة كانت **زلزلة بفلسطينَ**، هلك فيها خمسة عشر ألفاً، وانشقت صخرة بيت المقدس، ثم عادت فالتأمتْ، وغاضَ البحر مسيرةَ يوم، فساخ في الأرض، فدخل الناس يلتقطون، فرجع عليهم فأهلك خلقاً كثيراً منهم.

وفي سنة اثنتين وستين [وأربعمئة][6] **خُسف بأيلة**[7].

---

(١) **دُنْـبُـل**: كقنفذ؛ أكراد حول الموصل، فأراد موضعهم.

(٢) **فم الصلح**: نهر عند واسط.

(٣) **جوحى**: بالجيم والواو فالحاء المهملة والألف المقصورة، قرية من عمل بغداد.

(٤) في خ ل: القائم.

(٥) زيادة من المحققين للتوضيح.

(٦) زيادة من المحققين للتوضيح.

(٧) **أيلة**: مدينة على ساحل خليج العقبة.

وفي سنة ست وخمسمئة **سُمع ببغداد هدةٌ عظيمةٌ** في أقطار بغداد في الجانبين، قال شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي: أنا سمعتها، فظننتُ حائطاً قد وقع، ولم يُعلم ما ذاك، ولم يكن في السماء غيم، فيقال: رعدٌ.

وفي السنة التي تليها وقعت **زلزلة بناحية الشام**، فوقع من سور الرها[1] ثلاثة عشر برجاً.

وخُسف **بسميساط**[2] وقلب بنصف القلعة.

وفي سنة إحدى عشرة وخمسمئة **زلزلت الأرض ببغداد** يوم عرفة، فكانت الحيطان تمرُّ وتجيء.

وفي سنة خمسَ عشرةَ **وقع الثلج ببغداد**، فامتلأت منه الشوارعُ والدروب، ولم يُسمع قبله بمثله.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة كانت **زلزلة بِجَنْزة**[3]، أتت على مئتي ألف وثلاثين ألفاً فأهلكتهم، وكانت في مقدار عشرة فراسخَ في مثلها.

وفي السنة التي تليها **خُسف بجَنْزة**، وصار مكان البلد ماء أسود، وقدم التجار من أهلها فلزموا المقابر يبكون على أهليهم.

وزلزلت حلوان فتقطع الجبل، وهلك خلق كثير.

وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمئة كانت **زلازل بالشام** في ثلاثة عشر بلداً من بلاد الإسلام، فمنها ما هلك كله، ومنها ما هلك بعضه.

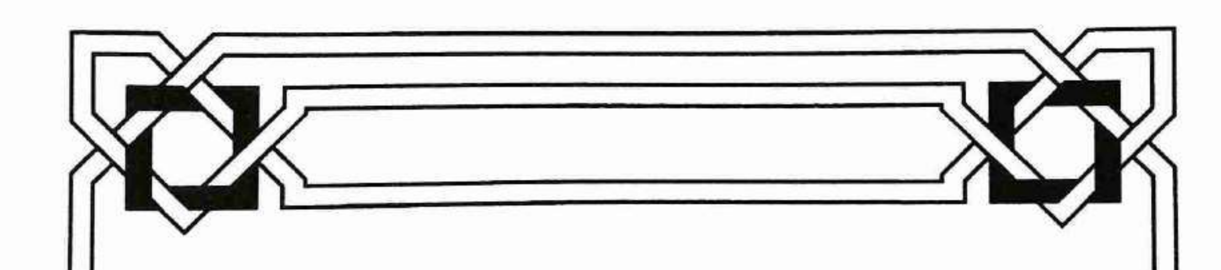
* * *

---

(١) **الرها**: بلد بنواحي الشام.

(٢) **سميساط**: بلد على الفرات.

(٣) **جنزة**: بفتح الجيم وسكون النون والراء المعجمة بلدة عظيمة بإيران.



الباب الخامس

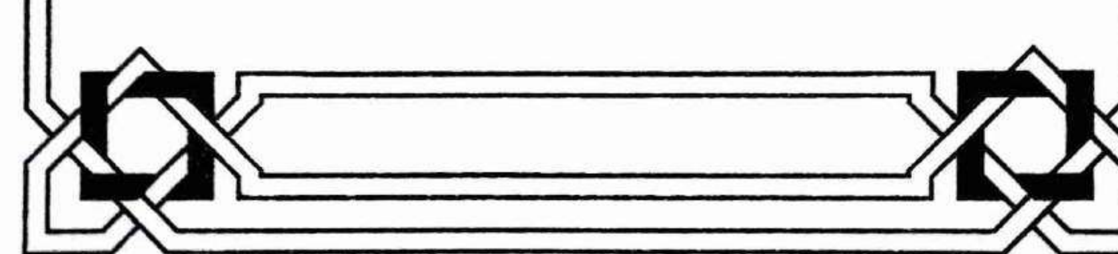
في ذكر المواعظ

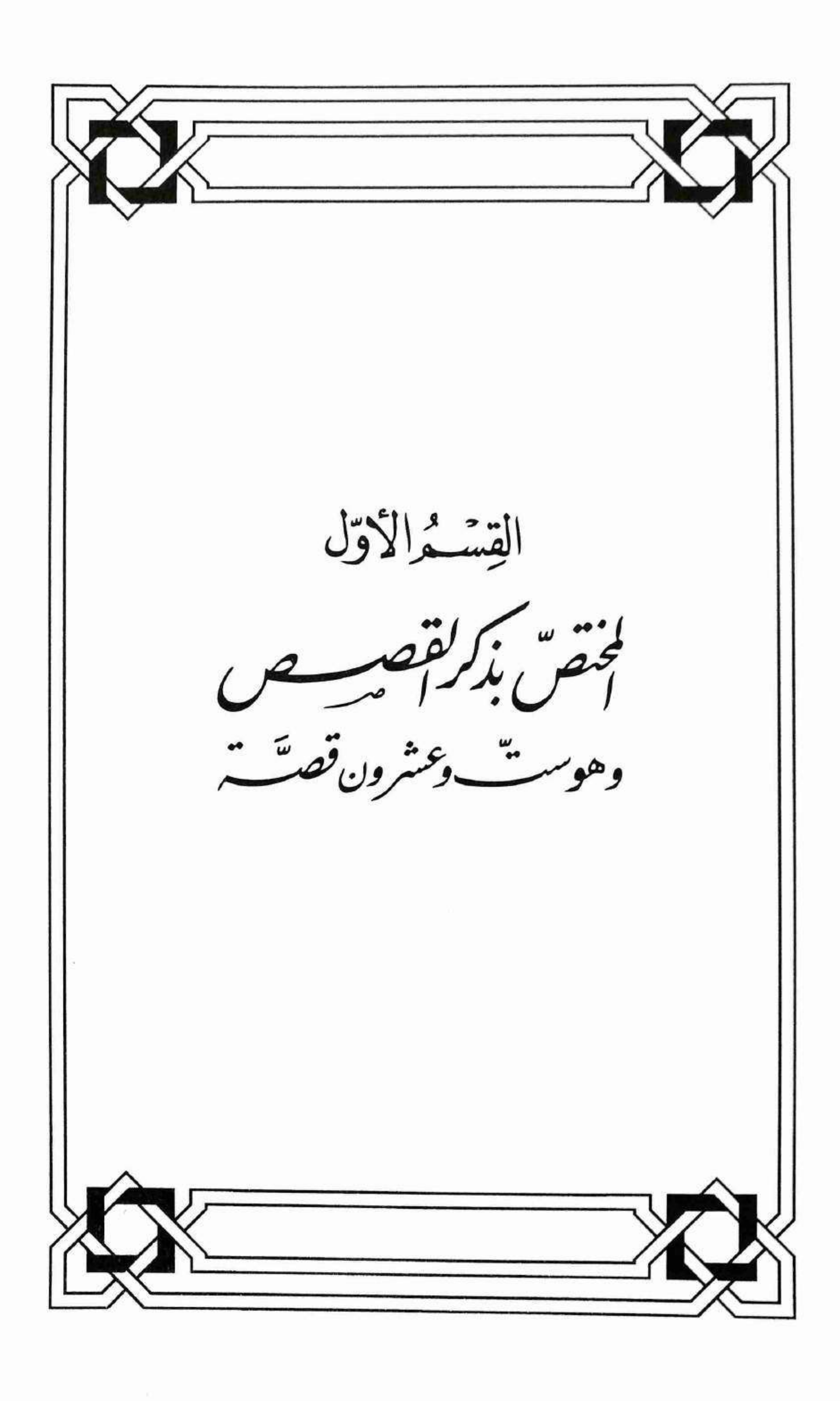
وهذا الباب ينقسم قسمين:

القسم الأول: يختص بذكر القصص.

والقسم الثاني: فيه المواعظ والإشارات مطلقاً.

* * *





القِسمُ الأوّل

المختصّ بذكر القصص

وهو ستّ وعشرون قصّة

الفَصْلُ الأوَّلُ

في قصة آدم عليه السلام

اعلموا أنَّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام آخر الخلق، لأنّه مهَّدَ الدارَ قبلَ الساكنِ، وأقامَ عُذْرَه قبلَ الزَّللِ، بقوله تعالى: ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، فظنَّتِ الملائكةُ أنَّ تفضيله بنفسِه، فضنَّتْ بالفضلِ عليه، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فقوبلوا بلفظ: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠] .

فلما صوَّره، ألقاه كاللَّقا[١]، فلمّا عاين إبليسُ تلكَ الصورةَ، باتَ مِنَ الهمِّ في صَوْرة[٢]، فلمّا نُفخَ فيه الروحُ باتَ الحاسِدُ ينوحُ.

ثم نودي في نادي الملائكة: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] ، فتطهروا من غديرِ ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] .

وغودر الغادِرُ نَجِساً بكبرياء ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [صٓ: ٧٦] . ثم حام العدوُّ حولَ حمى المحمي، فلولا سابِقُ القدر، ما قَدِرَ على آدم.

فلمَّا نـزلَ إلى الأرض، خـدَّ خدَّ[٣] الفَرَحِ بمدمعِ التَّرَحِ[٤]، حتى أقلقَ الوجودَ، فجاء جبريلُ، فقال: ما هذا الجهدُ؟ فصاحَ لسانُ الوَجدِ:

(للخفاجي):

مـا رحلـتِ العيـسُ عـن أرضِكُـم ... فـــرأتْ عينـــايَ شيئـــاً حَسَنـــا

هــل لنــا نحــوكــم مِــنْ عَـوْدَةٍ ... ومِــنَ التَّعليـلِ قـولـي: هَـلْ لنـا

---

(١) كاللقا: كالعصا: الشيء الملقى المطروح كاللقطة.

(٢) صورة: يقال: إني لأجد في رأسي صَورة، أي: شبه الحكّة يجدها الإنسان في رأسه حتى يشتهي أنه يُفلَى.

(٣) خدَّ الأولى: حفر، خدَّ الثانية: خدّ الوجه.

(٤) الترحُ: الحزنُ.

يا آدمُ! لا تجزعْ مِنْ كأسِ خطأٍ كانَ سببَ كَيَسِكَ، فلقد استَخرجَ منك داءَ العُجْبِ، وألْبسَكَ رداءَ النُّسكِ، «لو لم تُذْنِبُوا لذهبَ اللهُ بكم، وجاءَ بقومٍ»[١]

(للمتنبي):

لعـلَّ عَتْبَـكَ محمـودٌ عـواقِبُـه   وربَّمـا صَحَّـتِ الأجسـامُ بـالعِلَـلِ

لا تحزن لقولي لك: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٣]، فلك خلَقْتُها، ولكنِ اخرُجْ منها إلى مزرعةِ المجاهدةِ، وسُقْ من دمعِك ساقيةَ ساقيةٍ[٢] لشجرةِ ندمِكَ، فإذا عادَ العُودُ خَضِراً فعُد.

(للبحتري):

إنْ جَـرَى بيننـا وبينـكِ عتـبٌ   أو تنـاءَتْ منـا ومنـكِ الـدِّيـارُ
فـالغليـلُ[٣] الـذي عهِـدْتِ مقيـمٌ   والـدمـوعُ التـي شَهِـدْتِ غِـزَارُ

ما زالتْ زَلَّةُ الأكلةِ تعادِه[٤]، حتى استولى داؤه على أولادِه، فنمت هينمةُ[٥] الملائكة، بعبارةِ نظرِ العاقبةِ، فنشروا مطويَّ ﴿أَتَجْعَلُ﴾ [البقرة: ٣٠].

قرعوا بعِصيِّ الدعاوي ظهورَ العُصاة، فقيل لهم: لو كنتم بين أفاعي الهوى وعقارب اللذات، لباتَ سليمُكم سليماً[٦]، فأبوا للجرأة إلا جرَّ جرير[٧] الدعاوي، وحدّثوا أنفسهم بالتُّقى والتقاوي[٨]، فقيل: نقّبوا عن خيارِ نقبائكم، وانتقُوا مَلَك الملكوت، فما رأوا لمثلها مثلَ هاروت وماروت[٩]، فآبا لسفر البِلا

---

(١) رواه الإمام أحمد في (المسند) بلفظ: «**لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم**».
(٢) **ساقية الأولى**: اسم فاعل من سقى، **وساقية الثانية**: مجرى ماء.
(٣) **الغليلُ**: شدّة العطش.
(٤) **تعاده**: لعلها تعاوده، أي: تأتيه ذكراها مرة بعد مرة.
(٥) الصوت الخفي.
(٦) **سليمكم سليماً**: سليم الأولى بمعنى المعافى، سليم الثانية بمعنى: الملدوغ.
(٧) **جرير**: كأمير؛ الحبل.
(٨) **التقاوي**: إظهار القوة.
(٩) أخرج القصة الإمام أحمد في (المسند)، وابن ماجه، والطبري في (التفسير)؛ والحاكم=

بالبلية، فما نزلا مِنْ مقام العصمة، فنزلا منزل الدعوى، فَرَكبا مركب البشرية، فمرّت على المرأين[1] امرأةٌ يقال لها: الزُّهرة، بيدها مِزهرُ زهرةِ الشهوة، فغنّت الغانيةُ بغنّة أغنّ[2]، فرنت قيانُ الهوى، فهوى الصوتُ في صوبِ قلبِ قَلْبيهما، فقلبَهما عن تقـوى التقويم، فانهارَ بنـاءُ عزمِ هاروت، ومارَ همُّ حزمِ مـاروت، فأراداها على الردى فراوداها، وما قتل الهوى نفساً فوداها[3]، فبسـطت نِطْع التنطّع على تخت التخيير، إما أن تُشركا، وإما أن تَقْتلا، وإما أن تشربا، فظنّا سهولة الأمر في الخمر، وما فطنا، فلمّا امتد ساعِدُ الخلاف، فسقى فِسْقاً[4]، فدخلا سككَ السُّكر، فزلا في مزالقِ الزنى، فرآهما مع الشـخصية شـخصٌ، فشَخصا إليه فقتلاه، ففشت فتنتُهما في فئة الملائكة، فاتخذوا لتلك الواردة وِرْداً من تضرع: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

* * *

= في (المستدرك). وقد أعلّها غيرُ واحد من العلماء، وعدها من خرافات بني إسرائيل التي لا يعوّل عليها، ورفعُها للنبي ﷺ خطأ ووهم. انظر: كتاب التوابين، لابن قدامة، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ص١٤.

(١) **المرأين**: المقصود: هاروت وماروت حين ظهرا بصورة رجلين.

(٢) **غنة أغن**: الغنة: صوت في الخيشوم، والأغن: الذي يتكلّم من قبل خياشيمه.

(٣) **فوداها**: أي دفع ديتها.

(٤) **فسقًا**: أي خمراً.

الفَصْلُ الثَّانِي

في بناء الكعبة

لما علا كعبُ الكعبةِ على سائرِ البقاع بقاعِ العلم، أبرزتْها كفُّ الإيجادِ كالكاعِبِ[(١)] قبلَ وجودِ الأرضِ، وكان آدمُ أولَ من ساسَ الأساسَ، ثم بَيّتَ للبيتِ البياتُ[(٢)] طوافَ الطُّوفان، فحلَّ ماحِلَ[(٣)] أزرارِ حُللِ الخليلِ.

فلمّا هاجرَ الخليلُ بهاجر وابنها، أوضعَ[(٤)] بهما، فوضعهما هنالك، وتولّى راضياً بمَنْ تولاه يومَ ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فقالت هاجر: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فرجعت متوكئة على مِنْسأة[(٥)] التوكل على من لا ينْسى، فجعلت تشربُ ما معها من ماء، وتُرضِعُ لبنَها ابنَها، فلما نفدا، جعل إسماعيلُ يتلوَّى على رَمَض[(٦)] رمضانِ الصوم، فانطلقت لتبذل المجهودَ في مأمور ﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥]، فصعدتْ بأقدام الصَّفا على الصَّفا[(٧)]، فلمَّا أطلت الطَّلَّةُ[(٨)] على الطَّلَلِ[(٩)]، توكّفت[(١٠)] طَلَّ[(١١)] روحٍ ينْقَع الغُلَّة[(١٢)]، ثم جَرَتْ فجدَّتِ

---

(١) **كالكاعب**: الفتاة التي نهد ثدياها.

(٢) **البيات**: هو أن يُقصد المبيَّتُ في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة.

(٣) **ماحِلَ الأرض**: الجدب القفر.

(٤) **أوضع**: أسرعَ.

(٥) **المنسأة**: العصا.

(٦) **رمَض**: شدة الحر.

(٧) **بأقدام الصفا على الصفا**: الصفا الأولى من الصفاء، والثانية هي جُبيلٌ صغيرٌ يبدأ منه الحاج أو المعتمر أشواطَ السعي حاكياً ما فعلته هاجر رضي الله عنها.

(٨) **الطلة**: المرأة؛ أي: هاجر.

(٩) **الطلل**: هو الموضع المرتفعُ من المكان، ويقصد به الصفا.

(١٠) **توكّفت**: توكّف الأثر: تتبّعه، والخبر: توقعه.

(١١) **طل**: الطل: المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندى.

(١٢) **ينقع**: يروي. **الغلة**: شدة العطش وحرارته.

الجُدَدَ[١] بالجِدِّ هابطةً، فلما طَرِفَ طَرَفُ[٢] الوادي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِها، ثم وسَّعت خُطاها، وسعَتْ للجَهد بجُهدِ[٣] ذَرْعِها[٤]، ثم أتت المرأةُ المروةَ، وعادت إلى الصفا سبعاً، فلذلك أُمِرَ المكلَّفُ أن يسعى، لأنه أثرُ قدمِ مِقدام لتُصيبَ الأقدامُ نصيباً من مواطئ ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فسمعت صوتاً مِنْ صوبٍ[٥]، فنزل الملَكُ ليزيلَ النازلةَ، فهيأ نُزُلَ النزيلِ النزيهِ، فزمزمَ[٦] ماءُ زمزمَ، ونزا نَزْواً[٧]، لا نزَّ[٨] نزّاً، فَحَصْحَصَ[٩] الماءُ في صَحْصَحِ[١٠] الحصى، فامتدَّ كفُّ الحِرْصِ فلفَقَت[١١] كالحوضِ، فقيل لها: ليس هذا الماءُ من كِيْسِ كسبكِ، فما هذا المذقُ[١٢] من حرصِ فعلكِ، ولو تركتِ زمزم لكانت عيناً معيناً[١٣].

فمرّت رِفقةٌ من جُرْهمٍ[١٤]، فجرَّهم[١٥] سؤالُ ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فأقاموا.

واشتاق الخليلُ إلى ابنِه، فاستاقَ راحلةَ الرحيل، فاشترطَ لسانُ غَيْرةِ

---

(١) **الجدد**: الأرض المستوية، **وجدّت**: قطعت.
(٢) **طَرِف**: كفرح أي: تطرف وبعدُ، **وطَرَف**: بفتح الطاء والراء: الجانب.
(٣) **الجُهدُ**: بضم الجيم الوسع والطاقة، **الجَهد**: بفتح الجيم: كلُّ نشاطٍ يبذلُه الكائن الحي الواعي جسمياً وعقلياً ويهدف لغاية.
(٤) يقال: **ذرع الطريق**: قطعه بسرعة كأنه يقيسه.
(٥) **صوب**: ناحية.
(٦) **زمزم**: أي صوت متتابع، كناية عن تفجّره بركضة جبريل عليه السلام. يقال: زمزمَ الحصانُ: طرّب في صوته.
(٧) **نزا نزواً**: وثب، فار فوراناً.
(٨) **نزّ**: نزّ الماء تحلّب من الأرض.
(٩) **حصحص**: بان وظهر.
(١٠) **صحصح**: الأرض المستوية الواسعة.
(١١) **لفقت**: ضمت الماء، يقال: لفق الثوبَ؛ ضمَّ إحدى شقيه إلى الأخرى وخاطهما.
(١٢) **المذق**: المزجُ والخلطُ، يقال: مذقَ اللبن بالماء: مزجه وخلطه. يشير إلى أنّه لا ينبغي أن تخلطَ ما وهبها الله من الماء بما يدفع عليه الحرص.
(١٣) **معيناً**: سهلاً سائلاً.
(١٤) **جُرهم**: قبيلة من قبائل العرب.
(١٥) **فجرّهم**: فأتى بهم ودفعهم.

سارةَ، ألا تنْزِل، فلم يَـزُل عن مكانِه، لئلا ينزلَ عن مكانة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، فقدَّمت زوجةُ إسماعيلَ إليه المقامَ فقام، فقَدَّت[١] فيه قدمُه، وغابت رِجلُ الرَّجُلِ، فحولته إلى يساره، فسرَتْ فيه اليُسرى[٢]، فهتف دليلُ الإرشادِ بالقاصدين: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

فلمَّا أُمِرَ الخليلُ ببناءِ البيتِ، حارَ مَنْ لا يعلمُ مرادَ الآمر، فإذا سحابةٌ تسحبُ ذيلَ الدليلِ، قد قدّها المهندسُ القدريُّ على قدر البيت، فوقفتْ فنادتْ: يا إبراهيم: عَلِّمْ على ظِلِّي، فلما عَلَّمَ كما عُلِّم، هبّتْ، فذهبتْ، فسرَّ بما فسّر له من مُشكِلِ الشَّكْلِ، فذلك سِرُّ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٢٦]، فكان استراحة البنّـاء المُعَنَّى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فلمَّا فـرَغا، وفغـرا فمَ السـؤال، يرتشفان ضرعَ الضراعة: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

فلمَّا شرفتِ الكعبةُ بإضافةِ ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ [الحج: ٢٦] قصدها فوجُ الفيلِ فَفَيَّل[٣] مرادَهم، لمّا باتوا على ما بيتوا، أقبلَ الطيرُ الذي رمَى كالغمام، فكانت قطراتُه للحَصَادِ لا للبَذْرِ، فأصبحَ لزرع الأجسادِ كالمِنْجَلِ الهاشِم، ليكونَ معجزةً لظهورِ ابنِ هاشمٍ، فأصبحَ في بيدر الدِّراس[٤] ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥].

* * *

---

(١) **قدّت**: شقت وغاصت.

(٢) يفهم من العبارة: أنَّ الحَجَرَ الذي غاصت فيه قدمُ الخليل هو الذي قدمته له زوجة إسماعيل عليه السلام، والتحقيقُ أنّه الحجر الذي ارتفعَ عليه إبراهيم عليه السلام حين ضعفُ عن رفع الحجارة التي كـان إسـماعيل يناولـه إياها في بناء البيت، وغرقت قدمـاه فيه، وهـذا في البخاري، وقال أنس رضي الله عنه: رأيتُ في المقام أثرَ أصابعه وعقبه وأخمص قدميه، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم (حكاه القشيري)، وقال السُّدّي: المقام الحجر الذي وضعته زوجةُ إسماعيل تحت قدم إبراهيم عليه السلام حين غسلت رأسه، وهناك من قال: الحج كله مقام، ومن خصص كعطاء فقال: عرفة ومزدلفة والجمار، وقال مجاهد: الحرم كلُّه مقام إبراهيم. وقد قال القرطبي في (تفسيره): والصحيح في المقام القول الأول، حسب ما ثبت في (الصحيح). قاله بعدما ساق الأقوال كلها، انظر: ٢/ ١١٣.

(٣) يقال: **فيّل رأيه**: ضعّفه وخطّأه.

(٤) **الدراس**: الدياس ؛ وطءُ الحصيدِ ليخرجَ منه الحَبُّ.

الفصل الثالث

في قصة نوح عليه السلام

لمّا عمَّ أهلَ الأرضِ العمى عمَّا خُلقوا له، بُعِثَ نوحٌ لجلاءِ أبصارِ البصائرِ، فمكثَ يداويهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، فكلُّهم أبصرَ، ولكنْ عن المحجَّةِ يتعامى، فلاحَ للاّحي[1] عدمُ فلاحهم، فولاهم الصّلا[2] إياساً من صلاحهم، وبعثَ شكايةَ الأذى في مسطور ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، فأذَّن مؤذِّنُ الطرْدِ، على باب دارِ إهدارِ دمائهم: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فقام نوحٌ في محراب ﴿لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦]، فأتته رسالة ﴿أَنِ ٱصْنَعِ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ونادى بريدُ الإعلام بالغضب: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ [هود: ٣٧]، فلمّا انهار كثيبُ الإمهالِ، وانقطع سِلْكُ التأخير، غربتْ شمسُ الانتظار، فادلهمّتْ عُقابُ[3] العِقابِ، فلمَّا انسدلت الظُّلمةُ، وفاتَ[4] النور ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠]، فقيل: يا نوح! قد حان حِيْنُ الحين[5]، فاحمل ﴿فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]، فتخلَّف خَلْفٌ[6] من ولدِه، فمدَّ يدَ الحُنُوِّ ليأخذه بيده: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، فأجاب عن ضمير خائض في المساوي: ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾ [هود: ٤٣]، فرد عليه لسان الوعيد: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣].

فلمّا انتقمَ من العصاةِ بما يكفي، كـفَّ كفُّ النجاةِ كفَّـة الأرضِ بقسْـر

---

(١) **اللاحي**: اللائم العاذل.

(٢) **الصلا**: وسط الظهر؛ أي: أعرض عنهم.

(٣) **عقاب**: الحرب (تاج العروس، مادة: عقب).

(٤) **فات**: ذهبَ.

(٥) **الحين**: الهلاك.

(٦) **خَلْفٌ**: بسكون اللام، الولد الذميم.

﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ [هود: ٤٤] ، وقلعَ جِذْع جَزَعِ[١] السَّما في وَكْفِ[٢] دَمْعِهَا بِظُفْرِ ﴿ أَقۡلِعِي ﴾ [هود: ٤٤] ، ونـوديتْ نجـوةُ الجـودي جــودي ، بـإنجـاءِ غـرقـى السـيـر ، وزُوِّدَ الهالكون في سَفَر الطَّرد زادَ ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا ﴾ [هود: ٤٤] .

* * *

(١) جذع : ساق النخلة . جَزَع : نقيض الصبر .
(٢) وكف دمعها : سيلانه .

الفصل الرابع

في قصة عاد(1)

لما تجبَّـرَ قومُ عادٍ في ظِلِ ظُلل ضلالهم حين أَملى(2) الأملُ وطولُ البقاء، وزُويَ ذِكرُ زوالهم، ومرُّوا في مشارع(3) عِذابِ الملاهي، ناسين مُرَّ عَذَابها، رافلينَ(4) في حُلَلِ الغفلةِ بالأمنية عن المَنيَّةِ، وإذا بها أقبلَ هودُ يهديهم، ويناديهم في ناديهم: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، فبرزوا في عتوٍّ ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، فسحبَ سَحابُ العذاب ذيلَ الإدبار، بإقباله إلى قُبالتهم، فظنّوه لمّا اعترى عارِضَ مَطَرٍ، فتهادَوْا تباشيرَ البشارة بتهادي ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فصاحَ بُلبلُ البَلبال(5) فبلبل(6): ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، فكان كلّما دنا وترامى، ترى ما كان كأن لم يكن، فحنظلت شجراتُ مشاجرتهم هوداً، فجنى مَنْ جَنى(7) مِنْ جَنْيٍ ما جنى(8) في مغنى ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، فراحتْ ريح الدَّبور، لكي تَسِمَ الأدْبار بكيِّ الإدبار، فعجّوا منها عجيجَ الأدبر(9)، فلم تزل تكوي تكوينَهم، بمَيْسم العُدم، وتلوي تلوينَهم إلى حياض دمِ الندم، وتكفأ عليهم الرمالَ، فتكفي تكفينهم،

---

(١) لم تذكر قصة عاد في الكتب السماوية سوى في القرآن الكريم، والآيات الواردة في هذا الفصل من السور التالية: الأعراف وفصلت والأحقاف والحاقة والقمر.

(٢) **أملى**: انفسح.

(٣) **المشارع**: الفرض التي تشرع فيها الواردة، أي: مآخذ الماء.

(٤) **رافلين**: متبخترين.

(٥) **البلبال**: شِدّة الهم والوسواس.

(٦) **بلبل**: فرّق وبدّد.

(٧) **فجنى**: من جني الثمر.

(٨) **جنى**: من الجناية.

(٩) **الأدبر**: لقب حِجْر بن عدي، نُبز به، لأنّ السّلاحَ أدبر ظهره، أو لأنّه طُعِنَ مولياً.

وتبرزُهم إلى البَراز[1] عن صون حصونٍ كِنٍّ يقيناً يقيهم[2]، فإذا أصبحتْ أخذتْ تنزع في قوسِ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ [القمر: ٢٠]، وإذا أمستْ أوقعت عَرِيضهم[3] في عُرْض[4] ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ [الحاقة: ٧]، فما برحتْ بارِحُهم[5] عن بَرَاحهم[6]، حتى برّحت[7] بهم، ولا أقلعتْ حتى قلعتْ قُلوعَ[8] قلاعِهم، فدامتْ عليهم آفةً وداءً، لا تقبل فداءً ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، فَحُسُوا[9] ما أذاقهم من سوء ما حاسوا[10]، ونُسفوا من قَفْرِ ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ [هود: ٦٠]، إلى يمّ ﴿وَأُتْبِعُوا۟﴾ [هود: ٦٠].

فلو عبرتَ بمعبر الاعتبار، لِتَرى ما آل إليه مآلهم، لرأيت التَّوى[11] كيف التوى عليهم، وكفَّ النَّوى، كيف نوى الدّنوَ إليهم، فانظر إلى عواقب الخلاف، فإنه شافٍ كافٍ.

* * *

---

(١) البراز: الفضاء الواسع.

(٢) يقيهم: يمنعهم.

(٣) عريضهم: أقواهم جسماً وأغلظهم.

(٤) عُرْض: ناحية.

(٥) بارحهم: الريح الباردة.

(٦) براحهم: ساحتهم.

(٧) برّحت: أجهدتهم.

(٨) قُلوعَ: جمع قِلْع، وهو شراع السفينة.

(٩) حُسوا: جُرعوا، والحسوة: ملءُ الفم مما يُحسى.

(١٠) ما حاسوا: ما أفسدوا، يقال: حاست المرأة ذيلها: إذا سحبته ووطئته كأنّها تفسده بالابتذال، وكذلك يقولون: هم يحوسون ثيابهم، إذا كانوا يفسدونها بالابتذال.

(١١) التوى: الهلاك.

الفصل الخامس

في قصة ثمود[1]

لما أعرضتْ ثمودُ عن كـلِّ فعلٍ صالحٍ، بُعـث إليهم للإصـلاح صالح، فتَعَـنَّـتَتْ عليه ناقةُ أهوائهم بطلب ناقةٍ، فخرجتْ من صخرةٍ صمّاء تُقَبْقِب[2]، ثم فَصَل عنها فصيلٌ يرغو، فارتعت[3] حول نَهْيِ نهيِهم عنها في حمى حماية ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ [الشعراء: ١٥٦]، فاحتاجتْ إلى الماءِ، وهو قليلٌ عندهم، فقال حاكِمُ الوحي: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وكانت يومَ وردِها، تقضي دينَ الماءِ بماءِ دَرِّها.

فاجتمعوا في حِلَّة[4] الحِيْلَةِ، على شاطئ غديرِ الغَدْرِ، فدارَ قُدار[5] حولَ عَطَن[6] ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ [القمر: ٢٩]، فصبَّ عليه صَيِّبَ صابٍ[7]، صاعُ صاعقةِ العذابِ الهُوْنِ، فحين دنا ودندنَ، دمغهم دمارُ ﴿فَدَمْدَمَ﴾ [الشمس: ١٤]، فأصبحتِ المنازِلُ لهولِ ذلك النازل ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

* * *

---

(١) انظر: سورة الأعراف والشعراء وهود.

(٢) **تقبقب**: تصوّت.

(٣) **ارتعت**: من الراعي؛ أي: أخذت في الرعي.

(٤) **حلة**: الحلة: منزل القوم وجماعة البيوت.

(٥) **قدار**: اسم عاقر الناقة.

(٦) **عطن**: مناخ.

(٧) **صيب صابٍ**: مطر مرّ لا خير فيه.

الفَصْلُ السَّادِسُ

في قصة الخليل عليه السلام

كان الكهنةُ قد حذَّرت نُمرُودَ وجودَ مُحارِب غالب، ففرَّقَ بين الرِّجالِ والنساءِ، فحُمِلَ به على رغم أنفِ اجتهاده، فلمَّا خاضَ المخاضُ في خِضَمٍّ أمِّ إبراهيم، وجَعَلت بين خَيْفِ[1] الخوفِ وحَيِّزِ التَّحَيُّرِ تَهيم، فوضعته في نهرٍ قد يَبِس، وسترته بالحَلْفَاءِ[2] ليَلْتَبِس، فكانت تختلِفُ[3] لرضاعه، وقد سبقها رَضاعُ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١].

فلمَّا بلغَ سبعَ سنين، رأى قومَه في هَزْلٍ ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الزخرف: ٢٢]، فجادلهم[4] فجدَلهم[5] وأبرز نورَ الهدى في حجة ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقابله نمرود، بسُهى السهو فى ظلام ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فألقاه كاللَّقى[6]، على عجْزِ العجز، بآية ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثم دخل دار الفراغ[7] ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ [الصافات: ٩٣]، فجرَّدوه مِنْ بُردِ[8] بَرْدِ[9] العذاب، إلى حَرِّ ﴿حَرِّقُوهُ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فبنوا بسفح[10] دمه بنياناً إلى

---

(١) **الخيْف**: ما انحدر من غِلَظِ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وذلك كناية عن عدم الاستقرار.

(٢) **الحَلفاء**: نبت في الماء.

(٣) **تختلف**: تتردد.

(٤) **فجادلهم**: من المجادلة.

(٥) **فجدلهم**: غلبهم في الجدل.

(٦) **اللَّقى**: المُلْقى لهوانه.

(٧) **الفراغ**: المعبد الذي فيه الأصنام، وسمي بذلك لخروجِ قومهم إلى عيدهم.

(٨) **بُرد**: الثوب.

(٩) **بَرْد**: خلاف الحر.

(١٠) **سفح**: إراقة الدم.

سفح جبل، فاحتطبوا له على عَجَل العَجَل، فوضعوه في كفَّةِ المنجنيق، فاعترضَه جبريلُ في الطريق[1]، فناداه وهو يهوي في ذلك الفلا[2]: ألك حاجةٌ؟ قال: أما إليك فلا، فسبقَ بريدُ الوحْي إلى النارِ بلسان التَّفهيم: ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

* * *

(١) في (ب) زيادة «في عرض».
(٢) **الفلا**: الفضاء.

الفَصْلُ السَّابِعُ

في قصة الذبيح عليه السلام

لمّا ابتُلي الخليلُ بنمرودٍ فسَلِم[١]، وبالنار فَسُلِّم[٢]، امتدَّ ساعدُ البلاء إلى الولدِ المساعدِ، فظهرتْ عندَ المشاورةِ نجابةُ ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢] وآبَ[٣] يوصي الأبَ: اشدد رباطي ليمتنع ظاهري من التزلزل، كما سَكَن قلبي مسكن السكون، واكفف ثيابك عن دمي لا يصبغها عندمي[٤]، فتحزنَ لرؤيته أمي، واقرأ السلامَ عليها منّي، فقال: نِعْمَ العونُ أنت يا بُنيَّ.

ثم أَمَرَّ السكين على مريء[٥] المَرْءِ فما مرَّت، غيرَ أن حسراتِ الفراق للعيش أمَرَّت[٦]، فطعنَ بها في الحلقِ مرَّاتٍ فـنَـبَتْ[٧]، لكنّ حُبَّ حَبِّ الرضا في حبة القلب نبت.

يا إبراهيمُ! مِنْ عادةِ السكينِ أنْ تَقْطَعَ، ومن عادةِ الصبيِّ أن يَجْزَعَ، فلمّا نسخَ الذبيحُ نُسخةَ الصَّبْرِ، ومحا سطورَ الجزعِ، قلبنـا عادةَ الحديدِ، فما مـرَّ ولا قطعَ، وليسَ المرادُ (من الابتلاء) أنْ نُعذِّب، ولكنّا نبتلي لنُهذِّب.

أين المعتبرون بقصتهما في غُصَّتهما؟ لقد حَصْحصَ[٨] الأجرُ في حِصَّتهما، لمّا جعلا الطاعةَ إلى الرِّضا سُلَّماً[٩]، فسُلَّ ما يؤذِي فَسُلِّمَا، وكلَّما كَلَما حاجبَ

---

(١) فسلمَ: من السلامة.
(٢) فَسُلِّمَ: من التسليم.
(٣) آب: رجع.
(٤) عندمي: العندم هو الدم.
(٥) مريء: مجرى الطعام.
(٦) أمرّت: أي جعلت العيش مُرّاً.
(٧) فنَـبَت: كلّت ولم تقطع.
(٨) حصحص: بان وظهر.
(٩) سُلَّماً: مرقى.

كَلْمٍ[1]، كلٌّ ما به يَذْبَحانِ، فَصُدَّ ما به صُدِما.

بَيْنا هُما على تلٍّ ﴿ وَتَلَّهُۥ ﴾ [الصافات: ١٠٣]، جاء بشيرُ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ ﴾ [الصافات: ١٠٥]، فارتدّ أعمى الحزن بصيراً بقميص ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ ﴾ [الصافات: ١٠٧].

ليس العجبُ أمرَ الخليل بذبحِ ولدِه، وإنّما العجَبُ مباشرةُ الذبحِ بيدِه، ولولا استغراقُ حُبِّ الآمرِ لما هانَ مثلُ هذا المأمور.

* * *

(١) كلْم: جرح.

الفصل الثامن

في قصة ذي القرنين

قطعَ [ذو][١] القرنين الأرضَ وأُقطعَها[٢]، ومرَّ سالكاً مسلكاً ما فَتّ[٣] سبسبُه[٤] في ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٥]، فشمّرَ مُشمّراً. ما تَلَفّتَ، حتى لُفَّتْ شملةُ جمعِ شَمْلِه بالشمس في عينٍ حَمِئَة، فلمّا أفرغَ غَرْبَ الغَرْبِ على غاربِ[٥] الغُربةِ مشى نحوَ المشارقِ.

فلم يزلْ يحوزُ الكنوزَ، ويجوزُ[٦] إلى قتلِ مَنْ يجوزُ[٧]، إلى أنْ طلعتْ طلائعُ الطُّلْعَة[٨] على مَطلَعِ الشَّمْسِ، فأُبرزَ نيِّرُ عدله المُشْرِقِ في المَشْرِقِ، ثم رأى باقي عَرْضِهِ في ذمَّةِ مقدارِ مَقْدرتِه كالدَّينِ، فسلكَ ما بين السّدينِ، فلمّا حشى حَشَا الجبلينِ بالزُّبَر، ولَجَ المفسدون قَسْرَ[٩] قبرِهم على مضضٍ ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ ﴾ [الكهف: ٩٧].

عجباً لـه كم اقتنى مَن أصقَعٍ[١٠] وأقنف[١١]، وكم أسعف[١٢] بأغشـى[١٣]

---

(١) في (أ): (ذي القرنين) وهو تصحيف.
(٢) **أقطعها**: أي ملّكه الله إياها.
(٣) **فتّ**: قطع.
(٤) **سبسبه**: السبسب: المفازة.
(٥) **الغارب**: ما بين سنام الناقة إلى عنقها.
(٦) **يجوز**: يمضي.
(٧) **يجوز**: يحل.
(٨) **الطلعة**: كهمزة، المتطلعة كثيراً.
(٩) **قسر**: القهر على كره.
(١٠) **الأصقع**: الفرس ناصيتها بيضاء.
(١١) **الأقنف**: الأبيض القفا من الخيل.
(١٢) **أسعف**: ساعد.
(١٣) **الأغشى من الخيل**: الذي غشيت غرتُه وجهَه واتّسعت.

وأسْعَفَ[١]، وكم لطى له[٢] من لطيم[٣] وأخْيَف[٤]، وكم سعى به من أكسع[٥]، وقفز به من أقفز، ومشى به في مَحَجَّةِ المشرقِ مُحَجَّل، وطرقَ به طريقَ المَغْرب مُغرب، كم صحبَه من سايفٍ ونابلٍ وسالحٍ[٦]، كم تَبِعه من مدجّج ورام ورامح[٧]، كم تقدَّمَ في مقدّمته من مُقَنَّعٍ مُقنِّعٍ[٨]، كم تَبِعه مَنْ في السِّلاحِ كافر[٩]، غيرُ شاكٍّ في الإصلاحِ ولا كافرٍ، فما ردَّ عنه الأذى المُودي به مودٍ[١٠]، ولا داري عن دارِه الدوائرَ دارعٌ، ولا ردَّ ذا عنه وَرْدٌ[١١] ولا كُمَيْتٌ[١٢]، ولا قرّبه من منيته سابقٌ ولا سُكَيْت[١٣]، فكأنّه إذا ماتَ ما تحرّكَ على حارِكِ فرس، ولا شاك شاكَلَتَه[١٤] شوكةُ عقب، بل مرّ كأنّهُ لم يكن، وذل للموتِ، وقبلها لم يَهُنْ.

فتلمّحْ آخرَ الدنيا إن كنتَ تدري، وانظر في أيِّ بحرٍ إلى الهلاك تجري، وأَصِخْ لخطابِ الخُطوب وافهم ما يجري، وكن على أُهبةٍ، فهذي الركابُ تسري.

(للشريف الرضي)[١٥]:

---

(١) **الأسعف من الخيل**: الأشيب الناصية.
(٢) **لطى له**: يقال: تلطى على العدو: كان له طَلبةٌ فأخذ من مالهم شيئاً فسبق به.
(٣) **لطيم**: فرس لطيم: الأبيض موضع اللطمة من الخد.
(٤) **فرس أخيف**: إذا كان بيّن الخيف، وذلك إذا كانت إحدى عينيه سوداء كحلاء، والأخرى زرقاء.
(٥) **أكسع**: فرس يكون البياض من طرف الثُّنة في الرِّجْل.
(٦) **سايف**: ذو سيف. **نابل**: الذي يرمي بالنبل. **سالح**: صاحب سلاح.
(٧) **رامح**: ذو رمح.
(٨) **مُقنَّع**: مغطى بسلاح. **مُقنِّع**: ضارب بالسيف.
(٩) **كافر**: مغطى بالسلاح.
(١٠) **مودٍ**: دافع الدية.
(١١) **وَرْد**: يطلق على الأسد والفرس الذي بين الكُميْت والأشقر.
(١٢) **الكُميت**: من الخيل ما كان بين الأسود والأحمر.
(١٣) **السكيت**: المتأخر من الخيل.
(١٤) **شاكلته**: خاصرته.
(١٥) قاله يرثي المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد عام (٣٨٧هـ)، وكان بينهما صداقة. انظر: ديوانه: ١/ ٤٩٤_٤٩٧.

أوَ مَـا رأيـتَ وقـائـعَ الـدهـرِ أفـلا تُسـيءُ الظـنَّ بـالعُمْـرِ
بَيْنـا الفتـى كـالطـودِ تكنفُـه هَضَبـاتُـه والعَضْـبُ ذي الأثـرِ
يـأبـى الـدّنيّـةَ فـي عشيـرتـهِ ويجـاذِبُ الأيـدي علـى الفَخْـرِ
وإذا أشـارَ إلـى قبـائلِـه حَشَـدَتْ إليـه بـأوْجـهٍ غُـرٍّ
زلّ الـزمـانُ بـوطء أخمصـه ومـواطـئ الأزمـانِ للعَثْـرِ
نَـزعَ الإبـاءَ وكـان شملتَـهُ وأقـرّ إقـراراً علـى صُغـرِ
صـدْعُ الـرَّدى أعيـى تـلاحمَـه مَـنْ ألحـمَ الصَّـدَفيـن[1] بـالقطر
جَرّ الجيادَ على الوجى[2] ومضى أمَمـاً يَـدُقُّ السهـلَ بـالـوعـرِ
حتّـى التقـى بـالشمـسِ مغمـدُهُ فـي قعـرِ منقطـعٍ مـن البحـرِ
ثـم انثنـت كـفُّ المنـونِ بـهِ كـالضّغـث[3] بيـن النـابِ والظُّفـرِ
لـم تشتجـرْ عنـه الـرمـاحُ ولا ردَّ القضـاءَ بمـالِـه الـدَّثـرِ
جمـعَ الجنـودَ ورَاءَهُ فكـأنّمـا لاقتـه وهـو مُضيّـعُ الظّهـرِ
وبنـى الحصـونَ تمتُّعـاً فكـأنّما أمسـى بمضيعـةٍ ولا يـدري
وبـرى المَعـابِـل[4] للعدى فكـأنّما لحِمـامِـه كـانَ الـذي يَبْـري
أودَى[5] ومـا أودَتْ منـاقبُـه ومِـنَ الـرّجـالِ معَمَّـر الـذكـرِ
إنّ التّـوقـيَ فضـلُ معجـزةٍ فـدع القضـاءَ يَقُـدُّ أو يَفـري
نحمـي المطـاعـمَ للبقـاءِ وذي[6] الآجـالُ مـلءُ فـروجِهـا[7] تجـري

(١) **الصدف**: كل شيء مرتفع من جدار ونحوه، والصدفين هنا هما الجبلان المتلازمان بيننا وبين يأجوج ومأجوج.
(٢) **الوجى**: رقة الحافر من كثرة المشي.
(٣) **الضغث**: القبضة من الحشيش مختلطة الرطب واليابس.
(٤) **المعابل**: جمع معبلة، وهي النصل الطويل العريض.
(٥) **أودى**: هلك.
(٦) **ذي**: اسم إشارة، المشار إليه الآجال.
(٧) **ملءُ فروجها**: يريد أنها تنطلق بسرعة فائقة، يقال: ملأ فلان فروج فرسه، إذا حمله على أشد الحضْر، وقال أبو ذؤيب يصف الثور: «فانصاع من فزع وسد فروجه» ففروجه ما بين قوائمه، وسدها: أي ملأ قوائمه عذواً، كأن العَذْوَ سدَّ فروجه وملأها.

لو كان حِفْظُ النفسِ ينفَعُنا ... كانَ الطبيبُ أحقَّ بالعُمْرِ
الموتُ داءٌ لا دواءَ له ... سيانَ ما يُوبي[1] وما يَمري[2]

* * *

(١) ما يوبي: من الوباء.
(٢) يمري: ما يسوغ ويلذ.

الفصل التاسع

في قصة قوم لوطٍ عليه السلام

لمّا تهاوى قوم لوط في هوّة أهوائهم، وتنادَوْا في جهات جهلهم: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ [النمل: ٥٦]، بُعثتِ الأملاكُ لانتزاع أملاكِ الحياة من أيديهم، فنزلوا مِنْ منزل لوطٍ منزل النزيل، فهم في أفسح بيت [نبي][1] من الكرم، غيرَ أنّ حارسَ حِذْرِهِ ينادي: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: ٧٧]، فخاف من قومه أذاهم، فإذا هُم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود: ٧٨]، فأخذ يدافع مرّةً بمشورة: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بتقاةٍ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بسؤالٍ: ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [هود: ٧٨]، وتارةً بتوبيخٍ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

فلمّا كَلَّ كُلُّ سِلاحه، وأعيتهُ جهاتُ جهادِه، أَنَّ[2] بِرَمْزِ ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠]، فحجبهم جبريلُ بحجاب ﴿فَطَمَسْنَآ﴾ [القمر: ٣٧]، ونتشه[3] من أسر الغمِّ بلفظ: ﴿فَأَسْرِ﴾ [هود: ٨١]، فلمّا علم أن الملأَ ملائكةٌ، تشوَّقَ إلى تعجيل التعذيب، فنادت عواطِفُ الحِلم: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، فسار بأهله على أعجازِ نجائبِ النجاة، إلا عجوزَ العَجْز عن عِرفان المُعْجز، فإنّها لحقتْ بالعَجَزة، فلمّا لاحَ مِصْباحُ الصَّباح احتملَ جبريلُ قُرى[4] مَنْ جَنى[5] على قَرَا[6] جناحه، فلم ينكسِرْ في وقتِ رفعهم إناء، ولم يُـرَقْ في صُعود صَعودهم[7] ماء، فلمّا سمعَ أهلُ السماءِ نُباحَ كلابهم، أسرعت كفُّ القلى[8] بهم في انقلابهم.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) أَنّ: من الأنين توجُّعاً.

(٣) نتشه: أخرجه.

(٤) قرى: جمع قرية.

(٥) جنى: من الجناية.

(٦) قرا: ظهر.

(٧) الصعود: العقبةُ الشاقة.

(٨) القلى: البغض والكراهية.

فَتَفَكَّرْ بالقلب، كيف جُوِّزُوا على قلبِ[١] الحكمةِ بالقَلْب، ثم بُعثَ إليهم سحابُ ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [هود: ٨٢]، فاستعقل لهم سدٌّ سدَّ جِزْمُه الأفقَ على وفق جُرْمهم، فشصا[٢] بالشصائص[٣]، واحْزألّ[٤] ثم ألّ[٥] إليهم، واكفهرّت[٦] بالغضب أرجاؤه، واحْمَوَمَّت[٧] بالسُّخط أرجاؤه، وابذعرَّت[٨] فعرَّت بوارِقه، وارتَتَقَتْ[٩] في جوِّ الجَوى[١٠] جُوَبُه[١١]، واستقلّتْ[١٢] على قُلل[١٣] قلاقلِ[١٤] الرَّدَى أردافُه[١٥]، وارتجزَ بأرجوزةِ الرَّجَزِ قبل أن يهمي فَهَمْهم، ثم دوَّى بالأدواءِ في دَوٍّ[١٦] دورانهِ فأظْلَمَ، وركد كيدُه فلم يكد قُلوعُه تُقْلِع حتى قلعَهم حَيْنُهُ[١٧]، حين انجمَّ[١٨]، فما أركَّ[١٩]، ولا دَثَّ[٢٠]، ولا بغَشَ[٢١]، بل قطقط[٢٢]

---

(١) **قلب الحكمة**: إشارة إلى فاحشة اللواط.

(٢) **فشصا**: ارتفع.

(٣) **شصائص**: جمع شصوص: وهو الناقة القليلة اللبن، والسنة المجدبة.

(٤) **احزألّ**: علا وارتفع وتجمع.

(٥) **ألّ**: أسرع.

(٦) **اكفهرّت**: عبست.

(٧) **احمومت**: اشتدت وحميت.

(٨) **ابذعرّتْ**: تفرقت.

(٩) **ارتتقت**: التأمت.

(١٠) **الجوى**: الحرقة.

(١١) **الجُوَب**: جمع جوبة وهي الفُرجَةُ بين السحاب.

(١٢) **استقلّت**: ارتفعت.

(١٣) **قُلل**: جمع قلة، قمة الشيء وأعلاه.

(١٤) **قلاقل**: جمع قلقال، يقال: قلقله فتقلقل؛ أي: حركه فتحرك واضطرب.

(١٥) **أرداف**: جمع ردف وهو الكَفَل والعَجُز.

(١٦) **دوّ**: الدوّ: الفلاة الواسعة.

(١٧) **حينه**: من الحين وهو الهلاك.

(١٨) **انجمَّ**: يقال: أنجمت السماء: أسرع مطرها ودام.

(١٩) **أركّت السماء**: أمطرت مطراً خفيفاً.

(٢٠) **الدثّ**: المطر الضعيف.

(٢١) **البغش**: أضعف المطر.

(٢٢) **قطقط**: أي أمطر مطراً عظيماً فتتابع.

فـأفْرط، وعمَّ عميمُـه حين أغمطَ[١]، فتقاطرَ علـى قُطرهم من قَطْـرِه قطرُ الحجارة، وبغتهم في غِرَّة غِرَّتهم بالغُرور بشنِّ الغارةِ، تالله لقد ضكضكَ[٢] العذابُ، فَضَعْضَعَهم فتضعضعـوا، وانقضَّ بقضِّه وقضيضـه فقضقض عظامَ عظامِهم، وقطعها فتقطَّعـوا، وسـارَ بهم في طرْفسان[٣] عِقـاب العِقاب، إلى عوطب[٤] العطب فاهْرَمَّعوا[٥]، وكانوا في كِنِّ صافي الصِّفات، فمرّوا إلى مُرِّ الرَّنَقِ[٦] فافرنقعوا[٧]، وهمس[٨] هُمَيْسِعُهم[٩]، وهلْ لمثلهم إلا الوَهَلُ والـوهـي[١٠]، ولاتَ حِيْـن منـاصٍ، وادْرنقعـوا[١١]، وبَـرْقَـط[١٢] المُخْـرَنشَـم[١٣] بعـد أن بهنـس[١٤] وبلهـص[١٥] فبلطـح[١٦] وحـزن المُبْرَنْشِقُ[١٧] بعد أنْ زَهْزَقَ[١٨]، فبلسمَ[١٩] وكلَحَ[٢٠]، فأُجيل[٢١] على الجيل

---

(١) **أغمط**: دام ولازم.

(٢) **ضكضك**: أسرع وضغط.

(٣) **الطِّرْفسان**: بكسر الطاء، السماءُ المظلمةُ بالسحاب.

(٤) **عوطب**: الداهية.

(٥) **اهْرَمَّعُوا**: بتشديد الميم: خفّوا عاجلين.

(٦) **الرنق**: الكدر.

(٧) **افرنقعوا**: تنحوا وانكشفوا.

(٨) **همس**: سار بالليل.

(٩) **هُمسيعهم**: القوي منهم.

(١٠) **الوهل**: الفزع. **والوهي**: التخرق والشق.

(١١) **ادرنقعوا**: أسرعوا وفروا.

(١٢) **برقط**: خطا متقارباً.

(١٣) **المخرنشم**: المتعاظم، المتكبر في نفسه.

(١٤) **بهنس**: تثاقل وضخم.

(١٥) **بلهص**: عدا من الفزع.

(١٦) **بلطح**: ضرب نفسه بالأرض.

(١٧) **المبرنشق**: الفَرِح المسرور.

(١٨) **زهزق**: ضحك.

(١٩) **بلسم**: سكت عن فزع.

(٢٠) **كلح**: أي عبس.

(٢١) **أجيل**: أدير.

سَجْلُ[1] السِّجِّيل[2]، فما برحَ حتى برَّح[3]، ودار هاتِفُ العبرةِ على دارسِ دارِهم ينادي: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ [العنكبوت: ٣٥].

فليحذرِ العازمون على طروقِ طريقهم مِنْ وعيد ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]، قبل غُصَصِ الجَرَض[4] وألم الحَرَض[5]، عندَ حلول المرض، حين يُعتقَلُ اللسان، ويتحيَّر الإنسان، وتسيلُ الأجفان، ويزول العرفان، وتُنشَرُ الأكفان، فيا عجباً! كيف ألفى لذة العيش الفاني الفاني[6]، وقد مرَّ [فأمرَّ كل ما كان][7]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

* * *

---

(١) **سجل**: الدلو الكبير.

(٢) **السِّجيل**: الطين المتحجر.

(٣) **برّح**: أتعب.

(٤) **الجَرض**: الريق.

(٥) **الحرض**: الفساد في البدن والعقل.

(٦) **الفاني الفاني**: الأولى: صفة للعيش، والثانية: صفة للإنسان، وهنا فاعل للفعل (ألفى).

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

الفصل العاشر

في قصة يوسف عليه السلام

لمَّا تمكَّنَ الحسدُ من قلوبِ إخوةِ يوسفَ، أُرِيَ المظلومُ مآلَ الظالم في مرآة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]، فتلطّفوا بخداع ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١]، وشوّقوا يوسف إلى رياض «**نَرْتَعُ ونَلْعَبُ**»[١].

فلمّا أصحروا أظهروا المقتَ له، ورامُوْا [بسهم العدوان][٢] مقتلَه، فنسخَ نهارُ رِفْقهم به ليلَ انتهارهم له، فصاحَ يهودا في بقايا شَفَق الشَّفَقة، و[أغباشِ غيابةِ[٣] الجب][٤]: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠]، فلمّا ألقَوْه وقالوا: قد هَلك، جاء مِنْ عند مَنْ يمْلكُه ملكٌ ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ [يوسف: ١٥]، فعادوا عمن عادَوْا كالأعشى ﴿عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، ولطّخوا قميصَه الصحيحَ ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، فلاحتْ [علامةُ][٥] سلامَةِ القميصِ كي يظهرَ كيدُهم، فقالَ حاكم الفِراسة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ [يوسف: ١٨].

فلمّا ورَد واردُ السيّارةِ، باعوا الصدَفةَ، ولم يتلمّحوا الدُّرّة، واعجباً لقمرٍ قومرَ به، فلمّا وصلَ إلى مصرَ تفرّس فيه العزيزُ، فأجلسه على إعزاز ﴿أَكْرِمِي﴾ [يوسف: ٢١]، فشغف حبُّه قلبَ سيدته، وفَرَى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ [يوسف: ٢٣]، فسارَ بأقدام الطّبْع في فلاة غفلات[٦] ﴿هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا﴾ [يوسف: ٢٤]

---

(١) وهذا على قراءة أهل البصرة بالرفع، وغيرهم بالجزم (**يرتعْ ويلعبْ**).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) **الغيابة**: قعر البئر.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٦) الأنبياء معصومون عن الفواحش قبلَ النبوة وبعدها، وهذا الكلام لا يتناسب مع مقام العصمة، والآية دلت على وقوع الهمّ منها دونه، فيوسفُ عليه السلام لم يهم، لأنه رأى برهان ربه، والتقدير في الآيةك «لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها» أي: لولا وجودُ البرهان لوقه الهمُّ.

فانْقَدّ قوى الفرار وما استبقى ﴿ وَٱسْتَبَقَا ﴾ [يوسف: ٢٥]، فانبسطتْ يدُ العدوانِ، وامتدت ﴿ وَقَدَّتْ ﴾ [يوسف ٢٥]، فلمّا بانت حجتُه في إبّان ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾ [يوسف: ٢٦]، أخذت تربي مُصَرّاة[1] الإصرار بيمين يمين ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ ﴾ [يوسف: ٣٢] فاختارت دُرّة فهمِه صدَفَ الحبس لجهل الناقد ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [يوسف: ٣٣]، فلما ضاق قفص الحصّ، على بُلبلِ الطبع، ترنّم بصوت ﴿ ٱذْكُرْنِي ﴾ [يوسف: ٤٢]، فعوقِبَ بإيثاق باب ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ ﴾ [يوسف: ٤٢]، فلمّا آنَ أوانُ الفرجِ، خرجَ إلى الملك.

هذا ويعقوبُ مفترِشٌ فراشَ الأسى على حَزْن[2] الحُزْنِ، لا يستلذّ نوماً ولا سِنةً، ثمانين سنةً[3]، حتى نَحَل البدنُ، وذهبَ البصر[4]:

لم يبقَ لي بعدكُمْ رسمٌ ولاطللُ ... إلاّ وللشّوْقِ في أرجائِه عَمَلُ
إذا شمَمْتُ نسيْماً مِنْ دياركُمُ[5] ... فقَدْتُ عَقْلِي كأنّي شَارِبٌ ثَمِلُ[6]

فلمّا عمَّ عامُ القحطِ أرضَ كنعانَ، خرجَ إخوتُهُ لطلبِ المِيْرَةِ[7]، فدخلوا عليه في ظلام ظُلْمهم، فرآهم المظلومُ بعين ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم ﴾ [يوسف: ١٥]، وخَفّى عليهم نَغْمةَ ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٩]، فأقبلَ عليهم سائِلاً، وأقبلَ الدمعُ سائلاً، وتقلقَلَ تقلقُلَ الواجدِ، ليسمعَ أخبارَ الوالدِ:

إيهِ أحاديثَ نَعْمَانٍ وساكنِهِ ... إنَّ الحديثَ عَنْ الأحبابِ أَسْمَارُ

---

(١) **المصراة**: الشاة المحفلة أو الناقة أو البقرة يصرى اللبن في ضرعها: أي يجمع ويحبس، وقد فسّر الشافعيُّ رضي الله عنه المصراة بأنها التي تُصرُّ أخلافُها، ولاتحلبُ أياماً، حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فإذا حلبها المشتري استغزرها.

(٢) **الحزْن**: خلاف السهل، وما غلظ من الأرض.

(٣) **ثمانين سنة**: هذا الرقم مبالغ فيه، ويحتاج لمراجعة، ولو كان مع مدة السجن بضع سنين والخروج منه ثمانيةً وعشرين سنة مثلاً لكان أقرب.

(٤) **ذهب البصر**: ابيضاضُ عيني يعقوب من الحزن على يوسف كان عارضاً، إذ ما لبث أن انقشع بقميص يوسف عليه السلام.

(٥) في (ب): بلادكم.

(٦) **الثَّمِلُ**: السكران، لأنه عبّ ما في الكأس حتى الثمالة؛ أي: بقية ما فيها.

(٧) **الميرة**: جلب الطعام، مار على عياله ميراً وامتار لهم: جلب لهم الطعام.

أُفتِّشُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كلّما نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ نَكْبَاءُ مِعْطَارُ

فقالوا: جئنا من أرض كنعانَ، ولنا شيخٌ يقال له: يعقوبُ، وهو يقرأُ عليك السلامَ، فلمّا سمعَ رسالةَ أبيه، انتفض طائرُ الوجدِ لذكرِ الحبيبِ، فهيّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يدري:

وداعٍ دعا إذْ نحنُ بالخَيْفِ مِنْ منًى فهيّجَ أحزانَ الفؤادِ وَمَا يَدْرِي[(١)]

فردّ السلامَ قلبُه قبلَ لسانِهِ، وشَغَلَهُ وَكْفُ[(٢)] شانه[(٣)] عن شأنه، وقال مِقْولُ إبدائِه بعبارةِ صُعَدائِه:

خُذي نَفْسِيَ يا رِيْحُ مِنْ جانِبِ الحِمَى فلاقي بها لَيْلاً نَسِيْمَ رُبَى نَجْدِ
فإنَّ بذاكَ الحيِّ حِبّاً عَهِدْتُهُ وبالرَّغْمِ مِنِّي أنْ يَطُوْلَ بِهِ عَهْدِي

ثم إنه طلب منهم أخاه، فاحتالوا بحيلة[(٤)] ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ [يوسف: ٦٣]، فلمّا حَمَلوه حال بينهم وبينه بحيلة ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ [يوسف: ٧٠]، فلمّا دخلَ وقتُ التُّهمة ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [يوسف: ٧٠]، فعادوا إلى أبيهم بشَجًى[(٥)] على شجَن، وقَرْحٍ على جرحٍ، وعَقْرٍ على عَقْرٍ[(٦)]، فقام وقد تقوّس، وعسى على باب ﴿عَسَى﴾ ثم بعثه لطفُ ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ [الزمر: ٥٣][(٧)]، على أن بعثهم برسالة ﴿فَتَحَسَّسُواْ﴾ [يوسف: ٨٧]، فلمّا رجعوا دخلوا من قفر الفقر، فاستلقَوْا في ساحة الضُّرِّ، ينادون عن غليل الذل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨].

تالله لقد جوزِيَت أيدٍ مدّها تغشرمُ[(٨)] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ [يوسف: ٢٠] أن مُدَّت في

---

(١) هذا البيت غير موجود في (أ).
(٢) **الوكف**: القطر.
(٣) **شانه**: مدمع العين.
(٤) في (ب): بحجة.
(٥) **شجى**: ما اعترض في الحلق ونشب فيه من عظم ونحوه، ويطلق على الحزن والهم.
(٦) **عَقْر على عَقْر**: جرح على جرح، أن: بنيامين بعد يوسف، وفي (ب): في عقر.
(٧) والذي في سورة يوسف ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ﴾ [٨٧].
(٨) **التغشرم**: الجرأة.

طريق ذل ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]، فلمّا عرفوه اعترفوا، فحمى ما اقترفوا بكَفٍّ ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ [يوسف: ٩٢]، ورفع من موائدِ تلك الفوائد نصيبَ الوالد ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ [يوسف: ٩٣]، فهبتْ نسيمُ الفرح، فتوغّلتْ في خياشيمِ مريضٍ كالفَرْخ. من فُرَجِ[1] الفَرجِ، فخرَّ رُكامُ الزُّكام عن مِنْخَرِ الضُّرِّ، فنادى مُدنفُ[2] الوجدِ: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ﴾ [يوسف: ٩٤]:

نَشَــدْتُــكَ اللهَ يــا نَسِيْــمُ ... مـا فَعَلـتْ بَعْـدَنـا الـرُّسُـوْمُ
هَـل استهلَّـتْ[3] بِهَـا الغَـوادِي[4] ... وَنَمَّقَـتْ رَوْضَهَـا الغُيُـوْمُ
وهَـلْ بِهـا مَـنْ عَهِـدتُ فِيْهـا ... بعْـدُ علـى حَـالـهِ مُقِيْـمُ
عَلِّـلْ بـروحِ الـوِصَـالِ صَبّـاً ... أنفـاسُـه للجَـوَى[5] سَمـومُ[6]
عُـدْ فَسَلِّـم علـى أُنـاسٍ ... مـا أنـا مِـنْ بعـدِهِـمْ سَلِيـمُ
واشْـرَحْ لهُـمْ حَـالَ مُسْتَهَـامٍ[7] ... أنـتَ بـأشـوَاقِـهِ عليـمُ
وقُـلْ غـريـبٌ ثـوَى بـأرضٍ ... فـي غيـرِهَـا قلبُـه مُقيـمُ
يكـابِـدُ الشَّـوقَ حيـنَ يُمسِـي ... وتعتَـري قلبَـه الهُمُـومُ
أحبـابَنـا تنقضِـي اللّيـالـي ... ومـا انقضَـتْ تِلكُـمُ الكُلـومُ[8]
ذاكَ اللّـديـغُ الّـذي عَهِـدتـم ... بَعْـدُ علـى حَـالِـهِ سَقِيْـمُ
أصبـحَ مِـنْ بعـدِكُـمْ وَحِيـداً ... فـلا خَلِيْـلٌ وَلا حَمِيْـمُ
لَـمْ يَجْـرِ ذِكْـرُ الفِـرَاقِ إلاّ ... حَـنَّ كَمَـا حَنَّـتِ الـرَّزُوْمُ[9]

---

(١) **فُرج**: جمع فرجة، وهي الشق بين الشيئين.
(٢) **المدنف**: من ثَقُل مرضُه، **والدنف**: المرض الملازم.
(٣) **استهلت**: انهلت وهطلت.
(٤) **الغوادي**: السحب تأتي غدْوة، والمفرد: غادية.
(٥) **الجوى**: الهوى الباطن، وشدة الوجد.
(٦) **سموم**: ريح حارة.
(٧) **مستهام**: شديد الحب، هيمان.
(٨) **الكلوم**: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(٩) **الرزوم**: الناقة التي حنت لولدها.

فلمّا كشف يعقوبُ فِدام[1] الوجْد، بكفِّ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾ [يوسف: ٩٤]؛ أحدقت به عواذلُ ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ [يوسف: ٨٥]، تالله لو وجدوا ما وجد ما أنكروا ما عرف.

(المهيار)[2]:

هَـــلْ لَكُمَـــا عِلْـــمٌ ... بـــالطَّـــارِقِ المُلتَـــمِّ
سَـــرَى علـــى الـــدَّيـــاجِـــي ... سُـــرَى أخيـــه النَّجْـــمِ
يَشُـــقُّ نَجْـــداً عَـــرْضـــاً ... مِـــنْ شخْصِـــهِ بسَهـــمِ
فَنَـــوَّرَ الليـــلَ وَلَيْسَـــتْ ... مِـــنَ ليـــالـــي التِّـــمِّ
خُـــذْ يـــا نسيْـــمُ عَنِّـــي ... تحيّتِـــي وَلَثْمِـــي[3]
وهَنِّهـــم بـــوُجْـــدِهِـــم ... مِـــنَ الكَـــرَى وعُـــدْمـــي
قـــالـــوا: هَجَـــرْتَ أرضَهـــم ... أهجُـــرُهَـــا بـــرُغْمِـــي
قَـــدْ وَصَلَـــتْ إلـــى الحَشَـــا ... رُسْلُكُـــمُ بـــالسُّقْـــمِ
فَلَـــمْ تَـــدَعْ واسِطَـــةً ... بَيْـــنَ دَمِـــي وَلَحْمِـــي
عُـــجْ[4] تَـــرَنَـــا رُسُـــوْمـــاً ... ثـــلاثـــةً[5] فـــي رَسْـــمِ
سَـــوَّى[6] النّحُـــولُ بيننـــا ... تَعْـــرِفُنـــا بـــالـــوَهْـــمِ
خـــطُّ هـــلالِ ليلـــةٍ ... وَدَارُهُـــمْ وجِسْمِـــي[7]

* * *

---

(١) الفِدام: غطاء القارورة ونحوها.

(٢) قاله يمدح سعد الملك أبا الحسين صاحب النعمان في المهرجان. انظر: ديوانه: ٢/٢٦٩.

(٣) قوله: (لثمي) في الديوان (ضمي).

(٤) عُجْ: فعل أمر، والماضي عاج على كذا أو بكذا: نزل وأقام، وعطف إليه، ومال، ومرَّ عليه.

(٥) رسوماً ثلاثة: يقصد بالثلاثة: خطُّ هلال أبكي، ودار الأحباب، وجسم الشاعر.

(٦) سوّى: جعلنا سواء.

(٧) في الديوان: (خيط هلالٍ أبكي ودارها وجسمي).

الفَصْلُ الحَادِي عَشَر

في قصة أيوب عليه السلام[1]

جُمِع لأيوبَ بينَ كثرةِ المالِ وحُسْنِ الأعمال، فَمَلأ مدحُه بالوفاق الآفاق، فأثارتْ تلكَ الآثارُ حسداً من إبليسَ قد تقادمَ منذ آدم، فقال: يا ربّ إنْ سلطتني عليه ألقيْتُه في الفتنة، فألفَيْتَه في الفئةِ المفتونين.

فقيل له: قد سلّطناكَ على ما لَهُ مِنْ مالٍ، فمالَ إلى جَمْعِ عفاريته، ففرّقهم في تمزيقِ ماله، وتولى هُوَ بنفسِه بنيه، ثم أتى في صورةِ معلِمهم يُعْلِمُه، فرأى ذلك لايُـؤلِمهُ، أنصتَ العدوُّ ليسمعَ عربدةَ السُّكرِ، فإذا أيوبُ يتلو آياتِ الشُّكْرِ، فصاح بلسانِ حَسدِهِ، فسُلِّطَ[2]، وقد سبقَهُ الصَّبرُ، فتقطّعَ الجسمُ وَدَادَ[3]، وما تقطَّعَ رسمُ الودادِ.

فأخرجَهُ أهلُ قريتِه، لقُروحِ قَرْحَةٍ إلى قرواح[4] كُناسةٍ[5]، فَرَمَوْهُ كَسِيْراً كالْكِسْرةِ، وكِساءُ كَسادِه عندهُمْ أغلى عندنا من أعلى كِسْوة كِسْرى، فلم يزل ما نزلَ به، حتى بدا حِجَابُ بطنِه، فكان يُـبْصِرُ عظامَه ويرى مِعَاه معاً[6].

(لمهيار):

مـا اخْتَـصَّ منِّـي السّقـامُ جَـارحـةً ... كـلُّ جِهَـاتـيَ أَغْـراضُ[7] مُنْتَبِـلِ[8]

---

(١) اقرأ قصته في [الأنبياء: ٨٣ـ٨٤]، [صٓ: ٤١ـ٤٤].

(٢) في (ب): فسلطه.

(٣) داد: أي ظهر منه الدود، وهذا باطل مكذوب على سيدنا أيوب عليه السلام، وهو مما جاءت به الإسرائيليات لتشويه صورة الأنبياء عليهم السلام، كذلك رميه على الكُناسة وبدوُّ عظامه وأمعائه، فكلها من الأباطيل المردودة.

(٤) **قرواح**: الأرضُ لاماء بها ولاشجر.

(٥) **كُناسة**: بضم الكاف؛ القمامة.

(٦) هذا من الإسرائيليات الباطلة.

(٧) **أغراض**: جمع غرض: وهو الدريئة التي يصوّب عليها.

(٨) **منتبل**: رامي النبل.

إذَا لحــاظِــي لجِسْمِــيَ امتَعَضَــتْ   مِــنَ الضَّنــا قــالَ قلبــي احتمِــلِ

فدام هذا البلاءُ عليه سنين، وفدام[١] الصمتِ عن الشكوى على فيهِ يُبين[٢]، ولم يَبْقَ غيرُ اللسانِ للذِّكرِ، والقلبِ للفكرِ، فلو أصغَى إلى نطقِ حالهِ سمعٌ فهِمٌ. أو سأله عن وجدِهِ ربُّ قلبٍ، لسمعَ من الذَّمَاءِ[٣] ألذَّ ما يناجَى به الحق.

(للشريف الرضي)[٤]:

مَحَا بَعْدَكُم تلكَ العُيُونَ بُكاؤها   وغالَ بكُم تلكَ الأضالعَ غُولُها

فمِنْ ناظرٍ لم يَبْقَ إلا دُمُوعُهُ   ومِنْ مُهجةٍ لم يَبْقَ إلا غَليلُها

دَعُوا لي قلباً بالغرامِ أُذيبُهُ   عليكُمْ، وعَيناً في الطُّلولِ أُجيلُها

فلمّا كعّ[٥] إبليسُ، لقي زوجته في صورةِ متطبِّبٍ، فقال: عندي دواؤه، بشرط أن يقول بشَفَتَيْه شَفَيْتَني، فجاءت تَدِبُّ، وقد أنساها طولُ البلاء تدبُّرَ المعنى، فأخبرتْ مَنْ قدْ خَبَرَ عَدْوَ العدوِّ، فغضبَ المؤدِّبُ على تلميذٍ ما يقومُ بطول الصحبةِ، فحلفَ لئن شُفي ليجلدنَّها مئةً.

فبينا المرءُ يكابدُ المُرَّ، مرَّ به صديقانِ له، فقالا: لو علمَ اللهُ مِنْ هذا خيراً ما بلغَ به الأمرُ، فما شَدَّ على سمعهِ أشدّ مِنْ ذلك، فخرَّ على عتبة ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، واستغاثَ بلفظ ﴿مَسَّنِيَ﴾ [صَ: ٤١]، وصاحَ بإدلال **«لو أقسم»**[٦]، فجاء جبريل برسالة ﴿ٱرْكُضْ﴾ [صَ: ٤٢].

وليس العجب لو ركضَ جبريل، إنّما العجبُ أن يركضَ العليل، فركضت

---

(١) **الفدام**: ما يوضع على فم الإبريق، ورَجُل فَدِمٌ: عيي في الكلام في ثقل.

(٢) **يبين**: يبعد.

(٣) **الذماء**: بقية النفس.

(٤) من قصيدة قالها لمّا وقف على منازله سنة (٤٠٤هـ). انظر: الديوان: ٢/ ١٨٣ـ ١٨٦.

(٥) **كعّ**: جبن وضعف.

(٦) **«لو قسم»**: جزء من حديث: **«رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَينِ تنبو عنه أعينُ النّاسِ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ»** الحديث، في الجامع الصغير برقم (٤٤٠١) و(٢٨٥٢). قال الحاكم: صحيح الإسناد.

خيلُ النِّعَم عند ركضتِـهِ فَرُدَّت[1]، وما غارَ الماءُ ما أُغِيرَ عليه من نعمتِه، فنسيَ بنسيم العافية ما ألمَّ من ألمٍ، وردَّتْ يدُ المنّة كلَّ ما مرَّ منه وذهب، وكان نثارُ الرِّضَا على واديه بعد أن جرى وادي جُرادى[2] من ذهب[3] وأقبلت زوجتُه، وعليه يمينُ ضربِها، وما كان يَحسنُ في مقابلته صبرَها، فأقبلَ لسان الوحي يتلو فَتْوى الرحمةِ، ويراعي ما سبقَ مِنْ مراعاةِ رحمة[4] ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [صَ: ٤٤] .

تاللهِ ما ضرَّهُ ما أكلَ من جسدِه الدود[5] لما اختالَ في ثوبِ مودود، وأصبَحَ مُصْطَبحاً شـرابَ السرورِ من جودِ الجودِ، فرنَّتْ قبـانُ الفرح إذ غنَّتْ ألسنةُ المدحِ لا بِعُود[6]، وفاحَ عبيرُ الثَّناءِ فزادَ نشرُه على كلِّ عُوْدِه[7] ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ [صَ: ٤٤] .

* * *

---

(١) فردت: أي ردت نعمه.

(٢) جرادى: كفرادى: موضع.

(٣) من ذهب: كأنه يشير إلى وقوع الجراد من ذهب على سيدنا أيوبَ أثناء اغتساله. انظر: (صحيح البخاري) كتاب الغسل (من اغتسل وحده عُرْيانَ).

(٤) رحمة: زوجة أيوب عليه السلام.

(٥) هذا من الأباطيل التي لاتليق بنبوة أيوب عليه السلام.

(٦) بعود: آلة موسيقية ذات أوتار.

(٧) عُود: ضرب من الطِّيب يتبخر به.

الفصل الثاني عشر

في قصة شعيب عليه السلام

لمّا رأى شعيبٌ شُعَبَ شِعابِ قومه قد امتلأتْ بالجَوْر، صعِدَ منبرَ التذكيرِ بالإنعام، ولكن بَيْن الأنعامِ[1]، يخوّفُهم من قَحْم قَحْلِ[2] القَحْطِ إشارة ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [هود: ٨٤]، فتلقّوه باستهزاءٍ ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧]، ومَدُّوا نحوه باعَ النخوة ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وتَعَلَّلوا بحجةِ ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ [هود: ٩١]، وانتَهَوْا إلى عتوٍّ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا﴾ [الشعراء: ١٨٧]، فلمّا اسمهرَّ[3] ظلامُ ظلمِهم، اسْحَنْكَكَ[4] ليلُ إدبارهم، واسلنطح[5] نهارُ هلاكهم، فحقحق[6] إليهم ما حُقَّ عليهم من محقهم، فأظلَّ على ظُلل ضلالهم ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، فارتجّت أرجاءُ بيوتهم بِرجِّ الرَّجفةِ، وشدّت عليهم شدةُ الحرِّ، فهربوا إلى البَرِّ لا البَرِّ[7]، فإذا سحابةٌ تَسْحبُ ذيلَ بُرْد البَرْدِ، فتنادَوْا هلمّوا إلى راحةِ الرَّوح، فلمّا تمَّ اجتماعهم في قَصْرِ الحَصْرِ، وظنُّوا أنّها من حَرِّ وَقْتِهِمْ[8]، نزلتْ نارٌ من السماء فأحرقتهم، فساروا إلى جهنَّمَ في أسْرِ إدبارهم، وسارَ بَعْد بعدِهم في أدبارِهم نذيرُ التحذيرِ من تبذيرِهم، وعابهم في عقاب

---

(١) شبّه قومه بالأنعام والدواب.

(٢) قحم: اقتحام. قحل: يقال: يبس الجلدُ على العظمِ، فهو قَحِل.

(٣) اسمهرّ: تراكم واشتد.

(٤) اسحنكك: اشتد ظلاماً.

(٥) اسلنطح: وقع على وجهه.

(٦) حقحق: جد في السير.

(٧) إلى البَرّ لا البرّ: الأولى بمعنى: ما انبسط من سطح الأرض، ولم يُغَطِّهِ الماء، جمعه برور. والثانية: اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

(٨) في (ب): زيادة (وقتهم).

عقابهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥].

فليحذرِ العصاة مثل أفعى أفعالهم، وليتّقِ أعمى البصيرةِ شبيهَ أعمالهم، ولْيَخَفِ المطفّفون من أخذِ الطَّفيفِ[١] في مكيالهم، ولْيَسْمعوا نذيرَ العبرةِ، فقد أوحى إليهم بشرحِ أعمالِهم.

* * *

---

(١) **الطفيف**: القليل.

الفصل الثالث عشر

في ذكر بداية موسى عليه السلام

كانت الكهنةُ قد أخبرت فرعونَ بوجودِ موسى، فأطلق الموسى[1] في ذبح الأطفال، فلمّا اتُّهِمتْ أمُّ موسى بالوَضْعِ، أوْضَع[2] الحرسُ إلى بيتها بالطَّلَبِ، فأدركها عند العِلْمِ الدَّهَشُ، فألقته في التنور إلقاءَ الحَطب، فلمّا عادت فرأته قد سَلِم شاهدت في ضِمْنِ ما صنعت أثر ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ [طه: ٤١]، فكانت سلامتهُ من النار نقداً [لأجل][3] احتُمل لأجْلِهِ وعداً لنجاة يوم اليَمِّ.

فلمّا سعتْ بتابوته إلى البحر ارتعشت يدُ التسليم فأمسكها، فصاحَ شُجاعُ بملءِ فيه: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ [طه: ٣٩]، [فيه][4] فصدرتْ بعد إلقائه بصَدْرٍ قد لوى به لواعجُ الاشتياق، لا يعلم قدر ما به إلا مَنْ قد رُمي به، فتلقاها بالبِشر بشيرُ ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ﴾ [القصص: ٧]، فلم تزل أمواج اليَمِّ تُيَمّمُ به مسالك القَدَرِ، إلى أن خَبّتْ[5] به خيل النيل فشعرت في تناوله مَشْرعةُ[6] دار فرعون، فألقته في برية ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ [القصص: ٨]، فلمَّا فتحوا التابوتَ أسفر عن مسافرٍ نجيب[7] النجابة، قد جُعِلَ زادُه في مِزْود ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ [طه: ٣٩]، وَوُشح قلادةَ الحُبِّ قد رصِّعَتْ بدُرِّ ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ [طه: ٣٩]، فقامَ فرعون على أقدامِ الإقدامِ على قتله، فخرجت آسيةُ من كمين أتباعه تنطِقُ عن لسان ﴿سَبَقَتْ لَهُم﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وتنادي في مَخدع خديعة الحرب ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ [القصص: ٩]، وتجمَعُ في كلامها ما هو فردٌ في لغةِ القَدَرِ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [القصص: ٩]، فلم يزل فرعون في أغباشِ[8] غرورِ

---

(١) **الموسى**: السكين الحادة.

(٢) **أوضع**: أسرع.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٥) **خبّت**: يقال: خبت الفرس: نقل أيامنه وأياسره جميعاً في العدو.

(٦) **مَشرعةُ**: موردُ الشاربة.

(٧) **النجيب من الإبل**: عتاقها التي يُسابَقُ عليها. **والنجابة**: الكرم.

(٨) **الأغباش**: جمع الغَبَش، وهو بقية الليل أو ظلمة آخره.

يذبحُ إلى أنْ طلعَ [غرر][1] صبحِ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ ﴾ [القصص: ٥].

فلمّا قصّ شوْقُ أُمِّهِ جناحَ صبرها، قالت لأخته ﴿ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ ﴾ [القصص: ١١]، في حريم ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا ﴾ [القصص: ١٢]، فدنت فدندنت[2] حلة الحِيْلَةِ بحول ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ [القصص: ١٢]، فلمّا حفظت باب المَكْرِ بحارسِ ﴿ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [القصص: ١٢]، دخل طفيليُّ الوُجدِ من باب ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢]، فجاءت بأُمها يؤمُّها دليل الطرب، فكادَتْ إذْ حضرتْ تحضرُ في ميدان ﴿ لَتُبْدِى بِهِۦ ﴾ [القصص: ١٠]، فكبحَها لجامُ ﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا ﴾ [القصص: ١٠]، فخافتَ[3] لسانُ جهرِها لما خافتْ، فَسُلَّ من أيديهم إلى سُلَّمِ تسليمِها، فقرَّ في حِجْر ﴿ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [القصص: ١٣]، وترنَّمت بلابلُ الوِصَال، فأخرست بلابلَ الفراق.

فَرُبِّي موسى في رُبى[4] فرعون، ونَمى بين نمارِقه، إلى أن آن أوان مهاجرَته، فجرى القَدَرُ بقتل القِبطيِّ ليكونَ سبباً في سِرِّ سَيْرٍ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴾ [القصص: ٢٢]، فسعى على أرجاء رجاءِ ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ ﴾ [القصص: ٢٢]، فتزوّد مِن مزوَد ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ ﴾ [القصص: ٢٣]، فتجمع الصِّهْرُ بواسطة ﴿ إِنَّ أَبِى ﴾ [القصص: ٢٥]، فبقي ضمان الوفاء إلى أمانة ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ [القصص: ٢٩]، فتلمّح معنى ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ ﴾ [القصص: ٢٩]، فيبدو في بادية الحيرة أنيسُ ﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ ﴾ [القصص: ٢٩]، فترامى كفُّ الطَّمَع إلى مرامي ﴿ لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم ﴾ [القصص: ٢٩]، فأطل على طُلل الطلب أقدامُ ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا ﴾ [القصص: ٣٠]، فتلقّطَ ثمارَ التكليم من غَيْر كُلْفة ﴿ وَهُزِّىٓ ﴾ [مريم: ٢٥]، تسّاقط من جَنى جناتِ [التجلّي][5] ﴿ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٣٠].

* * *

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٢) دندنت: تكلّمت بصوت ضعيف.
(٣) خافَتَ: خفضت صوتها.
(٤) رُبى: جمع ربوة، وهي المكان المرتفع.
(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

الفصل الرابع عشر

في تكليم (الله عزّ وجلّ) موسى عليه السلام

لمّا خرجَ موسى بأهله مِنْ مدينةِ مَدْيَن، انطلقَ طَلْقُ الطلقِ بزوجتِه، فما زال يكادِحُ المقادحَ[1] فلمْ تُورِ[2]، لأنَّ عروسَ نارِ الطورِ لمّا هَمَّتْ بالتجلّي، نوديت النيرانُ بلسانِ الغَيْرَةِ من المشاركة: غُضّي، فقام على أقدام التحيُّر، فهتفَ به أنيسُ ﴿ءَانَسَ﴾ [القصص: ٢٩]، فأنس:

يا حارِ[3] إنَّ الرَّكبَ قد حَارُوْا ... فاذهبْ تَحَسَّسْ لِمَنِ النارُ
تَبْدُو وتَخْبُو، إنْ خَبَتْ وَقَفُوا ... وإنْ أضاءَتْ لهم سَارُوْا

فشمّر موسى عن ساقِ القَصْدِ وساق، فلمّا أتى النادي ﴿نُودِيَ﴾ [طه: ١١]، فحين ذاق لذةَ التكليم، جرح قلبَه نصلُ الشوقِ، فلم يداوِه إلا طبيبُ ﴿وَوَاعَدْنَا﴾ [الأعراف: ١٤٢].

لَيَالِيْنَا بِذِي الأثْلاتِ[4] عُوْدِي[5] ... لِيُوْرِقَ في رُبى الأثلاتِ عُوْدِي
فإنَّ نَسِيْمَ ذاكَ الشِّيحِ أزكَى ... لَدَيَّ من انتِشَاقي نَشْرَ[6] عُودِ
وإنَّ حَدِيْثَكُمْ في القَلْبِ أَحْلَى ... وأطْيَبُ نَغْمَةً مِنْ صَوْتِ عُوْدِ

---

(١) **المقادح**: جمع المقدح: الحجارة التي يقدح بها لإشعال النار.
(٢) **فلم تُوْرِ**: فلم تُشْعِل.
(٣) **يا حار**: ترخيم حارث: وهذا في النداء، وهو للرباعي فما فوقه خاصة.
(٤) **الأثلات**: جمع أثلة: شجرة.
(٥) **عودي** الأولى من العَوْد بمعنى: الرجوع، والثانية من العود بمعنى: الغصن، ويكنى به عن ذاته وقلبه.
(٦) **نشر عود**: النَّشْر: الرائحة الطيبة، والعود: نوع من الخشب طيب الرائحة يتبخر به.

فبُعِثَ في حربِ فرعون، فلم يزل مشغولاً بالجهادِ إلى أن قُبر القتيلُ في لَحْدِ اليمِّ، فطلبَ قومُه كتاباً يضبطُ شاردهم، ويَرُدُّ نادَّهم[١]، فأمره اللهُ أن يصومَ ثلاثين ليلةً نهارَه وليلَه، فأمسكَ على مَسْكِ[٢] الإمساكِ بكفِّ الكفِّ في الوصالِ، فَدَامَ[٣] فِدامُ[٤] فِيْهِ[٥] عن مَطْمَعِ المَطْعَمِ، فقيدَ فقيدُ قوتِ الوقتِ فصار في فيءِ ذكر الوعد.

فما انقضتِ الليالي حتى أنقَضَت[٦] ظَهْرَ الصبر، فقام لترائي هلالِ الوفاءِ بالأمرِ، فَلَاحَ في مطلعِ فلاحِ القصدِ، فبادر يسعى على أَقدامِ الحُبِّ إلى زيارة رَبْعِ الحِبِّ[٧]، فكاد يقتُلُهُ قلقُ[٨] الوجدِ، فوجدَ الهواءَ متغيِّرَ الريح في عَرْضة[٩] الفم، فصاحَ به فصيحُ لسانِ الحَزْمِ من وراءِ رأيِ العزمِ: يا موسى غيِّرْ أثراً لأَزْمٍ[١٠]، فتناولَ مضغةً من النبات فمضغَها.

فقيل له: أيُّها الصائِمُ عن أمرِنا، لم أفطرتَ برأيك؟.

فقال: وجدتُ لفمي خلُوفاً، وما أردتُ بفعلي خلافاً.

فقيل: أما علمتَ أنّ فَوْرَ فورةِ الخلوف من قدْر الإمساك أطيبُ عندنا من فارةِ فأرةِ المسك[١١]، إنّا لننظرُ إلى قصد الفاعلِ لا إلى صورةِ الفعل، الدّمُ نجسٌ

---

(١) **النّاد**: النافر الذاهب على وجهه شارداً.

(٢) **مسك**: جلد.

(٣) **فَدام**: من الدوام والاستمرار.

(٤) **فِدام**: بكسر الفاء ما يوضع على الفم غطاء له.

(٥) **فيه**: فمه.

(٦) **أنقض**: أثقل.

(٧) **الحِبّ**: المحبوب والحبيب.

(٨) **في (ب)**: (يكاد يقلقه قلقه).

(٩) **عرْضة**: رائحة الفم.

(١٠) **الأزم**: تغير ريح الفم بالصوم أو طول السكوت.

(١١) **فأرة المسك**: النافجة، قال الجاحظ: سألتُ عطاراً عن فأرة المسك، فقال: ليس بالفأرة وهو بالخِشْف أشبه (والخشف: ولد الغزال)، وفأرة المسك يعصب الصياد=

مجتَنَبٌ، لكنّه في حقِّ الشهيدِ شهيٌّ «زَمِّلُوهم بكُلومهم ودمائهم»(١).

فرجعَ موسى عاكفاً على معتكَفِ كَفْكَفِه(٢) ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وأُحْضِر حتى حضرَ حظيرةَ القدسِ، فنسيَ الإنسَ بما آنسَ من الأُنس:

فكـــلُّ شـــيءٍ رآه ظنَّـــهُ قَـــدَحـــاً   وكـــلُّ شَخْـــصٍ رآه ظَنَّـــهُ السّـــاقِـــي

فلمّا دارتْ في دائرةِ دارِالحِبِّ كؤوسُ القُرْبِ، وسَمع النداءَ وسْط النادي بلا واسطةٍ، وسِيْطَ(٣) له من وَسِيْطِ أقداحِ المُنى في المناجاة بلا وسيطٍ، طابَ له شرابُ الوصالِ من أوطاب(٤) الخطابِ، في أواني سَمَاعِ الكلامِ، فناداه تَوَقُ(٥) شوقِـهِ:

(للشريف الرضي):

أوانٍ(٦) أنـــتَ فـــي هـــذا الأوانِ   عنِ الرَّاحِ(٧) المُرَوَّق(٨) في الأَوَاني؟

رأى عن الغَوْر وميضاً فاشتاق، ما أَجْلَبَ البرقَ لدمعِ الآماق، فصاح لسانُ الوجدِ: ﴿أَرِنِىٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فرُدَّ شاردُ شحَذَانِ(٩) الشوق على الطَّوى(١٠)

= سرتها بعد صيدها بعصاب شديد، وسرتها مدلاة، فيجتمع فيها دمها ثم تذبح، فإذا سكنت قوّر السرة ثم دفنها في الشعير، حتى يستحيلَ الدم الجامد مسكاً نقيّاً بعدما كان دماً لا يرام نتناً.

(١) قاله ﷺ في شهداء أحد، رواه النسائي في كتاب الجنائز والجهاد؛ والإمام أحمد في (المسند).

(٢) **كفكفه**: الكفكف: الصرف، وهذا إشارة إلى منع نفسه عن الطعام والشراب.

(٣) **سيط**: مزج.

(٤) **أوطاب**: جمع وطب، وهو السقاء.

(٥) **التَّوَق**: الشوق إلى الشيء والنزوع إليه.

(٦) **أوانٍ**: وانٍ: اسم فاعل من ونى، أي: ضعف وفتر وكَلَّ، والهمزة للاستفهام.

(٧) **الراح**: الخمرة.

(٨) **المُرَوَّق**: الصافي.

(٩) **شحذان**: بالتحريك: الجائع.

(١٠) **الطوى**: الجوع.

بطوق ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، إلا أنّ جَزَع الفِطام سكّن شُعَلَهُ[١] بتَعِلَّةِ[٢] ﴿ وَلَٰكِنِ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، فلمّا تجلى جلَّ جلاله للجبل مَرَّ[٣] ، فخرَّ موسى في بحر الصَّعْق فرقاً، فَرَقَى فَرَقُه[٤] ذروةَ ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، وما انبسط موسى بقول: ﴿ أَرِنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣] إلا ببسط: «سلني ولو مِلْحَ عجينك»[٥] لو تركه مع رعيه الغنم في شِعْب شُعيب[٦] ما جال في ظنّه سؤال الرؤية[٧] ، ولكنَّه استدعاه بالنداء، وآنسه بالتقريب، وباسطه بالتكليم.

فلمّا عاينَ الحِيرةَ ... حادِي جملي حارا[٨]

كان موسى يطوفُ في بني إسرائيل، ويقولُ: من يحمّلني رسالةً إلى ربي؟ ما كان مرادُه إلا أن يطوِّلَ الحديثَ مع الحبيب:

فقلتُ له قُصَّ[٩] الحديثَ الذي انقضى ... وذكراكَ مِنْ ذاكَ الحديثِ أُرِيْدُ
يُجَدِّدُ تِذكارُ الحديثِ مَوَدَّتي ... فذكْرُكَ عِندي والحَديثُ جَدِيْدُ
أُناشدُه إلاَّ أعادَ حَدِيثَهُ ... كأنِّي بَطِيءُ الفَهْمِ حينَ يُعيدُ

---

(١) شعله: شُعَل جمع شعلة.
(٢) تعلة: من التعلل، وهي الشربة الثانية بعد النهل.
(٣) مرّ: أي ذهب وانطمس في الأرض، وكأنه يشير إلى (الدك) من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .
(٤) فَرَقُهُ: خوفه.
(٥) رواه الديلمي في (مسند الفردوس) وقال عنه ابن عراق في (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة: ٢/ ٣٣٧): رواه الديلمي عن صحابي مبهم، وفيه راوٍ لا أعرفه.
(٦) المؤلف من أصحاب الرأي المشهور القائل بأن الشيخ الكبير المذكور في سورة القصص آية (٢٣) هو شعيب عليه السلام، وهذا أمر مشكوك فيه، فشعيب كان قبل موسى عليه السلام بزمن بعيد، وقد قال لقومه: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٩] ، ولوط كان في زمن إبراهيم عليه السلام، ومن المعروف أنَّ بين إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ زمناً طويلاً يزيد على أربعمئة عام، كما قاله غيرُ واحدٍ. فلينظر.
(٧) في (ب): (ذلك الطمع).
(٨) حار: بمعنى وقع في الحيْرة والتردد والارتباك، والألف للإطلاق.
(٩) قُصَّ: فعل أمر من يقص؛ أي: تتبع وتبيّن.

مات موسى قتيلَ شوقِ ﴿أَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلمّا جاز عليه نبينا ﷺ ليلة المعراج، ردّده في الصلوات، ليسعد برؤيةِ مَنْ قد رأى:

وإنّـي لآتـي أرضَكُـمْ لالحـاجـةٍ لعلّـي أراكُـم أو أرَى مَـنْ يـراكُـمُ

* * *

إنْ تَشْـقَ عَيْنـي بِهِـمْ فَقَـد سَعِـدَتْ عَيْـنُ رَسُـولـي وفـازَ بـالنَّظـرِ
وكلّمـا جـاءنـي الـرَّسـولُ لهـمْ رَدَّدْتُ شَـوقـاً فـي طَـرْفِـه نَظَـري
تَظهَـرُ فـي طَـرْفِـهِ[1] مَحَـاسِنُهُـمْ قَـدْ أثَّـرتْ فيـه أحَسَـنَ الأثـرِ
خُذْ في مُقْلَتي[2] يا رَسُوْلي عاريةً[3] فـانْظُـر بِهَـا واحْتَكِـمْ على بَصَـري

* * *

---

(١) طرفه: عينه.
(٢) مقلتي: عيني.
(٣) عارية: قرضاً، ومنسوبه إلى العارة، وهو اسم من الإعارة، والعارية كأنها منسوبة إلى العار، لأن طلبها عار.

الفصل الخامس عشر

في قصة الخضر عليه السلام[1]

لما علا شرفُ الكليم بالتكليم على كلِّ شرفٍ، قال له قومُه: أيُّ الناسِ أعلم؟ فقال: أنا، ولم يقل فيما أعلمُ، فابتليَ فيما أخبر به وأعلم، فقام بين يدي الخضر، كما يقوم بين يدي السليمِ الأعلمُ[2]، فابتدأ بسؤال ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف: ٦٦]، فتلقّاه بردّ ﴿لَن﴾ [الكهف: ٦٧]، وكم أنَّ[3] موسى من ﴿لَن﴾؛ أمر قومه بالإيمان فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ﴾ [البقرة: ٥٥]، وقعوا في التِّيه فقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ﴾ [البقرة: ٦١]، نُدبوا إلى الجهاد، فصاحوا: ﴿لَن نَّدْخُلَهَا﴾ [المائدة: ٢٢]، طرق باب ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فردّه حاجب ﴿لَن﴾، دنا إلى الخضر للتعلم فلَفظه بلفظ ﴿لَن﴾، ثم زاده من زاد الردّ بكف ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ [الكهف: ٦٨]، فلمَّا سامحه على نوبةِ السفينة، وواجهه بالعتاب في كَرَّةِ الغُلامِ، أراق ماء الصُّحْبةِ في جدالِ الجدارِ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

ثم فسَّر له سِرَّ المُشْكِلِ، فجعل يشرحُ القَصَصَ فصلاً فصلاً، بمِقْوَلِ[4] قائلٍ يقول فصلاً، وكلَّما ذكَّره أصلاً أصلى[5]، لم يبق لموسى عينٌ تراه أصلاً، وكلّما سَلَّ من حَرٍّ للعتاب نَصْلاً، صاحَ لسانُ حالِ موسى: كم نُصْلَى؟ فألقى تفسيرَ الأمورِ على الكليم وأَمْلَى، والقَدَرُ يقول: أهو أعلم أم لا؟.

فعلمَ موسى ويوشَعُ أيَّ عبدٍ أمّا[6]، منذ ابتدأ بالشَّرحِ بأمّا، ثم أخذ لسانُ

---

(١) انظر: سورة الكهف، الآيات: ٦٠ ـ ٨٢.

(٢) **السليم**: أي سليم النطق. **والأعلم**: من كان مشقوق الشفة العليا.

(٣) **أنّ**: من الأنين، وهو صوت المتوجع.

(٤) **المقول**: اللسان.

(٥) **أصلى**: أحرق.

(٦) **أمّا**: قصدا.

العتاب يُذَكِّرُ مَنْسيَّ موسى، أَتُنْكِرُ خرقَ سفينة لظاهر إفسادٍ تَضَمَّنَ ضِمْنَه صلاحُ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]؟! أَوَتُنْكِرُ إتلاف شخصٍ دنيءٍ لإبقاء دينِ شَخْصَيْن؟! أَوَكَرِهتَ إقامة الجدار لشُحِّ أهلِ القريةِ بالقِرى(١)، أفأردت مِنَ الأصفياءِ معاملةَ البخلاءِ بالبخل؟! أما تلمَّحتَ سر «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ»(٢)؟!.

لقد أنكرتَ ما جرى لك مثلُه، حذِرتَ يومَ السفينة من الغرق فصحتَ بإنكار ﴿ أَخَرَقْتَهَا ﴾ [الكهف: ٧١]، أنسيت يوم ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: ٧]؟! أنكرتَ قَتلَ نَفْسٍ بغيرِ نَفْس، أنسيتَ يوم ﴿ فَوَكَزَهُۥ ﴾ [القصص: ١٥]؟! نهيتَ عن عمل بلا أجر، أنسيت يومَ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [القصص: ٢٤]؟! فلمَّا بانَ البيانُ، خرج الخَضِرُ من [باب](٣) دارِ الدعوى، وأخرجَ يده من مِلْكِ التصرُّفِ، وأحالَ الحالَ على الغيرِ: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف: ٨٢].

وهذه القِصَّةُ قد حرَّضَتْ على جمع رحلِ الرَّحِيل في طلب العلم، وعلَّمَتْ كيفيَّةَ الأدب في كفِّ كفِّ الاعتراض على العلم، وصاح فصيحُ نصيحها بذي اللبّ: دع دعواك، فعلى دعوى الكليم لِيم(٤)، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦].

* * *

---

(١) القِرى: ما يقدم للضيف.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤/ ١٤٨.
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٤) ليم: من اللوم.

الفصل السادس عشر

في قصة بَلْعَام وموسى

أَيُّها المتعبِّدُ! خَفْ من الفتن ولا تَأْمَنْ، فكم قد أُخِذَ آمِنٌ مِنْ مَأْمَنٍ، إنَّه لم ينجُ من غَطَامِطِ[1] بَحْرِ الفِتَنِ الأعظم حافظُ الاسمِ الأعظمِ، بل عام[2] بَلْعَامُ، رفَلَ في حُلل النِّعم كالنَّعَم، غافلاً يتعامى عن النِّعَم، وكانت بنيةُ نيّةِ تَعَبِ تعبُّدِهِ على رمل الرِّيَا[3]، فجرت تحتها أنهارُ التجربة، فانهارَ بُنيانُها فتَخرَّبَ.

كان على دينارِ دينِه ورقةُ رِقَّةٍ، فأَعْجَبَ نَضْرُه[4] نواظرَ الناظرين، فلمَّا حَكَّه المُنْتَقِدُ على حَجَر الحِجْر افتُضحَ بين أهل الحِجَى[5]، وكان ظاهِرُه لَثَقاً[6] بالتُّقَى، وباطِنُه باطيَّة[7] لِخَمْرِ الهوى، فلقد خبّأَ الخبائِثَ في طيِّ الطيباتِ[8]، فلمَّا أرادَ المقدِّرُ تنبيهَ جارِه على جَوْرِه، تقدَّمَ إلى القَدَر بِهَتْكِ سَترِه، فأتاهُ وهو في عُقر[9] عَقارِ[10] الهَوَى، يعاقرُ عُقارَ[11] الريا، وقَدْ رَفَعَتْ له عقيرته[12]

---

(١) بحر غطامط: عظيم الأمواج.

(٢) عام: سبح.

(٣) الريا: مقصور الرياء.

(٤) النَّضر: الحُسْنُ.

(٥) الحِجى: العقول.

(٦) لثقاً: من اللثق: وهو الندى.

(٧) باطية: وعاء الخمر.

(٨) في (ب): الطويات.

(٩) عُقْر: وسط المكان.

(١٠) العَقار: الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك.

(١١) عُقار: خمر.

(١٢) عقيرته: صوته.

عَاقِرُ الفهمِ[١] إلى أن عُقِرَ[٢] بعَقْرِ[٣] قلبه فعاد عقيراً، فدعَّه القدرُ إلى صفٍّ صَفْصَفِ الدعوى، وأرسل عليه لإصراره صَرْصرَ العُجب، فمزَّقت جلبابَ التعبُّد، فصيَّره عصفُها عصفاً[٤]، فانكشفت عُوارُ[٥] عورتِه فغَوى، فإذا به كَلْبٌ عقورٌ.

وقِصَّةُ إقْصائِه أنَّ القدَرَ ساقَ الكَلِيْمَ إلى محاربةِ فُسَّاقِ بَلْدَتِه، فقالوا له: اشحذ موسى[٦] الدعاء على موسى، فَمَجَّ فوه مجمجةَ[٧] التمنُّع، فخوَّفُوه بنحت خشبة، فخشَّته[٨] خشيةُ الخَلْقِ، فخرجَ حتى أتى على أتانٍ[٩]، فلمَّا قفا وقفَتْ ليقفَ سيرُ عزمِهِ، فضرى[١٠] بضربها حتى أضرَّ بها، فقامت في المحجَّةِ تتكلَّمُ بالحُجَّةِ عليه: لِمَ تَضْرِبُني؟ وهذه نارٌ تمنعُ الماشيةَ المشيَ، فرجع إلى مَلِكِهِم فأخبره خَبَرَه، وما نقل العتبَ المقصودَ ولا خَبَرَهُ، فألجأ الملكُ صُلبَ عَزْمِه إلى أمرٍ صُلْبٍ: إمَّا الدعاءُ عليهم، وإمَّا الصَّلْبُ، فخرجَ، فأتبعه الشيطان، فما كان إلا أن بلغ المكان ﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

تالله ما عدا عليه العدوُّ، إلا بعد أن تولَّى عنه المولى، فلا تَظُنَنَّ أن الشيطانَ غَلَبَ، وإنما العاصِمُ أعرَض، وإن شككتَ فاسمع هاتفَ القَدَرِ، مخبراً عن عزة القادر ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

* * *

---

(١) **عاقر الفهم**: يقال: عَقَر الرجل عقراً: بقي مكانه، لم يتقدم ولم يتأخر لفزعٍ أصابه، كأنه مقطوعَ الرجل، والعاقر من الرمل: ما لا يُنْبِتُ.

(٢) **عقر**: أهلك، يقال: ليعقرنّه الله: أي ليهلكنَّه.

(٣) **عقر**: بفتح العين وضمها: أصلُ كلِّ شيء.

(٤) **عصفاً**: زرعاً أُكِلَ حبه، وبقي تبنه.

(٥) **عوار**: بفتح العين وضمها: خرق في الثوب، أو مطلق العيب فيه. وقال ابن الأثير: بفتح العين العيب، وقد يُضم.

(٦) **اشحذ موسى**: سُنَّ السكين.

(٧) **مجمجة**: مجمج فلان في خبره: لم يبينه، والمجماج: المسترخي الرهل.

(٨) **خشته**: أي خشت فيه: دخلت فيه ونفذت.

(٩) **الأتان**: أنثى الحمار.

(١٠) **ضرى**: أغرى ولازم.

الفصل السابع عشر

في قصة قارون

كان قارونُ غايةً في فقهه وفهمه، وكان في النَّسَبِ إلى موسى ابن عَمِّه، فلمّا فاضت الدنيا عليه، فاضت[1] نفسُ علمِه، وكانت مقاليدُ خزائن خزاياه وَقْرَ ستين بغلاً، غير أنَّ الذي فاته بما ناله أعلى وأغلى، سحب ذيل ﴿ فَبَغَىٰ ﴾ [القصص: ٧٦]، فقام قومه بزجر ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ [القصص: ٧٦]، وألْقَوْا إليه نصائح ﴿ وَٱبْتَغِ ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ وَلَا تَنسَ ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ وَأَحْسِن ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ وَلَا تَبْغِ ﴾ [القصص: ٧٧].

فركبَ يوماً في وقتِ اقتداره في أربعة آلاف مقاتلٍ، وسُمُّ الهوى يعمَلُ في المقاتِلِ، وركبَ معه في معمعتِه[2] ثلاثمئة جارية، وقد أنساه سفَهُ الأملِ أنَّ سفينةَ الأجلِ جاريةٌ، فلمّا غلا وعلا، حُطَّ إلى حطيط ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ ﴾ [القصص: ٨١]، فقالَ الجاهلون: إنما بادرَ[3] موسى بادرته[4]، لأخذ بَدْرَةِ[5] بيدارِه[6].

فقال حاكمُ الغيبِ لإزالة الرّيْب: ﴿ وَبِدَارِهِ ﴾ [القصص: ٨١]، فقال موسى: يا أرضُ خُذيه، فاسْتَخْذَتْ[7] لأمرِه، فَسرَتْ بسَريرِه، فناشده قارونُ بالرَّحِمِ فما رُحِمَ، فأخذته لِتَقَدُّمِهِ حتى غَيَّبَتْ قدميه، فما زالَ يردِّدُ القولَ حتى غاب الغَبيُّ

---

(١) **فاضت نفسُ علمِه**: كناية عن نفاد العلم، إذ فَيضُ النفس يعني الموت.

(٢) **معمعته**: الجلبة والتحزب.

(٣) **بادر**: سارع.

(٤) **بادرته**: البادرة: الحِدَّة.

(٥) **بدرة**: مقدار من المال.

(٦) **بيداره**: مكان الكنوز.

(٧) **فاستخذت**: استرخت.

الغنيُّ، وإنه ليخسف بِهِ كلَّ يومٍ قَدْرَ قامَةٍ، فلا تظنَّن الجزاءَ قدرَ قامَةٍ.

إنَّ الدُّنيا إذا طَلَعَتْ على الطَّغام[1] تُطغي، وإذا بُغي نكاحُها على العفافِ تبغي[2]، ثم إنّها تقصدُ هُلك مُحِبِّها وتبغي[3]، وكم عُذِلَتْ في فتكها بالفتى الفَتيِّ وَتَلْغي[4]، ما درَّ درُّها فغرَّت؟[5] فلمَّا فَرَغَتْ[6] فَغَرَتْ[7] فاهاً فَرَغَتْ[8] للظَّعْنِ.

أما سَحَبَتْ قُرونَ قارون مع أقرانه؟ إلى القرار في قَرْنٍ[9]؟.

أما كفكفتْ بِكَفِّها كفَّ مكفوفِ مُحِبِّها فأرَتْكَ فَنَّ ما يكونُ فيكَ في كفَنٍ؟.

تاللهِ لقد لَقِيَ الغَبِيُّ الغنيُّ غِبَّ[10] غَبواتِهِ[11]، فلمَّا انجلى غَيْهَبُ[12] عينيه رأى الغَبْنَ والغَبَن[13]، نعوذُ بالله من الخذلان.

* * *

---

(١) **الطغام**: أوغاد الناس.
(٢) **تبغي**: من البغاء، أي: الزنى.
(٣) **تبغي**: أي تريد.
(٤) **تَلْغي**: من لغى يلغى بالأمر: أولع به، ولزمه فلم يفارقه.
(٥) **فغرّت**: من غرّه: أي خدعه وأطمعه بالباطل: فهي غَرورٌ، وهو مغرورٌ.
(٦) **فرَغت**: يقال: فرغَ من الشيء: أتمَّه.
(٧) **فَغَرَتْ**: فتحت.
(٨) **فرغَت**: من الرغاء، أي: صاحت للرحيل.
(٩) **القَرن**: الحبل.
(١٠) **غب**: عاقبة.
(١١) **غبواته**: جمع غباء.
(١٢) **غيهب**: ظلام.
(١٣) **الغَبْن**: بفتح الغَيْن وتسكين الباء: يكون في البيع، بمعنى الوكس والخديعة، وبفتح الغين والباء معاً يكون في الرأي بمعنى النقص والضعف.

الفصل الثامن عشر

في قصة داود عليه السلام

لما حُلِّيَ داودُ حِليةَ النُّبوَّة، ولُقِّنَ فصلَ الخطابِ، أطربَ شَدْوُ[1] شكرِه سمعَ القُبولِ، فمنحَهُ إقطاعَ ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ [سبأ: ١٠]، فأعجبته سلامةُ العصمة، فتجهَّزَ للإجهازِ على جَرْحَى الزَّلَل، فرماهم بسهم «لا تغفر للخطائين» والقدرُ قد أَتْرَع له مما سيعضُّ عليه الأنامل ملءَ الإناء، فابْتُلِيَ بالذَّنْبِ حتى نكَّسَ رأسَ الرئاسةِ على عتبة الذُّلِّ [ودبَّ إلى داود داءُ المعاصي دبيبَ الدَّبَا[2] من حيث ما دبر][3]، رماهُ سَهْمُ ليالي القضاءِ في درع ليالي الفِتَنِ، فقضى عليه، فما قدر الدارعُ على ردِّه بدرع ﴿ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١١]:

وإذا رَامِـي المقـاديـرِ رَمَـى ... فـدُرُوْعُ المَـرْءِ أعْـوَانُ النِّصَـالِ

ظنَّ لقوَّةِ عِصمتِه لقاءَ قِرْنِ الهوى، فلاحَتْ له في حِمَى دعواهُ حَمَامةٌ من ذَهَبٍ، فذهَبَ يَصِيْدُها، فوقع في شَرَك عينه[4].

(لمهيار)[5]:

ظـنَّ غـداةَ الخِيْـفِ أنْ قَـدْ سَلِمَـا ... لمَّـا رَمَـى سَهْمـاً وَمَـا أَجْـرَى دَمَـا

فَعَـادَ يَسْتَقْـري حَشَـاهُ فـإذا ... فـؤادُه مِـنْ بينهمـا قـد عُـدِمَـا

---

(١) الشدو: الغناء.

(٢) الدبا: كل شيء يدب على الأرض.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) ما يذكر من رؤية سيدنا داود لزوجة قائده، وما تبعها من أحداث، هي من الإسرائيليات الباطلة، التي تتنافى مع عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٥) مطلع قصيدة كتبها إلى ابن عبد الرحيم في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٥٣.

لَـمْ يَـدْرِ مِـنْ أيـنَ أُصيـبَ قلبُـه وإنَّمـا الـرَّامـي دَرَى كَيْـفَ رَمَـى

طافَ على بابِه طبيبُ الألطافِ، فأرادَ اسْتِخْرَاجَ النَّصْلِ مِنْ باطنِ الشَّغَاف[1]، فجَثَا على عَتَبةِ عِتَابِه بأعتوبة ﴿خَصْمَانِ﴾ [ص: ٢٢]، فقضى على نفسِه في صريحِ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [ص: ٢٤]، فبينا هو يلاحِظُ لفظَ القَضيَّـة ألمعا[2] معاً معانيَ المعاصي، ففَطِنَ ففُتَّ في الفاتنِ فتنُ فُتْيَاه ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤]، فنزَل عن مركب العِزِّ إلى متن مسجدِ الذُّلِّ، وافترشَ فراشَ مَنْ قَدْ أساءَ في دارِ الأسَى، وخلعَ خِلَعَ الفَرَحِ لجلبابِ الحُزْنِ، وزَرَّ رزمانَقَةَ[3] الخوف على شِعَارِ القَلقِ، فأمسكتِ الحَمائمُ بنَوْحِه، وشغلَها عن صَدْحِها بصوتِه، فبالغَ حريقُ الندمِ في سويداء قلبه، وأقلقَ الأفئدة بشجى[4] شجنِهِ[5]، ومات خلق كثير من الخلق بترنُّم شجوه[6] [وصوته][7] وشرب عِرْقُ العشب من ماء عين عينه، وحشى سبعة فُرُشٍ رماداً، ثم رمى داء الحَشَا، بعد أن فرَشَها فرَشَّها، وكان يقول في مناجاته:

«إلٰهي! خرجْتُ أسألُ أطباءَ عبادِك أن يداووا لي جُرحَ خطيئتي، فكلُّهم عليك يدلني.

إلٰهي! امدُدْ عيني بالدموع، وضعفي بالقوة، حتى أبلغَ رضاكَ عني».

(. . .):

يـا مَـنْ تجنُّـبُ صبـري فـي تجنُّبِـه هبْ لي من الدمع ما أبكي عليكَ به
حتَّـى متـى زَفَـراتـي فـي تصـاعُـدِهـا إلى الممـاتِ، ودمعي في تصوُّبِـه
ولـي فـؤادٌ إذا لـجَّ الغـرامُ بِـهِ هـامَ اشتيـاقـاً إلـى لقيـا معـذِّبِـه

---

(١) **شَغاف**: غلاف القلب، أو سويداؤه وحَبَّته.
(٢) **ألمعَ**: لمح، وألمعَ إلى: أشار.
(٣) **رُزمانقة**: بضم الراء: جبة من صوف.
(٤) **شجى**: الشجى ما اعترض في الحلق، من عظم ونحوه.
(٥) **شجن**: همّ وحَزَن.
(٦) **شجوه**: حزنه.
(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

ما زالَ يغسل العين من عين[1] العَيْنِ، ولسانُ العِتَاب يقولُ: يا بُعدَ اللقا، وكلَّما رفعَ قِصَّة غُصّتِه، جاء الجوابُ بزيادةِ الجَوَى، وهو يستغيثُ وينادِي، حتى أقلق الحاضر والبادي:

إنَّ شَفيعـــي إليـــكَ مِنِّـــي دُمُـــوعُ عَيْنِـــي وَحُسْـــنُ ظَنِّـــي
فبـــالَّـــذِي قَـــادَنِـــي ذَلِيْـــلاً إلَيْـــكَ إلاَّ عَفَـــوْتَ عنِّـــي

* * *

(١) عين العين: العين الباصرة، وعينها ما وقع على بؤبؤها من صُوَر.

الفصل التاسع عشر

في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس(١)

ركبَ سليمانُ يوماً مَرْكَبَ الرِّيح، فراحَتْ بواديه على وادي النَّمْلِ، فندّتْ نملةٌ، فنادت أخواتِها بنداء ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ [النمل: ١٨] ثم قامت، فأقامتْ لعدلِه عُذْر ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فحملتْهُ أريحيَّةُ(٢) الشكرِ على طَرَبِ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل: ١٩]؛ لأنها تلفَّظت: ﴿يا﴾ نادت، ﴿أيُّها﴾ نبَّهت، ﴿ٱلنَّمْلُ﴾ عيَّنت، ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ أمرت، ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾ نصَّت، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ حذَّرت، ﴿سُلَيْمَٰنُ﴾ خصَّت، ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ عمَّتْ، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ عذرت.

فلمَّا فصلَ طالوتُ مُلكه بالجنودِ عن وادي النمل، وقعَ في مفازةٍ، لا يرى فيها على ماءٍ عَلَماً، فجاشَ(٣) جَأْشُ(٤) الجيشِ لفقرِهم في القَفْرِ إلى الماءِ ألماً، وكان الهُدْهُدُ يدلُّهم على الماء فغابَ، فتوعَّده بلفظِ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ [النمل: ٢١]، فجاءَ ببهتِ(٥) ذكيٍّ ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢]، فحمَّلَهُ كتاباً، فألقاهُ مِنْ قارة(٦) بمنقاره، فرأت اليقظى(٧) بيقظانِ فَهْمِهَا، كتاباً مختوماً، وأمراً

---

(١) انظر هذه القصة في: سورة النمل، الآيات: ٢٠ـ٤٤.

(٢) **الأريحية**: الكرم والجود، وأخذته الأريحية: ارتاح للندى، وهزته: دفعته إلى السخاء.

(٣) **جاش**: جاش البحرُ: اضطرب وهاج، والعين: فاضت.

(٤) **الجأش**: القلب والصدر.

(٥) **ببهت**: من بهت الخصم: إذا استولت عليه الحُجَّةُ، ودُهش بها.

(٦) **قارة**: أكمة.

(٧) **اليقظى**: الملكة بلقيس.

محتوماً، وكلاماً عجيباً، وحاملاً غريباً، فصادّها[1] العقل والفهم فصادَاها[2]، فاستشارتْ قومَها، فأومَوْا[3] إلى الحَرْبِ بلفظ ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾ [النمل: ٣٣]، فعلمتْ أنَّ مَنْ جندُه الطيرُ لا يُحارَبُ، وبَعَثَتْ ما يُـفرِّقُ بين الدعوة والدعوى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥].

واعجباً! الذهبُ إذا ذهبَ سهمُه لا يخطئ، والرشا[4] إذا رشّت مزالقَ أقدام العقول لا تبطئ.

(. . .)

لا يغـــــرنَّـــكَ مِـــنَ المَـ ... زْءِ رِداءٌ رَقعَـــــــــــهْ
وَقَمِيْـــــصٌ فـــوقَ كَعْـــبِ ... السَّـــاقِ مِنْـــهُ رَفَعَـــهْ
وَجَبِيْـــــنٌ لاحَ فيـــــهِ ... أَثَـــرٌ بسُجُـــودٍ خَلَعَـــهْ
أَرِهِ الـــدِّرْهَـــمَ تعـــرِفْ ... غَيَّـــهُ أو وَرَعَـــهْ

فلمّا بَدَتْ هوادي هديّـتها، صاحَ سليمانُ بعزٍّ ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦]، فلمَّا صحَّ عندها ما يدعو إليه وثَبَت، وَثَبتْ على أقدامِ الطَّلَبِ، وهيَّأتْ مراكبَ القَصْدِ، ورَحَلَتْ في هَجيرِ شَمسِ الهُدَى على نجائبِ الهِجْرَةِ، فلمَّا سمعَ سليمانُ برحيلِها، أرادَ تقوية دليلِها، فنادى في نادي عفاريتِه، مستعرِضاً جندَ بطشِها: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، فلمَّا جِيءَ به[5] سَتَرَهُ بقِرام[6] ﴿نَكِّرُواْ﴾ [النمل: ٤١]، ثم ابتلاها ليرى ذكاها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]، ثم صرَّحَ بلفظ ﴿ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤] فشُبِّهَ لها لضعفِها عن لطافةِ [كأسِ ساقيتها][7]،

---

(١) **فصادَّها**: من الصدّ: أي الاعتراض.
(٢) **فصاداها**: من الصيد.
(٣) **فأومَوْا**: من الإيماء، أي: أشاروا.
(٤) **الرشا**: جمع رشوة.
(٥) إن الذي جاء بالعرش رجل كان عنده علم من الكتاب، كان في مجلس سليمان عليه السلام.
(٦) **القرام**: بكسر القاف، الستر الرقيق.
(٧) في(ب): كأس ساقيها.

فكشفت عن ساقيها، فلمَّا وصلت وسلَّمت، أسلمتْ فسَلِمتْ، وحلَّت قبل أنْ حلَّتْ نطاقَ النُّطْقِ، فنثرَتْ خرزاتِ نظامِه، على نظمِ العُذْرِ: ﴿ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

* * *

الفصل العشرون

في قصة مريم وعيسى عليهما السلام[1]

كانت أمُّ مريمَ حنَّةُ قد حَنَّتْ إلى ولدٍ، فكبُر عَليها امتناعُه، واستولى الكِبَرُ، فرأتْ يَوماً طائراً يَغْذُو فَرْخاً فرِحاً، فَرَجَى أملُها اليؤوسُ فَرَجاً فرجا[2]، فسألتْ عندَ هذهِ القضيَّةِ وَلَدَيْها[3] ولداً، فلمَّا عَلمتْ بالحملِ أكسَبَها السرورُ وَلَهاً، فوهبتْهُ بلسانِ النَّذْر لمن وهبَه لها، فقالَ القَدَرُ: يا مَلكَ التصويرِ صَوِّر الحَمْلَ أُنثى، لـنُـبَـيِّـنَ أَثَرَ الكرَمِ في قبولِ الناقصِ[4].

فلمَّا وضَعَتها وضَعتها[5] بأناملِ الانكسارِ عن سريرِ السرورِ، فإنَّ لسانَ التلهُّفِ لمَّا أَلقى على الفائتِ[6] ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فجبرَ كسرَها جابرُ ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وسـاقَ عِنانَ اللُّطفِ إلى سـاقِ زَرْعِهَا، فربا في رُبى ﴿وَأَنۢبَتَهَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فانطلقتْ بها الأمُّ تأمُّ بيتَ المقدسِ، فلبسَ القومُ لأْمَهُم[7] في حَرْبِ ﴿يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فثبتَ قلمُ زكريا إذ وثبتِ الأقلامُ، فَكَفَتَها[8] وكفلَها، فأراها المُسبِّب غناها عن السببِ بآية ﴿وَجَدَ

(١) انظر: سورة آل عمران، وسورة مريم، وأواخر سورة المائدة.

(٢) الأولى من الفرج، والثانية من الرجاء.

(٣) **ولديها**: من لدى، أي عند رؤية الطائر الذي يغذو فرخه.

(٤) **الناقص**: كناية عن الأنثى المولودة، ولا يقصد بنقصها تنقيصاً، إذ المقصود نقص الموهوب التي هي السيدة مريم عن القيام بمهام النذر المتمثلة بخدمة المعبد.

(٥) **وضعتها** الأولى: ولدتها، **ووضعتها** الثانية: حطَّت من قدرها ومنزلتها.

(٦) **الفائت**: أي ما فاتها من رجاء أن يكون المولود ذكراً.

(٧) **لأمهم**: جمع لأمة: وهي الدرع.

(٨) **فكفتها**: ضمها.

﴿عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فربَّها مَن ربَّها[١]، فنشأت لا ترى إلا ربها.

فانتبذت يوماً من أهلها، فأقبلَ نحو ذلك البَرِّيِّ البَرِيِّ[٢] بريدُ ﴿فَأَرْسَلْنَآ﴾ [مريم: ١٧]، فتحصَّنَتِ الحَصان[٣] بحِصْن ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ﴾ [مريم: ١٨]، فانزوى إلى زاوية ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]، وأخبرَها بالتُّحفَةِ في لفظ ﴿لِأَهَبَ﴾ [مريم: ١٩][٤]، فأقيمتْ في مَهَبِّ ريح الرُّوح، فتنفَّسَتِ الكلمةُ مِنْ كَمينِ الأمرِ، فنفخَ جبريلُ في جَنْبِ جيب الدّرْعِ[٥]، فمرَّت المرأةُ حاملاً في الوقتِ، فلمَّا علمتْ ألمَّتْ بما حملَ عليها الحملُ، فأخرجَها الحَياءُ الحيُّ[٦] عن الحيِّ.

فلمَّا فاجأها وقتُ الوضع، فأجاءها[٧] المخاضُ إلى الجذع، تحيَّرت من وجودِ ولد، وما فَجَرَتْ[٨]، فَجرَتْ عَينُ الدَّمعِ، فصاحَ لسانُ الخفرَ[٩] بلفظ النَّدب: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ [مريم: ٢٣]، فأجابَها المَلَكُ عَن أمْرِ مَنْ مَلَكَ: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم: ٢٤]، وأُجري لها في أواني الأوانِ سَـريّ[١٠]، كما وهبَ لها مـن الغِلمـان سَرِي[١١]، فَسرّى[١٢] عَـن سِرِّها وجـودُ الطَّـهـور، وأُنـسُ الطـاهـر[١٣]، فسُـرَّا[١٤]، وأُرِيَتْ آيـةً تـدلُّ على قَـدْرِ القُدْرَةِ في مقام

---

(١) **ربها من ربها**: الأولى: وليها وتعهدها بما يغذيها وينميها، والثانية: حفظها.
(٢) **البرِّي البَرِيّ**: نسبة إلى البَرّ، والبريّ: نسبة إلى البراءة.
(٣) **الحَصان**: المرأة العفيفة، جمعها: حُصُن.
(٤) في الأصل: ليهب.
(٥) **جَيْب الدرع**: فتحةُ الثوب من جانب العُنُق، ويدخل فيه الرأس.
(٦) **الحي**: مِنَ الحياةِ ضدَّ الموت، أي: حياء نابض بالحياة، والحيِّ: المحلة التي يقطن بها الإنسان.
(٧) **أجاءها**: ألجأها.
(٨) **ما فجَرَت**: ما زَنَتْ وما بغت.
(٩) **الخَفَر**: الحياء.
(١٠) **سَري**: نهر.
(١١) **سري**: ذو مروءة ووجاهة.
(١٢) **سرّى**: بالتشديد، كشف ما بها من همّ.
(١٣) **الطهور**: أي الماء الذي أجراه الله لها. **الطاهر**: أي عيسى عليه السلام.
(١٤) **سُرّا**: من السرور، أي: ابتهجا، يعني: مريم وابنها.

﴿ وَهُزِّيٓ ﴾ [مريم: ٢٥] ، فهزَّت جِذْمَ جذعٍ مائلٍ مثلَ الحطبِ، فتساقطَ عليها في الحالِ رَطْبَ الرُّطَب، فأخذها الجوَى[١] في إعدادِ الجوابِ، فقيل لها: ﴿ كُلِى ﴾ [النحل: ٦٩] كِلي[٢] الكُلَّ إلى من له الكُلُّ، كنتِ بمعزلٍ من وجودِ الولد، فكوني بمعزلٍ من إقامةِ العُذْر، فالذي تولَّى إيجادَهُ يقيمُ عُذرَ العَذْرَا، لا تعجبي مِنْ وجودِ حملٍ سَافرَ عن أرضِ القُدْرَة، فلم يصلحْ أنْ ينزلَ إلا بمنزلٍ، أركانُه على عَمَدِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ ﴾ [آل عمران: ٤٢] ، فلمَّا سكتتْ وسكنتْ، بعدَ أن قعدتْ وقامتْ، أقامتْ أيامَ النفاسِ، فانقضتْ وفاتتْ ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ [مريم: ٢٧] ، فنادَوْا من أنديةِ التوبيخِ، إذ ما شاهدوا قطُّ أختَها[٣]: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ [مريم: ٢٨] فَأَضْجَروا مَريضاً قد ضنى[٤] من أنين ﴿ أَنَّىٰ ﴾ [مريم: ٢٠] على فراش ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ ﴾ [مريم: ٢٣] ، فلمَّا شارَتْ[٥] أرْيَ[٦] الرأي، أشارتْ إليهِ، فأخذتْهُ ألسنةُ تَعَجُّبِهم تعُجُّ بهم ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ ﴾ [مريم: ٢٩] ، [فكأنَّها قالت لهم: أنـا طريقٌ، وهذا مـرَّ بي، والمسـافر يُسـألُ عن الطريق، لا الطريقُ عن المسـافر][٧] ، فقام عيسـى يمخَضُ أوطابَ[٨] الخِطابِ على مِنْبرِ الخطابة، فأبرزَ بالمخضِ[٩] مَحض[١٠] إبريزِ[١١] الإقرارِ: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠] ، وأومأ إلى وجودِه من غيرِ أبٍ في إشارةِ ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى ﴾ [مريم: ٣٢] ، وكانت واسطةُ عقده ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ ﴾ [الصف: ٦] .

---

(١) **الجوى**: ضيق الصدر.

(٢) **كلي**: فعل أمر من يكل، ومعناه: أسندي وردّي.

(٣) **أختها**: أي مثلها.

(٤) **ضنى**: تعب.

(٥) **شارت**: اجتنت.

(٦) **أري**: عسل.

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٨) **أوطاب**: جمع وطب، وهو سقاء اللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه.

(٩) **بالمخض**: المخض: تقليب الرأي، وتدبّر عواقبه، حتى يظهر للمقلّب وجهه.

(١٠) **المحض**: الخالص: الذي لا يخالطه غيره.

(١١) **إبريز**: الذهب الخالص.

فلمَّا تمَّ لـهُ سِـنُّ الشّـبابِ، جلسَ على بابِ المُعجزَة، يُعطي العافيـةَ العافيةَ[1]، ويبرئ الأكمهَ والأبرصَ، فربَّما ألفى ببابهِ خمسينَ ألفاً يؤمُّونَه في كلِّ يومٍ، ولقد تركَ الدنيا فطلَّقها أيَّ تطليق، وأبغضَها ولا كبُغْضِ الرَّافضي الصدِّيق، فغزَاها بجندِ الزهدِ بين مُسرَجٍ ومُلجَم[2]، وفتكَ بها كما فتكَ بالتقيِّ[3] ابنُ مُلجمٍ، ما التفتْ إليها قطُّ وجهُ عزمه، ولا صافحَها يوماً كفُّ قلبه، ولا غَازلَها ساعةً لسانُ فكرِه، فلم يعرفْ حقيقةَ ما حَوَى سوى الحَواريين، فشمَّروا عَن [ساق][4] العَزائم، في سَوْقِ بُدْنِ الأبدانِ إلى مِنى المُنى تحنُّ بلفظ ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ، وكَتبُوا في عقد العقائدِ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٣] ، فعدَلُوا بها إلى عَدْل ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٣] .

ثم إنَّ اليهودَ اجتمعُوا في بيتِ ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٤] ، فزلزلَ عليهم بيدِ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، فدخلَ عيسى خُوخَةً[5]، فدَخلَ خلفَه ذو دَخَل[6] فـأُلقيَ عليه شِبْهُهُ، فحاقَ بالمـرءِ مـرُّ مُرادِه، وصاحَ فيـهِ حاكمُ القَدَرِ: جَوِّدْ مراقيها[7] .

* * *

(١) **العافية الأولى**: الصحة، **والعافية الثانية**: اسم فاعل من الفعل (عفا) جمعه عفاة، وهو طالب المعروف.
(٢) **المُسْرَج**: الخيل التي وضع عليها السرج. **الملجَم**: الخيل التي ألجمت.
(٣) **التقي**: يعني به سيدنا علياً رضي الله عنه.
(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).
(٥) **خوخة**: كوة.
(٦) **دَخَل**: غدر.
(٧) **جوّد مراقيها**: جوّد: حسّن، والمراقي من الدرج: عتباته، أو من السماء: أسبابها، وكل مرقاةٍ من الدرج عتبة، ويشير إما إلى رفع المسيح عليه السلام إلى السماء، أو صلب اليهود لمن ألقيَ عليه شبهُه..

الفصل الحادي والعشرون

في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام[1]

لمّا قام زكريا عليه السلام بإقامةِ الإقامةِ لمريم، رأى وكيلَ الغَيْبِ يسبقُه بالإنفاذِ على يدِ القدرِ في كِنّ[2] كُنْ، وكان إذا خرجَ، ثم جاءَ، فاجأه ثمر الثمار قد نمتْ، فكم قد ألفى الفاكهةَ الفائقةَ لا في حينها، فتلمَّحَ بعينِ زرقاءِ[3] الفَهْمِ، فرأى نفقـةَ الجاريةِ جاريـةً، وكيسُ الأسباب على خَتمِه، فصاحَ لسانُ الدَّهَشِ: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فأحالتِ الحالَ على المسبِّبِ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

فنبَّهَتْ هذه الآيةُ راقدَ طمعِه[4]، بعدَ أن طالَ وَسَنُه[5] سبعينَ سنةً، فسَنَّ على سُنَّةِ[6] وجهه ماء رجاءِ[7] ماء آسنٍ[8]، مما لم يَتسنَّه[9]، وقام الدِّرْدَح[10] بعدَ أن تقعوَسَ[11] وتَسَعْسَعَ[12]، وعسا على باب عسى في محراب ﴿دَعَا زَكَرِيَّا

---

(١) انظر قصته في: سورة آل عمران، ومريم، والأنبياء.

(٢) كِن: الكِن: ما يتخذ سترة ليقي من الحر والبرد.

(٣) إشارة إلى **زرقاء اليمامة**، وهي امرأة اشتُهرت بحدة البصر، فكانت ترى على مدى مسيرة ثلاثة أيام.

(٤) **طمعه**: كنايةٌ عن طمعه في الولد.

(٥) **الوسن**: النعاس والغفلة.

(٦) **سنَّ على سُنة**: صبَّ على حُرِّ وجهه، أي: الجزء الظاهر من الوجه.

(٧) **الرجاء**: ضد اليأس.

(٨) يشير إلى رغبته في الولد، ورجائه في أن يُرزقه من أمدٍ بعيد، لكنه لم يفسد. **والآسن**: إشارة إلى عمق الرجاء، ومكثه الطويل.

(٩) **لم يتسنّه**: لم يتغير.

(١٠) **الدردح**: الشيخ الهرم.

(١١) **تقعوس**: كبر.

(١٢) **تسعسع**: هرم وفني.

رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨]، فَسَرى بسرِّه سراً، لئلا يدبَّ على فن من أفِن[١]، فكَتَبَ قِصَّةَ ﴿لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وشكا ما شِيْكَ[٢] به مما حَلَّ[٣] من حَلِّ[٤] التركيبِ وشيكاً[٥]، في كلماتٍ هُنَّ ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، فلمّا أوردَ في قصته ما يريدُ، حَمَّلها بريدَ الرَّجاءِ، إلى مَنْ عَوَّدَ العُوْد[٦] العَوْد[٧]، فكُشف الجوى في الجواب[٨].

لله دَرُّهُ! خَدَم حتّى شابَ، ثم طلبَ نائِباً على البابِ، فأصبحَ ميتُ أملِه بوجودِ يحيى يحيا[٩]، فمَشَى لمشاهدةِ وَجْهِ القَدَرِ، وقد حال بينهما سفرُ العادات، إلى أن آنَ تلفّظُ ﴿أَنَّىٰ﴾ [مريم: ٢٠]، وهتفَ به هاتفُ ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ [مريم: ٢١]، فسألَ عَلَماً على ما يُعلَمُ به وجودُ الحمل، ليحمِلَ نفسَه على الشكرِ، فوُعِدَ بِسَجْنِ اللسانِ، مع سلامةِ الإنسانِ، إلا عن ذكر الرحمن، ليكونَ حَجُّ نطقِه مُفْرِداً.

فلمَّا وُلد له يحيى، لم يبلُغ مبلغَ يافعٍ، إلا وهو ولد نافعٌ، كان صَبا الصِّبا تميلُ بالصبيان ولا تهزُّه، فإذا قالوا له: هلمَّ بنا فلنلعبْ، قال: إنَّما خُلقنا لِلَّغَبِ[١٠] لا للعب، فقطَّ[١١] له القَدَرُ قِطّاً[١٢] من عِصامِ العصمةِ ما قَطَّهُ قَطُّ لأحدٍ، فما خَطا إلى خطأٍ ولا همَّ، ولقد رمى الدنيا على يدِ التمسُّكِ، وعلا عن

(١) **أفِن**: دخل في الأفن، وهو الخرف.
(٢) **ما شيك به**: ما آلمه.
(٣) **حلّ**: وقع.
(٤) **حلّ التركيب**: انحلال الجسم وضعفه.
(٥) **وشيكاً**: سريعاً.
(٦) **العُود**: بضم العين، العود اليابس.
(٧) **العَوْد**: بفتح العين، رجوع الخضرة إلى العود.
(٨) إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ [مريم: ٧]. **والجوى**: حبه للولد.
(٩) **يحيى**: بألف مقصورة، اسم ولده الموهوب. **يحيا**: بألف ممدودة، من الحياة ضد الموت.
(١٠) في (ب): (للتعب)، **واللغب والتعب**: بمعنًى واحد.
(١١) **قَطَّ**: قطع.
(١٢) **قِطّاً**: نصيباً.

فضـولها عن قُللِ[١] التقلُّلِ، فكانَ عيشُ عَيْشِـهِ[٢] العُشـبَ، واقتنع بمُسُـوك[٣] الحيـوان عن السِّبِّ[٤]، والشِّف[٥]، والمُشَبْرَق[٦]، وشغله عن رَقْشِ[٧] نَقْـش القَشِيْبِ[٨] والدِّمَقْسِ[٩] ما لفَّ مما لَفَقَ[١٠].

ولقد دوَى[١١] في دوٍّ[١٢] فؤادِه غيمُ الغَمِّ، فغدا الغَدَقُ[١٣] يَدِقُ[١٤]، إلى أن فاضَ قليبُ قلبِه، فانقلبتْ عيناه بقُلُبِ[١٥] كالعيون حتَّى فَرَتْ[١٦]، فحفرتْ في أخدودِ الخدودِ مجرًى، ولم يزل مِعْوَلُ دمعِهِ يحفُرُ رَكِيَّةَ[١٧] خَدِّه، حتى بدتْ فيه أضراسُ فيهِ، يا عجباً من بكاءِ مَنْ ما عَصَى ولا هَمَّ، وضَحِكِ مَنْ كتابُه بالذُّنوبِ قد ادلهمَّ[١٨]، فلمّا قاربَ الوفاةَ، وفاتَ العدوَّ سَلِمَ من آفاتِ النقل في المواطن المخصوصة بوحش الوحشة، فتخلَّصَ فيها من أَسَدِ البلاء، كما حُمِيَ من ذِئْبِ الذَّنْبِ ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

* * *

---

(١) **القُلل**: جمع قُلة: وهي أعلى الجبل، أي: أعلى درجات الزهد.
(٢) **عيشه**: حياته.
(٣) **مسوك**: جمع مسك، وهو الجلد.
(٤) **السبّ**: العمامة (د).
(٥) **الشفّ**: الثوب الرقيق.
(٦) **المشبرق**: الثوب الكتان.
(٧) **رقش**: نقش.
(٨) **القشيب**: الثوب الجديد.
(٩) **الدمقس**: كهزبر، هو الإبريسم والقز والكتان.
(١٠) **لفَق**: يقال: لفق الشيء: أصابه وأخذه.
(١١) **دَوَى**: لازم فلم يبرح.
(١٢) **دو**: الدو: الفلاة الواسعة.
(١٣) **الغدق**: الكثير المنهمر.
(١٤) **يَدقُ**: يعطي.
(١٥) **قُلُب**: جمع قليب، وهو البئر قبل أن تطوى، أي: تبنى بالحجارة ونحوها.
(١٦) **فرت**: شقت وقطعت.
(١٧) **ركية**: البئر التي لم تُطوَ.
(١٨) **ادلهمّ**: اشتد ظلامه.

الفصل الثاني والعشرون

في قصة أهل الكهف(1)

كان رَقْمُ ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] واغِلاً(2) كهفَ قلوبِ أهلِ الكهفِ، فلمَّا نصبَ مَلِكُهم شَرَكَ الشِّرْك، بانَ لهم خَيْطُ الفَخِّ ففرُّوا، وخَرَجُوا من ضِيْقِ حَصْرِ الحَبْسِ إلى الفضاءِ فضَاءَ [لهم](3)، فما راعهم في الطريقِ إلا راعٍ وافقهم، فرافقهم كلبُه، فأخذوا في ضربِه، لكونهم ليسوا مِنْ ضَربِهِ(4)، فصاحَ لسانُ حالِـهِ: لا تطردوني لمباينتي جنسَكُم، فإنَّ معبودَكم ليس من جنسِكُم، أنا في قبضةِ إشارتِكُم أسيرٌ(5)، أسيرُ إن سِرْتُم، وأحرسُ إن نمتم.

فلمَّا دخلوا دارَ ضيافةِ العُزلةِ، اضطجعوا في راحةِ(6) الراحةِ من أربابِ الكُفْرِ، فغلبَ النومُ القومَ ﴿ ثَلَـٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥]، وكانت الشمسُ تحولُ عن حِلَّتِهم(7) لحراسة حُلَّتهم(8) من بلاءِ بلى(9)، وأعينُهم مفتوحةٌ لئلا تذوبَ بأطواقِ الإطباقِ، ويدُ الألطافِ تقلِّبُ أجسادَهم لتسلمَ من أَفَنِ(10) عَفَنٍ، وجرت الحالُ في كلبِهِمْ على ما جَرَتْ بهم، فكأنَّه في شرَكِ نَومِهِمْ

---

(١) انظر القصة في: سورة الكهف.

(٢) في (ب): علا على.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) **ضربه**: من جنسه.

(٥) **أسير**: مأسور.

(٦) **راحة**: كف.

(٧) **حِلَّتهم**: بكسر الحاء، منزلهم ومحلتهم التي حلّوا بها، وهي الكهف.

(٨) **حُلتهم**: بضم الحاء، جسومهم وثيابهم.

(٩) **بلى**: فناء.

(١٠) **أفن**: فساد ونتن.

قد صِيْدَ ﴿ بِٱلْوَصِيدِۚ[1] ﴾ [الكهف: ١٨].

فخرجَ الملكُ بجمٍّ جمعِه في طِلابهم، فإذا بهم، فسَدَّ البابَ، فما وعى على وِعاء مِسْكٍ، فمَا ضاعَ حتى هلكَ المَلِكُ في بِيْدِ الهُلْكِ، فانسابَ راعٍ إلى سَبْسَبِهِم[2] ففتحَ بابَ الكهفِ ليحوزَ الغَنَمَ، فهبَّ الهواءُ فهبَّ الراقدُ، فترنَّمَ أحدُهم بلفظ: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْۖ ﴾ [الكهف: ١٩]؟ فأجابَه الآخر: ﴿ يَوْمًا ﴾ [الكهف: ١٩]، ثم رأى بقيةَ الشَّمسِ نقيةً فاتقى بالورعِ وَرَطاتِ الكذب، فعادَ يتّبعُ ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ ﴾ [الكهف: ١٩].

فلمَّا قفلوا من سفرِ النومِ إلى ديارِ العادةِ، زادَ تقاضي الطبع بالزادِ، فخرَجَ رئيسُهم في ثوبِ متنكِّرٍ، فضلَّتْ معرفتُه بالمعاهدِ، فأقبلَ يتَّهم اليقظةَ، فَمَدَّ إلى بائع الطعامِ باعَه فما باعَه، وظَنَّ أنَّه قَدْ وَجَدَ كنزاً، ولقد وَجَدَ كنزَ ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣]، فحملَهُ القومُ إلى الوالي، فقال: إنه لَمالي، [فما لكم وما لي]؟[3] كنَّا فتيةٌ أُكْرِهْنا على فتنةٍ، فخرجنا عشيةَ أمس، فنمنا في باطن كهفٍ، فلما انتبهنا خرجتُ أبتاعُ للأتباعِ قوتَ الوقتِ.

فسارَ القومُ معه في عسكرِ التعجُّبِ، فسمعَ إخوانُه جَلَبَةَ الخيلِ، في حَلْبَةِ الطَّلبِ، فتجاوبوا بأصواتِ التوديع، وقاموا إلى صلاة مُوَدِّعٍ، فدخلَ تمليخا[4]، فقصَّ عليهم نبأهم، فعادوا إلى مواضع المضاجع فوافتهم الوفاةُ، وفاتَ لقاؤهم، وَسَدَلَت عليهم حجابَ الرعبِ كفُّ ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الكهف: ١٨].

إخواني! ليس العجبُ من نائمٍ لم يعرفْ قدرَ ما مرَّ من يومِه، وإنَّما العجبُ من نائمٍ في يقظة عمره.

(. . .):

أَمَـــا واللهِ لَـــوْ عَلِـــمَ الأنـــامُ لِمَـا خُلقـوا لَمـا غَفَلـوا ونـامُـوا

---

(١) **الوصيد**: عتبة الباب.

(٢) **سبسبهم**: السبسب الأرض الواسعة.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٤) **تمليخا**: اسم الذي خرج من أهل الكهف.

لقــد خُلِقــوا لِمَــا لــو أَبْصَــرَتْــه   عيــونُ قلــوبِهــم ســاحُــوْا وهــامــوا
ممـــاتٌ ثُـــمَّ قبــرٌ ثــم حَشْـــرٌ   وتـــوبيـــخٌ وأهـــوالٌ عِظـــامُ
ليــومِ الحشــرِ قــد عَمِلــتْ رِجــالٌ   فَصَلّــوا مِــنْ مَخــافَتِــهِ وَصَــامــوا
ونحـــنُ إذَا أُمِـــرْنــا أو نُهينَــا   كَــأهـــلِ الكَهْــفِ أيْقَــاظٌ نِيــامُ

* * *

الفصل الثالث والعشرون

في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه

خُلِقَ نبيُّنا ﷺ مِنْ أرضى الأرضِ أرضاً، وأصفى الأوصافِ وصفاً، وصِيْنَ آباؤه مِنْ زَلَلِ الزِّنَى، إلى أنْ صُدِّفَتْ بتلك الدُّرة صدَفَةُ آمنة، فوثبتْ لرضاعـهِ ثُويبَةُ، ثم قَضَتْ باقي الدَّينِ حليمةُ، فقامَ نباتُه [مستعلجاً](١) على سوقِه(٢)، مستعجِلاً قيامَ سوقه(٣)، فنشأ في حِجْرِ الكمالِ كما يشاءُ، فشأى(٤) مَنْ شأي منشأ(٥).

أقبلتْ حليمةُ والجَدْبُ عامٌ في العام، فعُرِضَ على المرضعاتِ، فَأبينَ(٦) لِلْيُتْمِ، فراحتْ به حليمةُ إلى حِلَّتها، فثابَ لبنُها ولبنُ راحلتِها، فباتوا لبركةِ رُوائه(٧) رِوَاءً(٨)، وهبَّ على مَبارِكهم نسيمُ نَسْمَةٍ مُباركة، فلمَّا ظعنتِ الظعائنُ، أتت أتانُها تؤمُّ أمام الركب، فلمّا حَلُّوا حِللهم، كانت الرعاءُ تسرحُ فَيَعْقِرُهاَ سَرْحانُ(٩) الجَدْبِ، وراعي حليمةَ يعيدُ الغَنَمَ بالغُنْمِ.

---

(١) **مستعلجاً**: غليظاً، وهي زيادة من (ب).

(٢) **سوقه**: أعواده.

(٣) **السوق**: ما يباع فيها ويشترى فيها، وهو كناية عن قيامه بوظيفة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

(٤) **فشأى**: كمل وبلغ الغاية.

(٥) **شأي منشأ**: كمال المنشأ ورفعته.

(٦) **فأُبين**: أُبعِد.

(٧) **رُواء**: بضم الراء: الجمال والحسن.

(٨) **رِواء**: بكسر الراء: مرتوين.

(٩) **سرحان**: الذئب.

فبينا الصبيُّ مع الصبيانِ، هبَّتْ صَبا الجبرِ[١] بجبريلَ، فجاءَه فجأةً، فشقَّ عن القلبِ، ثم شقَّه وما شقَّ عليه[٢]، فعَلِقَ بيدِه من باطيَةِ[٣] باطنِه علقة[٤]، فقال: هذا حظُّ الشيطانِ، وقد قطعنا عُلقة[٥]، ثم أعادَ قَلْبَهُ بعد أنْ قَلَبَهُ، وما بِـهِ قَلَبة[٦]، فبقيَ أثرُ المَخيطِ في صدرِه باقيَ عمرِه، لإظهارِ سورةِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

فلمَّا بلغ سِتَّ سنين، ألوى الموتُ بالوالدة، فجدَّ في كفالتِه الجَدُّ، ثم طلبَ الموتُ عبدَ المطلب، فما أبى الطالب، ولا اشتغلَ بأوصابه[٧]، حتى أوصى به أبا طالب، فخرجَ به، وقد زانه كالتَّاجِ تاجراً، فتيمَّمَ باليتيمِ منزلَ تيماء، فرآه بحيرا[٨] ببحرتِه[٩] فقرأَ سِماتِ النُّبوَّةِ مِنْ شَمائلِ ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فشَامَ[١٠] برقُ فضلِه، فلاحَ من شيمة شامتِه، فقال لعمِّه: احفظ هذه الشامةَ مِنْ شامتٍ.

وما زال نشـرُهُ يضوعُ[١١] ولا يضيعُ، إلى أن تمخَّضتْ حامـلُ النبـوَّةِ في إبَّـانِ التَّمام، وآثـرَ الطلقُ طلاقَ الخلقِ، فتحرَّى غارَ حِراء[١٢] للفراغِ، فراغَ[١٣] إليـه المَلَكُ، فأغـارَ[١٤] حبلَ الوصـالِ في ذلك الغار، فأفـاضَ عليهِ حُلـة

---

(١) **الجبر**: الإغناء من فقر.
(٢) **ما شقّ**: ما صعب.
(٣) **الباطية**: إناء الخمر.
(٤) **علقة**: كشجرة، القطعة من الدم الجامد.
(٥) **عُلْقَة**: كقدرة، العلاقة التي يتعلق بها.
(٦) **قَلَبَة**: كشجرة، داء، يقال: ما به قَلَبَة.
(٧) **الأوصاب**: المرض والتعب.
(٨) **بحيرا**: اسم الراهب الذي لقي النبي ﷺ مرة واحدة حين كان مع عمه أبي طالب في سفرة إلى الشام.
(٩) **البحرة**: البلد.
(١٠) **فشام**: نظر.
(١١) **يضوع**: يفوحُ.
(١٢) **حِراء**: غار بمكة كان النبي ﷺ يتعبد به قبل البعثة.
(١٣) **فراغ**: مال إليه سرّاً.
(١٤) **أغار**: أحكم الفتل.

﴿ اقْرَأْ ﴾ [العلق: ١]، فأفاض إلى حُلَّة «**زملوني**» فسكَّنت خديجة غُلَّتَهُ، بعلَّة «**إنك لتصلُ الرَّحِمَ**»(١).

ثم انطلقتْ به إلى وَرَقة(٢)، فقرأ من ورقةِ سيماء نَقْشَ فضلِه، فتيقَّظَ لفهم أمرِه إذا ناموا، فقال: «**هذا الناموسُ الذي نزل على موسى**»(٣).

ولقد عرفهُ الأحبار في الكنائس، والرهبان في الصوامع، وأنذَرَ به الرَّئِيُّ(٤)، وأخبَرَ به التابعُ(٥).

فكانت تسلِّمُ عليه قبلَ النبوَّةِ الأحجارُ(٦)، وتبشّره بما أولاه مولاه الأشجارُ، وكان خاتمُ النبوّةِ بين كتفيه، وسرايا الرُّعْبِ تترك كسرى كالكِسرة بين يديه(٧)، أُلْبِسَ إهابَ الهَيْبَةِ، وتُوِّجَ تاجَ السيادة، وضُمِّخَ بأذكى خَلوقٍ أزكى الأخلاق، وأُحلَّ دارَ المُدارةِ(٨)، وأُجْلِسَ على صفحة الصَّفْحِ، ولُقِّمَ لُقَمَ لقمانَ الحكيمِ، وَوُضِعَتْ له أكوابُ التواضعِ، وأُديرتْ عليهِ كؤوسُ الكَيَسِ متضمنةً حلاوةَ [الحِلْمِ](٩)، ختامها مسكُ النُّسكِ.

وأُعطيَ لقطعِ مفازةِ الدنيا جوادَ الجَوْدِ، ونُووِل قلمَ العِزِّ، فوقَّع على

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، رقم (٣)، ومناقب الأنصار (٤٥)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٥٢) باب بدء الوحي.

(٢) **ورقة بن نوفل**: من أهل مكة، نبذ عبادة الأصنام، وتنصَّر، وقرأ بعضاً من كتب أهل الكتاب.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، رقم (٣)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٢٥٢)؛ والإمام أحمد: ٦/ ٣٢٣.

(٤) **الرئي**: الجني الذي يرى ويعرض للإنسان.

(٥) **التابع**: الجني الذي يتبع الإنسان.

(٦) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي بلفظ: «**إني لأعرفُ حجراً كان يسلِّمُ عليَّ قبل أن أبعث**».

(٧) «**نصرت بالرعب**» رواه البخاري في التيمم (١)، والصلاة (٥٦)؛ ومسلم في المسجد (٣)؛ والترمذي سير (٥)؛ والنسائي (٢٦)؛ والإمام أحمد: ١/ ٣٠١، ٢/ ٢٢٢.

(٨) **المدارة**: أي المداراة: التألف والإيناس.

(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

صحائفَ الكَدِّ، «**كلّ عملٍ ليسَ عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ**»[(١)].

كان يعودُ المريضَ، ويجيبُ دعوةَ المملوكِ، ويجلسُ على الأرضِ، ويلبسُ الخشنَ، ويأكلُ البشعَ[(٢)]، ويبيتُ الليالي طاوياً، يتقلَّبُ في قعرِ الفقرِ، ولسانُ الحالِ يناديه: يا محمدُ! نحنُ نَضَنُّ بك عنِ الدنيا لا بِهَا عنك.

ولقد شاركَ الأنبياءَ في فضائلهم وزادَ، أينَ سطوةُ ﴿لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦] من حلم «**اهد قومي**»؟! أين انشقاقُ البحرِ من انشقاق القمر؟! أين انفجارُ الحجرِ، من نبعِ الماء من بين الأصابع؟ أينَ التكليمُ عند الطورِ من قابَ قوسين؟! أين تَسبيحُ الجبالِ في أماكنها من تقديسِ الحَصى في الكَفِّ؟! أين علوُّ سليمان بالريح من ليلة المعراج؟! أينَ إحياءُ عيسى الأمواتَ من تكليمِ الذِّراع؟!.

كلُّ الأنبياءِ ذهبتْ مُعجزاتهم بموتِهم، ومعجزةُ نبيِّنا الأكبر قائمة على منار ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، تنادي: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولقد أعربَ عن تقدّمه مَنْ تقدَّمَهُ، «**آدم ومن دونه تحت لوائي**»[(٣)]، «**لو كان موسى وعيسى حيَّين ما وسعهما إلا اتِّباعي**»[(٤)]، فإذا نزلَ عيسى صلّى مأموماً[(٥)]،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام، برقم (٢٠)؛ ومسلم في الاعتصام، برقم (٨)؛ وابن ماجه في المقدمة؛ والإمام أحمد في المسند.

(٢) **البشع**: الطعام الجَشِب، وهو ما غلظ بلا أُدْم.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٤) النص يتعارض مع الاعتقاد بحياة المسيح عليه السلام، ونزوله ليحكم بالقرآن والسُّنَّة تابعاً لهذا النبي العظيم علامة من علامات الساعة الكبرى، وفي مسند الإمام أحمد وابن ماجه وأبي يعلى، واللفظ في المسند: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيُّ (أي: قُرِئَ له) فغضب فقال: «**أمُتَهوِّكون فيها يا بن الخطاب؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني**».

(٥) رواه البخاري: ٦/٣٥٨؛ ومسلم: ٢/١٩٣؛ وأحمد: ٢/٣٣٦؛ انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص٩٧ .

لئلا يدنِّس بغبارِ الشبهةِ وَجْهَ «**لا نبيَّ بعدي**»[١].

فهو أولُ الناسِ خروجاً إذا بُعثوا، وخطيبُ الخلائقِ إذا وفدوا، ومبَشِّرُ القومِ إذا يئسوا، الأنبياءُ قد سكتوا لنطقِه، والأملاكُ قد اعترفوا بحقِّه، والجنةُ والنارُ تحت أمرِه، والخُزَّان داخلونَ في دائرةِ حكمِه، وكلامُ غيرِهِ قبلَ قولِه لا ينفع، وجوابُ الحبيب له: «**قل يُسمع**»[٢]، فسبحانَ من فَضَّ له مِنَ الفضلِ ما فضَّلَه، وكساهُ من حُللِ الفخرِ الجمِّ ما جمَّله، جمعَ اللهُ بيننا وبينه في جنّته، وأحيانا على كتابه وسنَّتِه.

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات، برقم: ٩/ ١٤٩؛ ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣١٩)؛ والترمذي وابن ماجه وأحمد والبيهقي، ويكشف الحديث عن الشفاعة العظمى للرسول ﷺ حين يسأل الله سبحانه وتعالى بدء الحساب.

الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

قِصَّةُ الغار والصدّيق رضي الله عنه

لمّا أغارت قريشٌ خيلَ الحِيَلِ على الرَّسول ﷺ، خرجَ إلى غارٍ لو دخلَه غيرُه كان غَرَراً[١].

فغَرِيَتْ قريشٌ بالطَّلبِ، فنبتَتْ شجرةٌ لم تكنْ قبلُ قِبَلَ البابِ، فأظلَّتِ المطلوبَ، وأضلَّت الطالبَ، وجاءتْ عنكبوتٌ فجلَّلتْ وَجْهَ المكانِ وحاكت ثَوْبَ نَسْجِهَا، فحاكَتْ[٢] سِتراً، ثمّ حَمى اللّطف الحِمَى بحَمَامَتَيْن، فما كانَ إلاّ أنْ سكنتا من الغار فماً، فما بانَ المسْتَتِرُ، فاتخذتا عُشّاً، فغشّى ما غشّى من غشاءِ العَشا على أبصارِ المقتفِين، فصارُوا كالأَعشى، فراغَ الأعداءُ نحو تلك الناحيةِ، فرأَوْا دليلَ فراغِ الغارِ الغارِّ[٣]، فعادوا عن مَنْ عادَوْا عَوْداً بحتاً بلا بختٍ[٤].

فقال الصدّيقُ عن حَرِّ الوجدِ: «لو أنَّ أحدَهُم نظرَ إلى قَدَمَيْه لأبصرَنا».

فقال ﷺ: **«ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما»**[٥].

فلمّا رَحَلا لحقهما سُراقةُ، فَسَرَقَتِ الأرضُ قوائمَ فرسِه، فلمَّا رأى أَرْضاً صَلْداً قد فرَسَتِ الفَرَسَ، فَرَسَتْ[٦] إلى بطنِها ببطنِها، أُشربت نفسُه علمَ اليقين بظنِّها، فأخذَ يعرِضُ المالَ على مَنْ قَدْ ردَّ مفاتيحَ الكنوزِ، ويقدِّمُ الزادَ إلى شبعانَ

---

(١) **الغَرَرُ**: التعرض للهلاك.

(٢) **حاكت الأولى**: نسجت، والثانية: شابهت.

(٣) **الغار الأولى**: الموضع، **الغار الثانية**: الخادع.

(٤) **البخت**: الحظ.

(٥) البخاري (٣٦٥٣)؛ ومسلم (٢٣٨١)؛ والترمذي (٣٠٩٥).

(٦) **فرست الأولى**: افترست، والثانية: رسبت ونزلت من الرسوّ.

«**أبيتُ عند ربي**»[1]، فجازَ على خيمةِ أُمِّ مَعْبدٍ، فَأَصَحَّتْ[2] شاتُها، وأصبحتْ تشهَدُ، فوصلا إلى يثربَ على نجائب السّلامةِ، وفاتَ الخيرُ مكةَ، وفاءتِ المدينةُ بالكرامةِ.

* * *

(١) أخرجه البخاري في الصوم باب الوصال؛ ومسلم، برقم (١١٠٣) في الصيام، باب النهي عن الوصال.

(٢) **أصحّت**: يقال: أصحّ الرجل ،أي: زال ما كان به أو بما يتصل به من عاهةٍ أو عيبٍ، والمقصود: احتلابُ الشاة العجفاء الهزيلة، وكأنها صحيحة البدن.

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ

في قصة أهل بدر

لمّا بادرَ بدرُ الشريعةِ بالخروجِ إلى بدر، رأى في الصّحابة قُلّةً فارتقى قِلَّةَ[1] ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فقامَ المقدادُ[2] عن قومه قومةً، لحقِّ متابعة المبايعة، فقال: «لو سرتَ إلى بَرْكِ الغِماد لتابعناك»[3]، فما لبثَ الرَّسولُ ﷺ أن صارَ يطلُبُ بالخطابِ الأنصارَ، ففطِنَ لسعادتِـهِ سعدُ بن معاذ، فقال: «لو خُضْتَ البحرَ لَخُضْنَا».

فرأى المصطفى ﷺ في الأعداء العَدَدَ والعُدَد، والتفتَ إلى المسلمينَ فوجدَ إذْ ما وجدَ، فاستقبلَ قبلةَ الطَّلَب، واقتضى[4] كريماً ما ماطلَ[5]، فانتدبَ مددَ العَوْن بلا عونٍ، فأقبلتْ سحابةٌ تسحبُ ذيلَ النَّصرِ، فسمعَ المشركونَ منها حَمْحَمةَ[6] الخيلِ فحُمّوا[7]، وانقلبتْ قلوبُهم مِنْ يَحْمُومِها حُمَماً[8]، فنزلتِ الملائكةُ مع الإلْفَيْنِ[9]، جبريلُ في ألفين، وميكائيلُ في ألفين، وأسرى إسرافيلُ في ألفٍ مُرْدٍ مُردفين، فعدلوا كالغمائم، قد سدلوا العمائم، وأرسلَتْ قريشٌ رائداً، فعادَ بتأثير ﴿سَأُلْقِى﴾ [الأنفال: ١٢]، فحذَّرَ القومَ العُزْلَ سهامَ العزائمِ، فأثَّر عُتْبةُ في عَتْبِهِ، وكادَ يشيبُ خوفاً شيبةُ، وأحكمَ حزامَ الحزمِ حكيمُ بن حزامٍ،

---

(١) **قلة**: قلةُ كل شيء: أعلاه.

(٢) **المقداد بن الأسود.**

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند.

(٤) **اقتضى**: الأصل في الاقتضاء: طلب ما بذمته من دينٍ، ويشير هنا إلى سؤاله ربه أن ينجز له ما وعده.

(٥) **ما ماطل**: المطل: تأخيرُ سدادِ ما في الذمة من الدين.

(٦) **الحمحمة**: صوت الخيل.

(٧) **حُمّوا**: أصابتهم الحمّى.

(٨) **حمماً**: كصُرَد، فحماً.

(٩) **الإلفين**: مثنى الإلف، ويشير إلى الألفة المستحكمة بين الملكين جبريل وميكائيل.

وأبى للجهلِ أبو جهلٍ:

فلــزَّهــمُ الطِّـرادُ إلــى قتــالٍ أَحَــدُّ ســلاحِهــم فيــه الفِــرَارُ
مَضَــوْا متســابقــي الأعضــاءِ فِيْــهِ لأَرْجُلِهِــمْ بــأرْؤسِهــم عِثــارُ

فلمّا قُلبوا إلى القليب، قامَ الرسولُ ﷺ على رأسِ الرَّس[1] ينادي الرؤساء حين رُسّوا[2] بلسان ﴿ فَٱنتَقَمْنَا ﴾ [الأعراف: ١٣٦]: عن جواب ﴿ إن تَسْتَفْتِحُواْ ﴾ [الأنفال: ١٩]، لتصديق ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ ﴾ [الفتح: ٣]، في مضمون ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ ﴾ [المطففين: ٣٦]: يا فلانُ! ويا فلان! **«هل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً؟»**[3].

• ذكر من شهد بدراً على الحروف[4]:

حرف الألف

أبي بن كعب، أبي بن ثابت، أوس بن ثابت، أوس بن خولي، أوس بن الصامت، أسعد بن زيد، أنس بن معاذ، الأرقم بن أبي الأرقم، أربد، أسير بن عمرو، أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ، إياس بن البكير.

حرف الباء

بشر بن البراء، بشير بن سعد، بلال، بُجَيْر، بُحاث بن ثعلبة، بَسْبَس بن عمرو.

حرف التاء

تميم بن يُعار، تميم مولى خِراش، تميم مولى بني غَنْم.

حرف الثاء

ثابت بن أقرم، ثابت بن ثعلبة، ثابت بن خالد، ثابت بن عمرو، ثابت بن

---

(١) **الرّس**: القليب.

(٢) **رسوه** ودسوه ودفنوه واحد.

(٣) حديث: **«هل وجدتم»** أخرجه الإمام مسلم والنسائي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير: ٢/ ٤٩٠؛ والسيرة الشامية: ٤/ ١٣٧.

هَزّال، ثَعْلبة بن حاطب، ثعلبة بن عمرو، ثعلبة بن عَنَمة، ثَقِف[١].

حرف الجيم

جابر بن خالد، جابر بن عبد الله بن رئاب، جبّار بن صخر، جُبَيْر بن إياس، جبر بن عتيك.

حرف الحاء

الحارث بن أنس، الحارث بن أوس، الحارث بن خَزَمة، الحارث بن ظالم، الحارث بن قيس، الحارث بن النعمان، حارثة بن الحِمْير، حارثة بن سراقة، حارثة بن النعمان بن رافع، حارثة بن النعمان بن نفيع[٢]، حاطب بن أبي بَلْتَعة، حاطب بن عمرو، الحباب[٣]، حبيب[٤]، حرام[٥]، حُرَيْثُ بن زيد[٦]، الحُصَيْن بن الحارث، حمزة بن عبد المطلب.

حرف الخاء

خالد بن البَكَيْر، خالد بن زيد[٧]، خالد بن قيس، خلّاد بن رافع، خلّاد ابن سويد، خلّاد بن عمرو، خُلَيد بن قيس[٨]، خَبّاب بن الأرت، خباب مولى عُتبة، خُبَيْب بن إساف، خارجة بن الحِمْيَر، خليفة بن عدي، خُنَيْس بن حُذافة، خَوْليّ[٩].

---

(١) قال الواقدي: **ثِقاف**: ثمامة بن عدي القرشي، ذكر الطبري أنه شهد بدراً.
(٢) بخط الأمين في الاستيعاب: «.. بن نَفْع» وكتب تجاهه بالفاء قيَّده طاهر بن عبد العزيز.
(٣) **الحباب**: هو ابن المنذر بن الجموح.
(٤) **حبيب**: هو ابن أسلم الأنصاري، قال ابن أبي حاتم: بدوي.
(٥) **حرام**: هو ابن ملحان، واسمه مالك بن خالد الأنصاري.
(٦) هو أخو عبد الله بن زيد الذي رأى في منامه مَن علّمه الأذان، فقصها على الرسول ﷺ.
(٧) هو أبو أيوب الأنصاري من أكرمه الرسول ﷺ بالنزول في بيته لما قدم المدينة المنورة مهاجراً، ودفن تحت أسوار القسطنطينية.
(٨) **خُلَيد** أو خُلَيدة بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي.
(٩) **خَوْليّ** بن خوليّ بن عمرو بن زهير الجُعفي.

حرف الدال

ليس فيه أحد.

حرف الذال

ذَكْوان بن عبد قيس، ذو الشِّمالين بن عبد بن عمرو[١].

حرف الراء

رافع بن الحارث، رافع بن عُنْجُدة[٢]، رافع بن المُعَلَّى، رفاعة بن رافع، رفاعة بن عبد المنذر، رفاعة بن عمرو، الربيع بن إياس، ربيعةُ بن أكثم، رِبْعي[٣] بن رافع، رُجَيْلة[٤].

حرف الزاي

زيد بن أسلم، زيد بن حارثة، زيد بن الخطاب، زيد بن سهل، زيد بن وديعة، زياد بن كعب، زياد بن لَبِيد، الزبير بن العوّام.

حرف السين

سعد بن خَوْلة، سعد بن الربيع، سعد بن سهل[٥]، سعد بن عثمان، سعد ابن مالك[٦]، سعد بن معاذ، سعد القاري[٧]، سعيد بن قيس، سهل بن حُنَيْف،

---

(١) هل ذو الشمالين هو ذو اليدين؟ فيه القولان، هو هو، والآخر: ذو اليدين عمير بن عبد عمرو.

(٢) **عُنْجُدة**: أم رافع، واسم أبيه الحارث.

(٣) **ربعي** بن أبي ربعي بن رافع.

(٤) قال ابن هشام: هو (رُحَيلة) بالحاء، قال ابن إسحاق: بالجيم، والصواب بالحاء، وقيّده الدارقطني وغيره بالخاء.

(٥) هو سعد بن زيد بن مالك الأنصاري كما في (البداية والنهاية: ٣/ ٣١٩)؛ وعند الواقدي: سعد بن زيد بن الفاكه، وقيل: سعيد بن سهل.

(٦) هذا سعد بن سعد بن مالك، تجهز لبدر فمات، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

(٧) هو سعد بن عُبيد، ويقال: عمير بن النعمان، أبو زيد القاري، وفي (الواقدي: ١/ ١٥٩): (سعد بن عبيد بن النعمان).

سُهَيْل بن رافع، سهيل بن عَتِيك، سهل بن عدي، سهل بن قيس، سُهَيل بن البيضاء[١]، سُلَيم بن الحارث، سليم بن عمرو، سليم بن قيس، سليم بن مِلْحان، سليم أبو كَبْشَة[٢]، سَلَمَة بن أسلم، سلمة بن ثابت، سلمة بن سلامة، سالم بن عُمير، سالم مولى أبي حُذيفة، سُراقة بن عمرو، سراقة بن كعب، سِماكُ بن خَرَشَة، سَماك بن سعد، سِنان بن صَيْفي، سنان بن أبي سنان، سُوَيْبِط ابن سعد، سَواد بن رزين، سواد بن غَزية، السائب بن عثمان، سُبَيع بن قيس، سُفيان بن بشر، سَليط أبو سليمان[٣].

حرف الشين

شُجاع بن وهب، شَمّاس بن عُثمان.

حرف الصاد

صالح بن سنان، صفوان بن وهيب[٤].

حرف الضاد

ضَمْرة بن عمرو، الضحّاك بن حارثة.

حرف الطاء

الطُّفَيْل بن الحارث، الطفيل بن مالك، الطفيل بن النعمان.

حرف الظاء

ليس فيه أحد[٥].

---

(١) **البيضاء**: أم سهيل، واسمها دعد، واسم أبيه: وهب بن ربيعة.

(٢) **أبو كبشة**: مولى رسول الله ﷺ.

(٣) **سَليط** بن قيس بن عمرو بن عبد الله الأنصاري.

(٤) **صفوان بن وهيب**: ويقال: أُهَيْب، ويقال: سهل بن ربيعة، وهو ابن بيضاء، أخو سهل وسهيل، استشهد ببدر كما في (السيرة الشامية: ٤/ ١٦٠)؛ وفي (سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٢): (وهب) بدل (وهيب).

(٥) وجد في الإصابة الصحابي (ظُهَيْر بن رافع) ممن شهد بدراً، وذكره البخاري، وانظر: السيرة الشامية: ٤/ ١٦٣.

حرف العين

عبد الله أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، عبد الله ابن مسعود، عبد الله أبو سَلَمة، عبد الله بن أُنيس، عبد الله بن ثعلبة، عبد الله بن جُبَير، عبد الله بن جحش، عبد الله بن الجد، عبد الله بن الربيع، عبد الله بن رواحة، عبد الله بن زيد، عبد الله بن سُراقة، عبد الله بن سلمة، عبد الله بن سهل، عبد الله بن سهيل، عبد الله بن طارق، عبد الله بن عبيد الله بن أبي عبد الله بن عبد مناف، عبد الله بن عبس، عبد الله بن عرفطة، عبد الله بن عمرو، عبد الله بن عمير، عبد الله بن قيس بن خلدة، عبد الله بن قيس بن صخر، عبد الله بن مَخْرمة، عبد الله بن مظعون، عبد الله بن النعمان، عبد الرحمن بن جبر، عبد الرحمن بن عبد الله، عبد الرحمن بن عوف، عبيد بن أوس، عبيد بن زيد، عبيد بن أبي عبيد، عبيدة بن الحارث، عبّاد بن بشر، عبّاد بن قيس، عباد بن الخشخاش، عبد ربه [بن حِق][1]، عتبة بن أبي ربيعة، عتبة بن زيد، عتبة بن غزوان، عتبة بن عبد الله، عقبة بن عامر، عقبة بن وهب بن ربيعة، عقبة بن وهب بن كَلَدة، عمر بن إياس، عمرو بن ثعلبة، عمرو بن سراقة، عمرو بن طَلْق، عمر بن معاذ، عمر بن أبي سرح، عمير بن الحارث، عُمَيْر بن الحمام، عُمَير بن عامر، عمير بن عوف، عمير بن مالك، عمير بن مَعْبد، عمار بن ياسر، عُمارة بن حَزْم، عامر بن أمية، عامر بن البُكَيْر، عامر بن الجراح، عامر بن ربيعة، عامر بن سلمة، عامر بن فُهَيْرة، عامر بن مخلَّد، عاصم بن ثابت، عاصم ابن العُكَيْر، عامر بن قيس، عُصيْمة الأشجعي، عُصَيْمة الأنصاري، عوف بن أثاثة، عوف بن عفراء، عاقل بن البكير، عائذ بن ماعص، عبس[2]، عَدي بن أبي الزغباء، عنترة[3] مولى بني سُليم، عُوَيم[4]، عياض[5]، عثمان بن مظعون.

---

(١) زيادة من ابن هشام: ١/ ٦٩٦؛ وفي (السيرة الشامية: ٤/ ١٦٦): عبد الرحمن بن حق، وليس عبد ربه.

(٢) عبس بن عامر بن عَدي الأنصاري الخزرجي.

(٣) عنترة بن عمرو.

(٤) عويم بن ساعدة بن عايش.

(٥) عياض بن زهير القرشي الفِهْري.

حرف الغين

غنّام بن أوس.

حرف الفاء

الفاكه بن بِشر، فَرْوة بن عمرو.

حرف القاف

قيس بن أبي صعصعة، قيس بن عمرو، قيس بن مِحْصَن، قيس بن مخلَّد، قتادة بن النعمان، قُدامة بن مظعون، قُطْبة بن عامر.

حرف الكاف

كعب بن جَماز، كعب بن زيد، كعب بن عمرو، كَنّاز بن حُصَيْن.

حرف اللام

ليس فيه أحد[1].

حرف الميم

مالك بن التَّيِّهان، مالك بن ثابت، مالك بن الدُّخْشُم، مالك بن ربيعة، مالك بن عمرو، مالك بن عمرو أخو ثَقْف بن عمرو، مالك بن عمرو بن خُثَيْمة، مالك بن قدامة، مالك بن مسعود، مسعود بن خَلْدة، مسعود بن الربيع، مسعود بن سعد الحارثي، مسعود بن سعد الزُّرَقي، معاذ بن جبل، مُعاذ بن عفراء، معاذ بن ماعص، المنذر بن عمرو، المنذر بن قدامة، المنذر بن محمد، مُعَتِّب بن حمراء، معتب بن عبدة، معتب بن قشير، معبد بن عبادة، معبد بن قيس، محرز بن عامر، محرز بن نضلة، مُعوّذ بن عفراء، معوّذ بن عمرو، مبشر، المجذر بن زياد، محمد بن مسلمة، مِدْلاج بن عمرو، مَرْثَد بن أبي مرثد، مصعب بن عمير، معقل بن منذر، معمر بن الحارث، معن بن عدي، المقداد بن الأسود، مُلَيْل بن وبرة، مِهجَع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٧٧): لَبْدة بن قيس، ذكره ابن الكلبي، والواقدي: ١/ ١٧٠.

حرف النون

النعمان بن ثابت، النعمان بن سنان، النعمان بن عمرو، النعمان بن عبد عمرو، النعمان بن عصر، النعمان بن مالك، النعمان بن أبي خزمة[1]، نصر بن الحارث، نوفل بن عبيد الله[2].

حرف الواو

وهب بن سعد، وهب بن مِحْصَن، واقد بن عبيد الله، وَدِيعة بن عمرو، ورقة[3] بن إياس.

حرف الهاء

هانئ بن نِيَار، هشام بن عتبة بن ربيعة، هلال بن أمية.

حرف الياء

يزيد بن الحارث، يزيد بن رُقَيْش، يزيد بن عامر، يزيد بن أخنس، يزيد بن المنذر.

وممن يُعرف بكُنيته ولا يعرف باسمه[4]:

أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة، أبو خزيمة بن أوس بن أصْرم، أبو سَبْرة مولى أبي رغم، أبو مليل بن الأزعر، أبو حبة بن عمرو بن ثابت.

وامتنع من شهود بدر ثمانيةٌ لأعذار، فضرب لهم رسولُ الله ﷺ سهامهم وأجورَهم، فكانوا كمن شهدها؛ وهم: عثمانُ، وطلحةُ، وسعيد، والحارث بن حاطب، والحارث بن الصِّمَّة، وخوّات، وعاصم بن عدي، وأبو لبابة.

فهؤلاء البدريون بجملتهم، حشرنا الله في زمرتهم.

* * *

---

(١) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٨٢): النعمان بن أبي خزيمة الأنصاري.

(٢) في (السيرة الشامية: ٤/ ١٨٥): نوفل بن عبد الله بن نضلة.

(٣) **ورقة**: اختلف في ضبطه؛ فقيل: بالفاء (وَرفة)، وقيل: بالقاف، والأكثر أنه بالدال المهملة (ودفة).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير: ٢/ ٥٠٧.

الفصل السادس والعشرون

في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما

كانَ للنبيِّ ﷺ بناتٌ فَضلَتْهُنَّ فاطمةُ رضيَ الله عنها، وزوجاتٌ سَبَقَتْهُنَّ عائشةُ رضي الله عنها، وذلك أن اختيارَ القَدَرِ لا يحابي في التساوي، تُسقى بماءٍ واحد ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

لمَّا نهض عليٌّ لخِطبتها، طرقَ بأناملِ رجائهِ أرجاءَ بابِ الخِطبةِ، فمشى إليه الآذنُ بالإذنِ على عَجَل العَجَل، فنَقَدَ صِدْق الرغبةِ قبل نَقْدِ الصَّداق، فعُقدَ العقدُ على درعٍ لينبّه على جهادِ الهوى، وجُهِّزَتْ بالإجهازِ على عدوِّ الزُّهْد، ولم يرضَ لها جِهازَ الدُّنيا، لموافقةِ البَضْعة[1] التي هي منه، فحلاّها الرسولُ ﷺ بِحِلْيـة «**فاطمةُ بَضْعـةٌ مني**»[2]، وعَقَدَ لها عِقداً خَرَزاتُ نظامِه «**إنَّ الله يَغْضَبُ لِغَضَبك، ويرضى لرضاك**»[3]، وبعثَ بين يديها وصائف «**غُضُّوا أبصاركم**»[4]،

---

(١) **البَضْعة**: بالفتح، القطعة من اللحم.

(٢) الحديث متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة، في البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة الرسول ﷺ ومنقبة فاطمة رضي الله عنها (٣٥١٠)؛ وفي مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٤٩)؛ وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد في (المسند) والبيهقي.

(٣) رواه الطبراني والحاكم وابن النجار، وقال عنه الحافظ الهيثمي: «إسنادُه حسن». انظر: مجمع الزوائد (١٤٥٢٣). وذكره ابن الأثير في ترجمة السيدة فاطمة بإسناده، انظر: أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٧/ ٢٢٤.

(٤) ولفظه: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع! غُضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر**» رواه الحاكم في (المستدرك) وصحَّحه على شرط مسلم، وقال الذهبي: **لا والله بل موضوع**، والعباس بن الوليد راويه قال الدارقطني عنه: كذاب، وحكم ابنُ الجوزي بوضعه، إلا أن السيوطي ذكر له شاهداً من=

ونصب لها سُدَّةَ «ألا تَرْضَيْنَ أنْ تكوني سيدةَ نساءِ هذه الأمّة»[1]، وأدخلها على الزوجِ في حُلَلِ الحاليةِ، عليها قناعُ القَناعةِ، تسعى في فضاءِ الفضائل إلى خَلوة الخُلَّةِ، حتى أُجْلِسَت على مِنَصَّة النَّصِّ[2]، فأمر الله تعالى[3] ليلةَ عُرسِها شجرَ الجِنَان، فَحَمَلَتْ حُلَلاً وحلياً فنَثرتْه على الملائكةِ، وليسَ المراد بذلك المُلك، ولكن ليُعلم رضا المَلِك.

يا عجباً! نثرت الحُلل لأجل مَنْ فراشُه جِلْدُ كَبْشٍ، هلا حَلَّت له منها حُلَّة.

كلا! مـركبُ المَلِـكِ أحلى مِـنْ أن يُحلَّى، فدخـل عليها الرسـول ﷺ، فاستدعى بإناء من ماءٍ، فدعا فيه بالبركةِ[4]، ثم رشَّ على حبيبينِ بلا غِشٍّ، فلمَّا طابَ لعلي ذلك الوقتُ، سأل الرسولَ ﷺ سؤال سَكْرَان من شَرَابِ الوِصال: يا رسول الله! أنا أحبُّ إليكَ أم هي؟.

فَفَصَلَ الحاكِمُ بين خصومِ الحُبِّ، فقال: هي أحبُّ إليَّ منك، وأنت أعزُّ عَليَّ منها[5].

فلمَّا جازَتْ بما حازَتْ قناطرَ الفَضْلِ، صِيْنَ وجهُ الجمالِ بخالِ الخَللِ في العيش، فأقوى[6] على الأقوى قَفْرُ الفقرِ، فَصِيحَ بفصيحِ خِطابِ الشَّرْع: يا عليُّ! قُمْ لِكَسْبِ قُوتِ الوَقْتِ، فخرَجَ يسعى على أرضِ الرِّضا، بينَ أعلامِ الصبرِ، فباتَ يسقي نخلاً إلى الفجرِ، بشيءٍ من الشعيرِ على وجهِ الأجرِ، فلمَّا جاءَ به، وأُصلحَ للأكلِ، قامَ سائلٌ على بابِ البذلِ، فنادى: يا أهل نادي الندى والفَضْلِ! أطعِمُونا

= رِواية أبي بكر في الغيلانيات. انظر: الجامع الصغير: ١/ ٤٢٩؛ وذكره ابن الأثير في أسد الغابة: ٧/ ٢٢٥.

(١) رواه مسلم. انظر: شرح مسلم، للنووي: ١٦/ ٢.

(٢) **النص**: أصل معناه: أقصى الشيء وغايته.

(٣) إثبات هذا النص يحتاج للتوثيق، وهذا مما لم نجده، وأغلب الظن أنه من صنع الشيعة، والسيدة فاطمة لا تحتاج منزلتها لمثل هذا.

(٤) رواه النسائي.

(٥) ذكره ابن الأثير في أُسد الغابة: ٧/ ٢٢٤.

(٦) **أقوى على الأقوى**: صار ذا قوة وتحمّل للجوع ونفاد الزاد.

أطعمَكم اللهُ منَ الفضلِ، فثارَتْ رياحُ الارتياح للإيثارِ، فأثارتْ سَحاباً يقطرُ من قطرتِه قطرُ جودِ الجواد، فسالَ سَيْلُه بقَدْرِ وادي الوُدِّ، فلمَّا تروَّتْ بالماءِ أشجارُ الأنس، صدحتْ على ورَقها وُرْقُ القُدْس، وأغنى عن غرائبِ صَدْحِ المدحِ ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان: ٨]، ثمَّ أخبر الحقُّ عن مضمونِ القصدِ: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]، فلو رأيتَ القومَ يومَ القيامةِ في ظِلِّ ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ١١][(١)]، وقد اكتستْ أجسادٌ وكُسيتْ بكُسا الضّنك[(٢)] غضارةُ[(٣)] العيشِ على حُلَل[(٤)] الخَفْض[(٥)]، واستراحتْ أيدٍ تفرّق أيدُها[(٦)] من طحنِ الرّحا، ونزع الدلو براحةِ ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ [الإنسان: ٣١]، هذا من حصادِ بذرِ النذر.

ولقد عَجِبَ العلماءُ من شرح هذا الأجر، واستظرفوا عدم ذكر الحُور في هذا الذكر[(٧)]، فبَقَوا متحيّرين في حِيَرِ الفكر[(٨)]، فَنُودوا من بُطْنَانِ[(٩)] وادي الفهم، بأنَّ ذلكَ لِفَضْلِ فَضْل زهراءِ الإنس، غَيْرَةً عليها من ذكر الغِيَر[(١٠)]، وإنما آثرا[(١١)]

---

(١) أخرج القصة ابن مردويه عن ابن عباس: أنه قال في قوله سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ﴾ [الإنسان: ٨] نزلت في علي كرم الله وجهه ـ وفاطمة رضي الله عنها ـ والخبر مشهور بين الناس، وذكره الواحدي في كتاب (البسيط) وتُعقِّبَ بأنه **خبر موضوع مفتعل**، كما ذكره **الترمذي وابن الجوزي**، وآثار الوضع ظاهرةٌ عليه لفظاً ومعنى. انظر: تفسير الآلوسي: ١٩/ ١٥٧؛ و(المحرر) لابن عطية؛ و(جامع الأحكام) للقرطبي عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾: ١٩/ ١٣٤.

(٢) **الضنك**: الضيق.

(٣) **غضارة**: طراوة.

(٤) **حلل**: جمع حلة.

(٥) **الخفض**: الدّعة.

(٦) **أيدها**: قوتها.

(٧) أي: الآيات المذكورة في سورة الإنسان؛ لم تتناول فيما عرضت من نعيم الجنة الحور العين.

(٨) المقصود (**بِحِيَرِ الفكر**): البحث عن سر عدم ذكر الحور في هذه السورة المباركة.

(٩) **بُطنان**: وسط، وبطنان كل شيء: وسطه.

(١٠) أي: الضرة.

(١١) **آثرا**: أي آثر سيدنا علي وفاطمة الفقيرَ بالطعام على الحسن والحسين.

على الطفلين[١]، لأنَّهما غُصنان من شجرة «**أبيتُ يُطعمني ربي**»[٢]، وبعضٌ من جملة «**هي بَضْعةٌ مني**»[٣]، وفرخُ البَطِّ سابح، و«**ذكاةُ الجنين ذكاةُ أمه**»[٤].

* * *

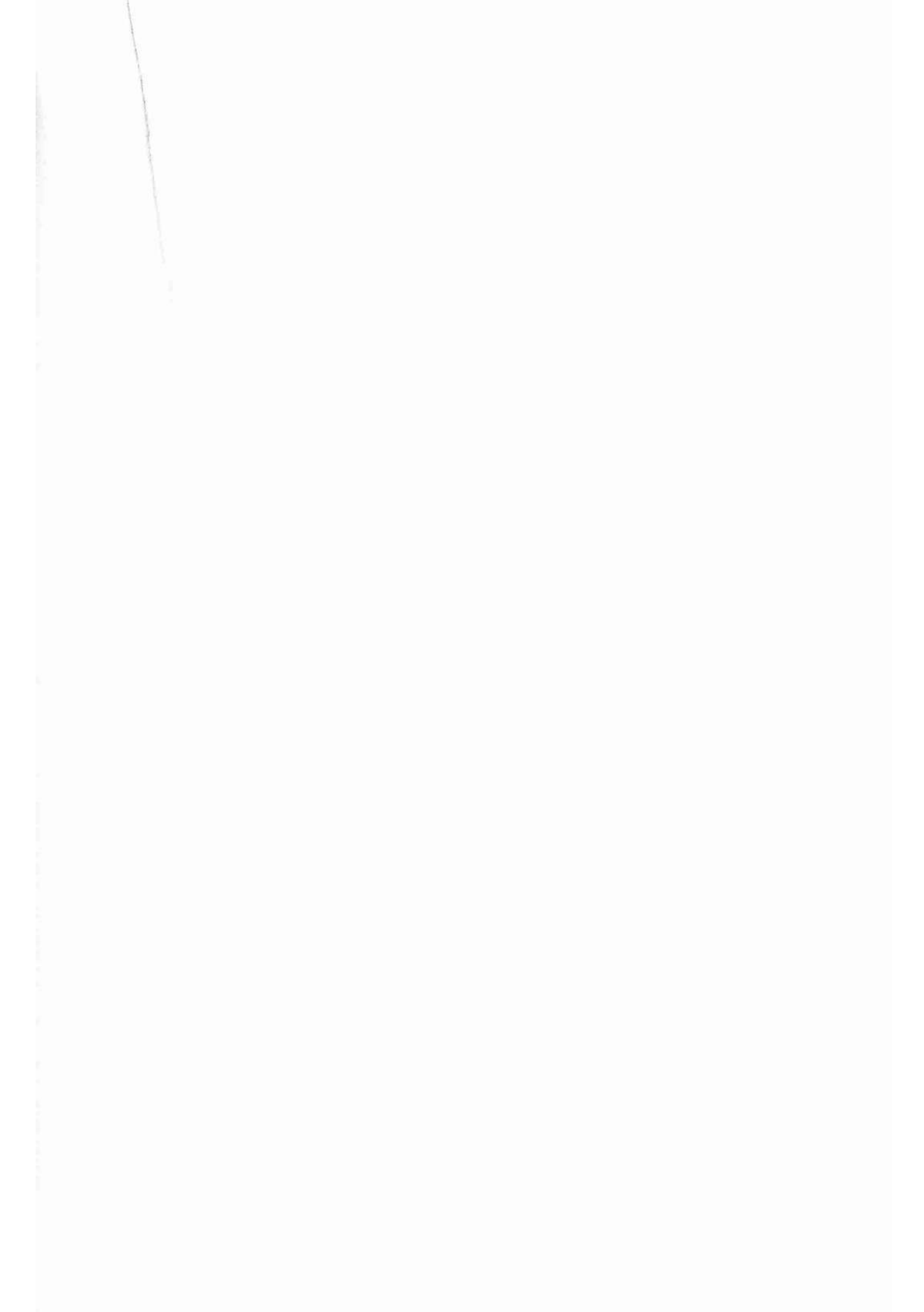
---

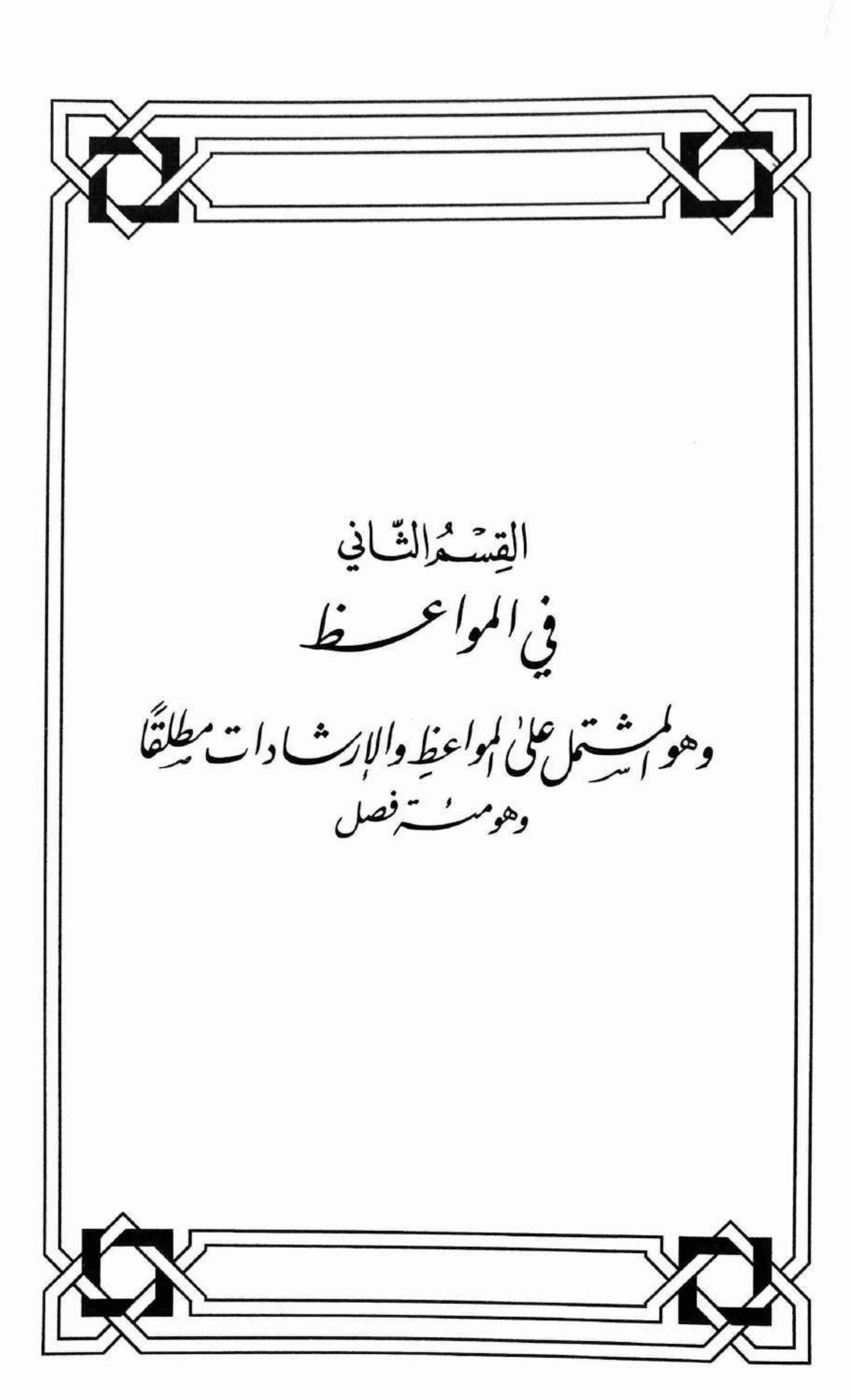
(١) أي: الطفلين الحسن والحسين.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، وكتاب النكاح؛ ومسلم في فضائل الصحابة؛ وأبو داود في النكاح؛ والترمذي في كتاب المناقب؛ وابن ماجه في كتاب النكاح؛ والإمام أحمد: ٤/ ٢٢٦.

(٤) رواه أبو داود وأحمد والترمذي. انظر: كنز العمال، ص٢٦٢.





القِسمُ الثّاني

في المواعظ

وهو المشتمل على المواعظ والإرشادات مطلقًا

وهو مئة فصل

الفَصْلُ الأوَّلُ

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ [الحديد: ٣]

نذكر فيه التوحيد

أوَّلٌ ليسَ لهُ مبدأٌ، آخِرٌ جَلَّ عن منتهًى، ظاهرٌ بالدَّليلِ، باطنٌ بالحِجَابِ، يُثْبِتُهُ العقلُ، ولا يُدركُه الحِسُّ، كلُّ مخلوقٍ محصورٌ بِحَدٍّ، مأسورٌ في سُوْرِ قطرٍ، والخالقُ بائنٌ مُبايِنٌ[1]، يُعرَفُ بعدمِ مألوفِ التعريفِ، ارتفعَتْ لعدمِ الشَّبَهِ الشُّبَهُ.

إنَّما يقع الإشكالُ في وَصْفِ مَنْ له أشْكالٌ، وإنَّما تُضْرَبُ الأمثالُ لمن له أمثالٌ، فأمَّا مَنْ لَم يَزَلْ ولا يزالُ فما للحسِّ معه مجالٌ، عظَمتُه عَظُمَتْ عن نيلِ كَفِّ الخيالِ، كيف يقال له: كيف؟ والكَيْفُ في حَقِّه مُحالٌ.

أنَّى تتخايلُه الأوهامُ وهي صُنْعُه؟!.

كيف تحدُّه العقول وهي فعلُه؟!.

كيف تحويه الأماكنُ وهي وضعه؟!.

انقطع سير الفِكْرِ، وقف سلوكُ الذهن، بطَلَتْ إشارةُ الوَهْمِ، عَجَزَ لطفُ الوَصْفِ، عَشِيَتْ عينُ العقلِ، خَرِسَ لسانُ الحِسِّ، لا طَوْرَ للقَدَمِ[2] في طُور القِدَمِ، عزَّ المرقى فيئس المرتقي، بحرٌ لا يَتَمكَّنُ منه غائِصٌ، ليلٌ لا يَبِيْنُ للعينِ فيه كوكبٌ:

مَـرَامٌ شَـطَّ مَـرْمَـى العَقْـلِ فِيْـهِ ... فَـدُوْنَ مَـدَاهُ بِيْـدٌ لا تَبِيْـدُ

---

(١) **البائنُ**: المتفرِّدُ بذاتِه وصفاتِه، فلا شيءَ من مخلوقاتِه يُشْبِهُه، ولا هو يُشْبِهُ شيئاً من مخلوقاتِه، لا في الذَّاتِ ولا في الصِّفاتِ. كما لا يحلُّ في شيءٍ من مخلوقاته، لا يحل فيه شيءٌ من مخلوقاتِه، فهو المتفرِّدُ ذاتاً وصفاتٍ وأسماءً.

(٢) لا مجال لتوغُّلِ العقلِ في الإحاطة بمعاني ذات الله وصفاته.

جادةُ التسليمِ سليمةٌ، وادي النقل بلا نقع[١]، انزلْ عِنْ عتوِّ غُلوِّ التشبيه، ولا تَعْلُ قِلَلَ[٢] أباطيلِ التعطيلِ، فالوادي بينَ جبلينِ، المشبِّهُ متلوثٌ بفَرْثِ التجسيمِ، والمعطِّلُ نَجِسٌ بدمِ الجحودِ، ونصيبُ المُحِقِّ لبنٌ خالصٌ هو التنزيهُ.

تخمَّرَ في نفوس [الكفارِ][٣] حُـبُّ الأصنـامِ، فجاءَ محمَّدٌ ﷺ فمحا ذلك بـالتوحيدِ، وتخمّر في قلـوبِ المُشـبِّهَةِ حُـبُّ صورةٍ وشـكلٍ، فجئتَ فمحوتَها بـالتنزيه «**والعلماءُ ورثـةُ الأنبياءِ**»[٤]، ما عَرَفَـهُ مَنْ كيَّفه، ولا وحَّدَه مَنْ مثَّله، ولا عبَدَه من شَبَّهه، المشبِّهُ أعْشى، والمعطِّلُ أعمى.

مما ننزِّهُ عنهُ (مِمَّ)؟ وفيما يجبُ نفيه (بِثَمَّ)، جلَّ وجوبُ وجودِه عن رَجْم (لعلَّ)، سبقَ الزَّمانَ فلا يقال (كانَ إذْ)، تَمَجَّدَ في وحدانيتِـه عن زِحامِ (مع)، تَفرَّدَ بالإنشاء، فلا يستفهَمُ عن الصانعِ (بِمَنْ)؟ أبرزَ عرائِسَ الموجوداتِ[٥] مِنْ كِنِّ (كُنْ)، بثَّ الحِكمةَ فلم يعارَضْ (بِلِمَ)؟ تعالى عن بعضيَّةِ (مِنْ)، وتقدَّسَ عن ظرفيَّةِ (في)، وتنزَّهَ عن شَبَهِ (كأنَّ)، وتَعَظَّم عن نقصِ (لو أنَّ)، وعزَّ عن عَيْبِ (إلا أنَّ)، وسَما كمالُه عن تدارك (لكنَّ).

إنْ وقفَ ذِهْنٌ بِوَصْفِه صاحَ العِزُّ: جُزْ، إنْ سارَ فكرٌ نحوَهُ قالت الهَيْبَةُ: عُدْ، إنْ قَعَدَ القلبُ عن ذكره قال القدار[٦]: قُمْ، إن تجبَّرَ متكبرٌ قال القهرُ: شِمْ[٧]، إن سألَ محتاجٌ قال الإنعام: رِشْ[٨]، إن تعرَّض فقيرٌ قال الوفرُ: فِرْ[٩]، إن سكتَ

---

(١) أي: الإيمان بما جاء من نصوص الكتاب والسُّنَّة من صفاتِ الله، والتسليم بها مع التنزيه على مراد الله سبحانه وتعالى.
(٢) قلل: قمم.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه والإمام أحمد.
(٥) في (ب): المخلوقات.
(٦) في ب: (إن قعد اللسان عن ذكره قال القلب).
(٧) شِمْ: من شام يشيم، أي: تقهقر وتوارى وتراجع.
(٨) رش: فعل أمر من راش يريش، اغتنى واستغنى يغتني ويستغني، وراش فلاناً: أصلح حاله. والرياش: المال والخصب والمعاش.
(٩) فر: من الوفرة والكثرة.

مُذْنِبٌ حَيَاءً قال الحلم: قُل، إن بَعُدَ ذو خطأ نادى اللطف: أُبْ، نثر عجائِبَ النِّعَمِ وقال للكل: خُذْ.

من بيانِ عظمتِه ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥]، من أثرِ قَسْرِه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [الإسراء: ٤٤]، توقيعُ أمرِه ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠]، واقعُ زجرِه ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ [النحل: ٩٠]، يُنادَى على باب عِزَّتِه ﴿لَا يُسْـَٔلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، يُصاحُ على مَحَجَّةِ حُجَّتِـه ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ [المؤمنون: ٨٤]، يُـنْذِرُ جاسـوسُ[١] علمِه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧]، يقول جِهْبِذُ طَوْلِه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، يترنَّمُ مُنْشِدُ فضلِه: ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ [الزمر: ٥٣].

سبحانَ من أقامَ مِنْ كلِّ موجودٍ دليلاً على عِزَّتِه، ونَصَبَ عَلَمَ الهُدَى على بابِ محجَّتِه، الأكوانُ كلُّها تنطقُ بالدليل على وحدانيتِه، وكلُّ مخالِفٍ وموافِقٍ يمشي تحتَ مشيئتِه.

إنْ رَفَعْتَ بصرَ التفكُّرِ ترى دائرةَ الفَلك في قبضتِه، وتُبْصِرُ شمسَ النهار وبدرَ الدُّجَى يجريانِ في بحرِ قدرتِه، والكواكبُ قَدِ اصطُفَّت كالمواكبِ على مناكبِ تسخيرِ سَطْوتِه، فمنها رُجومٌ للشياطينِ ترميهم فترميهم[٢] عن حمى حمايتِه، ومنها سطورٌ في المهامِهِ[٣] يقرؤها المسافِرُ في سِفْرِ سَفْرتِه.

وإن خفضتَ البصرَ رأيتَ الأرضَ مُمْسِكَةً بحَكَمةِ[٤] حكمتِه، كلُّ قِطْرٍ منها محْروسٌ بأطوادِه[٥] عن حركتِه، وإذا ضَجَّتْ عطاشُها ثار السَّحابُ من بِرْكَةِ[٦] برَكَتِه، ونفخَ في صُورِ الرَّعْدِ لإحياءِ صُوَرِ النَّبَاتِ من حفرتِه[٧]، فيبدو نورُ النَّوْرِ

---

(١) جاسوس علمه: أي: شاهد علمه.

(٢) ترميهم الأولى: ترجمهم. ترميهم الثانية: تقصيهم وتبعدهم.

(٣) المهامه: جمع مهمهة، أي: الفلاة والصحراء.

(٤) حَكَمة: حديدة توضع في فم الفرس متصلة باللجام، والمعنى: في قبضة حكمته.

(٥) أي: كلُّ مكانٍ من الأرض مستقر بالجبال التي أرساها في الأرض حتى لا تميد وتضطرب.

(٦) بِركة: البحر.

(٧) حفرته: أرضه.

يهتزُّ طرباً بِخُزامى[1] رحمتِه، فإذا استوى على سُوْقِه، زادت في سَوْقه نَعامَى نعمتِه، وتُفَتِّقُ يدُ الإيجادِ بأناملِ القدرةِ أكمامَ النَّباتِ عن صنعةِ صِبْغته، فيرفُلُ في حُلى حُللِ الحالِ الحاليةِ إلى معبر عبرته، وتصدَحُ الوُرْقُ[2] على الوَرَقِ كلٌّ بتبليغ لغتِه، والأشجارُ معتنِقَةٌ ومفترِقَةٌ على مقدارِ إرادته، [﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] هذا بعض صنعتِه][3]، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

نَظَرَ بعينِ الاختيارِ إلى آدمَ فحظيَ بسجودِ ملائكته، **وإلى ابنِه شيثَ** فأقامَه في منزلتِه، **وإلى إدريسَ** فاحتالَ بإلهامِه على جنَّته، **وإلى نوحٍ** فنجا من الغرقِ بسفينته، **وإلى هودٍ** فعادَ[4] على عادٍ شؤمُ مخالفته، **وإلى صالحٍ** فتمخَّضَتْ صخرةٌ بناقتِه، **وإلى إبراهيمَ** فتبختَرَ في حُلَّةِ خُلته، **وإلى إسماعيلَ** فأعانَ الخليلَ في بناءِ كعبته، **وإلى إسحاق** فافْتكه[5] بالفداء من ضجعته، **وإلى لوط** فنجَّاه وأهله من عشيرته، **وإلى شعيب** فأعطاه الفصاحةَ في خُطبته، **وإلى يعقوب** فردَّ حبيبه مع حبيبته[6]، **وإلى يوسف** فأراه البرهانَ في هَمَّتِه[7]، **وإلى موسى** فَخَطَر في ثوبِ مكالمتِه، **وإلى إلياسَ** فاليأسُ للنَّاسِ من حالته، **وإلى داودَ** فألانَ الحديدَ له على حِدَّتِه، **وإلى سليمانَ** فراحَتْ الريحُ في مملكته، **وإلى أيوبَ** فيا طوبى لِرَكْضَتِهِ[8]، **وإلى يونسَ** فَسَمِعَ نِداءَه في ظُلْمتِه، **وإلى زكريا** فَقَرَنَ سؤالَه بِبِشارَتِه، **وإلى يحيى** فتلمَّحَ حصر الحَصُورِ على سُدة سيادته، **وإلى عيسى** فكم أقام ميتاً من حُفرته، **وإلى محمَّدٍ ﷺ** فخصَّه ليلةَ المعراج برؤيته.

---

(١) **خُزامى**: نبات طيب الرائحة.
(٢) **الوُرْق**: جمع ورقاء: وهي الحمام التي في لونها بياض إلى سواد.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) **عاد** الأولى: رجع. و**عاد** الثانية: اسم قبيلة، وهم قوم هود عليه السلام.
(٥) القول بأن إسحاق عليه السلام هو الذبيح رأي ضعيف، والمعتمد أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لقوله ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**» رواه الحاكم في المستدرك وصححه، وأيَّده الذهبي، ورواه ابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم.
(٦) **حبيبه مع حبيبته**: حبيبه ولده يوسف عليه السلام، وحبيبته عينه التي ابيضَّت حزناً.
(٧) **يشير إلى قوله تعالى**: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].
(٨) **لركضته**: إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [صۤ: ٤٢].

وأعْرَضَ عن **إبليسَ** فخَزِيَ ببعده ولعنته، وعن **قابيل** فقلب قلبه إلى معصيته، وعن **نمرودَ** فقال: أنا أحيي الموتى ببلاهته، وعن **فرعونَ** فادَّعى الربوبيةَ على جرأته، وعن **هامانَ** فأينَ رأيه يوم اليمِّ في وِزارته؟! وعن **قارونَ** فخرجَ على قومِه في زينته، وعن **بلعامَ**[1] فَهَلَكَ بلْ عَامَ في بحر شِقوته، وعن **برصيصا**[2] فلم تنفعْهُ سابقُ عبادتِه، وعن **أبي جهلٍ** فشَقِي مَعَ سعادةِ أُمِّهِ وابنِه وابنته، هكذا جرى تقديرُه من يومِ «**لا أبالي**»[3] في قسمته، ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

* * *

(١) **بلعام**: هو بلعام بن باعوراء أحد علماء بني إسرائيل. انظر: ص٢٠٣ من هذا الكتاب.

(٢) **برصيصا**: أحد عباد بني إسرائيل. انظر: ص٧٥ من هذا الكتاب.

(٣) يشير إلى قوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**» رواه الإمام أحمد في: المسند: ٥/ ٢٣٩.

الفصل الثاني

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الصف: ٩]

نذكر فيه فضل نبينا محمد ﷺ

لم يزل ذكرُ نبينا ﷺ مشهوراً[١] وهو في طَيِّ العدم، توسَّلَ به آدم[٢]، وأُخِذَ له ميثاقُ الأنبياءِ على تصديقِهِ، في بعضِ دَرْسِه عِلْمُ إدريس، في ضِمْنِ وُجْدِهِ حزنُ يعقوبَ، في سرِّ جِدِّهِ صبر أيوب، في طيِّ خوفِه بكاءُ داودَ، بعض غنى نفسِه يزيدُ على ملك سليمان، عَبَر بعدَ خُلِّ خِلال الخلَّة للخَليل، ونال تكليم موسى، واسترجحَ له النظر عندَ قابَ قوسين، فهو جُملَةُ الجمالِ، وكلُّ الكمال، وواسطةُ العِقْد، وزينةُ الدهر، يزيدُ على الأنبياء زيادةَ الشمسِ على البدر، والبحرِ على القَطْرِ، فهو صدرُهم وبدرُهم، وعليه مدارُ[٣] أمرهم، قُطْبُ فَلَكِهم، وعينُ كتيبتهم، وواسطة قلادتهم، نَقْشُ فَصِّهِم، بيتُ قصيدتِهم، حاتِمُهم، خاتِمُهم:

شَمْسُ ضُحَاهَا هِلالُ لَيْلَتِهَا ... دُرُّ مَقَاصِيْرِهَا زَبَرْجَدُهَا

لَمَّا رأى تخليطَ قريشٍ في دعوى الشرك فَرَّ في بادية الهرب، فتحرَّى غارَ حِراء في الفِرار للفراغ، فراغٍ إليه فجاءَ مُزاحِمُ (**اقرأ**): يا راهبَ الصَّمْتِ تكلَّمْ،

---

(١) في (ب): منشوراً.

(٢) حديث توسل آدم بالنبي ﷺ أخرجه الحاكم في المستدرك، وصححه: ٢/ ٦٥١؛ والسيوطي في الخصائص، وصححه؛ والبيهقي في دلائل النبوة، وصححه؛ والقسطلاني والزرقاني في شرح المواهب اللدنية: ٢/ ٦٢؛ والسبكي في شفاء الأسقام؛ ورواه الطبراني في الأوسط، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٥٣؛ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى: ٢/ ١٥٠.

(٣) في (ب): يدور.

قال لسانُ العجزِ البشريِّ: «لستُ بقارئ»[1]، فحُمَّ لما حُمَّ[2] فزمزَمَ بلفظ «زمِّلوني» فصاح الملك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١].

يا أطيبَ ثمار (كُن)! يا محمولاً عليه ثقلَ ﴿قُمِ﴾ [المزمل: ٢].

لما بَعَثَ المَلِكُ المَلَكَ إلى نبيِّنا برسالة ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فترَ الوحيُ بعدَها مدَّةً، مَدَّ قوسُ الشوق، فَرَمَتِ الكَبْداءُ[3] الكَبِدَ بكَبَدٍ[4] أعجزَ المكابدَة، فكانَ يَهُمُّ لِمَا يَلقى بإلقاءِ نفسِه من ذروةِ الجبلِ[5]، فإذا بدا له جبريلُ بَدَا له[6].

ثم رُميت الشياطينُ عند مبعثِه بأسهمِ الشُّهُبِ عن قوس ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨]، فمروا إلى المغاربِ، ومَشَوْا إلى المشارق، ليقطعوا سببَ السببِ، فجرتِ ريحُ التوفيقِ، بمراكبِ بعضهم إلى تهامة، فصادفوه في الصلاة، فصادَ فُوه[7] قلوبَ القوم، فصاحت ألسنة الوُجْد: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

تحـرَّكَـتْ لتعظيمِـه السـواكـنُ[8]، فحـنَّ إليـه الجـذعُ[9]، وسبَّـحَ

---

(١) رواه البخاري في بدء الوحي، وتفسير سورة العلق (١)، في باب الإيمان، ص٢٥٢؛ والإمام أحمد: ٦/ ٢٢٣ بلفظ «ما أنا بقارئ».

(٢) **فحُمَّ لمَّا حُمَّ**: فحم: أصابته الحمى، حُمَّ: أي لما قُدر نزول جبريل عليه السلام.

(٣) **الكبداء**: القوس يملأ الكفَّ مَقْبِضُها، وقيل: قوس شديدة.

(٤) **كبَد**: المشقة والمعاناة.

(٥) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب أول ما بدئ بـه الرسول ﷺ من الوحي الرؤية الصالحة، وهو من بلاغات الزهري، وليس موصولاً، انظر كتاب: محمد رسول الله، لمحمد صادق العرجون: ١/ ٤٤٦ ـ ٤٨٥، ففيه تفصيل وافٍ حول هذه الحادثة.

(٦) **بدا** الأولى: ظهر، **بدا** الثانية: من البداء أي عنّ له أمر آخر.

(٧) **فوه**: فمه، أي: ما كان يتلوه من القرآن.

(٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدنا منه أعرابيٌّ، فقال له: «**يا أعرابي! أين تريد؟**» قال: إلى أهلي، قال: «**هل لك إلى أهلٍ خيرٍ من أهلِك؟**» قال: وما هو؟ قال: «**تشهد أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه**» قال: من يشهد على ما تقول؟ قال: «**هذه الشجرة السَّمُرَة**» أو «**هذه السَّلَمة**» وهي بشاطئ الوادي، فأقبلتْ تخدُّ الأرضَ حتى قامتْ بين يديه.

(٩) في الصحيحين: عن جماعة من الصحابة قالوا: «كان المسجدُ مسقوفاً على جذوع من=

الحصى[1]، وتزلزلَ الجبلُ[2]، وتكلّم الذِّئبُ[3]، «كلٌّ كَنَّى عن شوقه بلغته»
فَمَرِضَتْ قريشٌ بداءِ الحَسَدِ، فقالوا: مجنونٌ.

يـا محمدُ! هذا نَقْشُ يَـرَقانِهم[4] لا لـونُ وجهِك، لما أَخَـذَ فـي سـفرِ

= نخل، وكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم على جذعٍ منها، فلمَّا صُنِعَ المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار - من الإبل - حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده فسكنَ، وفي رواية أنس: «حتى ارتجَّ المسجدُ لشدَّة خُواره» وفي رواية سهل بن سعد: «وكثر بكاءُ الناس» وفي رواية المطَّلب بن أبي وداعة: «حتى انشقَّ الجذعُ». فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ هذا بكى لِمَا فَقَدَ من ذِكْرِ الله تعالى**» ثم أمر به النبي ﷺ فدفنَ تحت المنبر، والخبر في صحيح البخاري: ٤/ ٢٣٧، (٦١) كتاب المناقب، (٢٥) علامات النبوة؛ وفي سنن الترمذي: ٥/ ٢٥٤، أبواب المناقب (٢٨)، الحديث (٣٧٠٦)؛ ودلائل النبوة، للأصبهاني، ص١٤٢-١٤٣؛ والخصائص، للسيوطي: ٢/ ٧٥-٧٦.

(١) عن الحسن: أنَّ أنس قال: «تناول النبيُّ من الأرض سبعَ حصياتٍ، فسبحنَ في يده، ثم ناولهنَّ أبا بكر فسبحنَ كما سبحنَ في يد النبيِّ ﷺ، ثم ناولهنَّ عمرَ فسبحنَ في يده كما سبحنَ في يد أبي بكر، ثم ناولهنَّ عثمانَ فسبحنَ في يده كما سبحنَ في يد أبي بكر وعمرَ». أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٩٨ باب تسبيح الحصى، وقال بعد أن أورد أحاديث: رواه البزَّار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(٢) عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجفَ بهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اثبتْ أُحُدُ، فإنَّما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**» رواه البخاري (٣٦٩٩)؛ ورواه الترمذي في المناقب: ٥/ ٣٧١٠ وقال: حسن صحيح.

(٣) الحديث في: دلائل النبوة، للأصبهاني: ١/ ١٣٢؛ والشفا: ١/ ٢٠٤؛ وشمائل الرسول، لابن كثير، ص٢٧٣؛ وفي الخصائص: ٢/ ٦١، وقد جاء بروايات؛ منها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما راع يرعى غنماً له، إذ عرض الذئبُ لشاةٍ منها، فأخذها، فأدركه الراعي، فاستردَّها منه، فأقعى الذئبُ، وقال للراعي: ألا تتقي الله تعالى، حُلْتَ بيني وبين رزقي! قال الراعي: عجبٌ لذئب يتكلَّم (بكلام إنسان)! فقال الذئبُ: أنتَ أعجبُ مني واقفاً على غنمك، وتركتَ نبيّاً لم يبعثِ الله نبيّاً قط أعظمَ منه قَدْراً عنده، قد فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّة، وأشرفت الحورُ العينُ على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينهم إلا هذا الشِّعْبُ، فتصير من جنود الله تعالى (وكان ذلك يوم أحد) قال الراعي: فمن لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع. فمضى الرجل ووجد النبيَّ ﷺ يقاتل، فأسلمَ، وأخبره الخبرَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**قم فحدِّثهم**» ثم قال له: «**عُدْ إلى غنمك تَجِدْها بوفرها**» فرجع فوجدها كذلك، فذبح للذئب شاةً منها».

(٤) هذا مثل يُضرب للذي يرمي غيره بمرض نفسه، فكأنه يقول: إن وجوههم الصُّفْرَ مِنْ=

﴿أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١] فانتقل إلى المسجد الأقصى، بَرَزَ إليه عبّادُ الأنبياء من صوامعهم، فاقتدَوْا بصلاةِ راهبِ الوجودِ، ثم خَرَجَ فعَرَجَ، فَعُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ، حتى عَرَفَ الطبيبُ عقاقيرَ الأدويةِ، قبلَ تركيبِ الأدويةِ، يا لها من ليلةٍ، فَلَّ عُرْفَ[1] حَدِّ سيفِ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، ظنَّتِ الملائكةُ أنَّ الآياتِ تخصُّ السماءَ[2]، فإذا آيةُ الأرضِ قد عَلت.

أقبلتْ رؤساءُ الأملاك، تحيّي الرئيسَ الأكبرَ، فرأى في القومِ مَلَكاً، نصفُه من ثلجٍ، ونصفُه من نارٍ[3]؛ فَعَجِبَ لاجتماعِ الضدَّينِ، قيل: لا تعجبْ، فعندك أعجبُ منه، لَوْ وُزِنَ خَوْفُ المؤمنِ ورجاؤُه لاعتدلا.

كان جبريلُ دليلَ البادية، فلمَّا وصلَ إلى مفازةٍ ليس فيها عَلَمٌ يعرفُه[4]،

= مرضِ اليرقان انطبعت بمرآة وجهك الصافي. فاتهموا وجهك بالصفرة، وإنما تلك صفرةُ وجوههم، يعني هم المجانين لا أنت.

(١) **عُرف**: ما علا وارتفع.

(٢) في (ب): تختص بالسماء.

(٣) روى الديلمي عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى ملكاً نصفُ جسده الأعلى ثلجٌ، ونصفُه الأسفلُ نارٌ، ينادي بصوت رفيع له: سبحان الله الذي كفَّ حرَّ النارِ، فلا تذيبُ هذا الثلجَ، وكفَّ هذا الثلجَ فما يطفِئُ حرَّ هذه النار، اللهم يا مؤلِّفَ بين الثلج والنار ألِّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك**». انظر: كنز العمال (١٥١٧٤).

(٤) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**فتر الوحي عَنِّي فترةً، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري قِبَلَ السماء، فإذا أنا بالملك الذي أتاني في غارِ حِراء على سرير بين السماء والأرض، فجبنتُ منه فرقاً، حتى هويتُ إلى الأرض، فأتيتُ خديجة فقلت: دثِّروني دثِّروني، فدُثِّرتُ، فجاء جبريل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾** [المدثر]».

وروى البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي ما يتعلَّق بمجيء جبريل عليه السلام، وقول السيدة خديجة للرسول ﷺ حين خاف على نفسه، وذهابه إلى وَرَقة بصحبة خديجة، ثم ختمه بقوله: «ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحيُ».

وجاء في كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدكم آمين.. برقم (٣٠٦٦): عن جابر بن عبد الله: أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «**ثم فتر عني الوحيُ فترةً، فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَلَ السماء، فإذا الملكُ الذي جاءني بحراء، قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني**» فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وجئثت: رُعبت. =

عَلِمَ ابنُ أجودَ[1] أنَّ الصِّدْقَ أجودُ، فقال: ها أنت وربك. فإذا قامتِ القيامةُ؛ فموسى صاحبُه، وعيسى حاجبُه، والخليلُ في عَسْكرِه، وآدمُ ينادي بلسان حاله: يا ولدَ صورتي، ويا والدَ معناي، ما صَعِدَ من بحورِ الأكوانِ أشرفُ مِن دُرَّةِ نبيِّنا ﷺ، طُرَّةُ[2] غرتِه أحسنُ من جمال يوسفَ، لعابُ فِيهِ[3] أشفى من البَرْءِ، شمسُ شرعِه لا يدركُها كسوفٌ ناسخٌ، قمرُ دينِه لا يدخُل في مَحاقٍ.

كلُّ الأنبياءِ تقولُ في يوم القيامة: نفسي نفسي، وهو يقول: أمتي أمتي، فإذا سَجَدَ، قيل: «**ارفعْ رأسَك، وقلْ تُسْمَعْ**»[4].

كم بَيْن ذلِّ محبٍّ وإدْلال محبوبٍ، الحيواناتُ تَذِلُّ في طلَبِ القوتِ، والفيلُ يُتملَّقُ حتى يأكلَ.

يا مَنْ هو في جملةِ جنودِ هذا الشجاعِ[5]، أَيَحْسُنُ بِكَ كلَّ يوم هزيمة؟! لولا

= ورواه مسلم في الإيمان، بدء الوحي، برقم (١٦٠)؛ والإمام أحمد في: المسند، واللفظ المثبت أعلاه ورد في: زيادة الجامع الصغير، للسيوطي، برقم (٢٢٢٨)؛ والطيالسي.

(١) **ابن أجود**: الدليل: وأراد بابن أجودَ هنا جبريل.

(٢) **طرة**: جانب.

(٣) **فيه**: فمه.

(٤) ورد من حديث أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة، ماجَ الناسُ في بعضٍ، فيأتون آدمَ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيمَ، فإنه خليلُ الرحمن، فيأتون إبراهيم عليه السلام...**» وذكر تنقل الناس بين الأنبياء حتى أتوا رسول الله ﷺ فيقول: «**أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذَنُ لي، ويلهمني محامد أحمده بها بمحامد لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرُّ له ساجداً، فيقول: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يُسمعْ لك، وسل تعطَ، واشْفَعْ تُشفَّع، فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فأُخرجُ منها مَنْ كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**» الحديث بطوله بروايات أنس، أخرجه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وباب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥]، وباب قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وفي تفسير سورة البقرة، باب قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار؛ وأخرجه مسلم في الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم (١٩٤)؛ وانظره مع شرحه في: فتح الباري: ١١/ ٤١٧ـ٤١٨ و١٣/ ٤٢٢.

(٥) يخاطب المؤمن الذي هو جندٌ من جنود هذا النبي الكريم الشجاع، فلا يليقُ به أن ينهزمَ=

جدُّ أصحابِه في جهادِهم، وشجاعتُهم في صفوفِ قتالِهم، لافْتُضحَ المتأخرون، فالحمدُ لله على البُزَّلِ[١]، كانوا بالليل رهباناً، وبالنهارِ فرساناً، قطعَ الرسولُ ﷺ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ في لَحاقهم بحُسام «**ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ**»[٢]، وكيف تُنالُ مرتبةُ الصدِّيقِ لشيءٍ وقرَ في صدره؟! أو منقبة المهيبِ[٣] والعدوُّ يَفْرَقُ مِنْ ظله؟! أو مقام الوقور[٤] فالملائكة تَسْتَحْيي منه؟ أو فضيلة مزاحمِ[٥] الروح[٦] **في منزلةٍ كهارون من موسى**[٧].

يئسَ والله الكُهولُ من مقارنةِ سَيِّدَيْ[٨] كُهولِ أهل الجنةِ، كما لم تطمعِ الشبابُ في مُزاحمة سيّدَي[٩] شباب أهلِ الجنَّةِ، متى التهبَتْ في صحابةِ الأنبياءِ عزيمةٌ كحُمْرَةِ جمرَةِ حمزة؟! أو علا على العُلا كعُلى علي؟! لقد فازَ بلقبِ الصدقِ طلحةُ الجود، كما سَعِدَ بالفَضْلِ «**حَواريَّ**» الزبيرُ، وسما بصلاة النبيِّ ﷺ خلفَه ابنُ عوف، كما قرَّت بلفظِ «**فداكَ أبي وأمي**»[١٠] عينُ سعدٍ، ونجا بالشهادةِ له بالجنَّة سعيدٌ، كما عزَّ ابنُ الجرَّاحِ بلقبِ الأمين، ولم يُذكر في القرآن باسمه غيرُ زيدٍ، وأينَ في الموالي مثل سالم مولى أبي حذيفة وسلمان؟! ومَنْ في الزُّهَّادُ كمصعبٍ وابن مظعون؟! وإنه لَمَسْعودٌ عبدُ الله بنُ مسعود، وطوبى ثم طوبى لخَبَّاب وصُهَيْبٍ، ويا شرفَ المؤذنين بصوت بلالٍ، ويكفي فخراً «**كوني برداً**

= أمامَ شهوتِه وعدوِّه.

(١) **البزّل**: مفرده بازل: الرجل الذي كملت تجربته. ويقصد الصحابة.

(٢) متفق عليه.

(٣) **المهيب**: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **والعدو** ههنا هو الشيطان.

(٤) **الوقور**: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) مزاحم **الروح**: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) في (ب): النفس.

(٧) يشير إلى الحديث الذي قاله النبي ﷺ يوم خرج إلى تبوك وخلَّفَ علياً على المدينة: «**أنتَ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي**» وهو في الصحيحين.

(٨) أراد حمزة والعباس.

(٩) أراد الحسن والحسين.

(١٠) قالها لسعد بن أبي وقاص في حديث رواه الترمذي، كما قالها للزبير بن العوام كما في: البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير (١٢)؛ وفي مسلم، برقم (٢٤١٦).

لعمار»[1]، وأيُّ بيتٍ يشبِهُ بيتَ أبي أيوب، ومَنْ زَيْنُ القراء إلا أُبيُّ بن كَعْب؟! ومَنْ في النقباءِ كابن زُرارةَ وابن الرَّبيع؟! وأنَّى للفقهاء مثلُ معاذٍ؟! ومَنْ له زُهْدٌ كَزُهْدِ أبي ذَرٍّ؟! والفخر لبني هاشم بالعباس، وكَفَى للبُصَراءِ قائداً ابنُ أم مكتوم، وإنَّه لقدوةُ المُؤْثرين أبو الدحداحِ، ومَنْ في قُوَّام الليل مثل تميم؟! ومن صَبَرَ على القتلِ صَبْرَ خُبيب؟! كلُّهم أخيار، وجميعهم أبرار، ولا مثل صاحبِ الغارِ[2]، وأينَ نظيرُ فُتَّاح الأمصار[3]؟! ومن يُشْبِهُ قَتِيْلَ الدارِ[4]؟! ولقد افْتقروا إلى المجاهدِ بذي الفقار[5]، بحب هؤلاء تُرجى الجنَّةُ، وتُتَّقى النارُ.

إنَّ الله تعالى لما حلَّى محمداً ﷺ حِليَةَ التنزُّه، خلعَ عليه خِلْعَةً هي الإسلام، وأعطاه منشوراً هو القرآن، ولواءً هو النصرُ، فأبو بكر صَدَّق النبوة، وعمر أظهر الرسالة، وعثمان جمعَ المنشور، وعليٌّ حمل السيف.

لما جلَّى الرسول ﷺ عروسَ الإسلام، ولم يكن بدٌّ من نثَار، نثر عُمَرُ نصفَ ماله، فرمى أبو بكر الكُلَّ، فقام عثمانُ يُجهِّزُ جيشَ العُسْرةِ بوليمة العُرْس، فعلمَ عليٌّ حال الغَيْرة، فبتَّ طلاق الضُرَّةِ، ثم رأى بعضَ جِهازِ الدنيا المطلَّقة عنده. وهو الخاتم. فسلَّم[6] وما سلَّم:

خَطُّـوا وأقـلامُهـم خَطِّيـةٌ سُلُـبُ ... فهـمُ علـى الخَيْـل أُمِّيُّـونَ كُتَّـابُ
إنْ أَحْسَنـوا كَلِمـاً واخلَـوْلَقُـوا ذِمَـماً ... واخْشَـوْشَنُـوْا شِيَمـاً فـالقـومُ أَعْـرَابُ

* * *

---

(١) رواه ابن عساكر وتكملته: **«كما كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية»**. انظر: كنز العمال (٣٣٥٦١).

(٢) أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٥) علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) يعني سلم الخاتم للسائل في ركوعه، ولم يسلّم في صلاته. وهي القصة التي نزلت بها: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وهي قصة مكذوبة. انظر: روح المعاني، للآلوسي، عند تفسير هذه الآية.

الفصل الثالث

في قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]

لمَّا تكاملَ بناءُ البيتِ أرسلَ الله تعالى إلى خليله: أدِّ[١] رسالةَ ﴿وَأَذِّن﴾ [الحج: ٢٧]، فَعَلا على أبي قُبَيْس[٢]، ونادى في جميع الوجوهِ[٣]: إنَّ ربَّكم قد بنى لكم بيتاً فحُجُّوه، فأجابَ مَنْ جرى القدرُ بِحَجِّه: «لبيك اللهم لبيك» فكانَ ذلك اليومُ أخاً ليومِ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]:

لمَّا رأيتُ مُنادِيْهم ألمَّ بِنا ... شَدَدْتُ مِئْزَرَ إِحْرامي وَلَبَّيْتُ
وَقُلْتُ للنَّفْسِ: جُدِّي الآنَ واجْتَهِدِي ... وساعِديني فهذا ما تَمَنَّيْتُ
لو جِئْتُكُم قاصِداً[٤] أسعَى على بَصَرِي ... لَمْ أَقْضِ حَقّاً، وأيَّ الحقِّ أَدَّيْتُ؟

قَطَعَ القومُ بِيدَ السفر ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧]، فوافقتهم الركابُ ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]:

دَعِ المَطَايا تَنْسُمُ الجَنوبا ... إنَّ لها لنَبَأً عَجِيْبا
حَنِيْنُها وَمَا اشتكَتْ لُغوبا ... يشْهَدُ أنْ قدْ فارَقت حَبِيْبا
ما حَمَلَتْ إلا فَتًى كئيبا ... يسِرُّ مِمَّا أعلنَتْ نَصِيْبا
لو غادرَ الشَّوْقُ لنا قلُوبا ... إذنْ لآثرنا بهنَّ النِّيبا[٥]
إنَّ الغريبَ يُسْعِدُ[٦] الغَرِيبا

---

(١) في (أ): أذن.
(٢) أبو قبيس: جبل بمكة.
(٣) في (ب): الوجود.
(٤) في (ب): زائراً.
(٥) النيبا: النوق المسنة.
(٦) يُسعد: الإسعاد في المناحات، هو أن تقومَ المرأةُ فتقومَ معها أخرى من جاراتها، =

واعجباً مِنْ حنينِ النُّوقِ، كأنَّها قَدْ علمَتْ وَجْدَ الرُّكَّابِ، تارةً تَجُدُّ في السَّيرِ، [وتارَةً تتوقَّفُ][١]، وتارةً تَذِل وتُطأطِئ الأعناقَ، وتارةً تَمْرَحُ، كأنَّها قد استعارَتْ أحوالَ العارفين:

ذَكَّراهـا فـي سُـراهـا مـا عَـرَاهَـا ... فَغَـدَتْ تَنْفُـخُ شَـوْقـاً فـي بُـراهـا[٢]
تقطَـعُ البـرَّ وتَنْسَـى مـا جَنَـى ... سَيْـرُهـا والسَّيْـرُ أمْـرٌ قَـدْ بَـراهـا
كلَّمـا قـالـتْ[٣] مِنِّـى قَـدْ قَـرُبَـتْ ... وَتَـدَانَـتْ دارُهـا طـارَ كَـرَاهـا[٤]
أَسْعِـدَاهـا يـا خَليلـيَّ عَلَـى ... مـا دَعَـاهـا فـي الهَـوى أو دَعـاهـا
كَـرْبُهـا مـا زَالَ مِـنْ عَهْـدِ الصِّبَـا ... خَلِّيَـاهَـا والصَّبـا[٥] فهُـوَ رضـاهـا
غَنِّهـا يـا أيُّهـا الحـادِي لَهَـا ... بالحِمَى أو بالنَّقا وانْظرْ سُرَاهَا[٦]
نَـحِّ عنهـا السَّـوْطَ يَكْفِـي شَـوْقُهـا ... قَـدْ رأَتْ فـي نَفْسِهـا مـا قَـدْ كَفَـاهـا
بـاعَهَـا الـوجْـدُ بِكُثبـانِ النَّقَـا ... عَجَبـاً إذ بـاعَهَـا كيـف اشْتَـرَاهَـا
أتُـراهـا عَلِمَـتْ مَـنْ حَمَلَـتْ ... لَيْتَهـا قَـدْ عَـرفَـتْ مَـنْ فـي ذُراهـا
أنـتَ إنْ لاحَـتْ لـك الأعـلامُ قِـفْ ... فهِـيَ المطلـوب[٧] لا شَـيْءٌ سِـواهـا
يـا رفيقـيَّ أهـدِي[٨] دارهـم ... ودَعـانـي ودَعـانـي وَثَـراهـا
أنـا مقتـولٌ بِسَهْـمِ غَـرِبٍ ... قَـوْسُـه خَيْـفُ مِنَـى أو مَـأْزِمـاهـا[٩]
حُـرِّمَ الصَّيْـدُ علـى مَـنْ حَجَّـه ... فانظرا في مُهجتي مَنْ قَدْ رَمَاهَا
أُكْتُبَـا فـي لَـوْحِ قَبْـرِي عِشْتُمـا ... مُهْجَـةٌ مـاتَـتْ ومـا نـالـتْ مُنـاهـا

= فتساعدها على النياحة، وعموماً هو الإعانة والإنجاد والمؤازرة.

(١) زيادة من (ب).

(٢) **البرى**: جمع بُرَة: حلقة توضع في أنف البعير يقاد منها، فإذا جهده السير نفح فيها. القاموس (برو).

(٣) في (ب): ظنت.

(٤) **كراها**: نومها.

(٥) **الصّبا** الأولى: الحداثة، والثانية: الشوق.

(٦) **سراها**: سيرها ليلاً.

(٧) في (ب): المقصود.

(٨) في (ب): اهدياني.

(٩) **مأزِماها**: مثنى: مأزم، وهو موضع بين المشعر الحرام في مزدلفة وعرفات.

أُمِرَ المُحْرِمون بالتعرِّي، ليدخلوا بِـزِيِّ الفقراء، فيبين أثر ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧]:

مَـنْ أعلـمَ السـائِـقَ العنيـفَ بِـهِـمْ ... بـأنَّ رُوْحِـي تُسَـاقُ مَـعَ إبِلِـهْ
وَأنَّ دَمْعِــي يَــرْوِي رَكــائِبَهـم ... لـولا دَمٌ فـي انسكـابِ مُنهَمِلِـه

تَالله لقد جمعوا الخيرَ ليلةَ جَمْعٍ[1]، ونالُوا المُنَى إذا دخلوا مِنًى:

للهِ دَرُّ مِنًــى ومــا جَمَعَــتْ ... وَبُكــا الأحبَّــةِ لَيْلَــةَ النَّفْــرِ
ثــم اغتَــدَوْا فِـرَقـاً هنـا وهنـا ... يتــلاحَظُــوْنَ بــأعيــنٍ ذُكْــرِ
مــا للمضــاجِـعِ لا تُــلائِمُنــي ... كـأنَّ قلبـي ليـسَ فـي صَـدْرِي

حجَّ جعفرُ الصادقُ، فأرادَ أن يلَبِّيَ فتغيَّرَ وجهُهُ، فقيل له: ما لكَ يا بنَ رسول الله؟ فقال: أريدُ أن ألبِّي فأخافُ أنْ أسْمعَ غيرَ الجواب[2].

وقف مِطرف[3] وبكرٌ[4] بالموقف، فقال مطرف: اللهمَّ لا تَرُدَّهم مِنْ أجلي.

وقال بَكرٌ: ما أشْرَفَه مِنْ مقامٍ لولا أنِّي فيهم.

وقام الفضيلُ بن عياض بعرفة، فشغلَه البكاءُ عن الدعاء، فلمَّا كادَتِ الشمسُ تغرُبُ قال: واسَوْأتاه مِنْكَ وإنْ عَفوتَ.

وقفَ بعضُ الخائفين على قَدَمِ الإطراق والحياءِ، فقيلَ له: لم لا تدعو؟ فقال: ثَمَّ[5] وحشةٌ.

قيل: هذا يوم العفو عن الذنوب.

فبسطَ يدَه فوقعَ ميتاً.

---

(١) ليلة جَمع: ليلة مزدلفة.
(٢) يشير إلى من يقال له: لا لبيك ولا سعديك.
(٣) مطرف بن عبد الله.
(٤) بكر المزني.
(٥) ثمّ: هناك.

وانـــزلِ الـــوادي[1] بـــأيمنِـــهِ إنَّـــه بـــالـــدَّمـــعِ مَـــلآنُ
وارمِ بـــالطـــرفِ العقيـــقَ[2] فلـــي ثَـــمَّ أوطـــارٌ وأوطـــانُ
وانشُـــدِ القلـــبَ المَشُـــوْقَ عسَـــى يُـــرْجِـــعُ المفقـــودَ نُشـــدانُ
وابْـــكِ عنِّـــي مـــا استطعـــتَ إذا مـــا بَـــدَا للطَّـــرْفِ نَعْمـــانُ[3]
واقْـــره عنـــي الســـلامَ فسكـــا نُ قلبـــي فيـــهِ سكـــانُ
لا تـــزدنـــي يـــا عـــذولُ جَـــوًى أنـــا بـــالأشـــواقِ سكـــرانُ

حَجَّ الشبْليُّ، فلمَّا رأى مكَّةَ قال:

أبطحـــاءَ مكَّـــةَ هـــذا الَّـــذي أراهُ عِيـــانـــاً وهـــذا أنـــا

ثم غُشيَ عليه، فلما أفاقَ قال:

هـــذهِ دارُهُـــمْ وأنـــتَ مُحِـــبٌّ مـــا بقـــاءُ الـــدُّمـــوعِ فـــي الآمـــاقِ

حجَّ قومٌ من العُبَّادِ فيهم عابدةٌ، فجعلتْ تقولُ: أينَ بَيْتُ ربِّي؟ أينَ بَيْتُ ربي؟ فيقولون: الآن ترينَه:

إذا دَنَـــتِ المنـــازِلُ زادَ شَـــوْقِـــي ولا سيمـــا إذا دَنَـــتِ الخِيـــامُ

فلمَّا لاحَ البيتُ، قالوا لها: هذا بَيتُ ربِّكِ، فخرجتْ تشتدُّ وتقول: بيتُ ربي، بيتُ ربي، حتى وضعت جبهتها[4] على البيت، فما رُفِعَتْ إلا ميتةً.

هـــاتيـــكَ دارُهُـــمُ وهـــذا مـــاؤهُـــمْ فاشْرَبْ وزِدْ[5] وَشَرِقْتَ[6] إن لم تَسْقِني

---

(١) **الوادي**: وادي مكة.
(٢) **العقيق**: وادي بالقرب من المدينة مشهور بمائه.
(٣) **نَعمان**: جبل في عرفة.
(٤) **في (أ)**: جبينها. **والجبهة**: ما بين الجبينين.
(٥) **في (ب)**: فاحبس ورد.
(٦) **وشرقت**: الجملة دعاء عليه أن يشرق، والشَّرَق: الغصة بالريق أو الماء، فلا يقدر على إساغته وابتلاعه.

أودعتُ إقرارَك يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الحجرَ الأسودَ، وأمرْتُك بالحج لتستحيي بالتذكر[١] من نقضِ العهدِ.

الحجَرُ صُندوقُ أسرارِ المواثيقِ، مُشْتَمِل لما أملى المُعاهِدُ، مُشْتَمِلٌ على حِفْظِ العهدِ، فاستلِمْ المُسْتَلَمَ المشتمل ليُعْلَم أنَّ إقرارَك لا عَنْ إكراهٍ، لا تَنْسَ عهدي فإنِّي لا أنساكَ:

فـلا تحْسبُـوا أنِّـي نسيـتُ وِدَادَكُـم ... فإنِّي وإنْ طالَ المَدَى لستُ أنساكُمْ
حَفِظْنَـا وَضَيَّعْتُـم وِداداً وحُـرْمـةً ... فلا كانَ مَنْ في الهَجْرِ[٢] ذا اليومَ أَغْرَاكُم

كم شخصٍ أشْخَصَه[٣] الوجْدُ إلى الحجِّ، فكادَت نَشابةُ المواثيقِ قَبْلَ تقبيلِه تقتلُه فلما قضى الناسِكُ المناسِكَ، ورجع؛ بقي سهمُ الشوق إلبه في قلب مِنى [المُنى][٤]:

يكـادُ يُمْسِكُـه عِـرفـانَ راحتِـه ... ركـنُ الحطيـمِ إذا مـا جـاءَ يَسْتَلِـمُ

إخواني: ذِكْرُ تلكَ الأماكنِ يعمَلُ في القلبِ قبلَ السَّمْعِ، لأنَّها قد خُلِقَتْ من طينِ الطَّبْعِ. لِسَلَعِ[٥] سَلْعٍ لسعٌ ليس لعَسَلِ لُعْسٍ[٦].

(لمهيار)[٧]:

هـل مجـابٌ يـدعـو مبـدِّدَ أوطـا ... ري بِجَمْـعِ يَـرُدُّ أيـامَ جَمْـعِ[٨]
أو أميـنُ القُـوى أحمِّلُـه همّـاً ... ثقيـلاً يحطُّـه دُوْنَ سَلْـعِ

---

(١) في (ب): بالتذكير.
(٢) في (ب): في هجرنا.
(٣) أشخصه: أجاءه وسيَّره في ارتفاع وأزعجه.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) سلع الأولى بتحريك اللام: شجر مرٌّ له شوك، والثانية بسكونها: جبل في المدينة.
(٦) لُعس: جمع لعساء، واللعَسُ: سوادٌ يعلو شفة المرأة البيضاء.
(٧) من قصيدة كتب بها إلى أبي منصور بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٧.
(٨) أيام جمع: أيام منًى.

فـافـرُجـا لـي عـن نَفْحَـةٍ مِـنْ صبَـاهُ ... طـالَ مـدًى لهـا الصليـفُ[1] وَرَفْـعِ
إنَّ ذاكَ النسيـمَ يجـري علـى أرضٍ ... ثـراهـا فـي الـرِّيْـحِ رُقْيـةُ لَسْـعِ
كَـمْ زفيـرٍ عَلِمَـتْ منـه حمـامُ ... الـدَّوْحُ مـا كـانَ مِـنْ حنيـنٍ وسَجْـعِ

وا حلل[2] المتخلِّفِ، وا أسفِ المسوِّف، أينَ حسراتُ التعبّدُ؟!![3] أينَ لذعاتُ الوَجْدِ؟!.

(للخفاجي):

أتظنُّ الوُرْقَ[4] في الأَيْكِ[5] تُغنِّي ... إنَّهـا تَضْمِـرُ حُـزْنـاً مِثْـلَ حُـزْنِـي
لا أراكَ اللهُ نَجْـداً بعـدَهـا ... أَيُّهـا الحـادي بنـا إنْ لـمْ تُجِبْنِـي
هـل تُبـارينـي إلـى بَـثِّ الجَـوى ... فـي ديـارِ الحيِّ نَشْـوَى ذاتُ غُصْـنِ
هَـبْ لهـا السبـقَ، ولكـنْ زادُنـا ... أنَّنـا نبكـي عليهـا وتُغنِّـي
يـا زمـانَ الخَيْـفِ هـل مِـنْ عـودةٍ ... يسمـحُ الـدَّهْـرُ بهـا مِـنْ بعـدِ ضَـنِّ
أرضينـا بَثَنِيَّـاتِ اللِّـوى ... عـن زَرْودٍ يـا لهـا صفقـةَ غَبْـنِ
سَلْ أراكَ[6] الجِـزْعِ هـل مـرَّتْ بِـهِ ... مُـزْنـةٌ[7] رَوَّتْ ثـراهُ غيـر جَفْنِـي
وأحـاديـثَ الغَضـا هـل علمـتْ ... أنَّهـا تملِـكُ قَلْبِـي قبـلَ أُذْنِـي

وا عجباً لمن يقطع المفاوز ليرى البيتَ، فيشاهدَ آثارَ الأنبياءِ، كيفَ لا يقطعُ نَفْسَهُ عن هواها؟ ليصلَ إلى قلبِه فيرى آثار[8] «ويسعني»[9].

---

(١) **الصليف**: صفحة العنق.
(٢) في (ب): وا خجل.
(٣) في (ب): البعد.
(٤) **الورق**: جمع ورقاء: الحمام، مفردها: حمامة.
(٥) **الأيك**: الشجر الملتفّ الكثير.
(٦) **الأراك**: شجر الحمضِ يستاك به، فيه طول وخضرةٌ ونعومةٌ وكثرةُ أوراقٍ وأغصانٍ، خوَّار العود، يتخذ منه المساويك، واحدةُ الأراكِ: أراكةٌ.
(٧) **مزنة**: سحابة.
(٨) في (ب): آثاره يَسْتَغْني.
(٩) يشير إلى الأثر الإلـهي: «**ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلبُ عبديَ** =

(لمحمد بن أحمد الشيرازي) :

إليـكَ قَصْـدِيَ لا لِلْبَيْـتِ والأَثَـرِ ولا طـوافـيَ بـأركـانٍ ولا حَجَـرِ
صفاءُ دَمْعِي الصَّفا ليْ حينَ أَعْبُرُه وزَمْـزمـي دَمْعَـةٌ تجـري مِـنَ البَصَـرِ
عِـرْفـانُكُـمْ عَـرَفـاتِـي إذ مِنًـى مِنَـنٌ وموقفي وِقفةٌ في الخوفِ والحَذَرِ
وفيـكَ سَعْيـي وتعْميـري ومُـزْدَلَفـي والهَديُ جِسْمِيَ الذي يُغني عن الجُزُرِ
ومَسْجِدُ الخَيْفِ خَوفي مِنْ تباعُدِكُمْ ومَشْعَـري ومَقـامـي دونكـم خَطَـري
زادي رجائي لكم والشوقُ راحِلَتِي والماءُ مـن عَبَـراتي والهَوَى سَـفَرِي

* * *

= المؤمن» في كشق الخفاء: ٢/ ٢٧٣ ، قال العراقي في تخريج الإحياء: لم أرَ له أصلاً ، وقال ابن تيمية: مذكورٌ في الإسرائيليات ، وليس له سند معروف عن النبي ﷺ ، وانظر ما يوضح معناه في كتاب: الفوائد ، لابن القيم ، ص ٤٠ .

الفصل الرابع

إخواني، قد نمَّ إليكم أمرُ مَنْ قد نَمَى، وسامى[1] الوصالَ لوسامٍ[2] وسما[3]، وافتخرَ بالنَّسبِ النسيبُ[4] وانتمى، كيف بارزَه من أبرزَه[5] عن الحِمى، فباتَ بعد الريِّ يشكو الظما، وقد رأيتم ما جرى، فانظروا مثل ما.

(لابن المعتز):

يا نفسُ ويحكِ طالما ... أبصرْتِ موعظةً، وما
نفعتْكِ فاخْشَيْ وانتهي ... وعليك بالتقوى، كما
فعلَ الأنامُ[6] الصالحون ... وبادري، فلربَّما
سَلِمُ المبادِرُ، واحذري ... يا نفسُ مِنْ سَوءٍ، فما
خُدعَ الشقيُّ بمثلها ... إياكِ منها، كلَّما
ناجَتْ مكايدُها ضميرَ ... كِ إنَّما هي، إنَّما
خَطَرتْ وكم قتلتْ ... وأهلكتِ النفوسَ، وقلَّما
تُغني أمانيها إذا ... حَضَرَ الرَّدى، فكأنَّما
لمْ يَجْنِ[7] مَنْ لاقَى منيـ ... ـتَه فيا عجباً أَما
في ذاك معْتَبَرٌ ولا ... شافٍ يُبَصِّرُ مِن عَمَى
يا ذا المُنى يا ذا المُنى ... عِشْ ما بدا لك ثم ما

---

(١) سامى: عالى وبارى.

(٢) في (ب): وصال الوسام.

(٣) سما: علا وارتفع وتطاول.

(٤) النسيب: الرجل الشريف المعروف نسبه وأصله.

(٥) يشير إلى وسوسة إبليس في إخراج آدم عليه السلام من الجنة.

(٦) في (ب): الإناس.

(٧) في (ب): يحي.

يا سكرانَ الهوى أما آن الصَّحْوُ؟! يا ساطراً[1] قبحَ الخلاف أما حان المحو؟!.

أين الراحلون؟! كانوا بالأمس، صحَّت حُجَّةُ الموتِ فبطلَتْ حركةُ[2] النفس، واعتقلهم حاكمُ البلى على دَيْنِ الرَّمس، [وكفَّ أكُفَّ الحِسِّ بعدَ تصرُّف آلة الخمس][3]، واستوعر عليهم الحصرُ، واستطالَ الحبسُ، وأصبحَتْ منازلُهم ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤].

يا قليل اللُّبث خَلِّ العَبثَ، كم حدَّث جَدثٌ في حَدَثٍ[4]؟! يا مُوْقِناً بالرحيل وما اكترث، اقبلْ نُصحي ولُمَّ الشَّعَث.

إذا نلتَ من دنياكَ خيراً فَفُزْ بِهِ ... فإنَّ لجمعِ الدَّهْرِ من صَرفه شتا
فكمْ مِنْ مُشَتٍّ لم يُصيِّفْ بأهله ... وآخرَ لم يدركهُ صَيْفٌ إذا شَتى

انتهبْ نِثَارَ الخيرِ في مكان الإمكان، قبل أن تدخلَ في خبر كان، قبل معاينة الهولِ المَخُوْفِ الفظيعِ، وتَلَهُّفِ المجدبِ على زمان الربيع.

إنَّما أهلُ هذه الدارِ سَفْرٌ، لا يحلُّون عُقَدَ الرِّكابِ إلا في غيرها، فاعجبوا لدارٍ[5] قد أدبرت، والنفوس عليها والهةٌ، والأخرى قد أقبلتْ، والقلوبُ عنها غافلةٌ.

والله لو كانتِ الدُّنيا بأجمَعِها ... تبقى علينا، ويأتي رزقُها رَغَدَا
ما كان مِنْ حَقِّ حُرٍّ أن يَذِلَّ لها ... فكيفَ وَهْي متاعٌ يَضْمَحِلُّ غَدَا

يا مُكرَّماً بحلْيَة الإيمان بعد حليةِ[6] الإيجاد، وهو يُخْلِقُها[7] في مخالفة

---

(١) **يا ساطراً**: أي يا كاتباً.
(٢) في (ب): حجة.
(٣) الأصابع الخمس، وما بين قوسين زيادة من (ب).
(٤) **حدّث جدث في حدث**: أي حدَّث القبر بلسان الحال عن أحداث من قُبر فيه.
(٥) **لدار**: أي لدار الدنيا.
(٦) في (ب): حلة.
(٧) **يخلقها**: يبليها.

الخالق، كم من نَعْمةِ نِعْمة[1] في تَرَفِ تَرِفٍ[2]، وما يخفُّ عليكَ ذِكْرُ شكرٍ.

يا عبدَ السُّوءِ! ما تُساوي قدر قُوتِك، لا كانتْ دابةٌ لا تَعْملُ بَعَلَفِها، إلى متى يَخْدَعُكَ المُنى؟! ويغرّكَ الأملُ؟!.

ويْحَكَ! افْتحْ عينَكَ، متى رأيتَ العقلَ يؤثِرُ الفاني على الباقي، فاعلم أنّه قد مُسِخَ.

ما زالتِ الدُّنيا مُرَّةً في في[3] الغير، ولكن قد مرضَ ذوقُك.

لسانُ قلبك في عُقلةٍ[4] غفلةٍ، وسَمْعُ فَهْمِكَ مسدودٌ عنِ الفِطْنَةِ بِقُطْنَةٍ، وبَصَرُ بصيرَتكَ محجوبٌ بعَماء[5] عَمًى، ومزاجُ تقواك منحرِفٌ عن الصحةِ، وأما نبضُ الهوى فشديدُ الخفقان.

سارت أخلاطُ الأملِ في أعضاءِ الكسل فَتَثَبطتْ عن البِدارِ، وقد صارت المفاصلُ في منافذِ الفهوم سُدَداً، وما يسهلُ عليك شُربُ مُسهِلٍ.

ويحك اجتنب حلواء الشَّرَهِ فإنَّها سبب الحُمَّى الروح[6]، خَلِّ خَلَّ البُخلِ، فإنَّه يؤذي عصبَ المروءة.

إنْ عوجِلَتْ أمراضُك فعولجتْ، وإلا مَلَكتْ فأهلكتْ، لو احتميتَ عن الخطى[7] لم تحتج إلى طبيب.

من ركبَ ظهرَ التفريط نزل به دارَ الندامة، ألم تسمع أنَّ داودَ كان قد أُعطِيَ نِعْمةً نَغْمة [كان يقف لها الماء والطيرُ][8]، فامتدَّت يدُ الغفلةِ، فقدَّت قميصَ

---

(١) نَعمة نِعْمة: بكسر النون: ما أنعم به من رزقٍ ومالٍ، وبفتحها: الرفاهة وطيب العيش.
(٢) تَرَف ترِف: ترَف: مصدر ترِف أي تنعَّم، ترِف: كحذر صيغة مبالغة من ترِف.
(٣) في (الأولى): حرف جر، وفي (الثانية): الفم.
(٤) عُقلة: ما يُعْقَل به كالقيد.
(٥) في (ب): بعشا.
(٦) في (ب): حمى الروح.
(٧) في (ب): أخلاط الخطايا.
(٨) في هامش (ب): كان يقف لها الماء فلا يسير، والطير وقوف الأسير.

العصمةِ، فأثَّرَ زلَلُهُ حتى في التلاوةِ.

أعرضَ المعمارُ عن المراعاةِ، فتشعَّبَ منزلُ الصَّفا، وانقطعت جامكية[1] العسكر، فتفرَّقتْ جنود ﴿أَوِّبِي﴾ [سبأ: ١٠]، كان يؤتى بالإناء ناقصاً، فيتمُّه بالدموع[2].

(لمهيار)[3]:

مـا لـي شَـرِقْـتُ بمـاءِ ذي الأثَـلِ   هــل كــدَّرهُ الــوُرَّادُ مِــنْ قَبلــي؟
أمْ بــانَ سكَّــانٌ فــأملــحَ لــي   مــا كنــتُ قبــلَ البيــنِ أَسْتَحْلِــي؟
مـا ابيضَّ لـي فـي الـدَّارِ بَعْـدَهُـمُ   يــومٌ وَهَــلْ دارٌ بــلا أَهْــلِ؟
رحلـوا بـأيـامـي الـرقـاقِ علـى   آثــارِهــم وبعيشــيَ السَّهــلِ

كان عيشُ عيشه خَضِراً، فأحالتِ الحالَ سَنةُ الهجرِ، فكأنَّ أيامَ الوصلِ[4] كانت سِنَةً، فكاد يقطع باليأس، لولا التقاءُ الخَضِرِ بإلياس.

أَرَقـي قــد رَقَّ لــي مِــن أَرَقـي   وَرَثَــى لــي قلقــي مــن قلقــي
وبكــائــي مِــن بكــائــي قــد بكــا   وتَشكَّــت حُــرَقــي مــن حُــرقــي

كان داودُ إذا أراد النياحةَ، نادى مناديه في أنديةِ المحزونينَ، فيجتمعونَ في مآتم النَّدْبِ، فتزدادُ الحُرَقُ بالتعاونِ.

(للعباس بن الأحنف)[5]:

يــا بعيــدَ الــدَّارِ عــن وَطَنِــه   مُفــرَداً يبكــي علــى شَجَنِــه
كلَّمــا جَــدَّ النحيــبُ بــه   زادتِ[6] الأسقــامُ فــي بــدنــه

---

(١) جامكية: مرتب خدام الدولة من العسكر والموظفين.
(٢) المتَّفق عليه عصمة الأنبياء، وما جاء مما يخدش العصمة فهو مردود من الإسرائيليات الباطلة.
(٣) مطلعُ قصيدةٍ يهنِّئ بها الوزير ابن ماكولا بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٠٦.
(٤) في (ب): الوصال.
(٥) انظر: ديوان شعره، ص٢٧٨.
(٦) في الديوان: (دبت).

ولقـــد زادَ الفـــؤادَ جـــوًى[١] هــاتِــفٌ يبكـي علــى فَنَنِــه[٢]
شــاقَــهُ مــا شــاقنــي[٣] فبكــى كلُّنــا يبكـــي علـــى سكَنـــه

يا مذنبين! مصيبتُنا واحدةٌ:

وكـل غـريـبٍ للغـريـب نسـيـبُ

يا مترافقين في سفر الطرد! انزلوا للنياحة في ساحة، اندبوا طيب أوطان الوصل، واستغيثوا من هجيرِ الهَجْرِ، لعلَّ الغمَّ ينقلبُ غمامةً تُظِلُّ مِنْ لفحِ الكَرْبِ.

(لمنصف):

أيـــنَ فـــؤادي أذابَـــهُ البُعْـــدُ وأيـــنَ قلبـي أمــا صَحَــا بَعْــدُ؟
حَـدَا[٤] بـذكـرِ العقيـقِ سـائِقُـهُ فطــارَ شــوقــاً بلُبِّــهِ الــوجــدُ
جســمٌ ببغــدادَ ليــس يصحبُــه روحٌ، ورَوحٌ يضمُّهـــا نجـــدُ
يــا لفـؤادٍ مــا يستـريـحُ مـنَ الكـر بِ لــه كــلَّ لحظـــةٍ وَقْــدُ[٥]
آهِ لعيـــشٍ قـــد كنـــتُ أصحبُـــه لـــو كـــانَ يـــومـــاً لفـــائـــتٍ رَدُّ
أروحُ فـــي حبِّكـــم فَـــوَا قلقـــي وهكـــذا أشتكـــي إذا أغـــدو
كلُّ زماني جَزْرٌ عن الوصل أشكو هُ فهـــلَّا تنـــاوبَ المَـــدُّ
يــا سعــدُ زدنــي جــوًى بـذكـرهـمُ يــا سعــدُ قــل لــي فُــديـتَ يــا سعــدُ
بلِّغهــمُ مــا أُجِــنُّ[٦] مــن حُــرَقٍ[٧] قــلْ وحــدِّثْ ببعــضِ مــا يبــدو
وقـــلْ رأيـــتُ الأسيـــرَ فـــي قلـــقٍ وقـــال: لـــي حـــرمـــةٌ، ولـــي عهـــدُ
ثمَّـــةَ فسلِّـــمْ والأمـــرُ أمـــرُهـــمُ يقـــولُ مـــولًـــى، ويفعـــلُ[٨] العبـــدُ

* * *

---

(١) في (ب): شجًى.
(٢) فننه: الفنن: الغصن.
(٣) في الديوان: (شقه ما شَقَّني).
(٤) **حدا الإبل**: زجرها وساقها وغنَّى لها لتسير.
(٥) **وَقْدٌ**: اشتعال.
(٦) **أُجن**: أخفي وأحبس.
(٧) **حرق**: جمع حرقة: وهي ما يجد الإنسان من لذعة الحب أو الحزن.
(٨) في (ب): يصمت.

الفصل الخامس

أيَّتها النفسُ! تدبَّري أمرَكِ وتأمَّلي، ومَثِّلي بين ما يبقى وما يفنى ولا تَعْجَلي، لقد ضللتِ طريقَ الهُدَى، فَقِفي واسألي، وآثرتِ وَهْناً يؤرث وهناً[1] لا تفعلي، يا غمرةً من الشقا ما أراها تنجلي! أتَّبعُ الهوى؛ والهوى عليّ ليس لي، أريدُ حياةَ نفسي، ونفسي تريدُ مقتلي، يا جسداً قد بَلي، بما قد بُلي:

نَخْطُو ومَا خَطْوُنا إلاّ إلى الأجلِ ونَنقضي وكأنَّ العمرَ لم يَطُلِ
والعيشُ يؤذِنُنَا بالموتِ أوَّلُه ونحنُ نرغبُ في الأيامِ والدُّوَلِ
يأتي الحِمامُ فيُنْسِي المرءَ مُنْيَتَهُ وأعضلُ الداءِ ما يلهي عن الأملِ
لا تحسبِ العيشَ ذا طُولٍ فتتبعُه يا قُرْبَ ما بين عُنْقِ المرءِ والكَفَلِ[2]
ترخِي النوائبُ عن أعمارِنا طرفاً فتستقرُّ وقد أمسكنَ بالطِّوَلِ[3]
سَلى عن العيش أنَّا لا ندومُ له وهَوَّنَ الموتَ ما نلقَى من العلَلِ
لنا بما ينقضي من عمْرِنا شُغُلٌ وكلُّنا عَلِقُ الأحشاءِ بالغَزَلِ
ونَسْتلِذُّ الأمانِي وهي مُرْدِيةٌ كشاربِ السُّمِّ ممزوجاً مع العَسَلِ

إخواني! أوقدوا أذْهان[4] الأذهان في ليل الفكر تُبْصِروا، وصابروا سِنِيَّ الجدب لعامِ الخِصْبِ تَعْصِروا[5]، فَمَنْ أدلجَ[6] في غياهبِ ليلِ العُلى على نجائِبِ الصَّبْرِ، صبَّحَ منزلَ السرورِ في السِّرِّ[7]، ومن نام على فراشِ الكسل، سال

---

(١) وهناً الأولى: الضعف في العمل والرأي والبدن. وهناً الثانية: الألم.
(٢) الكفل: العَجُز من الإنسان.
(٣) الطِّوَل: الحبل يُمدُّ للدابة لترعى، وطرفه مثبت.
(٤) أدهان: جمع دهن، زيت يوقد به المصباح.
(٥) تعصروا: يقال: عصرَ يعصِر، أي: استخرج ما في المعصور من دهن أو ماء ونحوه.
(٦) أدلج: سار أول الليل.
(٧) السر: الأرض الطيبة الكريمة.

به سيلُ التمادي إلى وادي الأسف .

الرجوليةُ قوةٌ معجونةٌ في طينِ الطَّبْعِ ، والأنوثيَّةُ رَخاوة .

ولدُ السبُعِ عزيزُ الهمَّة ، وابنُ الذئبِ غَدَّارٌ ، وكلٌّ إلى طبعِهِ عائدٌ .

الجدُّ كلُّه حركة ، والكسَلُ كلُّه سكون .

إذا أردتَ أن تعرفَ الديكَ من الدجاجـةِ حين يَخْرجُ من البيضـة ، فعلِّقه بِمنْقارِه ، فإن تحرَّك فَدِيكٌ ، وإلا فَدَجاجة .

فُتُورُكَ عن السعي في طلب الفضائل دليلٌ على تأنيث العَزْم .

يا منْ قد بلغ أربعين سنة ، وكلُّ عُمرِه نومٌ وسِنَة ، يا مُتعِباً في جمعِ المال بَدَنَه ، ثم لا يدري لمن قد خَزَنَه ، أعلِمْ هذه النفسَ الممتحنَةَ ، أنَّها بكسبِها مرتهنةٌ ، ألا يعتبِرُ المغرورُ بِمَنْ قد دفنه؟! كم رأى جباراً فارقَ مسكنَه ، ثم سكنَ مسكَنَ مسكنة[1] .

يا راحلين بالإقامة ، يا هالكين بالسلامة ، أين مَنْ أخذَ صفوَ ما أنتم في كدره؟! أما وعظكم في سَيْرِه بسِيَرِه[2]؟! بلى قد حملَ بريدُ الإنذارِ أخبارَهم ، وأراكم تصفُّحُ الآثارِ آثارَهم .

وحـدَّثَتْـكَ الليـالـي أنَّ شيمتَهـا ... تفـريـقُ مـا جَمَعَتْـهُ فـاسمعِ الخَبَـرا
فكنْ على حَذرٍ منها فَقَدْ نَصَحَتْ ... وانظـر إليهـا تـرَ الآيـاتِ والعِبَـرا
فهـل رأيـتَ جـديـداً لـم يَعُـدْ خَلَقـاً ... وهل سمعتَ بصفوٍ لم يَصِرْ كَدَرا

حبّ[3] الدنيا خيالٌ ، تَغرُّ الغِرَّ ، المتمسك بها يلعب بلُعابِ الشمس .

الدُّنيا كامرأةٍ فاجرةٍ[4] لا تثبت مع زوج ، فلذلك عِيْبَ طُلابُها . . .

---

(١) المسكنة : المذلَّة .
(٢) أي : ألا تتعظون بسيره إلى قبره بحاله التي كان عليها في الدنيا .
(٣) في (ب) : حبال .
(٤) في (ب) : كالمرأة الفاجرة .

مَيَّـزتُ بَيْـنَ جمـالِهـا وفِعـالهـا فـإذَا المـلاحَـةُ بـالخيـانـةِ لا تَفـي
حَلَفـتْ لنـا أنْ لا تخـونَ عهـودَهـا فكـأنَّمـا حَلَفـتْ لنـا أنْ لا تَفِـي

محبَّةُ الدنيا محنةٌ، عيونُها بابليَّةٌ[١]، كم تفتح بابَ بليَّة، ولا حيلةَ كحيلةٍ مِنْ عَيْنٍ كَحيلة[٢].

كم أفْرَدتْ[٣] مَنْ أرفَدت[٤]، كم أخْمَدَتْ من أخدَمتْ، كم قلَّلت[٥] مَنْ ألَّفت، كم أفقرتْ من أرفقتْ، كم فارقتْ من رافقتْ، كم قطعت من أقطعَتْ[٦].

فعلها في التكدير كلُّه كذا، فإن آثَرْتَ الصفا فما في الزهد أذى، وإن أردتَ القذى، فألْقِ ذا.

(لمهيار)[٧]:

تَعْجَـبُ مِـنْ صبـري علـى ألـوانِهـا فـي وَصْلِهـا طَـوْراً وفـي هِجْـرانِهـا
وَرْهـاءُ[٨] مـن كلَّفهـا وثيقـة كلّفهـا مـا ليـس مـن أديـانهـا
تُسلِّـطُ البلـوى علـى عُشَّـاقِهـا تَسلُّـطَ الحِنـثِ علـى أَيْمـانهـا
الـودُّ فـي القلـبِ ودعـوى وُدِّهـا لا يتعـدَّى طَـرَفـيْ لسـانهـا
فكلَّمـا أعطتْـكَ مِـنْ محبَّـةٍ زيـادةً فـاقطـعْ علـى نقصـانِهـا
وقفـتُ أسـترجِـعُ يـومَ بَيْنِهـا قلبـاً شعـاعـاً طـاحَ فـي أظعـانهـا
ولـم تكـن منِّـيَ إلا صَلَّـةٌ نِشـدانُ شـيءٍ وهـو فـي ضمـانهـا

---

(١) **بابلية**: نسبة إلى بابل، موضع بالعراق، ينسب إليه السحر والخمر.
(٢) **كحيلة**: يقال: في عينيه كَحَل: أي سوادٌ في أجفانِ العين خلقةً، والرجلُ أكحلُ وكحيل.
(٣) **أفردت**: نحَّتْ وعزلت.
(٤) **أرفدت**: أعطت وأمدَّت.
(٥) **قلّلت**: فرَّقت. **ألّفت**: جمعت.
(٦) **أقطعت**: أعطت.
(٧) مطلعُ قصيدةٍ يعاتب فيها العميد أبا الحسن بن المزرّع. انظر: ديوانه: ٤/ ١٦٥ـ١٦٨.
(٨) **ورهاء**: خرقاء: المرأة الحمقاء.

يا من إذا أصبحَ طلبَ بالمعاشِ الشهواتِ، وإذا أمسى انقلبَ إلى فراشِ الغفلاتِ، أين أنتَ من أقوامٍ نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فنَصَبوا[1]، فوفَّرَ النَّصَبُ نصيبهم ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

قال بعضُ السلفِ: لَقيتُ رجلاً في بَرِّيَّةٍ، فقلتُ: مِنْ أين؟ فقال: مِنْ عندِ قومٍ ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، قلت: وإلى أين؟ قال: إلى قومٍ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

بنفسي مَنْ غداةَ نأيْتُ عنهم ... تركتُ القلبَ عِنْدَهُمُ رَهينَا
أما لكَ أيُّها القلبُ اعتبارٌ ... بما فَعَلَ الهَوَى بالعاشِقِينَا

ملؤوا مراكبَ القلوبِ متاعاً لا يَنْفُقُ[2] إلا على الملك، فلمَّا هبَّتْ رياحُ الدُّجى دَفَعَتِ المراكبَ.

(لأبي إسحاق الغزي):

إذا الصَّبَا سحبَت أذيالَها سَحَراً ... على العَقِيقِ وَقَرَّتْ في رُبَى إِضَمِ[3]
وحرَّشَتْ بين بانِ الجَزْعِ ظالمةً ... و شِيحِه[4] وَجَرَتْ في الضَّالِ[5] والسَّلَمِ[6]
تنفَّسَ الوجْدُ وارتاحَ المشوقُ لها ... وعاشَ بالرُّوحِ بعدَ الأخذِ بالكَظَمِ

يا سوقَ الأكل أين أربابُ الصيام؟ يا فُرشَ النَّوْمِ أينَ حرَّاسُ الظلام؟ درَسَتْ والله المعالِمُ، ووقعتِ الخيامُ، قفْ بنا على الأطلالِ، نخصُّها بالسلام.

(لمهيار)[7]:

---

(١) **نصبوا**: جدّوا واجتهدوا.
(٢) **ينفق**: يروَّج.
(٣) **إضم**: اسم جبل في الحجاز.
(٤) **شيحه**: الشيح: نبت له رائحة طيبة، وطعم مر.
(٥) **الضال**: الواحدة ضالة، شجر من فصيلة النبقيات.
(٦) **السلم**: الواحدة سَلِمة، جنس شجر شائك من فصيلة القطانيات، ينبتُ في البلدان الحارة ثمره أصفر.
(٧) من قصيدة قالها يمدحُ الوزير زعيم الدين في النيروز. انظر: ديوانه: ٣/ ٣٢٧.

أيـنَ سكَّـانُـكِ؟ لا أيـنَ هُـمُ أحِجـازاً سَلَكُـوا[1] أمْ شـآمـا
قَـدْ وقفنـا بعـدَهُـمْ فـي رَبْعِهِـم فَنَهبْنـاه استـلامـاً والتـزامـا

أتُرى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ أتُرى أيَّ شِعْبٍ أخذوا؟.

حمـامـةَ الـواديـيـن مـا الخبـرُ عـرَّجـوا بـالفـراتِ أم عَبَـرُوا

ما وصلَ القومُ إلى المنزِلِ إلا بعدَ طُولِ السُّرى، ما نالوا لذَّةَ الراحةِ إلا بعدَ مرارةِ التعبِ.

(لصُرَّدُرّ)[2]:

لـو قَـرُبَ الـدُّرُّ علـى جُـلاَّبِـه مـا لجَّجَ الغـائـصُ فـي طِـلابـِهِ
ولـو أقـامَ لازمـاً أصـدافَـه لـم تكـنِ التِّيْجَـانُ فـي حِسَـابِـهِ
مـا لـؤلـؤُ البَحْـرِ ولا مَـرجَـانُـه إلا وراءَ الهَـوْلِ فـي عُبـابِـه
مَـنْ يَعْشَـقِ العليـاءَ يلـقَ عِنْـدَهـا مـا لَقِيَ المحبـوبُ[3] مِـنْ أحبـابِـهِ

ما حَظِيَ الدينارُ بنقْشِ اسمِ الملِكِ، حتى صبَرتْ سبيكتُه على التردد إلى النار، فنفتْ عنه كلَّ كدَر، ثم صبَرتْ على تقطيعها دنانيرَ، ثم صبرت على ضربها على السكَّة، فحينئذٍ ظهرَ عليها رقمُ النقْشِ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

كـم أحمـلُ فـي هـواكَ ذُلاً وعَنَـا كـم أصبرُ فيكَ تحت سقمٍ وضَنـا
لا تَطْـرُدَنِّـي فليـس لـي عنـكَ غِنـا خـذ روحـيَ إذا أنـتَ أردتَ الثَّمنـا

مَنْ طلبَ الأنفسَ هجرَ الألذَّ، من اهتمَّ بالجوهرِ نسيَ العَرَض، «يا صفراءُ

---

(١) في الديوان: (اقبلوها).
(٢) صُرّدُرّ: هو علي بن الحسين، بغدادي، شاعر مجيد، له ديوان شعر مطبوع في دار الكتب المصرية (١٩٣٤م)، توفي (٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م) والأبيات من قصيدةٍ يمدحُ فيها الوزير ابن جهير بعد عودته إلى الوزارة. انظر: الديوان، ص٦٣ ـ ٦٦.
(٣) في (ب): المحبّ.

يا بيضاءُ غُرِّي غيري»[1].

مِنْ أجْلِ هواكمْ هويتُ العِشْقا ... قلبي كَلِفٌ ودمعتي لا ترْقا[2]
في حُبِّكم يهونُ ما قَدْ ألقى ... ما يَسْعَدُ بالنَّعيمِ مَنْ لا يشْقى

يا معاشرَ التائبينَ ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، مكابدةُ الباديةِ تهونُ عند ذكر منًى، المُضحي في بوادي الجوعِ والمُعْشِي في بَوادي[3] السهر إلى أن تلوحَ بِوادي[4] القبول، إن ونَتْ في السيرِ ركائبُكم. فأقيموا حداةَ العزْمِ تُدْلِجُ[5].

البَيْنَ يا أهلَ المطايا البينا ... لا يشتكي سوطُك البُطينا
يا حادِيَيْها مِنْ نُميرِ عامرٍ[6] ... خُذا بها عَنْ حاجرٍ[7] يَمينا
حُلّا على وادي الغضا[8] نُسوعَها[9] ... وأرخيا بِرَامَةَ[10] الوضينا[11]
رِدا[12] بها ماءَ العُذَيبِ[13] عَلَّها ... تُشفى وتُطفي داءَها الدَّفِيْنَا
واستخبرا بالجَزْعِ[14] أنفاسَ الصَّبا ... أينَ استقلَّ[15] الجيرةُ الغادونا

---

(١) **الصفراء**: الذهب. **البيضاء**: الفضة. وهذا من قول سيدنا علي رضي الله عنه حين وزَّع ما في بيت المال على المسلمين، ولم يُبْقِ فيه شيئاً. رواه أحمد، وانظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: ١/ ٣١٥.

(٢) **لا ترقأ**: لا تنقطع دموعها.

(٣) **بَوادي**: جمع بادية، من بَدا يبدو إذا ظهر، وهي الظاهرة.

(٤) **بِوادي**: أي في وادي.

(٥) **تدلج**: تسير أول الليل.

(٦) **نُمير وعامر**: اسما قبيلتين من مضر.

(٧) **حاجر**: منزل للحجاج بالبادية.

(٨) **وادي الغضا**: وادٍ بنجد.

(٩) **النسع**: سيرٌ ينسج عريضاً على هيئة أعنَّة النعال تشدُّ به الرحال.

(١٠) **رامة**: موضع بالبادية.

(١١) **الوضين**: بطانٌ عريضٌ منسوجٌ من سيور أو شَعَر.

(١٢) **رِدا**: فعل أمر من الفعل يرد، وورد الماء: أشرف عليه، دخله أم لم يدخله.

(١٣) **العذَيب**: وادٍ شمال المدينة.

(١٤) قرية عن يمين الطائف، وأخرى عن شمالها.

(١٥) **استقل**: ركب، امتطى، سافر.

يا مطروداً عن صحبة الصالحين، امشِ في أعراضِ الركب، وناشدْ حادي القوم، لعلَّه يتوقَّف لك.

يـا حـاديَ العيـسِ أصِـخْ لمُـذْنَـفٍ مُتيَّـــمٍ لَـــجَّ بـــه الغَـــرَامُ
إذا وقفـتَ فـي ثَنيَّـاتِ اللِّـوى[1] ولاحـــتِ الـــدِّيـــارُ والخيـــامُ
وافتـرَّتِ الـريـاضُ عـن أزهـارهـا عُقَيْـبَ مـا قـد رحَـلَ الغَمَـامُ
وهَبَّـتِ الـريـحُ فهـبَّ شيحُهـا وانتبـهَ الحَـوْذانُ[2] والثّمـامُ[3]
فقـفْ قليـلاً نَتَـزوَّدْ نظـرةً تَحْيَـى بهـا الأرواحُ والأجسـامُ

* * *

(١) اسم مكان.
(٢) **الحَوذان**: نبات عشبي من ذوات الفَلْقتين.
(٣) **الثمام**: نبت ضعيف، له خوص.

الفصل السادس

إخواني! انتبهوا من رَقَداتِ الأغمارِ[١]، وانتبهوا لحظات الأعمارِ، وقاطعوا الكسل، فقد قَطَّعَ الأعذارَ الإعذارُ[٢]، واسمعوا زواجرَ الزَّمنِ، فما داجَى[٣] الدُّجى ولقد بَهَرَ[٤] النهار، وخذوا بالحَزم فقد شقيَ وتَلِفَ مَنْ رضيَ بشفا جُرفٍ هارٍ.

(للشريف الرضي)[٥]:

تفوزُ بنا المَنونُ وتَسْتَبدُّ ... ويأخذُنا الزَّمانُ ولا نُرَدُّ
وأنظُرُ ماضياً في إثرِ[٦] ماضٍ ... لقد أيقنتُ أنَّ الأمرَ جِدُّ
رويداً بالفِرارِ مِنَ المنايا ... فليسَ يفوتُها الساري المُجِدُّ
فأينَ ملوكُنا الماضونَ قِدْماً ... أعَدُّوا للنوائِبِ واستعدُّوا
أعارَهُمُ الزمانُ نعيمَ عَيْشٍ ... فيا سُرْعانَ ما نُزِعُوا[٧] ورُدُّوا
هُمُ فَرَطٌ لنا في كلِّ يومٍ ... نمدُّهُمُ وإنْ لم يَسْتَمِدُّوا

العمرُ يسير وهو يسير[٨]، فأقصِروا عن التقصير في القصير، دَرَاكِ دَراكِ[٩]

---

(١) **الأغمار**: جمع غُمر ـ بالضم ـ، وهو الجاهل الغِرّ الذي لم يجرّب الأمور.

(٢) **الأعذار**: بفتح الهمزة، جمع عذر: الحجة التي يُعتذرُ به، **والإعذار**: بكسر الهمزة، عدمُ إبقاءِ موضع للاعتذار.

(٣) **داجى**: من المداجاة: المداراة والمجاملة.

(٤) **بهر**: أضاء.

(٥) قاله يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له. انظر: ديوانه: ١/ ٣٦٦.

(٦) في الديوان: عقب.

(٧) في المطبوع: استلوا.

(٨) **يسير** الأولى: قليل، والثانية: يمشي.

(٩) **دراك**: اسم فعل أمر بمعنى أدرك.

قبل امتناعِ الفَكاكِ، حَذارِ حَذارِ[1] قبل عدم الفرار.

أما يحرّكَ سوقُ الرَّهَب سوقَ الهَربِ؟ أما يحثُّ التعليمُ على الدَّأبِ مع الأدبِ؟ أليسَ الزمانُ يُعيرُ ثم يُغيْرُ؟ وهبْ أنَّه وَهَبَ[2]، أما ضرب[3] الدَّهرُ؟ فاستحالَ الضَّربُ[4]، مرَّ العُمرُ والغُمْرُ[5] مشغولٌ عمَّا ذهبَ بالذَّهبِ، كم فارقَ مَنْ رافقَ، فسَلا مَنْ سَلا بالسَّلَب[6]، أينَ الفَهمُ؟ فَقَدَ المُعنَّى[7] المعنى، وعجَّ[8] العجبُ، أين الثمرةُ أيتها الشجرة؟ خابَ الرّغِب في الغَرَب[9].

حالَتْ غمائمُ الهوى بينكم وبين شمس الهدى، وغدا ما في يومكم يُنسيكم غداً، حتى كأنَّ الرحيلَ حديثُ خُرافة[10]، أو كأنَّ الزادَ يفضلُ عن المسافة.

أيها الشيوخ: آنَ الحصادُ، أيها الكهول: قَرُبَ الجَذاذ[11]، أيها الشباب: كم جرَّد الزرعَ جرادٌ.

يـا بـنَ آدم لا تغـرُرْكَ عـافيـةٌ　　　عليـكَ شـاملـةٌ فـالعُمْـرُ معـدودُ

---

(١) **حذار**: اسم فعل أمر بمعنى: احذر.

(٢) **وهب الأولى**: بمعنى افترض. **وهب الثانية**: أعطى دون مقابل.

(٣) **ضرب الدهر**: أهلك وأمات.

(٤) **استحال الضربُ**: امتنعَ السيرُ في الأرض ابتغاء الرزق.

(٥) **الغُمْرُ**: بضم الغين: غير المجرب، من لا خير فيه، ولا غناء عنده في عقل ولا رأي ولا عمل.

(٦) **سلا الأولى**: نسي وطابت نفسه بعد الفراق. **سلا الثانية**: التسلِّي والانشغال. **السلب**: ما يسلب من متاع الدنيا.

(٧) **المعنَّى**: المتعب.

(٨) **عجَّ**: ضجَّ.

(٩) **الرغب**: شديد الرغبة. **الغَـرَب**: الدلو العظيمة المملوءة.

(١٠) روت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: **«أتدرون ما خرافة؟ إنَّ خرافة كان رجلًا من عُذْرة، أسرته الجِنُّ في الجاهلية، ومكث فيهم دهراً، ثم ردُّوه إلى الإنس، فكان يحدِّث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة»** رواه الترمذي وأبو يعلى وأحمد. انظر: كشف الخفا: ١/ ٤٥٢، رقم (١٢٠٧). وقال ابن الأثير في النهاية: أجروه ـ أي العوام ـ على كلِّ ما يكذِّبونه من الأحاديث، وعلى كلِّ ما يُستملَحُ ويتعجَّبُ منه.

(١١) **الجَذاذ**: بفتح الجيم، القطاف.

مـا أنـتَ إلا كـزرعٍ عنـدَ خُضْـرَتِـهِ   بكـلِّ شـيءٍ مـن الآفـاتِ مقصـودُ
فـإنْ سلِمـتَ مـن الآفـاتِ أجمعِهـا   فـأنـتَ عنـد كمـالِ الأمـرِ محصـودُ

واعجباً! يتأمَّـلُ الحيوانُ البهيمُ العواقبَ، وأنتَ لا ترى إلا الحاضرَ، ما تكادُ تهتمُّ بمُؤْنَةِ الشتاء حتى يقوى البردُ، ولا بمؤنةِ الصيفِ حتى يشتدَّ الحرُّ، ومَنْ هذه صفتُه في أمورِ الدنيا ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

هذا الطائرُ إذا عَلِم أنَّ الأنثى قد حَمَلَتْ، أخذَ ينقلُ العيدانَ لبناءِ العُشِّ قبلَ الوضع، أفتُراك ما علمت قربَ رحيلك إلى القبر؟ فهلاَّ بعثتَ لك فراشَ تقوى ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

هذا اليربُوع لا يتَّخِذُ بيتاً إلا في موضعِ صُلبٍ مرتفع، ليَسْلَمَ من سيلٍ أو حافرٍ[١]، ثم لا يجعلُه إلا عندَ أكمَةٍ أو صخرةٍ، لئلا يضلَّ عنهُ إذا عادَ إليه، ثم يجعلُ له أبواباً، ويرقِّقُ بعضها، فإذا أُتيَ من بابٍ دفعَ برأسِهِ ما أَرقَّ وخَرجَ.

اسمع يا مَنْ قد ضَيَّقَ على نفسه الخناق في فعل المعاصي، فما أبقى لعُذرٍ موضعاً، يا مقهوراً بغَلَبَةِ النَّفْسِ صُلْ[٢] عليها بسَوْطِ العزمِ، فإنَّها إن عرفَتْ جِدَّكَ استأسرتْ لكَ، امنعها ملذوذَ مُباحِهَا ليقعَ الصلحُ على تركِ الحرام، فإذا احتجَّتْ لطلبِ المباح ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

الدنيا والشيطان خارجيان[٣] خارجان عليك، خارجان عنك، والنفس عدوٌّ مباطِن، ومن آداب الجهاد ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣].

ليس من بارزَ بالمحاربةِ كمَنْ كَمَنَ[٤]، ما دامت النفس حيَّةً تسعى، فهي

---

(١) **الحافر**: واحد حوافر الدابة، ويراد به هنا الدابة، وسمي حافراً لأنه يحفر الأرض بشدَّة دوسه.

(٢) **صُل**: فعل أمر من يصول، وصال على قِرْنه صولاً: سطا واستطال فهو صؤول.

(٣) **خارجيان**: مثنى: خارجيّ، والخوارج: فرقة كانت مع سيدنا علي رضي الله عنه، ثم خرجت عنه بحجة أنه قَبِل التحكيم، وقاتلهم في معركة النهروان، ولهم آراء خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، وقد انقسموا فرقاً فيما بينهم.

(٤) **كَمَنَ**: تستر، ويقصد بها النفس، والمبارِز: الشيطان.

حيةٌ تسعى[1]، أقلُّ فعلٍ لها تمزيقُ العمرِ بكفِّ التبذيرِ، كالخَرْقاءِ[2] وجدتْ صوفاً.

اخلُ بها في بيتِ الفكرِ ساعةً، وانظر: هل هي معك أو عليك؟.

نادِها بلسانِ التذكرةِ: يا نفسُ ذَهَبَ عرشُ بلقيس، وبَلِيَ جمال شيرين، وتمزَّقَ فَرْشُ بوران، وبقي نسكُ رابعة.

يا نفسُ! صابري عطشَ الهجير يحصُلِ الصوم، وتحزَّمي تحزُّمَ الأجيرِ، فإنَّما هو يوم:

جُدَّ[3] في الجِدِّ قد تولَّى العمْرُ   كم ذا التفريطُ قد تدانى الأمْرُ
أقبِلْ فعسى يُقبَلُ مِنْكَ العُذْرُ   كم تبني كم تنقضُ كم ذا الغَدْرُ

يا هذا! ذرَّاتُ الوجودِ تستدعيكَ إلى الموجِدِ، ورسائلُ العِتابِ على انقطاعِكَ متصلةٌ، فما هذا التوقُّفُ؟.

كم كم ذا الهجرُ وافتراقُ الأحباب؟   هل بعدَ البُعْدِ للذي غابَ إياب؟
كم قد خطَّتْ إليكُمُ الكفُّ كتاب؟   خلوا ذا العتبَ ثم ما جاء جواب

يا هذا! دبِّرْ دينَك كما تدبِّر[4] دُنياك، لو علِقَ بثوبكَ مسمارٌ رجعتَ إلى وراءَ لتخلّصه، هذا مسمارُ الإصرارِ قد نشب[5] بقلبِكَ، فلو عُدْتَ إلى الندمِ خطوتين تخلَّصتَ.

هيهات صبيُّ الغفلةِ كلَّما حُرِّكَ نام.

يا مجنونَ الهوى إمَّا مارستانُ العُزْلةِ، وقَيْدُ الحِمْيَة، ومعالجةُ سلاسِلِ

---

(١) حية الأولى: من الحياة، حية الثانية: أفعى.
(٢) كالخرقاء: يشير إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].
(٣) في (ب): خذي.
(٤) في (ب): دبرت.
(٥) في (ب): تشبث.

التقوى، ومرافقةُ بِشْرٍ ومعروفٍ[١]، وإلا فمارستانُ جهنَّمَ، في أنكالِ العقوبةِ، وصُحبةُ إبليسَ.

لا بدَّ من جزمٍ وعَزْمٍ يؤخَذُ فيه بالحزمِ، لينتصرَ مِنْ عائثِ الشَّرَهِ[٢] سلطانُ الأزم[٣].

من رقَّ لبكاءِ الطفلِ لم يقدِرْ على فِطامِه.

كلُّ يومٍ تحضُرُ المجلسَ يقف لك الشيطانُ على الباب، فإذا خرجْتَ كما دخلْتَ قال: فَدَيْتُ مَنْ لا يُفْلحُ.

وا أسفي كم تطلبُ الخَضِرَ وما ترى إلا الياس، ويحكَ اعرفْ قَدْرَ ما ضاعَ منك، وابكِ بكاءَ من يدري قيمةَ الفائتِ، وصِحْ في وقتِ السحر:

إنْ كانَ عهودُ وَصْلِكُمْ قد دَرَستْ[٤] ... فـالـروحُ إلـى سـواكـم مـا أَنِسَـتْ
أغصـانُ هـواكـمُ بقلبـي غُـرِسَـتْ ... مُنُّـوا بلقـائكـم وإلا يَبِسَـتْ

لو استنشقتَ ريحَ الأسحارِ لأفاقَ قلبُكَ المخمورُ، لو تخايلْتَ قربَ الأحبابِ أقمتَ المآتمَ على بُعدِكَ.

مـا أشْـوقنـي إلـى نسيـمِ الـرَّنْـدِ[٥] ... يشفـي كمـدي إذا أتـى مِـنْ نَجْـدِ
والشِّيْـحِ[٦] فـإنَّـه مُثِيْـرُ الـوَجْـدِ ... شـوقـي لـه، ووجـدي وجـدي

كان بعضُ السلفِ يقول في مناجاته: إلهي! إنَّما أبكي لأنَّكَ لمَّا قسمتَ الأقسامَ، جعلتَ التفريطَ حظِّي، فأنا أبكي على بَخْتِي[٧].

---

(١) أراد بشر الحافي ومعروف الكرخي الزاهدين المعروفين.
(٢) **عائث الشره**: فساد غلبة الحرص.
(٣) **الأزم**: الحمية.
(٤) **درست**: انمحت وزالت.
(٥) **الرند**: شجر طيب الرائحة.
(٦) **الشيح**: نبت صحراوي طيب الرائحة.
(٧) **بختي**: حظي.

قـدْ كنـتُ مِـنْ قَبْـلِ النَّـوى   ممَّـــا أُلاقـــي جَـــزِعـــا
تـــركتمـــونـــي بعـــدَكُـــم   أَشْـــرَبُ دَمْعِـــي جَـــرَعـــا[1]

إخواني! تعالَوْا نُرِقْ دمعَ تَأسُّفِنَا على قُبْحِ تَخلُّفِنا، ونبعثْ مع قاصدي الحبيب رسالة مُحْصَرٍ[2]، لعلَّنا نفوزُ بأجرِ المُصاب.

إنْ لم يرجعِ المفقودُ، يا أربابَ القلوبِ الضائعةِ ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٧].

هـــذي معـــالِمُهُـــمْ وَمَـــا   لـــي منـــذ بـــان[3] القـــومُ عَهْـــدُ
واهـــاً لعيشـــي بـــالحِمَـــى   لـــو كـــانَ لـــي يـــومـــاً يُـــرَدُّ
ويلـــي أحظِّـــي كلُّـــهُ   مِـــنْ حُبِّكُـــمْ هَجْـــرٌ وَصَـــدٌّ؟

* * *

(١) جرع: جرع الماء: بلعه، والتجرُّع: شرب في عجل.
(٢) مُحْصَر: ممنوع من السفر.
(٣) بان: انقطع وغاب.

الفصل السابع

إخواني! ذهبت الأيامُ، وكُتِبَتْ الآثامُ، وإنَّما ينفعُ الملامُ متيقِّظاً والسلام.

وعَظَتْنـا بِمَرِّهـا الأيـامُ وَأَرَتْنَـا مَصِيْـرَنـا الأَرْجَـامُ[1]

وَدَعَتْنـا[2] المَنـوْنُ فـي سِنَـةِ الغفلـةِ هُبُّـوا فـاستيقظـوا يـا نيـامُ

ليتَ شعري ما يَتَّقي المرءُ، والرامي لـه المـوتُ، والخطـوبُ سِهَـامُ

منهـلٌ واحـدٌ شـرائِعـه شتَّـى عليـه للـواردِيـنَ ازدحـامُ

نتحـامـاه مـا استطعنـا، وتحـدو نـا إليـه الشهـورُ والأعـوامُ

وإذا راعنـا فقيـدٌ نَسيْنـاهُ تنـاسَـى مـا راعهـنَّ السُّـوامُ

أوقـوفـاً علـى غـرورٍ، وقـد زَلَّـتْ بِمَـنْ قبلَنـا الأقـدامُ؟

ووراءَ المصيـرِ فـي هـذه الأجـدا ثِ دارٌ، يكـونُ فيهـا المُقـامُ

يا مَنْ صحيفتُه بالذنوبِ قد حُفَّتْ، وموازينُه لكثرةِ العيوبِ قد خَفَّتْ، يا مستوطناً والمزعجاتُ قد ذفَّت[3]، لا تَغترَّ بأغصانِ المُنَى، وإن أورقتْ وَرَقَّتْ، فكأنَّك بها قد صوَّحَتْ[4] وجفَّتْ، أما رأيتَ أَكُفّاً عن مطالبها كُفَّتْ[5]؟ أما شاهدتَ عرائسَ أجسادٍ[6] إلى الألحاد[7] زُفَّتْ؟ أما عاينتَ سطورَ الأجسامِ في كتابِ الأرجامِ قد أُدرِجَتْ ولُفَّتْ؟ أما أبصرتَ بُنوْدَ العُمُرِ[8] في رقاعِ بقاعِ القاعِ قد

---

(١) **الأرجام**: جمع رجم، وهو القبر.

(٢) **دعتنا**: أي نادتنا وطلبتنا.

(٣) **ذفت**: أسرعت وأجهزت.

(٤) **صوّحت**: يبست.

(٥) **أكفّاً**: جمع كف. **وكُفَّت**: مُنعَتْ.

(٦) **في (ب)**: الأجساد.

(٧) **الألحاد**: جمع لحد، وهو الشق في القبر.

(٨) **في (ب)**: قبور القوم.

صُفَّتْ؟ مَنْ عرفَ تصرُّفَ الأيامِ لم يُغفِلِ الاستعدادَ، إنَّ قربَ المنيَّةِ لَيُضحِكُ من بُعْدِ الأُمنية، ما جرى عبدٌ في عِنانِ أملِه إلا عثرَ في الطريقِ بأجله.

إخواني! خلقنا نتقلَّبُ في ستة أسفار، إلى أن يستقرَّ بنا المنزل:

السَّفَرُ الأول: سفرُ السُّلالةِ من الطين.

والثاني: سفرُ النُّطْفَةِ من الصُّلْبِ.

والثالث: من البطونِ إلى الدنيا.

والرابع: من الدُّنيا إلى القبور.

والخامس: من القبورِ إلى العَرْضِ.

والسادس: إلى منزلِ الإقامة.

وقد قطعنا نصفَ الطريقِ، وما بعدُ أصعب.

إخواني! السنونُ مراحل، والشهور فراسخُ، والأيامُ أميالٌ، والأنفاسُ خطواتٌ، والطاعاتُ رؤوسُ أموالٍ، والمعاصي قطّاعُ الطريقِ، والربحُ الجنةُ، والخسرانُ النار، لهذا الخطبِ شمَّرَ المتَّقونَ عن سُوق[1] الجِدِّ في سُوقِ المعاملةِ، كلَّما رأَوْا مراكبَ الحياةِ تَخْطَفُ[2] في بحر العمرِ، شغلَهم هولُ ما هم فيهِ عن التنزُّه في عجائبِ البحر، فما كان إلا القليل حتى قَدِمُوا من السَّفرِ، فاعتنقتهم الراحةُ في طريق التلقِّي، فدخلوا بلدَ الوصل وقد حازوا ربح الآخرة[3].

(لمهيار)[4]:

زمُّوا المطايا فدمعٌ مطلقٌ أَمِنَ العدوى ودمعٌ وراءَ الخَوفِ مأسورُ
فلم تهبهب بأولي الزجرِ سائِقهم حتى تشابه مهتوكٌ ومستورُ

---

(١) **سوق**: جمع ساق يشير إلى مضمار المسابقة بالأعمال الصالحة في الدنيا.

(٢) **خطِف**: استلب. **والخطف**: الأخذ في سرعة.

(٣) في (ب): الدهر.

(٤) من قصيدة كتبها إلى الأمير شهاب الدولة منصور بن الحسين بن دبيس. انظر: ديوانه: ٢/١٠٣.

فغلَّسوا من زُرودٍ[1] وجهَ يومِهمُ ... وحَطَّهُم لظلالِ البانِ تهجيرُ
وضمنوا الليلَ سَلعاً إذ رأوه وقد ... غنَّت على فَنَنَيْ سَلعِ العصافيرُ

أملُهم أقصر من فِتْرٍ، منازلهم أفقرُ من قبر، نومهم أعزُّ من الوفاء، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر، أخبارُهم أرقُّ من نسيم السحر، آماقهم بالدموع الدائمة ذائبة[2]، والهموم على الجوانح جوانح[3]، لأنفاسهم[4] أنفاسٌ مِنْ مِثْلها يهيجُ البهيج، روضُ رياضِهم[5] مطلولُ الخمائِلِ، يُحَدِّثُ ريّاً ريُّهم عنهم، فالرائحةُ رائحةٌ[6] بالخبرِ.

(لمهيار)[7]:

يا سائقَ الأظعانِ إنَّ مَعَ الصَّبا ... خبراً لو أنَّكَ للصَّبا تتوقَّفُ
هبَّت بعارفةٍ تسوقُ مِنَ الحِمَى[8] ... أرَجاً بِريَّا أهلُه يَتَعرَّفُ

خُذْ حديثَ القومِ جملةً واقنعْ بالعنوان، كواكبُ هممهم في بروجِ عزائِمهم سيارة، ليس فيها زُحَل، ناموا في الدجى على مهادِ القلق، فلما جُنَّ الليل جُنَّ الحَذِرُ، فاستيقظتْ عينٌ ما تهنَّأتْ بطعمِ الرُّقادِ.

كفى سائقاً بالشَّوقِ بين الأضالعِ ... [لهيبُ اشتياقٍ ثُمَّ فيضُ مدامعِ][9]

ركبوا عيسَ[10] القَصْد، وركبوا الجادَّة، فلمَّا غَنَّتِ الحُداةُ، رنَّت الفلاةُ،

---

(1) **زرود**: موضع في الحجاز يتغزَّل به المحبُّون، **والبان**: شجر.
(2) في (ب): دائمة.
(3) **الجوانح**: الأضلاع، جمع جانحة.
(4) في (ب): لأنفسهم.
(5) في (ب): رياضتهم.
(6) **رائحة**: ذاهبة وماضية، وتأتي بمعنى: راجعة، كقوله ﷺ: **«تغدو خماصاً وتروح بطاناً»**.
(7) من قصيدة كتبها إلى الكافي أبي عبد الله القاني في المهرجان. انظر: ديوانه: ٢/ ٢٦٨.
(8) في الديوان: الصبا.
(9) زيادة من (ب).
(10) **العيس**: الإبل.

فأعربت أبياتُ الشِّعْرِ، عن أبيات الشَّعْرِ، فعَصَفت رياحُ الزفراتِ من قلبِ المشوقِ فانقطعَ[١] سِكرُ الدَّمع، فلو رأيتَ وَكْفَ شؤونهم[٢] قلتَ: قد انقطعَ شِريان الغمامِ، هذا يعاتِبُ نفسَه على التقصير، وهذا يتفكَّرُ في هول المصير، وهذا يخافُ من ناقد بصير، منازلُ تعبُّدِهم متناوحةٌ[٣]، في كلِّ بيتٍ منهم نائحة، تائبُهم أبكى مِنْ متمّم[٤]، ومحبُّهم أيْتَمُ من مرقَّش[٥]، ومشتاقهم أقلقُ من قيسٍ[٦]، وكلُّهم قد باتَ بليلِ النابغةِ[٧]، التائبُ يقول: أنا المقرُّ على نفسي بالجناية، أنا الشاهدُ عليها بالخيانةِ.

أُعــفُ عنّــي وأقِلْنــي عثــرتــي	يــا غِيــاثــي لمُلمَّــاتِ الــزَّمــنْ
لا تُعــاقبْنــي فقــد عــاقَبَنــي	نــدمٌ أقلــقَ روحــي فــي البَــدَنْ
لا تُطَيِّــرْ وَسَنــاً عــن مقلتــي	أنتَ أهـديتَ لهـا طِيْبَ[٨] الـوَسَنْ
يــا حبيبــي بلســانِ العــربــي	ولسانِ الفارسي (يا دُوْست مَنْ)[٩]

(١) في (ب): فانقلع.

(٢) **شؤونهم**: مجاري الدمع من العين، مفردها: شأن.

(٣) **متناوحة**: متقابلة.

(٤) **متمم**: هو متمم بن نويرة، رثى أخاه مالكاً، وبكى عليه حتى دمعت عينُه العوراء. انظر: أسد الغابة: ٥/ ٥٨.

(٥) **مرقش**: هو عوف بن سعد، شاعر جاهلي من المتيمين الشجعان، عشق أسماء ابنة عمِّه، فتزوجت غيره، فمرض، ثم قصدها، فمات في حيها. انظر: الأعلام: ٥/ ٩٥.

(٦) يشير إلى قول قيس بن المُلوَّح الشاعر الغزلي المتيَّم بليلى، والملقب بالمجنون لهيامه بحبها:

كـأنَّ القـلـبَ لـيـلـةَ قـيـل يُـغْـدَى	بـلـيـلـى العـامـريـةِ أو يُـراحُ
قـطـاةٌ عـزَّهـا شَـرَكٌ فـبـاتـتْ	تُـجـاذِبُـهُ وقـد طـلـعَ الصَّبـاحُ

الأعلام: ٥/ ٢٠٨.

(٧) **ليل النابغة**: يشير إلى قول النابغة:

فبتُّ كـأنَّ العـائـداتِ فَـرَشْـنَ لـي	**هـراسـاً بـه يُعلى فـراشـي ويقشَـبُ**

قيل: ليلة نابغية؛ أي: لا يُنام فيها.

(٨) في (ب): حلو. **والوسن**: النعاس.

(٩) **(دوست من)**: حبيبي بالفارسية.

والمتعبِّدُ يبكي على القبورِ بكاءَ ثكلى بين القبور، ويندُبُ على زمانِ الوصالِ، ويتأسَّفُ على تغيُّرِ الحال.

قد كانَ لي مَشْرَبٌ يصفو برؤيتكم   فكدَّرتْهُ يدُ الأيامِ حينَ صَفا

والخائفُ ينادي: ليتَ شعري ما الذي أسقطني من عينك؟ أَقُلْتَ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

لأيَّةِ عِلَّةٍ ولأيِّ حالِ   صَرَمْتَ حبالَ وصلكَ عَنْ حبالي
وعوَّضتَ البِعَادَ من التداني   ومُرَّ الهَجْرِ مِنْ حُلوِ الوصالِ
فإنْ أكُ قد جنيتُ عليكَ ذنباً   ولم أشعرْ بقولٍ أو فعالِ
فعاقبْني عليه بأيِّ شيءٍ   أردتَ سوى الصدودِ فما أبالي

وصريعُ المحبَّةِ يستغيثُ وينادي، حتى أقلقَ الحاضرَ [والبادي](1).

تحمَّلَ أصحابي ولم يجدوا وَجْدي   وللناسِ أشجانٌ ولي شَجَنٌ وحدي
أُحِبُّكُمُ ما دُمْتُ حيّاً وإنْ أَمُتْ   فواكبدي فمَنْ يُحبُّكُمْ بعدي

وقتيلُ الشوقِ يَتعلَّلُ بما يرى، ويتشبَّثُ بما يَسْمعُ، يرتاحُ إلى السحر، ومقصودُه غيرُه، وإلى الشجرِ ومُغنيته طيره.

(لمهيار)(2):

أيا بانةَ الغَوْرِ عَطْفاً سُقيتِ   وإن كنتُ أعني وأَكني سواكِ
أُحِبُّكِ من أجلِ مَنْ تعلمينَ   لو انِّي أراهُ كما قَدْ أراكِ
ذكَرتُ ويا لهفي هل نَسِيْتِ   ليالٍ أسهرُها في ذَراكِ(3)
كفى الوجْدُ أني إذا ما استرحتُ   إلى اسمكِ عمّيتُه بالأراكِ
إذا الصدُّ أرضاكِ فهو الوصالُ   فأنَّى فعلتِ فأهلاً بذاكِ

* * *

(1) زيادة من (ب).
(2) انظر: ديوانه: ٢/ ٣٦٦ـ ٣٦٧.
(3) الذرا: الكنف.

الفَصْلُ الثَّامِنُ

الشهواتُ تغرُّ وتَعُرُّ[1]، وتُمِرُّ عيشَ العواقب وتَمُرُّ[2]، وتُبكي عينَ الندمِ أضعافَ ما تُسِرُّ، ألا يقظٌ؟ ألا حَذِرٌ؟ ألا حرٌّ؟.

هـل الـدهـرُ إلا مـا عَـرَفْنـا وأدركنـا ... فجـائِعُـهُ[3] تبقـى، ولـذاتُـه تفنـى
إذا أمكنـتْ فيـه مسـرَّةُ سـاعـة ... تولَّتْ كمرِّ الطرفِ واستخلَفتْ حُزنا
إلـى تبعـاتٍ فـي المعـادِ ومَـوْقِـفٍ ... نـودُّ لـديـه أننـا لـم نكـنْ كُنَّـا
حصلنـا علـى هـمٍّ وإثـمٍ وحسـرةٍ ... وفـاتَ الـذي كُنَّـا نَلَـذُّ بـه عَنَّـا
كـأنَّ الـذي كُنَّـا نُسَـرُّ ببعضـه[4] ... إذا حققتـه النفسُ لفـظٌ بـلا معنـى

إنَّ المواعظَ قد أفصحتْ وأعربتْ، غير أنَّ الزخارفَ للواحظ قد أدهشتْ وأعجبتْ، وإنَّما تُقْطعُ مراحِلُ الجِدِّ بالعزْمِ والصبْرِ، ونظرُ اللبيبِ المُجدِّ إلى آخر الأمرِ، أو ليسَ الصحيحُ يَعرِضُ له عارضُ الأسقامِ والأوصاب؟ أومَا المسرورُ بالعَرْضِ[5] كالغَرَضِ[6] لسهامِ المُصاب؟ أَوَما يكفي من الزواجرِ كفُّ كفِّ الأحداثِ[7] مبسوطةَ الأمل؟ أما يشفي من البيانِ عِيانُ الأعيانِ[8] في الأجداثِ خالين بالعمل؟ أينَ مَنْ فاقَ قِمَمَ الشرفِ فَعَزَل وولَّى؟ أما ذاقَ ألمَ المنصرَفِ فنزلَ

---

(١) **تَغرّ**: بالغين المعجمة من الغرور. **وتَعُرُّ**: بالمهملة من العرّ، وهو الإصابة بمكروه يلطخ بالعار.

(٢) **تمر الأولى**: من المرارة. والثانية: من المرور.

(٣) **فجائعه**: جمع فجيعة، وهي المصيبة.

(٤) في (ب): بكونه.

(٥) **العَرْض**: العَـرَض: المتاع.

(٦) **كالغَرَض**: الغرض: الهدف والدريئة.

(٧) **كف الأحداث**: راحة النوازل والمصائب.

(٨) **عِيان الأعيانِ**: رؤية أشراف الناس.

وولّى[1]؟ أين من نشأ في عُلا ونُهى وندى[2]؟ سُلب ولم يشأ حُلَى[3] ولُهًى[4] وجدى[5]، أين المسرورُ بشهواتِ أمسِه؟ حَزِنَ، أين المغرور بلذاتِ نفسِه؟ غُبِنَ:

فيــا آمــلاً أن يخلِّــدَ الــدَّهــرَ كلَّــه — سَلِ الدَّهرَ عن عادٍ وعن أُخْتِها إرَمْ
إذا مــا رأيــتَ الشــيءَ يُبْليـه عمـرُهُ — ويُفْنيــه أنْ يبقَــى ففــي دائــه عقــمْ
يروحُ ويغدو وهو من مَوْتِ غِبطةٍ[6] — ومَوْتِ فناءٍ بين فكين من جَلَمْ[7]
تُحــدُّ لنــا أيــدي الــزمــانِ شِفــارَه[8] — ونَرْتعُ في أكلائِه[9] رَتْعَةَ النَّعَمْ[10]
نُراعُ إذا ما الموتُ صاحَ فنرعوي[11] — وإنْ لم يَصِحْ يوماً براتعنا خَضَمْ[12]
ألا إنَّ بــالأبصــارِ عــن عِبــرةٍ عَمًــى — ألا إنَّ بــالأسمــاعِ عــن عِظَــةٍ صَمَــمْ
سيُكشَــفُ عــن قَلْــبِ الغبــيِّ غِطــاؤه — إذا حتفُــه يــومــاً علــى صــدرِه جَثَــمْ

يا معتقداً دار القُلعَة قَلْعة[13]، أما تراها تميد بسكانها، والشاهد ما يشاهد

---

(١) ولّى الأولى: من التولية والتنصيب، الثانية: من الانصراف والذهاب.
(٢) **عُلا ونُهى وندى**: سمو وعقل وكرم.
(٣) **حلى**: الحَلْي: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة، والجمع: حُلِي، وجمع الحلية: حِلى كلحية ولحى. وتضم الحاء حُلى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ [الأعراف: ٧]، وقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨].
(٤) لهى: جمع لهوة وهي العطية، وقيل: أفضل العطاء وأجزل (النهاية في غريب الحديث).
(٥) **الجدا والجدوى**: العطية. **والجدى**: الأعطيات.
(٦) **موت غبطة**: يكنى به عن المصائب والآلام التي تميت السرور في الإنسان، فالإنسان بين موت السرور وموت الحياة.
(٧) **الجلَم**: المقص وما يُجزُّ به، وهما جَلَمان.
(٨) **شفاره**: جمع شفرة: وهي السكين العظيم، وما عُرّض من الحديد وحدِّد، وجانب النصل، وحدّ السيف.
(٩) **أكلاء**: جمع كلأ، وهو العشب، ويشير به إلى النَّعَم.
(١٠) **النَّعم**: الأنعام من الإبل والبقر والغنم.
(١١) **نرعوي**: نزدجر.
(١٢) **خَضَم**: أكل بجميع فمه.
(١٣) **القُلْعة**: بضم القاف، التي يقلع عنها. **وقَلعة**: بفتحها، الحصن.

عواصفَ الحوادث تنسف جبال المقتني، ومعاولَ الزمان تهدمُ مَشيدَ المبتني، وكلّما ارتفعَ كثيبُ أملٍ وهالَ[1] انهال[2]، يا مهلكاً نفسه التي لا قيمة لها لأجل دنيا لا وقع[3] لها، إلى كم هذا الحرصُ وما تنالُ غيرَ المقدور؟ أما رأيتَ مرزوقاً لا يَتْعَبُ ومتعَباً لم يُرزقْ؟ هذا موسى في تقلقل ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وما أُري، ومحمد ﷺ يُزْعَجُ عن منامه[4] وما طَلَبَ، «وقضاها لغيري وابتلاني بحبها»[5] وا عجباً يَطلب موسى التجلّي، [فيُمْنع][6] ويُرزقُ الجبل!.

أراكَ[7] الحِمَى قُلْ لي بأيِّ وسيلةٍ	توسلتَ حتى قَبَّلَتْكَ[8] ثغورُها

لقد أنضى[9] الحِرْصُ مطيَّةَ عُمْرِك، وما وصلتَ بلد الأمل، لو قنعتِ الذبابةُ بطَرَفِ ظَرْفِ العسل ما تَلِفَت، لو عرفَتْ قيمةَ نفسها رخَصت أوْ غَلَتْ ما أَوْغَلَتْ[10]، شقائقُ اللذَّةِ تُروِّقُ بصر الحسّ، وسِنُّ العواقب تَضحَكُ من المغرور.

يا دنيءَ الهمَّةِ أعجبتكَ خُضْرةٌ على مزبلة، فكيف لو رأيتَ فردوس المَلكِ؟ قَنِعْتَ بخسائس[11] الحشائش والرياضُ معشبةٌ بين يديك، تَقَدَّمْ بالرياضة خطواً وقد وصلت.

الغورَ يا ركابنا الغورَ إذن	إنْ صدَق الرائدُ في هذا الخبر
وإن حننتَ للحمى وروضِه	فبالغضا ماءٌ وروضاتٌ أُخَر

---

(١) هال: صار هائلاً جسيماً معجباً، يقال: هالت المرأة الناظر بحسنها: أعجبته.
(٢) انهال: مطاوع أهاله جرى وانصب، وهال الرمل: دفعه وأرسله دون أن يرفع عنه يده.
(٣) في المطبوع: دفع.
(٤) يزعج عن منامه: يشير إلى مجيء جبريل إليه في ليلة الإسراء والمعراج، حيث كان في الحجر بين النائم واليقظان.
(٥) هذا صدر بيت لمجنون ليلى، عجزه: فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) أراك: جمع أراكة، شجرة تستعمل عيدانها مساويك ينظف بها الفم كالفرشاة.
(٨) في (أ): (صافحتك) وليس بشيء.
(٩) أنضى: أهزل وأبلى.
(١٠) أوغلت: من الإيغال: وهو التمادي والسير السريع والإمعان فيه.
(١١) خسائس: جمع خسيسة مؤنث خسيس وهو الدنيء الحقير، وهنا بمعنى: أخسّ الحشائش. وفي (أ): بخشاش.

الهممُ تتفاوتُ في جميع الحيوانات :

العنكبوتُ من حين يولد ينسجُ لنفسِه بيتاً ، ولا يقبلُ مِنَّةَ الأم ، و**الحيَّةُ** تطلبُ ما حفره غيرُها ، إذ طبعُها الظلم .

الغُرابُ يَـتَّبعُ الجيف ، و**الأسدُ** لا يأكل إلا في الغاب[1] .

الكلبُ يُـنَضْنِضُ[2] لتُرمى له لقمةٌ ، و**الفيلُ** يُـتَمَلَّقُ حتى يأكل .

للصيد كلابٌ ، وللمَدْبغة كلابٌ .

أين الأنفة؟ **النحلُ** يغضَبُ فيُتَرَضَّى من لجاج ، و**الخنفساءُ** تطرد فتعود .

الاختبارُ يُظهِرُ جواهرَ الرجالِ ، بعثت **بلقيس** إلى **سليمان** هديةً لتَسْبُرَ بها قدر هِمَّتِه ، فإن رأتها قاصرة ، علمتْ أنَّه لا يصلح للمعاشرة ، وإن رأتها عاليةً تطلبُ ما هو أعلى ، تيقَّنتْ أنه يصلُح .

يا هذا! الدنيا هديةُ بلقيس ، فهل تقبلُها أو تطلبُ ما هو أنفس؟ .

ويحك! أحسنُ ما في الدنيا قبيحٌ ، لأنه يشغَلُ عمَّا هو أحسن منه .

أتُرى لو ابتليناك بتركِ عظيمٍ كيف كنت تفعل؟ إنَّما رددناك عن دنَس ، ومنعناك من كَدَر ، ثم ما علمتَ أنَّ الثواب على قَدْرِ المشقَّةِ .

ويحك! إنَّ الأرباحَ الكثيرةَ في الأسفارِ البعيدة .

الصبر والهوى ضرتان ، فاختر أحسنَ الضَّرَّتين ، فما يمكن الجمع .

مَنْ دامَ به الخُمار[3] في ديار الهوى ، لم يفتح عينَه إلا في منازلِ البِلى .

مَنْ غَرِقَ بنهر المعلى قفا تحت البلد ، وا عجباً! أَعُدِمَ نظرُ العقلِ بِمَرَّة؟ أو بعينه رمد؟ .

---

(١) في (ب) : البائت .

(٢) **نضنض** : حرَّك لسانه .

(٣) **الخُمار** : بقية السكر .

لو قيل لك: ارمِ ثوبكَ على هدفِ مرمى لم تفعل إشفاقاً عليه، وهذا دينُك في غَرَضِ عَرَضِكَ قد تمزّقَ من نَبل الهوى.

لو قيل: زِدْ في النفقة خِفْتَ على المال، وقد حِفْتَ[1] في إنفاقِ العُمْرِ على معشوقِ البطالة.

رمَيْتَ يوسفَ قلبك في جُبِّ الهوى، وجئْتَ على قميصِ الأمانةِ بِدَمٍ كَذِبٍ.

ويحك! كلّما أوغَلْتَ في الهوى زادَ التعرقلُ.

ويحك! ما يساوي النصابُ المسروقُ قطعَ اليد؟.

مجلسُنا بَحرٌ، والفكرُ غوّاصٌ يستخرجُ الدُّرَّ، ومراكبُ القلوبِ تسيرُ إلى بلدِ الوَصْلِ، وأنتَ تقفُ على الساحلِ ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤].

إنَّ قعرَ جهنَّمَ لبعيد، ولكنَّ هِمَّتَكَ أسفلُ منه، خَنَقَنا دخانُ التخويف، افتحوا للرواح:

إلى كَمْ عِتابٌ يسدُّ الفَضَا ... سلامٌ عليكم مَضَى ما مَضَى

* * *

(١) حفت: من الحيف، وهو الجور والظلم، وفي (أ): زدت.

الفصل التاسع

الزمانُ أنصحُ المؤدِّبينَ، وأفصحُ المؤذِّنين، فانتبهوا بإيقاظِهِ، واعتبروا بإنقاضه[1].

فكَـمْ هـذا التصـامُـمُ والتعـامـي ... وكَـمْ هـذا التـواكـل[2] والتَّـوانـي
لَـو أنَّـا[3] فهمنـا عـن خـرابِ ... الـديـارِ مقـالَهـا لـم يَبِّـنِ بـانِ
ويجنـي العيـشُ كـلَّ أذى ويُهـوى ... فيـا للعيـشِ يُعشـقُ وهـو جـانِ
فللـهِ الأُلـى دَرَجـوا جميعـاً ... وزادُهُـمُ النجـاءُ مِـنَ الهَـوانِ
ومـا علقـوا مـن الـدنيـا بشـيءٍ ... سـوى بُلَـغٍ بـأطـرافِ البنـانِ
ولمَّـا أنْ رَضُـوا شُعْـثَ النَّـواصِـي ... تقًـى، وَهَبُـوا التصنُّـعَ للغـوانـي

لله دَرُّ العارفينَ بزمانهم! إذ باعوا ما شانَهُمْ[4] بإصلاحِ شأنِهِمْ، ما أقلَّ ما تعبوا! وما أيسرَ ما نصبوا! وما زالوا حتى نالوا ما طلبوه، شمَّروا عن سُوْقِ الجِدِّ في سُوْقِ العزائم، ورأوا مطلوبهم دونَ غيره ضربةَ لازم، وجادوا مخلصين، وربحوا إذ خسر حاتم[5]، وصبَّحوا منزلَ النجاةِ وأنتَ في اللهوِ نائم، متى تسلكُ طريقَهم يا ذا المآثم؟ متى تَنْدُبُ الذنوبَ ندبَ المآتم؟ يا رجالاً! ما بانَتْ رجوليَّتُهم إلا بالعمائم! يا إخوانَ الأملِ قد بقي القليلُ، وتَفْنَى المواسم، أين أنتم من القوم؟ ما قاعدٌ كقائم.

(لمهيار)[6]:

---

(١) **والإنقاض**: نقض البناء وتفكيكه، وفي (ب): بإنقاصه.
(٢) **في (ب)**: التغافل.
(٣) **في (ب)**: أنْ قد.
(٤) **شانهم**: عابهم.
(٥) **حاتم**: يشير إلى حاتم الطائي حيث اشتهر بالكرم، وخسارته من حيث إنه لم يَجُدْ لله.
(٦) من قصيدة قالها في صديق يتألَّم لفقد جماعةٍ من إخوانه. انظر: ديوانه: ١/ ٤٠٦ ـ ٤١١.

صَحِبَ اللهُ راكبينَ إلى العزِّ طريقاً مِنَ المخافةِ وَعْرا
شربوا الموتَ في الكريهةِ حُلواً خوفَ أنْ يشربوا مِنَ الضَّيْمِ مُرَّا

أنفَ القومُ من مزاحمة الخلق في سوق الهوى، وقَويَ كربُ شوقِهم فلم يحتملوا حصرَ الدنيا، فخرجوا إلى فضاء العزِّ في صحراء التقوى، وضربوا مخيَّمَ الجِدِّ في ساحةِ الهدى، وتخيَّروا شواطئَ أنهارِ الصِّدْقِ فشَرَعُوا فيها مشارعَ البكا، وانفردوا بقَلَقِهم فساعدهم ريم الفلا، وترنَّمتْ بلابلُ بَلْبالِهم[1] في ظلام الدُّجى، فلو رأيتَ حزينهم يطلب[2] الرضا على جَمْرِ الغَضا[3]، فيا محبوساً عنهم في سِجْنِ الحِرْصِ والمُنى، إن خرجتَ يوماً من سجنكَ لترويح شَجَنك من غمِّ البلوى فعرِّجْ بذلكَ الوادي.

للشريف الرضي[4]:

عارِضَا بي ركبَ الحجازِ أسائلُهُ متى عهدُهُ بسكانِ سَلعِ
واستمِلاَّ حديثَ مَنْ سكَنَ الخَيْفَ ولا تكتباهُ إلا بِدَمْعِي
فاتني أنْ أرى الديارَ بطرْفي فلعلّي أرى الديارَ بِسَمْعي
كلَّما سُلَّ مِنْ فؤاديَ سهمٌ عادَ سهمٌ لكم مضيضَ[5] الوَقعِ
مَنْ معيدٌ أيامَ جَمْعٍ على ما كانَ منها، وأينَ أيامُ جَمْعِ؟
طالبٌ بالعراقِ ينشدُ هيهات زماناً أضلَّهُ بالجِزْعِ

يا مُعوَّقاً بكثرة القواطعِ، خَلِّصِ الماء من ضيق الأنابيب، وانظر كيف يسرح؟ إلى متى تألفُ عُشَّ الصِّبا، سافرْ مع الرجال؟ لو عبرتَ بطنَ النَّجَفِ لاستنشقْتَ ريحَ الحجازِ، حدِّثْ نفسَكَ بأرضِ نجدٍ يَهُنْ عليها عبور العقبة، ذَكِّرْها قُرْبَ مِنًى وقد درَجْتَ المدرج.

---

(١) **بلبالهم**: البلبال: الهم ووسواس الصدر، يشير إلى همّ الآخرة، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى.
(٢) في (ب): لطلب.
(٣) **الغضا**: شجرٌ وقوده من أجود الوقود عند العرب.
(٤) من قصيدة قالها عام (٣٩٥هـ). انظر: ديوانه: ٢/ ٦٥٧.
(٥) **مضيض**: مؤلم.

(لمهيار)[1]:

مَـنْ بمنًى وأيـنَ أيـامُ مِنًـى[2] كـانـت ثـلاثـاً لا تكـون أربعـا
سَلَبْتمـونـي كَبِـداً صحيحـةً أمـسِ فـردُّوهـا علـيَّ قِطَعـا
عَـدِمْـتُ صبري فجزِعْـتُ بَعـدَكُـمْ ثُـمَّ ذُهِلْـتُ فَعَـدِمْـتُ الجَـزعـا
ارتجِعـوا لـي ليلـةً بحـاجـرٍ إنْ تـمَّ فـي الفـائـتِ أن يُـرتَجَعـا
وغفلـةٍ سـرقتُهـا مـن زمنـي بِلَعْلَـعٍ سقـى الغَمـامُ لَعْلَعـا

يا صبيانَ التوبة، هلالُكم خَفِي، فدُوموا على المعاملةِ يَصِرْ بدراً، لا بدَّ مِنْ ضِيْقِ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ [البقرة: ١٥٥].

الطبعُ يَحِنُّ إلى المألوفِ، والولدُ يطلب ما يشتهي، والزوجةُ تروم سَعَةَ النفقة، والورعُ يختم كيس التصرُّفِ ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١].

أيدي صبيان التوبة في أفواههم بعدَ طَعْمِ الرضاع، بينا ليل زللهم قد عسعس، إذا صُبْحُ توبتِهم قد تَنفَّسَ، فكلَّما احترقت قلوبُهم بالخوف، تعرضوا بنَسَماتِ الرجاء للعفو.

لا عـدا الـروح مـن تِهـامـة أنفـا سـاً إذا استـروحـتْ تَمنَّيْـتُ نجـدا

يا صبيانَ التوبةِ طبيبُكُم متلطِّفٌ، تارةً بالتشويقِ، وتارةً بالتخويف.

هذه الطيرُ إذا انشقَّ بيضُها عن الفِراخ، علمَ الأبُ والأمُّ أنَّ حوصلةَ الفرخ لا تحتملُ الغِذاءَ، فينفخانَ الريحَ في حلقِه لتَتَّسِعَ الحوصلةُ، ثمَّ يَعْلمانِ أنَّ الحوصلةَ تفتقِرُ إلى دبغ وتقويةٍ، فيأكلان من صاروج الحيطان[3] ثمَّ يزقَّانِه إيَّاه، فإذا اشتدت الحَوْصَلةُ زقَّيَاه الحَبَّ، فإذا علما أنَّه قد أطاقَ اللَّقْطَ منعاه بعضَ المنعِ، فإذا جاعَ لَقَطَ، فإذا رأياه قد استقلَّ باللقطِ ضرباه بالأجنحةِ إذا سألهما الزَّقَّ.

---

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد أبي الحسين محمد بن علي المزرع. انظر: ديوانه: ٢/ ٢١٢.
(٢) **أيام منى**: أيام التشريق الثلاثة.
(٣) **الصاروج**: هو شيء فيه ملوحة كالسبخ.

فتأمَّلوا تدبيري لكم في المواعظِ، الطفْلُ لا يصبرُ عن الرضاعِ ساعةً، فإذا صارَ رجلاً صَبَرَ عن الطعام يومين، إنَّما تقعُ الكُلْفَةُ بقدر الطاقة، لمَّا كان الطائرُ يحتاجُ أن يزقَّ فرخَه، لم يُحملْ عليه إلا تدبير بيضتين، ولما كانت الدجاجةُ تحضنُ ولا تَزُقّ كان بيضُها أكثر! ولما كانت الضَّبَّةُ[1] لا تحضن ولا تزقّ صارتْ تبيضُ ستين بيضة، وتسدُّ الباب عليهنَّ، وتعدُّ الأيام فيخرجن[2].

كلَّما قويَ الحامل زِيْدَ في الحمل، في أول مقامٍ يقول: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي أوسطه: «بعيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلون»[3]، وفي المقام الأعلى: «كذبَ من ادعى محبَّتي، وإذا جَنَّهُ الليلُ نامَ عنِّي»[4].

كان (**أبو سليمان الداراني**) يَبكي حتى يَنْفَدَ الدمعُ من عينيه، وكان (**عطاءُ السلمي**) يبكي حتى لا يَقْدِرَ أنْ يبكي.

يا مُنْفِداً ماءَ الجفونِ وكنتُ أُنفِقُه عليهِ
إنْ لم تكنْ عيني فأنتَ أعزُّ مَنْ نظرتْ إليهِ

كانوا إذا ضيَّقَ الخوفُ عليهم الخناقَ نفَّسوه بالرجاءِ، فكان (**أبو سليمان**) يقول: إلٰهي إنْ طالبتني بذنبي[5] طالبتكَ بكَرَمِك، وإن أسكنتني النار بين أعدائِكَ، لأخبرنَّهم أني كنتُ أحِبُّك.

وكان (**يحيى بن معاذ**) يقول: إن قال لي يومَ القيامةِ: عبدي ما غرَّك بي؟ قلت: إلٰهي برُّك بي.

---

(١) **الضبة**: أنثى الضب.
(٢) في (ب): وتحفر لهن وتترك الباب عليهن وبعد أيام تنبشهنّ.
(٣) قال العزُّ بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام، ص٣٢): جاء في بعض الكتب الإلٰهية: «بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي».
ذكره في حلية الأولياء: ٤/ ٦٠؛ وصفة الصفوة: ٤/ ٣٦٦، ونسبه لوهب بن منبه عن بعض الكتب الإلٰهية.
(٤) نقله الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٢٤، ونسبه إلى الفضيل بن عياض، قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول: كذب من ادَّعى محبتي فإذا جنَّه الليل نام عني».
(٥) في (ب): بذنوبي.

تجاسَرْتُ فكاشفْتُكَ لما غُلِبَ الصبرُ
وإنْ عنَّفني الناسُ ففي وجهِكَ لي عُذْرُ
[لأنَّ البدرَ محتاجٌ إلى وجهِكَ يا بدرُ](١)

* * *

(١) زيادة من (ب).

الفصل العاشر

إخواني! الدنيا غرَّارةٌ غدَّارةٌ، [خدَّاعةٌ](١) مكَّارةٌ، تُظَنُّ مقيمةً وهي سيَّارة، ومصالِحةً وقد شنَّت الغارة.

نحِّ عن نفسِكَ القبيحَ وصُنها ... وتَوَقَّ الدُّنيا ولا تأمَنَنْها
لا تثِقْ بالدنيء فما أبقتِ الدنيا ... لحيٍّ وديعةً لم تخُنْها
إنَّما جئتَها لتستقبلَ الموتَ ... وأُسْكِنْتَها لتخرجَ عنها
سَتُخلّي الدنيا وما لك إلا ... ما تَبَلَّغْتَ أو تزوَّدتَ منها
وسيبقى الحديثُ بعدك فانظر ... خيرَ أُحدوثةٍ تكونُ فَكُنها

كأنَّكَ بالموتِ وقد خَطَفَ، ثم عادَ إلى الباقي وعطف، تنبَّهْ لنفسِكَ يا بنَ النُّطَفِ، فقد حاذى الرامي الهدفَ، إلى كم تسيرُ في سَرَفٍ؟ ليتَ هذا العزمَ وقف، تؤخِّرُ الصلاةَ ثم تُنْشِئُها كالبرقِ إذا خَطَفَ! أتجمعُ سوءَ كيلةٍ مع حَشَفٍ(٢)؟ الجسدُ أتى والقلبُ انصرفَ، يامَنْ باعَ الدُّرَّ واشترى الخزف، أُبسُط بساطَ الحُزْنِ على رمادِ الأسف.

عليك حافِظٌ وضابطٌ، ليسَ بناسٍ ولا غالِطٌ، [يكتبُ الألفاظَ السواقط، وأنتَ في ليلِ الظلامِ خابط! يا مَنْ شابَ إلى كم تغالِط؟](٣) ابْكِ ما مضى ويكفي الفارط.

ما للعيونِ قد أخلقت أنوارُها؟ وكَثُرَ نظرُها إلى الحرامِ فقلَّ بكاؤها، ما للقلوبِ المريضةِ قد عزَّ شفاؤها؟ سأكتبُ ضمانَ الآمالِ وأين وفاؤها؟

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) **سوء كيلة**: الوزن الخاسر، الحشف: أردأ التمر، يشير إلى المثل المشهور: «أَحَشَفاً وسوء كيلة» يضرب فيمن جمع بين أمرين سيئين.
(٣) زيادة من (ب).

آهٍ لأمراضِ نفوسٍ قد يَئِسَ طبيبُها، ولأصواتِ مواعظَ قد خَرِسَ مُجيبها.

هبَّتْ والله دَبورُ[1] الذنوبِ، فتركتِ الأجسامَ بلا قلوب!.

أينَ الفهمُ والتأمل؟ [إنْ لم يكن جميلٌ فليكن تجمُّلٌ][2].

إخواني! قد دنا الرحيل[3] لابدَّ وشيكاً من التحوُّل، رقيبُكم - يا غافلين - لا يغفل، أتذكرونَ الذنوبَ بلا تململ؟! يا مَنْ يَعِدُ بالتوبةِ كم تَمْطُل؟ يا ملازماً للهوى كم تَعْدِل[4]؟ المعاصي سُمٌّ واليسير[5] منه يقتلُ!.

يا هذا! الدنيا وراءَكَ، والأخرى أمامَك، والطلب لما وراءَك هزيمة، إنَّما يعجب الدنيا[6] مَنْ لا فهمَ له، كما أنَّ أضغاثَ الأحلامِ بشرى[7] النائم.

لُعَبُ الخيالِ يحسبُها الطفلُ حقيقةً، وأمَّا العاقِلُ فيعلمُ ما وراءَ الستر.

[رأيتُ خيالَ الظِّلِّ أكبرَ عِبرةً ... لِمَنْ هو في عِلْمِ الحقيقةِ راقِ
شُخوصٌ وأشْباحٌ تمرُّ وتنقضي ... جميعاً وتَفْنَى والمحرِّكُ باقِ][8]

كم أتلفتِ الدنيا بِيَدِ حِبها في بيداء طلبها؟! كم ساعٍ سعى إليها سعي الرُّخ[9] ردته معكوساً رَدَّ الفرازين[10]، الدنيا نهرُ طالوت، والفضائِلُ تنادي ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فإذا قامتِ الفاقةُ مقامَ ابن أم مكتوم[11]

---

(١) دبور: ريح تقابل الصبا.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): الترحُّل.
(٤) تعدل: تجور وتميل.
(٥) في (ب): القليل، وهما بمعنى واحد.
(٦) في (ب): يعجب بالدنيا.
(٧) في (ب): تسرّ.
(٨) البيتان من المطبوع.
(٩) الرُّخ: حجر من أحجار الشطرنج، يسمّى القلعة، ومكانه أركان الرقعة.
(١٠) الفرازين: جمع فرزان، وهو الشطرنج معرب فرزين، وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.
(١١) يعني مقام الأعمى؛ أي: ألجأته الضرورة.

أبيحت لها رُخصة ﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ فأمَّا أهل الغفلةِ فارتوَوْا، فلمَّا قامت حرب الهوى، ثبَّطتهم البِطْنة، فنادَوْا بألسنة العجز ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وأقبلَ مُضمَّرُ الجدِّ فحازَ قَصَبَ السَّبْقِ.

كلُّ الشرِّ في الشَّرَه، واللَّذةُ خِناق مِنْ عَسَل، ومَنْ تبصَّر تصبر.

الحزْمُ مَطيَّةُ النُّجح، الطمعُ مَرْكَبُ التَّلَفِ، التواني أبو الفقر، البطالةُ أمُّ الخسران، التفريطُ أخو الندم، الكسلُ ابنُ عمِّ الحسرة، وما يحصلُ بردُ العيش إلا بِحرِّ التعب، ما العزُّ إلا تحت ثوبِ الكدِّ، على قَدْرِ الاجتهادِ تعلو الرُّتب.

لمَّا صابرَ النِّضو(١) مشقَّةَ السيرِ مُعْرِضاً عن أعراض المطاعم، زُيِّنَ بالجلال يومَ العيد، ولمَّا تكاسلتِ البَخاتي(٢) مَيْلاً إلى كثرة العلفِ وقعَ ببختها(٣) الذبحُ.

سابقُ الطير مكرَّمٌ، والديكُ الحاذِقُ بالصياحِ ناطق(٤).

إذا صُبَّ في القنديلِ زيتٌ، ثمَّ صُبَّ عليه ماءٌ، صعِدَ الزيتُ فوقَ الماء، فيقولُ الماء: أنا ربَّيْتُ شجرتَكَ فأينَ الأدب؟! لِمَ تَرْتفع عليَّ؟!.

فيقول الزيتُ: أنتَ في رَضْراضِ(٥) الأنهارِ تجري على طريق السلامة، وأنا صبرتُ على طَحْنِ الرحا والعصر، وبالصبرِ يرتفعُ القَدْرُ.

فيقول الماء: إلا أني أنا الأصلُ.

فيقول الزيتُ: أُستر عيبَك، فإنكَ لو وليت(٦) المصباحَ انطفأ.

يا بعيداً عن المجاهدةِ! قد اقتسمَ الرعيلُ الأوَّلُ النَّفل(٧)، أما ترى أسلابَ الهوى كيف يبيعُها أربابها في سوقِ الافتخار بالنضِّ(٨) ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥٢].

---

(١) النضو: البعير المهزول، ويشير إلى الصائم المجاهد نفسه.

(٢) البخاتي: جمع بُختيّ: الإبل الخراسانية ذات السنامين.

(٣) بَختها: حظها.

(٤) في (ب): مطلق.

(٥) رضراض: ما دق من الحصى.

(٦) في (ب): قاربت.

(٧) النفل: الغنيمة.

(٨) النض: القليل.

يا من قد انحرفَ عن جادَّتِهم، كم أُحركك بِسَوْطِ الشوقِ في شَوْطِ السوق، سَهْم عَزْمِك بلا ريش، إنَّما يقع [وقتَ][1] الرمي بين يديك.

يا مُخنَّث العزيمة! أقل[2] ما في الرقعة البيدقُ، فلمَّا نهضَ تفرزنَ[3].

رأى بعضُ الحكماءِ برذوناً يُسْتقى عليه، فقال: لو هَمْلجَ[4] هذا لرُكِبَ.

متى همَّت أقدامُ العزمِ بالسلوكِ اندفعَ مِنْ بين يديها ما يَسدُّ القواطعَ، ومتى هابَ الغائصُ موجَ البحر لم يُطْمَعْ له في نيلِ الدُّرِّ، يا مَنْ عَقَدَ عزمه بأنشوطة[5] والهوى يُمدُّها للحلّ، إنْ عرفْتَ من عزيمتكَ الثبوت في صفِّ المجاهدة، وإلا فاحذرْ هتكةَ الهزيمة.

كان (**ذو البجادين**)[6] يتيماً، فلمَّا عمَّه الفقرُ كفله عمُّه، فنازعته النفسُ إلى الإسلام، فهمَّ بالنهوض، فإذا بقيَّةُ المرضِ مانعةٌ، فقَعَدَ على انتظارِ العمِّ، فانتهى المرضُ، فصارتِ الهمَّةُ عزيمةً، فنفدَ الصبرُ، فناداه صدقُ الوجدِ.

(لمهيار)[7]:

إلـى كَـمْ حبسُهـا تشكـو المضيقـا ... أَثِـرْهـا رُبَّمـا وجـدتْ طـريقـا
أَجِلْهـا تطلـبُ القُصـوى ودَعْهـا ... سُدًى يرمي الغُروبُ بها الشُّروقا
أتعقِلُهـا وتقنـعُ بـالهُـوينـا ... تكـونُ إذن بِـذِلّتهـا خليقـا
ولـم يُشفِـقْ علـى حَسَـبٍ غـلامٌ ... يكـون علـى ركـائبـه شفيقـا

فقال: يا عمِّ كيف أنتظرُ سلامتك بإسلامِك، وما أرى زمِنَ[8] زمنِكَ ينشط؟!.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) في (ب): زيادة (ما بقي).
(٣) يعني: إذا انفرد البيدق في رقعة الشطرنج وارتقى يكون فرزاناً.
(٤) **هملجت الدابة**: سارت سيراً حسناً في سرعة.
(٥) **أنشوطة**: عقدةٌ يسهل انحلالها.
(٦) **ذو البجادين**: هو عبد الله المزني الصحابي.
(٧) مطلع قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوانه: ٢/ ٣٥٣.
(٨) **زَمِن**: مريض.

فقال: والله لئنْ أسلمتَ لأنتزعنَّ كلَّ ما أعطيتُك.

فصاح لسانُ الشوق: نظرةٌ من محمد ﷺ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها، هذا مذهب المحبِّين، إجماعاً من غير خلاف.

ولو قيلَ للمجنونِ: ليلى وَوَصْلَها تـريـدُ أم الـدُّنيـا ومـا فـي خبـايـاهـا
لقـال: تـرابٌ مـن غبـارِ نعـالهـا ألـذُّ إلـى نفسـي وأشفَـى لبلـواهـا

فلمَّا تجرَّدَ لطلب الثواب، جرَّده العمُّ من الثيابِ، فناولته الأمُّ بجاداً[1]، فقطَّعه لِسَفَرِ الوصل، فائتزَرَ وارتدى، وغدا في هيئة «**ربَّ أشْعَثَ أغبرَ**»[2].

سنـــــةُ الأحبــــابِ واحــــدةٌ فــــإذا أحببــــتَ فــــاستَنِـــنِ

فنادى صائحُ الجهادِ في جَيْشِ العُسْرةِ، فتبع ساقةَ الأحبابِ على ساقٍ، والمحبُّ لا يَرى طولَ الطريق، إنَّما يتلمَّحُ المقصِدَ.

ألا بَلَّـغَ اللهُ الحِمَـى مَـنْ يـريـدُه وبَلَّـغ أكنـافَ الحِمَـى مَـنْ يـريـدُهـا

فحمل جلدةً فوقَ الجلدِ، إلى أنْ نَـزَلَ منزلَ التَّلَفِ، فنزلَ الرسولُ ﷺ في حُفرتِه، يُمهِّدُ له اللَّحْدَ لِمَأمورِ «إذا رأيت لي طالباً فكنْ له خادماً» وجعلَ يقول: «**اللهمَّ إني أمسيتُ راضياً عنه فارْضَ عنه**».

فصاح ابنُ مسعود: ليتني كنتُ صاحبَ الحُفْرة[3].

كـذلـك الفخـرُ يـا همـمَ الـرِّجـالِ تعـالَـيْ فـانظـرِي كيـفَ الفعـالِ[4]

* * *

---

(١) **بجاد**: الكساء الغليظ الجافي.

(٢) رواه مسلم، وتمامه: «**لو أقسم على الله لأبرَّه**».

(٣) انظر قصته في: سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٤) في (ب): التعالي.

الفَصْلُ الحَادِي عَشَر

أيتها النفس أقلعي عن الجُناح[١] وتوبي، وارجعي إلى الصَّلاحِ وأُوْبي[٢]، أيتها النَّفْسُ! قد شان شأني[٣] عيوبي، أيتها الجاهلةُ تكفيني ذنوبي.

يا ويحَ نفسي مِنْ تتابعِ حُوَبي[٤] — لو قدْ دعاني للحسابِ حَسِيبي
فاستيقظي يا نفسُ ويحَكِ واحذري — حذراً يُهيجُ عَبْرتي ونحيبي
واستدركي ما فاتَ مِنْكِ وسابقي — سَطَواتِ موتٍ للنفوسِ طَلوبِ
وابكي بكاءَ المستغيثِ وأَعْولي — إعوالَ عانٍ[٥] في الوَثاقِ غريبِ
هذا الشبابُ قد اعتللتُ بِلَهْوِهِ — أفليسَ ذا يا نفسُ حينَ مشيبي؟
هذا الزمانُ يَكِرُّ ويْحَكِ دائباً — يجري بِصَرْفِ حوادثٍ وخطوبِ
هذا رقيبٌ ليسَ عني غافلاً — يُحصي - عليَّ ولو غَفَلتُ - ذنوبي
أفليسَ مِنْ جهلٍ بأني نائمٌ — نومَ السفيهِ وما ينامُ رقيبي

آهٍ لنفسٍ تركتْ يقينَها، وتبعَتْ آمالها! ما لها جهلتْ ما عليها وما لها؟ أما ضُرِبَتِ العِبَرُ بأخذِ أمثالِها أمثالَها؟ مَنْ لها إذا نازلَها الموتُ فغالها؟ وأخذَ منها ما أنالها وقد أنى[٦] لها، ليتها تفقَّدتْ أمورَها، أو شاهدت حالها، تحضر المجلس بنيَّة فإذا قامت بدا[٧] لها، ويحها لو ترى جزاءً مِنْ ما لَها لهالها[٨].

(لابن المعتز):

---

(١) **الجناح**: الإثم والمعصية.
(٢) **الأوب**: الرجوع. **والأوّاب**: كثير الرجوع إلى الله عزّ وجلَّ.
(٣) **شان**: عاب. **شأني**: أي حالي.
(٤) **حوبي**: جمع حوبة: الإثم.
(٥) **عان**: أسير. **والإعوال**: رفع الصوت بالبكاء.
(٦) **أنى**: كَرَمى، بمعنى حان وأدرك، يشير إلى قرب الأجل.
(٧) **بدا لها**: ظهر لها خلاف ما عزمت عليه.
(٨) أي: لو رأتْ بعض ما أعد لها من العذاب لأرعبها.

وكـم دَهَـى المـرءَ مِـن نفسِـه　　فـلا يـؤكَلـنْ بِـأنيـابهـا
وإنْ أمكنَـتْ فـرصـةٌ فـي العـدوِّ　　فـلا تُبـدِ فِعلـك إلا بهـا

قال (**أبو يزيد**): رأيتُ الحقَّ جلَّ جلاله في المنام، فقلتُ: يا ربِّ! كيف أجدُكَ؟ قال: فارِقْ نَفْسَكَ وتعالَ.

جاء رجلٌ إلى (**أبي عليٍّ الدقاق**)، فقال: قد قطعْتُ إليكَ مسافةً، فقال: ليس هذا الأمر بقطعِ المسافاتِ، فارقْ نفسَك بخَطْوة وقد حصلَ مقصودُك، لو عَرَفتْ نفسُك التحقيقَ لسارتْ معك في أصعبِ مَضيق، لكنَّها ألِفَت التفاتَك، فلمَّا طلبت قهرها فاتَكَ[1].

هلاَّ شددت الحيازم[2]، وقمتَ قيامَ حازمٍ [وفعلتَ فعلَ عازمٍ، وقطعْتَ على أمرٍ جازمٍ][3] تقصِدُ الخيرَ، ولكن ما تلازم.

ويَعْـرِفُ أخـلاقَ الجَبـانِ جـوادُه　　فيُجْهِـدُهُ كَـرّاً وَيُـرْهِقُـهُ ذُعْـرا
ومَنْ يَحْلُ تِطلابُ المعالي بصدرِه　　يجد حُلوَ ما يُعطاهُ من غيرِها مُرَّا

حريمُ العزمِ الصادق حرامٌ على المتردِّد، متى تحزَّم العزمُ هَزَم، لو رأيتَ صاحبَ العزم وقد سرى حين رقدت السراحين[4]، بهمَّة تحلُّ فوق الفرقد[5]، فلنفسِه نفاسَةٌ، ولأنفِه أنفَةٌ، سهم الشهم مُفَوَّق[6] فوق عُرْضَةِ الغرض[7].

كان (**الفضيلُ**) ميتاً بالذنوب، و(**ابنُ أدهمَ**) مقتولاً بالكبر، و(**السَّبتيُّ**) هالكاً بالملك، و(**الجنيدُ**) مِن جَيِّد الجند، فَنُفِخَ في صُورِ المواعظِ، فدبَّتْ أرواحُ الهدى في موتى الهوى، فانشقَّتْ عنهم قبورُ الغفلةِ، وصاحَ إسرافيلُ الاعتبارِ:

---

(١) **فاتك**: تجاوزك ومضى عنك ؛ أي: المقصود.
(٢) **الحيازم**: جمع حيزوم: الصدر وما يُضم عليه الحزام.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) **السراحين**: جمع سرحان، وهو الذئب.
(٥) **الفرقد**: نجم قريب من القطب وهما فرقدان.
(٦) **فاق السهم**: وضع فُوقَهُ في الوتر ليرمي به.
(٧) **الغرض**: الهدف والدريئة.

﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣].

إنَّما سمعَ (**الفضيلُ**) آيةً، فذلَّتْ نفسُه لها واستكانتْ، وهي كانت.

إنَّما زُجِرَ (**ابنُ أدهمَ**) بكلمةٍ كَلَمت[١] قلبَه، فانقلبَ هاتفٌ عاتَبه ولام، أخرجه من بَلْخ إلى الشام.

كانت عقدةُ قلوبهم بأنشوطة، ومَسَدُ[٢] قلبِك كلُّه عُقَد.

لاحت للقومِ جادَّة السلوك فـ: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت ٣٠].

هيهات منك غبارُ ذاك الموكبِ، ركبوا سُفُنَ العَزْمِ، فهبَّتْ لهم رياحُ العَوْنِ، فقطعوا بالعلم لُجَجَ الجهلِ، فوصَلُوا إلى إقليمِ أرضِ الفهْمِ، فأرْسَوْا على ساحلِ بلد الوصل.

إذا استصلحَ القَدرُ أرضَ قلبِ قَلَبها بمحراثِ الخوف، وبَذَرَ فيها حَبَّ المحبَّةِ، وأدار لها دُولابَ العين، وأقامَ ناطورَ المراقبةِ، فتربى زرعُ التقى على سوقه.

أصفهم لِمَنْ؟ أذكرهم عِنْدَ مَنْ؟ أنثرُ الدُّرَّ على دمن[٣]؟!.

بَلِّغْ سلامي بالغُويْرِ[٤] جِيْرةً ... قلبي - وإن حَالُوا - إليهم تائِقُ
فارقتُهم كُرهاً وليتَ أنَّني ... للرُّوحِ مِنْ بعدهمُ مفارِقُ
ولستُ أنساهُمْ وإنْ تَقَطَّعتْ ... بالبُعدِ فيما بيننا علائِقُ

يا نفسُ، عندَ ذِكْرِ الصالحينَ تبكينَ، وعندَ شرحِ جِدّهم تئنِّينَ[٥]، وإذا تصوَّرتِ طيبَ عيشهم تحنِّينَ، فإذا عَرفْتِ قيامَهم بالخدمةِ تنكبين[٦].

---

(١) **كلمت**: جرحت.
(٢) **مسد**: حبل من ليف.
(٣) **دمن**: جمع دمنة، وهي المزبلة.
(٤) **الغوير**: كزبير؛ ماء لبني كلب.
(٥) **تئنين**: من الأنين، وهو صوت بتوجع.
(٦) **تنكبين**: تعدلين وتنصرفين.

(لمهيار)[1]:

أَمِـنْ خفـوقِ البَـرْقِ تَـرْزُمِيْنـا[2] حِنّـي فمـا ينْفَعُـكِ الحَنِيْنَـا
سِيـري يمينـاً وسُـراكِ شـأمـةً فَضِلُّـةٌ مـا تتلفَّتينـا
نعـم تُشـاقيـنَ وأشتـاقُ لـه ونُعْلِـنُ الـوَجْـدَ وتكتُمينـا
فـأيـنَ منـا اليـومَ أو منـكِ الهـوى وأيـنَ نجـدٌ والمغـوِّرينـا[3]

لما اشتغلَ القومُ بإصلاحِ قلوبهم أعرضوا عن إصلاح أبدانهم، عَريَ (أويسٌ)[4] حتى جلس في قوصرة[5]، وقدم (بشرٌ)[6] من عبّادان[7] وهو مُتَّشِحٌ[8] بحَصير.

(للسموءل):

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرْضُه فكـلُّ رداءٍ يـرتـديـه جميـلُ
وإنْ هو لم يَحْمِلْ على النفسِ ضيمَها فليـسَ إلـى حُسْـنِ الثنـاءِ سبيـلُ

كان (أويسٌ) يلتقط النوى فيبيعُه بما يفطِرُ عليه، فإذا أصابَ حَشَفةً ادَّخرها لإفطارِهِ، ويجمعُ الخِرَقَ من المزابل، فيغسلها في الفراتِ، ويُرقِّعها ليسترَ عورته، ويفرُّ من الناس فلا يجالسهم، فقالوا: مجنون.

لا تصحُّ المحبَّةُ حتى يُمحى الاسم المعروف باسمٍ متجدِّد، فإنَّ اسم قيس نُسِيَ وعرف بالمجنون.

---

(١) من قصيدة كتب بها إلى الرئيس أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوانه: ٤/ ١٣٧.
(٢) **ترزمين**: تحنين.
(٣) **المغور**: الذاهب في الغور، ومنه غور تهامة. **والغور**: ما انخفض من الأرض، بخلاف النجد.
(٤) **أويس**: القرني.
(٥) **قوصرة**: وعاء التمر.
(٦) بشر بن الحارث الحافي.
(٧) مدينة على شط العرب من الجهة الشرقية تقع في بلاد فارس.
(٨) من **الوشاح**: ثوب يوضع على العاتق ويخالف بين طرفيه.

لـــولا جنـــونـــي فيـــكِ مـــا قعـــدَ العـــواذِلُ لـــي وقـــامـــوا
أوَلـــي يلـــومُ العـــاذلـــونَ وليـــسَ لـــي قلـــبٌ يـــلامُ

بنى أهلُ **أويسٍ** له بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السنون لا يَـرَوْنَ له وجهاً، وكان إذا خرجَ يمشي تَضْرِبُ الصبيانُ عَقِبيه بالحجارة حتى تَدْمى، وهو ساكتٌ، ولسانُ حاله يقول:

ولقِيتُ فـي حُبِّـكَ مـا لـم يلقَـه فـي حُـبِّ ليلـى قيسُهـا المجنـونُ
لكننـي لـم أتَّبِـعْ وحـشَ الفـلا كفِعـالِ قيـسٍ والجنـونُ فنـونُ

لقي بعضُ الجند (**إبراهيم بن أدهم**) في البرية، فقالَ له: أين العمران؟ فأومأ بيده إلى المقابر، فضربَه فشجَّ رأسَه، فقيل له: هذا ابنُ أدهم، فرجعَ يعتذِرُ إليه، فقال له إبراهيم: الرأسُ الذي يحتاجُ إلى اعتذاركَ تركته ببَلْخ.

يا قومُ رضيتُ بالهوى سفكَ دمي عِـزِّيَ ذُلِّـي وصحتـي فـي سقمـي
مَنْ باتَ على مواعيدِ اللِّقا لم يَنَمِ عُـذَّالـيَ كُفُـوا فـي مَـلامـي ألمـي

مرَّ رجلٌ **بابن أدهم** وهو ينظر كَرْماً[1]، فقال: ناولني من هذا العنب، فقال: ما أذن لي صاحبُه، فقلبَ السَّوْط وضرب رأسه، فجعل يطأطئ رأسَه، ويقول: اضرب رأساً طالما عصى الله.

مِنْ أجلكَ قد جعلتُ خَدِّيَ أرضا للشـامـتِ والحسـودِ حتـى تـرضـى
مـولاي إلـى متـى بهـذا أحظـى عمـريَ يفنـى وحـاجتـي مـا تُقضـى
لـو قطَّعنـي الغـرامُ إرْبـاً إرْبـا مـا ازْددْتُ علـى المُـلامِ إلا حُبّـا
مـازلْـتُ بكـم أسيـرَ وَجْـدٍ صبّـا حتـى أقضـي علـى هـواكُـم نَحبـا

كان **ابن أدهم** يستغيثُ من كرْب وجدِه، ويبولُ الدمَ من شدَّة[2] خوفه، فطلبَ يوماً سكوناً مِنْ قَلَقِه! فقال: يا ربِّ! إن كنتَ وهبْتَ لأحدٍ من المحبِّين لك

---

(١) أي: يحرس أشجار عنب. يقال: ينطر وينظر.
(٢) في (ب): كثرة.

ما يستريحُ به، فهبْ لي، فقيل له في نومه: وهل يَسْكُنُ محبٌّ بغيرِ حبيبِه؟.

الجسمُ يُذيبُه الأسَى والسُّهْدُ　　والقلبُ ينوبُه الجوى والكَمَدُ
قد وُجدوا وهكذا ما وَجدوا　　ما جُنَّ بهم مثلَ جنوني أحدُ
شوقٌ وجوًى ونارُ وجدٍ تَقِدُ　　ما ليَ جَلَدٌ ضَعُفْتُ ما ليَ جَلَدُ

* * *

الفصل الثاني عشر

عجباً لذاكرِ الموتِ كيف يلهو، ولخائف الفوت كيف[1] يسهو، ولمتيقنِ حلولِ البِلَى ويزهو، وإذا ذُكِرَتْ له الآخرةُ مَرَّ يلغو!.

(لأبي العتاهية)[2]:

إنّـي أَرِقْـتُ وذكـرُ المـوتِ أَرّقنـي ... فقلتُ للدمعِ: أَسْعِدْني[3] فأسَعدَني
إنْ لـم أبـك لنفسـي مُشْعِـراً حَـزَنـاً ... قبـلَ الممـاتِ ولـم آسـفْ لهـا فَمَـنِ
يـا مَـنْ يمـوتُ فلـم تُحْـزِنْـهُ مِيْتَتُـهُ ... ومَـنْ يمـوتُ فَمَـا أولاهُ بـالحَـزَنِ
لمـن أثَمِّـرُ أمـوالـي وأَجْمَعُهـا ... لِمَن أروحُ؟ لِمَنْ أَغْدُو؟ لِمَنْ لِمَنِ؟
لمـن سَيَعْمُـرُ لـي لَحْـدِي ويتـرُكنـي ... في حُفْرَتـي تَـرِبَ الخَدَّيْنِ والـذَّقَنِ

يا غافلاً عن الموت وقد لَدَغَه، أخذَ قرينَه فقتلَه ودمغَه، تأمّلْ صنعَ الدّهرِ بالرأسِ إذْ صبغَه، بأيِّ حديثٍ ترعوي أو بأي لغة؟.

كم رأيتَ مغروراً قبلك؟ كم شاهدتَ منقولاً مثلك؟.

مَنْ أباد أقرانك؟ ومن أهلَكَ أهلك؟.

لقد نادى الموتُ وقال: ما أنا بالذي إذا سُئِلَ أقالَ[4]، أنا الذي إذا مالَ على القويِّ أمالَ، أخذتم أماني[5]! يا أهل الأماني[6] والآمال.

---

(١) في (ب): وهو.
(٢) وجدت بعض هذه الأبيات في ديوانه، بتحقيق د. شكري فيصل رحمه الله، ص٣٩٧.
(٣) **أسعدني**: عاوني في البكاء.
(٤) **أقال**: فسخ البيع، أي: إذا سئل الرجعة لم يستجب.
(٥) **أماني**: حمايتي، من الأمان.
(٦) **الأماني**: جمع أمنية: وهي ما تريده وترغب فيه وتودّه في المستقبل مما ليس بيدك حاضراً.

أينَ من كان في رَوْحٍ وسَعَة؟ نقلتُه إلى مكانٍ ما وَسِعَه! أينَ مَنْ كان يُخافُ لِبَاسِه؟![1] انظروا ماذا عَوَّضْتُه من لِباسِه!.

أين مَنْ كان على نسائه شديدَ الغَيْرَة؟ أما رحل عنهنّ فاخترنَ غَيْرَه؟!.

أين مَنْ كان يسري آمناً في سِرْبِه[2]؟ أما قيل للتلف: خُذْه، وسِرْ بِه؟!.

أمَا عاقبـةُ الأُلفةِ فُرقـةٌ؟ أما آخِرُ جرعةِ اللَّذةِ شَرْقةٌ[3]؟ أما خِتامُ الفرحِ قلقٌ وحُرقةٌ؟ أما زادُ ذي المالِ إلى القبرِ خِرْقَةٌ؟!.

أعِرْ سـمعك الأصوات، فهل تسـمعُ إلا فلانـاً مات؟ أجِلْ[4] بصرَكَ في الفلوات فهل ترى إلا القبورَ الدارسات؟!.

قَـوَّضَ المـوتُ طَـوْدَ عِـزهـمُ الشا ... مـخَ قَسْـراً والـدَّهـرُ ذو حـدَثـانِ
واسْتَـــردَّ الـــذي أعـــارَ وللـ ... أيَّـــامِ ظهْـــرَ خُشـــونـــةٍ وليـــانِ
وإذا صـاحَ صـائـحُ المـوتِ بقـو ... مٍ غَـدوْا كـلَّ واحـدٍ فـي مكـانِ

يا ساكناً مسكنَ مَنْ قد أُزعِج! يا شارباً فضلة من شَرِق، تصحو في المجلسِ ساعةً من خُمارِ الهوى، ثم تَسليكَ حُميا الكأس[5].

هيهات ليس في البرق اللامع مُستَمتَعٌ لِمنْ يخوضُ الظلمةَ، كم أعطِفُ عِطْفَك[6] بلجامِ العِظةِ إلى عَطْفةِ اليَقَظةِ، فإذا انقضى المجلس عاد الطبع ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ [الحج: ٩]. «وتأبى الطباعُ على الناقِلِ»[7].

---

(١) لباسه: أي لبأسه: شدته في الحرب.
(٢) سِرْبه: السَّرب هو الطريق، أي: في منقلبه ومنصرفه.
(٣) شرقة: غصة.
(٤) أجِلْ: انظر وتأمل.
(٥) حُميا الكأس: أوّل سورتها وشدتها.
(٦) أعطف: أُميل. عطفك: العطف الجانب من لدن الرأس إلى الوِرْك، عطفة: اسمُ مرّةٍ من عَطَف: أي مال.
(٧) عجز بيت صدره: يرادُ من القلبِ نسيانكم وهو للمتنبي من قصيدة مطلعها:
إلامَ طـــواعيـــة العـــاذل ... ولا أرى فـــي الحـــب للعـــاقـــل

يا من قد لَجَّ في لُجّةِ بحر الهوى! قارِب الساحلَ في قارِبٍ[1]، دنا رحيلُ الفُرقةِ، وما اشتريتَ للمسيرِ قوتَ ليلةٍ! .

كلَّما جدَّ اللعِبُ فَتَرَ النشاطُ في الجدِّ .

صَحِّحْ نَقْدَةَ[2] عملِكَ فقدِ انقرضَتْ أيامُ الأسبوعِ .

جوِّد غَزْلَكَ[3]، فلربَّما لم تُسامَحْ وقتَ الوزنِ .

صابر غَبَشَ العيشِ فقد دنا فجرُ الأجرِ .

انتبه لاغتنامِ عُمُرِك، فكم يعيشُ الحيوان؟! .

مَدَّ بحرُ القدرة، فجرى بمراكبِ الصورِ، فَرَسَتْ على ساحلِ إقليمِ الدنيا، فعاملَتْ في موسمِ الحياة مُدَّةَ الجَزْرِ، ثم عادَ المدُّ، فرَدَّ إلى برزخِ التربِ، فقذفَ محاسنَ الأبنيةِ إلى حُفَرِ اللُّحودِ، وسيأتي طوفانُ البعثِ عن قربٍ، فاحذر أن تُدفَعَ دونَك سفينةُ النجاةِ، فَتَسْتَغيثَ وقتَ الفوتِ ولا عاصمَ، كأنَّك بكَ في قبرِكَ، على فراشِ النَّدَمِ، وإنَّه [والله][4] لأخشنُ مِنَ الجندلِ[5].

فازْرعْ في ربيعِ حياتِكَ قبلَ جُدوبِ أرضِ شَخْصِكَ، وادّخِرْ من وقتِ قُدْرَتِكَ لزمانِ عَجْزِك، واعتبرْ رَحْلَكَ قبلَ رحيلكَ، مَخافةَ الفقرِ في القَفْرِ إلى لازِمِ الأخذِ[6] ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ [الزمر: ٥٦] .

يا هذا! مثّل لنفسِكَ صرعةَ الموتِ، وما قد عزمْتَ أن تفعلَ حينئذٍ وقتَ الأسرِ؛ فافعله وقتَ الإطلاق .

(لقيس بن ذريح):

أتبكي على لُبْنَى وأنتَ تركتَها ... فكنتَ كآتٍ حتفَهُ وهو طائعُ
فيا قلبُ خَبِّرْني إذا شَطّتِ النوى ... بِلُبْنَى، وبانَتْ عنكَ، ما أنتَ صانعُ؟

---

(١) **قارب الأولى**: من المقاربة والمحاذاة. **وقارب الثانية**: الزورق.
(٢) **نقدة**: أي جوهر وحقيقة عملك.
(٣) في (ب): غزل عزمك.
(٤) زيادة من ب.
(٥) **الجندل**: الصخر العظيم.
(٦) **لازم الأخذ**: ما يلزمُ أخذه من زاد السفر إلى الآخرة.

كأنك بحرب التَّلَف[1] قد قامت على ساق، فانهزمتْ جيوشُ الأملِ، وإذا بملك الموتِ قد بارزَ الروحَ، يجتذِبُها بخطَاطِيفِ الشدائِدِ من تيارِ أَوْتَارِ العروقِ، وقد أُوثِقَ كتافُ الذبيحِ، وحارَ البصرُ لشدّةِ الهولِ، وملائكةُ الرحمةِ عن اليمينِ، قد فتحوا أبوابَ الجنةِ، وملائكةُ العذابِ عن الشمالِ، قد فتحوا أبواب النيرانِ، وجميعُ المخلوقاتِ تستوكِفُ[2] الخبر، والكونُ كلُّه قد قامَ على صيحة؛ إما أن يقال: سَعِد فلانٌ، أو شقيَ فلانٌ، فحينئذٍ تتجلَّى أبصارُ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ [الكهف: ١٠١]، ويحك تهيأ لتلك الساعة، حَصِّل زاداً قبلَ العَوَزِ.

(للصمّةِ القُشيري):

تَمَتَّـعْ مِـنْ شَمِيْـمِ عَـرَارِ نَجْـدٍ فمـا بَعْـدَ العَشِيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ

وا أسفاه من حياةٍ على غرورٍ، وموتٍ على غفلةٍ، ومنقلَبٍ إلى حَسْرةٍ، ووقوفٍ يومَ الحسابِ بلا حُجةٍ.

يا هذا! مَثِّل نفسَك في زاويةٍ من زوايا جهنم، وأنت تبكي أبداً، وأبوابُها مُغْلَقَةٌ، وسقوفُها مُطْبَقَةٌ، وهي سوداءُ مظلمةٌ، ولا رفيقَ تأنَسُ به، ولا صديقَ تشكو إليه، ولا نومَ يُريحُ، ولا نَفَسَ به تستريحُ.

قال كعب[3]: إنَّ أهلَ النار ليأكلونَ أيديهم إلى المناكب من الندامةِ على تفريطهم، وما يشعرون بذلك.

يا مطروداً عن الباب! يا مضروباً بِسَوْط الحجاب! لو وَفَّيْتَ بعهودنا ما رميناك بصدودنا، لو كاتبتنا[4] بدمع الأسف لعفونا عن كلِّ ما قد سلف.

---

(١) **حرب التلف**: يشير إلى الموت.

(٢) **توكّف الخبر**: توقع الخبر وسأل عنه.

(٣) ما رواه كعب الأحبار هذا لم نجده في أي مصدر مُيسَّر بأيدينا، وهو مما يتعلق بغيب لا يُدرى إلا عن طريق النبوة، فلا نثبته إلا إذا تأكد بحديث عن الرسول ﷺ.

(٤) **كاتبتنا**: من المكاتبة، وهي أن يدفع العبد لسيده المال الذي اتفقا عليه أقساطاً وبعدها يصبح العبد حرّاً. والأقساط ـ هنا ـ دمع الأسف على ما سلف.

ولـــو أنّهـــم عنـــد كشْــفِ القِنــاع وحَــلِّ العقــودِ ونَقْــضِ العهــودِ
وخَلْعِهـــمُ لعِـــذارِ الحيـــاءِ ولُبْسهـــمُ لبـــرودِ الصـــدودِ
أنـــاخـــوا بـــأبـــوابنـــا ســـاعـــةً وأَجْـرَوْا مَـدَامِعَهُـمْ فـي الخُـدُودِ
لعُـــدنـــا ســـراعـــاً إلـــى وصلهـــم وقُلْنـا: قلـوبَ المحبيـن[1] عـودي

* * *

(١) قلوب المحبين: هذا نداء بإسقاط أداة النداء (يا).

الفصل الثالث عشر

كم أخرجَ الموتُ نفساً من دارها لم يُدارِها[1]، وكم أنزل أجساداً بجارها لم يجارِها، وكم نقلَ ذاتاً ذات خَطَأ بأوزارِها، وكم أجرى عيوناً كالغيوث[2] بَعْدَ بُعْدِ مزارها.

يا مُغْرَماً بوصالِ عيشٍ ناعمٍ   سَتُصَدُّ عنه طائعاً أوْ كارها
إنَّ المنيةَ تُزْعِجُ الأحرارَ عَنْ   أوطانِهم والطيرَ عن أوكارِها

إخواني! قد حامَ الحِمام[3] حول حِمَاكُم، وصاحَ بكم إذا خلا النادي وناداكم، وأَوْلاكم من النصح حقَّكم، فما أحقكم بالتدبر وأَوْلاكم، وهو عازِمٌ على اقتناصِكم، وما المقصودُ سواكم.

كم أخلى الموتُ داراً داراً؟ أم اسْتلبَ كسرى بن دارا؟ [أدَارَى][4] لما أخذ داراً؟ أما ترك العامرَ قفاراً؟ أما أذاق الغصصَ المُرَّ مِراراً؟ لقد جال يميناً ويساراً، فما حابى فقراً ولا يساراً.

يا هذا! مطايا العمر قد أعْنَقَتْ[5]، وأنتَ في مسامرةِ الأمل، معاوِلُ الساعاتِ تَهْدِمُ حائطَ الأجل، فرائسُ المُهَجِ في مَضَابِثِ[6] أَسَدِ المنايا، أَسِنَّةُ القنا مُشْرَعَةٌ ولا دِرْعَ، عقارِبُ الخِدَع دائمةُ اللّسْعِ، غير أنَّ خَدَران الغفلة يمنع الإحساس بسريان السُّم، آه من مُثاقفٍ[7] ما ينتهي عن المقتل.

---

(١) يدارها: من المداراة.
(٢) في (ب): كالعيون.
(٣) الحِمام: الموت.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) أعنقت: من العَنَق: وهو السير السريع.
(٦) مضابث: كمخالب وزناً ومعنًى.
(٧) مثاقف: الرمح المُسوّى.

الناسُ في الدنيا ككيزانِ الدّولابِ[1]، فالشاب مثل الممتلي، والكهل قد فرغ بعضه، والشيخ لم يبقَ فيه شيءٌ.

الشاب المتقي في مقام ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، والكهل المنحط في مرتبة ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، والشيخ في حيز «تَجِدُنِي عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهم»[2].

يا من قد انطوى بُرْدُ شبابه، وخُبّئَتْ خِلَعُ تَلَفه، وبلغت سفينتُه ساحلَ سفره، قف على ثنيّةِ الوداع، «فلم تبقَ إلا نظرةٌ تُغْتَنَمُ»، لو فتحتَ عين اليقظة لرأيت حيطانَ العمرِ قد تهدّمت، فبكيتَ على خرابِ دارِ الأجل.

صاح ديكُ الإيقاظِ في سَحَرِ ليلِ العِبَر فما تَيَقَّظْتَ! فستنتبه إذا نعق غرابُ البَيْن[3] بينَ البينِ[4]:

ومُشَتَّـتِ العَـزَمـاتِ يُنْفِـقُ عمـرَه   حيـــرانَ لا ظَفَـــرٌ ولا إخفـــاقُ

لا في الشبابِ وافقتَ، ولا في الكهولة رافقتَ، ولا في الشيبِ أفقْتَ، ولا من العتابِ أشفقتَ، وكأنّك ما آمنتَ بالمعاد ولا صدّقتَ!.

يا مقيماً على الهوى وليس بمقيم! يا مُبَذِّراً في بضاعة العمر، متى يُؤْنَسُ منكَ رُشْدٌ؟!.

يا أكمه البصرِ! لا حيلةَ فيه لعيسى، يا طويلَ الرقاد ولا نومَ أهل الكهف، كيفَ يُفلح من هو والكسل كندماني جذيمة[5]؟!.

---

(١) **كيزان الدولاب**: أوعية الناعورة: وهي دولاب ذو دلاء، يدور بدفع الماء فيخرج الماء من النهر.

(٢) قال السخاوي في المقاصد الحسنة: ذكره الغزالي في البداية، ولا أصل له في المرفوع إلى النبي ﷺ. كشف الخفا: ١/ ٢٣٤.

(٣) **نعق غراب البين**: صاح بالفراق، وبان: باين وفارق.

(٤) **البين**: الوصل.

(٥) كان جذيمة ملك الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه، منهم عديّ بن نصر، وكان لعديٍّ هذا حظٌّ من الجمال فعشقته رَقَاش أخت جذيمة، فقالت له: إذا سقيتَ الملك فسَكِر فاخطبني إليه، وكان ما طلبت، ولما صحا جذيمة من سُكره ودرى ما فعل=

الدّنيا مضمارُ سباقٍ، وليل سُرًى، وطالبُ الراحة يخيبُ.

فَلا تَحْسَبُوْا أنَّ المَعَالِي رَخِيْصَةٌ ... ولا أنَّ إدْرَاكَ العُلَى هَيِّنٌ سَهْلُ
فَمَا كُلُّ مَنْ يَسْعَى إلى المَجْدِ نَالَهُ ... ولا كلُّ مَنْ يَهْوَى العُلا نَفْسُهُ تَعْلُو

من تذكَّرَ حلاوةَ العاقبةِ نَسِيَ مرارةَ الصبرِ، الرجوليةُ بالهمَّةِ لا بالصورة، همة الكسّاحِ[1] حِطة في بئر الأنجاس.

قِنديلُ الفِكْرِ في مِحرابِ قلبِك مُظلِمٌ، فاطلب له زيتَ خَلْوة، وفتيلة عَزْمٍ.

بينك وبين المتقين جبلُ الهوى، نزلوا بين يديه ونزلت خلفه، فاطوِ فضلَ منزلٍ تلحقُ، لو علوتَ نَشْزَ[2] الجَدِّ، بانتْ بانةُ الوادي.

(لمهيار)[3]:

إن كنت ممّنْ يطلعُ الوادي فسلْ ... بينَ البيوتِ عن فؤادي ما فعلْ
عزَّ هواكِ فأذلَّ جَلَدِي ... والحبُّ ما رقَّ له الجَلْدُ[4] وذَلْ
أينَ ليالينا على الخَيْفِ، وهلْ ... يردُّ عيشاً فائتاً قولُك: هَلْ

يا مُقَيّداً بقيود الطرد أَلقِ نفسَك في الدجى على باب الذل؟ وقل: إلٰهي! كم لك سواي، وما لي سواك، فبفقري إليك وغِنَاك عني، إلا عفوتَ عني.

= ضرب وجهه بالتراب، وهاج، فخاف عدي على نفسه فهرب منه، ولحق بقومه، وولدت رقاش مولوداً من عدي سمّاه جذيمة عمراً، وأحبه حبّاً شديداً، ثم كان أن ضرب عمرو في الآفاق، وفُقد زماناً حتى قيِّض له رجلان هما مالك وعقيل ابنا فارج كانا متوجهين إلى الملك بهدايا، فعرفا أنّه ابنُ أخت الملك وحملاه إليه، فضمّه جذيمة إليه، وقال للرجلين مكافئاً: حكّمتكما، فسألاه مُنادمته، فلم يزالا نديميه حتى فرَّق الموت بينهم، وفيهما قال متمّم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً:

وكنا كندماني جذيمة حِقبة ... من الدهر حتى قيل لن نتصدّعا

من مجمع الأمثال، للميداني، باختصار برقم (٣٠١٧/ ٢/ ١٣٧).

(١) الكسّاح: كسح البيت: كنسه، والكسّاح: الكنّاس.
(٢) النَّشْزُ: المرتفع من الأرض.
(٣) في قصيدة يذكر بها مناقب علي بن أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٣/ ١٠٩ ـ ١١٦.
(٤) الجَلْد: القوي الشديد.

أَيَـا مُنعِمـاً لـم يَـزَلْ مُحْسِنـاً بَـرَى جَسَـدِي سُخْطُـكَ الـدَّائِـمُ
إلـى النَّحـرِ مِنِّـي مضمـومـةٌ يـداي كمـا يَفْعَـلُ النـادِمُ
يَـزِلُّ الحَكيْـمُ، ويكبـو الفـؤاد وينبـو عـن الضَّـرْبَـةِ الصَّـارِمُ

يا هذا! ليس في المياهِ ما يقلعُ آثار الذنبِ من ثوبِ القلبِ إلا الدموعُ، فإنْ نَضَبَتْ ولم يزلِ الأثرُ فعليك بالاغترافِ من بحرِ الاعتراف.

ودَّعـتُ قلبـي يـومَ ودَّعتُهـم وقلـتُ: يـا قلبـي! عليـك السلامُ
وصِحْـتُ بـالنـومِ: انصـرفْ راشـداً فـإنَّ عينـي مـن بعـدِهـم لا تنـامُ

احضر نادي المتهجّدين ونادهم: طوبى لكم، وجدتم قلوبكم، فارحموا مَنْ لا يجدُ:

إذا وصلتم إلى وادي العقيقِ سلوا عـن حـالِ مُنقطـعٍ أَوْدَى بـه السهـرُ
وفتّشـوا عـن فـؤادٍ هـائـمٍ قلـقٍ قـد ضـاعَ مني فـلا عَيْـنٌ ولا أثـرُ

أنجعُ الوسائِلُ الذلُّ، وأبلغُ الأسبابِ في العفو البكاءُ، والعِيُّ عن ترتيب العذر بلاغَةُ المنكَسِر.

يـا مَـنْ أشكـو إليـه مـا يعلمُـه والـدَّمْـعُ يُـذيـعُ كـلَّ مـا أكتمُـه
هـذا المُسَيْكِـنُ مَـنْ تَـرى يـرحَمُـه؟! قـد هـان عليـك كـلُّ مـا يـؤلمـه
بالجسمِ مِن السقامِ ما يُحرضه[1] والقلـبُ يـذوبُ مـن جوًى يُمـرضـه
مـا قـد حكـم الإلـه مَـنْ يَنْقضُـه؟ قـد أعـوزنـي الصبرُ فمـن يُقـرضـه؟

* * *

(١) يحرضه: يهلكه.

الفصل الرابع عشر

قد خوّفَنا الموتُ بِمَنْ أَخَذَ منا، ونعلمُ هجومه علينا وقد أمِنّا، أما أذْكَرَتْنا المواعظُ مآلنا فما لنا ما لِنّا؟!.

لا تَـرْقُـدَنَّ لعينـك السهـرُ ... وانظـر إلـى مـا تَصْنَـعُ العبـرُ
انظـر إلـى غِيَـرٍ مُصـرَّفـة ... مـا دامَ يمكـنُ طـرفـك النظـرُ
فـإذا جهلـتَ ولـم تجـدْ أحـداً ... فسـل الـزمـانَ فعنـدَه الخبـرُ
فـإذا نظـرتَ تـريـدُ معتَبَـراً ... فـانظـر إليـك، ففيـك معتَبَـرُ
أنـتَ الـذي تنعـاه خِلْقَتُـه ... ينعـاه منـه الشَّعْـرُ والبَشَـرُ[1]
يـا مـن يُـؤمّـلُ أنـت منتَظِـرٌ ... أمـلاً يطـولُ، ولَسْـتَ تُنْتَظَـرُ
مـاذا تقـول وأنـت فـي غَصَـصٍ؟ ... مـاذا تقـول وفـوقَـك المَـدَرُ[2]؟
مـاذا تقـول وقـد لحقـتَ بمـا ... يجـري عليـه الـريـحُ والمَطَـرُ؟
كـم قـد عَفَـتْ عيـنٌ لهـا أثـرٌ ... درسَـتْ ويـدرُس بعـدهـا الأثـرُ

يا من يُشَيّعُ ببدنه المَيْت، فأمّا قلبه ففي البيت، أتُخَلِّي بين الودود والدود، وتعود إلى المعاصي حين تعودُ؟! هلاّ أَجَلْتَ[3] بالبالِ ذكر البالي؟ وقلتَ للنفس الجاهلة: هذا لي.

مَنْ زار القبورَ والقلبُ غافل، وسعى بين الأجداثِ والفكرُ ذاهل، وشغلَهُ عن الاعتبارِ لَهْوٌ شاغل، فهو قتيلٌ قد أسكره القاتلُ:

ومـا أعطـى الصبـابـةَ مـا استحقَّـت ... عليـه، ولا قضـى حـقَّ المنـازل
مُـلاحَظُهـا بعيـنٍ غيـرِ عبـرى[4] ... وزائـرهـا بجسـمٍ غيـرِ نـاحـل

---

(١) البَشَر: الجلد.
(٢) المَدَر: قطع الطين اليابس (القاموس المحيط). أو الطين المتماسك (لسان العرب).
(٣) أجَلْتَ: أدَرْتَ.
(٤) عبرى: باكية، تسح عَبْرتها.

شيّع **الحسنُ** جنازَةً فوقفَ[1] على شفيرِ القبرِ فقال: إنَّ أمراً هذا آخره لحقيقٌ أن يُـزْهدَ في أوله، وإنَّ أمراً هذا أوله، لحقيقٌ أن يخافَ آخره.

إخواني! كيفَ الأمنُ وهذا **الفاروق** يقول: لو أنَّ لي طِلاعَ[2] الأرض ذهباً وفضةً لافتديت بها من هولِ ما أمامي قبل أن أعلمَ ما الخبر؟.

لما طُعِنَ **عمرُ** رضي الله عنه قال لابنه: ضع خدي على التراب. فوضعه، فبكى حتى لصقَ الطينُ بعينيه، وجعل يقول: ويلي وويلَ أمي إن لم يرحمني ربي.

ودخل عليه **كعب**، وكان قد قال له: إنّكَ ميتٌ إلى ثلاثة أيام، فلمَّا رآه **عمر** رضي الله عنه أنشد:

وواعدني كعبٌ ثلاثاً يَعُدُّها ... ولا شكَّ أنَّ القولَ ما قاله كعبُ
وما بي حذارَ الموتِ إنّي لميتٌ ... ولكن حَذارَ الذنبِ يتبعُه الذنبُ

واعجباً من خوف عمر مع كمالِه، وأَمْنك مع نقصانِك.

قيل لابن عباس: أيُّ رجل كان عمرُ؟ فقال: كان كالطائر الحذِر، الذي كأنَّ له بكلِّ طريقٍ شَرَكاً[3].

يا مسدودَ الفهمِ بكثرةِ الشواغلِ! أَحْضر قلبَك لحظةً للعظة.

يا جامداً على وضعِ طَبْعه! تحرّكْ إلى قُطْرِ[4] التذكرةِ.

يا عبدَ الطمعِ! طالعْ ديارَ الأحرارِ.

ما أطولَ غَشْية غَفْلتِكَ فلِمَن نُحَدِّث؟ قلبُك في غلافِ غفلة، وفطنتك في غشاوة غباوة، وحبلُ عزمك الجديد جذيذ[5].

لو خَرَجَ عقلُك من سلطانِ هواك، عادَتِ الدولةُ عادلةً.

---

(١) في (ب): فجلس.
(٢) **طلاع الأرض**: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل. النهاية في غريب الحديث.
(٣) **الشرك**: الفخ.
(٤) **قُطر**: بلد وناحية.
(٥) **جذيذ**: مقطوع.

لو صحَّ مزاجُ فطرتِك حَلا طعمُ النُّصح في فمك، المفروض عندك مرفوض، وكلام النصيحِ صوتُ الريح.

يا تلميذَ الهوى! أُخرج من وصفِ التبعيّة، يا مقيّدَ الوجود في فِناء[1] الفَناء! قامت قيامةُ المَلامةِ[2] وما تسمع، لقد ضَحَل[3] صوتُ النصيح، ولكنَّ صَلْخَ[4] صِماخِ[5] السمع مانعٌ.

يا هذا! لو وقفَ مرضُك رجونا لك البرءَ، ولكنَّ المرضَ يزيدُ، وقوةُ العزمِ تضعفُ:

متى يلتقي الأُلاّفُ والعيسُ كلّما ... تَصَعَّدْنَ من وادٍ هبطنَ إلى وادِ

يا مقبلاً على المعاصي أَدْبِرْ، ويحك! إذا أُخرجْتَ من يدك[6] فمن يُحَصِّل؟ كم تَعِدُ بالتوبة ولا تفي؟ ويحك إنَّ العقوبة باللذة لا تفي، ضمانُك عَقِيم، ووعْدُكَ عاقِرٌ، إذا أقمتَ بناءَ توبة اكتريتَ[7] ألفَ نَقّاض، ويحك! لا تفعل، فإنّه ما سحبَ أحدٌ ذيل الهوى إلا وتعثّر، أُكتب قصةَ الندمِ بمداد الدمع، وفي الحال تصلُ:

سألتْ ودمعُ العينِ سايل ... ودَعَتْ وداعي البينِ شاغل
فأجابَ دمعي وهو في ... صفةِ الأَسى سَحْبانُ[8] وائل
أعرضتُ عنكَ فمَنْ ترومُ ... وبِنْتُ منك فمَنْ تُواصِل
لم يبقَ من سُنَن الهوى ... إلا الوقوفُ على المنازل

---

(١) **فِناء**: باحة وساحة.
(٢) **الملامة**: المحاسبة واللوم.
(٣) **ضحل**: بُحّ.
(٤) **صلخ**: صمم.
(٥) **صماخ**: خَرق الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها.
(٦) **أخرجت من يدك**: كناية عن انتهاء الحياة، وانقطاع العمل، وانتهاء فرصته.
(٧) **اكتريت**: استأجرت.
(٨) **سَحْبان وائل**: يضرب به المثل في البلاغة، فيقال: أفصح من سحبان: لَسِناً بليغاً، خطيب العرب غير مدافع، كان في خطبته يسيل سيلاً، المعروف أنه جاهلي، وفي الإصابة: أنه ممن أدرك النبي ﷺ ولم يره. انظر: رقم (٣٦٦٦) من مجمع الأمثال، للميداني.

يا مشرّداً عن الأوطان! إلى متى ترضى بالتمردك[1]؟! للقطا أُفْحُوص[2]، ولابن آوى[3] مأوى.

منذ خمسين سنة تجدِّف[4] في العبور إلى ساحل التوبة وما تلحقُ الشطَّ، قوةُ الأمل عُقْدةٌ في وجه منشار الجدّ، الرياءُ عيب في رئة الإيمان، يَسُل[5] المرضَ إلى السل، شدةُ الحرصِ على الفاني سَدَّة في كبد اليقين، ومن صبر على مرارة الدواء عوفي:

السُّقمُ على الجسمِ له تَرْدادُ | والصبرُ يقلُّ والهوى يزدادُ
ما أبعدَ شُقتي وما ليَ زادُ | ما أكثرَ بَهْرَجي[6] ولي نَقَّادُ

يا أربابَ الدَّنَس! يا أوساخَ الذنوب! ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [صَ: ٤٢]، لا تقنعوا بصب ماء التوبة على الظاهر، بُلُّوا الشَّعْر، وأنقوا البَشَرة، ما لم تَسْبَحْ بدمع عينيك لم تأتِ بسُنَّةِ الغُسل:

فَلَوْ دَاوَاكَ كُلُّ طَبِيْبِ دَاءٍ | بِغَيْرِ كَلامِ لَيْلَى مَا شَفَاكَا

أَبْلغُ المراهمِ لجراح الذنوب الندمُ، وأوطأُ فراشِ المعتذِرِ القلقُ، وأسرعُ الأوقاتِ إجابةً السحرُ، فاطردْ عن عينيك لذّةَ النوم، ونادِ في نادي الأسى مع القوم:

يا مَنْ بسهامِه لقلبي جَرَحا | صِلْ مُشْتاقاً بغَيْرِكُمْ ما فَرِحا
ما نَاحَ له مُطَوَّقٌ[7] أو صدَحا | إلاَّ شَرِبَ الدَّمْعَ وعَافَ القَدَحا

---

(١) **التمردك**: التصاغر مأخوذ من (مردك) العجمية، أي: رجل صغير، وفي لسان العرب: غلام رودك: ناعم، وجارية رودكة: حسناء في عنفوان الشباب، ويشير إلى الطراوة والتنعم.

(٢) **أفحوص**: بوزن عصفور، مَجْثَم القَطاة، لأنها تفحصه.

(٣) **ابن آوى**: حيوان، جمعه بنات آوى، وهو من الفصيلة الكلبية، أصغر حجماً من الذئب.

(٤) **تجدف**: تجديف الطائر: تحريكه جناحيه إلى خلفه أثناء الطيران، وجدف الملاح السفينة: دفعها بالمجدف.

(٥) **يسل**: أي يوصله إلى السلال، وهو المرض المعروف بالسل.

(٦) **البهرج**: المزيف.

(٧) **المطوّق**: الحمام له طوق كالقمري.

يا نائماً طول الليل أما تُحِسُّ ببَرْدِ السَّحَر؟! لقد نَمَّ النسيمُ على الزَّهْر، ودلّتْ أغاريدُ الحمامِ على دنو الفجر، صاحَ الديكُ فلم تنتبه، وأعادَ فلم تُفِقْ، [فَقَوّى][1] ضربَ الجناحين لطماً على غفلتك، صفق إما ارتياحه لسنا[2] الفجر، وإما على الدُّجَى[3] أسَفاً.

يــا مَطُــولاً[4] بــالقيــامِ   مستلـــذًّا بـــالمنـــامِ
قُــمْ فقــد فــاتــكَ يــا   مغبــونُ[5] أربــاح الكــرامِ
وَخَلَــوْا دونَــكَ بــالمَــوْ   لــى وفــازوا بــالمــرامِ
وكــذا تسبقُــك القَــوْ   مُ إلــى دارِ السَّــلامِ

* * *

---

(1) زيادة من (ب).
(2) سنا: نور.
(3) الدُّجى: الظلام.
(4) مطولاً: مماطلاً، لا يفي ما التزم به.
(5) المغبون: المخدوع وضعيف الرأي.

الفصل الخامس عشر

إخواني! الدنيا دارُ الآفاتِ، الإثمُ بقيَ والالتذاذُ فات، بينا نرى فيها الغصنَ خَضِراً متمايلاً أصبحَ ذابلاً ذا بلى[١].

يـا أَيُّهـذا الـذي قـد غـرَّهُ الأمـلُ ... ودونَ مـا يـأمـلُ التنغيـصُ والأجـلُ
ألا تـرى أنمـا الـدُّنيـا وزينتُهـا ... كمنزِل الركبِ حَلّوا ثُمَّتَ[٢] ارتحلوا
حتـوفُهـا رَصَـدٌ، وعيشُهـا نكَـدٌ ... وصفـوُهـا كَـدَرٌ، ومُلكُهـا خَلَـلُ
تظـلُّ تُفـزِعُ بـالـرَّوْعـاتِ سـاكنَهـا ... فمـا يسـوغُ لـه عيشٌ ولا جَـذَلُ[٣]
كـأنّـه للمنـايـا والـرّدى غَـرَضٌ[٤] ... تظـلُّ فيـه سهـامُ الـدَّهـرِ تَنْتَضِـلُ[٥]
والنفـسُ هـاربـةٌ والمـوتُ يتبعُهـا ... وكـلُّ عثـرةِ رِجـلٍ عنـدَهـا جَلَـلُ
والمـرءُ يسعـى بمـا يسعـى لـوارِثِـه ... والقبـرُ وارثُ مـا يَسْعَـى لـه الـرَّجُـلُ

إخواني! الْبَسُوا للدنيا جُنَّةَ الهَجْر، واسمعوا فيها مِنْ واعظ الزَّجْرِ، واحسبوها يوماً صُمْتُوه للأجرِ، وصابروا ليلَ البلى، فما أسرعَ إتيانَ الفجر! ولا تبيعوا اليقينَ بالظنِّ، فحرامٌ بيعُ المَجْر[٦].

لقد أبصرتْ عيونُ الفِطَن في نهارِ المشيبِ سبيلَ الرحيلِ، وسمعتْ آذانُ الفكرِ بقَعْقَعةِ الصلب[٧] الصلب أذان التحويل.

لله درُّ أقوامٍ بادروا أيامَهم، وحاذروا آثامهم، جعلوا الصومَ طعامَهم،

---

(١) **بلى**: فناء.
(٢) **في (أ)**: ثم ارتحل.
(٣) **جذل**: سرور.
(٤) **غرض**: ما ينصب لترمى إليه السهام.
(٥) **تنتضل**: انتضل القوم: رمَوْا للسبق.
(٦) **المجر**: أن يشتري ما في بطن الناقة من حمل، وقد نهي عن بيع المجر.
(٧) **الصُّلب**: فَقار الظهر. **والقعقعة**: حكاية صوت السلاح. **الصَّلب**: الشديد القوي.

والصمْتَ كلامَهم، فالأبدانُ بين أهلِ الدّنيا تسعى، والقلوبُ في رياضِ الملكوت تَرعى، قاموا لخوفِ القيامة بالأوامرِ، ووقفوا أنفسَهم على الخيرِ، ما توقفوا كالمؤامر[١]. هجروا بالصيام لذيذَ الهوى في الهواجرِ، وصَمَتَ اللسان كأنه مقطوع في الحناجر بالخناجر، وجرى الدمع واصباً[٢] حتى قد محا المحاجِرَ.

متى تَطْرُقُ طريقَهم[٣] قبل طُروقِ الطوارِق؟ هذا ذِئبُ السِّقامِ قد عوى للعوائق، يا مَن أعماله فيما خلا رِيَا[٤] للخلائق، كم داواك الطبيبُ؟ وكم رقى[٥] بالرقائق؟ أين مَن ربا[٦] في الربا، ونما بين النمارِق[٧]، وأنْذَرَهُم حادي الموتِ لما حدا من الحدائق، وأمال مستقيمَهم فالتوى، فهل من هذا التوى[٨] أنت واثق؟!.

ويحك! إنَّ الدنيـا سـراب مُخلَّف، فإن وُجِـدَ شـرابٌ أعطَـش، اِزدهت فدهت[٩]، على أنها تُذَمُّ وتُضَمُّ، كم عقَدت لمحبها عقد عهد، فلمَّا حَلَّتْ عنده حَلَّت[١٠]، إنها لعجوز وهي في عينك كالقمر، وقد قَمَر[١١] هواها قلبَك، فما أبقى منه إلا قلبَ قَمَر[١٢].

(للشريف الرضي)[١٣]:

---

(١) **المؤامر**: المتردد المضطرب.
(٢) **واصباً**: دائماً.
(٣) **تطرق طريقهم**: تسير سيرهم، وتقتدي بهم قبل طروق المنايا.
(٤) **ريا**: أي رياء.
(٥) **رقى**: من الرقية.
(٦) **ربا**: نما.
(٧) **النمارق**: جمع نمرقة: الوسادة الصغيرة أو الطنفسة.
(٨) **التوى**: الهلاك.
(٩) **دهت**: أصابت.
(١٠) **حلت عنده حلت**: حلت الأولى: بمعنى نزلت عنده، وحَلَّت الثانية: نقضت العهد وذهبت.
(١١) **قمر**: قمرت فلانة قلبه، أي: شغفته حبّاً.
(١٢) **قلب قَمَرَ**: أي رمق، وهي البقية القليلة، وهذا مقلوب عن كلمة قمر.
(١٣) انظر: الديوان: ٢/ ٤٧١.

شَـرَتِ الفـؤادَ رخيصـةً أعـلاقَـهُ[1]   ومضـى يَعَـضُّ بَنَـانَـهُ المغْبُـونُ

أَفَنَيْتَ عمرك في طلبها، وما حصل بيدك منها إلا ما حصل بيد قيسٍ من ليلى.

صحا كلُّ عُذريِّ الغرامِ عن الهوى   وأنـتَ علـى حُكْـمِ الصَّبـابـةِ نـازلُ

ولِّ الدنيا ظهرَكَ تنضَّ[2] الآخرةُ لك نقابَها، تَعَرَّ عن الدنيا تُعزّ، وخُذْ قَدْرَ البُلْغَةِ[3] وجُزْ تَفُزْ.

إلى متى زِنْبيلُ[4] حرصك على كاهل همتك، وأنتَ تسعى في مزابل طمَعك، تَحُشُّ[5] وقودَ الحُطام لنارِ هواك، وقد أقمتَ موقداً من الشَّرهِ لا يفترُ، أما علمتَ أنَّه كلَّما تَرقَّى دخانُ أَتُونِ[6] الهوى في برابخِ[7] الحسِّ سوَّد وجهَ القلبِ.

أنتَ في جمع الحطامِ نظيرُ الزَّبَّال، وفي فِعْلِ الخيرِ غلامُ الحبَّال[8]، علل الهمم مختلفة[9] الأجناسِ، هذا الشفنين[10] لا يقربُ غيرَ زوجته أبداً، فإنْ ماتت لم يتزوَّجْ أبداً، وكذلك الأنثى والدجاجة مع أيِّ ديك كان.

---

(١) **أعلاقه**: جمع عِلْق؛ وهو الشيء النفيس.

(٢) **تنض**: ترفع.

(٣) **البُلْغَةِ**: ما يتبلغ به من العيش.

(٤) **زنبيل**: وعاء يصنع من الخوص يسع خمسة عشر صاعاً كالسلة والقفة.

(٥) **تحش**: تجمع على النار وقوداً.

(٦) **أتُون**: موقد.

(٧) **برابخ**: جمع بربخ، وهو منفذ الماء ومجراه، والمقصود به الجوارح، لأنها منافذ القلب.

(٨) **غلام الحبال**: كناية عن بطء الحركة وقلة النتاج، وفي نسخة: **(غلام الخبال)** أي: الفساد.

(٩) **في (ب)**: **عالم الهمم مختلف.**

(١٠) **الشفنين**: اليمام، ومفردها يمامة، وهي الحمامة الوحشية، وهذه الخاصة ذكرها الدسيري في (حياة الحيوان).

كلامي يدور حول ستور سمعك، وموانعُ الهوى تحجبُه أن يصلَ إلى القلبِ، فلو قد وصلَ إلى القلبِ أثَّرَ.

عضتْ رجلاً حيةٌ، فلم يعلم أنّها حية، فلم يتغير، فلما أُخْبِرَ أنّها حية مات، لأنه حين أُخبر انفتحت مسامُّه، فوصل السمُّ إلى القلب.

يا أُطروشَ الهوى! صاحِبْ مَنْ يسمع، يا عميَّ البصيرة امشِ مع من يُبْصر، تشبّه بالصالحين تُعَدَّ في الجملة، هذا الطاووس يحبُّ البساتين، فهو يوافِقُ الأشجار، إذا ألقت ورقها ألقى ريشه، فإذا اكتست اكتسى، لو سِرْتَ في حزب المتقين خطواتٍ، لعرفوا لك حقَّ الصحبةِ، يا مَنْ كانَ لهم رفيقاً فأصبحَ لا يعرف لهم طريقاً، أُطلبِ اليومَ أخبارهم، واتبع في السلوك آثارهم، فإن وقعت ببعضهم حملك إلى أرضهم.

(للمصنِّف):

فـي شُغْـلٍ عـن الـرقـادِ شـاغـلُ ... مَـن هـاجَـهُ البـرقُ بسفـحِ عـاقـلِ
يـا صـاحبـي هـذي ريـاحُ أرضِهِـمْ ... قـد أَخبـرَتْ شمـائـلَ الشمـائـلِ
نسيمُهـم سُحَيْـريُّ الـريـحِ فمـا ... تُشْبِهُـهُ روائـحُ الأصـائـلِ
مـا للصَّبـا مُـولعـةٌ بـذي الصِّبـا ... أو الصَّبـا فـوقَ الغـرامِ القـاتـلِ
مـا للهـوى العـذريِّ فـي ديـارنـا ... أيـنَ العَـذِيْـبُ[1] مـن قُصـورِ بـابـلِ
لا تطلبـوا ثـاراً بنـا يـا قـومَنـا ... دمـاؤنـا فـي أذرعِ الـرواحـلِ
لله درُّ العيـشِ فـي ظـلالهـم ... وَلّـى وكـم أسـار فـي المفـاصـلِ
وا طـربـي إذا رأيـتُ أرضَهـم ... هـذا وفيهـا دَمِيَـتْ مقـاتلـي
يـا طُـرةَ الشيـحِ سُقِيـتِ أدمعـي ... ولا ابتليـتِ فـي الهـوى بمـا بُلـي
ميلُـك عـن زهـو وميلـي عـن أسـا ... مـا طَـرَبُ المخمـورِ مثـلُ الثَّـاكـلِ

يا من قد كثر تردده إلى المجلس، ولم تَزُل قسوةُ قلبه، لا تَضْجَرْ فللدوام أَثَر، جالس البكائين يتعدَّ إليك حزنُهم، فتأثير الصحبة لا يخفى، أما ترى دُوْدَ

---

(١) وادٍ في شمال المدينة.

البقل أخضر؟ يا من يشاهد ما يجري على الخائفين ولا ينزعج، أقلُّ الأقسام[1] أن يبكي رحمةً لهم، إذا رأيتَ الثكلى تتقلقل فلا بد من رحمةِ الجنس.

(لمهيار)[2]:

ولمَّا وقفْنا بالدِّيارِ تشابهتْ ... جسومٌ براهُنَّ البِلى وطلولُ
فباكٍ بداءٍ بيّنَ جنبيه عارفٌ ... وباكٍ بما جَرَّ الفِراقُ جَهُوْلُ

كان (**العاصمي**) قتيلَ عشقِ الدنيا، فَكُشِفَ له بالمُخَوِّفات نقابُ المحبوبة فسلا، ثم جُلِيت[3] عليه بالمشوقات محاسنُ الآخرة، فمال الجيْدُ إلى الجِيْد.

أَلفِتُها وللْحَدا[4] تغريدُ ... برامَةٍ إن ذُكِرَتْ زَرودُ
ولاحَ برقٌ بثنيّاتِ الحِمَى ... تُشِيْمُه للأعينِ الرعودُ
فمالتِ الأعناقُ منها طرباً ... كما يُميلُ الناشدَ المنشودُ
هيهاتَ يَخْفى ما به متيَّمٌ ... دموعُه بوَجْدِه شهودُ

أتدرون ما أوجبَ اصفرارَ هذا التائب؟ ومن أيِّ شرابٍ أسكرَ هذا الشارب؟ وأيَّ كتاب أَقْدَم هذا الغائب؟ . .

كلّما زادَ كَرْبُهُ ... في هوى مَن يحبُّه
طارَ نحو الحبيبِ مِنْ ... شِدةِ الشوقِ قلبُه
دَنِفٌ كادَ ينقضي ... بَيَدِ البَيْن نحبُه
خَبِّرُونا عن العقيقِ ... متى سار ركبُه

* * *

(١) الأقسام: الأنصبة.
(٢) من قصيدة كتبها إلى الوزير عميد الدولة. انظر: ديوان شعره: ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٣.
(٣) جليت: جلا العروس على بعلها: عرضها مجلوة.
(٤) في (أ): وللحمام.

الفصل السادس عشر

يا من نسبُه مُعرِقٌ في الموتى، وقد وعظوه وإنْ لم يسمعْ صوتاً، أدْرِكْ أمرَك فما تأمنُ فوتاً:

(لأبي النّواس):

ألا كـلُّ حـيٍّ هـالِـكٌ وابـنُ هـالـكٍ ... وذو نَسَـبٍ فـي الهـالكيـنَ عَـريـقِ
فَقُـل لغـريـبِ الـدّارِ: إنّـك رَاحِـلٌ ... إلـى منـزلٍ نـأيِ المَحـلِّ سحيـقِ
ومـا تُعـدِمُ الـدنيـا الـدنيـةُ أهلَهـا ... شُـواظَ حَـريـقٍ أو دُخـانَ حَـريـقِ
تُجَـرِّعُ فيهـا هـالكـاً فَقْـدَ هـالـكٍ ... وتُشْجـي فـريقـاً منهـمُ بفـريـقِ
فـلا تحسـبِ الـدُّنيا إذا مـا سكنتَهـا ... قـراراً، فمـا دنيـاك غيـرُ طـريـقِ
إذا امْتحـنَ الـدُّنيـا لبيـبٌ تكشَّفـت ... لـه عـن عـدوٍّ فـي ثيـابِ صـديـقِ
عليـكَ بـدارٍ لا يـزولُ ظـلالُهـا ... ولا يتـأذّى أهلُهـا بمضِيـقِ
فمـا يبلـغُ الـراضـي رضـاه بِبُلْغـةٍ ... ولا ينفـعُ الصـادي صَـداهُ بِـريْـقِ

يا راقداً وقد أُوذِنَ بالرحيل، يا مشيِّدَ البنيانِ في مدارجِ السيولِ، بادِرْ بالعملِ قبلَ انقضاءِ العمرِ، ولا تنسَ من يَعُدُّ الأنفاسَ للقائك:

ومـا هِـيَ إلا ليلـةٌ ثـم يـومُهـا ... ويـومٌ إلـى يـومٍ وشهـرٌ إلـى شهـرِ
مطـايـا يقـرِّبْـنَ الجديـدَ إلى البِلَى ... ويدنينَ أشلاءَ الصحيحِ إلى القبرِ
ويتْـركـنَ أزواجَ الغيـورِ لغيـره ... ويَـقْسِمنَ ما يحوي الشحيحُ من الوفرِ

وا عجباً! أما تعلمُ ما أمامك؟! فتهيأ للرحيل، وأَصْلِحْ خيامك، وتأهّبْ للرّدى، واقطعْ قطعَ المُدى[1] لمَرامك[2]، واجتهد أن ينشرَ الإخلاصُ في المحلّ

---

(١) المُدى: جمع مدية، وهي السكين.
(٢) في (ب): مدامك.

الأعلى أعلامَك، وأحضرْ قلبَك وسمعَك، وإن ملاّ[1] من ملامك[2]، وإيّاكَ والفتورَ فإنِّي أرى الدواءَ دوامك[3]، أُطلب ما شئتَ بالعزم وأنا زعيمٌ[4] لك بالظَّفَر.

مَنْ عزم على أمرٍ هيّأ آلاتِه. لمّا كان شُغْلُ الغرابِ النَّدبَ على الأحباب لبس السواد قبل النوح.

أَنِفَــتْ شُقَّــةُ المهــامِــهِ[5] أن تقْــطــعَ إلا بــالشــدِّ والتَّــرْحــالِ
وأبــى الْمَجْــدُ أن يُنــالَ بغيــرِ الــجِــدِّ فلْتنتبِــهْ عقــولُ الــرِّجــالِ

إذا وقعتْ عزيمةُ الإنابةِ في قلبِ مَنْ ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قَلَعتْ قواعدَ الهوى من مَسْناةِ[6] الأمل.

ركب (ابنُ أدهم) يوماً إلى الصيد، وقد نُصبَ له فخُّ ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾ [يونس: ٩]، حوله حَبُّ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، فصِيْدَ قبل أن يصيدَ، سمع هاتفاً يقولُ: ما لهذا خُلِقْتَ! ولا بهذا أُمرتَ! فكانت تلك العظة شربةً نَقَضَتْ قُولَنْجَ[7] الهوى.

يا له من سهمٍ ألقاه عن قَرَبوسه[8] وبُوسه[9]، كان راقدَ الفهمِ في ليلِ الغفلةِ، مشغولاً بأحلامِ المُنى، فَصِيحَ به: قم، فقامَ، فقيلَ له: سِر، فاستقامَ.

(للشريف الرضي):

مــا أجلــبَ البــرقَ لمــاء الآمــاق رأى علــى الغَــوْر وميضــاً فــاشتــاق

---

(١) ملا: من الملل.
(٢) في (ب): (لامك) أي: شدتك.
(٣) دوامك: الدوام على العمل والحضور.
(٤) زعيم: كفيل ضامن.
(٥) المهامه: جمع مهمه، وهي المفازة والصحراء.
(٦) مسناة: سدّ يُبنى لحَجْزِ السيل أو النهر، به مفاتيحُ للماء تفتَحُ بحسب الحاجة.
(٧) القولنج: مغص وألم في الأمعاء، سببه التهاب القولون.
(٨) قَرَبوس: حِنْوُ السرج، أي: المكان المنحني من السرج يجلس عليه الراكب.
(٩) البوس: التبختر والتكبر على الناس وإيذاؤهم.

وعظه خطيبُ اليقظةِ، فوصَلَتْ مَلامتُه إلى سمع الأنفَةِ، فنهضت حميّةُ الرجولية.

يا (**ابن أدهم**)! مبارزةُ الصيدِ أولى مراتبِ الشجاعةِ، أفترضى أن تستأسِرَ[1] لثعلب الهوى؟!.

يا (**ابنَ أدهم**)! قتلكَ حُبُّ الدنيا فَثُرْ لأخذِ الثأر.

إن كانت لك عزيمة ـ يا (**ابن أدهم**) ـ فهذا الكُمَيْتُ وهذا الأدهم[2]، فصادَفَ التحريضُ حريضاً[3] فنهضَ.

(**للشريف الرضي**):

أَتُـذكّرانـي طلبَ الطـوائـلِ ... أَيْقَظْتُمـا مِنّـيَ غيـرَ غـافـلِ
قُـومـا فقـد مَلَلْـتُ مـن إقـامتـي ... والبيـدُ أولـى بـي مـن المَعـاقـلِ
شُنَّـا بـيَ الغـاراتِ كـلَّ ليلـةٍ ... وعَـوِّدانـي طَـرْدَ الهـوامـلِ[4]
إنْ كـانَ لا بـدَّ مـن المـوتِ فَمُـتْ ... تحـت ظـلالِ الأَسَـلِ الـذوابـلِ[5]

هتف به متقاضي الشوق: يا **بن أدهم**! دخلَتْ شهورُ الحَجِّ، فما قَعودُك ببلخ؟! فرحَّلَ الراحلةَ وراح، لاحتْ له نارُ الهدى، فصاحَ في جنود الهوى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ [طه: ١٠] فتجلّى له أنيسُ «تجدني»، فغاب عن وجودِه، فلمَّا أفاق من صعقة وجده، وقد دُكّ طور نفسه، صاح لسانُ الإنابة: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[الأحقاف ١٥].

رويـــداً أيُّهـــا الحـــادِي ... سُقِيْـــتَ الـــرّايِـــحَ الغـــادِي
فتلـــك الـــدارُ قـــد لاحَـــتْ ... وهـــذا الـــرَّبْـــعُ والـــوادي

---

(١) **تستأسر**: تسلّم نفسك أسيراً.
(٢) **الكُميت**: الخيل بين السواد والحمرة. **والأدهم**: الحصان الأسود.
(٣) **الحريض**: من أذابه الهم. **والتحريض**: الإثارة والإحماء.
(٤) **الهوامل**: الضوالّ من النعم. **وطردها**: سوقها سلاً وسرقة.
(٥) **الأَسَل الذوابل**: الرماح الطوال، مفردها: أسلة. والذوابل: مفردها: ذابلة، والقنا الذابل: الدقيق اللاصق الليط.

فلمّا خرجَ عن ديار الأُلفة[1]، أومأت اليقظةُ إلى البطالة.

(لابن المعتز):

سلامٌ على اللذّاتِ واللَّهو والصِّبا ... سلامَ وداعٍ لا سلامَ قدومِ

يا (ابن أدهم)! لو عُدْتَ إلى قصرِكَ فتعبّدتْ فيه، قال العزم: كلا ليس للمبتوتة[2] نفقةٌ ولا سُكنى.

أَحِنُّ إلى الرَّملِ اليمانيِّ صبابةً ... وهذا لَعَمْري لو رَضِيْتُ كثيبُ
ولو أنَّ ما بي بالحصى فَلَقَ الحصى ... وبالريحِ لم يُسْمَعْ لهنَّ هُبوبُ

أمرضته التُّخَم، فاستلذَّ طعمَ الجوع، وحَمّلَ جِلْدَه على ضعفِ جَلْده خُشونةَ الصوف.

حَمَلْتم جِبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لأعْجَزُ عن حملِ القميص وأضْعُفُ

لاحَ له جمالُ الآخرة، فتثبتت في النظرِ عينُ اليقين، فتمَكّنَ الحُبُّ من حَبّةِ القلبِ، فقام يسعى في جمع المَهْرِ من كسبِ الفقرِ، طالَ عليه انتظارُ اللِّقا، فصارَ ناطورَ البساتين، تقاضته المحبةُ باقي دَيْنِها، فسلَم الروحَ في الغربة، هذا ثمنُ الوصلِ فتَأَخَّرْ يا مفلس.

دُونَ المعالي مُرتقًى شاهقُ ... فَطِرْ إلى ذِرْوَتِهِ أوْ قَعِ
مَنْ لم يخُضْ غمرتَها لم يُشِدْ ... قواعدَ المجدِ ولم يرتفع

كان إبراهيم إسكندريَّ[3] الهِمّة، فاحْتقَرَ قَصْرَ بلخٍ في جنب ما أَمَّلَ، فانتخبَ سوابقَ العزم، وسارَ في جُند الجدِّ، حتى قطعَ ظلماتِ الطبعِ، وبلغَ إلى مطلعِ شمسٍ لا تغرُبُ، شكا إليه صفاءُ القلب من يأجوج وساوس النفس، فاستغاثَ بحامي المَسْكن، فقيل له: شُدَّ سدَّ العزم، فاستظهر بعد الزُّبَرِ بالقَطْرِ[4]، ثم انفردَ

---

(١) في (ب): الغفلة.
(٢) المبتوتة: المطلقة طلاقاً باتّاً.
(٣) إسكندري الهمة: إشارة إلى الرجل الطواف في سورة الكهف.
(٤) وهذا موافق لما في سورة الكهف، وفي (أ): بالزُّبَرِ بعد القَطْرِ.

من جندِ جوارحه فوقعَ بعين الحياة في السر، فعاش بالتوفيق أبد الدهر.

أمـا تقـومـون كـذا أو فـاقعـدوا ... مـا كـلُّ مَـنْ رامَ السمـاءَ يَصعَـدُ
نـام علـى الهـونِ الـذليـلُ ودَرَى ... جَفْـنُ العـزيـزِ لِـمَ بـاتَ يسهـدُ
أَخَفُّكُـم سعيـاً إلـى سـؤددٍ ... أحقكـم بـأنْ يُقـال سيِّـدُ
عـن تعـبٍ أو ردِّ سـاقٍ أولاً ... ومَسَحَـتْ غُـرَّةَ سَبَّـاقٍ يـدُ
لـو شُـرِّفَ الإنسـانُ وهـو وادعٌ ... لقطـع الصمصـامُ وهـو مُغْمَـدُ

* * *

الفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ

الدنيا دار المحن، ودائرةُ الفتن، ساكنُها بلا وطنٍ، واللبيبُ فيها قد فَطِن.

(للمصنِّف):

يـا مَـنْ مـالَ إلـى الـدُّنيـا وصَبَـا — قـد أمْعَـنَ فـي الفـانـي طلبـا
اطلـب مـا يبقـى كيـلا تَشْقـى — واتْبَـعْ حقّـاً ودعِ اللعبـا
وذَرِ الـدُّنيـا فلكـم قَتلـتْ — مَكْـراً بسهـامِ هـوًى وصبـا
بَـرَّتْ ورَعَـتْ فـإذا اجتمعـتْ — خـدعـتْ حتـى قطعـتْ إرَبـا
يـا عـاشقَهـا كـم قـد نَصَبَـتْ — لهـلاكـكَ فـاحْـذَرْهـا سببـا
يـا آمِنَهـا كـم قـد سلبـتْ — ولـداً بَـرّاً، أُمّـاً وأبـا
أيـنَ الجـارُ أمـا قَـدْ جـارَ — فجـارَتْـه حتـى ذهبـا
أم أيـنَ التِّـربُ[1] أمـا تَـرِبَـتْ — خـدّاه[2] أمـا سكـن التُّـرُبـا
كـم خـدّت خَـدّاً فـي الأخـدود — وقـدَّت[3] قـدّاً[4] منتصبـا
كـم ثغـرٍ ملتَثِـم ثَلَمَـتْ — قـد كـان لـراشِفِـه ضَـرَبـا[5]
فسقتـه المُـرَّ لـدى جَـدَثٍ — وكـذاك الـدَّهـرُ إذا ضَـرَبـا[6]
وأتـت قصـراً يحـوي نصـراً — فغـدا وقصـاراه خَـرِبـا
ومليكـاً فـي صَـوْلـة دولـة — أضحـى فـي الحفـرة مغتـربـا
عَـرِّجْ بـالـدار علـى الآثـا — رِ وَسَـلْ طلـلاً أمسـى شَحِبـا[7]
ينبيـكَ بـأنّهـمُ رحلـوا — وثـوى مِـنْ بعـدِهُـمُ الغُـرَبـا

---

(١) التِّربُ: المماثل في العمر.
(٢) تربت خداه: كناية عن الموت والدفن في القبر.
(٣) قدّت: قطعت.
(٤) قدّاً: قامة.
(٥) الضَّرْب: العسل الأبيض الغليظ، وقيل: عسل البرّ.
(٦) ضرب: فرق وشتت وباعد.
(٧) شحباً: متغير اللون باهتاً بعد نُضرةٍ وطلاوةٍ.

بينـــا الإنســـانُ يـــرى رأســـاً فهـــوى رأســـاً فغـــدا ذَنَبـــا
فتـــأمَّـــلْ عـــاقبـــةَ الـــدُّنيـــا فلعلّـــكَ تصبِـــحُ مجتنبـــا
وتـــدبّـــرْ مـــا صَنَعَـــتْ فلقـــد أبـــدتْ بصنـــائعهـــا عجبـــا
ينســـاك الأهـــلُ إذا رجعـــوا عَـــنْ قبـــرِك لا تَسمَـــعْ كـــذبـــا
تـــركـــوك أسيـــراً إذ ذهبـــوا بتـــرابِ ضـــريحِـــكَ محتجبـــا
وغَـــدَوْا فـــرحيـــنَ بمـــا أخـــذوا وغَـــدَوْتَ بـــإثمـــك محتقبـــا[1]
وتـــرى أعمـــالَـــكَ قـــد حَضَـــرتْ فتُنكّـــسُ رأسَـــك محتئبـــا
فَكِّـــرْ فـــي الـــذَّنْـــبِ ومـــا احتقبـــتْ[2] كفَّـــاكَ عليـــكَ ومـــا اكتسبـــا
كـــم بِـــتَّ علـــى ذنـــبٍ فَـــرِحـــاً وغـــدوتَ علـــى ذنـــبٍ طـــربـــا
وعلمـــتَ بـــأنَّ الله يـــرى فـــأســـأتَ ولـــم تُحْسِـــنْ أدبـــا
فـــأعـــدَّ الـــزادَ فمـــا سفـــرٌ كـــالمـــوتِ تـــرى فيـــه نَصَبـــا
وأفِـــقْ والعمـــرُ بـــه رَمَـــقٌ فكـــأنْ قـــد فـــاتَ وقـــد ذَهَبـــا

يا كثيرَ الدَّرَنِ والدَّنَس[3]! يا مَنْ كلّما أقبل انتكسَ! يا مَنْ أُمِرَ بتركِ ما يفنى لما يبقى فعكس، جاء الأجلُ وحديثُ الأملِ هوس[4].

يـا مؤثراً على الصوابِ عينَ الغلط، يا جاريـاً في أمرِه على أقبـحِ نَمَط[5]، يا مضيِّعاً وقتَه المغتنم الملتقط، أيُّ شيءٍ بقي بعد الشمَط[6]؟! أتنسى ما سلفَ لك وفرط[7]؟! وأبوكَ[8] بزلة واحدةٍ هبط، ما عندكَ من التوبة خبرٌ، ولا لها فيك أثرٌ، تتوبُ من الذنبِ، فإذا بَدا لك بدا لك[9].

---

(١) **محتقباً**: محتبساً ومأخوذاً.
(٢) **احتقبت**: اجترحت واكتسبت.
(٣) **الدنس**: الوسخ.
(٤) **هوس**: طرفٌ من الجنون، واختلاط في التفكير وفساد.
(٥) **نمط**: طريقة.
(٦) **الشمط**: بياض الرأس يخالط سواده.
(٧) **فرط**: سبق بغير روية.
(٨) يشير إلى آدم عليه السلام وأكله من الشجرة.
(٩) أي: إذا ظهر لك الذنب مرةً ثانيةً نشأ لك فيه رأي جديد، ففارقتَ الذنبَ مرة ثانية.

مَنْ عَلِم أنّ عندنا حسنَ المآب آب[١]، مَنْ خاف الجزاءَ بما في الكتابِ تابَ، من حذر أليمَ العذاب ذابَ، مَنْ سار في طريق الأنجاب انجاب[٢]، من ذَكَرَ فِعلَ الموت بالأب والجدِّ جَدَّ، من تفكّر في مرارةِ الكاسِ كاس[٣].

ويحك! دَعْ محبةَ الدنيا، فعابرُ السبيل لا يتوطّنُ، وا عجباً تضيعُ منك حبَّةٌ فتبكي، وقد ضاع عمرك وأنت تضحكُ! تستوفي مكيال هواك وتطفف في كيل صلاتك ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ [هود: ٩٥].

تقف ببدنك في المحراب ووجهك ملتفتٌ للجراب[٤]، ما يصلحُ مثلك في الحرب، أنتَ تفضَحُ صفَّ الجهاد، ما تَحْسُنُ الزردية[٥] على مخنَّثٍ[٦].

خمسينَ سنةً في مكتب التعليم وما حَذَقْتَ أبا جاد[٧]، غداً تُوَبَّخُ وقتَ عرض ألواح ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: ٣٧]، بضاعتُك أيام عمرك وقد انتهبها قطاعُ الطريق، ورجعتَ إلى بيتِ الأسفِ بأعدالٍ[٨] فارغةٍ، فانظر لعلّه تَخَلّفَ فيها شيءٌ تعامِلُ به بقيةَ عمرك، فقيمةُ عمرِ المؤمنِ لا قيمةَ له[٩].

سُقْيــاً لِــزَمــانِنَــا الــذي كــان لنــا ... وا فَقْــري أَبعْــدَ ذا الفقــرِ غِنــى؟
مــا أســرعَ مــا تــولّــعَ البيــنُ بنــا ... وا قُــرْبَ منيَّتــي ومــا نِلْــتُ مُنــى

كان (**فُضالة بن صيفي**) كثيرَ البكاء، فدخل عليه رجلٌ وهو يبكي فقال لزوجته: ما شأنه؟.

---

(١) **آب**: رجع.
(٢) **الأنجاب**: جمع نجيب، وهو الفاضل الكريم الحسيب النبيل المتفوق. **وانجاب**: انخرق وانشق وانقطع، وهنا: على معنى استجاب له الطريق.
(٣) **كاس**: عَقَل وتدبر.
(٤) **الجراب**: كيس النقود.
(٥) **الزَّرَدِيَّة**: الدرع.
(٦) **المخنث**: الرجل المتكسر المتثني من لين والمسترخي والساقط ضعفاً، ومن يفعل فعل الخُناث.
(٧) **أبا جاد**: الأوليات والأساسيات في التعليم.
(٨) **أعدال**: جمع عدل: أي: كيس من خيش.
(٩) **لا قيمة له**: أي لا يقدر بثمن، لأن سواه يعوض دونه.

قالت: زعم أنّه يريدُ سفراً بعيداً وما له زاد.

يا هذا! الآخرةُ دارٌ سكانُها الأخلاقُ الجميلةُ، فصادِقوا اليومَ سكانَها لتنزلوا عليهم يومَ القدوم، فإنَّ مَنْ قدِمَ إلى بلدٍ لا صديقَ له به نزل بالعراء.

يا هذا فنيَ العُمرُ في خدمة البَدنِ، وحوائجُ القلبِ كلُّها واقفةٌ، انهض إلى التلافي قبل التلفِ، الكَلف[1] يُداوى قبل أن يصيرَ بهقاً، والبَهق يلاطَفُ قبل أن يصيرَ برصاً، أما سمعتَ في بداية الزلل: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وفي وسطه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤]، وفي آخره: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

أتبكي على معاصيك والإصرار يضحك؟! أتخادعُ التوبةَ وإنّما تمكر بدينك؟!.

رأيـــتُ النـــاسَ خُـــدَّاعـــاً إلـــى جـــانـــب خُـــدَّاع
يعيشـــون مـــع الـــذئـــبِ ويبكـــونَ مـــع الـــراعـــي

ويحك! حَصِّلْ كبريتَ عزيمةٍ قبل أن تقدحَ نارَ توبةٍ، وقبل نزولِ الحرب تُملأُ الكنائنُ[2].

ويحك! لا تطمع أن تخرجَ إلى فضاءِ قلبك حتى تتخلّصَ من رَبَقات[3] نفسِك، كيف لا يَفْتقرُ إلى الرياضة لإزالة الكدر مَنْ أولُ غذائه دمُ الطمثِ[4]؟!.

ابك على ظلامِ قلبك يضيء، إذا بكت السحابُ على الربى تبسَّمت.

يا هذا! تسمع بالكيمياء وما رأيته صحَّ قط، اجمع عقاقيرَ التوبةِ في بوتقة

(١) **الكلف**: شيء يعلو الوجه لونه بين السواد والحمرة. **والبهق**: بياض يعتري الجلد يخالِفُ لونَه، ليس من البرص.
(٢) **الكنائن**: جمع كنانة، وهي وعاءُ السهام، والمعنى: تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه.
(٣) **ربقات**: جمع ربقة: حبل فيه عدة عُرى، يُشَد فيه البهم.
(٤) **الطمث**: الحيض. يشير إلى الدم الذي لولا العلوق لتهتَّك به جدار الرحم فكان حيضاً.

العزم، وأوقد تحتها نارَ الأسى على ما سلفَ، فإن تصَعّدَ منه نَـفَسُ أسَفٍ، صار نحاسُ نحوسِك[1] ذهبَ سعادةٍ.

أترى في بستانِ التوبة ثَمَراً قد توجَّه صلاحُه؟ كأني أشمُّ ريحَ كبدٍ محترقةٍ، أي قلب قد لفحته نارُ الوجدِ ففاح نسيمُه؟.

أحسنُ منظومٍ في سلك الاعتذارِ خَرزُ[2] الذُّلِّ، أحلى نطقٍ بلجَ سَمْعَ القبولِ الاستغفارُ، أطربُ كلامٍ يحرِّك قلبَ الرحمةِ التَمَلُّقُ[3].

يـا مـن بصـدودهـم لقلبـي جـرحـوا وازدادَ بـيَ الغـرامُ لمّـا نـزحـوا[4]
ما جُذْتُ بهم وهم بهجري سمحوا هـذا المطـروحُ تـرى كـم يُطَّـرَحُ

قال (عبد الله بن مرزوق) لغلامه عندَ الموت: احملني فَاطْرَحْني على تلك المزبلة، لعلّي أموتُ عليها فيرى ذُلي فيرحَمني.

عُـودوا وتعطّفـوا علـى قلـبٍ كئيـبٍ لو جِيْبَ لَبانَ فيه حزنٌ ووَجيبُ[5]
يُدْعى للموتِ في هواكم فيجيبُ مَن أَمّلَ مثل فضلِكم كيف يَخيبُ

المذنبُ يأوي إلى الذل والبكاء كما يأوي الطفل إلى الأبوين، بكى أبوكم آدم على تفريطه، حتى جرت الأوديةُ من دموعه[6]، كان كلّما ذكر الجنةَ قَلِقَ، وكلّما رأى الملائكةَ تصعد يحترقُ، تذكّر المعاهِدَ فَحَنَّ.

والــذي بــالبَيْـنِ والبعـد بَـلانـي ما جرى ذكرُ الحِمى إلا شَجاني
حبـذا أهـلُ الحمـى مـن سـاكـنٍ شَفَّنـي الشـوقُ إليهـم وبَـرانـي
كلّمـــا رُمْـــتُ سَلُـــوّاً عنهـــمُ جــذبَ الشـوقُ إليهـم بعنـانـي

---

(١) نحوس: جمع نحس، وهو ضد السَّعْد.
(٢) خرز: جمع خَرَزة، ما ينظم في سلك ليتزين به.
(٣) التملق: التودد بكلام لطيف، والتضرع فوق ما ينبغي.
(٤) نزحوا: رحلوا.
(٥) جيب: قطع. وجيب: خَفْق القلب واضطرابه.
(٦) هذا من باب المبالغات.

أحْسُـــدُ الطيـرَ إذا طــارتْ إلــى أرضِهـــم أو أقلعـــتْ للطيـــرانِ
أتمنَّـــــى أننـــــي أصحبُهـــــا نحـوَهـم لـو أننـي أُعْطَـى الأمـانـي
لا تـزيــدونــي غــرامــاً بَعــدَكــم حَلَّ بي من بُعدكم ما قد كفاني
ذهــبَ العُمْــرُ ولــم أحــظَ بِكُــم وتَقَضَّــى فــي تمنيكــم زمــانــي
يــا خليلــيَّ احفظـا عهـدي الـذي كنتمـا قبـلَ النَّـوى[1] عـاهـدتمـانـي
واذكــرانــي مثــل ذكــري لكمــا فمــن الإنصــاف أن لا تَـنْسَيَــانــي
وســلا[2] مــن أنــا أهــواه علــى أيِّ جُــرْمٍ صَــدَّ عنــي وجفــانــي

* * *

(١) النوى: البعاد.
(٢) سلا: اسألا.

الفصل الثامن عشر

أيها المشغول باللذّات الفانيات! متى تَسْتعدّ لمُلمّات[1] الممات؟! متى تَسْتدركُ هفواتِ الفوات؟! أتطمعُ مع حُبّ الوسادات[2] في لَحاق السادات؟! وأنّى تجعلك مثلهم أنّى وهيهات؟!.

يـا مُـدْمـنَ اللـذاتِ نـاسٍ قبـرَهُ[3] — أُذكـر تهجُّـمَ هـاذمِ اللـذاتِ
احـذَرْ مكـايـده فَهُـنّ كـوامِـنٌ — فـي القلـبِ والأنفـاسِ واللحظـاتِ
تمضي حلاوةُ ما احتقبتَ[4] وبعدها — تبقـى عليـك مـرارةُ التبعـاتِ
يـا حسـرةَ العـاصيـن يـومَ مَعـادِهـم — وَلَـوَ انّهـم سيقـوا إلـى الجنّـاتِ
لـو لـم يكـنْ إلا الحيـاءُ مـن الـذي — سترَ الـذنـوبَ لأكثـروا الحسـرات

يا عظيمَ الجرأةِ! يا كثيرَ الانبساطِ! أما تخافُ عواقبَ هذا الإفراط؟!.

يا مؤثرَ الفاني على الباقي، غلطة لا كالأغلاط، ألك صبرٌ يقاوم ألمَ السياطِ؟! ألك قدمٌ يصلحُ للمشي على الصراط؟! أيعجبك لباسُ الصحّةِ؟! كلا! وثوب البِلا يُخاط ، داءُ المنون داءٌ أعيى على بقْراط[5].

كم رَحّل الموتُ على غارب[6] اغتراب! كم ألحقَ تِرْباً بالأتراب في سِفْرِ التراب، إنّما الموتُ مُخرنبق[7] ليقول، ومُجَرْمِزٌ[8] ليغول[9].

---

(١) **ملمات**: جمع ملمة، وهي النازلة.
(٢) **الوسادات**: كناية عن النوم والكسل.
(٣) في (ب): غدرها.
(٤) **احتقبت**: ارتكبت إثماً.
(٥) **بقراط**: أبقراط: طبيب يوناني من أكبر الأطباء الأقدمين وأشهرهم، نحو (٤٦٠ـ٣٧٧ق.م)، يتعهد الأطباء في قَسَمِهم التقيد بمنهجه الأخلاقي المعروف بقسم أبقراط.
(٦) **الغارب**: ما بين السنام والعنق، ويقال: حبلك على غاربك: اذهب حيث شئت.
(٧) **مخرنبق**: في المثل: (مخرنبق لينباع) أي: ساكت لداهية.
(٨) **مجرمز**: منقبض من اجرَمّزّ ـ بتشديد ـ: انقبض.
(٩) **ليغول**: ليهلك، ليأخذ من حيث لا يدري المأخوذ.

وكـمْ مِـنْ فتًـى يمسـي ويُصبـحُ آمنـاً وقد نُسِجتْ أكفانُه وهو لا يدري!

يا شدةَ الوَجَل عند حضورِ الأجلِ، يا حسرةَ الفَوْتِ عند حضورِ المَوْتِ، يا خَجْلةَ العاصينَ، يا أسف المقصّرين!.

(للحجاج):

إلـى حَتْفِـي سَعَـى قَـدَمِـي أَرَى قَـدَمِـي أَرَاقَ دَمِـي
فَمـا أنْفَـكُّ مِـنْ نَـدَمٍ وَهَـانَ دَمِـي فَهَـا نَـدَمِـي[1]

استلبْ زمانك يا مسلوب! وغالِبْ الهوى يا مغلوب! وحاسِبْ نفسك فالعمرُ محسوب، وامحُ قبيحَك فالقبيحُ مكتوبٌ، وا عجباً لنائم وهو مطلوبٌ، ولضاحِكٌ وعليه ذنوبٌ.

ألا ذكّرانـي قبـلَ أن يـأتـيَ المـوتُ ويُبْنَـى لجثمـانـي بـدارِ البلَـى بيـتُ
وعـرفنـي ربـي طـريـقَ سـلامتـي وبصّـرنـي، لكننـي قـد تعـاميـتُ
[وقالوا مشيبُ الرأس يَحْدو إلى البلى فقلتُ: أراني قد قربتُ فأُدْنيتُ][2]

أين الدموعُ السواجمُ[3] قبل المنايا الهواجم؟! أين القلقُ الدائمُ للذنوبِ القدائم؟! أترى أثَّرتِ الملاوم[4] في هذه الأقاوم؟!.

أيها القاعدُ والموتُ قائم، أنائمٌ أنتَ عن حديثنا أم متناوم؟! لا بدّ - والله - من ضربةِ لازمٍ، يُقْرعُ لها سنُّ نادمٍ، لا بدّ من موجِ هولٍ متلاطمٍ، ينادي فيه نُوحُ الأسى ﴿لَا عَاصِمَ﴾ [هود: ٤٣][5]، لا بدّ من سقم السالم يَنسى فيه يا أمَّ سالم.

يـا مَـنْ سَيَنْـأى عـن بَنيـهِ كمـا نـأى عنـهُ أبـوهُ

---

(١) **فها ندمي**: ها وهاءِ: هاتِ، تقول: ها يا رجل وهاءِ، وهائي يا امرأة. وندمي: أسفي.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) **السواجم**: جمع ساجمة، وعين ساجمة: يقطر دمعها.
(٤) **الملاوم**: من اللوم، وهو: العذل.
(٥) **لا عاصم**: يشير إلى جواب نوح عليه السلام لابنه حين دعاه إلى السفينة فقال: سآوي إلى جبل. فقال له نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

مثّــلْ لنفسِــكَ قــولَهــم: جــاءَ اليقيــنُ فــوَجِّهُــوهُ
وتحللــوا مِــنْ ظُلْمِــهِ قبــلَ الممــاتِ وحَلِّلُــوه

يا مؤخراً توبتَهُ بمُطْلِ التسويفِ ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [المرسلات: ١٢]، كنت تقول: إذا شِبْتُ تبتُ، فهذي شهور الصيف عَنّا قد انقضت[1]، قدّر أنَّ الموتَ لا يأتي إلا بغتةً! أليسَ مرضُ الموتِ يَبْغَتُ؟!.

ويحك! قد نفدَ السليطُ[2] فاستدرك ذُبالةَ[3] المصباحِ، في كلِّ يوم تضعُ قاعدةَ إنابةٍ، ولكنْ على شفا جُرُفٍ هارٍ، كم تعزِمُ على طاعةٍ وتوبةٍ، يا لَيْليَّ الهوى ما يبصِرُ نوبةً[4]، تبيتُ من العزمِ في شِعار[5] (أُويس)، فإذا أصبحتَ أخذت في طريق (قَيْس)، تنقضُ عُرى العزائم عروةً عروة، وكلُّ صريع بالهوى رفيق (عروة)[6]، كم دفنتَ كثيراً من الأعزة؟ وما يرجع (كُثَيِّرٌ) عن حُبِّ عَزّة.

جُنونُك مجنونٌ ولَسْتَ بواجدٍ طبيباً يداوي من جُنونِ جنونِ

خُلق قلبُك صافياً في الأصل، وإنّما كَدّرته الخطايا، وفي الخَلْوة يركدُ الكدرُ، تلَمّحْ سببَ هذا التكديرِ، فما يخفى الحالُ على مُتلمِّحٍ.

كنتَ مقيماً في دار الإنابة نظيفاً، فسافرْتَ في الهوى فعلاك وسخٌ، أفلا تحِنُّ إلى النظافة؟! ألا يُحرِّكُ البدويَّ ذِكْرُ نجد؟! طال مرضُك فاليوم بُحران[7]، أتدري ما البُحْران، تجتمع القوةُ والمرضُ فيختصمانِ، فإن غلبَتْه جاءت العافيةُ، وإن غلبها فالهلاكُ، هذه ساعةُ بُحْرانِكَ، والعقلُ يُقاوِمُ الهوى، فانظرْ مَنْ يغلِبُ؟

---

(١) **هذا شطر بيت في قصيدة لقيس بن الملوح:**
فهذي شهور الصيف عنَّا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا

(٢) **السليط**: كل دهن عُصر من حَبٍّ.

(٣) **الذبالة**: الفتيلة.

(٤) **نوبة**: فرصة، وواحدة النوب، وناب إلى الله: تاب.

(٥) **الشِّعار**: ما وَلِيَ الجسد من الثياب، يشير إلى قرب حاله من حال أويس رضي الله عنه.

(٦) **عروة وقيس وكثير**: من عشاق العرب عرف أولهم بعفراء، وثانيهم بليلى، وثالثهم بعزة.

(٧) **بُحران**: مريض، وفي القاموس: بُحران المريض، مُوَلّد، وهذا يومُ بُحران، مضافاً. وفي لسان العرب: الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً، يقولون: هذا يومُ بحرانٍ.

وا عجباً كيف يَسْتأسِرُ أسدٌ لثعلبٍ؟! يا مستهاناً في خدمةِ النفس، أُخرجْ إلى ديارِ القلبِ تُعَزّ.

الفِيَلَةُ في الهند عواملُ تَنقلُ رحالَ القومِ وتخدمُهم، فإذا خرجَتْ إلى من يعرف قدرها أُكرمت.

العُودُ في بلادِه خَشَبٌ، فإذا سُوفِرَ به إلى طالب الطِّيب أعِز.

تفّاحُ أصبهانَ في بلده فاكهة، فإذا جيءَ به إلى العراق دلّ على الطباعِ اللطيفة بِريحهِ.

الفهدُ في الصحراءِ بَهيمةٌ، فإذا وقع بِيَدِ مَنْ يعرفه، غضبَ فيُترَضَّى.

البازي في البرية طائر، فإذا صِيدَ فسريرُه كفُّ الملك.

يا مختارَ الكونِ! وما يَعرِفُ قَدْرَ نفسِه، أما أَسْجدتُ الملائكةَ بالأمسِ لك، وجَعَلْتُهم اليومَ في خدمتكَ؟! لما تكبّرَ عليك إبليسُ ـ وقد عَبَدَني سنين ـ طردتُه، أَفَتُصافيه على خلافي؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: ٥٠]، أنا القائلُ قبلَ وجودِ أبيك للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، اِطلعوا من خَوْخاتِ تَعَبُّدكم، فانظروا ما أصنعُ، أخذتُ قبضةً من ترابٍ، فصببْتُ عليها قطراتٍ من ماء ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، قال الترابُ والماء: وأيُّ قدْرٍ لنا؟ فنزل دارَ تواضعهما عزيزُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، فانضمَّ صدفُ(١) بحرِ البدنِ على دُرِّ القلْبِ، فانعقدَ وصَلَحَ عَرشاً لصفة «**ويسعني**»(٢).

خلا المثَقِّفُ(٣) بالطفل داخلَ البيت، فسطّر في لوحِ سرّه القلمُ ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأخرجه يومَ التخيير وقد حَذَقَ(٤) المكتوب ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، ثم قيل له: لا يحتمل موضعُ الخُلع وجودَ دُرِّ البذر، فاخْرُجْ إلى عالمِ الطَّبْعِ ـ أكلتِ يا دودةَ القزِّ فاذهبي

---

(١) **صدف**: غشاء الدر، وواحدته بهاء: صَدَفة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) **المثقف**: المربي.

(٤) **حذق المكتوب**: مهر فيه.

إلى الغَزْلِ، وتشاغلي بالنسج - فنزل إلى دار المجاهدةِ، فظهر من ثمرةِ شجرتِه، صبرُ الخليل، وثبوتُ الذبيح، وجهادُ يوسف، وكمالُ محمد ﷺ، ثم جاء أولياء في هذه الدولة، فخجلتْ عند زهدهم الرهَبَة[1]، لا بل سبقوا تعبدَ الملائكة.

قال (سَرِيّ): ما فاتني وِرْدٌ قط فقدِرْتُ على إعادته، وذلك أنَّ الزمانَ الذي مضى فيه وظيفةٌ أخرى.

ما لي شُغْل سواه ما لي شُغلُ ... ما يصرفُ عن هواه قَلْبي عَذْلُ
ما أصنعُ إنْ جفا وخابَ الأملُ ... مني بدلٌ ومنه ما لي بدلُ

كانت (**ريحانةُ العابدةُ**) تقومُ من أول الليل، وتقول:

قامَ المحبُّ إلى المؤمَّلِ قومةً ... كادَ الفؤادُ من السرورِ يطيرُ

فإذا انقضى الليلُ، صاحَتْ: وا حَرَباه[2]، وا سَلَباه.

ذهبَ الظلامُ بأُنسه وبأُلفه ... ليتَ الظلامَ بأُنسِهِ يتجدَّدُ

دخلوا على (**زجلةَ العابدة**)، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: والله لأصلّينَّ لله ما أقلّتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيامَ حياتي، ولأبكينَّ ما حملتْ الماءَ عيناي.

لا أقبلُ نصحَكم فَخَلُّوا عَذْلي ... ما أَعْذَبَ في الغرام طعمَ القَتْلِ
إنْ طُلَّ دمي فكم محبٌّ مثلي ... قد ضُرِّج باللِّحاظِ لا بالنَّبْلِ

أينَ أنتَ من الأحبابِ؟! كم بين القُشورِ واللُّباب؟!.

(الصرَّدُرّ)[3]:

هل مُدْلِجٌ عندَه من مُبْكِرٍ خبرُ ... وكيفَ يعلمُ حالَ الرائِح الغادي؟

---

(١) **الرَّهَبة**: جمع راهب.

(٢) **الحَرَب**: أن يسلب الرجل ماله.

(٣) من قصيدة له يمدح فيها الوزير ابن جهير. انظر: الديوان، ص١٠٥.

يا معجَباً بتعبّده! تأمّلْ فضائلَ السابقين، وقد هَدرْتَ شقاشِقَ كِبْرِك، النظرُ في سيرهم قَرَظٌ[1]، يجفف عفنَ الرعونةِ، مضى ـ والله ـ أهلُ المعاني، وتخلّفَ أربابُ الدعاوي.

هـاتيـك ربـوعُهـمُ وفيهـا كـانـوا ... بـانـوا عنهـا فليتهـمْ مـا بـانـوا
نـاديـتُ وفـي حُشـاشتـي نِيـرانُ ... يـا قـومُ متـى تحـوَّلَ السكـانُ؟

* * *

(١) قرظ: ورق السلم يدبغ به الأديم.

الفصل التاسع عشر

عجباً لراحلٍ ماتَ وما تزوّدَ للرحلةِ! ولمسافرٍ ماجَ وما جمعَ للسفرِ رَحْلَه، ولمنتقلٍ إلى قبرِه لم يتأهّبْ للنُّقلة، ولمُفرِّطٍ في أمرِه لم يستشرْ عقله.

(الصَّرَّدُر)[1]:

لا مريةٌ في الردى ولا جَدَلُ ... العمرُ دَيْنٌ قضاؤه الأَجَلُ
للمرءِ في حَتْفِ نفسِه[2] شُغُلٌ ... فما تريدُ السيوفُ والأَسَلُ[3]
يَفْري الدُّجَى والضحى بأسلحةٍ ... سِيّانَ فيها الدروعُ والحُلَلُ
كأسٌ أُديرتْ[4] على لذاذتِها ... عُدّل فيها الزُّعافُ[5] والعَسَلُ
كلٌّ إلى غايةٍ يصيرُ، ولا ... تمييزَ إلا الإسراع والمَهَلُ
والناسُ ركبٌ يَهْوَوْن حثَّهمُ ... ولا يُسَرُّون أنَّهم نُزُلُ
وسوفَ تُطوى مسافةٌ ذَمَلت[6] ... بقاطعيها رَكائبٌ ذُلُلُ[7]
كيفَ يَعُدُّ الدُّنيا له وطناً ... مَنْ هُوَ عنها ينأى وينْتقِلُ
نَسْخوا بأعمارِنا ونبخَلُ با ... لمالِ فتَبَّ السخاءُ والبَخَلُ
أضاعَ راقي الداءِ العُضالِ كما ... ضَيَّع في سَمْعِ عاشقٍ عَذَلُ
ولو نجا الهائبُ الجبانُ من ... الموتِ[8] تحامى إقدامَه البطلُ

---

(١) قاله يعزي أبا القاسم بن أيوب في زوجة أبيه أبي المعالي بن عبد الرحيم. انظر: ديوانه، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٣هـ، ص١٤٥.

(٢) في الديوان: (أنفه).

(٣) **الأسل**: الرماح.

(٤) في الديوان: (أدرت).

(٥) **الزعاف**: السمّ القاتل. أي: تساوي السم والعسل.

(٦) **ذملت**: يقال: سارت الذميلَ، والذميل: ضرب من السير.

(٧) **ذلل**: جمع ذلول؛ بيّنة الذل موطأة الأكناف.

(٨) في الديوان: (الحتف).

مـا أسلمـوا هـذه النفـوسَ إلـى ... الأجـداث إلا إذْ ضـاقـتِ الحِيَـلُ
ضـرورةٌ ذلّـت القُـرومُ[١] لهـا ... وقـد تقـودُ المصاعـبَ الجُـدلُ[٢]
ومن حـذارٍ تبـوَّأَ الكـديـةَ[٣] الضَّـبُّ ... وأوفـى[٤] الشـواهِـقَ الـوَعِـلُ
يُقـادُ فـي عـزّه الخَبَعْثَنَـةُ[٥] الضا ... ري ويُـدْهـي[٦] فـي ذلِّـه الجُعَـلُ
وهـل يـرُدُّ الأحبـابَ إن ظعنـوا[٧] ... علـى محـبٍّ أن ينـدبَ الطلـلُ

إخواني! مرَّ الأقران على مدرجةٍ، وخيولُ الرحيل للباقين مُسْرَجةٌ، سارَ القومُ إلى القبورِ هملجةً[٨]، وباتت أرواحٌ من الأشباح مستخرجةً، إلى كم هذا التسويفُ والمَجْمَجَةُ[٩]؟! بضائعكم كلُّها بهرجةٌ[١٠]، وطريقُكم صعبةٌ عوسجةٌ[١١]، وستعرفونَ الخبرَ وقتَ الحشرجة[١٢].

يا من قد ساخَ في الأوساخ إلى كم تُملي[١٣]؟! أتعبتَ[١٤] النُّساخَ.

يا من ضيَّعَ الشبابَ، وما يسمعُ العتابَ، وقد شاخَ، بادِرْ صُبابةَ[١٥] القُوى، واستدرك باقي الطِّباخِ[١٦]، وتأهّبْ للرحيلِ فما هذه الدنيا بمَناخ[١٧]،

---

(١) **القروم**: جمع قَرم، وهو السيد المعظم.
(٢) **الجدل**: جمع جديل، وهو الحبل المجدول من أدم، يكون في عنق البعير أو الناقة.
(٣) **الكدية**: الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحراً.
(٤) **أوفى**: يقال: أوفى على الجبل: أشرف.
(٥) **الخبعثنة**: الأسد.
(٦) **يُدهي**: يصيب بداهية.
(٧) في الديوان: (رحلوا).
(٨) **هملجة**: حسن سير الدابة في سرعة.
(٩) **المجمجمة**: المجماج هو المسترخي الرهل.
(١٠) **البهرج**: الباطل والرديء من الشيء.
(١١) **العوسجة**: شجرٌ فيه شوك، له ثمر كخرز العقيق.
(١٢) **الحشرجة**: تردد النفس في الحلق، وحشرج المحتضر: أوشك أن يموتَ.
(١٣) **تملي**: من أملى: استكتب، أي: جعله يكتب.
(١٤) **أتعبت النساخ**: كناية عن المبالغة في كثرة إملاء الذنوب والآثام.
(١٥) **صبابة**: بقية الشيء.
(١٦) **الطباخ**: القوة، ورجل به طباخ: به قوة وسمن، ووجد طُباخ.
(١٧) **مناخ**: من أناخ: أي: نزل، ومعناه: أن الدنيا ليس بدار مقام وبقاء.

كم باتَ مزمارٌ في بيتٍ فأصبحَ فيه الصُّراخُ.

أينَ مَنْ حَصَّنَ الحصونَ واحترس[1]، وعمّرَ الحدائقَ وغرس، ونصبَ سريرَ الكِبْرِ وجلس، وظنَّ بقاء النفس فخاب الظنُّ في نَفَس، نازلَه الموتُ فلمّا أنزلَه عنِ ظهر الفرسِ فُرِس[2]، ووجَّه وجهه إلى دارِ البلى فانطمسَ، وتركه في ظلامِ ظُلْمةٍ بين العَيْبِ والدَّنس؟ فالعاقلُ من بادرَ الندامةَ، فإنَّ السلامةَ خُلَس[3].

(لابن المعتز):

ألا مَنْ لقلبٍ في الهوى غيرِ منتهٍ وفي الغيِّ مِطْواعٌ وفي الرُّشدِ مُكْرَهِ
أُشاوِرُهُ في توبةٍ فيقولُ: لا فإنْ قُلتُ: تأتي فتنةٌ[4] قال: أينَ هِي؟

سابقةُ القَدَرِ قضَتْ لقومٍ، وعلى قومٍ قضت، بدليل ﴿سَبَقَتْ لَهُم﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، تلقيحُ ﴿سَبَقَتْ﴾ نوَّر قلوبَ الجن ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، وخذلانُ ﴿غَلَبَتْ﴾ أعمى بصائرَ قريش ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

إذا هُزت صوارمُ القدر، تقلقلَتْ رقابُ المقرّبين، غَضِبَ على قومٍ فلم تنفعْهم الحسناتُ، وَرَضيَ على قوم فلم تضرَّهم السيئاتُ، ما نَفَعَت عبادةُ **إبليس**، ولا ضرَّ عنادُ **السحرةِ**.

هبَّتْ عواصفُ الأقدار في بيْدِ الأكوان، فتقلّبَ الوجودُ وعمَّ الخبر، فلمَّا ركدتِ الريحُ، إذا (**أبو طالب**) غريقٌ في لُجَّةِ الهلاك، و(**سلمانُ**) على ساحلِ السلامةِ، و(**الوليدُ بنُ المغيرة**) يَقْدُم قومَهُ في التيه، و(**صهيبٌ**) قد قدِمَ بقافلةِ الرومِ، و(**أبو جهل**) في رقدةِ المخالفة، و(**بلالٌ**) ينادِي: الصلاةُ خيرٌ من النوم.

لما قُضيتْ في القِدم سلامةُ (**سلمان**) أقبلَ يناظِرُ أباه في دين قد أبَاه[5]، فلم

---

(١) **احترس**: تحفَّظ وتوقّى.
(٢) **فرس**: كُسر عنقه.
(٣) **خلس**: جمع خُلسة: فرصة تغتنم.
(٤) **تأتي فتنة**: أي أتقارف شهوةً حراماً.
(٥) **أباه**: رفضه.

يعرفْ أبوه جواباً إلا القيد، وهذا الجواب المرذول قديمٌ من يوم ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ [الأنبياء: ٦٨] ، فنزل به ضيف ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] ، فنال بإكرامه مرتبةَ «**سلمان منا**»[١] .

سمعَ أنَّ ركْباً على نيّةِ السفرِ، فسَرَقَ نَفْسَه من حرزِ أبيه، ولا قَطْعَ[٢] ، فوقفَ نفسَه على خدمةِ الأدلاّءِ[٣] وقوفَ الأذلاّءِ، فلما أحسَّ الرهبانُ بانقطاع دولتِهم، سلّموا إليه أعلامَ الإعلامِ على علاماتِ نبيِّنا محمد ﷺ، وقالوا له: إنَّ زمنَه قد أظلَّ، فاحْذرْ أنْ تَضِلَّ، وإنّه يخرجُ بأرضِ العربِ، ثم يهاجِرُ إلى أرضٍ بين حَرَّتينِ، فلو رأيتموه قد فَلَى الفلا[٤] والدليلُ شوقُه، وخَلَى الوطن خلاءً يزعجُه توقُه[٥] .

(لأبي العلاء المعريّ):

وأبغضتُ فيكِ النَّخلَ والنّخلُ يانِعٌ ... وأَعْجَبَنِي مِنْ حُبِّكِ الطَّلْحُ[٦] والضّالُ
وأهوى لجرّاكَ السَّماوةَ[٧] والغَضَا[٨] ... ولــو أنَّ ضيفَيْــهِ وُشَــاةٌ وعُــذَّالُ

رحلَ مع رفقةٍ لم يرفقوا ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠] ، فابتاعه يهوديٌّ بالمدينة، فلمَّا رأى الحرَّتينِ توقّدَ حرُّ شوقِه، وما علمَ المنزلُ بِوجْدِ النازلِ.

---

(١) يشير إلى حديث النبي ﷺ: «**سلمانُ منّا آلَ البيت**» رواه الطبراني والحاكم، ورمزَ له السيوطيُّ بالصحةِ.
(٢) **ولا قَطعَ**: أي لا حدَّ على هذه السرقة.
(٣) **الأدلاّء**: يريدُ الرهبان الذين عندهم علمٌ بنبيِّ آخرِ الزمانِ رسولِنا محمَّدٍ عليه أفضل الصلوات وأتم السلام.
(٤) **فلى الفلا**: قطع الفلاةَ في رحلة الهجرة.
(٥) **توق**: اشتاق ونزِع إليه.
(٦) **الطلحُ**: شجر عِظَام من العضاه ترعاهُ الإبل.
(٧) **السماوة**: موضع بالبادية ناحية العواصم (مختار الصحاح).
(٨) **الغضا**: شجر خشبُه من أصلب الأخشاب، وجمرُه يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، وأهل الغضا: أهلُ نجدٍ لكثرتِه هنالك.

(للمتنبي)[1]:

أيــدري الــرَّبــعُ أيَّ دمٍ أراقــا؟ وأيَّ قلـوبِ هـذا الـركـبِ شـاقَـا
لنـــا ولأهلِـــهِ أبـــداً قلـــوبٌ تـلاقـى فـي جسـومٍ مـا تـلاقـى

فبينا هو يكابِدُ ساعاتِ الانتظارِ، قدمَ البشيرُ بقدومِ البشيرِ، و(سلمانُ) في رأسِ نخلةٍ، فكادَ القلقُ يلقيه، لولا أنَّ الحزمَ أمسكَهُ، كما جرى يوم ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ [القصص: ١٠]، ثم عجَّل النزول، ليلقى ركب البشارة[2].

خَليليَّ من نجدٍ قِفا بي على الرُّبى فقـد هـبَّ مـن تلـكَ الـرسـومِ نسيمُ

فصاحَ به المالكُ: ما لكَ ولهذا؟ انصرفْ إلى شُغْلِكَ. فأجابَ لسانُ وجْدِه:

كيف انصرافي ولي في داركم شغل

فأخذَ يضربه فأخذ حاله يترنَّمُ لو سمع الأُطروش.

خليلـــيَّ لا واللهِ مـــا أنـــا منكُمـــا إذا عَلَـــمٌ مـــن آلِ ليلـــى بـــدا ليـــا

فلمّا لقيَ الرسولَ عرضَ نسخةَ الرهبانِ بكتابِ الأصلِ، فوافق ووافق[3].

يا محمّدُ! أنت تريدُ أبا طالب ونحنُ نريدُ سلمان.

أبو طالب إذا سئل عن اسمه، قال: عبد مناف، وإذا انتسبَ افتخر بالآباء، وإذا ذكرتِ الأموالُ عدَّ الإبلَ.

وسلمان إذا سئل عن اسمه قال: عبد الله، وعن نسبه، قال: ابن الإسلام، وعن لباسه قال: التواضع، وعن طعامه قال: الجوعُ، وعن شرابه قال: الدموعُ، وعن وِسادِه قال: السهر، وعن فخره قال: «سلمانُ منا»، وعن قصده، قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) انظر: ديوان شعره، ص٢٧٨.
(٢) في (ب): السيارة.
(٣) فوافق ووافق: أي وافق ما عنده من علامات النبوة التي تلقاها عن أهل الكتاب مما اتصف به رسول الله ﷺ، ووافقه فتشهّدَ شهادَةَ الحقِّ وأعلنَ إسلامه.

(للشبلي):

إنَّ بيتـــاً أنـــتَ ســـاكنُـــه غيـــرُ محتـــاجٍ إلـــى السُّـــرُجِ
[وعليـــلاً أنـــتَ زائِـــرُهُ قـــد أتـــاهُ اللهُ بـــالفَـــرَجِ][1]
وجهُـــكَ المـــأمـــولُ حُجَّتُنـــا يـــومَ يـــأتـــي النـــاسُ بـــالحُجَـجِ

* * *

(١) زيادة من المطبوع.

الفَصْلُ العِشْرُونَ

يا مَنْ يمشي على ظُهورِ الحُفَر، ويرى السابقينَ إلى بيوتِ المَدَر، لو أصغى سمعُ التدبيرِ لسمعَ العِبَر، كفى بالموتِ واعظاً يا عمر[1].

لأبي العتاهية[2]:

وعظتْـــك أجــداثٌ خُفُـــتْ — فيهـــنَّ أجســـادٌ سُبُـــتْ
وتكلَّمَـــتْ لـــكَ بـــالبِلَـــى — مِنهـــنّ ألسنـــةٌ صُمُـــتْ
وأرتْـــك قبـــرَكَ فـــي القبـــورِ — وأنـــتَ حـــيٌّ لـــم تَمُـــتْ

يا سادراً في سُكْرِ سرورِه، ويا سادلاً ثوبَ غرورِه، كأنّك بك قد اقتعدتَ غارِبَ الغُربة، واستبدلْتَ بالأترابِ التربة، سَيَقْسِمُ مالَكَ من لا يحمدُك، وستَقْدُم على من لا يعذُرُك، غداً يرجِع الحبيبان عنك: حبيبُك من أهلِكَ يقسمُ حبيبَك مِنْ مالِكَ، وأنتَ في قفرِ الفقرِ إلى ما أسلفتَ، تبكي على ما خَلَّفْتَ، بين أناسٍ كلُّهم أسيرُ الفرَق، وجميعُهم على مهادِ القَلَقِ.

مَحَلــةُ سَفْــرٍ كــان آخــرَ زادِهــمُ — إليـه متـاعٌ مِـنْ حَنـوطٍ ومـن خِـرَقِ
إلـى مَنْـزلٍ سَـوَّى البِلـى بيـنَ أهلِـه — فلم تَسْتَبِن فيه المُلوكُ مِنْ السُّوَقِ

إلى متى تبقى بدائك؟ أهذا الذي تفعلُه براؤك؟ لقد حلّ فَناؤك بفِنائك، وأخبرَ انتقاضُ بنائك بِنَأْيِك، وإنَّ وراءَك طالباً لا تفوتُه، وقد نُصبَ لك علمٌ لا تجوزُه، فما أسرعَ ما يدرِكُكَ الطالبُ، وما أعجلَ ما تبلُغُ العلَمَ.

---

(١) **كفى بالموت واعظاً**: أثرٌ ضعيفٌ جدّاً، كما قال العراقي، لأنّ فيه الربيع بن بدر، وهو متروك، وقد رواه الطبراني عن عمار كما في كنز العمال: ١٥/ ٥٤٧، وكان نقشُ خاتم سيدنا عمر: (كفى بالموت واعظاً يا عمر).

(٢) انظر: ديوان شعره، ص٧٨ ـ ٧٩.

إخـواني! هذا الموتُ قد غـدا يقول: الرحيلُ غداً، كيف بكم إذا صاحَ إسرافيل في [الصور][(١)] بالصُّوَر؟ فأسمعَ العظامَ الباليةَ تحتَ المدَر، فاجتمعتْ من بطونِ السباع، وحواصلِ الطيرِ، وقـامتْ تبكي على فـواتِ الخيرِ، وسـارَ الخلائقُ كلُّهم حُفاةً عراةً، كلٌّ منهم مشغولٌ بما عَراهُ[(٢)]، وقد رُجَّتِ الأرضُ، وبُسَّتِ الجبالُ، وذهلتِ العقولُ، وشابتِ الأطفالُ.

أيـا نفـسُ حقُّـكِ أن تَجْـزعـي ... ويـا عيـنُ إيـاكِ أنْ تَهْجعـي
ويـا أُذُنـي إنْ دعـاكِ الهَـوَى ... فـإيـاكِ إيـاكِ أنْ تَسمعـي
وبـالله يـا جَفْـنَ عينـي القَـريـحَ ... ضَـرِّجْ بفيـضِ الـدِّمـا أدْمُعِـي
ويـا كُـلَّ جـارحـةٍ لـيْ عليـكِ ... حفيـظٌ فـابْكـي ونُـوحِـي معـي
يسيـرُ بنـا الـدَّهـرُ مِـن مَـوْضـعٍ ... نُـرحَّـلُ عنـه إلـى مَـوْضِـعِ
إلـى حيـثُ لا العيـنُ فيـه تَـرى ... ولا الأذْنُ إنْ خـاطبـوهـا تعـي
فيـا ويلَنـا مِـنْ طـريـقٍ هنـاكَ ... طـويـلٍ بعيـدِ المـدَى مُسبِـعِ[(٣)]

يا أهلَ الذنوبِ والخطايا! ألكم صبرٌ على العقوبة؟ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١٥]، إذا شاهدتَ من اشترى لذةَ ساعةٍ بعذاب سنين ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، من أراد النجاةَ منها فليتب ﴿قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

كيف أمِنَ العُصاةُ وعيدَ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]؟! كيف نَسُوا غِبَّ[(٤)] الزلل؟! ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨].

إخواني! مَثِّلوا أهلَ الجنَّةِ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٨٥]، و﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، ومعهم تـوقيع ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢]، فلما وصلوا إلى الجنان ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾، وبَدَأهم الخزنةُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾، وبشّروهم بالبقاء الدائم: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقرأت

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) **بما عراه**: أي بما نابه ونزل به.
(٣) **مسبع**: كثير السباع.
(٤) **غِبّ**: الغب من كلِّ شيءٍ عاقبتُه وآخرُه.

الأملاكُ من سِجلِّ الإملاك مبْلغَ الثمن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، وجميعُ المراداتِ داخلةٌ في إقطاع ﴿مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]، وقد استُرْجِحَ في الميزان ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وأتمُّ التمام ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وهـــذا الســـرورُ بتلـــكَ الكُـــرَبْ وهـــذا النعيـــمُ بـــذاكَ التّعَـــبْ

ويحك! ميّزْ بعقلِكَ [وحسّك][1] بين الدارينِ، وأحضر الذنبَ والعقابَ والمَخْ العاقبتين.

هذا الحيوانُ البهيمُ ينظرُ في العواقبِ، هذا **الأَيْلُ**[2] يأكلُ الحياتِ، فيشتدُّ عطشُه فيحومُ حولَ الماءِ، ولا يشربُ، لعلمه أنَّ الماءَ يُنفِذُ السمومَ إلى أماكن لا يبلغُها الطعامُ، ومن عادتِه أنَّه يسقطُ قرنُه كلَّ سنةٍ، وهو سلاحُه، فيختفي إلى أن ينبتَ.

هذه **الحيةُ** تختبئ طولَ الشتاءِ بالأرضِ، فتخرجُ وقد عشيَ بصرُها، فتحكُّه بأصولِ الرازايانجِ لأنَّه يزيلُ العشا.

هذا **الفهدُ** إذا سَمِنَ علمَ أنَّه مطلوبٌ وشحمُه يمنعه من الهرب، فهو يسترُ نفسَه إلى أن ينحلَّ الشحمُ.

هذه **النملةُ** تدَّخِرُ في الصيفِ للشتاءِ، فإذا خافتْ عفنَ الحبِّ أخرجته إلى الهواءِ، فإذا حذرتْ أن ينبتَ نقرت موضعَ القطميرِ[3].

أَسَمِعْتَ يا مقطوعَ الحيلةِ؟ متى تَدَّخِرُ من صيفِ قوتِكَ إلى شتاءِ عَجْزِك؟ هذه السمكةُ إذا حبستْها الشبكةُ جَمزَتْ[4] بكلِّ قُوَّتها لتقطعَ الحابِسَ، لو نهضتَ بقوَّةِ العزمِ لا نخرقتْ شبكةُ الهوى.

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) **الأيل**: الوعل.

(٣) **موضع القطمير**: الشق في الحبة والنواة.

(٤) **جمزت**: وثبت.

إذا مدَّ النهر اغتنمتْ هذا المدَّ الزنابيرُ ، فبنتْ منه بيوتاً ، لأنَّه لا يصلحُ لها غيرُه ، مدَّ بحرُ الشباب وما بنيتَ بيتَ جِدّ ، فحَدِّثني ما الذي تصنعُ في القَحْلِ؟! إن فاتك زمنُ المدِّ ، فمَدُّ اليدِ للسؤالِ حيلةُ المفلسِ.

يا مُحصَراً عن الوصول لا يجزئُهُ الهَدْيُ ، يا منقطعاً في الطريق عن جملةِ الوفدِ ، تحامَل إلى بعضِ خِيَمِ أهل الوصلِ ، وأشهدْ على وصيتِكَ ذَوَيْ عدل ، ونادِ في النادي بصوتِ الذُّل:

وإذا وَصَلْتـمْ سـالميـنَ فبلِّغـوا   تحيةَ مَنْ قدْ ظنَّ أنْ لا يرى نجدا

ابسُط في الدجى يدَ الطلبِ ، فأطيبُ ما أكلَ الرَّجُلُ مِنْ كسبِ يده ، وقُلْ بلسانِ التملُّقِ:

أحبـابَنـا أنـا ذلـك العبـدُ الـذي   راعَيْتمـوهُ نـاشِئـاً وَوَليـدا
حالتْ به الأحوالُ بعد فِراقِكُمْ   فـرَمَـى بِـأُسْـرَتِـه وجـاءَ فـريـدا

وإذا جلستَ في ظلامِ الليلِ بين يدي سيدِك ، فاستعمل أخلاقَ الأطفالِ ، فإنَّ الطفلَ إذا طلبَ من أبيه شيئاً فلم يعطِه بكى عليه:

بَلَغَ المُنى مَنْ حلَّ في وادي مِنَى   غيْـري فـإنِّـي مـا بلغـتُ مُـرادي
وبكَيْتُ مِنْ ألمِ الفراقِ وشِقْوتي   فبكى الحجيجُ بأسرِهم والوادِي

يا مَنْ قد نزلَتْ به بليةُ الطَّرْدِ ، تَروَّحْ إلى حديثِ المناجاةِ وإن لم يُسمع منك ، وابعث رسائلَ الأحزانِ مع رياحِ الأسحارِ ولو لم تصل.

يـا نسيـمَ الصَّبـا بَلِّـغْ خطـابـي   واشفِ مني الجَوى بِحَمْلِ الجوابِ
طُفْ بساحاتِ ذلك الرَّبعِ واحملْ   ذرةً مِـنْ تُـرابِ ذاك الجنـابِ
قُلْ لمولاي يا مُنى الروحِ والقلبِ   ومَـنْ فيـهِ ذلَّتـي وانْتِحَـابـي
كنتُ أخشى الوُشاةَ فيكَ ولكنْ   جفوةُ الحُبِّ لم تكنْ في حسابي

* * *

الفصل الحادي والعشرون

يا ساعياً لنفسه في المهالك! دنا الرحيلُ، نِضْوُ[1] النُّقْلة[2] بارِك، متى تذكرُ وحشتَك بعدَ إيناسك؟ متى تقتدي من ناسِكَ بناسِك[3]؟ كأنّك بك قد خرجتَ عن أهلِكَ وولدِك، وانفردتَ من عَددِكَ وعُددِك[4]، وقتلَكَ سيفُ الندمِ ولم يَدِك[5]، ورحلتَ ولم تحصِّلْ من ندمِكَ إلا عَضَّ يَدِك[6].

كأنّكَ لم تَسْمعْ بأخبارِ مَنْ مضَى ... ولم تـرَ في الباقين ما يصنـعُ الدّهْرُ
فـإنْ كنـتَ لا تـدري فتلـك ديـارُهـم ... محاهـا مجالُ الـريح بعْدَكَ والقَطْـرُ
علـى ذاك مَـرُّوا أجمعـون، وهكـذا ... يمـرّون حتـى يَنْشُـرَنَّهُـمُ[7] الحشـرُ
فَحَتَّامَ لا تَصْحُو وقدْ قَرُبَ المدى ... وحتّـامَ لا ينجابُ عنْ قلبِـكَ السُّـكْرُ
بلْ سوفَ تصْحو حتى ينكَشِفَ الغطا ... وتذكرَ قـولي حيـنَ لا ينفعُ الذِّكـرُ

يا من يذنبُ ولا يتوبُ، كم كُتِبَتْ عليك ذنوب؟ خلِّ الأملَ الكذوب، فربَّ شُروق بلا غُروب، وا أسفى أين القلوب؟ تفرّقتَ بالهوى في شُعوب[8]، ندعوك إلى صلاحِكَ ولا تؤوب، وا عجباً الناسُ ضُروب[9].

---

(١) **النضو**: المهزول من الإبل.
(٢) **النقلة**: الاسم من الانتقال.
(٣) **ناسك الأولى**: إنسانيتك وعالمك، **وناسك الثانية**: العابد الزاهد.
(٤) **العدة**: ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.
(٥) **لم يَدِكَ**: لم يؤدِّ ديتك.
(٦) كناية على الندم على التفريط.
(٧) في (ب): يستردهم.
(٨) **شعوب**: جمع شعب: وهو الصدع والتفرق في الشيء.
(٩) **ضروب**: أصناف وأنواع.

متى تنتبه لصلاحك[1] أيها الناعسُ؟! متى تطلبُ الأُخرى يا مَنْ على الدنيا ينافِسُ؟ متى تذكر وحدتَكَ إذا انفردتَ عن مؤانس؟ يا من قلبُه قد جفا وجفنُه ناعس! يا مَنْ تحدّثُه الآمالُ! دعْ هذه الوساوسَ، أين الجبابرةُ الأكاسرةُ الشجعانُ الفوارس؟! أين الأُسْدُ الضواري والظِّباءُ الكوانسُ[2]؟! أين مَنِ اعتادَ سَعَةَ القصورِ، حُبس من القُبورِ في أضيقِ المحابس؟! أين الرافِلُ[3] في أثوابه عَرِيَ في ترابه عن الملابسِ؟! أين الغافلُ في أمله عن أجلِهِ سَلَبه كفُّ المُخالسِ[4]؟! أين حارسُ الأموالِ، أُخِذَ المحروسُ، وقُتِل الحارسُ؟!.

يا مُضمِراً حُبَّ الدنيا إضمارَ الجَمَلِ الحقود، نبعثُ مِنْقاشَ اللَّومِ وما يصلُ إلى شظايا[5] المحبّةِ.

الدنيا جيفةٌ قد أَرَاحَتْ[6]، ومزكومُ الغفلةِ ما يدري، سوقٌ فيها ضجيجُ الهوى، فمن يَسْمعُ المواعظَ؟!.

عَلَّمَتْنـي بهجـرهـا الصبـرَ عنهـا ... فهـي مشكـورةٌ علـى التقبيـحِ

إن أردتَ دواءَ حُبِّها فأولُ ما في الشُّربة الصبرُ.

انفردْ في صومعةِ الزهدِ، واحفر خندقَ الحذرِ، وأَقِمْ حارسَ الورعِ، ولا تطلُع من خوْخَةِ مسامحةٍ، فإنَّ البَغْيَ في الفتى صَنَاعٌ[7].

(لِصُرَّدُرَّ)[8]:

---

(١) في (ب): لخلاصك.
(٢) **الكوانس**: جمع كانس، وكنس الظبي: دخل في كُناسه، وهو موضعه في الشجر يكتنّ فيه ويستتر.
(٣) **الرافل**: يقال: رفل في ثيابه: أطالها وجرّها متبختراً.
(٤) **المخالس**: كناية عن الموت، لأنه يأخذُ الإنسانَ على غفلةٍ وخلسةٍ.
(٥) **شظايا**: جمع شظية، الفلقة من العصا.
(٦) **أراحت**: أنتنت.
(٧) **صناع**: ماهر اليدين، يشير إلى أن عدم الاحتراز من الشبهات، والتهاون فيها يؤدي بالإنسان إلى الظلم والبغي، الذي يأخذ بيده إلى الهلاك.
(٨) قاله في مدح أبي القاسم بن رضوان. انظر: ديوانه، ص١٣١.

النّجـا النّجـا مِـنْ أرض نجـدِ قبـل أن يَعْلَـقَ الفـؤادُ بـوَجْـدِ
كـم خلـيٍّ غـدا إليـه وأمسـى وَهْـوَ يهـذي بَعلْـوةٍ[1] وبهنـد

حَصّنْ حِصْنَ التُّقى بسورِ القناعة، فإنَّ لِصَّ الحِرْصِ يطلبُ ثُلْمةً، غريمُ الطبعِ[2] متقاضٍ مُلِحٌّ، والشرهُ شَرَكٌ، وخُمارُ[3] المنى داءٌ قاتلٌ، بينا الحريصُ يَمُدُّ وترَ الأملِ انقطعَ، هل العيشُ إلا كأسٌ مشوبةٌ بالكدر ثم رسُوبُها الموت ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال (**محمد بن واسع**): لو رأيتُم رجلاً في الجنة يبكي، أما كنتم تعجبون؟.

قالو: بلى.

قال: فأعجبُ منه في الدنيا رجلٌ يضحَكُ ولا يدري إلامَ يصير؟.

ضحك بعضُ الصالحين يوماً، ثم انتبه لنفسه، فقال: تضحكينَ؟! وما جُزْتِ العقبةَ[4]، والله لا ضَحِكتُ بعدَها حتى أعلمَ بماذا تقعُ الواقعة؟.

يـا نسيـمَ الشمـالِ بـالله بلِّـغْ مـا يقـولُ المُتيَّـمُ المُسْتَهَـامُ
قـل لأحْبـابِنَـا: فـداكُـمْ مُحِـبٌّ ليـس يسلُـوْ ومقلَـةٌ لا تنـامُ
كـلُّ أُنـسٍ ولـذةٍ وسـرورٍ قبـل لُقيـاكُـم علـيَّ حَـرَامُ

فرَّغَ القومُ قلوبهم من الشواغل، فَضُربت فيها سرادقاتُ المحبوب، فأقاموا العينَ تحرسُ تارةً، وترشُّ الأرْضَ أخرى، هيهات! هانَ سهرُ الحراسِ لما علموا أنَّ أصواتَهم بسَمْعِ الملك.

(لابن المعتز):

أَيُّهـا المـالِـكُ الـذي سهـري فيـه كَطَعْـمِ الـرُّقـادِ بـلْ هُـوَ أحلـى

---

(١) **علوة وهند**: اسما علم للإناث.
(٢) **غريم الطبع**: ما يقتضيه الطبع ويطلبه.
(٣) **الخُمار**: بقية السكر.
(٤) **العقبة**: يريد الجسر المضروب على متن جهنم.

غَـرضـي مـا يـريـدُه بـي حبيبـي ... لو سَقاني مُهْلاً[1] لما قلتُ مَهلا
لسـتُ أدري أطـالَ ليلـيَ أم لا؟ ... كيـف يَـدْري بـذاك مـن يتَقلّـى
إنَّ للعـاشقيـنَ فـي قِصَـرِ الليـلِ ... وفـي طـولِـه عـن النّـوم شُغْـلا
لـو تفـرَّغـتُ لاستطـالـة ليلـي ... أو لِـرَعْـيِ النُّجـوم كنـتُ مُخِـلاَّ
وغـرامُ الفـؤادِ مُـذْ غِبـتَ عنـه ... لـم يَحُلْ عَنْ هـواكَ حـاشى وكـلا

قلوبُ العارفين مملوءة بذكر الحبيب، ليس فيها سَعةٌ لغيره.

قـدْ صِيغ قلبي على مِقدار حُبِّهِمُ ... فمـا لحُـبٍّ سـواهُـمْ فيـه مُتَّسـعُ

إنْ نطقوا فبذكره، وإنْ تحركوا فبأمره، وإنْ فَرِحوا فَلِقُربه، وإن تَرِحوا فلعتبه.

واللهِ مـا طلعـتْ شمـسٌ ولا غَـرَبـتْ ... إلاّ وأنـتَ مِنِّـي قلبـي وَوَسـوْاسـي
ولا جَلَسْـتُ إلـى قـومٍ أُحُـدِّثُهـم ... إلاّ وأنـتَ حَـدِيثـي بيـن جُـلاّسـي
ولا هَمَمْتُ بشُرْبِ الماءِ مِنْ عَطَشٍ ... إلاّ رأيـتُ خَيَـالاً مِنْـكَ فـي الكَـاسِ

أقواتُهم ذكرُ الحبيب، وأوقاتُهم بالمناجاةِ تطيبُ، لا يصبرونَ عنه لحظةً، ولا يتكلّمون في غيرِ رضاه بلفظةٍ.

حيـاتـي منـكَ فـي رُوح الـوصـالِ ... وصبـري عنـكَ مِـنْ طَلَـبِ المُحَـالِ
وكيـفَ الصبـرُ عنـك وأيُّ صَبْـرٍ ... لعطشـانٍ عـن المـاءِ الـزُّلالِ
إذا لَعـبَ الـرِّجَـالُ بكـلِّ شـيءٍ ... رأيـتُ الحُـبَّ يلعـبُ بـالـرجـال

كم تُدْرَسُ أخبارُهم وما تَدْرُس[2]، لئِنْ طَواهم الفَناءُ لقد نشرهم الثناءُ، لو سمعتَهم في الدُّجا يَعُجُّون، لو رأيتهم في الأسحار يضُجُّون، لولا نسائِمُ الرَّجاءِ كانوا يَنْضُجُون.

مـا لـيَ عـن وصلِـكَ اصطبـارُ ... إليـكَ مـن هَجْـرك الفِـرارُ

---

(١) مُهلاً: النحاس المذاب، أو دردي الزيت، وأيضاً القيح والصديد.
(٢) تدرس الأولى: من المدارسة والمطالعة، وتدرس الثانية: لا تنمحي ولا تزول آثارها.

أصبحتُ ظمآنَ ذا جفونٍ ... مياه أَخْلافِها[1] غِزارُ
أرومُ كتمانَ ما أُلاقي ... وبالمآقي له اشتهارُ
ومِنْ نسيمِ الصَّبا إذا ما ... هبَّتْ على أرضكم أغارُ
آهِ لذكرى ديارِ سَلْمى ... لا أجَدَبتْ تلكمُ الديارُ
لَهَفي لعيشٍ بها تولّى ... نظيرُ أيامها النّضَارُ
إذ أعينُ الدهرِ راقداتٌ ... وفي غُصون الهوى ثمارُ

* * *

(١) أخلاف: جمع خلفٍ، وهي حلمة الضرع، وأيضاً ضرع الناقة.

الفصل الثاني والعشرون

أيها الحاطِبُ على أزْرِه[1] وِزْراً وآثاماً! تنبّهْ ترَ الدنيا أحلى ما كانت أحلاماً، كم نكّسَ الموتُ فيها أعلاماً أعلى ما[2]، كم أذلَّ بقهره أقواماً أقوى ما[3]، لا كان مفتاحٌ أمسى له الموت خِتاماً.

مَنْ على هذه الديارِ أقاما ... أو صَفَا ملبسٌ عليه فَدَاما
عُجْ بنا نَنْدُب الذين تولَّوْا ... باقتيادِ المَنونِ عاماً فعاما
تركوا كلَّ ذرْوةٍ مِن أشمَّ ... يحسرُ الطرْفَ ثم حَلُّوا الرَّغاما
يا لحا الله مهملاً حَسب الدهرَ ... نؤومَ الجفون عنه فناما
هلْ لنا بالغينَ كلَّ مرادٍ ... غيرَ ما يملأ الضُّلوع طعاما
وإذا أعوزَ الحلالُ فشَلَّ اللهُ ... كفّاً جَرَّتْ إليها حراما

التبعاتُ تبقى واللذاتُ تمرُّ، وغِبُّ الأرْي[4] وإنْ حلا فهو مُرٌّ، وكأنْ قد عوى في دار العوافي ذئبُ الضرّ، وما يُلهى شيءٌ من الدنيا ويَسُرُّ إلا يؤذي ويضر، وقد بانت عيوبُها، وليس فيها ما يَغُرُّ، وإنّما يعشقها الجهولُ، ويأنفُ منها الحرُّ.

تَذِلُّ الرجالُ لأطْماعها ... كذُلِّ العبيدِ لأربابها
ولا تَجْنِيَنَّ ثمارَ المُنى ... فتَجْني الهوانَ بأعقابها

إخواني! ربّما أورد الطمعُ ولم يصدُرْ، كم شاربٍ شَرِقَ[5] قبل الرِّيِّ!.

مَنْ أخطأَتْهُ سهامُ المنيةِ قيّده عِقالُ الهرم، ألا يَتيَقظُ الغافلُ بأضرابه! ألا

---

(١) **الأزر**: الظهر.
(٢) أراد أعلى ما تكون.
(٣) أراد أقوى ما تكون. وفي الفقرتين من الجناس اللفظي اكتفاء.
(٤) **الأريُ**: العسل.
(٥) **شرق**: غصّ.

ينتهي العاقل بأَوْصابه[1]، أَيَسْلَمُ والرامي تحتَ ثيابه؟!.

يا مريضاً قد أتعب الأطباءَ ما به، كأنّك بالدنيا التي تقول: مرحباً، قد حَلَّتِ الحُبى[2]، وتفرقتْ تفرُّقَ أيدي سبأ[3].

ويحك! أخوك مَن عذَلكَ لا من عذَرك، صديقُك من صَدَقك لا مَنْ صدَّقك.

ويحَك! من يُطْرِبُك يُطغيك، وما لا يَعْنيك يُعَنّيك، تتوب صباحاً فإذا أمسيتَ تَحُوْل[4] وتَعُوْلُ[5]، وتقولُ غير أنّك تَنْقُضُ ما تقولُ، تتلوَّن دائماً كما تتلونُ الغُول.

يا عبدَ الهوى! إنْ دعا أمّنْتَ، وإن ادَّعى آمنت، كم قال لكَ الهوى وسمعت: «أنا مكّارٌ» وتبعتَ، واللهِ لقد أفتُّك[6] أضعافَ ما أفدتك، ولقد أعذر مَن أنذر، وما قصَّر من بصَّر.

لمّا رأى المتيقظون سَطْوةَ الدنيا بأهلِها، وخداعَ الأمل أربابها، لجؤوا إلى حِصْن الزهد، كما يأوي الصيدُ المذعور إلى الحرم، لاحَ له حَبُّ المشتهى، فلمّا مدوا إليه أيدي التناول، بانَ لأبصارِ البصائر خيطُ الفخِّ، فطاروا بأجنحةِ الحذَر، وصوَّتوا إلى الرعيل الثاني ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يسٓ: ٢٦]، جمعوا الرحْلَ قبل الرحيل، وشَمّروا في سواء السبيل، فالناس في الغفلات، وهُم في قَطْع الفلاةِ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٤١]، لو رأيتَ مطايا أجسامِهم وقد أذابَها السُّرى[7]، فهي تَحنُّ مما تُجِنُّ[8] فتبكي الحداةَ.

---

(١) **أوصابه**: أمراضه.

(٢) **الحُبى**: جمع حَبْوة، يقال: حلَّ فلانٌ حبوته ؛ كناية عن الاستعداد للرحيل.

(٣) **سبأ**: بلدة بلقيس. **وتفرق أيدي سبأ**: أي تبددوا وضرب بما أصاب سبأ المثل لأنه لما غرق مكانُهم وذهبت جنّاتُهم تبددوا في البلاد.

(٤) **تحول**: تتغير.

(٥) **تعول**: تميل عن الحق.

(٦) **أي**: أضعت منك.

(٧) **السُّرى**: المشي في الليل.

(٨) **تحن مما تُجن**: أي حنينها مما أكنَّت في صدورها من الشوق والمحبة.

(للمصنِّف):

حَنّت فأذكَتْ لوعتي حنينا أشكو من البَيْنِ وتشكو البَيْنا
قد عاثَ في أشخاصها طولُ السُّرى بِقَدْرِ ما عاثَ الفراقُ فينا
فَخَلِّها تَمْشِي الهُوَيْنا طالَما أضحَتْ تُباري الريحَ في البرينا
وكيف لا نأوي لها وَهْيَ التي بها قطعنا السَّهلَ والحُزونا
إن كُنّ لم يُفْصِحْنَ بالشكوى لنا فهنَّ بالإرزام[1] يشتكينا
قد أقرَحتْ بما تَحِنُّ كبدي إنَّ الحزينَ يُسعِدُ الحزينا
وقد تَيَاسرتَ بهنَّ جائراً عن الحمى، فاعْدِل بها يمينا
يقولُ صَحْبي: أترى آثارَهُمْ نَعَمْ، ولكنْ لا أرى القَطينا
لو لم تَجِدْ ربوعُهم كوَجْدِنا للبَيْنِ لم تُبلَ كما بُلينا
أكلَّما لاح لعيني بارقٌ بَكَت فأبدت سِرِّيَ المصُونا؟!
لا تأخذوا قلبي بذنبِ مُقلتي وعَذِّبوا الخائنَ لا الأمينا

دارت قلوبُ القومِ في دائرة الخَوْف دورانَ الكرة تحتَ الصولجان، فهاموا في فلوات القلق، فمِنْ خائفٍ مُستجيرٍ، ومِنْ واجِدٍ يقول، ومن سكرانَ يَبُثُّ.

إذا لَعِبَ الرجالُ بكلِّ شيءٍ رأيتُ الحُبَّ يلعبُ بالرجالِ

طالَتْ عليهم باديةُ الرياضة، ثم بدَتْ الرِّياض، فاستوطنوا فِرْدوسَ الأنسِ في قُلّةِ[2] طُور القلب[3].

شَقِينا في الهوى زمناً فلمّا تلاقَيْنا كأنّا ما شَقينا
سَخِطْنا عندما جَنَت الليالي فما زالَتْ بنا حتى رَضينا
فمَنْ لم يَحْيَ بعد الموتِ يوماً فإنّا بعدَ ما مِتْنا حَيينا

وقفتُ على قبرِ بعضِ الصالحين فقلتُ: يا فلانُ، بماذا نلتَ تردُّدَ الأقدامِ إليك؟[4].

---

(١) **الإرزام**: الصوت الشديد، وأرزم الرعد: اشتد صوته.

(٢) **القُلة**: أعلى الجبل وقمته.

(٣) في (ب): الطلب.

(٤) يريد زيارة الناس له في قبره.

فقال لي هاتف: أقدمتُ على ردِّ الهوى بلا تردُّد، فتردَّدَت إليّ الأقدام، كان عطرُ إخلاصي خالصاً، فعبقَ نشرُهُ بالأرواحِ.

(لمهيار)[1]:

جَـرتْ مـع الـرسـمِ لـي محـاورةٌ فَهِمـتُ منهـا مـا قـالَـه الـرَّسْـمُ
هـلْ لـكَ بـالنـازليـنَ أرضَ مِنًـى يـا عَلَـمَ الشـوقِ بعـدَنـا عِلْـمُ

أدلجَ القومُ طولَ الليل في السُّرى، وخافوا عِوَزَ الماءِ فتَمَّموا المزادَ[2] بالبكاءِ.

سَلُوا غَيْرَ طَرْفِي إنْ سَأَلْتُمْ عَنِ الْكَرَى فمَـا لِجُفُـونِ العَـاشِقِيْـنَ مَنَـامُ

سكن الخوفُ قلوبهم فأذابها، فإذا بها في محلّة الأمن، نُحِلوا المعرفة فتحَلَّوْا، فَعُمّر قَصْرُ القلبِ للملك، وقنعَتِ الحواشي في القاع بالخِيَم.

وكـم نـاحـلٍ بيـنَ تلـكَ الخيـامِ تَحْسَبُـه بعـضَ أطنـابِهـا!

يا هذا! سرادقُ المحبة لا يُضرَبُ إلا في قاع [فارغ][3] نَزِهٍ، «فرغ قلبك من غيري أسكُنْهُ».

(للشريف الرضي)[4]:

تـركُـوا الـدارَ فلمّـا نـزلـوا القلـبَ أقـامـوا
يـا خليلـيَّ اسْقِيَـانـي زمـنُ[5] الـوجـدِ مُـدامُ
وصِفَـا لـي قُلعـةَ الـركـب ولليـلِ مُقـام
ومِنًـى، أيـن مِنًـى منّـي؟ لقـد شـطَّ[6] المَـرام

---

(١) من قصيدة كتبها إلى الأستاذ أبي طالب بن أيوب. انظر: ديوان شعره: ٤/ ٢٢ ـ ٢٧.
(٢) المزاد: أي المزادة وهي الراوية، والجمع: مزاود.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) كتب به إلى الملك قوام الدين يتنجز وعداً له عليه عام (٣٩٧هـ). انظر: الديوان: ٢/ ٢٨٢.
(٥) في (ب): ومن.
(٦) شطَّ: بَعُدَ.

هل على جمعٍ[1] نزولٌ وعلى الخَيفِ[2] خيامُ

يحقُّ[3] لأبدانِ المحبين أن تذوبَ، ولسماءِ أعينهم تَهمي[4] وتَصُوب[5]، لو حملوا جبالَ الأرض مع كرِّ الكُروب، كان [ذلك][6] قليلاً في حب المحبوب.

(لابن المعتز):

رأى خُضوعي فصَدَّ عَنّي فازددتُ ذُلاً فازداد تيها
قلتُ له خالياً وعَيْني قد أحرَقَ الدمعُ مآقيها[7]
هل ليَ في الحُبِّ من شبيهٍ قالَ: وأبصرتَ ليْ شبيها؟!

* * *

---

(١) جمع: المزدلفة لاجتماع الناس بها.

(٢) الخيف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل، ومنه قيل: مسجد الخيف بمنى، لأنه في خيف الجبل، وخيف مكة موضع فيها عند منى، وفي الحديث: «نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة» يعني المحصب.

(٣) حق يحِق: وجب ووقع بلا شك (القاموس المحيط).

(٤) همت العين: صبت دمعها.

(٥) تصوب: ينصب دمعها ينهمر.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): ما يليها.

الفصل الثاني والعشرون

إخواني! شمّروا عن سُوق الدَّأَب في سُوق الأدَب، واعتبروا بالراحلين وسلوا السَّلَبَ[1] قبل أن يفوتَ الغرضُ بالمرض إنْ عَرَضَ، فكأنّكم بمبسُوط الأملِ قد انقبضَ، وبمشيدِ[2] المُنى قد انتقض.

يـا سـاكـنَ الـدُّنيـا تـأهّـبْ   وانتظـــرْ يـــومَ الفـــراقِ
وأعـــدَّ زاداً للـــرَّحيـــلِ   فســوفَ يُحْـدَى بـالـرِّفـاقِ
وابـــكِ الـــذنـــوبَ بـــأدمُـــعٍ   تنهـــلُّ مـــن سُحُـــب المـــآقِ
يـــا مَـــنْ أضـــاعَ زمـــانَـــه   أَرَضيـــتَ مـــا يفنـــى ببـــاقِ

أين عزائمُ الرجال؟ أين صرائمُ[3] الأبطال؟ تُدْعَى وتتَوَانى! هذا محال.

أَشْتـاقكُـمْ ويحـولُ العـزمُ دونكـمْ   فـأدَّعـي بُعْـدَكُـمْ عنّـي وأعتـذرُ
وأشتكـي خَطـراً بينـي وبينكُـمُ   وآيـةُ الشـوقِ أن يُسْتَصْغَـرَ الخَطَـرُ

إنْ همَمْتَ فبادِرْ، وإن عَزْمتَ فثابِرْ، واعلم أنَّه لا يُدْرِكُ المفاخِرَ من رضي بالصفِّ الآخر.

قال **عمر بن عبد العزيز** رحمة الله عليه: «خُلِقَتْ لي نفسٌ توَّاقة، لم تزل تتوقُ إلى الإمارةِ، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الخلافةِ، فلما نلتُها تاقَتْ إلى الجنَّةِ».

---

(١) **السلب**: المسلوب، وسلب القتيل: ما معه من ثياب وسلاح ودابة.

(٢) **المشيد**: البناء المعمول بالشيد ما يطلى به الحائط من جص أو بلاط، والمشيّد: المطوّل، ويطلق المشيد للواحد، وبالتشديد «المشيّد» للجمع. قال تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال: ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

(٣) **صرائم**: جمع صريمة، وهي العزيمة على الشيء.

(لأبي فراس):

بَـدَوْتُ وأهلـي حـاضِـرُونَ لأنَّنـي ... أرى أنَّ داراً لسـتُ مِـنْ أهلِهـا قَفْـرُ
وَمَا حَاجَتِي مِنَ المَالِ أَبْغِي وُفُورَه ... إذَا لَمْ يَفِرْ عِرْضِي فَلا وَفَرَ الوَفْرُ
وقـال أُصَيْحـابـي: الفـرارُ أوِ الـرَّدى ... فقلْـتُ: هُمَـا أَمْـرَانِ أَحْـلاهُمـا مُـرُّ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إذَا جَدَّ جِدُّهُم[١] ... وفِـي اللَّيْلَـةِ الظَّلْمَـاءِ يُفتَقَـدُ البَـدْرُ
ولو سدَّ غيري ما سددتُ اكْتفَوْا به ... وما كانَ يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[٢]
ونحـنُ أنـاسٌ لا تـوسُّـطَ عنـدنـا ... لنَـا الصَّـدرُ دُونَ العَـالَمِيـنَ أو القَبْـرُ
تهـونُ عَلَيْنَـا فـي المَعَـالـي نُفُـوسُنَـا ... ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهِ المَهْرُ

ابتُلِيَتِ الهممُ العاليةُ بعشقِ الفضائل، شجرُ المكارهِ يُثمر المكارم.

متى لاحت الفريسة قذفت الغابة السَّبُعَ.

إذا استقام للجواد الشَّوطُ[٣] لم يُحْوِجْ راكبه إلى السَّوْط.

من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسَهْم، ضرب مع الشجعان يوم القِسْمة بِسَهم.

من اشتغل بالعمارة استغلَّ الخراج.

إذا طلع نجمُ الهمةِ في ظلام ليلِ البَطالة، ثم ردَفه قمرُ العزيمة ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

يا طالباً للدَّعَة أخطأْتَ الطريقَ، علةُ الراحةِ التَّعب، إن لم تكن أَسداً في العزم ولا غزالاً في السَّبْق، فلا تتثعلبْ.

---

(١) جدهم: الجد والاجتهاد، وجد في الأمر: لم يهزل.
(٢) الصُّفر: النحاس الجيد. معدِن تصنع منه الأواني، وضبطه أبو عبيدة بكسر الصاد. والتِّبر: فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا، قالوا: ما كان من الذهب غيرَ مضروب تبر، فإذا ضرب دنانير فهو عَيْنٌ.
(٣) الشوط: مكان بين شرفين من الأرض، ويطلق على الجزء من كل عمل، والجري مرة إلى الغاية.

يا هذا! الجدُّ جَناحُ النجاة، وكسلُكَ مُزمِن.

من كَدَّ كَدَّ العبيدِ تنعّم تنعُّمَ الأحرار.

من امتطى راحلةَ الشوق لم يَشُقَّ عليه بُعدُ السفر.

(للمتنبي):

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ وتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

يا هذا! ركائبُ الرحيلِ قد أُنيختْ بالجنابِ ولم تتحوَّجْ، وناقدُ السلعِ قائمٌ على البابِ ونَقْدُكَ بَهْرج، كيف يَلْحق السابقين كسلانُ أعرجُ؟! ولو تنقلْتَ على عَيطَموسِ[1] العزمِ، وهوجاءِ[2] الطلب، وعسجور[3] القصدِ، وجَعْلباةِ[4] السير، ومُشْمَعلة[5] الجِدِّ، وصلْتَ الديجورَ[6] بالضحى، لانقطعَتِ الديمومةُ القذَفُ[7] ولكنّك استوطأتَ مهادَ الكسلِ، وإبرُ النحلِ دونَ العسل.

قيل لبعض أهلِ الرياضةِ: كيف غلبتَ نفسَك؟.

فقال: قمتُ في صفِّ حزْبِها بسلاحِ الجِدِّ، فخرجَ (مَرْحَبُ)[8] الهوى يُدافِعُ، فعلاهُ (عليٌّ) العزمِ بصارمِ الحزم، فلم تمضِ ساعةٌ حتى ملكتُ خيبرَ.

وقيل لآخر: كيف قدرتَ على هواك؟.

فقال: خَدْعتُه حتى أَسَرْتُه، واستلبتُ عوده فكسرتُه، وقيدتُه بقيد العُزلةِ، وحفرتُ له مَطْمُورةَ الخمولِ في بيتِ التواضعِ، وضربتُه بسياطِ الجوعِ فَلانَ.

---

(١) التامة الخلق من الإبل.
(٢) المسرعة من الإبل.
(٣) الصلبة من النوق.
(٤) الطويل من النوق في عجرفة.
(٥) النشيطة من النوق.
(٦) **الديجور**: الظلام.
(٧) **الديمومة**: الفلاة الواسعة لا ماء فيها. **والقذف**: البعيدة التي تتقاذف بمن يسلكها.
(٨) يشير إلى الفارس اليهودي مرحب الذي قتله سيدنا علي رضي الله عنه في غزوة خيبر.

يا فُلان! ألك في مجاهدةِ النفسِ نيةٌ؟ أم النيّةُ نَيّةٌ؟[1] أتعبْتَني وأنتَ أنتَ، يا خَنْشَليلاً[2] في كلِّ دَرْدَبِيسٍ[3] إلى متى تجولُ في طلب هُجول[4]؟.

ما نفشَتْ[5] غنمُ العيونِ النواظر في زروعِ الوجوهِ النواضرِ إلا وأُغيرَ على السَّرح.

من تعرّضَ للعنقفير[6] لقي الأمَرّيْن[7].

المتعرض للنَّبلة[8] أبله.

ما عزَّ **يوسف** إلا بترك ما ذلَّ به **ماعز**[9].

ولو رَكَدَ كَدَرُ دُهنِ الذهنِ سَمَتْ ذُبالةُ[10] المصباح.

إخواني! إلى متى سُكْرٌ عن المقصودِ؟ ألا صَحْوُ ساعة؟.

أريقوا قَرْقَفَ[11] الهوى قبلَ هجوم صاحبِ الشَّرطة، اكسروا الظُّروف ظَرْفاً[12] ليُعلمَ حُسْنُ قصدِكم للتوبة، ولْيَشْغَلْكُم ذِكْرُ النَّأْيِ عن صَوتِ النَّاي، والفكرُ في خرابِ المعاني عن لغاتِ الأغاني، فكم مِنْ شابٍّ ما شَابَ، وكم من

---

(١) **النّيء**: بكسر النون والهمز كَنِيْعٍ: اللحم الذي لم ينضج.

(٢) **الخنشليل**: البعير السريع، والضخم الشديد.

(٣) **دردبيس**: الماضي في الأمور.

(٤) **هُجول**: جمع هَجْل، وهو المفازة الواسعة.

(٥) **نفشت الإبل والغنم**: رعت ليلاً بلا راع، والنفش لا يكون إلا بالليل.

(٦) **العنقفير**: الداهية.

(٧) **الأمرَّيْن**: بفتح الهمزة وتشديد الراء، الفقر والهرم، وبكسر الهمزة: الشر والأمر العظيم.

(٨) **النبلة**: السهم، ويشير إلى الحديث القدسي: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»**.

(٩) **ماعز**: هو ابن مالك، أقرَّ بالزنى وتاب، وطلب من رسول الله ﷺ أن يطهِّره، فأقام عليه الحدّ.

(١٠) **الذبالة**: الفتيلة، والجمع «الذُّبال» تمتص الزيت وتشب فيها النار.

(١١) **قرقف**: خمر.

(١٢) **الظروف**: أوعية الخمر. **ظَرفاً**: كياسة.

راجٍ راجَ[1] له أنْ خاب، ما أسرعَ افتراقَ الصاحبين إذا صاح بَيْن.

فمفترقٌ جارانِ دارُهما عُمُرُ

مَثَلُ أهل الدنيا في غفلتهم وطول آمالهم كمثلِ الحاج، نزلوا منزلاً، فقامَ أقوامٌ يقطعون الصخورَ، يبنون البيوتَ، فقال المتيقظون: «وَيْحَكم! ما هذا البلَهُ؟! الرحيلُ بعدَ ساعة».

لو عَلمَ الوَرْدُ قِصَرَ عُمُره ما تبسّمَ، بينما هو يَنْشُرُ بزَّ ريحه في شَمَالِ البُكور، بزَّه[2] الناطورُ، فإذا به في زجاجةِ الزُّورِ[3]، فانتبه أنتَ ولا تَغْترَّ بزورٍ.

نسيمُ الدُّجَى يفتحُ مستغلَقَ الْجُنْبُذ[4] وخوفُ سَموم النهار يعيدُ النَّيْلُوْفَرَ إلى الماءِ، اسمع يا مَنْ لا يحرّكُه تشويقٌ، ولا يزعجُه تخويفٌ.

إذا المــرءُ كــانــت لــه فكــرة ... ففــي كــلِّ شــيءٍ لــه عِبْــرة

تزوّج (صِلَةُ بن أَشْيَم) فأدخله ابنُ أخيه الحمّام، ثم أُدخلَ إلى بيتِ المرأةِ، وقد طُيِّبَ، فقامَ يصلِّي، فمَدَّ الصلاةَ إلى الفجر، فعاتبه ابنُ أخيه فقال: إنّك أدخلتني أمسِ بيتاً أذكرتني به النارَ، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنةَ، فما زال فكري فيهما حتى أصبحتُ.

كَفَــى حَــزَنــاً ألا أُعَــايِــنَ بُقْعَــةً ... مِنَ الأَرْضِ إلاَّ ازْدَدْتُ شَوْقاً إليكُمُ
وإنِّي متى مَا طَابَ لي خَفْضُ عِيْشَةٍ ... تَـذكَّـرتُ أيَّـامـاً مَضَـتْ لـي لَـدَيْكُـمُ

مرَّ بعضُ الفقراء بامرأة فأعجبتْه فتزوجها، فلمّا دخلَ البيتَ نزعُوا خُلْقَانَه[5]، وألبسوه ثياباً جُدُداً، فلما جُنَّ عليه الليلُ طلبَ قلبَه فلم يَجِدْهُ، فصاحَ: خُلْقاني خُلْقاني.. فأخذَها ورجعَ.

---

(١) حصل وتهيأ.
(٢) **بزه الناطور**: قطعه الناطور.
(٣) **الزور**: مجلس الغناء واللهو.
(٤) **الجُنْبذ**: كالجلنار من الرمان.
(٥) **خلقان**: جمع خَلَق، ثوب خَلَق: أي بالٍ.

(للشريف الرضي):

مـا سَـاعَفَتْنِي اللَّيالي بَعْدَ بُعْدِهِمُ　　إلاَّ ذَكَـرْتُ ليـالِيَنَـا بِـذِي سَلَـمِ
ولا اسْتَجَدَّ فُؤادِي فِي الزَّمَانِ هوًى　　إلاَّ ذَكَـرْتُ هَـوى أيَّـامِنَـا القُـدُمِ
لا تَطْلُبَـنَّ لِـيَ الأبْـدَالَ بَعْـدَهُـمُ　　فَـإنَّ قَلْبِـيَ لا يَـرْضَـى بغَيْـرِهِـمِ

* * *

الفَصْلُ الرَّابِعُ والعِشْرُونَ

يا طويلَ الأمل في قصيرِ الأجلِ! أما رأيتَ مستَلَباً[١] وما كَمَل؟! أتؤخِّرُ الإنابةَ وتُعجِّلُ الزللَ؟!.

يَا مَنْ يَعُدُّ غَداً لتَوْبَتِهِ   أَعَلَى يَقِيْنٍ مِنْ بُلُوغِ غَدِ
المَرْءُ فِي زَلَلٍ عَلَى أَمَلٍ   ومنيَّةُ الإنْسَانِ بَالرَّصَدِ
عَجِّلْ بهَا لا تَنْسَهَا لِغَدٍ[٢]   لَعَلَّ يَوْمَكَ آخِرُ العَدَدِ

يا أخي! التوبةَ التوبةَ قبل أن تصلَ إليكَ النوبةُ.

الإنابةَ الإنابةَ قبل أن يُغلقَ بابُ الإجابةِ.

الإفاقةَ الإفاقةَ، فيا قُرْبَ وقتِ الفاقةِ.

إنّما الدُّنيا سوقٌ للتَّجْرِ[٣]، ومجلسُ وعظ للزَّجْر، وليلُ صيفٍ قريبُ الفجر.

المُكنْةُ[٤] مزنةُ صيفٍ، الفُرْصةُ زَوْرة[٥] طَيْفٍ، الصِّحةُ رقدةُ ضيفٍ، الغِرَّة نقدةُ زيفٍ، الدنيا معشوقة وَكيف[٦]، البدارَ البدارَ فالوقتُ سيفٌ.

يا غافلاً عن مصيرِه! يا واقفاً في تقصيره! سبَقَك أهلُ العزائمِ وأنت في اليقظة نائم، قف على الباب وقوفَ نادمٍ، ونكِّسْ رأسَ الذلِّ وقل: أنا ظالم، ونادِ

---

(١) مستلباً: سلبت روحه وقبض.
(٢) **لا تنسها**: من النسيئة؛ أي لا تؤخرها. وفي (ب): أيام عمرك كلها عدد.
(٣) **تَجْر**: جمع تاجر.
(٤) **المكنة**: القدرة والاستطاعة.
(٥) **زورة**: اسم مرة من زار.
(٦) **وَكِيف**: فاسد العقل.

في الأسحار: مذنبٌ وواجم[1]، وتشبّه بالقوم، وإن لم تكنْ منهم وزاحِمْ، وابعث بريح الزفرات سحابَ دمعٍ ساجِم[2].

قُمْ في الدُّجى نادِباً، وقف على الباب تائباً، واستدرك من العمرِ ذاهباً، ودعِ اللهو والهوى جانباً، فإذا لاحَ الغُرورُ رأى راهباً، وطلقِ الدنيا إن كنتَ للأخرى طالباً.

ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

يا مَنْ ضاعَ قلبُه! أُطلبه مِنْ مظانِّ إنشادِ الضوال[3]، الضائعةُ إنّما تُنْشَدُ في المجامع، فاطلبْ قلبك في مجالسِ الذكرِ، أو بينَ أهلِ المقابرِ، وربّما دخلتَ بيتَ الفكرِ فرأيتَه، فأيُّ موضعٍ غلَبَ على ظنك وجودُه فلا تقصّرْ في البحثِ عنه.

هذه النُّسورُ والرَّخَمُ[4] ـ على كثافة طبعها ـ إذا رأت جيشاً تبعته، لما ترجو من قتالٍ يوجب قتلى، أو إخداجَ[5] حاملٍ، أفما ترجو أنتَ في المجالسِ إجابةَ دعوةٍ أو حضورَ قلبٍ؟!.

يا نائماً طول الليل! سارت الرفقةُ، رحلَ القومُ كُلُّهم وما انتبهتَ من الرَّقْدة.

ويحك! أتدري ما صنعتَ بنفسك؟ دخلتَ دار الهوى فقامرتَ بعمرك، كنتَ أمسِ قلبَ أمس، فتراك تصحيف ترى[6].

لاحتْ لكَ العاجلةُ، فَهِمْتَ[7] كأنكَ ما فَهِمْتَ، فلما تَبدَّلْتَ تَبلَّدْتَ.

---

(١) **واجم**: عابس مطرق من حزن شديد.

(٢) **ساجم**: متتابع.

(٣) **الضوال**: جمع ضالة، وهي الضائعة من كل ما يُقتنى.

(٤) **الرخم**: جمع رَخَمَة، طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة.

(٥) **إخداج**: إلقاء الولد قبل تمام الأيام، وإن كان تام الخلق.

(٦) يريد: كنت سما، وهو مقلوب أمس، فصرت ثرى وهو مُصَحّف (ترى)، ويشير بالسما إلى الأصل الملكوتي للروح.

(٧) **فهمت**: من هام بالدنيا يهيم، أي: أحب يحب.

أخبرني عن تخليطك فالطبيبُ لا يُكْذَبُ[1]، سِحْنَتُك[2] تعلّمني فاسمع أُحَدِّثْكَ[3]: استكثرتَ من بُرُودات الغَفلة، فقعد نشاطُ العزم، فلو قاوَمْتَها بحراراتِ الحذرِ لقامَ المُقْعَدُ، أما تعلمُ أنَّ مطاعِمَ المطامعِ تولِّدُ سَدَداً في كبدِ الجِدِّ، المحنةُ العظمى موافقةُ الهوى من غير تدبر، أنت ترى تدبر، أنت ترى ما تشتهي فتُضرَبُ الحدَّ.

يا أسيراً في قَبْضة الغفلة، يا صريعاً في سكرة المُهلةِ، أما يخطرُ بقلبِكَ خطرُ أمرِك؟!.

ويحك! قد وَهَن العظمُ [العظيم][4]، وما شابت همَّة الأمل، أَخْلقَ بُرْدُ الحياة، وما انكفَّتْ كفُّ البطالة، قَرُبَتْ نوقُ الرحيلِ، وما في المزاد زادٌ، قُدِّمتْ معابرُ العبورِ، وأنتَ تلهو على الساحلِ. أكثرُ العُمُر قد مرَّ، وأنت تتغلغل في تضييع الغابر[5]، أتُرَجِّحُ الفانيَ على الباقي؟ تَثَبَّتْ ففي الميزانِ عَيْنٌ، وإن حرّكك حظٌّ عن حظٍّ فَالْحظ الحظَّ الأحَظَّ، واللهِ لو شغلك نيلُ الجنة عن الحقِّ لحظةً كان في تدبيرك وَكْسٌ[6].

ويحك! أنا بدك اللازم فالزم بدك[7]، خاصَمْتُ عنك قبل وجودِ ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠]، واعتذرت عنك في زلل ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ولقنتك العُذْرَ ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ [الانفطار: ٦]، وواصلتك برسائل «**هل من سائل**»[8].

إذا لم يكنْ بيني وبينَك مُرْسَلٌ ... فريحُ الصَّبا مِنِّي إليك رَسُولُ

---

(١) **يُكذَب**: أي لا يخبر بغير حقيقة الوجع، ولا يغش بموضع الألم.

(٢) **سحنتك**: السحنة: هيئة الرجل ولونه.

(٣) مجزوم بجواب الطلب «اسمع».

(٤) زيادة من (ب).

(٥) **الغابر**: الباقي، وتأتي بمعنى الماضي الهالك، فهي من الأضداد.

(٦) **وكس**: نقص.

(٧) **أنا بدك اللازم**: أي عوضك ونصيبك. **فالزم بدك**: فالزم نصيبك وعوضك.

(٨) رواه الإمام أحمد والنسائي عن جبير بن مطعم. انظر: كنز العمال، رقم (٣٣٥٦): ١٠٤/٢.

كان بعضُ الأغنياءِ كثيرَ الشكرِ ، فطالَ عليه الأمدُ فبَطِرَ وعصى ، فما زالت نعمتُه ، ولا تغيّرتْ حالتُه ، فقال : يا ربِّ تبدَّلتْ طاعتي ، وما تغيّرتْ نعمتي ، فهتف به هاتف : يا هذا! لأيامِ الوصالِ عندنا حرمةٌ حفظناها وضيعتها .

(المهيار)[1] :

سَـلْ بِسَلْـعٍ سكنـا[2] كـان وَكُنّـا ... ليـتَ شِعْـري مَـا الَّـذي ألهـاكَ عنّـا
دَبَّ أم ذنـب سـوَى أن تتجنّـى ... أَهَـوًى أحـدثْتَـهُ أم كـاشـحٌ[3]

تاب رجلٌ ممن كان قبلكم ، ثم نقض ، فهتف به هاتف في الليل :

سـأتـركُ مـا بينـي وبينَـك واقفـاً ... فـإنْ عُـدْتَ عُـدْنـا والـودادُ سليـمُ
وتتـركُ مثلـي ، والحفـاظُ قـديـمُ ... تُـواصِـلُ قـومـاً لا وفـاءَ لعَهْـدِهِـمْ

يا ناقضي العهود انظروا لمَنْ عاهدتم ، تلافوا خَرْقَ الخطايا قبل أن يتَّسعِ .

عُـودُوا إلـى الـوَصْـلِ عُـودُوا ... فـالهجـرُ صعـبٌ شـديـدُ
تـذكَّـرُونـا فمـا عَهْـدُ ... نـا لـديكـم بعيـدُ
هـل يَـرجـعُ البـانُ يـومـاً ... وهـل تعـودُ زَرُودُ[4]

يا هذا! أَقبِلْ علينا ، تَرَ من إقبالنا [عليك][5] العجبَ «**احفظِ الله يحفظْك ، اطلبِ الله تجدْه أمامك**»[6] ، مَنْ كان لنا عيناً على قلبه ، أجرينا له جامكيةً[7] أمين .

أنـتَ علـى البُعـدِ همـومـي إذا ... غِبْـتَ وأشجـانـي علـى القُـربِ

---

(١) مطلع قصيدة كتبها إلى عميد الرؤساء أبي طالب بن أيوب في المهرجان . انظر : ديوان شعره : ٤/ ١٦٨ ـ ١٧٢ .
(٢) في الديوان : (شجناً) .
(٣) **كاشح** : المتولي عنك بوده .
(٤) **زرود** : وزان ثمود ، موضع ، وقيل : اسم رمل مؤنث ، والمراد الأحبة سكان هذا الموضع .
(٥) زيادة من (ب) .
(٦) حديث ابن عباس المشهور رواه أحمد الترمذي .
(٧) **جامكية** : أجر الموظف ويسمّى الراتب أو المرتب .

لا أُتبِـعُ القلـبَ إلـى غيـرِكُـمْ عيـنٌ لكـمْ وعيـنٌ علـى قلبـي

يا هذا! حَفْرُ النهرِ إليك، وإجراءُ الماء ليس عليك، احفر ساقيةَ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إلى جنب بحر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فإذا بالَغ فيها معولُ الكَدِّ، فاضَتْ عليك مياهُ البحرِ «**فبي يَسمعُ وبي يُبصرُ**»[١].

ألْقِ بذرَ الفكر في أرضِ الخَلْوة، وسُقْ إليه ساقيةً من ماءِ الذكرِ، لعلّها تُنبتُ لك شجرةَ «**أنا جليسُ من ذكرني**»[٢].

(للشريف الرضي)[٣].

يُـرَنِّحُنـي إليـكَ الشـوقُ حتـى أميـل مـن اليميـنِ إلـى الشمـالِ
كمـا مـالَ المُعَـاقِـرُ عـاودَتْـهُ حُمَيّـا الكـأسِ حـالاً بعـدَ حـالِ
ويـأخُـذُنـي لـذكـراكَ ارْتيـاحٌ كمـا نَشَـطَ الأسيـرُ مـن العِقـالِ
وأيْسَـرُ مـا ألاقـي أنّ همّـاً يُغَصِّصُنـي بِـذا المـاءِ الـزلالِ

هَبَّتْ رياحُ الخوفِ، فقلقلتْ قلوبَ الخائفين، فلم تترك ثمرةَ دمْعٍ في فَنَنِ[٤] جَفْنٍ.

إذا نزل آبُ[٥] في القلبِ، سكنَ آذار[٦] في العينِ.

---

(١) حديث قدسي رواه البخاري.

(٢) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وعند البيهقي عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه السلام: «**أقريب أنت فأناجيكَ أم بعيد فأناديكَ؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليس من ذكرني**». وعند أبي الشيخ نحوه في الثواب عن كعب، وقد روى الحاكم عن أنس وصححه بلفظ: قال تعالى: «**عبدي أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني**» (كشف الخفا، ص٢٣٢، رقم ٦١١).

(٣) من قصيدة طويلة له. انظر: الديوان: ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٨.

(٤) فنن: غصن، والجمع أفنان.

(٥) **آب**: هو الشهر الثامن بالتقويم الميلادي، وهو من شهور الصيف الحارة. يقال: آب اللهاب.

(٦) **آذار**: هو الشهر الثالث بالتقويم الميلادي، ويأتي في نهاية فصل الشتاء. يقال: آذار أبو الزلازل والأمطار.

لا تَبلُني بجوًى يزيدُ خُضوعي يَكفيكَ أنّ النّارَ بينَ ضُلوعي
وحياةِ سُقمي في هَواكَ فإنَّهُ قَسَمُ الهَوَى وحَقٍّ فيضِ دموعي
لأُوَكِّلَنَّ عليكَ عَينيْ بالبكا ولأَعْشَقَنَّ عليكَ طولَ هُلوعي

كانتْ مع (**هشام بن حسان**) جاريةٌ في الدار، فكانَتْ تقول: أيُّ ذنب عَمِل هذا؟ مَنْ قَتَلَ هذا؟ فتراه الليلَ كلَّه يبكي.

تركتَ الفؤادَ عليلاً يُعادُ وشَرّدْتَ نومي فما لي رُقاد

كان **فتحُ الموصليُّ** يبكي بالدموعِ ثم يبكي الدمَ، فقيلَ له: على ماذا بكيت الدم؟.

فقال: خوفاً على الدموع أن لا تكونَ ما صحَّتْ لي.

يا مَنْ لفؤاد وامقٍ ما يصحو قدْ طالَ لعُظْمِ ما عَناه الشَّرْحُ
والعينُ لها دمٌ ودمعٌ سَحٌّ[1] ذا يكْتُبُ شَجوَهُ وَهَذَا يَمْحُو

* * *

---

(١) **السح**: الصب والسيلان من فوق، وعين سحّاحة: صبابة للدمع.

الفَصْلُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ

يا مَنْ يعظهُ الدهرُ ولا يقْبل! ويُنْذِرهُ القهرُ بمنْ يرحلُ، ويضمُّ العيبَ إلى الشيبِ وبئسَ ما يفعل، كنْ كيف شئتَ فإنما تُجازى بما تعمل.

دَعْني فإنَّ غريمَ العقلِ لازَمَني ... وذا زمانُك فامْرحْ فيه لا زَمَني
ولّى الشَّبابُ بما أحببْتَ مِنْ مِنَحٍ ... والشَّيْبُ جَاءَ بِمَا أَبْغَضْتَ مِنْ مِحَن
فما كرهتُ ثَوَى عندي وعَنَّفني ... وما حرَصْتُ عليهِ حينَ عنّي فَنِي

يا جائراً! كلَّما قيل: أَقْسِطْ[١] قَسَطَ، يا نازلاً فِسطاطَ[٢] الهوى على شاطئ الشطَط، يا مُمْهَلاً لا مُهْمَلاً! ما عندَ الموتِ غَلَطٌ، كم سَلَبَ وضيعاً وشريفاً سلْباً عنيفاً وخَبَط، أمَا مضَغَ الأرواحَ؟! فلما طال المضْغُ اسْترط[٣]، أما يكفي نذيرُهم؟! بلى قد خَوَّف الفَرَط[٤]، تالله ما يبالي حَمَامُ الحِمامِ أيَّ حبٍّ لَقَطَ؟! أما خطَّ الشيبُ خطَّ النَّهْي عن الخطايا لما وَخَط[٥]؟! أما آذن الشبابُ بالذهابِ فماذا بعد الشَّمَط[٦]؟!.

ما إنْ يطيبُ لذي الرعايةِ للأ ... يَّامِ لا لَعِبٌ ولا لَهْوُ
إذ كان يَطْرَبُ في مسرَّتِه ... فيموتُ من أجزائه جُزْوُ

يا مدْعوّاً إلى نجاتِه وهو يتوانى! ما هذا الفتورُ والرحيلُ قد تدانى؟! يا مقبلاً على هفواته لا يألو بُهتاناً، كأنّك بالدمعِ يجري عند الموت تَهْتاناً[٧]، وشُغْلِ التَّلَفِ

---

(١) **أقسط**: أعدل. **وقسط**: جار وظلم.
(٢) **فسطاط**: الخيمة الكبيرة.
(٣) **استرط**: ابتلع.
(٤) **الفرط**: التقصير وتضييع الأمر حتى يفوت.
(٥) **وخط**: خالط.
(٦) **الشمط**: بياض شعر الرأس يخالط سواده.
(٧) **تهتاناً**: متتابعاً.

قد أوقدَ من شُعَلِ الأسَفِ نيراناً، وأنتَ تبكي على تفريطِكَ حتى [لقد][1] أقرحْتَ[2] أجفاناً، والعملُ الصالحُ ينادي مَنْ كان أجفانا[3]: احذَرْ زلَلَ قدمِكَ، وخَفْ حلولَ ندمِك، واغتنمْ وجودَكَ قبل عدَمِك، واقبَلْ نصحي ولا تخاطر بِدَمِكَ.

إذا ما نهاك امرؤٌ ناصحٌ عن الفاحشاتِ انْزَجِرْ وانْتَهِ
وإمّا عَلَوْتَ إلى رُتْبةٍ فكُنْ حَذِراً بعدها أن تَهِي[4]
وإمّا ترى مُهْجَةً في الثرى فلا تَغْتَرِرْ بالمُنَى أنتَ هِيْ

خاصِمْ نَفْسَكَ عند حاكِم عقلِكَ، لا عندَ قاضي هَوَاك، فحاكمُ العقلِ يَدينُ، وقاضي الهوى يجَوْرُ.

كان أحدُ السلفِ إذا قهرَ نفسَه بتركِ شهوةٍ أقبلَ يهتزُّ اهتزازَ الرامي إذا قَرْطسَ[5].

لما عرف القومُ قَدْرَ الحياةِ، أماتوا فيها الهوى فعاشوا، انْتَهَبُوا بأكفِّ الجِدِّ من الزمنِ ما نَثَرهُ زمنُ البطالة.

وركبٍ سَرَوْا والليلُ مُلْقٍ رُوَاقَه على كلِّ مُغْبَرِّ الطَّوالِع قاتمِ
حَدَوْا عزماتٍ ضاقَتِ الأرضُ بينها فصارَ سُراهُمْ في ظُهورِ العزائمِ
تُريهم نجومُ الليلِ ما يَبْتغونَه على عاتقِ الشِّعْرى وَهَامِ النَّعائمِ
إذا طَرَّدوُا[6] في معْركِ الجدِّ قَصَّفُوا رماحَ العطايا في صدورِ المكارمِ

هان عليهم طولُ الطريقِ لعلمهم أين المقصدُ، وحَلَتْ لهم مراراتُ البِلاَ حُبّاً لعواقب السلامة، فيا بُشراهم يومَ ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) **أقرحت**: أقرح: أخرج بها القروح، أي: الجروح.
(٣) **أجفانا**: من الجفاء، وهو ضد البر والصلة.
(٤) **تهي**: تضعف وتسقط.
(٥) **قرطس**: أصاب القرطاسَ، أي: الهدف.
(٦) **طرَّدوا**: مبالغة طَرَدَ، أي: راهنه في سبق.

قِفْ بِالدِّيارِ فَهَذِه آثَارُهُم ... تَبْكِي الأحِبَّةَ حَسْرَةً وتشوُّقا
كَمْ قَدْ وقفتُ بِهَا أُسَائِلُ مُخْبِراً ... عَنْ أهْلِها أو صَادِقاً أو مُشْفِقا
فأجابني داعي الهوى في رَسْمِها: ... فارقْتَ مَنْ تَهوَى فَعزَّ الملتقى

يا ربُوعَ الأحباب! أينَ سكانُك؟! يا مَواطنَ أولي الألباب! أين قُطَّانُك؟! يا جواهرَ الآداب! أين خُزّانُك؟!.

(لمهيار)[1]:

يُطربُني للمنازِل اليومَ مَا ... أَسَأرَ[2] عندي أيامُها القُدُمُ
وتُطبيني[3] على فصاحةِ شَكْوايَ ... إليها ربوعُها العُجُمُ
عَليَّ يا دارُ جهدُ عيني، وما ... عليَّ عارٌ أن تبخلَ الدّيَمُ[4]
لكِ الرضا من جمامِ[5] أدمعِها ... أو دَمِها إنْ سَقى ثراكِ دمُ
أما وعهدِ الغادينَ عنكِ وأ ... شجانٍ بواقٍ لي فيكِ بعدَهُمُ
وما أطالَ المُنى[6] وأعرضَ من ... عيشٍ كأنَّ اختلاسَه حُلْمُ
هل هو إلاّ أنْ قيلَ: جُنَّ بهم ... نَعَمْ! على كلِّ حالةٍ نَعَمُ
بِتْنا وأطواقُنا يدٌ ويدٌ ... ورُسْلُ أشواقِنا فمٌ وفمُ

يا هذا! تنزَّه في أخبار المحبين إن لم تكن منهم، إنَّ أهلَ الكوفةِ يخرجون للتفرّجِ على الحاجِّ، اقْعُدْ على جانبِ وادي السَّحَرِ لعلَّ إبلَ القومِ تمرُّ بكَ.

خُذني على قَطَنٍ[7] يمينا ... فعسى أُريك به القطينا[8]

---

(١) من قصيدة قالها وكتب بها إلى أبي طالب بن أيوب في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٥٧ ـ ٢٦١.
(٢) **أسأر**: السؤر: بقية الشيء، وأسأر منه شيئاً: أبقى.
(٣) **تطبيني**: تستميلني وتستهويني.
(٤) **الديم**: جمع ديمة، وهي السحابة الممطرة.
(٥) **الجمام**: معظم الماء.
(٦) في الديوان: (الصبا) بدلاً من (المنى).
(٧) **قطن**: جبل لبني أسد في نجد يتغنى به المحبون.
(٨) **القطين**: الساكن.

منّـــي تعلّمـــتِ الحَمَـــامُ النـــوحَ والإبـــلُ الحنينـــا

وا أسفَ المتقاعِدِ عنهم، وا حسرةَ البعيدِ منهم.

سَلُوا عن فؤادي ساكني ذلك الوادي فقد مرَّ مجتازاً على يمْنَةِ الوادي
مضى يطلبُ الأحبابَ والقومُ قد سَرَوْا فَضَلَّ، ومرُّوا مُسْرعينَ مع الحادي
فها أنا أبكيهم وأبكيه بعدَهم وتطلبُهم عيني مع الرائحِ والغادي

وا حاجتَنا إلى رؤيةِ القومِ، ويا شدةَ إيثارِهم البعدَ عنّا، إنْ رأينا شخصاً فأعلمتْنا الفراسةُ أنّه منهم، كانت همّتُه الهربَ منا، وما ذاك إلا للتبايُنِ بين أفعالنا وأعمالِهم، فلنبكِ على هذه الحالِ.

عَجِبـــتْ لمـــا رأتنـــي أنـــدبُ الـــرَّبْـــعَ المُحيـــلا
واقفـــاً فـــي الـــدار أبكـــي لا أرى إلا الطُّلـــولا
كيـــف نبكـــي لأُنـــاسٍ لا يَمَلُّـــون الـــذَّمِيـــلا[1]
كلّمـــا قلـــتُ اطمـــأنَّـــتْ دارُهـــم صـــاحـــوا الـــرحيـــلا

كان بعضُ الصالحين يتستّرُ بإظهارِ الجنون، فتبعه مريدٌ فقال له: والله ما أبرحُ حتى تكلِّمني بشيء ينفعني، فإنّي قد عرفْتُ تَسَتُّرَكَ، فسجدَ، وجعلُ يقول في سجوده: «اللهمَّ سِتْرَكَ» فمات.

أسميك (سُعدى) في نَسيبي تارةً وآونـــة (أسمـــا) وآونـــة (لُبنـــى)
حَذاراً من الواشِين أن يسمعوا بنا وإلا فَمَن (سُعدى) لديكَ ومَنْ (لُبنى)

* * *

(١) **الذميلا**: ضرب من السير.

الفصل السادس والعشرون

يا مخدوعاً قد فُتنَ! يا مغروراً قد غُبن! مَنْ لكَ إذا سُوّيَ عليك اللَّبِنُ؟ في بَيْتٍ قطُّ ما سُكن، سَلْبُ الرفيقِ نذيرٌ، والعاقلُ فَطِنٌ.

أنـــتَ فـــي دارِ شَتـــاتٍ فتـــأهَّـــبْ لشتـــاتِـــك
واجْعـــلِ الـــدنيـــا كيـــومٍ صُمتَـــه عـــنْ شَهـــواتِـــك
وليكُـــن فِطْـــرُك عنـــدَ الـــلـــهِ فـــي يـــومِ وَفـــاتـــك

إياكَ والدُّنيا فإنَّ حبَّك الدنيا مبتوتٌ، واقْنعْ منها باليسير، فما يَعُزُّ القوتُ، ياقوتُ الندمِ يُغني عن الياقوت، احذَرْ منها، فإنّها أسحرُ من هاروتَ وماروتَ، ليس للماء في قبضةِ ممسِكٍ ثبوتٌ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١].

أين مَنْ جمع المال وملأ التخوت[١]؟! تساوى تحت اللُّحودِ الساداتُ والتُّحُوتُ[٢]، ما نفعه إنْ جالَ في البأس جالوتُ، ولا ردَّ عنه إن طال القومَ طالوتُ، ولامنع أصحابَه حلولُ التابوت، لقد أخرجَ الموتُ من قَعْرِ اليمّ الحوتَ، قل للذين تَديَّروا[٣] تدبروا أين البيوت؟! جُوزوا على الذين جُوزوا[٤] فقد وعظ الخُفوت[٥].

كم مسؤولٍ عن عذره في قبره مَبْهوت، لقد أنطق الوعظُ الصخورَ الصُّموت،

---

(١) **التخوت**: أوعية تصان فيها الثياب (معربة).

(٢) **التحوت**: الأسافل.

(٣) **تديَّروا**: عمروا الديار.

(٤) **جوزوا الأولى**: مروا على الجواز. **وجوزوا الثانية**: حوسبوا من المجازاة.

(٥) **الخفوت**: الذين يموتون فجأة.

أما يكفي زجراً أنك تموت، بادِرْ عُمُراً في كلِّ يومٍ يفوت، قلْ: أنا تائب إلى كم سُكوت؟.

قد تعوَّدَتْ منك النفسُ في المجلس النطقَ بالتوبـة، فهي تسخو بالكلام لعلمها أنه على غيرِ أصْلٍ، ولو تَيَقَّنَتْ صدقَ عزمِك لتوقفتْ عن القول.

هذا العصفورُ إذا كان على حائط فَصِحْتَ به لم يبرحْ، فإذا أهويتَ إلى الأرضِ كأنك تتناولُ حجراً تَلَمّحَ يدَكَ فارغة فلم ينْفُر، فإذا وضعْتَ يدَك على حجرٍ رأى الجِدَّ فَفَرّ.

يـا هذا! قولُك: أنا تائبٌ؛ مِنْ غيرِ عَزْمٍ نفخٌ في غَير ضَرَمٍ[1]، بَيضُ الترابِ[2] لا يخرجُ منه فَرْخٌ.

إخواني! العمرُ أنفاسٌ تسيرُ بلْ تطيرُ، الأملُ منامٌ لا تُرى فيه إلا الأحلامُ، هذا سيفُ الموتِ قد دنا، فإنْ ضربَ قَدَّنا[3]، هذا الرحيلُ ولا زادَ عندنا، انتبهوا من رُقاد الغفلةِ، تيقّظوا من نومِ التسويف[4]، عَرِّجوا عن طريق البَطالةِ، ابعدوا عن ديار الوحشة.

الفترةُ حيضُ الطِّباع، ووقوعُ العزيمة رؤيةُ النقا[5]، فحينئذٍ يتوجَّهُ الخطابُ بالتوجه إلى محراب الجِد.

أولُ منازلِ الآخرة القبرُ، فمَنْ ماتَ فقد حطَّ رحْلَ السفر، وسائرُ الورى سائر[6].

مَن كان في سِجْن التقى فالموت يُطْلِقُهُ، ومن كان هائماً في بوادي[7] الهوى فالموتُ له حبس يُوثقه، موت المتعبدين عِتْقٌ لهم من استرقاق الكدِّ،

---

(١) ضرم: الاتقاد والاشتعال، وفي (أ): في بَلْبسه.
(٢) يشير إلى البيض الذي يُلقى على التراب ولا يحضن لا يفقس.
(٣) قدَّنا: قطعنا.
(٤) في (ب): العطلة.
(٥) النقا: الطهر.
(٦) سائر الأولى: جميع الناس. وسائر الثانية: من السير والذهاب.
(٧) بوادي: جمع بادية

ورِفقٌ بهم من تَعَبِ المجاهدة، وموتُ العصاةِ أسرى استرقاقِ طولِ العذابِ.

من كان واثقاً بالسلامة من الجناية فَرِحَ بفك [باب][1] السجن، لما توعَّدَ فرعونُ السحرةَ بالصَّلب أنساهم أملُ لقاءِ الحبيب مرارةَ الوعيد ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

يا فرعونُ! غايةَ ما تفعل أن تحرّق الخِيم[2]، والركب قد سرى ﴿لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠].

مَنْ لاحتْ له مِنًى نسي تعب المَدْرَج.

(المهيار)[3]:

متى رُفعتْ لها بالغَوْرِ نارُ ... وقَرّ بذي الأراكِ لها قَرارُ[4]

فكلُّ دمٍ أراقَ السيرُ منها ... بحُكْمِ الشوقِ مَطْلولٌ جُبَارُ[5]

لا بدّ للمحبوبِ من اختبار المحبِّ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: ١٥٥].

أسلم **أبو جندل بن سُهيل** فقيّدَه أبوه، فلمّا نزل رسولُ الله ﷺ الحُديبيّةَ خرجَ أبو جندل يرسُفُ في قيده، فدخلَ في الصحابةِ، فقال سهيلُ: هذا أول مَنْ أُقاضيك عليه، فاستغاثَ أبو جندلٍ: يا معشرَ المسلمين! أُرَدُّ إلى المشركين، فيفتِنُوني عن ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لابدَّ مِنَ الوفاءِ**»[6] فرُدَّ إليهم، فَقَدَمُه تسعى إليهم، وقلبُه يجهّزُ جيوشَ الحِيَلِ في الخلاصِ.

(المهيار)[7]:

---

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): الجسم.

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها شرف المعالي القناني. انظر: ديوان شعره: ٦/٢.

(٤) **الغور وذو الأراك**: اسما موضعين.

(٥) **الجُبار**: الهدر. **ومطلول**: مهدور.

(٦) قال ﷺ: «**إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنّا لا نغدر بهم**»، ذكره البخاري في كتاب (الشروط)، باب (الشروط في الجهاد)، رقم (٢٧٣١ـ٢٧٣٢)، راجع: فتح الباري: ٥/ ٣٨٨؛ وسيرة ابن هشام: ٢/ ٣١٨.

(٧) مطلع قصيدة يهنئُ فيها الوزير أبا المعالي بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢ـ٣٣٦.

أَنْـــذَرَتْنِـــي أمُّ سَعْـــدٍ أنَّ سَعْـــدا دُوْنَهـا يَنْهَـدُ لـي بـالشَّـرِّ نَهْـدا[1]
وعلـــى مـــا صَفَحُـــوْا أو نَقَمُـــوْا مـا أرَى لـي مِنْـكِ يـا ظَبيـةُ بُـدّا

لما أسلمَ **مصعبُ بن عمير** حبَسَهُ أهلُهُ، فأفلَتَ إلى الحبشة، ثم قَدِمَ مكةَ، فدخلَ على رسول الله ﷺ، فأرسلَتْ إليه أُمُّه: يا عاقُّ! أتدخلُ بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي؟ فقال: ما كنتُ لأبدأ بأحدٍ قبلَ رسولِ الله ﷺ، فأرادَتْ حبسَه، فقال: والله لئن حَبَستِني لأحْرِصَنَّ على قتلِ مَنْ يتعرَّضُ لي، فتركَتْهُ.

وعَـاذِلُـونَ لِحَـوْبـي[2] فـي مَحبَّتِهِـمْ يـا لَيْتَهـم وَجَـدُوا مِثْـلَ الَّـذِي أجِـدُ
لَمَّا أطَالُوا عِتَابي فِيْكِ قُلْتُ لَهم: لا تُفْرِطُوا بَعْضَ هذا اللومِ واقْتَصِدُوا

جَمعَ حبسُ التعذيبِ بين **بلال وعمّار**، مصادرَيْنَ على بذل الدين، فزوّروا نطقَ عمار على خطِّ قلبِه، فلم يعرفوا التزويرَ، وأصَرَّ بلالٌ على دعوى الإفلاسِ، فسلّمُوه إلى صبيانهم في حَديدةٍ يصهرونه في حرِّ مكة، ويضعونَ على صدرِه وقتَ الرَّمْضاء صخرةً، ولسانُ محبته يقول:

(للمتنبي):

بِعَيْنَيْـكَ مـا يَلقَـى الفُـؤادُ وَمَـا لَقِـي وللشَّـوْقِ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّـي ومَا بَقِـي

واعجباً! أَيُلامُ ذو حسٍّ على عشقِ يوسُفَ؟!.

قَدِمَ **الطفيلُ بن عمرٍو الدَّوْسِيّ** مكةَ، فقالَتْ له قريشٌ: لا تَدْنُ من محمدٍ، فإنّا نخاف أنْ يَفتِنَكَ، فَسَدَّ أذنيه بقُطنَتَيْن، ثم تفكّر، فقال: واللهِ ما يخفى عليَّ الحَسَنُ من القبيحِ، فانطلقَ فسمعَ من رسولِ الله ﷺ فأسلمَ.

وما كُنْتُ مِمّنْ يَدْخُلُ العِشْـقُ قَلْبَـهُ ولكنَّ مَنْ يُبْصِرْ لَحَاظَكِ[3] يَعْشَـقِ

قطّعَتْ قريشٌ لحمَ خُبيب، ثم حَمَلوه إلى الجِذْعِ ليُصْلَبَ، فقالوا: أَتُحِبُّ

---

(١) ينهد نهداً: يصمد له، ويشرع في قتاله.
(٢) **الحَوْب**: الهم والحزن والوجع.
(٣) في (ب): جفونك.

أنَّ محمداً مكانَك؟ فقال: والله ما أحبُّ أني في أهلي وولدي، وأنَّ محمداً شِيك بشوكةٍ، ثم نادى: وا محمداه[1].

إنَّ فـــي الأســـرِ لَصَبّـــاً ... دَمْعُـــهُ فـــي الخـــدِّ صَـــبُّ[2]
هُـــوَ بـــالـــرُّوم مُقيـــمٌ ... وَلَـــهُ بـــالشَّـــامِ قَلْـــبُ

لما بُعثِ معاذُ إلى اليمنِ، خرجَ الرسولُ ﷺ يُودِّعه، ودموعُ معاذٍ ترشُّ طريقَ الوداعِ.

ولمَّـا تـزيلنـا مـن الجِـزْعِ وانتـأى ... مشـرِّقُ ركـبٍ مُصعـدٍ عـن مُغَـرِّبِ
تبينْـتُ أنْ لا دارَ مِـنْ بعْـدِ عـالـجٍ ... تَسُـرُّ، وأنْ لا خُلـةً بعـدَ زينـبِ

كانت الدنيا بمثلهم عَسَلاً، فتعَلْقَمتْ[3] بمثلكم، خلَتِ الديارُ من الأحباب، فلمَّا فرغَتْ رُدِم الباب.

(للنابغة):

وقفتُ فيهـا أَصِيـلاً كـي[4] أسـائِلَهـا ... أعيتْ[5] جواباً وما بالربعِ من أَحَدِ
أضحَتْ قِفاراً وأضحى أهلُها احتملوا ... أخنـى عليهـا الـذي أخنـى على لُبَدِ

جُزْ ببعض أنديتِهم نادها، وابكِ فَقْدَ الأحبابِ مَع ناديها.

(للبحتري):

إذا جُـزْتَ بـالغَـوْرِ اليمـانـي مُغْـرِّباً ... وحاذَتْك صحراءُ الشواجر يا سعدُ
فنـادِ ديـارَ العـامـرّيـةِ بـاللِّـوى: ... سَقَتْ رَبْعَكِ الأنواءُ، ما فَعَلَتْ هندُ

* * *

---

(١) انظر قصته في يوم الرجيع: سيرة ابن هشام: ٢/ ١٧٢.
(٢) صبّاً: محبّاً. صب: منسكب.
(٣) **تعلقمت**: صارت مُرَّة كالعلقم.
(٤) في ديـوان النابغـة:
«وقفـتُ فيهـا أُصَيْـلالاً أسـائلهـا ... عيَّتْ جـواباً ومـا بـالرَّبْعِ مِـنْ أَحَدِ»
والأصيل: العشي، وجمعه أُصُل وآصال، وتصغير: أُصُل: أصيلال.
(٥) وفي الديوان: «عَيّتْ» بحذف الألف.

الفَصْلُ السَّابِعُ والعِشْرُونَ

إنَّ الدنيا مذ أَبانَتْ مُحبَّها أَبانَتْ[١] حالَها، لقد روّت وما روت[٢]، ووارَتْ فأرتْ مآلها، لقد عرَفَ إدبارَها مَنْ قد ألِفَ إقبالها، وما اطمأنّتْ أرضُها إلا وزُلزلت زِلزالَها.

قلْ لِمنْ فاخَرَ بالدُّنيا وحامَى ... قَتَلَتْ قبلك ساماً ثمّ حاما
نَدفنُ الخِلَّ، وما في دفننا ... بعدَه شكٌّ، ولكِنْ نتعامى
إنّ قُدَّامَكَ يوماً لو بِهِ ... هُدّدَتْ شمسُ الضحى عادتْ ظلاما
فانتبهْ مِنْ رَقْدةِ اللهوِ وقُمْ ... وانفِ عَنْ عَيْنِ تمادِيْكَ المناما
صاحِ صِحْ بالقَبْرِ يُخْبِرْكَ بما ... قَدْ حَوَى، واقْرأ على القَوْمِ السّلاما
فالعظيمُ القدْرِ لو شاهَدْتَه ... لم تجدْ في قبرِه إلا العِظَامَا

تالله لقد ركضَ الموتُ فأسرعَ الركضَ، وبثَّ الجنودَ وطبّق الأرضَ، وما حمَلَ على كتيبةٍ إلا وَفَضّ[٣]، ولا صاحَ بجيشٍ إلا جاشَ وارْفَضّ[٤]، ولا لَوَّح إلى طائرٍ في البُرْجِ إلا انقضّ، إذا تكلَّمَتْ قوسُه بالنبضِ أسكَنَتِ النبضَ[٥]، بينا الحياةُ تُعرَبُ بالرفعِ جَعَلَ الشكلَ الخفضَ.

أين مصونُ الحصونِ؟ أُزعِجَ عنها، أينَ مقصورُ القصورِ؟ أُخْرِجَ منها، نقله هاذمُ اللّذاتِ[٦] نَقْلاً سريعاً، ومَقَلَهُ في بحرِ الآفات مُقْلاً[٧] فظيعاً، وفَرَّق بينهُ

---

(١) **أبانت** الأولى: أبعدت وقطعت. و**أبانت** الثانية: أظهرت وأوضحت.
(٢) **ما روّت**: من الري وهو ضد الظمأ.
(٣) **فض**: شتت وبعثر.
(٤) **جاش**: تدفق واضطرب. **ارفضّ**: تفرق.
(٥) **النبض** الأولى: إطلاق السهم. **والنبض** الثانية: حركة القلب.
(٦) كناية عن الموت.
(٧) **مقله مقلاً**: غمسه غمساً.

بالبين وبينَ بنيه، وطَرَقه بطارقِ النقضِ فأنقضَ ما كان يَبْنيه، لقد ولَّى ولا وليٌّ ذو وُدٍّ ينفعه، وبَان فبانَ[1] لباني الدنيا مصرعُه.

هجَره واللهِ مَنْ هاجرَ إليه، ونَسِيَه نسيْبُه وقد كان يحنو عليه، فلا صديقُه صَدَقَه في مودَّتِه، ولا رفيقُه أرفقَه في شِدَّتِه.

حَلُّوا ـ واللهِ ـ بالبلاءِ في البِلَى، وودّعهم من أوْدعَهم ثَـمّ[2] ثُمَّ قلـى، وانفردوا في الأخدود بين وَحْشِ الفَلا، وسألوا الإقالةَ فقيلَ: أمّا هذا فلا.

لو نطقَ الموتى بعد دفنهم لندِموا على غيّهم وأَفْنهم[3]، ولقالوا: رحَلْنا عن ظُلَمِ شرورنا إلى ظُلَم قبورِنا، وخَلَوْنا عن الأَخِلّاء بتُرابنا في آفاتٍ لا تُرى بنا، أفتَرى محبَّنا إذ ظَعَنَّا بِمَنْ قد اعتاضَ عنا؟.

وهذا مصيرُك بعدَ قليل، فتأهّبْ يا مقيمُ للتحويل، يا سليماً[4] يَظُنُّ أنّه سليم، جوارحُك[5] جوارحُك، سورُ تقواكَ كثيرُ الثُّلَم، وأعداؤك قد أحاطوا بالبلد، ويحك! قبل الرَّمْي تُراشُ[6] السِّهامُ، وبين العجز والتواني ينتج التَّوى[7].

يا قالي القائِل للنصائح وَأَوِدَّاؤُك[8] داؤك، كيف تجتمع همتك مع غَوْغاءِ المُنى وضوضاءِ الشهواتِ؟! كيف تتصرّفُ في مصالحك والشواغلُ[9] للشوى[10] غُلّ[11]؟! كم صادفْتَ الهدى فصدفْتَ[12]! لقد خَدع قلبَك الهوى فاسترق

(١) **بان**: انقطع وذهب. **فبان**: ظهر وتبين.
(٢) **ثَمَّ**: هناك
(٣) **أَفْنهم**: نقص عقلهم وحمقهم.
(٤) **سليماً**: ملسوعاً، يقال للديغ: سليم، تفاؤلاً بسلامته من السم.
(٥) الأولى: بمعنى الأعضاء، الثانية: بمعنى الآلات الجارحات.
(٦) **تراش**: يوضع لها الريش ويحملها في انطلاقها.
(٧) **التوى**: الهلاك.
(٨) **أوداؤك**: أحبابك.
(٩) **الشواغل**: جمع شاغلة ما يشغل الإنسان عن مقصده.
(١٠) **الشوى**: اليدان والرجلان والأطراف.
(١١) **الغُل**: بضم الغين، القيد المعروف.
(١٢) **فصدفت**: أعرضت.

فاسترَقّ[1]، أضرُّ ما عليكَ سوءُ تدبيرك.

آهٍ للابسِ شعارِ الطَّرِدِ وما يشعر به، وا أسَفاه لمضروبٍ ما يحسُّ صوت السوط! عجباً لمن أُصيبَ بعقله وعقلُه معه! يا مُعثَّرَ الأقدامِ مع إشراقِ الشمسِ! يا فارغَ البيتِ من القوتِ في أيّامِ الحصاد.

أمَلي مِنْ أمَلي ما ينقضي وغَرامي مِنْ غرامي قاتلي
كلّما أفنيتُ عاماً فاسداً جاء عامٌ مثلُه مِنْ قابِلِ
كلَّما أمَّلتُ يوماً صالحاً عرضَ المقدورُ لي في أملي
وأرى الأيامَ لا تُدني الذي أرْتَجي منك وتُدْنِي أجلي
وأرى الآمالَ بي سابحةً في بِحارٍ ما لها مِن ساحلِ

يا جرحى الذنوبِ قد عرفتم المراهم، أُخْرجوا من قَصْرِ مِصْر الهوى، وقد لاحتْ مدينةُ مَدْيَن، أُطلبوا بئرَ الشُّربِ، وإن صَدَرَ الرِّعاءُ فلعلَّ حضورَ **موسى** يتفق، متى استقامَتْ لكم جادةُ البكاء فلا تُعرِّجوا عنها، كان **عمر بن عبد العزيز** وفتح **الموصلي** يبكيان الدم.

قولوا لسكانِ الحِمَى تبدَّلَ الدَّمعُ دما
وكلُّ شَهْدٍ بَعْدَكُمْ قد صارَ مُرّاً عَلْقما

إذا تكاثَفَتْ كثبانُ الذنوبِ في بوادي القلوب، نَسَفَها نَفَسُ أسفٍ في نَفَس، يا أهلَ الزَّللِ قُوْا[2] أنفسَكم، فقد جمع [قسرُ][3] القهرِ بين الناقص والتام، لقد تاب الله على المؤمنين ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨].

لستُ وإن أعرضْتُمُ أيئس مِنْ أن تَعْطِفوا
فلا بَرَى[4] وجدي بكم ولا أزال[5] الشَّغَفُ
وصبرُ يعقوبٍ معي حتى يُرَدَّ يوسُفُ

---

(١) **استرقَ** الأولى: من السرقة، **واسترقَّ** الثانية: من الرق.
(٢) **قُوا**: من الوقاية. وفي (ب): قوّموا.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) **برى**: ضعف وهزل.
(٥) في (ب): أفاق.

يا من كان له قلب طيب، ووقت حسن، فاستحال خلُّه خمراً، ابكِ على مافقدْتَ في بيتِ الأسَف، لعلَّ انحدارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً من الوجدان يُطْفئ نَجيَّ البلابل.

ما أحسنَ ما كنتَ فتغيّرتَ، ما أَجْودَ جادَّتك فكيفَ تَعثَّرْتَ؟!.

وكنّا جميعاً قبلَ أن يظهرَ الهوى ... بأنعمِ حالَيْ غِبطةٍ وسُرورِ
فما بَرِحَ الواشون حتى بَدَتْ لنا ... بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ

البكاء على الفائتِ مِعْولُ الحزين.

(لأبي تمام):

وأنجدتُمُ مِنْ بعدِ إتْهَامِ دارِكُمْ ... فيا دمْعُ أنجِدْني على ساكني نَجْدِ
لَعمري قد أخلقتُمُ جِدَةَ البكا ... عليّ، وجدَّدْتم بِهِ خَلَقَ[1] الوجدِ

يا معاشرَ المطرودين عن صحبةِ أهلِ الدّينِ.

تعالَوْا نُقِمْ مأتماً للفراقِ ... ونَنْدُب إخواننا الظّاعنينا

هلموا نُرِق دَمْعَ تأسفنا على قُبْحِ تخلّفنا، ونبعثُ مع الواصلين رسالةَ مُحْصَر، لعلّنا نحْظى بأجرِ المصيبةِ.

أنجعُ المراهِم لجراحاتِ الذنوبِ الدموعُ، هَتْكةُ الدَّمعِ سِترٌ على الذنبِ.

قد كنتُ أصونُ دمْعتي في الآماق ... سَتراً للحُبِّ وهو ما ليس يُطاقْ
حتى صاحَ الوجدُ عن صحيحِ الأشواق ... ما حيلةُ من بُلي بهجرٍ وفراقْ

كان (**محمد بن المنكدر**) كثيرَ البكاء، فسئل عن ذلك فقال: آيةٌ من القرآن أبكتني: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، كيف لا تذهبُ العيونُ من البكاءِ، وما تدري ماذا أُعِدَّ لها؟!.

---

(١) **الخَلَق**: البالي المتهاوي.

سبقتْ السعادةُ **لمحمدٍ** ﷺ قبل كونه، ومضت الشقاوةُ **لأبي جهلٍ** قبلَ وجودِه، وخوف العارفين من سوابقِ الأقدارِ.

قَلْقَلَ الأرواحَ هيبةُ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. مع تَحكُّمِ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣] قَوِي قلق العلماء.

أتُـــرى ســـألـــوا لمَّـــا رَحَلُـــوا ... مَـــاذَا فَعَلُـــوا أم مَـــنْ قَتَلُـــوا؟
أحليـــفَ النَّـــوم أَقِـــلَّ اللَّـــوْمَ ... فَعِنْـــدي اليَـــوْمَ بِهِـــم شُغْـــلُ
أدْنـــى جَـــزَعـــي لـــم يَبْـــقَ معـــي ... قلـــبٌ فَيَعـــي[1] مُنْـــذُ احْتَمَلُـــوا
جَلَـــدي سَلَبُـــوا، جَسَـــدِي نَهَبُـــوا ... كَمَـــدي وَهَبـــوا، كَبِـــدِي تَبَلُـــوا[2]
لمَّـــا ذَرَفَـــتْ عَيْنِـــي وَقَفَـــتْ ... أَتُـــرى عَـــرَفَـــتْ مَـــا بِـــي الإبِـــلُ
وَلَحَـــا الـــلاّحي[3] وهُـــوَ الصَّـــاحي ... وهُـــمُ رَاحِـــي[4] وأنَـــا الثَّمِـــلُ
هَيْهَـــاتَ أَفِيْـــق إذْ لَيْـــسَ أُطِيْـــق ... هـــذا أَيَلِيْـــق فَمـــا العَـــدلُ

* * *

(١) **فيعي**: يدرك.
(٢) **تبلوا**: أسقموا.
(٣) **اللاّحي**: اللائم.
(٤) **راحي**: خمرتي.

الفصل الثامن والعشرون

تَيَقَّظْ لنَفْسِك يا هذا وانتبه ، وأحضِرْ قلبَكَ[(١)] وميِّزْ ما تَشْتَبه ، أمَا هذا منزلُك اليوم ، وغداً لستَ به؟! .

إذا مـا انجلـى الـرَّأيُ فَـاحْكـمْ بِـهِ ... ولا تَحْكُمَـنَّ بِمَـا يَشْتَبِـهْ
وَنَبِّـهْ فُـؤَادَكَ مِـنْ رَقْـدَةٍ ... فَـإنَّ المُـوَفَّـقَ مَـنْ يَنْتَبِـهْ
وَإنْ كُنْـتُ لَـمْ أَنْتَبِـهْ بـالَّـذي ... وَعَظْـتُ بِـهِ فَـانْتَبِـهْ أَنْـتَ بِـهْ

لقد أمكنتك[(٢)] الفُرصةُ أيها العاجزُ ، ولقد زال القاطعُ ، وارتفع الحاجزُ ، أيـن الهمـمُ العاليـة؟! وأيـن النجـائـز[(٣)]؟! أمَـا تخافُ هـاذمَ اللـذات والمُنى المناجِز[(٤)]؟! أمَا اعوجاجُ القناةِ دليلٌ على الغامز[(٥)]؟! أمَا الطريقُ طويلةٌ وفيها المفاوز؟! أما القبور قنطرةُ العبور فَمن المُجاوِز؟! أما يكفي من التنغيص حملُ الجنائز؟! أما العدوُّ محاربٌ فهل مِنْ مُبارز؟! أما الأمنُ بعيدٌ والهُلك ناجزٌ[(٦)] ، والقنا مشرَعٌ والطعنُ واخزٌ؟! .

تالله تطلبُ الشجاعةَ مِنْ بين المَعَاجز[(٧)] ، وترومُ إصلاحَ فارِكٍ[(٨)] وتقويم ناشزٍ[(٩)] ، إن لم يكن سبقُ **الصدِّيقِ**[(١٠)] فلتكن توبةُ **ماعز**[(١١)] .

ما هذه الغفلةُ والبِلى مصيرك؟! وكم هذا التواني فلقد أَوْدَى[(١٢)] تقصيرُك ،

---

(١) في (ب) : عقلك .
(٢) في (ب) : أمكنت .
(٣) جمع نجيزة ، وهي الوعود المنجزة المُوْفى بها .
(٤) **المناجز** : صفة لهاذم ، أي : المبارز المقاتل ، والمنى معطوفة على اللذات .
(٥) **القناة** : الرمح . **والغامز** : الرامي ، يقال : غمز المُثقِّف القناة : إذا عضَّها وعصرها .
(٦) **ناجز** : حاضر معجل .
(٧) **المَعَاجز** : جمع مَعْجَزَة ، وهي العجز ، والعجز : الضعف .
(٨) **فارِك** : مبغضة لزوجها .
(٩) **ناشز** : خارجة عن الطاعة .
(١٠) **الصدّيق** : أبو بكر رضي الله عنه .
(١١) **ماعز** : ماعز بن مالك ، الذي تاب وطهره رسول الله ﷺ من الزنى .
(١٢) **أودى** : أهلك .

أما صاح بك في سلَبِ صاحبك نَذيرُك، أفلا تتأهب لقَدْ ساءَ تدبيرُك؟!.

أُبْ[1] يا شاردَ الطبع منْ سَفَر الهوى، وأَذِبْ جامدَ العين[2] بنيران الأسى، لعل شفيعَ الاعتراف يُسألُ في أسير الاقتراف، نَقِّ عَيْنَيْكَ مِنْ عُيُوبِك، وخَلِّص ذَنُوبَك[3] من بحر ذُنُوبِك، وصُنْ صندوقَ فمِك بقُفل صَمْتك، واطْوِ طَيْلسانَ لِسانِك عن بَذْلَةِ نُطقِك، واغْضُضْ عينَك عن عيبِ غيرِك حفظاً لدينك، واكفُفْ كفَّكَ مكتفياً بما كَفَّكَ[4]، وابْنِ منْبرَ التذكيرِ لواعظِ القلبِ في ساحة الصَّدْر، ونادِ في شجعانِ العزائمِ وزهّاد[5] الفِكْر: هَلُمّوا إلى عقدِ مجلس الذكر. واحذر عينَ العدوِّ أن يُوقِعَ تشتيتَ الهمِّ في جمع العزم.

فإنْ رماكَ القدرُ بسهمِ الفتورِ عن قوس الحكمة من يد «لكلِّ عاملٍ فَتْرةٌ»[6]؛ فاتَّقِ بجُنَّة الاعتذار، فإن أَلْقى كُرةَ قلبِكَ إلى صَوْلجانِ التقليب في بيداءِ «المؤمنُ مُفْتَنٌ توابٌ»[7]؛ فجُلْ في ميدان الذّل.

فإنْ دَبَّ ذِئْبُ الهوى فعاثَ في مزرعةِ التُّقى، فأقمْ ناطورَ القلق، فإن أَفْلَتَ دجّالُ الطَّبع فأقامَ صليبَ الزلل، وأطلقَ خنزيرَ الشرَه، فالجأ إلى حَرَم التوبةِ، واستغِثْ بعيسى العون، لعلّه ينزلُ من سماء الألطاف، فيُهلكَ الدّجّالَ[8]، ويقتلَ الخنزيرَ، ويكسِرَ الصليبَ.

---

(١) **أُبْ**: عد وأنب.

(٢) في (ب): الدمع.

(٣) **ذَنوبك**: دَلْوك.

(٤) **بما كفك**: بما أُعطيته فكفاك.

(٥) في (ب): رهبان.

(٦) لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ فيما رجعنا إليه من كتب الحديث، لكن جاء في (مسند الحارث): «**لكل عابدٍ فترة، ولكل فترة شرة**». وفي (مسند الإمام أحمد) بلفظ: «**إنَّ لكل عمل شرة ثم فترة، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى**»، وفي (مسند الشهاب) بلفظ: «**إنَّ لكل عامل شرة، والشرة إلى فترة**».

(٧) لم نجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن جاء في (مسند الإمام أحمد) بلفظ: «**إنَّ الله يحبُّ العبدَ المؤمنَ المفتنَ التوابَ**».

(٨) **يشيرُ إلى علامة من علامات الساعة الكبرى التي تواترت بها الأحاديث، وهي نزول** المسيح عليه السلام، **وقتله للدجال عند باب اللد في فلسطين**.

اجلسْ ليلةً على مائدة السَّحرِ، وذُقْ طعمَ المناجاة يُنْسِكَ كلَّ لذّة، أرواحُ[(١)] الأسحارِ لا يَسْتنشقها مزكومُ غَفْلةٍ، إنَّها لتأتي بأَلْطافِ الحبيب، ثم تعود فيحاءَ[(٢)] تطلبُ رسالة، فمَنْ لم يكتب كتاباً فماذا يبعث؟!.

لو وقَفْتَ على جَادَّةِ التهجد ليلةً لرأيتَ ركْبَ الأحباب، لو سِرْتَ في أعراض القوم لحرَّكَ قلبَكَ صوتُ الحُداة، أقبلَتْ رياحُ الأسحارِ فاحْتَشَمَتْ[(٣)] تقبيلَ أقدامهم، وحركت أذيالَ أثوابهم.

(للشريف الرضي)[(٤)]:

وأمسَتِ الريحُ كالغَيْرَى تجاذِبُنا ... على الكثيبِ فضولَ الرَّيطِ واللِّممِ[(٥)]
يشي بنا الطِّيْبُ أحياناً وآونةً ... يُضيئُنا البرقُ مجتازاً على إِضَمِ[(٦)]
يُوَلِّعُ الطلُّ بُرْدَيْنا وقد نَسَمَتْ ... رويحةُ الفَجْرِ بين الضّالِ والسَّلَمِ[(٧)]

حديثُ القومِ مع الدُّجى يَطُول، يسيحون في فَلَوات خَلَواته، يندبون أطلالَ الحِبِّ، ويرتاحون إلى تَنَسُّمِهِ لشدة الطَّرَب.

وإنّي لأسْتنْشي الشَّمال إذا جَرَتْ ... حَنيناً إلى أُلَّافِ قلبي وأحبابي
وأُهْدي مع الريحِ الجَنوبِ إليهمُ ... سلامي وشكوى طولِ حُزني وأوْصابي[(٨)]

واعجباً لرسائلَ تُحْمَل في الأسحار، لا يَدْري بها الفَلَكُ، ولأجوبةٍ تَرِدُ إلى الأسرارِ، ولا يعلم بها المَلَكُ.

---

(١) **أرواح**: نسائم.
(٢) **فيحاء**: فائحة الريح العطر.
(٣) **احتشمت**: من احتشم، أي: استحيى وخجل.
(٤) انظر: الديوان: ٢/ ٢٧٤.
(٥) **الريط**: جمع ريطة، ملاءة من نسيج وكل ثوب رقيق. **واللمم**: جمع لِمَّة، الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغ المنكبين فهي جُمَّة.
(٦) **إضم**: واد في المدينة المنوّرة.
(٧) **يولع**: يجعل فيه لمع البياض. **الضال والسلم**: نوعان من الشجر.
(٨) **أوصابي**: أوجاعي وأمراضي.

يـا حَبَّـذَا رَنْـدُ العَقِيْـقِ وبـانُـهُ سُقِـيَ العَقِيْـقُ وأهْلُـه وزَمـانُـهُ
راقَـتْ خمـائلُـه ورقَّ نسيمُـهُ وَصَفَـتْ على حصبـائِـه غُـدْرانُـهُ
وَشَكَـتْ تبـاريـحَ الصبـابـةِ وُرْقُـهُ وتمـايَلَـتْ بيـدِ الصَّبـا أفنـانُـهُ
يا مفرَداً في حُسْنِهِ صِلْ مُدْنَفاً[١] فـي حُـزْنِـهِ لَعِبَـتْ بـه أشجـانُـهُ
صبّـاً إذا ذَكَـرَ العقيـقَ وأهلَـه صـابَـتْ[٢] مـدامِعُـه وجُـنَّ جَنانُـهُ

اجتمع المحبون في مساجد التعبّدِ أولَ الليل، فرماهم الوَجْدُ في آخره على قوارِع الطرق.

مَشَوْا إلى الراحِ مَشْيَ الرَّخِّ وانصرفُوا والراحُ تَمْشي بهم مَشْيَ الفرازين[٣]

فأرواحٌ أزعجَها الحبُّ، وأقلقها الخوفُ، سبحان من أمسكها باللُّطف.

قومٌ إذا هُجِرُوا مِنْ بعدِ ما وُصِلُوا مـاتُـوا وإنْ عـادَ مَـنْ يهـوَوْنَـه بُعثـوا
ترى المحبينَ صَرعَى في ديارِهِمُ كَفِتْيَـةِ الكهـفِ لا يـدرونَ مـا لبثـوا
واللهِ لـو حلـفَ العُشّـاقُ أنهـمُ سَكْرَى مِنَ البينِ يومَ البين ما حَنَثُوا[٤]

مجلسنا بحرٌ يرده الفيل والعصفور، [يأخذ كلٌّ منهم على قَدْر حَوْصَلَتِه][٥]، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

أطيار البلاغة قد خرجت من برجِ القلبِ، فأظهرتْ صناعتها في الجوى بالقلب، ثم رُفعت على غصن اللسان، تستريح إلى التغريد، فأين الطروب؟!.

سَحائبُ التفهيم قد هَطَلت بوَدْقِ[٦] البيان، أفترَاهـا اخْضَرَّتْ رياضُ الأذهان؟! ونحن في روضةٍ طعامُنا فيها الخشوعُ، وشرابُنا فيها الدموعُ، ونَقْلُنا[٧]

---

(١) **المدنف**: المريض الذي اشتد مرضه وأشفى على الموت. وفي (ب): مفرداً.
(٢) **صاب**: نزل.
(٣) **الفرازين**: جمع فرزان، وهو الشطرنج، معرب فرزين: وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.
(٤) في (ب): موتى من الحب أو قتلى لما حنثوا.
(٥) زيادة من (ب).
(٦) **الودق**: المطر، شديده وهينه.
(٧) **النَّقْل**: ما يؤكل مع الشراب، كاللوز والجوز ونحوه.

هذا الكلامُ المطبوع، نداوي أمراضاً أعجزت بختيشوع[١]، ونَرْقى الهاوِي[٢] ونرقى الملسوع، فليتَه كان كلَّ يومٍ لا كلَّ أسبوع.

(لصُرَّدُرّ)[٣]:

يـا صِحَـابِـي وأيـنَ مِنّـي صَحْبـي فَتَنَتْهـم[٤] عيـونُ ذاك السِّـرْبِ
كلمـاتٌ[٥] أسمـاؤهـن استعـاراتٌ ومـا هـنَّ غيـرُ طَعْـنٍ وَضَـرْبِ
أرنـي ميتـةً تطيـبُ بهـا النَّفْـسُ وقتـلاً يَلَـذُّ غيـرَ الحُـبِّ
لا تَـزُلْ بـي عـن العقيـق ففيـه وَطَـري إنْ قضيتُـه أو نَحْبـي
لا رعيتُ السُّوامَ إن قلتُ للصحبةِ: خِفِّـي عنّـي، وللعيـسِ: هُبِّـي

وحدي أتكلّم، وجدي يتألّم، ألا مَنْ تَـرَى[٦] يتعلّم؟ ألا مُودّع يُـتَسَلَّم؟.

(لابن المعلِّم):

هـو الحمَـى ومغـانيـهِ معـانيـه فـاحبسْ وعـانِ بليلـي مـا تعـانيـه
ما في الصحابِ أخو وَجْدٍ تُطارِحُه[٧] حـديـثَ نجـدٍ ولا صَـبٌّ تُجـاريـه
إليـكَ عَـنْ كـلِّ قلـبٍ فـي أماكِنـه سـاهٍ وعـنْ كـلِّ دمـعٍ فـي مـآقيـه
يُوهِي[٨] قِوَى جَلَدِي مَنْ لا أبوحُ به ويَسْتَبِيـحُ دَمـي مَـنْ لا أُسَمّيـه
يبلـى فمـا فـي لسـانـي مـا يُعـاتِبُـه ضَعْفاً، بلى في فؤادِي ما يُداويه[٩]

* * *

---

(١) **بختيشوع**: أسرة أطباء كانت في الخلافة العباسية، منها جبرائيل طبيب الرشيد والأمين، وولده بختيشوع بن جبريل (ت ٨٧هـ) طبيب المتوكل.

(٢) **الهاوي**: العاشق.

(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر محمد بن محمد بن جهير، يهنئه بعيد الأضحى والمهرجان. انظر: الديوان، ص٩٣.

(٤) في الديوان: (صرعتهم).

(٥) في الديوان: (لحظات).

(٦) في (ب): مريد.

(٧) **تطارحه**: تبادله الحديث وتحاوره فيه.

(٨) **يوهي**: يضعف.

(٩) في (ب): يداريه.

الفصل التاسع والعشرون

إخواني؟ تفكّروا في مصارعِ الذين سبقوا، وتدبَّروا مصيرَهم أين انطلقوا؟ واعلموا أنَّ القوم انقسموا وافترقوا، فمنهم قوم سَعِدوا، ومنهم قوم شَقُوا.

المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ طلعتِهِ ... يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يَتَّسقُ
يزدادُ حتى إذا ما تمّ أعْقَبَهُ ... كرُّ الجديدَيْن[1] نقصاً ثمّ يمتحق
كان الشباب رداء قد بَهِجْتُ به ... فقد تطايرَ منه للبِلَى خِرَقُ
وباتَ مُنْشَمِراً يحدو المشيبُ به ... كالليلِ ينْهَضُ في أعجازِه الفلقُ[2]
عجبتُ والدهرُ لا تفنى عجائبُهُ ... للراكنينَ إلى الدنيا وقد صُدقوا
وطالما نُغِصوا بالفَجْعِ ضاحيةً ... وطالَ بالفَجْعِ والتنغيصِ ما طُرِقوا
دارٌ تغرُّ بها الآمالُ مهلكةً ... وذو التجاربِ فيها خائفٌ فَرِقُ
يا لَلرِّجالِ لِمخدوعٍ بزخرُفها ... بعدَ البيانِ ومغرورٍ بها يَثِقُ
أقولُ والنفسُ تدعوني لباطِلها: ... أينَ الملوكُ ملوكُ الناسِ والسُّوَقُ[3]؟
أين الذين إلى لذّاتها رَكنوا ... قد كانَ لهم فيها عيشٌ ومرتفَقُ
أمستْ مساكنُهم قَفْراً معطَّلةً ... كأنّهم لم يكونوا قبلها خُلِقوا
يا أهلَ لذاتِ دارٍ لا بقاءَ لها ... إنّ اغتراراً بظِلٍّ زائلٍ حُمُقُ

أين مَنْ كان في سرور وغِبْطَة؟! أين مَنْ بسَطَ اليد في بسيطة البَسْطَة[4]؟! لقد أوقفهم[5] الموتُ في أصعبِ خُطَّة[6]، جَسَروا[7] على المعاصي فانقلبتْ

---

(١) **الجديدين**: الليل والنهار.
(٢) **الفلق**: الصبح ينشق من ظلمة الليل.
(٣) **السُّوق**: جمع سوقة: عامة الناس.
(٤) **البسطة**: الزيادة.
(٥) في (ب): أوقعهم.
(٦) **الخطة**: الأمر أو الحالة، وفي المثل: «جاء وفي رأسه خُطة» أي: أمرٌ قد عزم عليه. وفي الحديث: «**إنّه قد عرضَ عليكم خُطة رُشْد فاقبلوها**» أي: أمراً واضحاً في الهدى والاستقامة.
(٧) **جسر**: مضى ونفذ.

على الجيم النقطةُ[١]، بينا هم في الخطأ خطا إليهم صاحبُ الشرطة، هذا دأْب الزمانِ فإنْ صفا فغلطة.

كم تخوَّنَ[٢] الموتُ منا إخواناً، وكم قَرَن في الأجداث أقراناً[٣]، كم مُترَفٍ أبدلهُ الموت ديداناً، وهذا أمر إلينا قد تدانى، كم مُعِدٍّ عُوْداً لعيده صارت ثيابه أكفاناً، أَوَ ما شاهدنا مصرعَها وما كفانا، كم مَسْرورٍ بقصرِه عُوّض من قَصْرِه أعطاناً[٤]، أفترى هذا الأَمْنَ، من أعطانا؟.

نِمْنـا وصَـرْفُ الـدَّهْـرِ ليس بنـائـم   خُـزِمْنـا لـه قَسْـراً بغيـر خَـزائِـمِ[٥]

من جرى[٦] إلى شهواته مستعجلاً، تعثَّر بحَسَكِ الأَسَفِ، تَلَمُّحُ العواقبِ قَبْلَ الفِعلِ أمانٌ من ألم الندم، قد عرفتم عقابيلَ[٧] قابيلَ، وعلمتُمْ حُسنَ سَرابيل[٨] هابيل.

الشَّرْيُ[٩] يوجد في أعقابه ضَرَبٌ[١٠]   خيرٌ من الأَرْيِ[١١] في أعقابه نَدَمُ[١٢]

الهوى مطمورةٌ ضَيّقةٌ في حبس وَعر، ومذ خُلِقَ الهوى خُلِقَ الهوانُ، لا يتصرّف الهوى إلا في رَبْعِ قلبٍ فارغٍ من العلم.

---

(١) أي: خسروا.
(٢) **تخوَّن**: تنقّص.
(٣) **قَرَنَ**: جَمَعَ. **والأقران**: جمع قِرْن، وهو المثل والشبيه.
(٤) **أعطان**: جمع عَطَن، مَبارِكُ الإبل.
(٥) **خُزِمْنا**: ذللنا. **خزائم**: جمع خِزامة وهي حلقة من شَعَر تُجعل في وَتَرَةِ أنفِ البعيرِ يُشدّ فيه الزمام.
(٦) **في (ب)**: سعى.
(٧) **عقابيل**: جمع عُقبول، بقية العلة والعداوة والعشق.
(٨) **سرابيل**: جمع سِربال، وهو القميص، وأراد لباس التقوى.
(٩) **الشَّرْي**: الحنظل.
(١٠) **ضَرب**: الضرب: العسل الأبيض الغليظ، وهو كناية عن الحلاوة التي تُعقب المرارة.
(١١) **الأري**: العسل.
(١٢) **في (ب)**: لسع.

الجهلُ خندقٌ يحول بين الطالب والمطلوب، والعلم يدلُّ على القنطرة.

كتابةُ العلم في ليل الجهلِ تَفْتَقِرُ إلى مِصباحِ فطنةٍ، ودُهْنُ الذهنِ غالٍ.

ما قَدِرَ لصٌّ قطُّ على فَطِنٍ، متى نام حارسُ الفكر انتبه لِصُّ الهوى.

مَنْ ثبتَ قلبُه في حربِ الشهواتِ لم يتزلزلْ قدمُه، أول ما ينهزِمُ من المهزومِ عقلُه.

ما دمْتَ في حربِ العدوِّ، فلا تُبالِ بالجراحِ، فإنّه قد يُصابُ الشجاعُ، إنّما المهادَنةُ دليلُ الذُّل.

تأثيراتُ الذنوب على مقاديرها، وقعَتْ غلطةٌ من **يُوسفَ** فَقُدَّ القميصُ[1]، وقويتْ زلةُ **آدم** فخرجَ عُرياناً من الثياب، أين عزيمةُ توبةِ **ماعِز** لا عزيمةُ **توبة**[2]؟! أين هَمُّ **أويسٍ** لا غمُّ **قيسٍ**[3]؟!.

ما لم يكن لك محرِّكٌ من باطِنك فالخَلْقُ تضربُ في حديدٍ باردٍ.

(لصُرَّدُرّ):

ظلَلْـــتُ أكُـــرُّ عليـــه الـــرُّقـــى وتـــأبـــى عـــريكتُـــه[4] أن تلينـــا

ويحك؟ مَنْ زَمَّ[5] جوارحَه، ولازم البابَ، كان على رجاءِ الوصولِ، فكيفَ بمَنْ لا زَمَّ ولا لاَزَمَ!.

طوبى للزّهـاد، لقد مـرُّوا في المُطلَق[6]، مَـنْ يرافقُني إلى ديـار القـوم؟

---

(١) هذا من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء، وأراد بالغلطة: (الهمة) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، والتحقيق: أن يوسف عليه السلام ما همّ هو بدليل ﴿لَوْلَآ﴾ التي هي امتناع لوجود، فامتنع الهم لوجود البرهان.

(٢) أراد به توبة الحميري صاحب ليلى الأخيلية.

(٣) أراد به قيس بن الملوّح صاحب ليلى العامرية.

(٤) **العريكة**: الطبيعة والنفس، يقال: لين العريكة: سلس منقاد، والجمع: عرائك.

(٥) **زمَّ**: أي جعل لها زماماً يقودها إلى فعل الخير والبعد عن المعاصي.

(٦) **المطلق**: إشارة إلى أنَّ الدنيا لم تقيدهم، ولم يقعوا في شباكها.

ما أجـوزُ على البلدان، إنما أمضي على السَّماوة[1]، وهذه خيامُ **ليلى** فـأَينَ **ابنُ الملوَّح**:

هــذي منــازِلُهُــمْ ومــا لــي بعــدَ بُعْــدِ القـــوم خُبْــرُ
[ويلــــي! أحَظِّــــي كلُّــــه مِـــن دونِـــه صَـــدٌّ وهَجْـــرُ][2]

كان (سَريٌّ) يدافِعُ أوّلَ الليل، فإذا جُنَّ أخذ في البكاء إلى الفجرِ:

أقطــعُ ليلــي وجيــشُ وَجْــدي مِــنْ عَــنْ شمــالــي وعــن يَمينــي
تَــاللهِ لــو عــادنــي[3] رســولٌ لعــادَ عــن مُــدْنَــفٍ حَــزيــنِ
مــا حِيْلَتــي فِيْــكَ غَيْــرَ أنّــي أَسْــرِقُ مــن زَفْــرتــي أنينــي

ذلُّوا له ليَرْضى، فإذا رأيتَهم قلتَ: مَرْضى.

(لصُرَّدُرّ)[4]:

مــرضٌ بقلــبٍ[5] مــا يعــادُ وقتيــلُ حُــبٍّ مــا يُقــادُ
يــا آخــرَ العُشّــاقِ مــا أبصــرتَ أوَّلَهــم يُــذادُ؟
يقضــــي المتيَّــــمُ منهــــمُ نَحْبــاً، ولــو رُدُّوا لعــادُوا

يأْنَسون في الدُّجى بالظلام، ويطربون بنَوْح الحَمام، مرضى الأبدان من [طول][6] الغرام، أصحاء القلوب مع السِّقام، إذا ذكَرْتَ حبيبَهم رأيتَ المستهامَ قد هَام.

(لمهيار)[7]:

---

(١) **السماوة**: بادية الشام. ويشير إلى عبور خالد بالجيش من العراق إلى الشام عبوراً رائعاً سجله التاريخ بانبهار دون عقبة الصاد، اللهم إلا مشقة الطريق والصبر عليه.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) **عادني**: زارني. **وعاد**: رجع.
(٤) كتب به إلى الشريف أبي جعفر البياضي يداعبه. انظر: الديوان، ص١٥٨.
(٥) في الديوان: «بعليل».
(٦) زيادة من (ب).
(٧) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة. الديوان: ٤/ ٩٣.

وأنـتَ إنْ كنـتَ رفيقـاً فـأَعِـدْ ذِكْـرُ الحِمَـى أطيـبُ مـا غُنّينـا
أعـد فَمِـنْ آيـةِ سُكّـانِ الحِمَـى وذكـرِهِـمْ أن يُـذهـبَ الشُّجـونـا
شجواً كشجوي يا حَمامُ ساعدي إنَّ الحـزيـنَ يُسْعِـدُ[1] الحـزينـا
كـم مِـنْ دمـوعٍ رَدَّهـا صَـوْبَ دمٍ تَخْلُـجُ البـرقَ علـى يَبْـرينـا[2]

قال (**الشبلي**): لقيتُ جاريةً حبشيةً، فقلتُ: من أين؟ فقالت: مِنْ عندِ الحبيب، قلتُ: وإلى أين؟ قالـتْ: إلى الحبيب، قلتُ: ما الذي تريدين من الحبيب؟ قالتْ: الحبيب، قلتُ: فكم تذكرين الحبيبَ؟ فقالتْ: ما يسكنُ لساني عن ذكراه حتى ألقاه:

وحرمـةِ الـوُدِّ مـا لـي عنكـمُ عِـوضُ وليس لي في سِوَاكُم بعدَكمْ غَرَضُ
وَمِنْ جنوني[3] بِكُمْ قَالُوا: بِـهِ مرضٌ فَقُلْـتُ: لا زالَ عَنِّـي ذلـك المـرضُ

رئي (**معروف**) في المنام كأنَّه تحتَ العرش، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ملائكتي! مَنْ هذا؟ فقالوا: أنت أعلم، هذا معروف قد سَكِرَ من حُبِّك، فلا يفيقُ إلا بينَ يديك.

فـداوِ سُقْمـاً بجسـمٍ أنـت مُتْلِفُـهُ وأَبْـرِدْ غَـرَامـاً بقلـبٍ أنـتَ مُضـرِمُـهُ
ولا تَكِلْنـي علـى بُعـدِ الـدّيـارِ إلـى صبري الضعيفِ، فصبري أنتَ تعلمُهُ
تَلَـقَّ قلبـي فقـد أرسلتُـه فِـرَقـاً[4] إلـى لقـائِـكَ والأشـواقُ تَقْـدُمُـهُ

* * *

(١) **يسعد**: يعين.
(٢) موضع في البحرين شرقي جزيرة العرب.
(٣) في (ب): حديثي.
(٤) **الفِرَق**: جمع فِرْق وفِرقة: أقسام.

الفَصْلُ الثّلاثون

إخواني! البِدارَ البِدارَ، والجِدَّ الجدَّ، فالخصمُ مُعِدٌّ، والقصمُ مُجِدٌّ[1]:

مَكرُ الزمانِ علينا غيرُ مأمونِ ... فلا تُظنَّنَّ أمراً غيرَ مظنونِ
بل المخُوفُ علينا مَكْرُ أنفسِنا ... ذاتِ المنى دونَ مَكْرِ البِيضِ والجُونِ[2]
إنَّ الليالي والأيامَ قد كَشَفَتْ ... مِن مَكْرِها كلَّ مستورٍ ومكنونِ
وحدّثَتْنا بأنّا مِن فرائِسِهَا ... نواطقاً بفصيحٍ غيرِ مَلْحونِ
واستشهدَتْ مَنْ مَضَى منّا فأنبأنا ... عَنْ ذاكَ كلُّ لقًى[3] منّا ومدفونِ
وأمُّ سُوءٍ إذا ما رامَ مُرْتَضِعٌ ... أخلافَهَا صُدَّ عنها صَدَّ مَزْبُونِ[4]
ونحن في ذاك نُصْفيها مودَّتَنا ... تبّاً لكلِّ سفيهِ الرأي مغبونِ
نشكو إلى اللهِ جَهْلاً قدْ أضَرَّ بنا ... بل ليسَ جَهْلاً، ولكنْ علمُ مفتونِ
أغوى الهوى كلَّ ذي عَقْلٍ فلستَ ترى ... إلا صحيحاً له أفعالُ مجنونِ
حتى متى نشتري دنيا بآخرةٍ ... سفاهةً ونبيعُ الفَوْقَ بالدُّونِ
نبني المعاقلَ والأعداءُ كامنةٌ ... فيها بكلِّ طريرٍ[5] الحدِّ مسنونِ
ونجمعُ المالَ نرجو أن يُخلِّدنا ... وقد أبى قبلَنا تخليدَ قارونِ
نظلُّ نَستنفقُ الأعمارَ طيِّبةً ... عنها النفوسُ ولا نَسْخُو بماعونِ[6]
وما تأخَّرَ حيٌّ بعدَ ميتِهِ ... إلا تأخُّرَ نَقْدٍ بعدَ عُربونِ[7]

---

(١) **قصم**: كسر كسراً فيه انفصال وإهلاك. والقصم هنا: الهلاك. **ومجد**: من أجد، صار ذا جد واجتهاد، وأجد: أحكم.

(٢) **البيض والجون**: يشير إلى النهار والليل.

(٣) **لقى**: كلُّ مُلقًى لهوانِه.

(٤) **أخلافها**: أثداءها. **مزبون**: مدفوع بشدة.

(٥) **الطرير**: ذو المنظر والرواء.

(٦) **الماعون**: اسم جامع لمنافع البيت كالقِدر والفأس والقصعة والمطرقة، مما جرت العادة بإعارته.

(٧) **العربون**: بوزن العُرجون، والعَرَبون كذلك بفتحتين، هو ما يعجَّلُ من الثمن، على أن يحسب منه إذا مضى البيع وإلا استحق للبائع، على خلاف في ذلك.

يا مَنْ إذا دُعيَ إلى نفعه نبا ونشزَ![1] يا جامعاً لغيره ما جمع وكَنَزَ، يا مُتَثَبِّطاً في الخير، فإذا لاحَ الشرُّ جَمَزَ[2]، كأنّك بالألمِ وقد ألمَّ، فنكى[3] ونكزَ[4]، وَكَدَ[5] التبارُ[6] الروحَ بالتباريح[7]، واشتدّ العَلَزُ[8]، وأخذَ النَّفَسُ النَّفْسَ، فاضطرَّها وحفزَ[9]، ودار[10] في فَلَكِ الفوت، فإذا ملَك الموتِ قد بَرَزَ، فسماك بالمقبورِ، وبالمثبورِ قد نَبَزَ[11]، فتأهّبْ فالسعيدُ منا مَنْ تأهَّبَ للخيرِ وانتهزَ.

لقد عَلَتْ سنُّك وانتهَيْتَ، وما انتبهتَ ولا انتهيتَ[12]، أتعبتَ ألفَ رائضٍ ولم تؤدِّ الفرائضَ.

كم ضيّعْتَ عمُراً طويلاً! حمَلْتَ فيه وِزْراً ثقيلاً، كم نَصَبَ لكَ الموتُ دليلاً، إذ ساقَ العزيزَ ذليلاً، لقد حَمَل إلى القبورِ جيلاً جيلاً، ونادى في الباقين رحيلاً رحيلاً، لكنَّ الهوى أعادَ الطَّرْفَ كليلاً، وما كان الذي رأيتَ قليلاً.

يا مَريضاً عَجِيباً، كمْ أتعبتَ طبيباً! لقد تنوّع ضُروباً[13] فأخذ كلُّ عضوٍ نصيباً، إلامَ يبقى الغُصنُ رطيباً؟ مَنْ يَرُدُّ بُرْدَ الصِّبَا قشيباً[14]، لقد أمسى قريباً وَستُبصرُ يوماً غريباً.

---

(١) **نبا ونشز**: تجافى وتباعد وارتفع.

(٢) **جمز**: أسرع ووثب إليه.

(٣) **نكى**: من النكاية، أي: قتل وجرح.

(٤) **نكز**: نكس.

(٥) **وَكَدَ**: أصاب.

(٦) **التبار**: الهلاك، من تبر: هلك.

(٧) **التباريح**: الآلام.

(٨) **العَلَزُ**: القلق والهلع والخفة التي تصيب المريض.

(٩) **حفز**: دفع وحث.

(١٠) في (ب): ودارت.

(١١) نبز: أي لقبه بالهالك. **المثبور**: الهالك.

(١٢) **انتهيت** الأولى: قاربت النهاية. **وانتهيت** الثانية: لم تمتنع من المعاصي.

(١٣) **ضروب**: جمع ضرب: أصناف.

(١٤) **بُرد**: كساء مخطط يلتحف به، جمع أبرد وبرود. **قشيباً**: جديداً.

عجباً لك! لا الدهرُ يَعِظُك، ولا الحوادثُ تنهاك[1]، والساعاتُ تُعَدُّ عليك، والأنفاسُ تُعَدُّ منك، وأحبُّ أمريك إليكَ أعْوَدُهُما بالضَّرَرِ عليك.

يا هذا! مَنْ جَلا عينَ بصيرتِه مِنْ قَذَى الهوى، جلّى على بصرِه عرائسَ الهُدى، الصُّوَرُ تزاحِمُ المعاني، فمن حَلَّها حُلِّيَ بمغنى المعنى، فتَعلَّمْ حلّها بالتدريج.

كلُّ ذرةٍ من الكونِ تخبِرُ بلغةٍ بليغةٍ عن حكمةِ الفاطرِ، غيرَ أنهُ لا يفهمُ نطقَ الجوامِدِ إلا العقلُ.

نظرُ الأبصارِ اليومَ إلى الصانعِ بواسطة المصنوعِ تدريجٌ إلى رفع الوسائطِ غداً.

يا محبوساً في سجنِ غفلتِه اخْرجْ مِنْ ديارِ إدبارِك، واعبُرْ في مَعْبرِ اعتبارِك، قِفْ على بعضِ بقاعِ قاعٍ ترى كيفَ قد نَمَتْ خُضرةُ خُضْرَتِـهِ بأسرارِ الخالق إذ تَمَّتْ، تَلَمَّحْ أصنافَ النباتِ في ثيابِ الثباتِ، قد برَزَتْ في عيدِ الربيع تميسُ طرباً بالرِّي، تأمّلْ مُختَلِفَ الألوانِ في الغصنِ الواحدِ، فإنَّ صباغَ القدرةِ صَناع[2]، اسمعْ غِناءَ الوُرْقِ على عيدانِ العيدانِ[3] لعلَّ مقاطعَ السجوعِ توجبُ رجوعَ المُقاطِعِ:

ولقــدْ تَشْكُــو فَمــا أفهَمُهــا ... ولَقَــدْ أشْكُــو فَــلا تَفهمُنــي
غيــرَ أنّــي بــالجَــوى أَعْــرِفُهــا ... وهــي أيضــاً بــالجَــوَى تَعْــرِفُنــي

الحمائمُ نوائحُ المشتاقين، قد رَضِيَتْ من خِلَعِهم بجريان الدموع:

نــاحَــتْ سَحَــراً حمامــةٌ في غُصــنِ ... قــد جَــرَّعَهــا الفــراقُ كــأسَ الحَــزَنِ
تبكــي شَجَنــاً[4] تلقتْــه مِنّــي ... مــا يبكــي بــاكٍ إلا ويــروي عنّــي

وا عجباً! متى يُثمرُ لك وجودُ الثَّمرِ معرفةَ المُنعِمِ، كم تنضجُ الثمار

---

(١) في (ب): تنذرك وترعدك.

(٢) صَناع: ماهرة مُجيدة.

(٣) **عيدان الأولى**: جمع (عود) لآلة الغناء، **وعيدان الثانية**: **الأغصان**.

(٤) **شجناً**: شجنت الحمامة: رددت صوتها، عدته العرب نواحاً، والشجن: الهم والشاغل والحزن.

وتتناولها، وثمرةُ عرفانـك بَعْدُ فَجَّةٌ، ليـس حظُّك من النبـاتِ إلا الأكـلُ، أين التدبرُ[1] لعجيبِ الصَّنْعة والصُّنع؟!.

يا مؤثراً ضَنْكَ الحسِّ على فضاءِ العقلِ، كيف تبيعُ صفاءَ التأملِ بكَدَرِ الإهمالِ؟!.

مِنَ العجبِ أن ندعوكَ إلى تَلَمُّح العِبَر في الغِيَرِ! وأنتَ ما تبصرُ نفسَك، تدبّرْ قطرةً من ماءٍ صُبَّتْ على إيقاد نارِ الشهوةِ، كيف ظهرتْ فيها عن حركاتِ اللّذة رقومُ نُقوشٍ عَقَدتْها يدُ القدرة، كما تظهرُ الصورةُ في ثوب السقلاطوني[2] عن حركاتِ الشدِّ.

تأمَّلْ نطفةً مغموسَةً في دمِ الحيض، ونَقَّاشُ القدرةِ يَشُقُّ سمعَها وبصَرها مِنْ غيرِ مِسَاس، كيف تُربّى في حِرْزٍ مصونٍ عن مِشْعبٍ[3]، بينا هي ترفُلُ في ثوبِ نطفةٍ اكتستْ رداءَ عَلَقة، ثم اكتسَتْ صِفَةَ مُضغة، ثم انقسمَتْ إلى عظمٍ ولحم، فاستترتْ من يدِ الأذى بوقاية جلدٍ، ثم خرجتْ في سربالِ الكمالِ تسحبُ مطارفَ الطرائفِ، فبينا هي في صورةِ طفلٍ دَرَجت درجةَ الصبيّ، فتدرَّجَتْ إلى النطق، وتشبثتْ بذيلِ الفهم.

فكم مِنْ صوتٍ بين أرجل النقل من تحريك جلاجل العبر في خلاخل الفكر، كلما رنَّتْ غَنَّت ألسنُ الهدى في مغاني المعاني، وكيف يسمعُ أطروشُ الغفلة؟ هذا بعضُ وصْفِ الظاهر، فكيف لو فهمتَ معنى الباطن؟!.

الآدمي كتابٌ مسطورٌ، وشخصُه رِقٌّ منشور، قلبُه بيتٌ معمورٌ، همُّه سقفٌ مرفوعٌ، علمُه بحرٌ مسجورٌ، من ينتفع بأسماعِكُم بعدي؟!.

وما تُحسِنُ الأيـامُ تكتـبُ مـا أُمـلـي

* * *

---

(١) في (ب): التدبير.
(٢) منسوب إلى سقلاطون: بلد بالروم.
(٣) مِشْعب: مثقب.

الفَصْلُ الحَادِي وَالثَّلاثُونَ

يا جامعاً المالَ لغيرِه، تاركاً للتزوُّد في سيره، أَتحْظى بشرِّ كسبِكَ، ويُحَصِّلُ سواكَ بخيرِه:

سَابَقَ إلى مالِكَ وُرّاثُهُ ... ما المرءُ في الدُّنيا بلبّاثِ
كم صامتٍ[1] يخنُقُ[2] أكياسَه ... قد صاحَ في ميزانِ ميراثِ

أين جامعُ الدنيا طَرَحها واطَّرح؟ أين اللاهي بها حَزِنَ بعد أن فَرِح؟ جالَ في وصف الحرب عنها فاغْتيلَ وجُرح، وظَنَّ الأمرَ سهلاً، فإذا الرجلُ ذُبح، بينا هو في لذّاتِه يغتَبِقُ ويصطبح[3]، برّحَ به[4] أمرٌ مُرحِّلٌ فما برح، نزل ـ والله ـ لحداً ضيقاً فما ينْفسح، وصمَتَ تحت الثرى، فكأنّه لم ينْطِقْ ولم يَصِحْ، وكُتِبَ على قبره: ما أخَّرَ خَسِرَ، وما قَدَّمَ ربح، وعُدِلَ إلى قصره بعد الدفن فافتُتِح، وأصبحتْ سهامُ الوارثِ في ماله تنتطِح.

يا مُعرِضاً عن الهدى والأمرُ مُتَّضِحٌ، أوَ مَا حالُك كهذا الحال الذي شُرِح؟! كأنَّكَ بك في ضِيق خِناقِك تبكي على قبيحِ أخلاقك، وخيَلُ الدموعِ تجري في حَلَباتِ آماقِكَ، وقد تحيَّرْتَ عند التفافِ ساقك بساقك، وأُسِرْتَ ـ لا بقيدٍ ـ عن حركات إطلاقِك، وناداك تفريطُك: هذا بعضُ استحقاقك.

لا تكْذِبَنّ فإنّني ... لكَ ناصحٌ لا تَكْذِبَنَّهْ

---

(١) **الصامت**: الساكت وما لا نطق له، ومن المال: الذهب والفضة، يقال: ما له صامت ولا ناطق: أي لا يملك شيئاً.

(٢) **يخنق**: كناية عن ربط كيس النقود حبساً لها فيه.

(٣) **يغتبق ويصطبح**: شراب المساء والصباح.

(٤) **برّح به**: جهده.

فــاعْمَــلْ لِنَفْسِــكَ مــا استطعــــــتَ فــإنّهــا نــارٌ وَجَنَّــهْ

إخواني! كم مِنْ حريصٍ قد جمعَ المال جمعَ الثُّريا[١]؟ فرَّقتُه الأقدارُ تفريقَ بناتِ نَعْشٍ[٢].

يا ذا اللُبِّ! حدّثني عنكَ أتُنفِقُ العمرَ الشريفَ في طلب الفاني الرذيل؟!.

ويحك! إنَّ الهوى مِرْعادٌ مِبْراقٌ بلا مطر، الدنيا لا تساوي نقلَ أقدامِك في طلبها، أرأيتَ غزالاً يعدو خلفَ كَلْب؟! الدنيا مجازٌ[٣] والأخرى وطن، والأوطارُ في الأوطانِ أطوارٌ[٤]، إيثارُ ما يفنى على ما يبقى بِرْسامٌ حادٌّ[٥].

يا أبناءَ الدنيا! إنّها مذمومة في كل شريعة، والولد ـ عند الفقهاء ـ يتبعُ الأمَّ[٦].

يا مَنْ هو في حديثها أنطقُ من **سَحْبان**[٧]، وفي انتقادِ الدنانير أنسبُ من **دُغْفُل**[٨]، فإذا ذكرتِ الآخرةُ فأبله من **باقلٍ**[٩]، حيلتُك في تحصيلها أدقُّ من الشَّعر، وأنتَ في تدبيرها أصنعُ من النحل، وعينُ حِرْصِكَ عليها أبصرُ من

---

(١) **الثريا**: نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره.

(٢) **بنات نعش**: سبعة كواكب تشاهَدُ في جهة القطب الشمالي، شُبِّهت بحَمَلة النعشِ، واحدها ابنُ نعش، وأوسط بنات نعش السها، وهو أخفاها.

(٣) **مجاز**: جسر.

(٤) **الأوطار**: جمع وَطَر، أي: الحاجة، **أطوار**: حالاتٌ شتى مفردها طَوْر، يشير إلى أن المسافر في الدنيا لا يحتاج إلا إلى ما يبلّغه المقيل، حيث الحاجات الأخروية المتنوعة التي تتحقق بالأعمال الصالحة.

(٥) **بِرْسام حاد**: البرسام: عِلةٌ معروفة، وهي ذاتُ الجنبِ؛ التهاب في الغشاء المحيط في الرئة، أي علة شديدة حادة.

(٦) في حالة الرق والزواج من الأمة.

(٧) **سحبان**: اسم رجل من وائل، كان لَسِناً بليغاً يضرب به المثل في البيان والفصاحة، فيقال: (أفصح من سحبان).

(٨) **دُغفلُ**: هو دغفل بن حنظلة النسّابة، أحدُ بني شيبان، وفي المثل: (أعلم من دُغْفل).

(٩) **باقل**: اسم رجل، يضرب به المثل في العيِّ، قال الأموي: من أمثالهم في باب التشبيه: «إنه لأعيا من باقل» (انظر: لسان العرب، مادة: بقل).

العُقاب، وبطنُ أمَلِكَ أعطشُ من الرمل، وفمُ شَرَهِكَ أشربُ من الهِيمِ[(١)]، تجمعُ فيها الدُّرَّ جمع الذَّرِّ، يا رفيقاً في البله لدودِ القزِّ، ما انتفعتَ بموهبة العقل.

كَـدُودٌ[(٢)] كـدودِ القـزِّ ينسـجُ دائمـاً ... ويَهْلِـكُ غمّـاً وسـطَ مـا هـو نـاسِجُه

ويحك! إنَّ سرورها أقتلُ من السّمِّ، وإنَّ شرورها أكثرُ من النمل، إنّها في قلبك أعـزُّ من النَّفْـسِ، وسـتصيرُ عندَ الموتِ أهونَ من الأرض، حرصُك بعد الشيبِ أحَرُّ من الجمرِ، أبقيَ عُمْرٌ يا أبردَ من الثلج؟!.

يا من هو عن نجاته أنومُ من فهد! ضَيَّعْتَ عُمْراً أنفسَ من الدُّرِّ، أنتَ في الشرِّ أجرى من جواد، ومن الخير أبطأُ من أعرج.

تسعى إلى العاجلِ سَعْيَ رُخٍّ، وتمشي في الآجلِ مَشْيَ فِرْزان[(٣)].

الزكاة عليك أثقلُ من أُحُدٍ، والصلاةُ عندَكَ كنقل صخرٍ على ظهرٍ، وطريقُ المسجدِ في حُسْبانِ كَسَلِكَ كفَرْسَخَيْ ديرِ كعبٍ، صَدْرُكَ عند حديثِ الدنيا أوسعُ من البحرِ، ووقتُ العبادةِ أضيقُ من تسعين[(٤)]، معاصيك أظهرُ[(٥)] من الشَّمس، وتوبتُكَ أخفى من السُّها[(٦)]، إنْ عَرَضَتْ خطيئةٌ وثبتَ وُثوبَ النَّمِرِ، فإذا لاحت طاعةٌ رُغْتَ رَوَغانَ الثعلبِ، تُقْدِمُ على الظلمِ إقدامَ السَّبُعِ، وتخطفُ الأمانةَ اختطافَ الحُدَأة.

يا أظلمَ من الجُلُنْدَى[(٧)] ما تأمنُكَ غِزْلانُ الحَرَمِ.

---

(١) الهيم: الإبل العطاش، ويقال: كثيبٌ أهيم، وكثبانٌ هِيْمٌ وهي رمال لا يرويها ماء السماء.

(٢) كدودٌ: صيغة مبالغة من الكد، وهو الشدة في العمل وطلب الكسب.

(٣) رخ: الرخ طائر خرافي بالغَ القُدامى في وصفه، وهو أيضاً حجر في الشطرنج ويسمّى القلعة، مكانه زوايا الرقعة، و(الفرزان): هو الشطرنج، معرب فرزين: وهو بمنزلة الوزير للسلطان. انظر: تاج العروس: ٢/ ٣٠٠.

(٤) عد التسعين أن تجعل أنملة السبابة في أصل الإبهام.

(٥) في (ب): أشهر.

(٦) السُّها: كوكب صغير خفيُّ الضوء في بنات نعش.

(٧) الجُلُندى: اسم ملك عُمان، ومن الأمثال: «أظلم من الجُلُندى»، والجلندى: ملك من ملوك عمان يقال هو المعني بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. ذكره الزمخشري (انظر الأعلام: ٢/ ١٣٣).

يا كنعانَ(١) الأمل، يا نُمرودَ(٢) الحيل، يا نُعمانَ(٣) الزلل، أنت في حُبِّ المال شِبْهُ الحُباحِبِ(٤)، وفي تدبيرِ تبذيرِ العُمُرِ رفيقُ حاتِمٍ(٥)، تمشي في الأمل على طريقِ أشْعَبَ(٦)، وسَتَنْدَم ندامةَ الكُسَعيِّ(٧).

يا عُذْرِي الهوى في حُبِّ الدُّنيا، يا كوفيَّ الفقهِ في تحصيلها، يا بصريَّ الزّهدِ في طلبِ الآخرة، إنَّما يُـتْعَبُ في تعليم البازيّ ليصيدَ ما له قَدْرٌ، ولما تعلَّمَ بازيُّ فكرِكَ أرسلتَه على الجيف.

ويحك! تَفَكَّرْ قبل سلوكِ طريق الهوى في كثرة المعاثرِ والصدمات، أوَ مَا المكروهاتُ في طيِّ المحبوبات كوامن؟!.

يا مُطلِقاً نفسَه في محظورِ شهواتها، اذكر الغَمْسَ في الرَّمْسِ.

---

(١) **كنعان**: هو ابن نوح عليه السلام دعاه أبوه ليركب السفينة فأبى، وأمّل في الجبل أن يمنعه من الماء، ولكن هيهات إذ لا عاصم من أمر الله إلا من رحم، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٣].

(٢) **نمرود**: اسم ملك، قتله الله بِبَقَّةٍ دخلت في أنفه، والده كنعان بن سنحاريب.

(٣) **نعمان**: هو النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

(٤) **الحباحب**: ذباب يطير بالليل يضيء ذنبه.

(٥) **حاتم**: هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، توفي في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ.

(٦) **أشعب**: يعرف بابن حميدة المعروف بالطَّمع. قال في «الميزان»: هو مدنيٌّ له نوادر، كان مزّاحاً لطيفاً، قال الأزدي: لا يكتب حديثه، وقلَّ ما روى، له ترجمة في (تاريخ دمشق) و(بغداد)، وذكره مغلطاي في حاشية (أسد الغابة)، والذهبي في (الميزان) برقم (٩٩٣): ١/ ٢٥٨، طبعة دار المعرفة.

(٧) **الكسعي**: رجل من كسع اسمه محارب بن قيس، كان يرعى إبلاً له بواد معشب، فبينما هو كذلك إذ أبصر نبعة في صخرة فقال: ينبغي أن تكون هذه قوساً، فجعل يتعهدها حتى إذا أدركَتْ قطعها، وجففها، فاتخذ منها قوساً، ثم رمى بها ليلاً قطيعاً وراء قطيع من الحمر، وظن أنه أخطأ في كلِّ مرة، فغضب فكَسر قوسَه، ثم في الصباح تبين أنها أصابت كل ما رمته، فندم وعضَّ أصبعه وقطعها.

يا ذا البالِ الناعمِ فوق الأرض! اذكر الناعمَ البالي تحتها.

أتلفّق والزمانُ يفرّق؟! أتؤلّفُ والجديدان[1] يمزق؟! أتُصَفِّي والدهر يُرنِّقُ[2]؟! أتؤمّلُ والموتُ مُفوّق[3]؟! ويحك! إنَّ القاصدَ قاصمٌ، وما للعاصي عاصِم، أنت في أرْبابِ الذنوب غريقٌ، وفي رُوم الهوى بِطريق[4]، فاحذر عقابَ الأكابر يا قليلَ الخبرة بالطريق، اطلب رفْقةً إذا لم تعرف القبلةَ بالعلاماتِ، ففي المساجدِ محاريب.

إذا رأيت قِطارَ التائبين متصلاً فعلِّقْ عليه.

أهــلَ الغــرام تجمّعــوا	فـاليـومُ يـومُ عتـابِنـا
نَعَــقَ الغُــرابُ بيننَــا	فغُــرابُنــا أغــرى بنــا
إنَّ الــذيــن نُحِبُّهــم	قــد وُكِّلــوا بعــذابنــا
قــومُــوا بنــا بحيــاتكــم	نَمْضــي إلــى أحبــابنــا
قــومٌ إذا ظَفُــروا بنــا	جــادُوا بعَتــقِ رقــابنــا

من مشى إليّ هرولتُ إليه[5]، دعوناك بالوسائط فلم تحضُرْ، فأتى المرسِلُ ينزل إلى سماء الدنيا[6]، النطقُ متشابه، والذوقُ مُحْكَمٌ.

---

(١) **الجديدان**: هما الليل والنهار. وفي (ب)؛ الحدثان، وهما بمعنى واحد.

(٢) **يرنق**: يكدر.

(٣) **مفوق**: فوّق السهم: عمل له فُوقاً، والفُوق من السهم حيثُ يثبتُ الوتر منه، وهما فوقان، ويشير إلى استعداده للرمي بسهمه النافذ.

(٤) **بِطريق**: القائد في جيش الروم.

(٥) يشير إلى الحديث القدسي: «**من جاءني يمشي أتيته هرولة**» رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب(١٥)؛ ومسلم في كتاب التوبة، باب (١١)، والترمذي وابن ماجه وأحمد.

(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**» وفي رواية له: «**ينزل ربنا**» أخرجه البخاري في التهجد: باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وفي الدعوات: باب الدعاء نصف الليل، وفي التوحيد: باب قول الله سبحانه وتعالى: «**يريدون أن يبدلوا كلام الله**»؛ و أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الصلاة، وأحمد=

ولمـا رأيـتُ الحُـبَّ قـد مُـدَّ جِسـرُه ... ونوديَ بالعُشّاقِ قوموا بنا فَاسْروا
خرجتُ معَ الأحبابِ كيما أحوزُه ... فصادفني الحِرْمانُ وانقطعَ الجِسْرُ
ومالَت بنا الأمواجُ من كلِّ جانبٍ ... ونادى منادِ الحُبِّ قـد غرقَ الصَّبْـرُ

* * *

= وابن ماجه وابن خزيمة في التوحيد وغيرهم. وتجده في فتح الباري: ١٣/ ٤٦٤، ٣/ ٢٩. وقال الحافظ ابن حجر: استدل بهذا الحديث من أثبتَ الجهة، وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور، لأنَّ القول بذلك يفضي إلى التحيّز، تعالى الله عن ذلك، هذا، وقد حمل الجهوية النزول على ظاهره وحقيقته، ولم يلتفتوا أمام هذه النصوص المتشابهة إلى المحكم الذي هو أمّ الكتاب. قال البيضاوي: لما ثبت بالقواطع أنّه سبحانه منزَّهٌ عن الجسمية والتحيز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، وهناك من ضبط اللفظ هكذا «يُـنْـزِل» أي ملكاً، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ: «**إنَّ الله يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً يقول**: . . .»الحديث، قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال. هذا وقد علّقَ الإمامُ النوويُّ على حديث «النزول» في شرحه صحيح مسلم قال: هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء ومختصرهما:

أنَّ أحدَهما: وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلّمين: أنه يؤمن بأنّها حق على ما يليقُ بالله تعالى، وأنَّ ظاهرَها المتعارَف في حقنا غيرُ مراد، ولا يُـتَـكَلَّمُ في تأويلها مع اعتقادِ تنزيه الله تعالى عن صفاتِ المخلوق، وعن الانتقال والحركات وسائر سماتِ الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكيٌّ هنا عن مالك والأوزاعي أنه تُتأول على ما يليقُ بها بحسب مواطنها. . . وقد أوّل الحديث بتنزل رحمته وأمره وملائكته، كما يقال: فعل السلطان كذا، إذا فعله أتباعه بأمرِهِ هو، أو على سبيل الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعية بالإجابة واللطف، والله أعلم. انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ٦/ ٣٦ـ٣٧.

الفصل الثاني والثلاثون

يا هذا! لو عاينتَ قِصَر أجَلِك لزهدتَ في طول أملِك، وليقتلنَّك ندمُك إن زَلّت بك قدمُك.

(للمتنبي)[1]:

إلى كم ذا التواني[2] في التواني؟ وكم هذا التمادي في التمادي[3]؟
وما ماضي الشَّبابِ بِمُسْتَرَدٍّ ولا يومٌ يمرُّ بِمُسْتعادِ
متى لَحَظَتْ بياضَ الشيبِ عيني فقد وجَدَتْه منها في السواد
[متى ما ازددتُ مِن بعدِ التناهي فقد وقعَ انتقاصِي في ازديادي][4]

إلى متى تحرِصُ على الدنيا وتَنْسى القدرَ؟! مَن الذي طلبَ ما لم يُقدَّر فقَدِر؟! لقد آذاك إذ ذاكَ النَّصَبُ، وأوقعك الحِرْصُ في شرَكِ[5] الشِّرْكِ إذ نُصِب.

أتحمِلُ على نفسِكَ فوقَ الجهدِ؟! ولو قنعت أراحك الزهدُ، فلماذا تحمِلُ ما آذى ولِمَنْ؟! ومَنْ ينفعُك إن قتلتَ نفسَك يا هذا ومَنْ؟! تحمل على الهم الهمَّ لأمرٍ لو قُضِيَ تَمَّ؟ أحرصاً على الدنيا؟! لا كانت! أم شكّاً في عيوبها؟! فقد بانت!.

رَأَيْتُ ظُنُونِي بِهَا كَالسَّرَابِ فَأَيْقَنْتُ أنَّ سَرَابِي سَرَى بِي

---

(١) من قصيدة قالها في مدح علي بن إبراهيم التنوخي. انظر: شرح الديوان، للعكبري: ١/ ٣٥٦؛ والديوان، ص٧٨.
(٢) في الديوان: (التخلف).
(٣) **التمادي**: التطاول والانتظار.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) **شرك**: حبالة الصائد. يشير إلى خطر مغالبة القدر، والحرص على ما لم يُقَدَّر، وهذا يوقع الإنسان في الشرك، حيث يريد أن يوجد ما لا يريد الله خلقه.

كم غرَّتِ الدنيا فَرْخَها فعَرَّت[1]! ثم ذبحته بِمُدْية ما مرَّت، إنَّها لتقتلُ صيّادَها، وتأكلُ أولادَها.

عــزيــزٌ علــى مُهجتــي غَــرَّنــي   وسلَّــمَ لــي الــوَصْــلَ واستسلمــا
فلمّــــا تَمَلَّكَنِــــي واحتــــوى   علــى مُهْجَتِــي ســلَّ مــا سَلَّمــا

واللهِ لو كنتَ في رِياشها أكْسَى من الكَعْبة لم تخرجْ منها إلا أعرى من الحجرِ الأسود.

قيل لراهبٍ: ما الذي حبّب إليك الخلوة، وطردَ عنك الفترة[2]؟.

قال: وثبةُ الأكياسِ من فخِّ الدنيا.

وقيل لآخر: لم تخليْتَ عن الدُّنيا؟.

فقال: خوفاً ـ واللهِ ـ من الآخرة أن تتخلى عني.

من غَرس في نفسِه شرفَ الهِمَّةِ فنَبتَ[3] نَبتْ[4] عن الأقذار، ومن استقرَّ ركنُ عزيمته وثَبَتَ، وثبتْ[5] نفسُه عن الأكدار:

قـد انقضـى العُمْـرُ وأنـتَ فـي شُغُـلٍ   فاجْسُرْ على الأهوالِ إن كنْتَ رَجُلْ

يا زَمِنَ[6] الهِمَّةِ! يا مُقْعدَ العزيمة! يا عليلَ الفهم! يا بَعيدَ الذهن!.

أمَا اشْتَقْتَ مغنى الهوى حينَ طابَ   ومَنْبَـتَ غُصْـنِ الصِّبـا حيـنَ مـالا
أمــا آنَ مِــنْ نــازحٍ أن يَحِــنَّ   وللــوَصْـلِ مِـنْ هـاجـرٍ أنْ يُـدالا

سارَ المجدّونَ وتَركُوْك، ونجا المخفُّون وخلّفوك، نادِهِمْ إن سمعوك، واستَغِثْ بهم إنْ رحموك.

---

(١) **فعرّت**: ألحقت بهم المعرّة، أي: العار والعيب.

(٢) **الفترة**: الفتور وضعف الهمة في العبادة.

(٣) **فنبت**: من الإنبات، أي: ترعرع.

(٤) **نبت**: تجافت وتناءت.

(٥) **ثبت الأولى**: من الثبات، **وثبت**: من الوثوب.

(٦) **الزمن**: المريض.

أيُّها الراحلونَ من بَطْنِ خَيْفٍ وركابُ النَّوى بهم تَترامى[1]
إنْ أَتَيْتُم وَادي الأَرَاكِ[2] فاهْدُوا لِحَبِيبِي تحيَّتي والسَّلاما
وَرِدُوا ماءَ ناظري عِوَضَ الغُدْرانِ وارْعُوْا بين الحشا[3] لا الخُزامى
[واطلبوا إليَّ قلبي وآيته أن تجدوا فيه مِنْ هواهُم سِهَاما][4]

يا من أبعَدَتْهُ الخطايا عنهم، ادْرُج[5] مرحلةَ الهوى وقد وصلْتَ، أنت تَتعلَّلُ للكسلِ بالقَدَر، فتقول: لو وفقني، ولكسَبِ الشهوات بالندب إلى الحركة ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥]، أنت في طلب الدنيا قَدَريٌّ[6]، وفي طلب الدين جَبْريٌّ، أيُّ مذهبٍ وافقَ غرضَك تَمذْهَبْتَ به! أوليس في الإجماع ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]؟! جسدُك عندنا وقلبُك في البيت، نحن في وادٍ وأنت في واد.

بَكَرتْ صُبْحاً عواذلُهُ ورسيسُ[7] الحبِّ قاتلُه
هو في وادٍ ولَسْنَ به والهوى عنهن شاغلُه
يَتَمَنَّيْنَ السُّلوَّ له ومُناهُ مَنْ يواصِلُه

لابدَّ ـ واللهِ ـ مِن قَلَقٍ وحُرْقة، إمّا في زاوية التعبدِ أو في هاويةِ الطَّرْد، إما أنْ تَحرقَ قلبك بنار الندم على التقصير، والشوق إلى لقاء الحبيبِ، وإلا فـ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ [التوبة: ٨١]:

شَجَاكَ الفراقُ فما تَصْنَعُ أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ أمْ تَجْزَعُ

---

(١) **ترامى**: تتّابع.
(٢) **الأراك**: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوّارة العود، يستاك بفروعه، قال أبو حنيفة رضي الله عنه: هو أفضل ما استيك بفرعه من الشجر، وأطيب ما رعت الماشية رائحة لبن.
(٣) **الحشا**: ما انضمت عليه الضلوع، والجمع أحشاء.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) **ادْرُجْ**: أُطوِ.
(٦) **قدري**: يريد من ينفي القدر، ويرى أن الإنسان يخلق أفعاله الاختيارية. والجبري عكسه.
(٧) **رسيس الحب**: بقيته وأثره.

إذا كنْـــتَ تبكـــي وهُـــمْ جِيْـــرةٌ   فمــــاذا تقـــولُ إذا ودَّعُـــوا؟

القلقَ القلقَ يا مَنْ سُلِبَ قلبُه، والبكاءَ البكاءَ يا مَن عَظُمَ ذَنْبُه.

كان (الشبلي) يقول في مناجاته: ليتَ شعري ما اسمي عندكَ يا علامَ الغيوبِ؟ وما أنتَ صانعٌ في ذنوبي يا غفّارَ الذنوب؟ وبم تختمُ عملي يا مقلِّبَ القلوبِ؟.

وكان يصيحُ في جوف الليل: قرةَ عيني، وسرورَ قلبي! ما الذي أسقطني من عيْنِك؟ أقلتَ: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨]؟.

هِجــرانُــكَ قــاتلــي ســريعــاً   والهجــرُ مــن الحبيــبِ قــاتــلْ
إنْ كنـــتَ نَسيتَنـــي فعنـــدي   شُغـــلٌ بـــكَ لا يـــزالُ شـــاغـــلْ
قلبـــي يهـــواكَ ليـــتَ شِعْـــري   مــا أنــتَ بــذا المحــبِّ فــاعــلْ[1]
حقّــاً قــد قلــتُ يــا ســروري   لا تنكــر دعــوايَ ولــي دلائــلْ
شـــوقٌ وجـــوًى ونـــارُ وَجْـــدٍ   تُــذكَــى بعظــائــم الــدلائــل[2]
ســائــلْ دمعــي فجفــنُ عينــي   لا يبــرحُ بــالبكــاءِ ســائــلْ
إنْ جُـــنَّ الليـــلُ يـــا حبيبـــي   فــالقلــبُ يُجَــنُّ فــي الرســائــلْ
أبكـــي مـــا كـــانَ مِـــنْ وصـــالٍ   والحـــزنُ تُهيِّجُـــه المنـــازِلْ
هـــذا خـــدِّي علـــى ثـــراكـــم   لا أَبـــرَحُـــه ولا أُزايـــلْ
إنْ أنـــتَ طـــردتنـــي فـــويلـــي   بعـــدَ الإعـــراض مَـــنْ أُواصِـــلْ
كـــلاَّ والجـــودُ لـــي شفيـــعٌ   والجـــودُ مقـــدَّمُ الـــوســـائـــلْ

* * *

---

(١) هذا البيت وما يليه من أبيات لا تستقيم وزناً فلتنظر.

(٢) في (ب): البلابل.

الفصل الثالث والثلاثون

يا مَنْ بين يديه الأهوالُ والعجائب! وقد[1] نوى له الدهرُ النوائب، أَمَا سَهْمُ المصائبِ كلَّ يومٍ صائب! أحاضرٌ فتحمل من عَتْبنا كلاًّ[2]؟ كلا! بل أنت غائب.

وكيفَ قَرّتْ لأهلِ العلمِ أعينُهم ... أو استلذوا لذيذَ النومِ أو هَجَعوا
والموتُ يُنذِرُهم جهراً علانيةً ... لو كان للقومِ أسماعٌ لَقد سمعوا
والنارُ ضاحيةٌ[3] لابدّ موردُهم ... وليس يَدْرونَ مَنْ يَنْجو ومن يَقَعُ
قد أمسَتِ الطيرُ والأنعامُ آمنةً ... والنونُ[4] في البحر أن يَغْتالَها[5] فزِعُ
والآدميُّ بهذا الكسبِ مرْتَهَنٌ[6] ... له رقيبٌ على الأسرارِ يطَّلِعُ
حتى يوافيه يومَ الجمْعِ منفرِداً ... وخصمُه الجِلْدُ والأبصارُ والسَّمَعُ[7]
إذ النبيُّونَ والأشهادُ قائمةٌ ... والجنُّ والإنسُ والأملاكُ قد خضعوا
وطارت الصُّحْفُ في الأيدي مُنَشَّرةً ... فيها السرائرُ والأخبارُ تُطَّلَعُ

---

(١) في (ب): وقِدماً.
(٢) **الكل**: الثِّقْل.
(٣) **ضاحية**: بارزة.
(٤) **النون**: الحوت.
(٥) **غاله يغوله واغتاله**: إذا أخذه من حيث لا يدري، ويقال: الغضبُ غول الحِلْم، لأنه يذهب به، واغتاله: قتله غيلة، أي: غدراً.
(٦) يشير إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، أي: مرتهنة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما يخلصها وإما أوبقها، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٩] فهم غير مرهونين، لأنهم الملائكة ـ على قول ـ وأولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم ـ على قول آخر ـ، أو الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وعلى هذا **فمرتهن**: محاسب.
(٧) يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ [فصلت: ٢٠].

فكيـفَ سَهْـوُكَ والأنبـاءُ واقعـةٌ — عمـا قليـلٍ ولا تَـدْري بمـا يقـعُ؟
أَفـي الجنـانِ نعيـمٌ لا انقطـاعَ لـه — أم الجحيـمُ فـلا تُبْقـي ولا تَـدَعُ؟
تَهـوْي بسـاكنهـا طَـوْراً وتَـرْفعُهـم — إذا رَجَوْا مَخرجاً من غمِّها قُمعوا[1]
طـال البكـاءُ فلـم يُـرْحَـمْ تَضَـرُّعُهـم — هيهـاتَ لا رقَّـةٌ تُغْنـي ولا جَـزَعُ
لينفـعَ العلـمُ قبـلَ المـوتِ عـالِمَـهُ — قد سال[2] قومٌ به الرُّجعى[3] فما رجعوا

يا من عمره يُقَدُّ[4] بالساعات، ويُعَدُّ بالأنفاس، يا خِلَّ[5] الأملِ خَلِّ[6] أحاديثَ الوَسْواس! يا طويلَ الرُّقادِ إلى كم ذا النعاس! قد بقيَ القليلُ لا ريب، وهذا الشيبُ يقلعُ الأغْراسَ[7]، إنَّ في المقابر لعِبَراً وما أدراك ما الأدراس؟![8] تـاللهِ لـو سـكـنَ اليقيـنُ في القلبِ، لضربْـتَ أخمـاسـاً في أسـداس[9]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴾ [الحج: ٢١ ـ ٢٢].

(٢) **سال**: أي سأل خففت فيه الهمزة.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ... ﴾ [المؤمنون].

(٤) **يقد**: القد: المقدار، يقال: هذا على قد هذا.

(٥) **خِلّ**: خليل.

(٦) **خَلّ**: اترك وتخلَّ عن.

(٧) **الأغراس**: جمع غَرْس، وهو الشجر الذي يغرس، يشير إلى سطوة الشيب على العمر.

(٨) **الأدراس**: جمع دَرَس، وهو الخلق البالي من الثياب وغيرها، ويقصد الأجساد التي بليت في القبور.

(٩) في المثل «ضرب أخماساً لأسداس». انظر: مجمع الأمثال، للميداني (٢١٩٩): ٤١٨/١ يضرب لمن يظهر شيئاً ويُريد غيره، أنشد ثعلب:

الله يعلـمُ لـولا أنَّنـي فَـرِقٌ — مـن الأميـرِ لمـا تبـتُ ابـن نبـراسِ
فـي مـوعـد قـالـه لـي ثـم أخلفنـي — غـداً غـداً ضـربـي أخمـاسـاً لأسـداس

والخِمسُ والسِّدْسُ: من أظماء الإبل، والأصل في المثل أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عوّد إبله أن تشرب خمساً ثم سِدساً، حتى إذا أخذتْ في السير صبرت على الماء.

وضرب بمعنى بيّن وأظهر، والمعنى: أظهر أخماساً لأجل أسداس: أي رقى إبله من الخمس إلى السِّدس. والأخماس: جمع خمس، والأسداس جمع سُدْس، والسِّدْس سِتّ، قلبت السين الأخيرة تـاء لتقرب من الدال التي قبلها، والسين والتاء حرفـان=

هل تجدُ لماضي العمرِ لذةً والباقي على القياس؟!

لماذا التهوك[1] في البوار[2]؟ وجرُّ الأذيال في الخسار، كأنّك لم تسمع بِجَنّة ولا نار، لهيبُ حِرْصكَ ما يُطْفا، وشرُّ شرهِكَ[3] ما يَخْفى، أترى هذا على ماذا؟! أليس لما إذا نيل آذى؟!.

أنتَ في طلبِ الدُّنيا أصبر[4] من ضَبّ، تَبيتُ في عشقها أسهرَ من صَبٍّ[5]، أين ما حلا في الفم وحَلِيَ في العين؟! ذهبَ الكلُّ وأنت تدري إلى أين.

ما أصعبَ السِّباحةَ في غديرِ التِّمْساح، ما أشقَّ السفر في الأرض المَسْبَعة[6].

إن المفروحَ به هو المحزون عليه، غير أنَّ عين الهوى عمياء. طائرُ الطمع يرى الحَبَّةَ لا الشَّرَك[7].

ضَيَّعتَ سُهَادَكَ[8] بِسُعَادِك، رَمتْكَ إلى الهندِ هِنْدٌ، صَيَّرتْ نهارَك ليلاً ليلى. ويحك! ربَّاتُ الظَّلْم[9] ظُلَمٌ، كم أراق الهوى دماً في دِمَن[10]، ويحكَ دع سلمى وسل ما ينفعك، دَعَةٌ[11] لمثلك تركُ دَعْدٍ للنوى، وسعادة لك هجرة لسعاد.

= مهموسان، فصار التقدير: سدْت، ولتقارب الدالَ والتاء مخرجاً أبدلت الدال تاء لتوافقها في الهمس، ثم ادغمت التاء في التاء فصارت (ستّ)، والسُّدْسُ: جزء من ستة.

(١) في (ب): التهول. **والتهوك**: التحامق والتحاير.

(٢) **البوار**: الهلاك، إشارة إلى حطام الدنيا.

(٣) **الشره**: غلبة الحرص.

(٤) **أصبر**: أي أصبر عن الماء، لأن الضب لا يرد الماء. تقول العرب: «لا أفعل حتى يَرِد الضبُّ»؛ وذلك لأن العرب ترى أنّ الضبّ لا يرد الماء. وفي (ب): (أحير) لأن الضب كثيراً إذا ما خرج من جحره لا يهتدي إليه.

(٥) **الصَّبُّ**: العاشق، والصبابة: الشوق، وقيل: رقته وحرارته.

(٦) **المسبعة**: أرض تكثر فيها السباع.

(٧) **الشرك**: الفخ.

(٨) **سُهادك**: يقظتك وأرقك.

(٩) **الظَّلم**: بفتح الظاء وتشديدها: ماء الأسنان وبريقها.

(١٠) **دمن**: جمع دمنة: وهي الآثار والأحقاد القديمة.

(١١) **دعة**: راحة ورغد في هجرك لدعد، أي: المحبوبة.

قطْعُ الطَّمَعِ من خَضِرِ الدنيا بموسى اليأس[1] يجمعُ للقلبِ عزمَ الخَضِرِ ومُوسى وإلياس.

يا معاشـر الفقراء الصادقين قد لبسـتم حُلَّةَ الفقر، فتحلَّـوا حِلْيَةَ الكتمان، اصبروا على عَطَش الزُّهد، ولا تشربوا من مشرعة مَنٍّ، فالحرةُ تجوعُ ولا تأكلُ بثَدْييها[2].

لا تسألوا سِوى مولاكُم، فسؤال العبد غيرَ سيدِه تشنيعٌ عليه.

إنّ الفقيرَ تركَ الدنيا أَنَفَةً[3]، رآها قاطعاً فقاطع، جاز على جيفة مُسْتحيلة[4]، فَسَدَّ مِنْخَرَ الظَّرْفِ[5] وأسرع، الأنفُ الأشَمُّ[6] لا يشَمُّ رذيلة.

بَيْنَا هُو في قَطْع فيافي[7] القناعة، وقع بكنز ما وجده الإسكندر، فقلبُهُ أغنى من قارونَ، وبيتُه أفرغ من فؤاد أم موسى.

كـان (إبراهيم بن أدهم) يعطي عطـاء الأغنياء وهو فقير، ويستدين عليهِ ثم يؤثر به.

(للشريف الرضي)[8]:

وهـــم يُنفـــدِون المـــالَ فـــي أوّلِ الغنـــى
ويستـــأنفـــون الصَّبْـــرَ فـــي آخـــرِ[9] الصبـــرِ

---

(١) **خضر الدنيا**: حلاوة الدنيا وخضرتها. **وموسى اليأس**: سكين اليأس منها.
(٢) هذا مثل يضرب في صيانةِ الرجل نفسَه عن خسيس مكاسبِ الأموال، والمعنى: لا تكونُ المرأةُ الحرةُ ظِئراً، وإن آذاها الجوع. (انظر: مجمع الأمثال، للميداني: ١/ ١٢٢).
(٣) **أنفة**: حمية واستكباراً.
(٤) **مستحيلة**: متغيرة نتنة.
(٥) **الظرف**: الكياسة والعقل.
(٦) **الأشم**: المرتفع العزيز.
(٧) **فيافي**: جمع فيفاء، صحراء ممتدة.
(٨) قاله يرثي قوماً من عشيرته انقرضوا، عام (٣٨٣هـ). انظر: الديوان: ١/ ٥٠٢.
(٩) في الديوان: «أول».

مغـاويـرُ فـي الجُلّـى[1] مغـاييـرُ فـي الحِمَـى[2]
مفـاريـجُ للغُمّـى[3] مـداريـكُ للـوَتْـرِ[4]
وتـأخـذُهـم فـي سـاعـة الجـود هـزةٌ
كمـا خـايـلَ المِطْـرابُ[5] عـن نَـزوةِ الخمـرِ[6]
فتحسبهـم فيهـا نَشـاوى[7] مـن الغِنـى
وهُـم فـي جـلاليـبِ[8] الخَصـاصـةِ والفقـرِ
عظيـمٌ عليهـم أن يَمُنّـوا بـلا يـدٍ
وهَيـنٌ عليهـم أن يبيتـوا[9] بـلا وَفْـرِ
إذا نـزل الحـيَّ الغـريـبُ تقـارَعُـوا[10]
عليـه، فلـمْ يَـدْرِ المُقـلّ[11] مـن المُثـري
يميلـون فـي شِـقِّ الـوفـاء مـع الـرَّدَى
إذا كـان محبـوبُ البقـاءِ مـع الغَـدْرِ

---

(١) **الجُلَّى**: الأمر العظيم الهام.
(٢) في الديوان: «للحمى».
(٣) **الغُمّى**: الداهية.
(٤) **الوتر**: الثأر.
(٥) **المطراب**: من الطرب: خفة تصيب الإنسان لشدة حُزن أو سرور، ومِطْراب: من صيغ المبالغة.
(٦) **نزوة**: نزت الخمر: مزجت فوثبت، ونوازي الخمر: جَنادعها عند المزج وفي الرأس.
(٧) **نشاوى**: جمع نشوان، والنشوة: السكر.
(٨) **جلاليب الخصاصة**: جلاليب: جمع جلباب: الملحفة، والخصاصة: الفقر، وفيه تشبيه بليغ.
(٩) في الديوان: «يفيئوا».
(١٠) **تقارعوا**: من القُرْعة، أي: السهمة، والتقارع: الاختيار، وإلقاء القرعة: طريقة يتعين بها النصيب، فهي طريقة من طرق القسمة، وهي مشروعة باتفاق الفقهاء، وتعتورها الأحكام الخمسة، وقد ذكرت في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقوله في يونس عليه السلام: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] . وكان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه.
(١١) **المقل**: اسم فاعل من أقل: أي أفتقر.

أحكمَ القومُ العلمَ، فحكَمَ عليهم بالعملِ، فقاطعوا التسويفَ الذي يقطعُ أعمار الأغْمار(١)، وانتبهوا فانتهبوا الليلَ والنهارَ، أخرجوا قويَّ العزائمِ إلى الأفعال، فلما قضوا ديونَ الجِدِّ قَضَتْ علومُهم بالحذَرِ من الرَّد، أقدامُهم على أرض التعبّدِ قد أَلِفت الصفُون(٢)، تعتمدُ على سنابك الحذر، فإذا أثَّرَ عندها النَّصَبُ، رَاوَحَتْ بين أرجل الرجاء، قلوبٌ كالذّهبِ ذَهَبَ غِشُّه، أنفاسُهم لا تخفى، نفوسُهم تكاد تُطْفا، لونُ المحبِّ غَمَّازٌ(٣)، دَمْعُ المشوقِ نمَّامٌ(٤).

أُخفي كمدَ الهوى ودمعي ... في الخدِّ على هواكِ شاهد
فالجفْنُ بلوعتي مُقِرٌّ ... للعاذِلِ واللسانُ جاحد

اشتدَّ الخوف يوماً بإبراهيمَ بن أدهمَ، فسأل الراحةَ فعوتبَ:

لو شئتَ داويتَ قلْباً أنتَ مُسْقِمُه ... وفي يديْكَ من البلوى سلامتُه
علامةٌ كُتبتْ في خدِّ عارِفكم ... مَنْ كان مثلي فقد قامَتْ قيامتُه

ضجّت الناقةُ لِثِقَلِ الحَمْلِ، رأتْ عظامَها قد فَرَغَتْ(٥)، فَفَغَرت(٦) فمَ الشكوى فَرغَتْ(٧):

يا حاديَ العيسِ قدْ بَراها(٨) ... حملُ همومٍ لها عِظامِ

---

(١) **الأغمار**: جمع غمرة، وهو غير المجرب للأمور من الرجال.

(٢) **الصفون**: جمع صافن، وهو الذي يصف قدميه.

(٣) **غمّاز**: الغمز الإشارة بالجفن أو العين طلباً إلى ما فيه من معايب، وأصله: غمزت الكبش: إذا لمسته هل فيه من شحم؟.

(٤) **نمام**: النمّ: التحريش والإغراء، ورفع الحديث إشاعة له وإفساداً، وتزيين الكلام بالكذب، والنمام هو: القتات: من يسمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون سواء نَمَّها أو لم يَنُمَّها، والنمام من النم، وهو نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر، والاسم: النميمة، ويفسر النمَّام كذلك بالقتات و«**لا يدخل قتات الجنة**» كما في الحديث الشريف، ودمع المشوق نمّام من حيث إنه يكشف عن شوقه وينشره بين الناس.

(٥) **فرغت**: صارت هشة.

(٦) **فغرت**: فتحت فمها.

(٧) **فرغت**: من الرغاء، أي: صوتت.

(٨) **برى**: براه السفر يبريه: هزله.

رِفقــاً بهــا إنهــا جُلــودٌ مُلْصَقــاتٌ علــى عِظــامِ
أشــواقُهــا خَلْفَهــا وشــوقــي خِــلافَ أشــواقِهــا أمــامــي

تمادى في قلبِ العارفِ جبلُ الخوفِ وجبلُ الحزنِ، فلما وصلَ إسكندر[(١)] الفكرِ عبَّى[(٢)] زُبَرَ[(٣)] الهمومِ، حتى إذا ساوى بين الصَّدَفين[(٤)]، صاحَ بجنودِ الْفهمِ ﴿ ٱنفُخُواْ ﴾ [الكهف: ٩٦]، فاستغاثَ الواجد لتراكم الكُرَبِ.

أيــا جَبَلَــيْ نَعمْــانَ بــاللهِ خَلِّيــا
نسيــمَ الصَّبَــا يَخْلُــص إلــيّ نسيمُهــا
أجِــدْ رَوْحَهــا أو تُشْــفَ منــي حــرارةٌ
علــى كَبِــدٍ لــم يَبْــقَ إلا صميمُهــا
[لأنّ الصَّبــا ريــحٌ إذا مــا تَنَسَّمَــتْ
علــى نَفْــسِ مكــروبٍ تجلَّــت[(٥)] همــومُهــا][(٦)]

* * *

(١) يشير إلى ذي القرنين الذي بنى الردم بين الناس وبين يأجوج ومأجوج.
(٢) عبّى: عبى الجيش: أصلحه وهيأه، ويقال: عبأته بالهمزة.
(٣) زبر: جمع زبرة: قطعة.
(٤) **الصدف**: كل بناء عظيم مرتفع تشبيهاً بصدف الجبل، وهو ما قابلك من جانبه، والصدف: منقطع الجبل المرتفع.
(٥) **تجلت**: ذهبت.
(٦) زيادة من (ب).

الفصل الرابع والثلاثون

إخواني ! رحيلُ مَنْ رحل عنّا نذيرٌ لنا منا ، وما جرى على مَنْ تَقدَّمنا وعظٌ لنا .

(للشريف الرضي)[1] :

مـا أسـرعَ الأيـامَ فـي طَيِّنـا ... تمضـي علينـا ثـم تمضـي بنَـا
فـي كـلِّ يـومٍ أمَـلٌ قـد نـأى ... مـرامُـهُ عـن أجـلٍ قـد دنـا
أنـذرَنـا الـدَّهْـرُ ومـا نـرعـوي[2] ... كـأنّمـا الـدهـرُ سِـوانـا عَنَـى[3]
تعـاشيـاً[4] والمـوتُ فـي جِـدِّهِ ... مـا أوضـحَ الأمـرَ ومـا أبْيَنَـا
والنـاسُ كـالأجمـالِ قـد قُـرِّبَـتْ ... تنتظـرُ الحـيَّ لأنْ يَظْعنَـا
تـدنـو إلـى العُشْـب ومِـنْ خَلفِهـا ... مُغـامـرٌ يطـردُهـا بـالقنـا
أيـن الأُولـى[5] شـادوا مبـانيهـمُ ... تهـدّمـوا قبـلَ انهـدام البِنـا
لا مُعـدِمٌ[6] يحميـه إعـدامُـه ... ولا يقـي نفـسَ الغنـيِّ الغِنَـى
كيـف دفـاعُ المـرءِ أحـداثَهـا ... فـرداً وأقـرانُ الليـالـي ثِنـى
حَـطَّ رجـالٌ وَرَكِبْنـا الـذُّرى ... وعُقْبـةُ السيـرِ لمـنْ بَعْـدَنـا
والحـازمُ الـرأي الـذي يَغتَـدي ... مستقلِعـاً[7] يُنـذرُ مستـوطنـا
لا يَـأمـنُ الـدهْـرَ علـى غِـرّةٍ ... وعَـزّ ليـثُ الغـاب أن يُـؤمَنـا

---

(١) قاله يعزي الوزير أبا علي الحسن بن أحمد عن ولد له عام (٤٩٦هـ) . انظر : الديوان : ٢/ ٤٨٨ .

(٢) **نرعوي**: ننزجر .

(٣) **عنى** : قصد .

(٤) **تعاشياً** : الأعشى : الذي لا يبصر بالليل ، التعامل مع الأمور الواضحة تعامل الأعشى مع المرئيّ .

(٥) في الديوان : «إن الألى» .

(٦) **مُعدِم** : لا مال عنده .

(٧) **مستقلِعاً** : أعد عدة الرحيل ، وقلع أطناب خيمته للرحيل .

كــم غــارسٍ أَمّــلَ فــي غَــرْسِــه ... فــأعجــلَ المقــدارُ[1] أن يُجتنــى

ما هذا التقصيرُ في العمرِ القصيرِ؟! ما هذا الزهو يا من إلى البِلى يصير؟! كم فَرَّقَ الموتُ مِيرةَ أمير! كم أزار الألحادَ[2] من وزير! وسوّى في القبور بين مَنْ هُجِرَ وزِير[3]، أين الأبطالُ الذين خاطرُهم خطير[4]؟! طال ما اقتتلوا حتى كسروا القنا على القناطير[5]، تالله لقد أمسَوْا حين أصبحتْ خيلُ الموتِ تَعثي[6] وتُغير[7]، ونزلوا لحداً كَبِئرٍ غير كبير، ورأوا كلَّ منكرٍ من مُنْكَرٍ[8]، وكل نكير مِنْ نكير[9]، فهم مفترقون في القبور، فإذا اجتمعوا بنفخة الصور، عاد شرابُ [الفراق][10] قد أدير، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

يا غافلاً والموتُ يسعى في طلبه! يا مشغولاً مفتوناً بِلَعبه! يا مشترياً راحةً تَفْنى بطولِ تعبه! أماعُدت[11] مريضاً ورأيتَ كَرْبَ كُرَبِه؟! أما شيّعتَ ميتاً فرجعتَ إلى سلَبه[12]؟! أما تخلَّى عن مالِهِ وتخلى[13] بمكتسَبِهِ؟! أَنفعَهُ عُلوُّ عَزِّهِ أم عُلوُّ نسبِهِ، لقد ناجاك قبره، وناداك أمره، فانتبه، ولقد ضرَّه هواه، فلا تَلْهجْ أنت به.

---

(١) **المقدار**: القدر.
(٢) **الألحاد**: جمع لحد: الشق في جانب القبر.
(٣) **زير**: فعل مبني للمجهول من زار.
(٤) **خاطرهم**: من خاطر: صاول وراهن وجازف. **وخطير**: المماثل في الشرف والرفعة.
(٥) **القناطير**: الغنائم الكثيرة المكدّسة.
(٦) **تعثي**: تفسد.
(٧) **تغير**: من الإغارة، وأغار على العدو إغارة وغارة: دفع عليهم الخيل، والغارة: الاسم من الإغارة.
(٨) منكر الأولى: القول الجافي الخشن، ومنكر الثانية: اسم الملك الذي يبعث لسؤال الميت.
(٩) **نكير الأولى**: أي صعب وشديد، ونكير الثانية: اسم الملك الذي يبعث لسؤال الميت.
(١٠) زيادة من (ب).
(١١) **عُدْتَ**: زرت.
(١٢) **سلبه**: السَّلَب: كل ما يسلب، يقال: أخذ سَلَبَ القتيلِ: ما معه من ثياب وسلاح ودابة، والمقصود هنا ما يتركه الميت للورثة.
(١٣) **تخلى الأولى**: ترك. وتخلى الثانية: أي اختلى بآثامه وأصبح رهيناً لها.

لا تغرنَّكَ السلامةُ فمع الخواطي[1] سهم صائب.

نظر شابٌّ إلى شيخٍ ضعيفِ الحركةِ فقال: يا شيخُ! مَنْ قيَّدَكَ؟ فقال: الذي خَلَّفتُه يفتُل قيدَك[2].

من أخطأَتْهُ[3] سهامُ الموتِ قيَّدَهُ ... طولُ السنينَ فلا لهوٌ ولا غَزَلُ
وضاقَ من نفسِه ما كان متَّسِعاً ... حتى الرَّجاء وحتى العزمُ والأملُ

الشبابُ باكورةُ[4] الحياةِ، والشيبُ رداءُ الرَّدى، إذا قرعَ المرءُ بابَ الكهولةِ فقد استأذن على البلَى.

يا رهينَ[5] الإثم على العقوبة! ليس لك من يَسْتفكُّكَ إلا التوبةُ، المنقطع في فيْدٍ[6] يتلقى الحاجَّ منكسَ الرأس، رُبَّ خجلةٍ تمَّمَتِ الناقصَ.

كان بعضُ الأشياخِ يقول: إلٰهي! من عادة الملوك أنهم إذا كَبِر لهم مملوكٌ أعتقوه، وقد كبرتُ فأعتقني.

وقف أعجميٌّ عند الكعبة، والناس يدعون وهو ساكت، ثم أخذ بلحيته فرفعها، وقال: يا خداه شيخ كبير.

لما أتَوا والشيبُ شافعُهم ... وقد توالى عليهمُ الفَرَقُ[7]
قلنا لتلك الصحائف انقلبي ... بيضاً فإنّ الشيوخَ قد عتقوا

---

(١) **الخواطي**: جمع خاطئة، وهذا مثل يُضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً

(٢) **يفتل قيدك**: أي يُعدُّ لك ما تراه من قيد، فالجهد المبذول، والسنون المتتابعة، واللهاث وراء الحطام، ألا يورث ذلك ضعفاً؟!.

(٣) **أخطأته**: لا يقصد بذلك أن السهام تخطئ حتى تصيب، إنما أراد أنها لم تسدد إليه، ولو سُدّدَتْ لنفذت فيه، ما يردها عنه رادّ.

(٤) **باكورة**: باكورة كل شيء: المعجل المجيء والإدراك منه، ومنه باكورة الثمر: أوله.

(٥) **رهين الإثم**: مأخوذ به، وحبيسه، ومرهون به.

(٦) **فيد**: اسم مكان في طريق الحاج من العراق إلى مكة.

(٧) **الفرق**: الخوف.

يا معاشرَ الشباب! انتهبوا القُوى في التقوى، فلو قد حلّ المشيبُ حلَّ التركيب[1].

إذا هلكَ أميرُ الشباب وقع الشتات في العسكر.

الشباب رياضٌ والمشيبُ قاعٌ قَفْرٌ، فاستصحبوا الزاد قبل دخول الفلاة.

يا قومنا! الفوائد فوائت، كفٌّ من تبذير يؤذي، فكيف ببيدرٍ مِنْ رعونة؟!.

إذا كانت القلوبُ عُمياً عن الفكر، واتفقت عُنَّةُ[2] الفهم فلا وجه لنسل الفضائل.

الخوف ذَكَرٌ، والرجاءُ أنثى، ومخنّثُ البطالة إلى الإناث أميل.

من زرعَ بذرَ العمل في أرجاء الرجا، ولم تقع عليه شمسُ الحذر، جاءت ثمارُه فَجَّةً.

الجاهل ينام على فراش الأمن، فيثقل نومه، فتكثر أحلام أمانيه، والعالم يضطجع على مِهادِ الخوف، وحارس اليقظةِ يوقظه، مَنْ عرف معنى الوجود عرف عزَّةَ النجاة.

النفس طائر قد أُرسل من عَبّادَان[3] التعبد، مُحَمَّلاً كتابَ الأمانةِ إلى دار المُلك، والعدو قد نَصَب له صنوفَ الأشراك[4]، يلوح في ضِمْنها الحَبُّ المحبوبُ، فإنْ تمَّ كيدُه فهو صَيْدُه، وإنْ خَبِرَ الخبرَ عَبَرَ.

يا أطيارَ الفهوم! احذري مراعيَ الهوى، فَثَمَّ عُقْبانُ التلف[5]، ومن نجا منه بعد المحاربة أُفلِتَ مكسورَ الجناح.

---

(١) **حلّ** الأولى: نزل. وحلّ الثانية: انفك. **التركيب**: تركيب أجزاء البدن.

(٢) **عُنّة**: العجز عن إتيان النساء. والعنين: الذي لايأتي النساء أو من لا يولد له، والفحل لا يلقح.

(٣) **عبّادان**: موضع تحت البصرة قرب الخليج العربي، كان فيه مشاهد ورباطات وقوم منقطعون للعبادة، ينسب لها نفر من رواة الحديث.

(٤) **الأشراك**: جمع شَرَك، وهي حِبالة الصائد.

(٥) **فثَمّ عقبانُ التلف**: ثَمَّ: هناك، عُقبان: جمع عقاب، وهو من جوارح الطير حيث شَبَّه التلفَ والموتَ به.

واعجباً لبُلْبِل الفطنة كيف اغتر بفخّ الفتنة؟! .

(للشريف الرضي)[1] :

يا قلبُ! كيف عَلِقْتَ في أشْراكهم ... ولقد عَهِدتُك تُفلِتُ الأشراكا
لا تَشْكُوَنَّ إليَّ وَجْداً بعدها ... هذا الذي جرّتْ عليك[2] يداكا

مَنْ حَدَّقَ ببصره إلى طُرَفِ الدنيا طُرِفَتْ عينُه[3]، من أصْغى إلى حديث الهوى أورثه الصَّمَمَ عن النصائحِ، خَسّتْ همّةُ فرعونَ فاستعظمَ الحقيرَ: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] .

يا دنِيَّ النفس حِمارُك ينهقُ من كَفِّ شعيرٍ يراه، الدُّنيا كلُّها كجناحِ بعوضة! فما نسبةُ مصرَ إليها؟! صَبِيٌّ يشغلُه لونُ الصَّدفَة، والمتيقظُ يرى الدُّرَّةَ.

يا هذا! إذا لاحت لك شهوةٌ فقف متدبّراً عواقبها، وقد بردَتْ حرارةُ الهوى، فبين النجاة والهلاك صبرُ فَواقٍ[4]، واعجباً أنفقْتَ المالَ المسروقَ وبقي القطعُ.

أبكي زَلَلي وأشتكي آثامي ... في سَفْكِ دمي تقدَّمتْ أقدامي
ما أبصرتُ إلا والبِلا قُدَّامي ... ما أسرعَ ما أصابَ قَلْبيَ الرامي

ضرَّ ـ والله ـ التخليطُ آدمَ، ونفعتِ الحميةُ يوسفَ، ملك هواه فملك زليخا، أمرضَها حُبُّهُ، فأرادت تناول مقصودِها في زمان الحِمْيَة، فصاحَ لسان طِبِّهِ ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، فخلطَتَ في بُحْرانِ[5] المرض ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ [يوسف: ٢٥]، فلمّا صحَّ الذهنُ قالتْ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١] .

---

(١) انظر: الديوان: ٢/١٠٨ـ١٠٩.
(٢) في الديوان: «عليّ».
(٣) طُرَف: جمع طرفة، وهي المستحدث العجيب. وطُرِفَتْ عينه: أصيبت بشيء فدَمَعَتْ.
(٤) فواق: ما بين الحلبتين من الوقت.
(٥) بحران: الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً، يقولون: هذا يوم بُحران.

لمّا نظر يوسفُ في عواقبِ الذنب ونهاية الصبر، فكَفّ الكَفَّ، أُطْلِعَ بتعليم التأويل على عواقبِ الرؤيا.

دخل اليومَ موسى وعظي، إلى مدينة قلبكَ، فوجدَ فيها رجلين يقتتلان، القلبَ والهوى، فاستغاثه الذي من شيعته، وهو القلب على الذي من عدوه وهو الهوى، فوكزه موسى فقضى عليه، فكان قتلُ الهوى سبباً للخروج من قَصْرِ مصرِ الغفلة، إلى شعيب اليقظة، فالآن يناديك لسانُ المعاملة: هل لك في بلوغ غَرَضِك ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ﴾ [القصص: ٢٧]، فإنْ وَفَّيتَ انقلبتَ إلى لذاتك مسروراً، استُرْجِحَ لك التكليمُ في طور الجنة، فإنْ صحبْتَ فرعونَ الهوى غَرِقْتَ [بعبورك][١] يومَ اليمِّ.

* * *

---

(١) زيادة من (ب).

الفَصْلُ الخَامِسُ والثَّلاثونَ

يا هذا! إنّما خلقتِ الدنيا لِتجوزَها لا لتحُوزَها، ولِتَعْبُرَها لا لِتعمرَها، فاقتلْ هواكَ المائلَ إليها، واقْبَل نصحي، ولا تعوِّلْ[1] عليها.

(لورقةَ بن نوفل):

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشَتُهُ ... يبقى الإلهُ ويُودِي[2] المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرمُزٍ يوماً عساكِرُهُ[3] ... والخُلْدَ قد حاولَتْ عادٌ فما خَلَدوا
ولا سليمانُ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانتْ نوافلُها ... من كلِّ أَوْبٍ إليها راكبٌ[4] يَفِدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَدَرٍ[5] ... لابدَّ من وِرْدِه[6] يوماً كما وردوا

الدُّنيا مزرعةُ النوائب، ومشرَعَةُ المصائب[7]، ومفرقةُ المجامع، ومجرية المدامع، كم سَلَبتْ أقواماً أقوى ما كانوا، وبانَتْ[8] أحلى ما كانت أحلاماً فبانوا[9].

ففَكِّرْ في أهل القصور والممالك، كيف مُزِّقوا بكفِّ المهالك، ثم عُدْ

---

(١) **تعوِّل عليها**: تحمل عليها وتعتمد.

(٢) **يودي**: يهلك ويفني.

(٣) في (ب): خزائنه.

(٤) في (ب): وافد.

(٥) في (ب): كذب.

(٦) في (ب): وردها.

(٧) **مشرعة**: مورد الشاربين.

(٨) **بانت**: فصلت وقطعت.

(٩) **بانت**: ظهرت. **وبانوا**: ذهبوا وغابوا.

بالنظر في حالك، لعلّه يتجلى القلبُ الحالك، إنَّ لذاتِ الدُّنيا لَفوارِكُ[1]، وإن موجَ بلائها لمُتدارك[2]، كم حجَّ كعبتَها قاصدٌ فقتلته قبلَ المناسِك، كم علا ذروتها مغرورٌ فإذا به تحت السنابك[3]، كم غرَّت غِرّاً بفخِّها فما استقرت حتى صيد باشك[4]، خَلِّها واطلب خُلةً ذاتَ سرورٍ وسُرُرٍ[5] وأرائك[6]، تالله ما طيبُ العيش إلا هنالك.

إخواني! ما قعودُنا وقد سار الرّكبُ، ما أرى النيّة إلا نَيَّةً[7]، يا مسافرين مَنْ عَزَم يتزوَّدْ[8]، يا راحلين بلا رواحل[9]، وُطِّنُوا على الانقطاع، ليت المحتَرِزَ نجا فكيفَ المُهْمِلُ؟!.

يا أقدامَ الصبرِ تحمَّلي فقد بقي القليلُ، تذكَّري حلاوةَ الدَّعَةِ[10] يَهُنْ عليك مُرُّ السُّرى، قد علمت أين المنزل، فاحْدُ لها تَسِرْ.

(لمهيار)[11]:

تَغَنَّ بالجرعاءِ[12] يا سائقَها فإنْ وَنَتْ شيئاً فَزِدْها الأَبرَقا

---

(١) فوارك: جمع فاركة: المبغطة لزوجها.
(٢) متدارك: متتابع.
(٣) السنابك: جمع سُنبك، والسنبك: طرف حافر الدابة.
(٤) باشك: البشك: العجلة والسرعة (قاموس).
(٥) سُرُر: جمع سرير.
(٦) أرائك: جمع أريكة، وهي سرير في حجلة، أو سرير منجد مزين في قبة (قاموس).
(٧) نَيّة: فجة.
(٨) في (ب): تزوّد.
(٩) رواحل: جمع راحلة، وهي الجمل الصالح للركوب، القوي على الأسفار والأحمال، والذكر والأنثى فيه سواء، والهاء فيها للمبالغة، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخَلْق وحسن المنظر.
(١٠) الدعة: خفض العيش وطيبه.
(١١) من قصيدة كتب بها إلى الأستاذ أبي الحسن المختار بن عبد الله بن الذهبي الكاتب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٢١ـ٣٢٦.
(١٢) الجرعاء والأبرق وحاجر: أماكن.

وأغنِ عن السِّياطِ في أُرْجوزةٍ[١] بحاجرٍ ترَ السِّهامَ المُرَّقا
واستقبلِ الريحَ الصبا بخُطمِها[٢] تجدْ سُرى ما وجدتْ منسّقا[٣]
إنّ لها عندَ الحمى وأهلِه تعلُّقاً من حبها وعَلَقا[٤]
وكلُّ ما تزجرهُ حُداتُها رعى الحمى ربُّ الغمام[٥] وسَقى
حواملاً منها هموماً ثَقُلَتْ وأنفُساً لم تُبقَ إلا رَمَقا
تحمِلْنَنَا وإنْ عَرَيْنَ قصَباً وإنْ دَمِينَ أذْرُعاً وأَسْوُقا
دامَ عليها الليلُ حتى أصبحَتْ تحسَبُ فجرَ ذاتِ عرقٍ[٦] شَفَقا
عرِّج على الوادي فَقُلْ عن كبدي ما شئتَ للبان الجوى[٧] والحُرَقا

الجنة ترضى منك بالزهد، والنار تندفع عنك بترك الذنب، والمحبّةُ لا تقعُ إلا بالروح.

إنَّ سلطانَ حبِّه قال: لا أقبلُ الرِّشا[٨]
فَسَلُوه - فَديتُه[٩] - لمْ بقلبي تَحرّشا[١٠]

ما سلك الخليلُ طريقاً أطيبَ من الفلاة التي دخلها لما أُخرجِ من كفةِ المنْجَنيق.

---

(١) **الأرجوزة**: قصيدة على بحر الرجز.
(٢) **الخُطم**: جمع خِطام، وهو حبل يوضع في أنف الدابة.
(٣) في الديوان: «منطلقاً».
(٤) في الديوان: «إن حملت لعلقاً وعَلَقاً». **والعَلَق**: جمع عَلَقة: ما يتعلق به. **والعَلَق**: الهوى يكون للرجل في المرأة.
(٥) **الغمام**: السحاب.
(٦) **ذات عرق**: مَهَلُّ أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة. **والمَهَلُّ**: الميقات الذي يحرم عنده الحاج والمعتمر.
(٧) **الجوى**: شدة الوجد وهوى الباطن.
(٨) **الرشا**: رشوة.
(٩) **فديته**: جعلت نفسي فداء له، وهذا أسلوب التفدية يعبّرون به عن محبتهم للمفدَّى.
(١٠) هذا البيت غير موجود في (ب).

زيارةٌ تسعى فيها أقدامُ الرضا على أرض الشوق، شابهت ليلة «**فزجَّني في النور، وقال: ها أنت وربك**»[١].

زُرناك شوقاً ولو أنَّ النَّوى بسَطَتْ　　فُرُشَ الفلا بيننا جَمْراً لزُرْناك

رآه جبريلُ وقد ودَّع بلدَ العمارةِ[٢]، فظنَّ ضعفَ إقدامِ المتوكلِ[٣]، فعرض عليه زادَ «**ألك حاجة**»، فرده بأنَفةٍ: «**أما إليك فلا**» قال: فسل مولاك، قال: «**علمه بحالي يغنيه[٤] عن سؤالي**»[٥].

تملَّكُوْا واحتكَمُوا　　فصارَ قلبي لهُمُ
تَصرَّفُوا في ملكهمْ　　فلا يُقالُ ظلَمُوا
إنْ وصلُوا مُحبَّهُمْ　　أوْ قَطَعُوا فَهُمُ همُ
يا أرضَ سَلْعٍ أخبري　　وحدِّثيني عنهمُ
[تبكيهمُ أرضُ منًى　　وتشتكيهمْ زَمْزَمُ][٦]
يا ليت شعري إذ غدَوْا　　أأَنجَدوا أم أتهموا[٧]
ما ضرّهم حين سَرَوْا　　لو وَقفُوا فَسلَّمُوا

---

(١) راجع: السيرة الحلبية: ١/ ٣٢٦ فقد ذكر لها روايات متعددة.
(٢) في (ب): العادة.
(٣) **المتوكل**: يشير إلى إبراهيم عليه السلام.
(٤) في (ب): يغنيني.
(٥) قال الآلوسي في (روح المعاني: ١٧/ ٦٨) عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]: «روي عن أُبيّ بن كعب قال: حين أوثقوه ليلقوه في النار قال ـ عليه السلام ـ: «لا إله إلا أنت، سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، ثم رموا به، فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: يا إبراهيم! ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي». ويروى: أن الوزغ كان ينفخ في النار. ثم قال الآلوسي: وقد جاء ذلك في رواية البخاري.
(٦) زيادة من (ب).
(٧) **أتهم**: فيقال أتهم الرجل: أتى تهامة، قال الممزَّق العبدي: «فإن يتهموا أُنجِدْ خلافاً عليهم».

أبدانُ المحبين عندكم وقلوبهم عند الحبيب، طرقَ طارقٌ بابَ (أبي يزيدَ) فقال: ها هنا أبو يزيد؟ فصاح مِنْ داخلِ الدار: أبو يزيد يطلبُ أبا يزيد فما يجده.

(لمهيار)[1]:

وبجرعـاءِ الحمـى قلبـي فَعُـجْ[2] بالحمى واقرأ على قلبي السَّلاما
وتـرجّـلْ فتحـدثْ عَجَبـاً إنَّ قلبـاً سـارَ عـن جسـم أقـامـا
قـلْ لجيـرانِ الغَضـا آهٍ علـى طيبِ عيشٍ بـالغضا لـو كـان داما
حَمِّلـوا ريـحَ الصبـا نشْـرَكـمُ قبـلَ أن تحمـلَ شِيحـاً وخُـزامـى
[وابعثـوا لـي بـالكَـرَى طيفَكُـمُ إنْ أذِنتُـم لعيـونـي أن تنـامـا][3]

بَلَغتْ بالقوم المحبةُ إلى استحلاء البلاء، فوجدوا في التعذيب عُذوبةً، لعلمهم أنّه مرادُ الحبيب.

أَرِضَـاه أسْخَـطُ أو أرضـى تَلَـوّنَـه وكـلُّ مـا يفعـلُ المحبـوبُ محبـوبُ

ضَنِيَ (سويدُ بن شعبةَ) على فراشه، فكان يقولُ: والله ما أُحِب أن الله نقصني منه[4] قُلامةَ ظُفْرٍ.

تَعجَّبُوا مـن تَمنّـي القلـبِ مُـؤْلِمَـهُ ومـا درَوْا أنـه خِلْـوٌ مـن الألـمِ

أمر الحجّاجُ بصلب (ماهانَ) العابدِ، فرُفِعَ على الخشبة وهو يسبِّح ويهلِّل ويعقد بيديه حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقى شهراً بعد موته، ويده على ذلك العقد مضمومة.

لتُحشَـرَنَّ عِظـامـيْ بعـدمـا بَلِيَـتْ يـومَ الحسـابِ وفيهـا حبُّكُـم عَلِـقَ

---

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٢٧ـ٣٣١.

(٢) عُج: أمر من المضارع: يعوج، ماضيه عاج، يقال: عاج به: عطف إليه، ومال، وألمّ به، ومرّ عليه، وهو عطف رأس البعير بالزمام، وزجر الناقة.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) الضمير يعود على الضنا والمرض.

مَرُّوا على مجذومٍ قد مزَّقَهُ الجُذامُ، فقالوا له: لو تداويتَ، فقال: لو قطّعني إِرْباً إِرْباً ما ازددتُ له إلا حُبّاً.

إنْ كــــان جيــــرانُ الغَضــــا رَضُــــوا بقتلــــي فَــــرِضَــــا
واللهِ مــــا كنــــتُ لِمَــــا يَهــــوى الحبيــــبُ مُبْغضــــا
صِــرْتُ لهــمْ عَبْــداً ومــا للعبــدِ أنْ يعتَــرِضَــا
هــمْ قلّبــوا قلبــي مِــنَ الشّـ ـشَــوقِ علــى جَمْــرِ الغَضــا
يــا ليــتَ أيــامَ الحِمَــى يعــودُ منهــا مــا مَضَــى
مَــنْ لمريــضٍ لا يَــرَى إلا الطبيــبَ المُمْــرِضــا

كان (**الشبلي**) يقول: أَحبَّك الناسُ لنعمائك وأنا أحبُّك لبلائك.

مَــنْ لقتيــلِ الحــبِّ لــو ردَّ عليــه القــاتِــلُ
يَجْــرحُــه النَّبْــلُ ويَهــوَى أنْ يعــودَ النــابــلُ[(١)]

قلّبَهمُ الزهدُ في قَفرِ الفقرِ على أكفِّ الصبر، فقطعَ[(٢)] أوداجَ أغراضِهم بسكين المَسْكنة، والبلاء ينادي ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]، والعزم يجيب: ﴿لَا ضَيۡرَۖ﴾ [الشعراء: ٥٠].

سقاهُم رحيقَ[(٣)] القُرْبِ فأورثَهم حريقَ الحبِّ، فغابوا بالسُّكْرِ عن رُؤيةِ النفس، فعربدوا على رَسْم الجسم، فهاموا في فلوات الوَجْد يستأنسون بالحمام والوحش.

يا منيةَ القلبِ ما جِيدي بمُنْعطِف إلى سِواكُم ولا حَبلي بمنقادِ
لولا المحبةُ ما اسْتَعْظَمْتُ[(٤)] بارقةً ولا سألتُ حَمامَ الدَّوْحِ إسعادي[(٥)]

---

(١) **النابل**: الحاذق بالنبل ورامي النبال.
(٢) في (ب): فقلع.
(٣) **الرحيق**: الخمر أو أطيبها أو الخالص أو الصافي.
(٤) في (ب): استعملت.
(٥) **إسعادي**: في الحديث: «لا إسعاد ولا عقر في الإسلام». والإسعاد: هو أن تقوم المرأة=

ولا وقَفْتُ على الوادي أُسائِلُه   بالدّمعِ حتى رثَى لي ساكنُ الوادي

* * *

= فتقوم معها أخرى من جاراتها إذا أصيبت إحداهن بمصيبة فيمن يعزّ عليها بكت حولاً، وأسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها، فيجتمعن معها في عداد النياحة وأوقاتها يتابعنها ويساعدنها ما دامت تنوح عليه وتبكيه، فإذا أصيبت صواحباتها بعد ذلك بمصيبة أسعدتهن، فنهى النبي ﷺ عن هذا الإسعاد، فالإسعاد: المساعد في المناحة، والمساعدة عامة في كل معونة.

الفصل السادس والثلاثون

أيها المغترُّ بالدنيا كم خدَعَتْ! ما واصَلَ وَصْلَها محبٌّ إلا قَطعَتْ، وما ناولتْ نوالاً إلا ارتجعتْ، اختبأت مريرَها[1]، فلما اعتقلتْ أسيرَها جرَّعَتْ[2]، متى رأيتَها قد توَطَّنتَ فاعلمْ أنّها قد أزمعَتْ[3].

يـا محـبَّ الـدُّنيـا الغـرورِ اغتـراراً ... راكبـاً فـي طِـلابِهـا الأخطـارا
يبتغـي وصلَهـا فتـأبـى عليـه ... وتـرى أُنسَـهُ فتُبـدي نِفَـارا
خـابَ مـن يبتغـي الوصـالَ لـديهـا ... جـارةٌ لـم تَـزَلْ تسـيء الجـوارا
كـم محـبٍّ أرتْـهُ أُنسـاً فلمَّـا ... حـاولَ الـوصـل[4] صيّـرتـه ازْوِرَارا
شِيـبَ حُلْـوُ اللّـذاتِ منهـا بِمُـرٍّ ... إنْ حَلَـتْ مَـرَّةً أمـرَّتْ[5] مِـرارا
فـي اكتسـابِ الحـلالِ منهـا حِسَـابٌ ... واكتسـابُ الحـرام يُصلـي النـارا
ولبـاغـي الأوطـارِ منهـا عَنـاءٌ ... سيقضـي[6] ومـا قضـى الأوطـارا
كُـلُّ لـذَّاتِهـا مُنَغَّصـةُ العيـشِ ... وأربـاحُهـا تعـودُ خسـارا
وليـالـي الهمـوم تمضـي طِـوالاً ... وليـالـي السـرور تمضـي قِصـارا
وكفـى أنهـا تَضِـنُّ وإن جـادت ... بِنَـزْرٍ أفنَـتْ بـه الأعمـارا
وإذا مـا سَقَـتْ خمـورَ الأمـانـي ... صَيَّـرتْ بعـدَهـا المنـايـا خُمـارا[7]
كـم مليـكٍ مسلَّـطٍ ذلَّلتْـهُ ... بعـد عـزٍّ فمـا أطـاق انتصـارا
ونعيـمٍ قَـدْ أعقبَتْـهُ بِبُـؤسٍ ... ومَغـانٍ قَـدْ غـادَرتْهـا قِفَـارا

---

(١) مريرها: علقمها.
(٢) جرّعت: سقت.
(٣) أزمعت: ثبتَتْ على الرحيل أمرها.
(٤) في (ب): الزور.
(٥) أمرّت: أذاقت المُرَّ.
(٦) في (ب): سوف يقضي.
(٧) الخمار: بقية السكر.

أيهـا المستعيـرُ منهـا متـاعـاً عـن قليـلٍ تَسْتَـرجِـعُ المُسْتعـارا
عُـدْ عَـنْ وصـلِ مَـن يُعيـرُكَ مـا يَفْنـى ويبقـى إثْمـاً ويَكسِـبُ عـارا
قـد أَرتْـكَ الأمثـالَ فـي سـالـفِ الدْ ـدَهْرِ وهـا قـدْ أَرَتـك فيك اعتبارا
وجـديـرٌ بـالعُـذرِ مـن قـدَّمَ الـ أعْـذارَ فيمـا جَنـاه والإنـذارا
فتَعـوّضْ عنهـا بِخَلَّـةِ صِـدْقٍ والتمِـسْ غيـرَ هـذه الـدارِ دارَا
والبـدارَ البـدارَ بـالعمـلِ الصـا لـح مـا دُمْـتَ تستطيـعُ البـدارا

إلى متى في طلبها؟ إلى كم الاغترار بها؟ تدورُ البلادَ ناشداً[١] ضالَّةَ المنى، وتلك ضالةٌ لا توجد أبداً، فسَيقْتُلكَ الحرصُ غريباً، ولكن لا في فيافي «**فيا طوبى للغرباء**»[٢].

أظـنُّ هـواهـا تـاركـي بِمَضَلَّـةٍ مِـنَ الأرضِ لا مـالٌ لـديَّ ولا أهـلُ
ولا أحـدٌ أُفضـي إليـه وَصِيتـي ولا وارثٌ إلا المطيـةُ والـرَّحـلُ

أيها المتعِبُ نفسَه في جَمْعِ المال، عُقابُ الوارثِ على مَرقَبِ الانتظار، أَفَهمتَ أم أشرحُ لك؟ العُقابُ لا تُعاني الصيد، وإنّما تكونُ على موضع عالٍ، فأيُّ طائر صاد صيداً انقضَّتْ عليه، فإذا رآها هرب وترك الصيد، ما لك تجمع مالك[٣]؟ وما لك منه إلا ما تُخلِّفُ! والزمان يستحثك[٤] للذهاب وأنت للأذهاب[٥] تؤلف، المالُ إذا وصل إلى الكرام عابرُ سبيل، وإكرامُ عابرِ السبيلِ تجهيزُه للرحيلِ، جسمُ البخيلِ كلُّه يعرَقُ إلا اليد، كفُّه مكفوفةٌ ما ينفقُ منها خرزةً.

تحَلَّـى بـأسمـاءِ الشهـورِ فكفُّـه جُمادى[٦] وما ضَمَّتْ عليه المُحرَّمُ

---

(١) في (ب): منشداً.
(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٢٣٢)، والترمذي (١٣)، وابن ماجه في كتاب الفتن (١٥)، والدارمي في كتاب الرقاق (٣٢)، والإمام أحمد: ١/ ١٨٤ بلفظ: «**بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء**».
(٣) **ما لك الأولى**: استفهام، **مالك الثانية**: المال.
(٤) في (ب): يشتتك.
(٥) **للأذهاب**: جمع ذهب.
(٦) **جُمادى**: كحبارى من أسماء الشهور معرفة مؤنثة، ويقال للبخيل: جَمادِ كقطامِ ذمّاً له، =

يا فرعونيَّ الكِبْرِ، تَفْرَحُ بمالٍ سيُسْلَبُ منك، فتستعيرُ كلمة ﴿ أَلَيْسَ لِي ﴾ [الزخرف: ٥١]، يا نَمْروديَّ الجهلِ، تشدُّ أطنابَ الحيلِ على الدنيا في أرجُل نُسورِ الأمل، ثم تَرمي نشَّابَ الأغراض، إن وقف لك غرض فتستغيث الأكوان من يدك ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

من فهم علم التوحيدِ تجرَّدَ للواحد بقطع العلائقِ، أما ترى كلمتَيْ الشهادة مجرّدةً من نقط.

إذا أعرضَتْ الدنيا أقَبلتْ إليك الآخرة: «**من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه**»[1].

عَقَر سليمانُ الخيلَ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ ﴾ [ص: ٣٦]، لما عُقِدَتِ الخِنْصِرُ[2] على التوحيد مُيِّزَتْ على باقي الأصابع بالخاتم.

يا أطفالَ التوبةِ! ما أُنكر حنينكم إلى الرَّضاع، ولكن ذوقوا مطاعمَ الرجالِ، وقد نسيتُم شربَ اللبن.

إذا تحصّنَ الهوى بقلعةِ الطبعِ، فَانْصِبوا مجانيقَ العزائِمِ وقد انهدَم السورُ.

أنتم تخرجون لقتل سَبعٍ ما آذاكم؛ ليُقَال عن أحدكم: ما أجلده! فكيف تتركون سَبُعَ الهوى وقد أغار على سرح[3] القلوب؟!.

إنما يُتْحَفُ الملوكُ[4] بالباكورة[5]، فافهموا يا صبيان [التوبة][6] إذا أهديتُم فالرطب لا الحشَف[7].

= وهو جَماد الكفِّ، وجَمَد: بخل، وظلت العين جمادى: جامدة لا تدمع، وهي جمود، والمجمد: البخيل، والقليل الخير.

(١) رواه ابن عساكر وأبو نعيم بلفظ: «**ما ترك عبدٌ لله أمراً لا يتركه إلا لله إلا عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه**». راجع: فيض القدير بشرح الجامع الصغير: ٥/ ٤٣٥.

(٢) **عقدت الخنصر**: في ابتداء العد.

(٣) **السرح**: السوائم من الماشية.

(٤) في (ب): تتحف الملوك.

(٥) **الباكورة**: أول كل شيء.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) **الحشف**: يابس التمر ورديئه.

يا أطيارَ الشباب، إما عَبّادان[1] التعبد، وإما استفراخُ[2] العلم، وإلا فالذبح، تريدون نيلَ الشهوات وحصولَ المراتب، والجمعَ بين الأضداد، لا يمكن.

هـــواكَ نجـــدٌ وهـــواهـــا الشـــامُ   وذا وذا يـــا مـــيُّ لا يَلْتَـــامُ[3]

ما زلتُ أُعالِجُ مسمارَ الهوى في قلبِ العاصي، أميلُ به تارةً إلى جانب التخويف، وتارةً أخرى إلى ناحية التشويقِ، فلمَّا ضعفَ الماسكُ بإزعاجي له، اتّسعَ عليه المجال فجَذَبْتُه.

أَنِفْتُ لصبيِّ اللعبِ من بيع جوهرِ العمر النفيس بصدف الهوى، فشدَدْتُ عليه في الحجْرِ ليعلم بعد البلوغ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢].

* * *

(١) عبّادان: موضع فيه قوم مقيمون للعبادة والانقطاع.
(٢) استفراخ العلم: تحصيله وطلبه.
(٣) لا يلتام: أي لا يلتئم ولا يجتمع.

الفصل السابع والثلاثون

إخواني! جُدُّوا فقد سُبِقْتُم، واستعدُّوا فقد لُحِقْتم، وانظُروا بماذا من الهوى علقْتُم؟ ولا تَغفلوا عما له خُلِقْتم، ذهبتِ الأيامُ وما أطعتُم، وكُتبتِ الآثامُ وما أصغيتم، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا وانقطَعْتم، أهذا التوبيخ لغيركم؟! أو ما قد سمعتم؟!.

(الصُرَّدُرَّ)[1]:

ما ضاعَ من أيامنا هل يُغرمُ ... هيهاتَ والأزمانُ كيف تُقَوَّمُ
يومٌ بأرواحٍ يُباعُ ويُشْترى ... وأخوه ليس يُسامُ فيه دِرْهَمُ
لي وِقفةٌ في الدارِ لا رجَعَتْ بما ... أهوى ولا يأسي عليها يُقْدِمُ
وكفاكَ أنّي للنوائبِ عاتبٌ ... ولصُمِّ أحجارِ الديارِ مُكلِّمُ
ومن البلادةِ في الصبّابةِ أنّني ... مستخبِرٌ عنهنَّ مَنْ لا يَفهمُ
وإذا البليغُ شكا إليه بثَّه ... عبثاً فما بالُ المطايا تُرزُمُ[2]
كلٌّ كَنَى عن شَوْقه بلُغاتِه ... ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ
نرجو سلوكاً في رسومٍ بيْنَها ... الأغصانُ سُكْرٌ[3]، والحمامُ متيّمُ
هذي تميل إذا تنسَّمتِ الصَّبا ... والوُرْق تذكرُ إلفها فترَنَّمُ

آه على زمان فات! وعلى قلبِ حيٍّ مات، كيف الطمع فيما مضى؟ هيهات.

رُدُّوا عليَّ لياليَّ التي سلَفَتْ

---

(١) قاله في مدح الوزير أبي المعالي بن عبد الرحيم. انظر: الديوان، ص٣٤.

(٢) **ترزم**: الإرزام صوت الناقة إذا رئمت ولدها، ترزم: تحن على ولدها. ورئمت الناقةُ ولدها: عطفت عليه ولزمته.

(٣) **سُكْرٌ**: نشوى بمداعبة النسيم وروعة الجو، وقد شرح ذلك في البيت التالي.

أين الزمان الذي بان أتراه بان[1]؟ أين القلب الصافي كان وكان؟.

سُقْياً لمنزلةِ الحمى وكثيبِها ... إذ لا أرى زَمَناً كأزماني بها
ما أعرفُ اللذاتِ إلا ذاكراً ... هيهات قد خَلَّفْتُ أوقاتي بها

يا منْ[2] كان له قلب فانقلب، قيامُ السَّحرِ يسْتَوحشُ لك، صيامُ النهارِ يسألُ عنك، ليالي الوصالِ تعاتبُك:

أينَ أيَّامُك والدَّهرُ ربيعٌ ... والنَّوى معزولةٌ والقُربُ والِ

[يا مَنْ كان قريباً فطُرِد][3]، يا مَنْ كان مشاهِداً فحُجبَ، يا عزيزي ما ألفتَ الشقاء فكيف تصبر؟ أصعبُ الفَقْر ما كان بعدَ الغنى، وأوحشُ الذُّلِّ ما كان بعدَ العز، وأشَدُّهُما العمى على الكِبَر.

يا هذا! بِتْ بِبَيْتِ الأحزانِ من قبل البياتِ[4]، وَثِبْ إلى المُثيب[5] وَثْبةَ ثَباتٍ، ولا تجاوزِ الجنابَ، ودُرْ حول الدار، واستقبِلْ قِبلةَ التضرعِ، وقُلْ في الأسحار:

قد قَلِقَ الجنبُ وطارَ الكرى ... وأظلمَ الجوُّ وضاقَ الفضا
لا يَعْطَشُ الزرعُ الذي نَبْتُهُ ... بصَوْب إنعامِك قد رُوِّضا
إن كان لي ذنب تجرَّمْتُه ... فاستأنِفِ العفوَ وهبْ ما مضى
لا تَبْرِ عُوداً أنت ريَّشْتَه ... حاشى لبَاني المجدِ أنْ يَنْقُضَا
وكيفَ لا أبكي لإعراضِ مَنْ ... يُعرِض عني الدّهْرُ إنْ أعْرضا
قد كنتُ أرجوه لنيلِ المُنى ... فاليومَ لا أطلُبُ إلا الرِّضا

يا من قد فقدَ قلبَه وعدِمَ التّخيُّل في طلبه، تَنَفّسْ من كَرْبِ الوجدِ، فبريدُ

---

(١) بان الأولى: ذهب ومضى. وبان الثانية: ظهر.
(٢) في (أ): أين من.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) البيات: من بيَّت العدوَّ: أوقع به، ويشير إلى ما يُوقِعُ الموت بالإنسان.
(٥) المُثيب: أي الله سبحانه وتعالى.

اللطفِ يحمِلُ المُلطَّفات، ريحُ الأسحارِ رِكاب[1] الرسائل، ونسيمُ الفجرِ تَرجمانُ الجواب.

(لمهيار)[2]:

فيا ريحَ الصَّبا اقترحي   على الأحشاءِ واحتكمي
أراكِ نَسَمْتِ تَخْتَبِرينَ   ما عَهْدي وما ذِمَمي
فهذي في يَدِيْ كَبِدِي   وذا في وَجْنَتَيَّ دَمِي
سلامٌ كلَّما ذُكِرتْ   ليالِيْنا بذِي سَلَمِ

إخواني! صُعَداءُ[3] الأنفاسِ واصلٌ لا يُمنعُ، لسانُ الدمعِ أفصحُ من لسانِ الشكوى، شجوُ التائب يُطرِبُ سمعَ الرِّضا، حزنُ النادِمِ يَسُرُّ قلبَ التعبُّد، قلقُ المسكين محبوب الرَّحْمة، أسى مَنْ أساء فَرَحُ العفو، بكاءُ المُفرّط يُضْحك سنَّ القبول، دمعُ المحزون مخزون لخزانة الخاص، ريحُ نفسِ آسِفٍ أطيبُ من ندِّ ندٍّ[4]، قطرةٌ من المدامع على الخدِّ أنفعُ من ألفِ مَطرةٍ على الأرض.

ضمَّنْتُ حالي قِصّةً ورفعتُها   فأتانيَ التوقيعُ يشرحُ حالَهُ
فأتيتُ ديوانَ الهوى فلكثرةِ   العشّاقِ لم يتهيا لي إيصالُهُ
حتى إذا أوصلتُها نظروا إلى   شخصٍ تَبَقَّى للعيونِ خيالُه
قلتُ: ارْحَمُوا هذا الفقيرَ فإنّهُ   مِن حينِ هَجْرِكمُ تمزَّقَ بالُه

يا دائرةَ الشقاء أين أوّلُكِ؟ يا أرضَ التيه أين آخرُكِ؟ يا أيوبَ البلاءِ إلى كم على الكُناسة[5]؟ متى يَنْسَخُ الزَّمِنَ زَمَنُ ﴿ٱرْكُضْ﴾ [صٓ: ٤٢]؟.

سمعتُ حمامةً هَتَفتْ بليلٍ   وقد حَنَّتْ إلى إلفٍ بعيدِ

---

(١) الركاب: الإبل يسار عليها.

(٢) من قصيدة كتب بها إلى العميد علي بن المزرع يعاتبه على تأخير رسمه. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٨٧ - ٢٩١.

(٣) صعداء: تنفس ممدود مِنْ تَوجُّع.

(٤) ند الأولى: من التندية، وهي التلطيف. وند الثانية: الطيب.

(٥) هذا من الإسرائيليات لا تليق بسيدنا أيوب عليه السلام.

فـأزعجَـتِ القلـوبَ وأقلقَتْهـا فمـا زِلنـا نقـولُ لهـا أعيـدي
أرى مـاءً وبـي عطـشٌ شـديـدٌ ولكـنْ لا سبيـلَ إلـى الـورودِ

تعلّقْ بالليلِ فهو شفيعٌ مَشفَّعٌ، تَمسَّكْ بالبكاء فهو رفيق صالحٌ، ادخلْ في زمرة المتهجِّدين على وجه التطفل في فلوات الخلوات بلسان التذلل:

يـا راحـمَ عبـرةِ المسـيءِ المحـزونِ دمْعـيَ مبذولٌ وحـزنُ قلبيَ مخـزون
شوقي يسعى إليك والصبرُ حَرْون[1] مَنْ تهجـرُه أنتَ تُـرى كيـف يكـون

أبواب الملوك لا تُطْرَقُ بالأيدي ولا بالحجارة إلا بِنَفَس مُحتاجٍ:

(لمهيار)[2]:

آهٍ والشـوقُ مـا تـأوَّهـتُ مِنْـهُ لِلَيـالٍ بـالسَّفْـحِ لـو عُـدْنَ أُخـرى
قلِّبـوا ذلـك الـرمـادَ تُصِيْبُـوا فيـه قلبـي إن لـم تُصيبـوا الجَمْـرا

يا هذا! إذا رأيتَ نفسَكَ متخبطةً لا مع المحسنين[3] ولا مع التائبين، فابسط ردَاءَ الأسفِ، واجلِسْ مع رفيقِ اللهفِ، وابعثْ رسالةَ القلقِ مع بريدِ الصُّعَداءِ[4]، لعلّه يأتي الجواب بكشف الجوى:

ولـي زفـراتٌ لـو ظهـرْنَ قتلْننـي لشـوقِ لُيَيْلاتي[5] التي قـد تـولـتِ
إذا قلتُ هذي زفرةُ اليومِ قد مَضَتْ فمَـنْ لـي بـأُخْرى مثـلَ تِيـكَ أظَلَّـتِ
حلفـتُ لهـم بـاللهِ مـا أمٌّ واحـدٍ إذا ذكَـرَتْـهُ آخـرَ الليـلِ حنّـتِ
وما وَجْـدُ[6] أعْرابيـةٍ قـد فَتَّ[7] بهـا صروفُ النوى[8] من حيث لم تكُ ظَنّتِ

---

(١) **الحرون**: الدابة تقف حين يطلب جريها وترجع القهقرى.
(٢) من قصيدة كتبها إلى صديق. انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٠٦ـ ٤١١.
(٣) في (ب): المحبين.
(٤) **الصعداء**: تنفس طويل في مشقة، وتنفس بتوجع.
(٥) **لييلاتي**: جمع لييلة: تصغير ليلة.
(٦) **وَجْد**: محبة.
(٧) **فتّ**: أضعف وأوهن.
(٨) **صروف النوى**: الصروف: التقلبات والغِيَر، والنوى: البعد والفراق.

تَمنَّتْ أحـاليـبَ الـرِّعـاءِ وخَيْمـةً　　　بَنَجْـدٍ فلـم يُقَـدَّرْ لهـا مـا تَمنَّـتِ
إذا ذكـرتْ مـاءَ العُـذيـب[1] وطيبَـهُ　　　وبــردَ حَصـاهُ آخـرَ الليـلِ أَنَّـتِ
لهـا أَنَّـةٌ وقـتَ العشـاءِ وأنَّـةٌ　　　سُحيـراً فلـولا أنَّتـاهـا لَجُنَّـتِ
بـأكثـرَ[2] منـي لـوعـةً غيـرَ أنني　　　أُجَمْجِـمُ[3] أحشـائي على مـا أَجَنَّتِ

نيرانُ الخوفِ في قلوب التائبين ما تخبو، وقلقُ المذنبين مما جَنَوْا لا يسكُنُ، وضجيجُ المحبين في جيش الشوق ما يفْترُ:

واهـاً لـزمـاننـا الـذي قـد سلفـا[4]　　　أبقى[5] مَرَضي وليس لي منه شِفَا
ذابـتْ روحـي ومـا أرى غيـر جَفـا　　　هــذا رَمَقــي[6] تسلَّمُــوه بــوَفَـا

* * *

(١) العذيب: وادٍ في شمال مدينة الرسول ﷺ.
(٢) بأكثر مني: الباء هنا ـ زائدة في خبر «ما» من قوله: «حلفت لهم بالله ما أم واحدٍ» التي عملت عمل «ليس» أي: ما أم واحد، وما وجد أعرابية (أكثر مني لوعة).
(٣) أُجَمْجِم: أخفي ولا أبدي، يقال: جمجم الشيء في صدره: أخفاه ولم يُبْدِه.
(٤) في (ب): كان صفا.
(٥) في (ب): أبكى.
(٦) رمقي: بقية حياتي.

الفصل الثامن والثلاثون

أَلاَ يعتبرُ المقيمُ منكم بمَنْ رَحَل؟ أَلاَ يندَمُ من يعلمُ عواقبَ الكسل؟ آهٍ لغافلٍ كلّما جَدَّ الموتُ هزل، ولغافلٍ كلَّما صَعَدَ العمرُ نزَل.

أعِـدْ علـى فكـرِك إتـلافَ[1] الأُمَـمْ ... وقفْ على ما في القبورِ من رِمَمْ
ونـادِهِـم أيـنَ القـويُّ منكـمُ ... القاهرُ، أم أين الضعيفُ المُهتَضَمْ
تفاصلتْ[2] أوصالُهم فوقَ الثَّرى ... ثـم تسـاوَتْ تحتَـه كـلُّ قـدَمْ
قبـرُ البخيـلِ والكـريـمِ واحـدٌ ... مـا نفـعَ البخـلُ ومـا ضـرَّ الكـرمْ
وا عجبـاً لغـافـلٍ أمـامَـه ... هجـومُ مـا لا يُتَّقـى إذا هَجَـمْ
إذا تخطَّـاهُ علـى عهـد الصِّبـا ... أو الشبـابِ لـم يَفُتْـهُ[3] فـي الهَـرمْ
أمـا كفـى الإنسـانَ مـوتُ بعضِـه ... وهْوَ المشيبُ المستطيرُ في اللِّمَمْ[4]
أيُّ خليليـنِ أقـامـا أبـداً ... مـا افترقَـا؟ وأيُّ حَبْـلٍ مـا انصَـرمْ؟
إنَّ النجـومَ الـدائـراتِ أبـداً ... تضحَـكُ مـن مُبْتَسِـمٍ إذا ابتَسَـمْ

إخواني! بادروا آجالكم، وحاذروا آمالكم، أما لكُم عِبرةٌ فيمن مضى؟ أما لكم؟! ما هذا الغرور الذي قد أمالَكُم[5]؟! ستَتْرُكون على رغم آمالِكم ما لَكُمْ.

إخواني! صدقتم الأملَ فكذَّبَكُم، وأطعتم الهوى فعذَّبكم.

أما أنذركم السقمُ بعد الصحة، والتَّرحةُ بعد الفرحةِ، في كلِّ يومٍ يموتُ من

---

(١) في (ب): أسلاف.
(٢) **تفاصلت**: تفرقت وتفككت.
(٣) **لم يفته**: لم يسبقه، ما غاب عنه، لم يفلت منه.
(٤) **اللِّمَم**: جمع لِمة: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن. **والمستطير**: المنتشر.
(٥) **أمالكم**: انحرف بكم وأخرجكم عن الاستقامة.

أشباحكم ما يكفي في نَعْي أرواحكم، ويُحلُّ بِعُقْوتِكم[1] وفِنائكم ما يخبُركم عن شتاتِكم وفَنائكم.

فخذوا حِذْركمُ قبل النوائب، فقد أُتيتم من كل جانب، [وتذكروا سهر أهل النارِ في النار، واحذروا فوتَ دارِ الأبرار][2]، وتخوّفوا يومَ الفصلِ بين الفريقين أن يصيبَكم من البَيْنِ البينُ.

إخواني! أبصارُكم قويةٌ، وبصائرُكم ضعيفةٌ، ومن تراءى هواه توارى عنه عقلُه، سبحان من ظَهَر لخلقه بخلقه، غير أنَّ عالمَ الحسِّ لا يرونه.

أما قَلَّبَكَ مِنْ نطفةٍ إلى علقةٍ، وأنت كالجمادِ، فلمَّا نَفَخَ فيك الروحَ بعثَ الزادَ ينساقُ إليك من دم الأمِّ، فتناولته باجتذابِ السُّرةِ، إذ لو طَرَق الحلقومَ تَلفْتَ، فلمَّا خرجتَ إلى فَلاة الدنيا، رأيتَ إداوَتَي[3] الثديين معلقتين لشُرْبك، وكانت عُمورُ[4] الأسنانِ تكفي في اجتذاب المشروب، فكلّما اعتصرتَه خرج مغربلاً لئلا يقعَ شَرَقٌ[5]، فلما قوِيَتِ الْمِعَى، وافتقَرْتَ إلى غذاء فيه صلابة أنبتَ الأسنان لتقطع، والأضراس لتطحن.

ومن العجائب أنه أخرجَك غبيّاً[6] لا تعلم شيئاً، فلو أخْرجَك عاقلاً لرأيتَ من أَطَمِّ المصائبِ تقلبَك في الخِرَقِ والعصائبِ، ثم جعلَ بكاءك حينئذ متقاضياً بالمصالح، وبَثَّ القُوى في باطنك، فقوةٌ تطلبُ الغذاء، وثانيةٌ تجتذبه إلى الكبد، وثالثةٌ تمسكه لها حتى تطبخه فيصير دماً، ورابعة تهضمه، وخامسة تُفرِّقُ بين صَفْوه وكدَره، وسادسة تتولّى قسمته، فلو بُعِثَ إلى الخد ما يبعث إلى الفَخذِ صار بمقداره، وسابعة تدفع ثُفْلَه[7].

---

(١) **بعُقوتكم**: العقوة: الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة حولها.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) **إداوتَي**: مثنى إداوة: إناء صغير يُحمل فيه الماء.

(٤) **عمور**: جمع عَمْر: لحم اللثة.

(٥) **شَرَق**: يقال: شرق بالماء: غصَّ.

(٦) **غبيّاً**: يقال غبي عنه: جهله ولم يفطن إليه.

(٧) **ثفلة**: الثفل: بالثاء المثلثة: ما استقرَّ تحت الشيء من كدرة.

أفيَحْسُن بعد تفرقة الجامكية[1] على العَسْكر أن يثبوا في المخالفة للمُنْعِم؟ .

ثم انظر إلى هذا الهواء الذي قدْ ملأَ به الفضاءَ، كيف تنتصبُ منه النَّفْس إلى النَّفَس، ثم هو للأصوات من حيث المعنى كالقرطاس[2]، تُرْقَمُ[3] فيه الحوائج، ثم يَنْمَحِي فيعود نقيّاً، فأقوام يرقمون فيه الذكر والتسبيح، وآخرون يرقُمون فيه كلَّ قبيح، وكم بَيْنَ من يرقم تلاوةَ القرآن وبين من يرقم أصوات العيدان؟! .

ثم تأمل آلاتِ الأصوات، ترى الرئةَ كالزِّقِّ، والحَنْجَرةَ كالأنبوبِ، فإذا ظهر الصَّفْرُ أخذَ اللسانُ والشفتان في صناعته ألحاناً، فهو كالأصابع المختلفة على فمِ المزمار.

ثم تـأمّلِ الأرضَ كيف مدَّهـا بسـاطاً، وأمسكها عن الاضطراب لتصحَّ السكنى، ثم يزلزلُها في وقتٍ، ليفطنَ الساكنُ لقدرةِ المُزعج، وجعل فيها نوعَ رَخاوةٍ لتقبلَ الحفر والزرع، ورفع جانبَ السماء لينحدر الماء، وفرّقَ المياه بين الجزائرِ ليرطبَ الهواء، وأودعَ المعادن كما تودع الحاجاتُ في الخزائن.

ولمَّا بثَّ الطير صَانَ عَنْها السُّنبلَ لأنه قوتك بقشورٍ صُلبةٍ قائماتٍ كالإبر، لئلا تستفَّهُ فتموتَ بَشَماً[4] فيفوت الحظّان[5].

ثم تأمَّل الرمانة كيف حُشيت بالشحم بين الحَبِّ ليكون غذاءً لها إلى وقت عَوْدِ المِثْل، ثم بين كلِّ حشوتين لفافة لئلا يتصاكَّ فيجريَ الماء.

ثم جاء بالشمس سراجاً ومُنضِجاً للثَّمَر، تجري لتعمر الأماكن، ثم تغيبَ ليسكنَ الحيوانُ، ولما كانت الحوائجُ قد تعرض بالليل جعل القمر خَلَفاً، ولم يجعل طلوعَه في الليل دائماً، لئلا ينبسط الناس في أعمالهم كانبساطهم بالنهار،

---

(١) **الجامكية**: ما يأخذ الموظف من رواتب.

(٢) **كالقرطاس**: كالكاغد، والقرطاس: الصحيفة من أي شيء كانت.

(٣) **يرقم**: يكتب، والمِرْقم: القلم.

(٤) **بَشَماً**: من البشم؛ وهي التخمة.

(٥) **الحظان**: حظ الإنسان وحظ الطائر.

فيـؤذي الحريصَ كَلالُه[1]، وما قدَّرَ غيبـةَ القمر في بعض الليـل جعل أنـوارَ الكواكب كشعل النار في أيدي المقتبسين.

ولما كانت حاجةُ الخلق إلى النار ضرورية أنشأها، وجعلها كالمخزون، تُسْتَنْهَضُ وقت الحاجة، فتمسك بالمادة قدرَ مرادِ المُمْسِك.

ثم انظر إلى الطائر، لما كان يختَلِسُ قُوْتَه خوف اصطياده، صَلُبَ مِنقارُه لئلا يَنْسَحِجَ[2] من الالتقاط، لأنَّ زمانَ الانتهابِ لا يحتمل المضغَ، وجعل له حَوْصلةً يجمعُ فيها الحَبَّ، ثم ينقلُه إلى القانصة[3] في زمان الأمن، فإن كانت له أفراخٌ أسهمهم[4] من الحاصل في الحوصلة قبل النقل.

فإن لم يكن له حنَّةٌ[5] على أفراخه أُغْنُوا عنه باستقلالهم من حين انشقاق البيضة كالفراريج.

وا عجباً! كيف يُعصى مَنْ هذهِ نعمُه، وكيف لا تموتُ النفسُ حُبّاً لمن هذه حِكَمُه، إن دنَتْ همتُك فخَفْ من عقوبته، وإن علتْ قليلاً فارغبْ في معاملتِه، وإن تناهت فتعلّق بمحبته.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم[6]

إن قَصُرَتْ همتُك فآثرتَ قطعَ الشوكِ صحبك حمار، وإن رضيتَ بسياسة الدواب رافقك بغلٌ، وإن سددتَ بعض الثغور أُعْطيتَ فرساً، فإن كنتُ تحسِنُ السباق كان عربيّاً، فإن عزمت على الحج ركبت جملاً، وإن سَمَت همتُك إلى المُلك فالفيلُ مركوبُ الملوكِ.

رأيـتُ عَلِيّـاتِ الأمـور منـوطـةً بمُسْتَـودَعـاتٍ فـي بطـونِ الأَسـاوِدِ

---

(١) كلاله: تعبه.
(٢) ينسحج: ينقشر.
(٣) القانصة: المعي للحيوان، جمعها قوانص.
(٤) أسهمهم: أعطاهم سهماً من الطعام.
(٥) حِنَّة: من العطف والحنو.
(٦) صدر بيت للمتنبي وعجزه: وتأتي على قدر الكرام المكارم.

ليسَ كلُّ الخيلِ للسباقِ، ولا كلُّ الطيورِ تحمِلُ الكتبَ، من الناسِ من شغلُه في الدنيا سوداء[1]، ومنهم من لا يلهيه في الجنة قصر، ولا يسليه عن حبيبه نهر، قوته في الدنيا الذكرُ، وفي الآخرة النظر.

يقـولُ أُنـاسٌ لـو تنـاسـى وصْلَهـا ... وواصـلَ أُخـرى غيـرَهـا لسَـلاهـا

فـلا نظَـرتْ عيـنٌ تلَـذُّ بغيـرِهـا ... ولا بَقِيَـتْ نفـسٌ تُحـبُّ سـواهـا

* * *

(١) أي: جارية سوداء.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والثَّلاثُونَ

أَيُّها الغافِلُ في إقامتِه عن نُقْلتِه! الجاهلُ وقد ملا بما يُملي[1] بطنَ صحيفته، أَلك زاد لسفرك على طول مسافته؟!.

خفِ اللهَ وانظرْ في صحيفتِكَ التي حَوَتْ كلَّ ما قدَّمْتَهُ مِنْ فِعالكا
فقدْ خَطَّ فيها الكاتبانِ فأَكثروا ولم يبقَ إلا أنْ يقولا فذالكا
واللهِ ما تَدْري إذا ما لَقِيتَها أَتُوضَعُ في يمناكَ أو في شِمالِكا
فلا تحسبَنَّ المرءَ يبقى مخلَّداً فما الناسُ إلا هالكٌ فابكِ هالِكا[2]

يا من تُحصَى عليه اللفظةُ والنظرة، مزِّقْ بيدِ الجِدِّ أوقات[3] الفترة[4]، وتأهَّبْ فما تدري السيرَ عشاءً أو بُكرة، واعتبر بالقرناءِ فالعِبْرَةُ تبعثُ العَبْرة[5]، وتزوَّد لسفرةٍ ما مثلها قطُّ سفْرَة، واقنَعْ باليسير فالحسابُ عسيرٌ على الذَّرَّة، وإياكَ والحرامَ وانظر من أين الكِسْرة[6]؟ قبل أن تلقى ساعةَ حسرة، وتُلقى بعدها في ظلمة حُفرة.

لا يَغُرَّنَّكَ الزَّمانُ بِيُسرٍ وسرورٍ ولا يَرُعْكَ بعُسْرِه
إنَّ مرَّ الزَّمانِ يمحقُ عُسْرَ المرءِ في لحظةٍ ويَذْهبُ بِيُسرِه
وسواءٌ إذا انقضى يومُ كسرى في نعيمٍ له[7] وصاحب كِسْرَه[8]

---

(١) ملا: بمعنى ملأ. يُملي: يلقي على الكتبة.
(٢) في (أ): إلا هالك وابن هالك.
(٣) في (ب): أثواب.
(٤) الفترة: الفتور والضعف.
(٥) العِبرةُ: بكسر العين، من الاعتبار والاتعاظ. والعَبرة: بفتح العين، الدمعة.
(٦) الكِسرة: القطعة اليسيرة من الخبز، وهو كناية عن القليل المكتسب التافه.
(٧) في (ب): ويوم.
(٨) صاحبِ كِسرة: أي فقير لا يملك إلا كسرة خبز.

أَتُرى في عين العِبْرة رمَد؟ أما تُبْصِرُ أنْ لاحَ الأمد[1]؟ يا دائم المعاصي ما غيّرهُ الأبد، تُصلي ولولا التعودُ لم تكدْ، القلبُ غائبٌ إنّما جاءَ الجسد، الفِكر يجـولُ في طلبِ الدنيا من بلدٍ إلى بلدٍ، يا مُعرِضاً عن بحرِ برّنا لا تقنعْ بالثَّمَد[2]، يا مقتولَ الهوى ولكن بلا قَوَد، بين الهوى و المُنى ضاع الجَلَد، أما يجول ذكر الموت في الخَلَد[3]؟ أرأيتَ أحداً من قبلك خَلَد؟ رُبَّ يوم معْدودٍ[4] ليس في العدد، إنّما الروحُ عاريةٌ في هذا الجسد، هذا بحرُ الغرورِ يقذفُ الزَّبَد، كم ركبةُ جاهلٌ فغرِقَ قبل البَلد، هذا سهمُ المنون يَفْرِي حِلَقَ الزَّرَد[5].

إخواني! دنا الصباح، فقولوا لمن رقد: أين الوجوه الصِّباحُ؟ مرَّت على جُدَدٍ، أين الظباءُ الملاح؟ اغتالها الأسد، هذا هو المصير. أما يَرْعَوِي أحد؟!.

قال (**عمر بن عبد العزيز**) لأبي حازم: عظني، فقال: اضطجع، ثم اجعل الموتَ عند رأسك، ثم انظر ما تُحبُّ أن يكونَ فيكَ تلك الساعةَ فجُدَّ فيه الآن، وما تكرهُ أن يكونَ فيك فدَعْه الآن.

أيها الطالبُ للدنيا وما تجِدُ! كيف تجدُ الآخرةَ وما تطلب؟ ما مضى من الدنيا فحُلُمٌ، وما بقي فأمانيّ، «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله... منهم: رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله**»[6].

اسمع يا من أجابَ عجوزاً على مَزْبلةٍ، ويحك! إنّها سوداء، ولكن قد غَلَبت عليك، عُرِضَتْ على نبينا ﷺ بطحاءُ مكة ذهباً فأبى، يا محمد! ممن تعلمت هذه القناعة؟ قال لسان حاله: من عَجَلةِ أبي[7]. الحريصُ دائمُ السُّرى وما يَحْمَدُ

---

(١) **الأمد**: الغاية والنهاية.
(٢) **الثمد**: الماء القليل لا أصل له يَمدُّه.
(٣) **الخَلَد**: العقل.
(٤) معدود: أي في حساب طويل الأمل أنه سيعيشه، لكن في القدر أنه يموت قبله.
(٥) يَفري: يقطع. **الزرد**: الدرع المزرودة، وهي التي تداخلتْ حِلقُها بعضُها في بعض، وهذا كناية عما يُظنّ أنه يقي من الموت.
(٦) رواه البخاري في كتاب الأذان (٢٦)؛ ومسلم، كتاب الزكاة (٩١).
(٧) أي: إشارة إلى أكلة آدم من الشجرة ابتغاء الخلود.

الصَّباح، مَنْ لا له همَّةٌ سوى [جمع][1] الحُطام معدودٌ في الحشرات.

يا أطيارَ القلوب! إلى كم في مزبلةِ الحَبْس؟ اكْسِري بالعزم قَفَصَ الحَصْرِ، واخْرجي إلى فضاءِ صحراءِ القدس، رُوحي خماصاً من الهوى تعودي بطَاناً من الهُدَى. بَيْن أبِ الحركة وأمِّ القصدِ ينتجُ ولدُ الظَّفَر، لا يُنال الجَسِيمُ بالهُوَيْنا، حَمْلُ النفس على حمل المشاق مَدْرَجَةٌ إلى الشرف. وا عجباً مِنْ توقُّفِ الكُسالى والدُّرُ يُنْثر، أشهودٌ كغُيّاب؟! أكانونٌ في آب[2]؟!.

الحربُ خصامٌ قائم وأنت غلامٌ نائم، أُدخل بسلامتك لابسَ لأمتِك[3]، ليس في سلاح المحارب أحدٌّ من نَبْلَةِ عزم، أَجْرَأُ الليوثِ وأحدُّها صائد[4].

ليس عزماً ما مَرِضَ المرءُ فيه ليس همّاً ما عاقَ عنه الكلام[5]

طِرْ بجناح الجِدِّ من وَكْرِ الكَسل تابعاً آثار الأحباب تصل.

(للشريف الرضي)[6]:

تَلَفَّتُّ حتى لم يَبِنْ مِنْ ديارِهم[7] جَنَابٌ[8] ولا مِن نارِهِنَّ وقُودُ
وإنّ التفاتَ القَلْبِ مِنْ بعْدِ طَرْفه طَوالَ الليالي نحوَهُم[9] ليَزيدُ
ولو قال لي الغادونَ: ما أنت مُشْتَهٍ غداةَ جَزَعْنا الرَّمْلَ قلتُ: أعودُ
أأصبرُ والوَعساءُ بيني وبينكم وأعلامُ خَبْتٍ[10]؟ إنّني لجليدُ

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) **آب وكانون**: من أشهر السنة الشمسية، الأول لهّاب تشتد فيه الحرارة، لأنه من أَشْهُرِ فصل الصيف، والآخر تشتدُّ فيه البرودة، لأنه من أَشْهُرِ الشتاء. **والكانون**: الموقد سمي باسم الشهر، لأنه توقد فيه النار دفعاً للبرد.
(٣) **اللأمة**: الدرع أو السلاح. **ولأمة الحرب**: أداته.
(٤) في (ب): وأجرُها للصيود.
(٥) البيت للمتنبي.
(٦) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٩٠.
(٧) في الديوان: «بلادكم».
(٨) في الديوان: «دخان».
(٩) في الديوان: «نحوكم».
(١٠) **أعلام خَبْتٍ**: أعلامُ معالم بارزة، صحراءُ بين المدينةِ والحجاز.

يا مخنَّثَ العزم! أين أنت والطريق؟ سبيلٌ نَصَبَ فيه آدمُ، وناحَ لأجلِه **نوحٌ**، ورُميَ في النارِ **إبراهيمُ الخليلُ**، وأُضْجعَ للذبح **إسماعيلُ**، وبيْعَ **يوسُفُ** بدراهمَ، [وذهَبتْ من البكاءِ عينُ **يعقوب**][1]، ونُشر بالمنشار **زكريا**، وذُبح الحصورُ **يحيى**، وضَنِيَ بالبلاء **أيوبُ**، وزادَ على المقدار بكاءُ **داود**، وتنغَّص في الملك عيشُ **سليمانَ**، وتحيّر بِرَدِّ ﴿لَن﴾ **موسى**، وهام مع الوحوش **عيسى**، وعالجَ الفقر **محمد** ﷺ.

فيـا دارَهـم بـالحَـزْن إنَّ مـزارَهـا ... قـريـبٌ ولكـنْ دونَ ذلـك أهـوالُ

أوَّل قدم في الطريق بَذْلُ الروح، هذه الجادَّةُ، فأين السالك؟! هذا قميصُ يوسفَ، فأين يعقوبَ؟ هذا طورُ سَيْناء، فأين موسى؟ يا جنيدُ احْضُر، يا شبلي اسْمعْ.

بِـدَمِ المُحِـبِّ يُبـاعُ وَصْلَهُـم ... فَمَـنِ الـذي يَبتـاعُ بـالسِّعْـرِ

* * *

(١) زيادة من (ب).

الفَصْلُ الأَرْبَعُونَ

إخواني! اعتبروا بالذين قطَنوا وخَزَنُوا، وكيف ظَعَنوا وحزِنوا! وانظر إلى آثارهم تَعْلَم أنّهم قد غُبِنوا، لاحتْ لهم لذاتُ الدنيا فاغترّوا وفُتِنوا، فما انقشعت سحابُ المُنى حتى ماتوا ودُفِنوا.

جَمعُـوا فمـا أَكلـوا الـذي جمعُـوا   وبَنَـوا مسـاكِنَهـم فمـا سَكَنُـوا

فكـأنّهـم كـانـوا بهـا ظُعُنـاً   لمـا استـراحـوا سـاعـةً ظَعَنُـوا

يا مَنْ قد امتطى بجهله مطا[1] المطامع، لقد ملأ الوعظُ في الصباح والمساء المسامعَ، أين الذين بلغوا آمالهم؟ فما لهم في المنى مُنازع، وما زال الموتُ يدور على بُدِور الدور حتى طوى الطوالع، صار الجنْدلُ فِراشهم بعد أن كان الحريرُ فيما مضى المضاجعَ، ولقوا ـ واللهِ ـ البِلا في تلك البلاقع.

قال (**شداد بن أوس**): لو أنَّ الميتَ نُشِرَ، فأخبرَ أهل الدنيا بألمِ الموت، ما انْتَفعوا بِعَيْشٍ، ولا التذُّوا بنوم.

وقال (**وهب بن منبّه**): لو أنَّ ألمَ عرقٍ من عروقِ الميتِ قسم على أهل الأرض لوسعهم ألماً.

وكان (**عمرُ بن عبد العزيز**) يجمع الفقهاء كلّ ليلةٍ فيتذاكرون الموتَ والقيامة ثم يبكون، حتى كأنَّ بين أيديهم جنَازة.

وقال (**يحيى بن معاذ**): لو ضُرِبت السماء والأرضُ بالسياط التي ضرب بها ابن آدم لانقادت خاشعة للموت والحساب والنار.

يا هذا! الشيبُ أذان، والموت إقامة، ولستَ على طهارة، والعمر صلاة، والشيب تسليم.

---

(١) **مطا**: الظهر.

يا من قد خَيَّمَ حبُّ الهوى في صحراء قلبه، اقْلَع الأطنابَ[١] فقد ضُرب بوقُ الرحيل، أما تسمعُ صوتَ السوط في ظهور الإبل؟! أما ترى عَجَلة السَّلْبِ وقِصَرِ العمر؟! شارفَ الركبُ بلدَ الإقامة فاستَحثَّ المطيَّ، يا مشاهدةً ما تَمّتْ بُغْيَتُها حتى وقع النَّهْبُ فيها، اسْتَلِبْ زمَنَك لكَ قبل أن تُسْلَبَ الجملةُ، الأيامُ تسرعُ في تبذير مجموع صورتك وأنت تسرعُ في تبذير معانيك.

يا شبّان الجهل، يا كُهولَ التفريط، يا شيوخ الغفلة، اجلسوا معنا ساعة في مأتم الأسَف.

يا سحائبَ الأجفان أمطري على رباع[٢] الذنوب.

يا ضيف الندم على الإسراف اسكن شغاف[٣] القلوب.

يا أيام الشيب إنما أنتِ بين داعٍ ووداع، فهل لماض من الزمان ارتجاع.

قِفَا ودِّعا نجداً ومَنْ حَلَّ بالحمى ... وقَـلَّ لنجـدٍ عنـدنـا أن تُـوَدّعـا
فليْـس عُشَيّـاتُ الحِمـى بـرواجـعٍ ... عليـكَ ولكـنْ خَلِّ عينيـك تَـدْمعـا
تلفَّتُّ نحـوَ الحمـى حتـى وجَـدْتُنـي ... وَجِعْتُ من الإصغاء لِيتاً[٤] وأخدعا[٥]
وأَذكُـرُ أيـامَ الحِمَـى ثـم أَنْثَنـي ... على كَبِدِي مِنْ خَشيةِ أن تَصَدَّعا

إخواني! سكرانُ الهوى بعيدُ الإفاقة، فلو تذكر إقامةَ الحد طارَ السُّكر، مَنْ تحسَّى مرق الهوى احترقتْ شفتاه، مَنْ أكل من الظُّلمِ ثمرةً أداها قَوْصَرة[٦].

ويحك! اغسل العثرةَ بعَبْرة، وادفع الحَوْبَة بتوبة، ما دام في الوقت مهلة، وفي زمن السلامة فسحة، قبل أن تموت وتفوت، وتعلو بعد الخيل على تابوت،

---

(١) الأطناب: جمع طنب، وهو الحبل.
(٢) رباع: جمع ربع: الدار بعينها.
(٣) شغاف: غلاف القلب ـ جلدة دونه ـ وسويداء القلب أو حبته.
(٤) الليت: صفحة العنق.
(٥) الأخدع: عرق في الرقبة، إذا قطعه الذابح لا يبقى معه حياة، ويسمى الودج، وهما وَدَجان من الجداول التي تجري فيها الدماء.
(٦) القوصرة: ما يكتنز فيه التمر من البواري.

قبل أن ترى السمع والبصر قد كلاَّ، وتقول: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ فيقال: ﴿ كَلَّآۚ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، قبل أن يصيرَ دمعُ الأسى من جفن أَسَا[١]، ويقال: هلاّ كان هذا قبل هذا، هلاّ.

أَتَتْـركُ مـنْ تُحِـبُّ وأنـتَ جـارُ ... وتطْلبُـه إذا بَعُـدَ المَـزارُ
وتبكـي بعـدَ نـأْيِهـمُ اشْتيـاقـاً ... وتسـألُ فـي المنـازل أيـن سـاروا
تـرَكْـتَ سـؤالَهـمْ وهـمُ حضـورٌ ... وتـرجـو أن تُخبِّـرَكَ الـديـارُ
فنفْسَـك لُـمْ ولا تَلُـمِ المطـايـا ... ومُـتْ كَمَـداً فليـسَ لـك اعتـذارُ

يا مَنْ أجلُه يذوبُ ذوبانَ الثلج في الحرِّ، أَيَنْقَشعُ غيمُ العمر لا عن هلال الهدى؟! أتؤثر الفاني المرذول على النفيس الباقي؟!.

أَرَضِينـا بِثَنِيّـاتِ اللِّـوى ... عـن زَرُودٍ يـا لَهـا صَفقـةُ غَبْـنِ

ما تَخفى علاماتُ الإدبارِ عليك، يُفَتَّشُ دارُك فلا يُرى سِوَاكٌ للطهارة، يدك لا تطهر للصلاة بل هي ملاعقُ للأكل، ليسَ في البيتِ مصحفٌ بل تقويم[٢]، أينفعُ وجود التقويم مع عدمِ التقويم[٣]؟! يا مهتمّاً بالنظر في الطالِع! طالِعْ ما قد خبئ لك، كأنك بالموت قد طَلَعَ، وما طالعَ فكرُك عاقبة، اسمع حسابي حقّاً وما أَرْجُم، ودَعْ لكلماتي هذي قول الهازل المنجم، إن ضُمَّ الندمُ على التفريط إلى العزيمة على الإنابة فساعةُ سَعْدٍ، وإن اجتمعَ في القلب حُبُّ الدنيا على إيثار الكَسلِ فقِرانُ نَحْسٍ.

* * *

انتهى الجزء الأول من تقسيم المحققين

ويليه الجزء الثاني وأوله الفصل الحادي والأربعون

---

(١) **الأسى**: الحزن. **أسا**: من الإساءة والخطأ، أي: أساء.

(٢) ما يضبط به التاريخ كالروزمانة، وثمة تقويم زمني وتاريخي وفلكي.

(٣) الإصلاح والتعديل والتصحيح. والثقاف: تقويم المعْوَجّ.

المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي



بعناية

عبد الكريم محمد منير تتان

خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الثاني

دار القلم
دمشق



المدهش

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

بعناية

عبد الكريم محمد منير تتان

خلدون عبد العزيز مخلوطة

المجلد الثاني

دار القلم

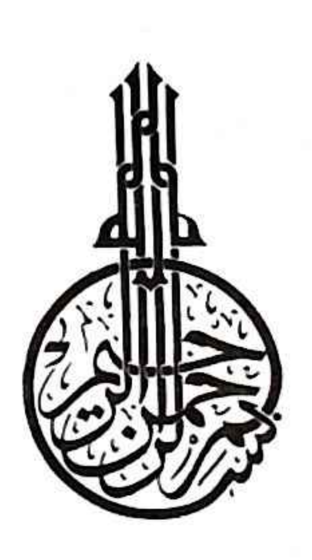
دمشق



الطبعة الثانية
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
www.alkalam-sy.com
الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤


المدهش
المجلد الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الحادي والأربعون

ما هذا الحب للدنيا والصَّبابة؟! وإنّما يكفي منها صُبابَة[1]، فقل للنفس الحريصةِ: قد بِعْتِ الأُخرى رَخيصةً.

يا نفسُ ما الدَّهرُ إلا ما عَلِمْتِ فكم ... أليسَ[2] حدثتِني أني أتوبُ فَلَمْ
إياكِ إياكِ مِنْ (سوفَ) فكم خَدَعتْ ... وأهلكتْ أُمماً مِنْ قبلها وأُمَمْ
توبي يكنْ لكِ عندَ الله نُزْلُ[3] تُقى ... وقَدِّمي من فَعالِ الصالحين قَدَمْ
يا راقدَ الليلِ قد نادى المشيبُ بهِ ... الآن كُنْ خائفاً لا تقعُدَنَّ وَقُمْ

يا مَنْ قَد أخذَ الهوى بأزِمَّتِه[4]، وأمسك الردى بلِمَّتِه[5]، يا رهينَ ديونٍ تعلّقت في ذمته، هذا أوان جَدِّكَ إنْ كنتَ مُجداً، هذا زمانُ استعدادك إن كنت مُسْتعداً.

(للشريف الرضي)[6]:

يا نفسُ قد عزَّ المرادُ فخذي ... إن كنتِ يوماً تأخذين أوْ ذَري
نُهزَةُ مَجْدٍ كنتُ في طِلابها ... لمثلها يَنْصُفُ ساقي مئزَري
عُمْرُ الفتى شبابُه وإنّما ... آوِنَةُ الشيبِ انقضاءُ العُمُرُ

رُضْ مُهْرَ النفسِ، يهن[7] ركوبُه، أَمِتْ زئبقَ الطبع يُمْكِنِ استعماله، تلمَّحْ

---

(١) صبابة: بقية الماء في الإناء.
(٢) في (ب): ألست.
(٣) في (ب): جاه.
(٤) أزِمّته: جمع زِمام: وهو مِقود الدابة.
(٥) لِمتهِ: الشعر الذي يجاوز شحمة الأذنين، فإذا بلغ المنكبين فهي جُمّة.
(٦) قاله مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٧٥.
(٧) في (ب): يتأت.

فجرَ الأجر يَهُنْ ظلامُ التكليف، احذر حَيّة الفم[1] فإنها بتراء[2]، إذا خرجَتْ من شَفَةِ غدرِك لفظةُ سفَهٍ، فلا تُلْحِقْها بمثلها تُلْقِحْها، ونسلُ الخصامِ مذمومٌ، أوْثِقْ سَبْعَ غَضَبِك بسلسلةِ حِلْمِك، فإنّه إن أُفْلِتَ أَتْلفَ، متى قمتَ بِحدَّةِ الغضبِ انطفأ مصباحُ الحلمِ، بحرُ الهوى إذا ما مدَّ أغرقَ، وأخوفُ المنافذِ من الغَرَق فتحةُ البصر، فلا تشتغل زمانَ الزيادة إلا بإحكام القُرْدَحِ[3].

والمـــرءُ مـــا دامَ ذا عَيْـــنٍ يقلّبُهـــا ... في أعين العِينْ[4] موقوفٌ على الخَطَرِ
يَســـرُّ مُقلتَـــه مـــا ضـــرَّ مُهْجتَـــه ... لا مـرحباً بسـرورٍ عـادَ بـالضـررِ

لو حضرتَ مع الأحباب البابَ، لسامحَ الناقدُ بِبَهْرَجِك، رحَلَتْ رِفقةُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، ومطرودُ النوم في حَبْس الرُّقاد، فما فكَّ عنه السجّان قيدَ الكَرى حتى استقرّ بالقوم المنزل، فقام يتلمّحُ الآثارَ بباب الكوفة، والأحبابُ قد وصلوا إلى الكعبة.

(لصُرَّدُرّ)[5]:

مَـــنْ يطّلـــعُ شَـــرَفـــاً فيعلـــمَ لـــي ... هـــل روَّحَ الـــرُّعْيـــانُ بـــالإبـــلِ؟
أم قَعْقَعَـــتْ عُمُـــدُ الخِيـــامِ أم ار ... تفعـــتْ قِبـــابُهـــمُ علـــى البُـــزْلِ؟
أم غـــرّدَ الحـــادي بقـــافيـــةٍ ... منهـــا غُـــرابُ البيـــنِ يَسْتمْلـــي؟
فَضَلَتْ دُموعي على مَدَى حَزَني ... فبكيـــتُ مَـــنْ قَتَـــل الهـــوى قبلـــي
مـــا مـــرَّ ذو شَجَـــنٍ يكَتِّمُـــه ... إلا أقـــول: متيّـــمٌ مثلـــي

من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يُولّيه.

---

(١) حية الفم: كناية عن اللسان.
(٢) بتراء: يقال: الأبتر من الحيات قصير الذنب لا يراه أحد إلا فرّ منه، ولا تبصره حامل إلا أسقطت، يقال له: الشيطان، وسمي أبتر لقصر ذنبه كأنه بتر منه.
(٣) القُرْدَح: ضرب من البُرد؛ أي الثياب، والقُردحة: الإقرار على الضيم والصبر على الذل، وقد أوصى عبد الله بن خازم بنيه عند موته فقال: يا بني إذا أصابتكم خُطةٌ لا تُطيقون وقعها فقردحوا لها.
(٤) العين: جمع عيناء؛ وهي واسعة العين.
(٥) قاله لبعض الرؤساء. انظر: الديوان، ص١٥٤ ـ ١٥٥.

الزهادُ عينُ العارفين. الأرواح في الأشباحِ كالأطيار في الأبراج، وليس ما أُعِدَّ للاستفراخ كما هُيِئ للسِّباق. مَنْ حَدَّقَ بعينِ الفكر إلى مطلع الهُدى لاحَ له الهلال. كم أداوي بصرَ بصيرتك وما ينْجلي. ما أظنُّ الضعفَ إلّا في الوضع. ضَعْفُ عينِ الخُفَّاشِ ليس برمد، وحِدَّةُ ناظرِ الهدهدِ خِلقةٌ. مصابيحُ القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة قبل الشرائع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥]. وحَّدَ قُسٌّ[1] وما رأى الرسولَ ﷺ، وكفر ابنُ أُبَـيٍّ[2] وقد صلّى معه.

مع الضَّبِّ رِيٌّ يكفيه، ولا ماء، وكم مِنْ عطشانَ في اللُّجَّةِ.

إذا سبق الإنعام في القِدَم فذلك غِنَى الأبدِ. لمّا تقدَّمَ اختيارُ الطينِ المنهبطِ صعدَ على النار المرتفعة، وكانت الغلبةُ لآدمَ في حربِ إبليسَ، فاكتفت جهنّمُ بما جرى فسلّمت يوم «جُزْ يا مؤمنُ»[3]. سبق العلمُ بنبوة موسى، وإيمانِ آسيةَ فسيق تابوتُه إلى بيتها، فجاء طفل منفرد عن أم، إلى امرأة خالية من ولد «قرينان مرتعنا واحد».

دخل الرسولُ ﷺ إلى بيت يهودي يعودُه فقال له: «أسْلِم»، فنظر المريضُ إلى أبيه فقال له: أجب أبا القاسم، فأسلم[4]، فكان ذلك قريباً من نسبِ «سلمانُ منا»[5]، فصاحت ألسنة المخالفين: ما لمحمد ولنا؟ والقدرُ يقول: مريضنا عندكم (كيف انصرافيَ ولي في داركم شُغُلُ).

لمَّا عمَّ نور النبوةِ آفاق الهدى، رآه سلمانُ دونَ العَمّ[6]، قَويت ظلماتُ

---

(١) قُس بن ساعدة الإيادي: أسقف نجران، وكان أحد حكماء العرب.

(٢) عبد الله بن أبي ابن سلول: رأس المنافقين، حالف اليهود في المدينة، وناصب النبي ﷺ العداء، وكاد للدعوة ما استطاع، ومن أفاعيله: رجوعه بثلاثمئة من أتباعه تخذيلاً للمسلمين يوم خرج بهم الرسولُ ﷺ إلى أُحد.

(٣) جزء من حديث: «تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمنُ فقد أطفأ نورُك لهبي» رواه الطبراني في (الكبير)، وأبو نعيم في (الحلية).

(٤) وتمامه: فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» رواه البخاري عن أنس.

(٥) رواه الطبراني والحاكم بلفظ: «سلمانُ منا أهلَ البيت».

(٦) أي: أبو لهب.

الشركِ بمكة، فتخبّطتْ قريشٌ في الضلالِ، فلاحَ مصباحُ الفلاحِ من سُجُفِ دار الخَيْزُرَان[1]، فإذا عمر على الباب، ولقد أنارت لإبليس شمس البيان يوم ﴿ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٣]، غير أنّ النّهارَ ليلٌ عند الأعشى.

رجعَ الخُفَّاشُ إلى عُشِّه، فقال: أوقدوا المصباحَ فقد جُنَّ الليل، فقالوا: الآن طلعت الشمس، فقال: ارحموا مَنْ طلوعُ الشمس عندَهُ ليلٌ، فسبحانَ من أعطى ومنع، ولا يقال: لمَ صنع؟.

سُلَّمُ التوفيقِ قريبُ المراقي، وبئرُ الخُذْلانِ بلا قعر، ربما أدركَ الوَقْفَةَ أهلُ مصر، وفات سكانَ نَخْلَةَ[2]، لا بدَّ واللهِ من نفوذِ القضاءِ فاجنَحْ للسِّلْم.

بيـــنَ الحطيـــمِ وزمـــزمٍ والحِجْـــرِ والحَجَـــرِ المُقَبَّـــلْ
للعـــاشقيـــنَ مـــن الهـــوى أبـــداً مصـــارعُ ليـــسَ تُجْهَـــلْ
كـــم بـــالمُحَصَّـــبِ مِـــنْ عليـــلِ هـــوًى طـــريـــحٍ لا يُعَلَّـــلْ
وقتيـــلِ بَيْـــنٍ بيـــنَ خَيْـــفِ منًـــى وجَمْـــعٍ ليـــسَ يَعْقِـــلْ

كيف تتقي نبالَ القدرِ والقلبُ بين أصبعين؟![3].

لا تَغْضَبَـــنَّ علـــى قـــومٍ تُحِبهـــمُ فليس يُنْجيك من أحبابك الغضبُ
ولا تخـاصِمْهُـمُ يـومـاً إذا حكمـوا إنَّ القضـاةَ إذا مـا خُـوْصِمُـوا غَلَبـوا

كان إبليسُ كالبلدة العامرة، فوقَعَت فيها صاعقة الطردِ، فهلك أهلُها ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ [النمل: ٥٢].

مَـــنْ لـــم يكـــنْ للـــوصـــالِ أهـــلاً فكـــلُّ إحســـانِـــه ذنـــوبُ

أُخِذَ كساءُ تَرَهُّبه[4]، فَجُعِل جِلاًّ لكلبِ أهلِ الكهفِ، فأخذَ المسكينُ في

---

(١) دار بمكة بنتها الخيزران أم هارون الرشيد، ويشير بها إلى دار فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها.

(٢) نخلة: بطن نخلة موضع بين مكة والطائف.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء».

(٤) إشارة إلى تعبد إبليس مع الملائكة قبل الطرد.

عداوة آدمَ فكم بالغَ واجتهد! وأبى اللهُ أن يقعَ في البئرِ إلا مَنْ حَفَر، ويحك ما ذنبُ آدم؟! أنتَ الجاني على نفسك، ولكنه غيظ الأسير على القِدِّ[١].

لقي إبليسُ عمرَ بن الخطاب فصارعه فصرعَهُ عمر، فقال بلسان الحال: أنا مقتولٌ بلسانِ الخذلانِ قبل لقائك «فإياكَ عنّي لا يكن بك ما بيا»، يا عمرُ أنتَ الذي كنتَ في زمانِ الخطابِ لا تعرفُ البابَ، وأنا الذي كنتُ في سُدَّة السيادة وأتباعي الملائكة، فوصل منشور ﴿لَا يُسْئَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فعزلني وولَّاك، فكن على حذَرٍ من تحوُّلِ الحال.

فإنَّ الحُسامَ الصقيلَ الذي ... قُتِلتُ به في يدِ القاتلِ

لمَّا تمكّنت معرفةُ عمر بتقليب القلوب، لعبَ القلقُ بقلبه، خوفاً من قَلْبِه[٢] فبادرَ بطرق باب البريد بالعزل والولاية، يا حذيفةُ! يا حذيفةُ![٣] المحنة العظمى ارتباطُ أمرِك بمن لا يُبالي بهَلاكِك، فكمْ قد أهلكَ قَبلَك مثلك، كم مُشارفٍ بسفينةِ عملِه على شاطئ النجاة ضربها خَرْقُ الخذلان فغرقت! وما بقي للسلامة إلا باع أو ذِراع، أي تصرفٍ بقيَ لك في قلبك وهو بين إصبعين؟!.

يا قلبُ إلامَ تطالبُني ... بلِقا الأحبابِ وقد رَحلوا
أرسلْتُكَ في طلبي لَهُمُ ... لتعودَ فَضِعتَ وما حَصَلوا
سلِّمْ واصْبرْ واخضَعْ لهمُ ... كمْ مِثلُكَ قبلَكَ قد قَتَلوا
ما أحسنَ ما عَلَّقتَ بهم ... آمالَكَ منهم لو فعلوا

* * *

---

(١) القد: السير الذي يقيد به المحبوس.
(٢) قلبه: انقلابه.
(٣) يشير إلى تعرضه إلى حذيفة بن اليمان أمين سرِّ الرسول ﷺ ليسأله عن حاله.

الفصل الثاني والأربعون

يا مَنْ قد أسره الهوى فما يستطيع فِكاكاً، أَفِقْ قبل الوهى[١]، وها [هو][٢] قد أدركك إدراكاً، قبل أن لا ينفعَ البكاءُ الباكي، ولا التباكي مَنْ تباكى.

(لأبي العتاهية)[٣]:

بَليتَ وما تَبْلَى ثيابُ صِباكا ... كفاكَ نذيرُ الشيبِ[٤] فيكَ كفاكا
ألم ترَ أنَّ الشيبَ قد قام ناعياً ... مقامَ الشبابِ الغضِّ ثم نَعاكا
ولم ترَ يوماً مرَّ إلا كأنّه ... بإهلاكه للهالكين عَناكا[٥]
ألا أيُّها الفاني وقد حان حَيْنُه[٦] ... أَتطْمَعُ أن تَبْقى فلَستَ هُناكا
تَسَمَّعْ ودَعْ مَنْ أفسدَ الغيُّ سَمْعَهُ ... كأني بداعٍ قد أتى فدَعَاكا
وربَّ أمانٍ للفتى نَصَبَتْ له ... المَنيَّةُ فيما بينهنّ شِرَاكا[٧]
أراكَ وما تنفكُّ تهدي جَنَازةً ... ويوشكُ أن تُهدى كذاك لذاكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... وينساكَ مَنْ خلّفتَه هو ذاكا
ألا ليت شِعري كيف أنت إذا القُوَى ... وَهَتْ[٨] وإذا الكربُ الشديدُ عَلاكا
تموتُ كما ماتَ الذين نسِيتَهم ... وتُنْسَى ويهوى الحيُّ بعدَ هواكا[٩]

---

(١) الوهى: الضعف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) لا توجد هذه القصيدة بكاملها في الديوان. انظر: ديوان شعره، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٤) في الديوان: (كفاك من اللهو المضرِّ كفاكا).

(٥) عناك: قصدك.

(٦) حينه: هلاكه.

(٧) شراك: ما ينصب للصيد.

(٨) وَهَتْ: ضعفت.

(٩) في الديوان: (وتُنسى وتهوى العِرسُ بعدُ سواكا).

كأنَّ خطوبَ الدَّهرِ لم تجرِ ساعةً ... عليكَ إذا الخطبُ الجليلُ أتاكا
ترى الأرضَ كم فيها رُهونٌ دفينةٌ ... غَلِقْنَ فلم يُقبلْ لهنَّ فكاكا

كم سكَنَ قبلَك في هذه الدارِ، فحامَ الموتُ حولَ حِماهُم ودارَ، ثم ناهضهم[1] سريعاً وثار، كأنّه وليٌّ يطلب الثار، وقد خوَّفَك بأخذِ الصديق وسَلْبِ الجار، ومن أَنْذَر قبل هجومه فما جارَ[2].

يا هذا! العمرُ عمرٌ قليلٌ، وقد مضى أكثرُه بالتعليلِ، وأنتَ تُعرِّضُ البقيةَ للتأويل، وقد آن أنْ يرحلَ النزيلُ، ما أرخصَ ما يباعُ عمرُك، وما أغفلك عن الشَّرا[3]، والله ما بَيعُ أخوةِ يوسفَ يوسفَ بثمنٍ بَخْس[4]، أعجبُ من بيعك نفسَك بمعصيةِ ساعةٍ.

متى ينتهي الفسادُ؟! متى يَرْعَوي الفؤادُ؟!.

يا مسافراً بلا زاد، لا راحلةَ ولا جواد، يا زارعاً وقد آن الحصاد، يا طائراً بالموت يُصاد، يا بَهْرجَ[5] البضاعةِ أين الجيادُ؟ يا مُصابَ الذنوبِ أين الحِدَادُ؟ لو عرفتَ المُصابَ فَرشْتَ الرّمادَ، لو رأيتَ سوادَ السِّرِّ لَبِستَ السَّوادَ، جسمُك في وادٍ وقلبُكَ في وادٍ، نُثِرَ الدُّرُّ لديكَ وما تنتقي، وقُرِّبَتِ المراقي إليك وما ترتقي، لقد ضَيَّعتَ ما مضى، وشرعْتَ فيما بقي، يا واقفاً في الماء الغَمْرِ[6] وما يستقي.

إنْ قلتُ: قُمْ قال: رجلي ما تطاوعني ... أو قلتُ: خذْ قال: كفِّي ما تواتيني

وا عجباً لنفاسةِ نَفْسٍ رُفِعَتْ بسجودِ المَلَكِ لها[7]، كيف نزلَتْ بالخِسَّةِ حتى زاحمتْ كلابَ الشَّرَهِ على مزابلِ الذُّلِّ، هيهات! لنْ تُفْلحَ الأُسْدُ إذا أُنْفِقَتْ عليها المَيْتاتُ الفُسْدُ.

---

(١) ناهضهم: قاومهم وناصبهم العداء.
(٢) جار: ظلم.
(٣) الشَّرا: أي الشراء، أي شراء العمر بالعمل الصالح.
(٤) بخس: ناقص.
(٥) بهرج: مزيف.
(٦) الغَمر: الكثير.
(٧) يشير إلى سجود الملائكة لأبينا آدم عليه السلام.

يا هذا! جسدُكَ كالناقةِ يحملُ راكبَ القلبِ، فلا تجعلِ القلبَ مستخدَماً في عَلَفِ الراحلة، تالله إنَّ جوهرَ معناك يتَظلَّمُ من سوءِ فِعلِكَ، لأنَّكَ قد ألقيتَه في مزابلِ الذُّلِّ، ماءُ حياتِك في ساقية عمرك قد اغدودقَ[1]، فهو يسيلُ ضائعاً إلى مهاوي الهوى، وينْسَرِبُ في أسْرابِ البطالة، فقد امتلأت به خِرْبات[2] الجهلِ، ومزابلُ التفريط، وشَرِبَتْهُ أدغالُ[3] الغفلات.

ويحك! اردُدْهُ إلى مزارعِ التقوى، لعلّهُ يحدق[4] نَوْرَ حديقةٍ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغَفْلةِ؟! متى تأتي تباشيرُ الصّباحِ؟!.

هـلِ الـدَّهـرُ يـومـاً بـوصْـلٍ يجـودُ ... وأيـامُنـا بـاللِّـوى هـل تَعـودُ
زمـانٌ تَقضَّـى وعيـشٌ مضَـى ... بِنَفْسـيَ - والله - تلـك العهُـودُ
ألا قُـلْ لسكـانِ وادي العقيـقِ ... هنيئـاً لكـم فـي الجِنـان الخلـودُ
أفيضـوا علينـا مـن المـاء فَيضـاً ... فنحـنُ عَطَـاشـى وأنتـم وُرود

لمَّا سَبقَ الاختيارُ لأقوامٍ في القِدمِ، جُذِبوا بعد الزَلَقِ في هوّةِ الهوى إلى نَجوة[5] النجاة.

يا (عمر)! كيف كانت حالكَ؟ قال: كنتُ مشغولاً بِهُبَلَ، فسمعتُ هتافَ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فعرّجتُ على المنادي، فإذا أنا في دار الخَيْزُران.

يا (فضيلُ)! مَنْ أنت؟ قال: أُخِذْتُ مِنْ قَطْعِ الطريق[6]، فأَخَذْتُ في قطْعِ الطريق[7].

---

(١) **اغدودق**: من الغَدَق: الكثرة.
(٢) **خِربات**: جمع خِرْبة: المكان الخَرِب.
(٣) **أدغالُ**: جمع دغل: وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يُتوارى فيه للختل والغيلة.
(٤) **يحدق**: يحيط.
(٥) **النجوة**: المرتفع من الأرض، يقال: هو بنجوة من هذا الأمر، أي: بعيدٌ عنه، بريءٌ سالم.
(٦) **قطع الطريق**: يشير إلى حاله قبل التوبة حيث كان ممن يقطعون الطريق ويغيرون على الناس.
(٧) **الطريق**: طريق السير إلى الله سبحانه وتعالى، وقطعه بالسير فيه يطويه ويحقق مقاماته فيه.

يا (عتبةُ الغلام)[١]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ عبدَ الهوى، فحضرتُ مجلسَ عبدِ الواحد، فصرتُ عبداً للواحد.

يا (سَبْتِيُّ)[٢]! مَنْ أنت؟ قال: كنتُ ابنَ الرشيدِ، فعرض لي رأيٌ رشيد، فإذا عزمي قد أخَذَ المُرَّ ومَرَّ.

يا (ابن أدهمَ)! مَنْ أنت؟ قال: أخذني حُبُّهُ من مَنْظرتي[٣]، فصيَّرَني ناطورَ البساتين.

يا (رابعةُ)! من أنتِ؟ قالتْ: كنتُ أضرِبُ بالعودِ فما سَمِعَ غيري[٤].

بـــالله يـــا ريـــحَ الصَّبـــا   مُـــرِّي علـــى تلـــك الـــرُّبـــا
وَبلِّغـــي رســـالـــةً   بِنَصِّهـــا أهـــلَ قُبـــا
واحَـــرَبـــاً وهـــل يُـــردُّ   فـــائتـــاً وَاحَـــرَبـــا

يا طفلاً في حِجْرِ العادة محصوراً بِقِماطِ[٥] الهوى! ما لكَ ومزاحمةَ الرجال؟ تمسكتَ بالدِّنيارِ تمسكَ المُرضَعِ بالظِّئْرِ[٦]، والقومُ ما أعاروها الطَّرْفَ[٧]، ما لك والمحبةَ وأنت أسير حَبَّة؟ كم بينَكَ وبينهم؟ وهل تدري أين هم؟.

سـلامٌ علـى تلـك المعـاهـد إنَّهـا   شـريعـةُ وِرْدي أو مَهَـبُّ شَمـالـي
ليـالـيَ لـم نَحْـذَرْ حَـزونَ قطيعـةٍ   ولَـمْ نمشِ إلا فـي سُهـولِ وِصـالِ

---

(١) عتبة الغلام: هو عتبة بن أَبان بن صَمْعة، وإنما سمي بالغلام لِجِدِّه واجتهاده، لا لصغر سنة كما جاء في صفة الصفوة: ٣/ ٣٧٠.

(٢) سبتي: أحد العباد. وستأتي له ترجمة في آخر الكتاب.

(٣) منظرتي: المكان من البيتِ الذي يعدُّ لاستقبال الزائرين؛ إشارة إلى إمارته وملكه.

(٤) كأن هناك جملة، بها يتضح المعنى، وهي: «كنت أضرب بالعود، فنوديت أن إلينا عودي، فما سمع غيري، أو فما سمع غيري أن إلينا عودي: أي ارجعي» واستجابت تائبة.

(٥) القماط: قمطه: شدّ يديه ورجليه، كما يفعل بالصبي في المهد، والقماط: الخرقة تلف على الصبي.

(٦) الظئر: المرضعة لولد غيرها.

(٧) ما أعاروها الطرف: الطرف: العين، وما أعاروها: ما التفتوا ولا اهتموا.

فقد صِرْتُ أرْضى من سواكِنِ أرضِها بِخُلَّبِ[1] بَرْقٍ أو بطيْفِ خَيال

سار القومُ ورَجعتَ، ووصلوا وانْقَطَعْتَ، وذهبوا وبقيتَ، فإن لم تلحقهم شَقِيتَ.

لبسَ البياضَ بذات عِرْقٍ معشرٌ ولبستُ من حُزْنٍ ثيابَ سوادِ
وصلوا إلى عرفاتَ يبغون الرِّضا وبقيتُ منقطعاً ببَطْنِ الوادي
رفعوا أكفَّهمُ وضجّوا بالدُّعا وضمَمْتُ مِنْ كَمَدٍ يدي بفؤادي

يا مَنْ كلما استقامَ عثر! يا من كلّما تَقَرَّبَ أَبْعد، استسلمْ مع التوبة، واستَروِح إلى دوام البكاء، وصِحْ بصوت القلق على باب دار الأسف.

ليسَ لي فيكَ حيلةٌ غيرَ صَبْري على القَضا
وبكائي على الوِصال الذي كان وانقضى
ليتني تُبتُ توبةً وقضى الله ما قضى

* * *

(١) خلب برق: البرق الخلب: المطمِعُ المخلِف، وفي حديث الاستسقاء: «**اللهمَّ سقيا غير خلّبٍ برقُها**» أي: خال من المطر، والخلب: السحاب يومض برقه حتى يُرجى مطره، ثم يُخْلف وينقشع، وكأنه من الخلابة: وهي الخداع بالقول اللطيف.

الفصل الثالث والأربعون

يا هذا! من اجتهدَ وجدَّ وَجَد، ليس مَن سَهِرَ كمن رَقَد، والفضائلُ تحتاجُ إلى وثبةِ أَسَد.

(لمهيار)[1]:

خاطِرْ فإمّا عِيْشَةٌ حُرّةٌ ... يُرْغِدُها العزُّ وإما الحِمامْ[2]
زاحِمْ على بابِ العُلى واجتهدْ ... لا بدَّ أنْ تدخُلَ بين الزحامْ
رَامِ بها الليلَ فما يُسفِرُ ... الصباحُ إلا عن نقابِ الظَّلامْ
مُوَارِقاً عن عُقُلِ أشطانِها ... مروقَ فُوْقِ السهم عنْ قوسِ رامْ
ميِّزْ من النّاس على ظهرها ... نفسَك لا ميزةَ تحت الرجام[3]
مَنْ طلبَ الغايةَ خَطْواً على ... ظهرِ الهوينا رامَ صعبَ المرامْ

لقد رضيتَ الغَبْنَ الغَبَنَ[4]، وبعتَ عُمُركَ بأقلِّ ثَمن، وأنفقتَ فيما يُرديكَ الزمنَ، وفترتَ في الصحة ولا فتور الزَّمِن[5]، يا مغروراً بخضراء الدِّمَن![6] يا جامعاً مانعاً قُلْ لي لِمَنْ؟ كيف ينال الفضائلَ مستريحُ البدن، سِلَعُ المعالي غالياتُ الثمن، وإنْ ساومتَها فبِزُهْدِ أُويسٍ وفقهِ الحسن.

يا هذا! أوقدْ مصباحَ الفكر في بيت العلمِ تَلُحْ لك الأعلامُ. مَنْ سدَّ ثُغورَ الهوى بجُندِ الجدِّ ملأ عينَ راحته من نومِ الطمأنينة. من دقَّ صراطُ ورعِه عن

(١) من قصيدة يمدح بها وزير الوزراء زعيم الدين. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣١٨ ـ ٣٢٢.
(٢) الحمام: الموت.
(٣) في الديوان: «احتشام»، وفي (أ): «بينا ترى المرء على ظهرها * حيّاً تراه في بطون الرجام». والرجام: جمع رجم، وهو القبر.
(٤) الغبْن: من غبنه غبناً: غلبه ونقصه. الغبَن: من غبن غبناً نقص وضعف.
(٥) الزَّمِن: من أقعده المرض، أو هو المبتلى بآفة بيّنة.
(٦) الدِّمَن: جمع دمنة، وهي آثار الدار وما اختلط من البعر والطين. ويريد هنا ما يبدو من زينة الدنيا ولذائذها.

الشبهات، عَرُض الصراطُ له يوم الجواز. لله دَرُّ أقوامٍ تأملوا الوجود ففهموا المقصود، فالنَّاسُ في رقادهم وهم في جَمْعِ زادهم، والخلائق في غرورهم، وعيونهم إلى قبورهم.

قال **(الإمام أحمد)**: لقد رأيتُ قوماً صالحين، رأيت **(عبد الله بن إدريس)** وعليه جبةٌ من لُبُود[1] قد أتت عليها سنون، رأيت **(أبا داود الحفري)** وعليه جبةٌ مخرّقة قد خرجَ منها القطنُ وهو يصلي فيترنَّح من الجوع، ورأيت **(أيوبَ النجار)** وقد خرجَ مِنْ كلِّ ما يملكه. وكان في المسجد شابٌّ مُصْفَرّ يقال له: **(العَوْفي)**، يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي.

إذا ما الخيامُ البيضُ لاحتْ لدى مِنًى ... فعَــرِّجْ فــإنّــا بعــدَهــا بقليــلِ
ترانا لدى الأطنابِ صَرْعى من الهوى ... نُكَفْكِــفُ دمعــاً لافتقــادِ خليــلِ
وكــم أنَّــةٍ أردَفْتُهــا بتنفُّــسٍ ... وكــم عَبْــرةٍ أتبعْتُهــا بعــويــلِ
قفــوا وانظـروا ذُلِّـي وعـزَّ معـذِّبـي ... تـروا عجبـاً مـن قـاتـلٍ وقتيـلِ

عَمِلتْ في قلوبهم معاولُ الحزنِ مِعًى[2]، وأَنْبطَتْ[3] من كل رَكِيَّةٍ[4] رَكِيَّةَ ماءِ أسًى، فجرى من طَرَفِ طَرْفَيْن[5] ماءٌ، فجرى وَسَخا[6]، فغسل وسخاً.

قد كنتُ أطوي على الوَجْدِ الضلوعَ ولا ... أُبدي الهوى وأسومُ[7] القلبَ كِتْمانا
فخـانـنـي الصبـرُ إذ نـاديتُـه ووَفَـت ... لـيَ الشـؤونُ[8] فعـادَ السـرُّ إعـلانـا
أُكَتِّـمُ الـوَجْـدَ والعينـانِ تُظْهِـرُهُ ... لَلْحُـبُّ أعظـمُ ممـا رُمْتُـه شـانـا

قال **(أبو عمران الجوني)**: أرتني أمي موضعاً من الدار قد انحفرَ، فقالت:

---

(١) **لُبود**: جمع لِبْد: كِساء من شعر أو صوف.
(٢) **مِعى**: مسيل الماء بين الحرار، والحرار: جمع حَرّة، وهي أرض ذات حجارة سود.
(٣) **أنبطت**: أنبعت وأخرجت.
(٤) **الركية**: البئر لم تطو.
(٥) **طَرَف**: جانب. **طَرْفين**: مثنى طَرْف وهي العين.
(٦) **سخا** يسخو وسخي يسخى سخاء: جاد.
(٧) **أسوم**: مضارع سام: أي كلفه إياه وألزمه به.
(٨) **الشؤون**: منابع الدموع في الرأس.

هذا موضعُ دموعِ أبيك.

وكان (**حسانُ بن أبي سنان**) يحضر مجلسَ مالك بن دينار، فيبكي حتى يبلّ ما بين يديه، ولا يُسْمَعُ له صوتٌ.

(للمتنبي)[1]:

أجابَ دمْعي وما الداعي سوى طَلَلِ — دعـاهُ فلبّـاهُ قبـلَ الـركـبِ والإبـلِ
ظَلَلْـتُ بيـن أُصَيْحـابـي أُكَفْكِفُـه — فظـلَّ يسفـحُ بيـن العُـذْرِ والعَـذَلِ
ومـا صَبـابـةُ مشتـاقٍ علـى أَمـلٍ — مـن اللقـاءِ كمشتـاقٍ بـلا أمـلِ

دموعُ المحبين غُدران في صحارى الشوق، من عادة القوم إلفُ البراري، والجلوس إلى الشجرِ، فإنْ سمعوا هتاف الحمامِ استغْنَوْا عن نائحِ.

شـوقـي إليـكَ مُجـاوزٌ وصفـي — وظهـورُ وجـديَ دونَ مـا أُخفـي
مـا دارَ ذكـرٌ منـكَ فـي خَلَـدي — إلا طَـرَفْـتُ[2] بمَـدْمَعـي طَـرْفـي

إذا تمكّنَتِ المحبةُ استحال السُّلوّ[3]، تعلقتْ يدُ المحبة بتلابيْبِ القلبِ فلا يمكنه التخلُّصَ، فيدور معها في دارِ المُداراة.

لِيَكْفِكُـمْ مـا فيكـمُ مـن جـوًى نلقـى — فمهـلاً بنـا مهـلاً ورفْقـاً بنـا رِفْقـا
وحـرمـةِ وَجْـدِي لا سلَـوْتُ هـواكـمُ — ولا رُمْـتُ منـه لا فِكَـاكـاً ولا عِتْقـا

وهل للمحبِّ قلبٌ، هيهاتَ! مزقته المحبة، براثن أُسودٍ في شِلْوٍ[4] ضعيفٍ على شدة جذب مع دوام التقليب.

إن تَـرحَّلْـتَ أو أقمـتَ فَعِنـدي — فيـضُ دمـعٍ يجـرْي ووَجْـدٌ مقيـمُ
وفـؤادي ذاك الفـؤادُ المُعَنّـى — وغـرامـي ذاكَ الغـرامُ القـديـمُ

انكشفَ اليومَ السترُ، افتضحَ العاصي والعارف.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة عام (٣٤٢هـ). انظر: الديوان، ص٣٢٨.
(٢) طرفت: أصبت عيني بشيء فدمعَتْ.
(٣) السلوّ: النسيان.
(٤) شلو: عضو.

(التوبة):

خليلَيَّ قد عمَّ الأسى وتقاسَمَتْ فنونُ البِلَى عشّاقَ ليلى ودورَها
وكنْتُ إذا ما جئتُ ليلى تَبرْقَعتْ فقد رابَني منها الغداةَ سفورُها

وقع الحريقُ في زوايا المجلس، رُشُّوا عليه من مَزادِ[1] الدمع.

يا كثيفَ الطبع، بَيضُ الحَمَامِ يَفْرَقُ من صوتِ الرعد ولا حسَّ له، أفميتٌ أنت وهذه الصواعق حولك؟!.

لو رأيتَ المحبينَ في مأْتَمِ الذلِّ وقد شُقِّقَتْ جيوبُ الوصالِ
لعذرتَ الذي بُلِيْ بِفِراقٍ ورَحِمْتَ المُحبَّ في كلِّ حالِ

هبتِ اليومَ نسمةٌ من أرض كنعانَ إلى مصر، غَنَّت حماماتُ اللِّوى في أرضِ نجدٍ، تنفَّسَ المشتاقُ، فانقشعَ غيمُ الهجر، سعى سمسار المواعظ في الصلح.

(للغزّي):

هبّتْ لنا وبرودُ الليلِ أَسْمالُ ريحٌ لها من جيوبِ الوَصْلِ أذيالُ
مرَّتْ بسفحِ اللِّوى والشيحُ مُتَّشِحٌ بلؤلؤِ الطَّلِّ والجرباءُ[2] مِعطالُ[3]
مريضةٌ في حواشي مُرْطها بَلَلٌ يُهدَى لكلِّ مريضٍ منه إبلالُ[4]
دعْ جَمْرةً لسويدا القلبِ محرقةً يا لائمي ثمّ قلْ لي كيف أحتالُ
حَدِّثْ عن منحنى الوادي وساكِنه كرِّرْ حديثَك لا حالتْ بك الحالُ
وامزُجْ بماءِ المُنى ما قلتَ منْ خبرٍ فإنّ أخبارَ ذاك الحي جِرْيالُ[5]

* * *

---

(١) مزاد: جمع مزادة: الراوية يُحمل فيها الماء.

(٢) الجِرباء: الأرض المقحوطة لا شيء فيها.

(٣) مِعطال: المرأة اعتادت ترك الحلي، ويشير إلى خلو الأرض من حلية النبات.

(٤) إبلال: الخروج من المرض.

(٥) جريال: خمر دون السُّلاف في الجودة.

الفصل الرابع والأربعون

إخواني! شحمُ المنى هزال، وشراب الآمال سرابٌ [وآل][1]، ولذاتُ الدنيا منامٌ وخيال، وحربها قتل بلا قتال.

والمرءُ يُبْليه في الدنيا ويُخْلِقُه ... حِرْصٌ طويلٌ وعُمْرٌ فيه تقصيرُ
يُطوِّقُ النحرَ بالآمالِ كاذبةً ... ولَهْذَمُ[2] الموتِ دونَ الطَّوْقِ مَطْرورُ[3]
جذلانُ يَبْسُمُ في أشراكِ ميتَتِه ... إن أفلَتَ النابُ أردَتْهُ[4] الأظافيرُ

تَيَقَّظْ لنفسِك، واذكُرْ زوالك، ودَع الأمل ولو طوى الدنيا وزوى لك، فكأنّك بالموتِ قد حيّرك وأبدى كَلالَك[5]، ونسيك الحبيبُ، لأنّه أرادكَ لهُ لا لَكَ، وخَلوتَ تبكي خِلالَكَ[6] في زمانٍ خَلا لَك، وشاهدتَ أمراً فظيعاً أفظعك وهالَك، تودُّ أن تفتديه بالدُّنيا لو أنها لك، فتنبَّه من رُقادِ الهوى لما هو أولى لك، واحذر أن تكون أعْمالُك أعْمى لك، وأفعالُك كالأفعى لك.

لو كان لك باعثٌ من نفسكَ، ما احتجتَ إلى محرِّكٍ من خارجٍ، هذا الديك يصيحُ في أوقاتٍ معلومةٍ من الليلِ لا تختلفُ، يؤدِّي وظائفَها بباعثِ الطبعِ وإن لم يكن في القريةِ ديكٌ غيرُه، وأنتَ تؤخِّرُ وظائفَ صلواتك، وتنقص من واجباتك عباداتك، فإن بكيتَ في المجلس فَلِبكاءِ الجماعة، فإذا خَلْوتَ خلوتَ[7] من محرك.

---

(١) الآل: السراب. ما بين معقوفتين زيادة.
(٢) لهذم: من الأسنة القالع.
(٣) مطرور: من طرَّ الشيء: شقه وقطعه؛ أي: مقطوع بمعنى قاطع.
(٤) أرْدَتْهُ: أهلكته.
(٥) كلالك: ضعفك.
(٦) خِلالك: صفاتك.
(٧) خلوت الأولى: انفردت. وخلوت الثانية: فرغت.

هيهات! من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ، إذا لم يكن للدجاجة همّةٌ للحضن لم تنفع تغطيتُها بمنخل الحاضن، تصابِرُ الشقاءَ لما تأملُ من العواقب، والرَّعْناءُ[١] تكسرُ البيضَ قصداً.

الخصائصُ أوضاع، والسوابقُ خواص «**هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**»[٢]. المغناطيسُ يجذب الحديد بخاصّيةٍ فيه. الظليمُ[٣] يبتلعُ الحصى والحجارةَ فيذيبها حَرُّ قانِصَتِه[٤] حتى يجعلها كالماء الجاري، ولو طبخَ ذلك بالنار لم يَنْحلَّ، ذَنَبُ الجرادةِ يشقُّ الصخرةَ وليس بالقوي، إبرةُ العقرب تنفذ في الطست[٥]. خرطومُ البعوضةِ يغوصُ في جلد الجاموسِ. من تُعَلَّقُ عليه برادةُ الحديد لم يغطَّ في نومه. إذا ترك الرصاصُ أو الزئبق في تنور سقط الخبزُ كلُّه، فإن ترك الرصاص في قدر لم ينضج اللحم. إذا كان الزعفرانُ في دار لم يدخلها وزَغَة[٦]. إذا دُفِن الحديدُ في الدقيقِ زال عنه الصدأ. إذا ترك سراج على شيءٍ في نهرٍ سكنتْ ضفادعُه. إذا دُفنت ذئبةٌ في قرية لم تدخلها الذئابُ. إذا نظر صاحِبُ الثآليل إلى كوكب ينقضُّ فمسح بيده حينئذٍ على ثآليله ذهبتْ[٧]. إذا عَسُرَت الولادةُ فصاحت بالمرأة بِكرٌ: يا فلانة! أنا جارية عذراء وقد ولدتُ وأنت لم تلدي، ولدتْ في الحال، للنَّمْلة فضلُ حِسٍّ في الشمِّ تدرك الأراييح البعيدة.

لما شُقَّ خِتامُ نافجةِ[٨] النبوةِ ملأ ريحُها الأرض، فاستنشقها أهل العافية، فوصل إلى خياشيم سَلْمانَ في فارس، وصهيبٍ في الروم، وبلالٍ في الحبشة، وكان ابن أبيّ مزكوماً فما نفعه قرب الدار.

كم مِنْ نَفْسٍ دَخَلَتْ مجلسي، وهي حاملُ جنينِ الإصرار، فلمّا استنشقت ريحَ المواعظ أسقطت.

---

(١) **الرعناء**: مؤنث أرعن، وهي الهوجاء في المنطق.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ٢٣٩.

(٣) **الظليم**: ذَكَرُ النَّعام.

(٤) **القانصة**: كالمعدة للإنسان.

(٥) **الطست**: إناء كبير مستدير من نحاس.

(٦) **وزغة**: سام أبرص (للذكر والأنثى).

(٧) لعل هذا من المجربات عندهم، وإن لم يثبت علمياً.

(٨) **النافجة**: وعاء المسك في جسم الظبي.

أيها التائب مَنْ حَرّكك؟ وقد كان تحريك الجبلِ دونَ إزعاجك! ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، أتدرون هذا التائب لِمَ انزعجَ؟ أما تجدونَ في نَفَسِه حَرَّ وهْجٍ؟.

صبا[١] لنسيمِ الصَّبا إذ نَفَح ... وأرَّقَهُ لمعُ بَرْقٍ لَمَحْ
وأذكَرَهُ عيشَةً بالحمى ... وعَهْداً تقادَمَ سِرْبٌ سنَحْ[٢]
فَحَنَّ إلى السَّفْحِ سفحِ العقيقِ ... فَسَحَّ لهُ دمْعُهُ وانْسفَح
وكان كتوماً لسِرِّ الهوى ... ولكنْ جرى دمعُه فافْتَضَحْ
فدعْهُ ينادي طلولَ الحِمى ... ويسألُ رامَةَ عمَّنْ نزحْ

يا غائباً عنا وهو حاضر! أما لك ناظرٌ ناظرُ[٣]؟! أما دموعُ الوَجْدِ قد ملأت المحاجر؟! أفٍّ لبدوي لا يطربه ذكر حاجر[٤]، أقل أحوال الزَّمِنِ[٥] أن يبكي إذا رأى المُشاة، انظر إلى التائبين وحُرَقِهم، والتفِتْ إلى العارفين وقَلَقِهم.

اسمَعْ أنينَ العاشقينَ ... إنِ اسْتطعتَ لهُ سَماعا
راحَ الحبيبُ فَشَيَّعَتْهُ[٦] ... مدامعٌ تجري سِراعا
لو كُلِّفَ الجبلُ الأصمُّ ... فِراقَ إلْفٍ ما استطاعا

كلّما بكى الخائفون أزعجوني، وكلّما استغاث الواجدون ألهفوني.

وإنِّي لمجلوبٌ ليَ الشوقُ كلّما ... تَنَفَّسَ باكٍ أو تألَّمَ ذو وجدِ
تَعرَّضَ رُسْلُ الشوقِ والركبُ هاجِدٌ[٧] ... فأيقظني مِنْ بينِ نُوَّامِهم وجدي

---

(١) **صبا**: مال.
(٢) **سرب**: قطيع من الظباء. **سنح**: عرض.
(٣) **ناظر الأولى**: العين. **وناظر الثانية**: بمعنى ترى.
(٤) **الحاجر**: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.
(٥) **الزَّمِن**: الذي أقعده المرض.
(٦) **فشيعته**: شيع فلاناً: خرج معه ليودعه ويبلغه منزله.
(٧) **هاجد**: نائم.

يا صبيانَ التوبة! ارْفُقُوا بمطايا أبدانِكم فقد أَلِفَتِ الترفَ ﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق: ٦] .

هَـبَّ لهـا مِـن النسيـمِ رائـدُ ... فعـادَهـا مِـن الغَـرامِ عـائِـدُ
نُوقٌ نَفى عنها الحِمَى طيبَ الكَرى ... فهْيَ كما شاءَ السُّرى سواهِدُ(١)
أنحلَهـا تحـتَ الـدؤوبِ أينُهـا ... فمـارتِ الأنسـاعُ(٢) والقـلائِـدُ
فـلا تخـالِفْهـا إذا مـا التَفَتَـتْ ... شـوقـاً إلـى بـانِ الحمـى يـا قـائـدُ
وقـلْ لهـا لَعـا(٣) إذا مـا عثـرتْ ... فهـي لِحمـلِ وَجـدِهـا تُكـابِـدُ
مـذْ حَكَـمَ البَيْـنُ عليهـا لـم تـزل ... تبكـي عليهـا البِيـدُ والفـدافِـدُ(٤)

يا صبيان التوبةِ! للنفسِ حظٌّ وعليها حق ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ [النساء: ١٢٩]، خذوا ما لها، واستوفوا ما عليها ﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء: ٣٥] ، فإن رأيتم من النفوسِ فتوراً، فاضربوهنّ بصوت الهجر ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٣٤] ، عَلَى أني أوصي صبيانَ التوبة بالرفق، وبعيدٌ أن يَقَرَّ خائِفٌ أو يسمعَ العَذْلَ محبٌّ.

ليتَ شعري هل أرى في طريقي ... سَعَـةً تُفْسِـحُ كَـرْبَ المَضيـقِ
قـد رمـانـي الحُبُّ فـي لُـجِّ بحـرٍ ... فخـذوا يـا قـوم كـفَّ الغـريـقِ
حـلَّ عنـدي حُبُّكـم فـي شِغـافـي(٥) ... حـلَّ منـي كـلَّ عقـدٍ وثيـقِ
عفـتُ دنيـايَ اشتيـاقـاً إليكـم ... وتسـاوى خـامُهـا والـدبيقـي(٦)
ورفَضْـتُ الكـلَّ شغـلاً بـوَجْـدي ... فـانجلـى لـي كـلُّ معنًـى دقيـقِ

---

(١) سواهد: جمع ساهدة: قلقة أرقة.
(٢) الأنساع: جمع نِسع، وهو سير عريض طويل تشد به الحقائب ونحوها. ومارت: تحركت وتدافعت.
(٣) لعا: من لعَّ ، كلمة تقال للعاثر مرة أو مرتين: أقالك الله من عثرتك.
(٤) الفدافد: جمع فدفد، وهي الصحراء الواسعة.
(٥) شغافي: الشغاف: سويداء القلب وحبّته.
(٦) دبيقي: ثياب تنسب إلى (دبيق) قرية في مصر.

يـا صـديقـي! عنـديَ اليـومَ شُغْـلٌ   فَـالْـهُ عنـي واشتَغـلْ يـا صـديقـي
بَيْـدَ إنْ تـذكُـرْ لـي حِـبَّ قلبـي   فـأَعِـدْ ذِكـرهـمُ يـا رفيقـي
غَصَّنـي الشـوقُ إليهـم بِـرِيقـي   وَا حريقي! في الهوى وَا حريقي!

* * *

الفصل الخامس والأربعون

إخواني! البِدَار البِدَار، فما دارُ الدُّنيا بدار، إنما هي حَلْبة لجريان الأعمار، وكم تبقى الفريسة بين النيوبِ والأظفار!.

مـا دارُ دُنيـا للنعيـم بـدارِ ... وبهـا النفـوسُ فـريسـةُ الأقـدارِ
مـا بيـنَ ليـلٍ عـاكـفٍ ونهـارِه ... نَفَسـانِ مُـرْتشِفـانِ لـلأعمـارِ
طـولُ الحيـاةِ إذا مضـى كقصيـرِهـا ... واليُسْـرُ لـلإنسـانِ كـالإعسـارِ
والعيـشُ يُعْقِـبُ بـالمَـرارةِ حُلـوَه ... والصفْـوُ فيـه مخـالِـفُ الأكـدارِ
وكـأنمـا تقضـي بنيـاتُ الـرَّدى ... لفَنَـائنـا وطَـراً مـن الأوطـارِ
ويـرُوقُنـا زهـرُ الأمـانـي نضـرةً ... هـدمُ الأمـانـي عـادةُ المِقْـدارِ
والمـرءُ كـالطيـفِ المُطيـفِ وعُمـرُه ... كـالنَّـومِ بيـن الفجـرِ والأسْحـارِ
خطـبٌ تضـاءلـتِ الخطـوبُ لَهَـوْلِـهِ ... أخطـارُه تعلـو علـى الأخطـارِ
تُلقـى الصـوارمُ والـرمـاحُ لهـولِـهِ ... ونلـوذُ مـن حـربٍ إلـى استشعـارِ
إنَّ الـذيـن بَنَـوْا مَشيـداً وانْثَنـوْا ... يسعَـوْنَ سعـيَ الفـاتِـكِ الجبـارِ
سُلِبُـوا النضـارةَ والنعيـمَ فـأصبحـوا ... مُتَـوسِّـديـنَ وسـائـدَ الأحجـارِ
تـركـوا ديـارَهـمُ علـى أعـدائهـم ... وتَـوَسَّـدُوْا مَـدَراً بغيـر دثـارِ
خلـطَ الحِمـامُ قـويَّهُـم بضعيفهـم ... وغَنِيَّهـم سـاوى بـذي الإقتـارِ
والـدهـرُ يُعْجِلُنـا علـى آثـارهـم ... لا بـدَّ مـن صبـحِ المُجـدِّ السـاري
وتعـاقـبُ المَلَـوَيـن[1] فينـا نـاثـرٌ ... بـالكـرِّ مـا نَظَمـا مـن الأعمـارِ

تالله ما صَحَّ مَنْ يطلبُه مرضُه، ولا سُرَّ مَنْ بمسيرِهِ حُلَّ غَرضُه، ولا استقامَ غصنٌ يَلويه كاسرُه، ولا طابَ عيشٌ الموتُ آخره، إنَّ الطمعَ لعذابٌ، وحديثُ الأملِ كَذَّاب، وفي طريقِ الهوى عقابٌ[2]، وآخر المعاصي عِقاب، فلا يخْدَعنَّكَ

---

(١) **المَلَوَين**: الليل والنهار.

(٢) **عقاب**: جمع عقبة، مرقى صعب في الجبال.

ضياءُ ضباب، لا يطمِعَنَّك شرابُ سَراب، فمجيءُ الدنيا على الحقيقة ذهابٌ، وعمارةُ الفاني إن فهمت خراب، وفرحُ الغرورِ ثبورٌ واكتئاب، ودنوُّ الشيبِ ينسخُ صبا الشباب، وكلّما نادى الأمل ﴿أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، صاح الأجل ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

يـا تائهاً في ظُلمةِ ظُلمِه، يا موغِلاً في مفازة تِيهِه، يا باحثاً عن مُدْيَةِ حَتْفه، يا حافراً زُبيةَ[1] هُلْكِهِ، يا مُعمِّقاً مَهْواةَ مصرعِه، بئس ما اخترْتَ لأحبِّ الأنْفسِ إليك.

ويحك! تطلب الجادة ولست على الطريق، كم فغر الزمانُ بوعظه فَماً، فما سمعت ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يسٓ: ٧٠].

كيف تطيبُ الدنيا لمن لا يأمن الموتَ ساعةً، ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ؟!.

إذا كان عمرُكَ في إدبار، والموتُ في إقبال، فما أسرعَ الملتقى! لقد نُصِبَتْ لك أشراكُ الهلاك، والأنفاسُ أدقُّ الحبائل.

يا ماشياً في ظُلْمة ليل الهوى لو استضأتَ بمصباحِ الفكر فما تأمَنُ من بئر بَوار، الشهوات مبثوثة في طريق المتقين، وما يسلمُ من شرِّها شَرِهٌ.

الأولياء في حَرم التقوى ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

الدنيا مثلُ مَنَام، والعيشُ فيها كالأحلام.

قيل لنوح عليه السلام: يا أطولَ النبيين عُمُراً! كيف وجدتَ الدنيا؟.

قال: كدارٍ ذاتِ بابَيْن، دخلتُ من بابٍ وخرجتُ من بابٍ.

فلمّا تَفرَّقْنا كأنّي ومالِكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

يا ثقيلَ النوم أما تُنَبِّهُكَ المزعجاتُ؟ الجنةُ فوقك تُزَخْرَفُ، والنارُ تحتك تُوقَدُ، والقبرُ إلى جانبك يُحفَر، وربما يكونُ الكفنُ قد غُزِلَ.

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟!.

---

(١) **الزبية**: حفرة تحفر للأسد، كانوا يحفرونها في موضع عال.

يا حاضراً يرى التائبين وهو في عِداد الغائبين، واقفٌ في الماء عطشانُ، ولكن ليس يُسقى، عاتِبْ نفسك على هواها فقد وَهَاها[(١)]، قل لها: أُدْرُجي دَرجَ المدرج وقد لاحت منًى، لا يوقفنَّك في الطريق طاقةٌ من أمِّ غيلان[(٢)]، فالخَبْط[(٣)] في المنزِل مهيَّؤٌ لك، تَلمَّحْ عواقبَ الهوى يهنْ عليك التَّرْكُ، تَفكَّرْ في حالِ (**يوسف**) لو كان زلّ مَنْ كان يكون؟ هل كانت إلا لذةَ لحظةٍ وحسرةَ الأبدِ؟! عبَرتْ والله أجمالُ[(٤)] الصبرِ سليمةً من مَكْسٍ[(٥)]، وبقيت مديحة ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

يا هذا! احسِب صبرَ يومك ساعةَ نومك، تحظَ في غدك برغدك، البَدارُ إلى الشهوات والندامةُ فَرَسا رهان، والتواني عن التوبةِ والخيبةُ رضيعا لبان[(٦)]، وا عجباً! غرَّتْك حَبَّةُ فخٍّ فحصلت وما حَوْصلْتَ[(٧)]، اليومُ وا طربا للكاس، وغداً واحربا للإفلاس. آهٍ من حلاوةِ لُقَمٍ أورثَتْ مرارةَ نِقَم.

تأمُّلُ العاقبةِ لا يحصلُ إلا لناقِدٍ بصيرٍ، مَنْ تلمّحَ إذا تلا ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وعرف قدر مدح ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ علم أنه لم يُـبْقِ في فيه شيئاً من مرارة البِلى مرارةُ ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾.

ضَجَّتِ الملائكةُ حين همُّوا بإلقائه في النارِ، فقالوا: ائذن لنا حتى نُطْفئ عنه، فقال تعالى: إن استغاثَ بكم فأغيثوه، وإلا فدَعُوه، فلما أُلقي عرضَ له جبريل عليه السلام، وهو يهوي في الهواء، فأراد أن ينْظُرَ هل للهوى فيه أثر؟ فقال: ألكَ حاجةٌ؟قال: أمَّا إليك فلا، فأقبلَ بمنشور ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

---

(١) **وهاها**: أضعفها.

(٢) **أم غيلان**: شجر السَّمُر.

(٣) **الخبط**: ما يسقط من الشجر بالضرب.

(٤) **أجمال**: جمعُ قلةٍ لجمل.

(٥) **مكس**: ما يأخذ العشّار ضريبة ممن يدخل البلد من التجار.

(٦) **رضيعا لبان**: تربان وقرينان.

(٧) **فحصلت**: الحصل: سف الفرس التراب من البقل فيجتمع منه تراب في بطنه فيقتله، وهو من أدواء الخيل. **وحوصلت**: حوصل: ملأ بطنه.

قـالَتْ لِطَيْفِ خَيـالٍ زَارَهـا وَمَضَى: بــالله ِصِفْــهُ ولا تُنْقــصْ ولا تَــزِدِ
فقـال: خَلَّفْتُــهُ لـو مَـاتَ مـن ظَمَـأ وقلتِ: قفْ عن ورودِ الماءِ لم يَرِدِ
قالت: صدقتَ، الوفا في الحُبِّ عادتُه يا بردَ ذاك الذي قالتْ على كبدي

* * *

الفَصْلُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

يا مجتنباً من الهدى طريقاً واضحاً، افتح عينَ الفِكر ترَ العلَمَ لائحاً، احذر الغفلةَ فكم غالَ ماتحاً[1]، وتَوَقَّ بحرَ الجهلِ فكم أغرقَ سابحاً.

يـا غـاديـاً فـي غفلـةٍ ورائحـا ... إلـى متـى تَسْتَحْسِـنُ القبـائحـا
وكَـمْ إلـى: كَـمْ لا تخـاف مـوقفـاً ... يستنطِـقُ الله بـه الجـوارِحَـا
يـا عجبـاً منـكَ وأنـتَ مُبْصِـرٌ ... كيـفَ تجنَّبْـتَ الطـريـقَ الـواضحـا
كيـفَ تكـونُ حيـن تَقْـرَا فـي غـدٍ ... صحيفـةً قـد حَـوَتِ الفضـائحـا
وكيـفَ تَـرْضـى أن تكـونَ خـاسِـراً ... يـومَ يفـوزُ مَـنْ يَكـونُ رابحـا

يا معدوماً في الأمس، فانياً في الغد، عاجزاً في الحال! مَنْ أنتَ حتى تَغْتَرَّ بسلامتك، وتَنسى حتْفَك؟ وأملُكَ بين يديك، وأجلُكَ خلفَك، وكتابُكَ قد حوى تفريطَك، كم نُهيتَ عن أمرٍ؟ فما كفَّكَ النهيُ أن تبسطَ كَفَّكَ.

يا مَنْ قد طالَ زلَلُه وتعثيرهُ، تفكَّرْ في عُمُرٍ قد مضى كثيرُه، يا قلباً مشتتاً قد قلَّ نظيرُه، كَمْ هذا الهوى؟ ولَكَمْ هوى أسيرُه؟.

أيُّها القاعِدُ عن أعالي المعالي، سبقَ الأبطالُ، والبَطَّالُ ما يبالي، ستعرفُ خبرك يوم عِتابي وسؤالي، وستقولُ عند الحساب: مَا لي وما لي، أعمالُك إذا تصفحتْ لهواك لآلي، لو أثَّرَ فيك وعظي ومقالي، لكُنْتَ لَحرِّ الحسراتِ على حرِّ المقالي.

(للمتنبي):

إلـى أيِّ حيـنٍ أنـتَ فـي زيِّ مُحـرِمٍ ... وحتـى متـى فـي شَقْـوةٍ وإلـى كَـمِ

---

(١) غال: أهلك. ماتحاً: اسم فاعل من متح، والمتحُ: جذبُ رشاء الدلو، واستخراج الماء.

فإلاّ تَمُتْ تحتَ السيوفِ مكَرَّماً تَمُتْ وتقاسي الذُّل غيرَ مكرَّمِ
فَثِبْ واثقاً بالله وَثْبَةَ ماجدٍ يرى المـ ـوتَ في الهيجا جنَى النَّحْلِ في الفم

ويحك! إنما يكونُ الجهادُ بين الأمثالِ، ولذلك مُنِعَ مِنْ قَتْل النساءِ والصبيانِ، فأيُّ قدرٍ للدنيا حتى يحتاجَ قلبُك إلى محاربةٍ لها؟!.

أما علِمتَ أن شهواتِها جيفٌ ملقاةٌ، أفيَحْسُنُ بباشقٍ[1] الملك أن يطير عن كفِهِ إلى ميتة؟ مهلاً ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨].

لو علمتَ أنَّ لذةَ قهرِ الهوى أطيبُ من نَيْلِه لما غَلَبَك، أما ترى الهرةَ تتلاعَبُ بالفأرة ولا تقتلها ليبينَ أثرُ اقتدارها؟! وربَّما تغافلتْ عنها، فتمْعِنُ الفأرةُ في الهَرب فتثبُ فتُدركُها ولا تقتلها إيثاراً للذة القهر على لذة الأكلِ.

من ذبحَ حَنْجرةَ الطمعِ بخنجر اليأسِ أعتقَ القلبَ من أسْرِ الرِّقِّ.

من رَدَم خندقَ الحِرْص بِسِكْرِ[2] القناعةِ ظَفَرَ بكيمياءِ السعادة.

من تَدَرَّعَ بدرع الصدق على بدن الصبر هزَمَ عسكرَ الباطِل.

من حصَد عُشْبَ الذنوبِ بمنجلِ الوَرع طابتْ له روضةُ الاستقامة.

من قطعَ فضولَ الكلامِ بشفرَةِ الصَّمْتِ وجدَ عذوبةَ الراحةِ في القلبِ.

من ركِبَ مركبَ الخوفِ مرَّتْ به رخاء الهدى إلى أرجاءِ النجاةِ.

من أرسى على ساحل الخوف لاحت به بلادُ الأمن.

ألا عزيمةٌ عُمَريّة، ألا هجرةٌ سَلْمانيّة، جاءت بمركب عمر جَنوبُ المجانبة للحق إلى دار الخيزُران، فلمّا فُتِح له الباب انقلب شمالاً، مَدَّ يده لتناول خمر الفتك، فاستحالت في الحال خلاًّ، جاء وكله كدَرٌ، فلمَّا دنا من الصفا صفا، كان ماءُ قلبه لِمَا جَنى مِلْحاً أجاجاً فلما تلقاه النذير بالعذاب عَذُبَ.

يكونُ أجاجاً دَونكم فإذا انتهى إليكمْ تَلقَّى طيبَكمُ فيَطيبُ

---

(١) باشق: الجارح من الطير يصاد به.
(٢) سِكر: السِّكر ما يسد به.

سَقِمَ قلبُ **سلمان** من معاناة أمراضِ المجوس، فخرجَ إلى أوديةِ الأدوية، فالتَقَطَتْهُ يدُ ظالمٍ وما عرفت، فهان على يوسفَ البيعُ ليلقى العزيزَ، فبينا سلمانُ على نَخْلةٍ يختَرِفُها[1]، قَدِمَ مخبرٌ بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام فنزل ليصعد، وصاح به: حدثني.

نـزلـوا جبـالَ تِهـامـةٍ فـلأَجْلِهـمْ　　يهـوى الفـؤادُ تهـامـةً وجبـالَهـا
يـا صـاحبـيّ قِفـا علـيَّ بِقَـدْرِ مـا　　أَسْقـي بِـواكِـفِ عَبْـرتـي أطـلالهـا

وا عجباً! أطلبُ الشجاعةَ من حَسّان[2]، وأسأل عن الهِلالِ ابنَ أمِّ مكتوم، وأتلو سورةَ يوسفَ على روبيل، وأستملي الفصاحةَ من باقلٍ، وأنتظرُ الوفاءَ من عُرْقوب[3]، لقد رجعتُ إذن بخُفَّيْ حُنين.

يا من نقدُه مردود، وعقله محلولٌ، نِيَّتُكَ في الخيرِ نَيّةٌ[4]، لو أَنْضَجَتْها نيرانُ خوفٍ أو شوقٍ لانتفعتَ بها.

ولـي قـوادمُ لـو أنِّـي جُـذِبْـتُ بهـا　　لأنهضتنـي ولكـنْ أفـرُخـي زُغُـبُ

غَمِّضْ عينَيْكَ على الدواءِ يعمل، وافتحها لرؤيـة الهدى تُبصر، حجرُ المعصيةِ يُطَحْطِح[5] إناءَ القلب، وضَبَّةُ التوبة شِعاب[6].

يا من عزمُه في الإنابة جَزْرٌ بلا مدٍّ، وقفَتْ سفينةُ نجاتك، ليلُ كسَلِكَ قد طبَّقَ آفاقَ الترددِ، وقد طَلَبَتْ فيه أطيارُ الهمة أوكارَ الدَّعَة، فلو قد طلعتْ شمسُ

---

(١) **يخترفها**: يجني ثمارها.
(٢) ما ينسب إلى سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر النبي ﷺ من جبن لا يثبت عند المحققين من العلماء، وبنظرة عامة في ديوان شعره يجد القارئ الدلائل الكثيرة التي تدل على شجاعته وشدة بأسه.
(٣) **عرقوب**: رجل من العمالقة يضرب به المثل في خلف الوعد، يقال: «مواعيد عرقوب».
(٤) **نيّة**: أي نيئة: كل شيء شأنه أن يعالج بطبخ، أو شيٌّ فلم ينضج.
(٥) **تطحطح**: طحطح الشيء: كسره وبدده إهلاكاً.
(٦) **الضبة**: حديدة عريضة تضبب بها الكسور. **شعاب**: من: شَعَبَ المكسور؛ أي: لمه وإصلاحه.

العزيمة في نهارِ اليقظةِ لانْبَثَّ عالمُ النشاط في صحراءِ المجاهدة.

يا صبيانَ التوبة! تزوّدوا للبادية، تأهّبُوا لحاجرٍ[1]، أنْعِلُوا الإبلَ قبل زَرُود، ولا تَنْسَوْا وقتَ تناول الزادِ جمالكم.

بيـــن العقيـــقِ والكثيـــبِ الفـــردِ   عـــلاقـــةٌ لـــي مـــن هـــوًى وودي
سلْ هضباتِ الرَّمْل منْ جِزْع اللِّوى   يـــومَ النَّـــوى عـــن قلقـــي ووجـــدي
واستخبـــرِ الأنجـــمَ عـــن صَبـــابتـــي   بِسَـــاكنـــي نَجْـــد وأرض نجـــد
فمَـــنْ مُجيـــري وبمـــن أسْتَعْـــدِي   وليـــس عنـــدَ عـــاذِلـــي مـــا عنْـــدي

* * *

(١) حاجر: واد بين بلاد عذرة وغطفان لبني سليم، ويقال كذلك عن منبت الرِّمْث، وهو كذلك منزل للحاج في البادية.

الفصل السابع والأربعون

وا عجباً لنفس تُدعى إلى الهدى فتأبى! ثم ترى خطأها بعين الهوى صواباً، كم أَذْهَبتْ زَمَناً وكم أفنَت شباباً! وكم سوَّدَت في تبييض أغراضِها كتاباً!.

أستغفِرُ الله مِنْ نفسٍ طَغَتْ وأَبَتْ ... آبتْ إلى هذه الدنيا فما اتّأبتْ
جابَت ليَ الشيبَ أوقاتَ الشبابِ فما ... أجابتِ النُّصحَ لكن سيئاً جلبتْ
خانتْ فخابتْ وما طابتْ ولا سعدتْ ... وكم أرابتْ[1] ورابتْ ثم ما رأبتْ[2]
ودأبها في أمورٍ غيرِ نافعة ... ولو تُوفَّقُ أمستْ للتقى دأبتْ[3]
همّتْ بخيرٍ فلم تعزمْ وريَّثَها[4] ... خطبٌ إذا هي في غيرِ التُّقى وثبتْ[5]
أما طريق المعالي فهي واضحةٌ ... لكلِّ طرفٍ سرى عنه الكرى لحبتْ[6]
والعالمون جميعاً عالمونَ بها ... على ركائبَ عن معروفها نكبتْ[7]
ألا يسائلُ أملاكَ[8] الورى فطنٌ ... علامَ جُمّعتِ الأجنادُ واحتربتْ
إنَّ الذي طلبتْهُ لا يدومُ لها ... ولا مسرَّةَ إن فازتْ بما طلبتْ
ألم يَرَوْا دولَ الماضين قبلهمُ ... كانوا بأحسنِ ما كانوا بها ذهبتْ
لا تفرحوا بهباتٍ من زمانهمُ ... سَتَسْتَردُّ الليالي كلّ ما وهبتْ

---

(١) أرابت: أوقعت في الشك.
(٢) رأب: أصلح.
(٣) دأب: جد واجتهد.
(٤) ريّث: بطّأ.
(٥) وثبت: قفزت.
(٦) لحبت: وضحت.
(٧) نكب عن معروفها: عدل.
(٨) أملاك: جمع ملك، ويجمع جمع قلة: أملاك، وجمع كثرة: ملوك.

لو علمتْ عِلْمنا الغبراءُ[١] ما ركدتْ[٢] تحتَ الأنامِ أو الخضراءُ[٣] ما ثقبتْ[٤]
وأمُّ دَفْـرٍ[٥] إذا ميـزْتَ حـالتهـا كـأمِّ صِـلٍّ[٦] إذا مـا عضّـتِ انقلبتْ
وكيف ترجو صلاحاً من خلائقها فكلُّ ما الناسُ فيه من أذًى جلبت

لله درُّ أقوام تأمّلوا غيَّها، وما زالوا حتى رأَوْا عيبها، نزلوا من الدنيا منزلَة الأضياف، أخذوا الزاد وقالوا: ما زاد إسراف، وقفوا عند الهموم، والمؤمن وقّافٌ، رمَوْا فضول الدنيا من وراء قاف[٧].

لو رأيتَهم في الدُّجى يراعون النجوم، وخَيْـلُ الفِكْرِ قد قطعتْ حَلَبـاتِ الهمومِ، يشكون جرحَ الذنوب ويبكون الكُلُوم[٨]، أحرقت أحزانُهم أجسامَهم وبقيت الرسومُ، بَلّغَتْهم البُلَغ[٩]، ورمتك التخم في التخوم[١٠]، سَكروا من مناجاة الكريم لا من بنات الكروم[١١]، أصبحتْ عليهم آثارُ الحبيب، والطيبُ نَمُوم[١٢]، هذه سلَعُ الأسحارِ من يشتري، من يسوم؟ أين قلبُك الغائبُ عنا، قل لي لمنْ تلوم؟ جسمُك في أرض العراق وقلبُك في أرض الروم.

مُهرُ الطبعِ ما رُيِّضَ، إهاب البشرية ما دُبغ، في عين البصيرة عَشا، عرائسُ

---

(١) الغبراء: الأرض.
(٢) ركدت: سكنت.
(٣) الخضراء: السماء.
(٤) ثقبت: أضاءت، أي: نجومها، وذلك أن النجوم لا تزال ثواقب ما لم ينفرط عقدها وتنكدر إيذاناً بيوم القيامة.
(٥) أم دفر: الداهية، والمقصود بها هنا الدنيا.
(٦) أم صلّ: الحية، وقد شبه الدنيا لمن عرفها بالأفعى التي تفرغُ سمها في معضوضها بالانقلاب بعد العض.
(٧) قاف: يشير إلى جبل يحيط بالأرض.
(٨) الكلوم: جمع كَلْم؛ وهو الجرح.
(٩) البُلغ: جمع بلغة: ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.
(١٠) التخم: جمع تُخَمَة، وهو داءٌ يصيب الإنسان من امتلاء المعدة. والتخوم: جمع تَخْم: منتهى كل أرض.
(١١) كناية عن الخمر المعصورة من العنب.
(١٢) نَمُوم: صيغة مبالغة من النمّ: وهو الظهور وانتشار الرائحة.

الموجودات ترفلُ في حُللٍ مختلفةِ الصَّنْعةِ والصِّبْغةِ، والصيغة تعبُرُ إلى المعْتَبِرِ في مَعْبَرِ الاعتبار، فهل حظُّك حظُّها من النَّضارة أنْ تحظى من النَّظَرِ بحظ.

وا عجباً لك! لو دخلتَ بيتَ مَلِكٍ لم تزل تتعجبُ من رُقوش نقوشه، فَارفَعْ بصرَ التفكّرِ، واخْفِضْ عينَ البصيرةِ، فهل ترى أحسنَ من هذا الكون؟!.

تلَمَّحْ مخيمَ السقفِ كيف مُدَّ بلا أطناب! ثم زُخْرِفَ نقشُه برَقْم النجوم، والهلال دُمْلوجٌ[1] في عضد السماء، فإذا جَنَّ الليلُ كُحِلتِ العيونُ بإثمدِ النوم، واجتلاها[2] أهلُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، فإذا جلّى ركبُ الدُّجى، جلا ضوء الشمس عن الأبصار رمدَ الظلام[3].

انظر إلى الأرض إذا تأيَّمت[4] من زوجِ القَطْر، ووَجَدَت لفَقْدِ إنفاقِه مَسَّ الجَدْبِ، كيف تُحدُّ[5] في ثياب ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت: ٣٩]، طالما لازمَتْ حبسَ الصبر، وسكنت مَسْكنَ المسْكنَة، لولا ضجيجُ أطفالِ البذر.

فإذا قويَ فَقْر القَفْر، امتدتْ أكفُّ الطلبِ، تستعطي زكاةَ السحاب، فهبت الجَنُوب من جَناب اللُّطف، فسحَبَتْ ذيلَ النَّسيم على صَحْصَح[6] الصحارى، فتحركت جوامدُ الجلاميدِ، وانتبهَ وَسْنانُ العيدان لقبول تلقيح اللواقيح، فإذا لبس الجوُّ مِطرفَه[7] الأدكَن[8]، أرسل خَيَّالة القِطرِ شاهرةً أسيافَ البرقِ، وأنذرَ بالإقدام صوتُ الرَّعْد، فقام فراشُ الهواءِ يرشُّ خَيْشَ النسيم، فاستعار السحابُ جفونَ العشّاقِ وأكفَّ الأجوادِ، فامتلأت الأدويةُ أنهاراً، كلّما لمستها كفٌّ حكى سِلسالها سلاسلَ الفِضَّة، فالشمسُ تسفِرُ وتتنقب، والغمامُ يرشُّ وينسكب،

---

(١) **دملوج**: حلية تحيط بالعضد.
(٢) **اجتلاها**: نظر إليها.
(٣) **جلى الأولى**: رحل. وجلا الثانية: أزال ومحى.
(٤) **تأيمت**: من الأيم: المرأة التي مات عنها زوجها.
(٥) من الحِدَاد.
(٦) **صحصح**: الأرض المستوية الواسعة.
(٧) **المطرف**: رداء من خز مربع ذو أعلام، وأشار به إلى السحاب.
(٨) **الأدكن**: لون يضرب إلى السواد.

فانعقد بين الزوجين عقدُ حَبِّ الحُبِّ.

فلا يزال السحابُ يسقي ذَرَّ البذر بثدي الندى، وكلّما احتاجَ إلى فضلِ قوتٍ كرَّ الركُ[(١)]، وشطَّ الطَّشُّ[(٢)]، ودق الوَدْق[(٣)]، فطَمَّ إلى أن فُطِم الطفلُ، فإذا وقتُ شمسِ الشتاء في الطَّفَل[(٤)] ونشأ أطفالُ الزرعِ، فارتبَع الربيعُ أوسطَ بلاد الزمان، فأعارَ الأرضَ أثوابَ الصِّبا، ورَوَّح كربَها بنسيم الصَّبا، فانتبهت عيونُ النُّوْرِ من سَنَةِ الكرى، فكم نهضت من الغُروس عروس، بين يديها الأوراقُ كالوصائف، فصافحت ريحُها الخياشيم، ومنظرُها الحَدَق، فكأنَّ عينَ النَّرْجِسِ عينٌ، ووَرَقَهُ وَرِقٌ، فالشقائقُ تحكي لونَ الخَجَل، والبهارُ[(٥)] يصف حالَ الوجل، والنَّيْلُوْفَرَ[(٦)] يغْفَى وينتبه، والأغصانُ تعتنق وتفترق، وقد ضربَ الربيعُ جُلَّ نارِه في جُلَّناره[(٧)]، بثَّتِ الأراييحُ أسرارها إلى النسيم فنمَّ، فاجتمعَ في عُرْسِ التواصل فنونُ القِيان، فعلا كلٌّ ذي فَنٍّ على فَنَنٍ، فتطارحتِ الأطيارُ مناظرات السجوع، فأعربَ كلٌّ بلغته عن شوقه إلى إلفه، فالحمامُ يهدُرُ، والبلبل يخطُبُ، والقُمْري يرجِّعُ، والمُكَّاء[(٨)] يُغَرِّد، والأغصانُ تتمايل، كلُّها تشكرُ ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فحينئذٍ تجدُ خياشيمُ المشوقِ ضالةً وجَدِة.

لـــي بـــذاتِ البـــانِ أشجـــانُ	حبَّـــذا مِـــنْ أجلِهـــا البـــانُ
حبّـــذا ريّـــاهُ يـــوقظُـــه	مـــن نسيـــمِ الفجـــرِ رَيْعـــان
حبَّـــذا وُرْقُ الحمـــامِ إذا	رَنَّحتْهـــا منـــه أغصـــانُ

---

(١) **الرك**: المطر الضعيف.

(٢) **الطش**: الرشاش من المطر دون الوابل وفوق الرذاذ.

(٣) **الودق**: المطر شديده وهينه إذا كان مستمرّاً.

(٤) **الطفَل**: غروب الشمس.

(٥) **البهار**: جنس زهر من المركبات الأنبوبية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع يقال له: العرار.

(٦) **النيلوفر**: جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، يزرَعُ في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.

(٧) **الجلّنار**: زهر الرمان.

(٨) **المُكاء**: طائر صغير يألف الريف، جمعه مكاكي.

داعيـــاتٍ بـــالهـــديـــلِ[1] لهـــا فيـــه أسجـــــاعٌ وألحـــــانُ
أعجميـــــاتٌ إذا نطقـــــتْ ليـــس إلا الشـــوقُ تبيـــانُ
كلّمـــا غنيتنـــي هَـــزَجـــاً هـــاجنـــي للـــذكـــرِ أحـــزانُ
مـــالَ بـــي ميـــلُ الغصـــونِ بهـــا طـــربـــي فـــالكـــلُّ نَشـــوانُ
يـــا حمـــامَ البـــانِ يجمعُنـــا وَجْـــدُنـــا إذ نحـــنُ جيـــرانُ
يحـــنُّ بـــالشكـــوى إلـــيَّ فمـــا بيـــن أهـــلِ الحُـــبِّ كِتْمـــانُ
يتشـــاكـــى الـــواجـــدونَ جـــوًى[2] واحـــداً والـــوجْـــدُ ألـــوانُ
أنـــا مخلـــوسٌ[3] القـــريـــن وأنـ ـتُـــنَّ أزواجٌ وأقـــرانُ
وبعيـــدُ الـــدارِ عـــن وطَـــنٍ شـــاقَـــهُ للبَـــانِ أوطـــانُ
آهِ مِـــنْ داءٍ أكـــاتِمُـــه والهـــوى ســـرٌّ وإعـــلانُ
لا تـــزِدْنـــي يـــا عـــذولُ جـــوًى أنـــا بـــالأشـــواقِ سَكْـــرانُ

* * *

---

(١) الهديل: صوت الحمام أو خاص بوحشِيِّها.
(٢) الجوى: الهوى الباطن، وشدة الوجد.
(٣) مخلوس: مسلوب ومحروم من قرينه وحبيبه.

الفصل الثامن والأربعون

مَنْ علِمَ أنَّ هبّاتِ الدنيا هَبَا[1]، حُلَّ مِنْ غُلٍّ[2] ذُلٍّ.

الــدَّهْــرُ مستعجِــلٌ يَخُــبُّ[3] فــاختــم وطيــنُ الكتــابِ رَطْــبُ
إنَّ الــذي أنــتَ فيــه حُلْــمٌ وســـوفَ تنســاهُ إذ تهُـــبُّ
تَــوقَّ مكــرَ الــزمــانِ واحــذَرْ ولا تَثِــقْ فــالــزمــانُ خِــبٌّ[4]
جميــعُ أفعــالِــهِ غــرورٌ وكــلُّ مــا نحــنُ فيــه لُعْــبُ
وليــس يبقــى عليــه شــيءٌ يكــرهُــه المــرءُ أو يُحِــبُّ
اِسمــع أحــاديــثَ مَــنْ تَقَضَّــى يــا مَــنْ لــه نــاظِــرٌ وقَلْــبُ

الدُّنيا تعطي تفاريق، وتسترجعُ جُمَلاً، وتُرْضِعُ أفاويق[5]، وتقطعُ عَجَلاً، يُواني[6] خيرُها وإنْ وَاتى لُمَعاً، ثم يأتي شرُّها حين يأتي دُفَعاً، فترى العبرات عند فقدها تُراقُ ولا ترقا[7]، والزفراتُ عند سلبها تهدُّ ولا تهدأ، ويُحْكمُ أنَّ المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه.

إخواني! ذودوا[8] هممَكم عن مرعى المُنى، فإنّه يزيدُها عَجَفاً[9]، ولا

---

(١) هبا: أي هباء، وهو الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس ودقاق التراب.
(٢) غُلّ: القيدُ يوضَعُ في الرقبة.
(٣) يخب: الخبُّ: ضرب من العَدْو، وقيل: هو مثل الرَّمَل.
(٤) خِبٌّ: خَدّاع.
(٥) أفاويق: جمع فيقة: ما يجتمع من لبنٍ في الضرع بين الحلبتين.
(٦) يواني: من ونى: والونا: الفترة في الأعمال والأمور، والنسيم الواني: الضعيف الهبوب، والونا: الضعف والفتور والكلال والإعياء.
(٧) لا ترقا: لا تنقطع.
(٨) ذودوا: ادفعوا عنها، واحموها منها.
(٩) عجفاً: هزالاً.

تُوَلُّوا الهوى على مُدن الأبدان ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

الهوى وثنٌ يُنْصَبُ في جاهلية الشباب، فإنْ صحَّ إسلامُ العزمِ جعلَ أصنامَ الشهوات جُذاذاً.

يا معاشرَ الشباب زيدوا في سَلاسِلِ الهوى، فإنَّ شيطانَ الصِّبا ماردٌ، زِنُوا حَلوى المشتهى بِمُرِّ العِقاب يَبِنْ لكم التفاوتُ، إلى متى يقودُكم الهوى؟! إلى كم تستعبدكم الدنيا؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

كـمِ اصطبـارٌ علـى ضَيْـمٍ ومَنْقَصـةٍ ... وكَـمْ علـى الـذلِّ إقـرارٌ وإذعـانُ
ثـورُوا لهـا وَلْتَهُـنْ فيهـا نفـوسُكُـمُ ... إنَّ المنـاقـبَ لـلأرواحِ أثمـانُ

إلى متى جمودُ الإناث؟! أين حركة الرجولية؟!.

(لمهيار)[2]:

قُـمْ فـانتشطْهـا حسبُهـا أن تُعقَـلا ... ودَعْ لهـا أيـديَهـا والأرجُـلا
لا يطـرحُ الـذلَّ وراءَ ظهـرِه ... إلا فتًـى يُنْضـي المطـايـا الـذُّلـلا

الجدَّ الجدَّ فالطريقُ طويلةٌ، دارِالناقةَ بذِكْرِ الدَّار، عَلِّلْها بصوت الحُداة، فإذا لاحَ لها المنزلُ فَشَوْقُها يسوقُها.

(لمهيار):

اِرخ لهـا زِمَـامهـا والأَنْسُعَـا[3] ... وارمِ لهـا مـن العُلـى مـن شَسَعـا
وارحـلْ بهـا مغتـرِبـاً عـن العِـدَى ... تُوطِكَ[4] من أرضِ العِدَى مُتَّسعا

---

(١) من قصيدة قالها يصف الأسد. انظر: الديوان: ٢/ ٤٤٨ـ ٤٥٣.
(٢) مطلع قصيدة يمدح بها شهاب الدولة بن ديس. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٠٠ـ ٢٠٦.
(٣) **الأنسعا**: جمع نِسَع، وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، وتجمع على نسوع.
(٤) **توطك**: تنزلك.

يـا رائـدَ الظَّعْـنِ بـأكنـافِ اللِّـوَى   بلـغْ سـلامـي إنْ وصلـتَ لَعْلَعـا
مـاذا عليهـم لـو رَثَـوْا لسـاهـرٍ   لـولا انتظـارُ طيفِهـم مـا هَجَعـا

إخواني! انبعاثُ الجوارحِ في العملِ دليلٌ على قوّةِ العلمِ بالأجرِ، فإذا حصلَ تسليمُ النفوسِ في الجهاد إلى القتلِ كان النهايةُ في كمال اليقين، فإذا وَقَعَ الفرحُ بأسبابِ التلفِ دلَّ على كمالِ المحبةِ، كما قال **عبد الله بن جحش**[1]: «اللهمَّ سلّط عليَّ غداً عدواً يبقرُ بطني، ويجدعُ أنفي، فإذا لقِيتُك قلتُ: هذا فيك ومن أجلك».

وطُعِنَ **حَرامُ بن ملحان**[2]، فنفذ فيه الرمح فقال: «فزتُ وربِّ الكعبةِ».

لـو رأيتَهـم والمعتـرَكُ قد اعتكَـرَ، وقـد تقدّمـوا في القـدموسِ[3]، فـانبلجَ الأمـرُ، وجاشَ جـأشُ الجيـشِ في أُفُـرَّةٍ[4]، فلم يتميّـز الهِلْقَـامُ[5] السَّـرَعْرَعُ[6]، من القلهزم[7] الحنزقرة[8]، وإذا الغَضَنْفَرُ[9] الدَّمَكْمَـكُ[10]

---

(١) أسلم عبد الله قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، وهاجرَ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، بُعثَ على سرية إلى نخلة، وفيها تسمّى أمير المؤمنين، فهو أوّلُ من دُعِيَ بذلك، وقد قال قبل أُحدٍ بيوم: «اللهمَّ أُقسِمُ عليكَ أنْ ألقى العدوَّ غدًا فيقتلوني ثم. . .» كما في (الحلية: ١/ ١٠٩)؛ وفي (الاستيعاب: ٣/ ٦٣) في القسم الأول من البدريين: «اللهمَّ إذا لاقوا هؤلاء غداً فإنّي أقسمُ عليك لما يقتلوني و. . .»؛ وترجمته في صفة الصفوة، لابن الجوزي: ١/ ٣٨٥.

(٢) كان مع من أرسلهم الرسول ﷺ إلى بئر معونة، وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل، وانتدب حرام ليبلّغ رسالةَ الرسول ﷺ أهلَ ذلك الماء، فأتى الأخبيةَ، ونادى بالشهادتين، فخرجَ إليه رجل من كِسْرِ البيت برمح فطعنه به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: «الله أكبر، فزتُ وربِّ الكعبةِ. . .» أخرج قصتهم ابن جرير وابن المنذر وغيرهما.

(٣) **القدموس**: الملك الضخم.

(٤) **أفرة**: بضم الهمزة والفاء وتشديد الراء: الاختلاط.

(٥) **الهلقام**: الضخم الطويل.

(٦) **السرعرع**: الطويل.

(٧) **القلهزم**: كسفرجل، الرجل المربوع.

(٨) **الحنزقرة**: بكسر الحاء، الرجل الدميم من الناس.

(٩) **الغضنفر**: الأسد الشديد.

(١٠) **الدمكمك**: الشديد القوي.

والقِنَّخْرُ[1] العلنديّ[2]، والضباضب[3] الدُّلامز[4]، كلُّهم في مقام إجفيل[5].

فلمَّا انزعجت الطبائعُ تذكروا قبيح الجناية، فمدوا أيدي التسليم للودائع، فخضبت الدماءُ محاسنَ وجوهٍ طالما صبرتْ على بردِ الماء وقتَ الإسباغ، وحصدَت مناجلُ السيوفِ زروعَ رؤوسٍ طالَما أطرقتْ في الأسحارِ، وعادت خيولهم خَلِيةً عنهم، فوطئتهم بعدَ السَّنا تحت السنابك، واقتسمَ لحومَهم عُقْبانُ السماءِ وسباعُ الأرض، فكم من رِجْلٍ رَجُلٍ طالما قامَتْ فَصَلَّتْ فُصِلَتْ، وكم من يدٍ بالدعاء رُفِعت وَقَعَتْ، وكم من بطْنٍ حَمَلَ بالصيام ما شَقّ شُقّ[6]، وكم من عينٍ كانت تعينُ الحزينَ بالفيض وقعت في منقار طائر!.

هذا حديثُ الأجسام، فأما الأرواحُ ففي دار السلام، والله ما كانتْ إلا غفوةٌ حتى أعطاهم العفْو عفواً[7] عَفْوَه، وكأنكم بأجسادِهم التي تفرقت قد تلفقت[8]، وبالقبورِ التي جمعتهم قد تَشقّقَت، وقد قاموا بالسلاحِ حولَ العرشِ، ينادونَ بلسانِ الحالِ: عن صاحبه حاربنا، ولأجلِه قُتِلنا، وكُلومُهم[9] يومئذٍ قد انفجرت فجَرَت، اللـونُ لونُ الدمِ، والريحُ ريحُ المسـكِ، فيعلمُ الأشـهادُ حينئذٍ أنّهم الشهداء.

اسمع يا من لا يحارب الهوى ولا ساعةً، فلو فاتتك الغنائمُ وحدَها قَرُبَ الأمـرُ، وإنَّما لقبُ جبـانٍ قبيحٌ، أين أربابُ العزائمِ القويّةِ؟! امتلأت بالأبـرارِ البَرّيةُ[10]، رحلوا عنا وفاتوا، ونحن مِتْنا وهُمْ ماتوا.

---

(١) القنخر: الصلب الضخم والعظيم الجثة.
(٢) العلندي: الغليظ من كل شيء.
(٣) الضباضب: الرجل القوي القصير.
(٤) الدُّلامز: القوي الضخم.
(٥) إجفيل: الجبان.
(٦) شُق: مزق. ما شق: ما صعب، يريد مكابدة الجوع بالصيام.
(٧) عفواً: فضلاً منه ومنّة.
(٨) تلفقت: تجمعت وتآلفت يوم البعث.
(٩) كلومهم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(١٠) البرية: المقبرة.

خلّ طرفي والبُكا إن كنتَ خِلّي[1] فـالحِمـى أقفـرَ مـن جـارٍ وأهـلِ
وألحِ مَنْ لم يـدْرِ ما طعمُ الأسى أنـا عـن لـومِـكَ فـي أشغـلِ شغـلِ
لم يدعْ وَقرُ النوى[2] في مسمعي واعتـراضـاتُ الهـوى بـابـاً لِعَـذْلِ[3]
غيـرَ قلبـي إنْ تـأسّـى عـاشقـاً للتــأسّــي، أو تسلــى للتسلــي
أأثـافٍ[4] مـا تـرى تشكـو الصِّلا[5] أم قلــوبٌ بيــن حصبــاءٍ ورمــلِ
هــذِه مِــنْ بعــدِهــم آثــارُهــم والتجافي عن بِلى الأطلالِ يُبلي[6]
مــا وقــوفــي فــي محــلٍّ ســاكــنٍ فــي فــؤادِي أهلُــه لا فــي المَحــلِّ
يتمنّــى طيفَكُــم صَــبٌّ[7] لكــم مستهـامٌ[8] والمُنَـى جَهْـدُ المُقِـلِّ
والــذي يستجلِــبُ الطيــفَ الكَــرى مَنْ لعيني أن تَرى النومَ ومَنْ لي؟
بِعْــتُ حِلمــي طــائعــاً لا كــارهــاً بسفـاهـي فـاشتَـروْا عِـزّي بِـذُلّـي
وانقضــى أكثــرُ عمــري فــي القِلَــى جفــوةً منكــم فَــرُقُّــوا لــلأقــلِّ
حَمّلُــونــي الخِــفّ مــن هَجْــركُــمُ وارْحَمُـوا مَـنْ مَـا لَـهُ طَـاقـة ثِقْـلِ
عجبــاً لــي ولقلــبٍ ضــائــعٍ ضـاعَ عنـي بيــن بـانـاتٍ وأثْــلِ
ســل بقلبــي عــن خيــامٍ فــي اللِّــوى تـاهَ قلبـي فـي حمـاهـا ضَـلَّ عَقْلِـي
ذاتُ[9] طَوْقٍ مثلُ شَجْويَ[10] شجوُها غيرَ أنْ ما شَكْلُها في الحُزْنِ شَكْلي
أنــا فــي النَّــوْحِ اضطــراراً مثلُهــا وهـي فـي غيـرِ اضطـرارٍ فيـه مثلـي

---

(١) **الخِلّ**: الصديق المختص، وهو بالكسر والضم، ولا يضم إلا مع الودّ، والخليل: من أصفى المودة.

(٢) **النوى**: البعاد.

(٣) **عذل**: لوم.

(٤) **أثاف**: جمع أثفية، وهي أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٥) **الصِّلا**: النار.

(٦) **يبلي**: يتلف.

(٧) **الصبّ**: من الصبابة، وهو الشوق، أو رقته، أو رقة الهوى، والصب: العاشق.

(٨) **مستهامٌ**: شديد الحبّ، هَيْمان.

(٩) **ذات طوق**: كناية عن الحمامة.

(١٠) **شجوي**: حزني.

حَـــرّمَ الله علـــى البـــانِ الصَّبـــا وحَماهُ الغيثُ من طَلٍّ[1] ووبل[2]
مــا علــى الســائِـقِ لــو حــلَّ النَّقــا وأراحَ العِيْــسَ[3] مــن شــدٍّ وحَــلٍّ
فعســى تُــدْنــي المُنــى مِنّــي مِنًــى ولعلِّـــي أنْ أرى الخَيْـــفَ لعلِّـــي

* * *

(١) طل: مطر خفيف أو أخف المطر وأضعفه، أو الندى، أو فوقه ودون المطر، والجمع: طلال.

(٢) وبل: المطر الشديد الضخم القطر.

(٣) العيس: الإبل البيض مع شُقرةٍ يسيرة، واحدها: أعيس وعيساء.

الفصل التاسع والأربعون

عجباً لراحلٍ عن قليل، غافلٍ عن زادِ الرحيل، لا يعتبر بأخذِ الجيلِ[1]، وإنَّما هو تأخيرٌ وتعجيل، أين النزيل؟ أزيل. أين القويم؟ أُميلَ. أينَ المطمئنُّ؟ أُغتيلَ.

إنَّ الليـالـيَ لا تَبْقـى علـى حـال ... والنَّـاسُ مـا بيـنَ آمـالٍ وآجـالِ
كيـفَ السـرورُ بـإقبـالٍ وآخـرُه ... إذا تـأمَّلْتَـه مَقْلُـوبُ إقبـالِ[2]

تيقَّظوا فالأيامُ دائبة، وتحفَّظوا فالسهامُ صائبة، واحْذَرُوا دنياكم فما هي مواتيةٌ، واذكروا أُخْراكُم فها هي آتيةٌ.

أما رأيتُم الدُّنيا فقد أبانت خُدَعها ومَكْرَها، إذ أبانت مَنْ جَمَعَها مُكرَهاً[3]، أينَ الارتيادُ للسلامةِ غداً؟! أين الاستعدادُ قبلَ الندامةِ أبداً؟!.

كأنكم بالمسيرِ عن الرَّبْعِ قد أَزِفَ، وبالكثيرِ من الدمع قد نَزِفَ، وبالمقيمِ قد أُبينَ مما أَلِفَ، وبالكريمِ قد أُهينَ لما تَلِفَ.

يـا طـالـبَ الـدُّنيـا دنـا فِـراقُهـا ... تـزويجُهـا أسـرعُ أمْ طـلاقُهـا
ودينُ مَنْ يخطبُها صَداقُها

عبادَ الله! من تعلّقَ قلبُه بالجنّةِ لم يصلحْ لنا، فكيفَ بمَنْ يَهْوى الدنيا؟!.

أَرَدْنـاكُـمُ صِـرْفـاً فلمّـا مُـزِجْتُـمُ ... بَعـدْتُـم بمقـدارِ التفـاتِكُـمُ عنّـا
وقلنا لكم: لا تُسْكِنوا القلبَ غيْرَنا ... فـأسكنتـمُ الأغيـارَ، مـا أنتـمُ مِنّـا

السلطانُ لا يزاحَمُ في دارِه «لا يسعني شيءٌ، ويسعني قلبُ عبدي المؤمن»[4]

---

(١) أخذ الجيل: أي بإهلاك أمة بعد أمة.

(٢) مقلوب إقبال: إدبار.

(٣) أي: إن الدنيا تفصل من جمعها عما جمعه من الدنيا مجبراً.

(٤) تقدم تخريجه.

غبتُمْ عَنِ العَينِ القَريحةِ فيكمُ وَسَكَنْتُمُ في القلبِ دارَ مُقامِ
وسلَبْتُمُ جَلَدي التصبُّرَ عَنْكُمُ فالصَّبْرُ أولُ راحلٍ بسلامِ

خرجَ المريدُ الصادقُ من ديار الهوى إلى بادية الطلَب، فجَنَّ عليه ليلُ التَّحَيُّرِ فجُنَّ، فإذا نارُ القِرى تلوح إنْ حمَلتْ رجلُ الرجل.

(لمهيار)[1]:

قد أبصرتْ حقّاً مُناها في الحِمَى وظَنَّها بحاجرٍ يَقِينا
فَبَلَغَتْ أدعو لها وبَلَّغتْ وخانَني مَنْ لم يقلْ: آمينا

كَرْبُ المُحِبِّ بالنهارِ يَشْتَدُّ لمزاحمة رُقباءِ المخالَطة، فبُلْبُلُ بِلْبالِه يتقلقلُ في قفص الكَتْم، فإذا هبّت نسيمُ السحر، وجد روحُه روحاً يصل في قصر مصر المنى إلى أرض كنعانَ الأمل، فيقدم ركبُ الشوق يتحسس النسيمَ من فُرَج الفَرَج وَلَهُ وَلَهٌ، فنهض تَوَقُ الشوقِ، فتكلَّمَ قلمُ الشكوى، ورَقَم وصفَ القوم، وحكى ما حاكى، وكَنّى عن ما كنَى.

عاودَ القلبَ غرامُهْ وجَفا الجفْنَ مَنامُهْ
كلّما قلتُ جَوَى الشوقِ خبَا زادَ اضطرامُهْ
أنا في أَسْرِكَ والمأسورُ قد يُرعَى ذمامُهْ
آهِ من عَتْبِكَ في الليلِ إذا جُنَّ ظلامُهْ
سيدي هائمُك الحيرانُ قد زادَ هُيامُهْ
هو ميّتٌ غيرَ أنّ لم تَبْلَ في التُّرابِ عظامُهْ
كنهاري منذْ فارقْتُكَ ليلي لا أنامُهْ

إذا اعتكرَ الليلُ اعترك الهمُّ، طالَ الدُّجى على الأبدان، وقَصُرَ على القلوب.

شكَوْنا إلى أَحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا: ما أقصرَ الليلَ عِنْدَنا

لو رأيتَ رواحِلَ الأبدانِ قد أنضاها طولُ السهرِ وأضناها، فلمّا هبّتْ نجديّةُ

---

(١) من قصيدة كتبها إلى العميد نجم الدولة بن المزرع. انظر: ديوان شعره: ٤/ ٩٣-٩٧.

السحرِ مدَّت أعناقَ الشوقِ فزالَ كلُّ الكَلال.

(الصُرَّدُرّ)[1]:

تــزاوَرْنَ عــن «أذرِعــاتٍ» يمينـا ... نـواشـزَ ليـسَ يُطِقـنَ البُـرينـا[2]
كَلِفـنَ بنجـدٍ كـأنَّ الـريـاضَ ... أخـذن لنجـدٍ عليهـا يمينـا
وأقسمـنَ يَحْمِلـن إلا نحيـلاً ... إليـه ويُبْلغـنَ إلا حـزينـا
ولمـا استمعـنَ زفيـرَ المشـوقِ ... ونـوحَ الحمـامِ تَـرَكْـنَ الحنينـا
إذا جئتمـا بـانـةَ الـواديـينِ ... فَأَرْخُوا النسوعَ، وحُلّوا الوضينا[3]
فثَـمَّ عـلائِـقُ مـن أجلهـا ... مُلاءُ الدُّجى والضُّحَى قد طَوَيْنا
وقـد أنبـأتْهـم ميـاهُ الجفـونِ ... بـأنَّ بقلبِـكَ داءً دفينـا

دموع الخائفين يَحْبسُها بالنهار مراقبة الخلق، فإذا جُنَّ الليل انفتحَ سِكْرُ الدموع ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

أرواحُ الأسحار أقوات الأرواح، رقَّت فَرَقَت[4] حرَّ جدِّ الوَجْدِ، وبلَّغَتْ رسائلَ الحُبِّ، ومكروبُ الشوق يرتاحُ للرياح.

يـا نسيـمَ الـريـحِ هـلْ مـن وِقْفَـةٍ ... تُطفـئُ الغُلـة[5] أو تشفـي الأُوامـا[6]
كـن رسـولاً بسـلام عـائِـداً ... نحـو مَـنْ أنفـذ لـي فيـك السلامـا
لـم تُثِـر شجـوي حمـامـاتُ اللِّـوى ... بـل غـرامـي علَّـمَ الشجـوَ الحمـامـا

كانت (**بُردةُ العابدة**) تنادي في جَوْف الليل: غارتِ النجومُ، ونامتِ العيونُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وقد خلَوْتُ بك يا خيرَ محبوبٍ، أفتراك تعذّبني وحُبُّك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها رئيس الرؤساء ابن المسلمة عام (٤٤٨هـ). انظر: ديوان شعره، ص ١٥.
(٢) **أذرعات**: بلد في أطراف الشام. **البرة**: حلقة تجعل في أنف البعير يكون فيها زمامه.
(٣) **النسوع**: حبل يشد به الرحل. **الوضين**: بطان عريض منسوج يكون للهودج.
(٤) **رقت الأولى**: أي لطفت. **فرقت**: من الترقية والسمو.
(٥) **الغُلة**: العطش أو شدته أو حرارة الجوف.
(٦) **الأُوام**: كالغُراب: العطش، أو حَرّهُ.

إن شئت سألتَ دمعَ عينيَ عني يخبرْك بأنني أسيرُ الحُزْنِ
منكَ العفوُ والخطايا مني ظني حسن فيك فحقق ظني

يا غافلَ القلب! ما هذا الكلام لك، ليسَ على الخرابِ خراجٌ، لا يعرِفُ البرَّ إلا سائحٌ، ولا البَحْرَ إلا سابحٌ، ولا الزنادَ إلا قادحٌ.

ضَمَّنا يومَ تنادَوْا لِلِّقا موقفٌ يعرِفُهُ مَنْ عَشِقَا

لما عَشِقَتِ اللبلابةُ[1] الشجرَ، تَقَلْقَلَتْ طلباً لاعتناقِ الرؤوس، ولثمِ الخدودِ، فقيلَ لها: مع الكثافة لا يمكن، فرضيت بالنحولِ، فالتَفَّتْ فالتَقَتْ.

حُبيَ والوجدُ أَوْرثانيَ سُقْما هذا جِسْمي يُعَدُّ عَظْماً عَظْما
دعنيَ والشوقُ قد كفاني خَصْما يا سهمَ البَيْنِ قد أصبتَ المَرْمى

* * *

---

(١) اللبلاب: نبات عشبي معترش يلتف على المزروعات والشجر.

الفَصْلُ الخَمسُونَ

إخواني! مَنْ تفكّرَ في ذنوبه بكى، ومن تلمّحَ سيرَ السابقين وانقطاعه شكا، ولا أقلقَ القلبَ مثلُ الحزن ولاَ نَـكا[1].

عنـدَ قلبـي عـلاقـةٌ مـا تُقَضـى ... وجـوًى كلّمـا ذوى عـاد غَضّـا
وبكـاءٌ علـى المنـازلِ أبْلَتْهُـنّ أيـدي الأيـامِ بَسْطـاً وقَبْضـا
مَـنْ معيـدُ أيـامِ ذي الأَثْـل أو مـا ... قـلّ منهـا دينـاً علـيّ وقَـرْضـا
سـامحـاً بـالقليـلِ مِـنْ عهـدِ نجـدٍ ... رُبّمـا أقنـعَ القليـلُ وأَرْضـى
مهـديـاً لـي مـن طيـبِ أرواح نجـدٍ ... مـا يُـداوي نفـسَ العليـلِ المُنَضَّـى

إخواني! تفكّروا في ذنبِ أبيكم ونزوله بالزلل، ويكفيكم رَمْزٌ إلى آدم بأنك عبد، في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨]، لأنَّ العبدَ ليس له إلا ما سدَّ الجَوْعة وسترَ العَوْرة، فجاء إبليسُ يُطمِعُه في الملك، فلمَّا خرجَ إلى الطمعِ خَرجَ.

نامَ في الجنة فانتبه، وقد خلقت له حوّاء، فقال: ما هذا؟ قيل: مَنْ يريدُ النومَ يُخلَقُ له ضجيعٌ، كفى بالشوقِ مُسْهِراً، فلمَّا وقعَ في الزَّلَلِ طارَ النوم.

متى شُقَّ جَيْبُ الجُنحِ بالبارقِ الوَمْضِ ... وهَبَّتْ قَبولٌ فالسَّلامُ على الغُمْضِ

بالأمس جبريلُ يَسجُدُ له، واليوم يُجرُّ بناصيته للإخراجِ، ولسانُ حالِه يستغيثُ:

حُـداةَ العيـسِ رفقـاً بـالأسيـرِ ... ليغنَـمَ نظـرةً قبـلَ المسيـرِ
ويـا بـانَ الحِمَـى هـل فيـكَ ظِـلٌّ ... فعنـدَ حشـايَ مـزدَحِـمُ الـزفيـرِ
ويـا ريـحَ الشمـالِ بحـقِّ حِبـي ... وصدقي هل مَرَرْتِ على الغديرِ؟

---

(١) نكا: من نكأ، يقال: نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ فَنَدِيَتْ، ونكأ العدو: جرحه وقتله.

وهـلْ سَحَبْـتِ علـى شِيْـحٍ ورَنْـدٍ ذُيـولَـكِ يـا مُبَلْبلَـةَ الضميـرِ؟

بكى من زلته ثلاثمئة حتى سالت الأودية من دموعه[1]، اسمع يا مَنْ يَضحَكُ عند المعاصي:

سلُوا بعدَكم وادي الحِمى ما أَسالَهُ دمِيْ ودمُوعي في هواكُم أمِ القَطْرُ
وهل ما أراهُ الموتُ أم حادِثُ النَّوى وهل هو شوقٌ في فؤاديَ أمِ الجمرُ؟

كان يقول لولده: يا بُنيَّ طال والله حُزْني على دارٍ أُخرجتُ منها، فلو رأيتَها زهَقَتْ نفسُك.

قِـفْ فَتِلْـكَ الطلـولُ وابْكِهـا يـا رسـولُ
واقـرَ[2] عَنِّـي سـلامـي مَـنْ عَلَيْهـا نـزولُ
رُبَّ سكـانِ دارٍ فـي فـؤادي حلـولُ
فـاسـألِ الـدارَ عنهـم واستَمِـعْ مـا تقـولُ
لـي وللبيـن فيهـم شـرحُ حـالٍ يطـولُ
قـد كفـانـي غَـرامـي لا تَـزِدْ يـا عـذولُ
لسـتُ أدري إذا مـا لُمْتنـي مـا أَقـولُ
خلَّفـونـي مُعَنّـى[3] والمُعنّـى حَمُـول

كانت الجنةُ إقطاعَنا فَحُلَّ الإقطاعُ بجنايةِ لُقمة، فلما غَسلَ آدمُ جَنابَةَ الجِنايَةِ رُدَّ الإقطاع عليه، لولا لطف ﴿فَنَلَقَّىٰٓ﴾ [البقرة: ٣٧]، لقتله الأسف.

مَنْ لي مَنْ لي بَوصْلِ حِبٍّ نازحْ لـو بيـعَ بمُهجتي لكنْـتُ الـرابـحْ
صالِحْ مَنْ عاشَ بالأمانيَ صَالحْ سـامِحْ في النقـدِ يـا حبيبيَ سامحْ

يا مَنْ جرى عليه ما جرى على أبيه، أُسلكْ طريقَه من البكاء.

خـلِّ دمْـعَ العيـن يَنْهمِـلْ بـانَ مَـنْ تهـواهُ فـاحتمـلْ

---

(١) هذا من الإسرائيليات الباردة البعيدة.
(٢) واقرَ: أصلها واقرأ: أي: ألق السلام.
(٣) معنّى: متعب.

كـــلُّ دمـــعٍ صـــانَـــهُ كَلِـــفٌ فهـــو يـــومَ البَيْـــنِ مُبْتَـــذِلُ

اكتبْ قصةَ النَّدم بِمِدَادِ الدُّموع، وابعثها مع ريح الزَّفَرات، لعلَّ الجوابَ يصلُ برفع الجوى(١):

كيـف لا أبكـي علـى عيشٍ مَضـى بعـتُ عمـري بحقيـرِ الثَّمـنِ
كيـفَ أرجـو البُـرْءَ مـن داء الهـوى وطبيبـي فـي الهَـوَى أمـرَضَنـي

انتبه لنفسك يا مَنْ كلما تَحرَّك تَعَرْقَل، فيك جوهريةُ السَّباق، ولكن تحتاجُ إلى رائض، قَلْبُكَ محبوسٌ في سجنِ طَبْعِك، مقيّدٌ بقيود جهلك، فإذا ترنَّم حادٍ تنفَّسَ مشتاقٌ إلى الوطن، فالبَسْ لأمةَ(٢) عَزْمِك، وسِرْ بجُنْدِ جِدِّك، لعلّك تُخلِّصُ هذا المُسْلِمَ من أيدي الفراعنة.

أبـالغـورِ تشتـاقُ تلـك النُّجـودا رميـتَ بقلبِـكَ مـرمًّـى بعيـدا
فـــؤادُ أسيـــرٍ لا يُفْتَـــدى وجفـنُ قتيـلِ البكـا ليـسَ يُـوْدَى

لك الحديثُ يا مُعْرِضُ، أنتَ المرادُ يا غافلُ، يا مُستلِذّاً بَرْدَ العيشِ تَذَكَّرْ حرقةَ الفُرْقة، يا مَنْ يُسْلِمُهُ موكَلَان إلى موكَلين، ما لانبساطِكَ وَجْهٌ، إنَّما تُمْلي عليهما رسالةً إلى ربك، وما أراكَ تَملُّ قُبحَ ما تُمْلي.

يا جامدَ العينِ اليوم، غداً تدنو الشَّمْسُ إلى الرؤوس، فَتُفَتِّحُ أفواهُ مسامِّ العروقِ، فتبكي كلُّ شَعَرةٍ بعَيْنِ عُروقِها.

يبرزُ يوسُفُ الهيبة، فيقُدُّ قميصَ الكونِ.

نفخُ الريحِ اليومَ يحرِّكُ الشجَرَ، ونفخُ الصورِ غداً يعمَلُ في الصُّوَر.

ريحُ الدنيا بَيْنَ مُثيرٍ ولاقح، تُثيرُ دفائنَ النباتِ، وتلقحُ الثمار، [وتثيرُ الأعمار](٣)، وريحُ الأخرى تلقِّحُ الأشباحَ للأرواحِ لقراءةِ دفاترِ الأعمارِ.

---

(١) **الجوى**: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) **اللأمة**: عُدة القتال.
(٣) زيادة من (ب).

أين الذين نَصَبوا الآخرة بين أعينهم فَنَصَبوا[١]، وندَبوا أنفسهم لمحو السيئات ونَدَبوا[٢].

كان (**داود الطائي**) ينادي بالليل: همُّك عطَّلَ عليَّ الهموم، وحالَف بيني وبينَ السهاد، وشوقي إلى النظرِ إليكَ حالَ بيني وبين اللَّذات، فأنا في سجنك أيها الكريمُ مطلوبٌ.

يـا مـالـكَ مُهجَتـي ووَالـيَ دِينـي ... كـمْ ينشـرُني هـواكَ وكـمْ يطـويني
هِجْـرانُـك مَـعْ مَحبّتـي يُضْنِينـي ... هــل تُــدرِكنــي بنظــرةٍ تُحْيِيْنــي

إذا جَنَّ الغاسق[٣] جُنَّ العاشق.

طـــالَ ليلـــي دون صَحْبـــي ... سَهـــرتْ عينـــي ونـــامـــوا

كانوا يتراسلون بالمواعظ لتقع المساعدةُ على اليقظة، كصياحِ الحارسِ بالحارسِ: يا نيامُ السَّحور[٤].

(للمصنف):

عَـرِّجـوا بـالـرفـاقِ نحـوَ الـرّكْـبِ ... وقِفُـــوا وقفـــةً لأَنْشُـــدَ قلبـــي
وخـذوا لـي مـن النَّقيـب لِمـاظـاً[٥] ... أَوْردوا بـي إلـى العُـذَيْـبِ وحَسْبي
فهبـوبُ الـريـاح مـن أرضِ نجـدٍ ... قُـوتُ روحـي وحبَّـذا مـن مَهـبٍّ
يـا نسيـمَ الصَّبـا تـرنَّـمْ على الـدَّوْحِ ... بصـــوتٍ يُشْجِـي وإنْ طـارَ لُبـي
مَـنْ مُعيـدُ أيـامِنَـا بِلِـوى الجَـزْعِ ... وهيهـــاتَ أيـــنَ مِنّـــيَ صَحْبـــي

* * *

(١) **نصبوا الأولى**: جعلوا ووضعوا. **ونصبوا الثانية**: تعبوا.
(٢) **ندبوا الأولى**: من الندب، وهو الدعاء؛ أي: دعوا. **وندبوا الثانية**: من الندبة: أي البكاء.
(٣) **جَنَّ الغاسق**: أي ستر الليل بظلامه.
(٤) **السَّحور**: طعام السحر وشرابه، يشير إلى حظ الأرواح من نعمات السحر.
(٥) **لماظاً**: جمع لُمظة؛ يقال: تلمّظ، إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه أو مسح به شفتيه.

الفصل الحادي والخمسون

أين اللاهونَ بالمُزاح زَاحوا؟ أين شَارِبوا الراحِ راحُوا؟ وبكَ يا صاحِ صَاحُوا، لقد نَدَبُوا في قبورِهم على الوَنَى[1] وناحُوا:

يــا أيُّهــا الــواقِــفُ بــالقبــورِ ⁂ بَيْــنَ أُنــاسٍ غُيَّــبٍ حُضُــوْرِ
قــد سكنــوا فــي جــدَثٍ مَعْمُــورِ ⁂ بيــن الثَّــرى وجَنْــدلِ الصُّخــورِ
ينتظــرون صَيْحَــةَ النشــورِ ⁂ ولا تَــكُ عــن حَظِّــكَ فــي غــرورِ

أين أربابُ المَناصبِ؟ أَبادهم الموتُ المُناصِبُ[2]، أين المتجبِّرُ الغاصبُ؟ أذلَّه عذابٌ واصبٌ[3]، لُفَّتْ ـ والله ـ الأكفانُ كالعَصائب، على تلْك العَصائب[4]، وحلَّت بهم آفاتُ المصائب، إذ حلَّ بَلبّاتهم[5] سهمٌ صائب، فيا من يأمن هذه النوائب، أحاضرٌ عندنا أنتَ أم غائب؟!.

كم عاصٍ باتَ في ذنوبه، يَتَقَلَّبُ على فراشِ عيوبه، بين مزمارٍ ومِزْهَرٍ، ومُسْكِرٍ ومُنْكَرٍ، فجاءه الموت فجأةً، فأنساهُ ولَدَه ونساءَه، وجلَب مساؤه ما سَاءَه، فنُقِلَ إلى اللحدِ ذميماً، ولقي من غِبِّ[6] المعاصي أمراً عظيماً.

بينَــا تَــرَاهُ غــادِيــاً رائحــا ⁂ فــي نِعَــمٍ غَــاديــةٍ رَائِحَــهْ
إذا بيــومٍ طــالــحٍ مُخــرِجٍ ⁂ مــن خِبْثِــه آمــالَــه الصــالحــهْ
كــم ســالــمٍ صبَّحَــهُ مــوتُــه ⁂ وقــائــلٍ عَهْــدي بــه البــارحــهْ

---

(١) **الونى**: التكاسل والتباطؤ.
(٢) **المناصب**: المعادي.
(٣) **واصب**: متتابع مستمر.
(٤) **العصائب**: الأولى جمع عصابة، وهي كالعِمامة. والثانية: جمع عِصابة، وهي الجماعة من الناس.
(٥) **لباتهم**: جمع لبة، وهو موضع النحر من الصدر.
(٦) **غب**: عاقبة.

أمســـى وأمســـت عنـــدَه قَيْنَـــةٌ   فـــأصبَحَـــتْ تَنْـــدُبُـــهُ نـــائِحَـــهْ
فكُـــنْ مـــن الـــدُّنيـــا علـــى صَيْحَـــةٍ   وأيُّـــا لَيْسَـــتْ لـــه صـــائِحَـــهْ
مَـــنْ كـــانـــت الـــدُّنيـــا بـــه بَـــرَّةً   فـــإنَّهـــا يـــومـــاً لـــه ذابحـــهْ

وا عجباً لمن رأى هلاكَ جنسِه ولم يتأهّبْ لنفسِه!.

قال البازيُّ للديك: «ليسَ على الأرضِ أقلُّ وفاءً منك، أَخَذَكَ أهلُك بيضةً فحضنوك، فلما خرجتَ جعلوا مَهدَك حجورَهم ومائدتَك أُكُفَّهم، حتى إذا كبرتَ صِرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلا طرتَ ها هنا وها هنا وصِحْتَ، وأنا أُخذتُ وحشيّاً من الجبالِ فعلَّمُوني ثم أرسلوني، فجئتُ بصيدي».

فقال له الديك: «إنك لم ترَ بازياً مشوياً في سفود، وكم قد رأيتُ في سفودٍ منْ ديكٍ».

إخواني! الزهدُ في الدُّنيا زُبْدُ مَخْضِ مَحْضِ الفكر، حظُّ الحريصِ على الدنيا في الحضيض، والقَنُوعُ في أعلى الذُّرَى، سائقُ الحِرْصِ يضربُ ظهرَ الحريص بعصا التَحْريضِ، فلو قد عَصَى الهوى كَفَّتِ العصا، كلّ ما زادَ على القوتِ فهو مستخدِمُ الكاسب!.

يا موغلاً في طلب الدنيا! الحسابُ حَبْسٌ، فإن صحَ لك الجواب تعوَّقْتَ بمقدار التَّصحيح، وإن لم يصحَّ فمطمورة[1] جهنم.

ويحك! طالِعْ دستورَ عَمَلِكَ تَرَ كلَّ فِعْلِك عليك. مَنْ وقَفَ على صراطِ التقوى، وبيده ميزانُ المحاسبةِ، ومَحَكُّ الورع، يستعرضُ أعمالَ النفس، ويردُّ البَهرجَ[2] إلى كِيرِ التوبةِ، سَلِمَ من رَدِّ الناقدِ يوم التقبيض.

ويحك! سلطانُ الشبابِ قد تولّى، وأميرُ الضَّعف قد تولّى[3]، ومِعْوَلُ الكِبَرِ يعرقلُ حيطانَ دار الأجل.

وحسبُك داءً أن تصحَّ وتسلما

---

(١) **المطمورة**: حفرة يطمر فيها الطعام وغيره.
(٢) **البهرج**: المزيف المغشوش.
(٣) **تولى الأولى**: ذهب وانصرف. وتولى الثانية: من التولي والتحكم.

قِفْ على ثَنيةِ الوداعِ نادباً قبل الرحيل على ديارِ الأُلفةِ.

يـا منـزلاً لـم تُبْـلَ أطـلالُـه   حـاشـى لأطـلالِـكَ أن تَبْلـى
والعشـقُ أولـى مـا بكـاهُ الفتـى   لابـدَّ للمَحْـزون أن يَسْلـى
لـم أبـكِ أطـلالـك لكنَّنـي   بكيـتُ عَيشِـي فِيْـكَ إذ وَلّـى

كان (ثابت البُناني) يستوحشِ لفَقْد التعَبُّدِ بعدَ موته، فيقول: «يا ربِّ إن كنتَ أذنتَ لأحدٍ أن يُصلي في قبرِه فأْذَنْ لي».

وكان (يزيد الرَّقاشي) يقول في بكائه: يا يزيدُ مَنْ يبكي بعدَك عنك؟! من يتَرضَّى ربّك لك؟!.

أحبُّكُـم مـا دمـتُ حيّـاً وإن أَمُـت   فـوا كبـدي مَـنْ ذا يحبُّكـم بَعـدي

لمّا علم المحبونَ أن الموتَ يقطعُ التعبُّدَاتِ كرهوه لتدومَ الخدمة.

جاء مَلَك الموت إلى موسى عليه السلام ليقبضه فلطَمَ عينَه(١)، فإذا قامت القيامةُ بادر إلى العرش(٢)، طالتْ غيبته فاستعجلَ استعجالَ مشوق.

كانوا يحبّون أماكن الذكر ومواطنَ الخلوة، والمؤمنُ أَلُوف للمَعَاهد، عهدٌ عند المُحبِّ لا ينساه، «أُسكن حراء»(٣).

---

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه الحديث في لطم موسى عليه السلام، وفيه: «... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكّه، ففقأ عينَه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريدُ الموت! قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له...» الحديث. وللعلماء في اللطم هذا تأويلات تُراجَعُ في الشروح.

(٢) في صحيح البخاري برقم (٢٢٣٤): عن أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «لا تخيروني على موسى، فإنّ الناس يُصعقون يوم القيامة، فأصعقُ معهم، فأكونُ أوّلَ من يُفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله». وانظر كذلك برقم (٣١٥٦، ٦٠٣٦، ٦٩١٨).

(٣) تكرر اهتزاز جبل أُحد وحراء تحت النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، انظر كتاب: فضائل المدينة المنورة، للدكتور خليل ملا خاطر: ٣/ ٨٧.

اِحْبِسَا الركبَ بوادي سَلَمِ فبذاك المُنْحنى طُلَّ دَمِي
وانشُدا قلبيَ في سُكَّانِهِ فمِنَ السُّكانِ أشكو أَلَمي
أخذوا قلبي، وأبقَوْا جَسدي فوجودي بعدَهُ كالعَدَمِ
صِلْ مُحِبّاً جفنُه لم يَنَمِ وَا بَلائي إنَّ خَصْمي حَكَمي

وا عجباً لمحبٍّ يسترُ ذكرَ الحبيبِ بذكرِ المنازلِ، وما يخفى مقصودُه على السامعِ: «**أحدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه**»[١].

ألا اسْقِني كاساتِ دَمْعي وغَنِّني بذكرِ سُليمى والربابِ وتَنَعَّمِ
وإياكَ واسمَ العامريةِ إنني أغارُ عليها مِنْ فمِ المُتكلِّمِ

رياحُ الأسحارِ تحمِلُ الرسائلَ، وتردُّ الجوابَ.

(للخفاجي):

أفي نجْدٍ تجاوزكَ القَبولُ أظنُّ الريحَ تفهمُ ما تقولُ
تَغَنَّتْ في رحالِ الركبِ حتى تَشابهتِ الذوائبُ والذيولُ
صَحبْنا في ديارهمُ صبَاها تناوبَها التنفُّسُ والنُّحُولُ
وأمطرْنا سحابَ الدَّمْعِ حتى حَسِبْنا أنها مُهَجٌ تَسِيلُ
وعُجْنا ذاهلينَ فما عَلمنا أنحنُ السائلونَ أم الطُّلولُ؟

ديارُ الأحباب درياق[٢] هموم المحبين «على أنني منها استفدت سقامي».

كان قيس إذا ذَكَرَ ليلى تعلَّلَ بالآثارِ، واستشفى بالدِّمَن[٣]، واستنشقَ الصَّبا، وشامَ برقَ[٤] بني عامر.

أَقْتَلُ أدواءِ الرجالِ الوَجْدُ وَ قِ[٥] نجداً فالغرامُ نجدُ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) **درياق**: لغة في الترياق: دواء السموم.
(٣) **الدمن**: جمع دمنة: آثار الديار.
(٤) **شام البرق**: نظر إلى سحابته أين تمطر.
(٥) **قِ**: فعل أمر من وقى يقي.

حيثُ الرياضُ والنسيمُ أُنُفٌ ... ودَنِفٌ[1] ما يستفيقُ بعدُ

إنَّ الصَّبا إذا جرتْ قادِحةً ... نارَ الغرام ففؤادي الزَّنْدُ[2]

تُعدي المحبينَ الصَّبا كأنّما ... لها على أهلِ الغرامِ حِقْدُ

لا تتلق نفحةً نَجْديّةً ... هَزلاً فهَزلُ النفحاتِ جِدُّ

دعِ الصَّبا فعلُ الهواء كالهوى ... سِيّانَ منه قصرُه والمَدُّ

ما كبدي بعدك إلا جذوةٌ ... لها بترجيع الحنينِ وَقْدُ

يسترُها الجِلْدُ ولولا أدمُعِي ... ما كان يقوى سترَ نارٍ جلدُ

كيف ببرئي والطبيبُ مُمْرضي ... يصدُّ والداءُ العضالُ الصَّدُّ

النَّارُ قلبي والسَّمومُ نفسي ... والماءُ طَرْفي والترابُ الخَدُّ

قد كدتُ أَخْفى عن عيونِ عُذَّلي ... كذا وجودُ العاشقين فَقْدُ

* * *

---

(١) دنف: الدنف المرض الملازم.

(٢) الزند: العود الذي يقتدح به النار.

الفَصْلُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ

العُزلةُ حميةُ البدَنِ، والمناجاةُ قوتُ القلبِ، ومن أَنِسَ بمولاه استوحشَ مِنْ سواه.

يــا منتهــى وحشتــي وأُنســي ... كــنْ لــي إن لــم أكــن لنفســي
أطمَعَنــي فــي غــدٍ نجــاتــي ... حلمُــك عــن سيئــاتِ أمســي

خُلِقَ القلبُ طاهراً في الأصل، فلما خالطته شهواتُ الحِسِّ تكدَّرَ، وفي العزلةِ يرسبُ الكَدَرُ.

الحيوانُ المميّزُ على ثلاثة أقسام:

- فالملائكةُ خُلِقَتْ من صفاءٍ لا كدرَ فيه.
- والشياطينُ من كدرٍ لا صفاءَ فيه.
- والبشريُّ مركَّبٌ من الضدين.

فالعجبُ أن تقوى عند التقوى.

تقديس الملائكة يدور على ألسنةٍ لا تشتاق بالطبع إلى الفضول، سُبَحُ تسبيحهم عقودٌ ما نظمتها كِلفُ التكليف، ثمراتُ زروعهم نشأت لا عن تعبٍ، سقاها سيحُ العِصْمةِ، فكثر في زكوات تعبُّدِهم قدرُ الواجب ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]. كانت أقدامُ تعبُّدِهم سليمةً، فاستبطؤوا سَيْر زَمْنَى[(١)] الهوى، فقيل: «**إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله العافية**»[(٢)].

وا عجباً! من منحدرٍ في سفنِ التعبدِ يستبطئ مصاعداً في الشمال.

---

(١) زمنى: جمع زَمِن، وهو المبتلى بيّن الآفة.

(٢) لم أجد هذا الحديث بنصه، انظر موطأ مالك، ففيه: «... **فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية**» وهذا مروي عن المسيح عليه السلام.

سمعوا بيوسف الهوى وما رأوه، فأخذوا يلومون زليخا الطبعِ من جنسِ عتب ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠] ، فلمَّا قالت الدنيا يوم هاروت وماروت: ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] ، قطعوا أكفَّ الصبر، وصاحَ في تلك المواقف مَواقفُ ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] .

«إنَّ للحـرب رجــالاً خـلقــوا»

أَلَهُم أنينُ المذنبين، أو خلُـوف الصائمين، أو حُرقة المحبين؟! .

لما عبَّ(١) بحرُ الأمانة يوم ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، توقفتِ الملائكةُ على الساحل، ونهضت عزيمةُ الآدمي لسلوك سبيل الخطر، بل لأقدام المحبِّ إقدام.

يغلبُنـي شـوقـي فـأطـوي السُّـرى ... ولـم يـزلْ ذو الشـوقِ مغلـوبـا

لا نحتاجُ أن نناظرَ الملائكة بالأنبياء، بل نقول: «هاتوا لنا مثل عمر، كلُّ الصحابة هاجروا سرّاً، وعمرُ هاجر جهراً، وقال للمشركين قبل خروجه: ها أنا ذا، على عزم الهجرةِ، فمن أرادَ أن يلقاني فليلقني في بطنِ هذا الوادي».

فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي

مذ عزم عمر على طلاق الهوى، أَحَدَّ أهلُه عن زينة الدنيا.

وعــزمــةٍ بعثَتْهــا همــةُ زُحَــلْ ... من تحتها بمكان التراب مَنْ زَحَلْ

لما ولي (عمر بن عبد العزيز) خَيَّرَ النساءَ، فقال: «من شاءت فلتُقِم، ومن شاءت فلتذهب، فإنّه قد جاء أمرٌ شغلني عنكنّ».

(المهيار)(٢):

أقسَــمَ بــالعفــةِ: لا تيّمــه ... ظبــيٌ رنــا أو غصــنٌ تــأوَّدى
وكلّمــا قيــلَ لــه: قِـفْ تستـرِحْ ... جُزْتَ المدى قال: وهل نلتُ المدى

---

(١) عب البحر: ارتفع موجه واصطخب.

(٢) من قصيدة يهنئ فيها الوزير أبا المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره، ص٣٣٢ـ٣٣٦ .

للعزائمِ رجالٌ ليسوا في ثيابنا، وطّنوا على الموتِ، فحصلت الحياةُ.

إذا ما جررتُ الرمحَ لم يثنني أبٌ مُلِـحٌ ولا أمٌّ تصيـحُ ورائـي
وشيّعنـي قلـبٌ إذا مـا أمـرتُـه أطـاعَ بعـزْمٍ لا يـروغُ ورائـي

يا مختار القدر! اعرف قَدْرَ قدرِكَ، فإنما خُلِقَتِ الأكوانُ كلُّها لأجلك.

يا خزانة الودائع! يا وعاءَ البدائع! يا من غُذيَ بلبانِ البر، وقُلِّبَ بأيدي الأيادي، يا زَرْعاً تَهمِي عليه سُحُبُ الألطاف، كل الأشياء شجرةٌ وأنت الثمرةُ، وصوَرٌ وأنت المعنى، وصدَفٌ وأنت الدُّرُّ، ومخضةٌ وأنت الزُّبدُ.

مكتوبُ اختيارنا لك واضحُ الخطِّ، غير أنَّ استخراجَك ضعيفٌ، متى رمتَ طلبي فاطلبني عندك.

سـاكـنٌ فـي القلـبِ يعمُـرُه لسـتُ أنسـاهُ فـأذكُـره
غـابَ عـن سمعـي وعـن بصـري فسُـويـدا القلـبِ تُبْصِـرُه

ويحك! لـو عرفتَ قدر نفسِكَ ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليسَ لأجلك، لأنّه لم يسجد لك، فالعجبُ منك كيفَ صالحته وهجرتنا؟!.

رعى الله من نهوى وإن كان ما رعى حفظنـا لـه الـوُدَّ القـديـمَ فضيَّعـا
وواصلـتَ قـومـاً كنتُ أنهـاكَ عنهـمُ وحَقِّـكَ مـا أبقيتَ للصلحِ مَـوْضِعَـا

يا جوهرةً بمضْيَعةٍ، يا لُقَطةً تُداسُ، كم في السماوات مِنْ مَلَكٍ يُسبِّح! ما لهم مرتبة ﴿ نَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، لا يعرفونَ طَعْمَ طعام، وما لهم مقام «**ولخلُوفُ**»(١)، أنينُ المذنبين عندنا أوفى من تسبيحهم، سبحان من اختارك على الكلِّ، وجادلَ عنك الملائكةَ قبل وجودِكَ: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾ [البقرة: ٣٠]، خلق سبعةَ أبحرٍ، واستَقْرضَ منكَ دمعةً، له ملك السماوات والأرض، واستقرض منك حَبّة.

(للشريف الرضي):

---

(١) من حديث الصيام: «**ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» رواه البخاري ومسلم، واللفظ له.

الماءُ عنـدَكِ مبـذولٌ لـوارِدِه   وليس يرويكِ إلا مَدْمَعِي الباكي

كانت الأمتعةُ المُثَمَّنة واللآلئُ النفيسةُ تباعُ بمصر، فلا ينظرُ إليها **يوسف**، فإذا جاءت أحمالُ صوفٍ من كنعان لم تُحلَّ إلا بين يديه «لا تسأل عن عبادي غيري».

(للخفاجي):

لاحَ وعِقْـدُ الليـلِ مسلـوبُ   بـرقٌ بنـارِ الشَّـوقِ مشبـوبُ
أسـألـه عنكـم وفـي طيِّـهِ   سطـرٌ مـن الأحبـابِ مكتـوبُ

لو كان في قلبك محبة، لبان أثرُها في جسدِكَ، «**عَجِبَ ربُّنا من رجلٍ ثار على وطائه ولحافه إلى صلاته**»[1]، تلمّحْ معنى «**ثار**» ولم يقل قام؛ لأنَّ القيامَ قد يقع بفتور، فأما الثوران فلا يكونُ إلا بالإسراع حذراً من فائت.

إذا هـزّنـا الشـوقُ اضطـربنـا لهـزِّهِ   على شُعَبِ الرّحْلِ اضطرابَ الأراقمِ
فَمِـنْ صبَـواتٍ تسْتَقِيْـمُ بمـائـلٍ   ومـن أريحيـاتٍ تَهُـبُّ بنـائـمِ

إخواني! من ناقَرَهُ الوجْدُ، نافرَهُ النوم.

قال (**سفيان الثوري**): بِتُّ عند **الحجاج بن الفرافصة** إحدى عشرة ليلة، فما أكلَ وما شربَ ولا نامَ.

اسـأل عينـي كيـفَ طعـمُ الكـرى   عُـلالـةَ وهـو سـؤالُ محـالِ
وكيـفَ بـالنـومِ علـى الهجْـرِ لـي   والنـومُ مـن شـرطِ ليـالـي الـوصـالِ

* * *

(١) حديث رواه الإمام أحمد في المسند.

الفصل الثالث والخمسون

يا طويلَ الأملِ في قصيرِ الأجل، يا كثيرَ الزَّللِ في قليلِ العمل، خلاَ لَكَ الزمانُ وما سدَدْت الخلل، أفما عندك وجلٌ من هجوم الأجل؟!.

تجهَّزْ إلى الأجداثِ ويحكَ والرَّمْسِ[1] جَهازاً من التقوى لأطول من حبسِ
فإنّك ما تدري إذا كنتَ مصبحاً بأحسن ما ترجو لعلّك لا تُمْسِي
سأُتعِبُ نفسِي كي أُصادِفَ راحةً فإنَّ هوانَ النفسِ أكرمُ للنفسِ
وأزهدُ في الدُّنيا فإنَّ مقيمَها كظاعنها ما أشبَهَ اليومَ بالأمسِ

يا معاشر الأصحّاء! اغتنموا نعمتَيِ السلامة والإمهال، واحذروا خديْعتَي المنى والآمال، قد جربتم النفس وتبذيرَها في بضاعةِ العمر، فانتبهوا لانتهاب الباقي: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

الدنيا حُلم والموت يقظة، ويوم الحساب تفسيرُ الأضغاثِ، أيامٌ معدودة وسيفنى العدد، وطريق صعبة على قلة العدد، وقد سار الركب ولاح الجُدَدُ[2]، أترى تظن أن تبقى إلى الأبد؟! أما يَعتبِرُ بالوالدِ الولد؟! أين المتحرِّكُ في الهواءِ؟ هَمَد، أين اضطرامُ تلك النار؟ خمد، أين ماءُ الأعراض[3] الجاري؟ جمد، تساوى في المماتِ الثعلبُ والأسد، وشارك الوَهي[4] بين الحديدِ والمسد! وجمع التلفُ بين عنقاء[5] مَغرب والصُّرَد[6]، واستقام قياسُ النقض للكلِّ واطرد، أفلا ينتبه من رقدته من قد رَقَد؟!.

---

(١) **الرمس**: الدفن والقبر.
(٢) **الجدد**: طرائق.
(٣) **الأعراض**: جمع عِرْض؛ وهي الأودية ذات الشجر.
(٤) **الوَهي**: الشق والتخرق.
(٥) **عنقاء**: طائر متوهم لا وجود له.
(٦) **الصُّرد**: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد الحشرات.

يا شاربين من منهل الهوى شربَ الهِيْم[1]، يا جاعلين نهار الهُدى كالليلِ البهيم، يا مقيمين على الدَّنَس وليس فيهم مُقيم، يا سالمين من أمراضِ البدنِ وكلّهم سليم[2]، أتعمرون ربوعَ النِّعَم برُتوع النَّعَم؟ وتستبدلون بالقرآنِ محرّمات النَّغَم، وقد توطنتم ناسين تُروحَ[3] النزوح، فلم تذكروا الممات حتى تروحَ الروح، تالله ليعودن المستوطِنُ في أهلِهِ غريباً، والمُغتبِطُ بفرحه مَغيظاً كئيباً ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج].

أين أرباب البِيضِ والسُّمر، والمراكب الصفر والحمر، والقباب والقب[4] الضمر؟ ما زالوا يفعلون فعلَ الغُمرِ[5]، إلى أن تَقَضّى جميعُ العمر.

يا مَنْ عمرُه قد رحل وولّى، كأنّك بك تندَمُ وتتقلّى، والسمع والبصر للموت قد كَلاّ، ويد التناول للتوبة قد شلاّ[6]، والعين تجري وابلاً[7] لا طلا[8]، وعصافيرُ الندم قد أنضجها القلا[9]، وأنت تستغيثُ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] فيقال: ﴿كَلَّآ﴾ ألا كان هذا قبل هذا ألا؟![10].

يا ثقيل النوم، يا بطيءَ اليقظةِ، يا عديمَ الفهمِ، أما ينبّهك الأذانُ؟! أما تزعجك الحُداة؟! أترى نخاطب عُجماً، أو نُكَلِّمُ صُمّاً؟! كم نريكَ عيبَ الدنيا! ولكن عينَ الهوى عوراء، كم تكَشَّفَ للبصرِ قِصَرُ العمر! ولكن حَدقَةَ الأمل حولاء.

ليسَ في الدنيا سرورٌ ‌‌ إنّما الدنيا غرورُ

---

(١) الهيم: الإبل المهيومة التي تصاب بداء العطش فلا تُروى مهما شربت.
(٢) سليم: ملدوغ.
(٣) تروح: جمع ترح، وهو الألم.
(٤) القب: الفحل من الإبل.
(٥) الغُمر: الرجل الذي لم يجرب الأمور.
(٦) شلاّ: أي شلاء من الشلل.
(٧) الوابل: المطر الكثير.
(٨) الطل: أضعف المطر.
(٩) القلا: الهجر والبغض.
(١٠) هذا الأولى: إشارة للندم والتوبة. وهذا الثانية: إشارة إلى الموت.

ومـــــــآتيــــــمٌ إذا فكَّـــــر ت فيهــــــــا وقبـــــــــورُ

يا من شاب وما تاب ولا أصلح! يا مُعرِضاً عن ما يؤدي إلى الأصلح، ليتَ شعري بعد الشباب بماذا تفرح؟! ما أشنعَ الخطايا في الصِّبا وهي في الشيبِ أقبح، إذ نزل الشيبُ ولم يَزُلِ العيبُ فبعيدٌ أن يبرح.

(للبحتري)[1]:

وإذا تكـامـلَ للفتـى مـن عُمْـرِه خمسونَ وهو إلى التُّقَى لا يَجْنَحُ[2]
عَكَفَـتْ عليـه المخـزيـاتُ فمـا لـه متـأخَّـرٌ عنهـا ولا مُتَـزَحْـزَحُ[3]
وإذا رأى الشيطـانُ[4] غِـرَّةَ وجهـهِ حَيَّـى وقـال: فَـدَيـتُ مَـنْ لا يُفْلِحُ

إخواني! فتّشوا أحمالَ الأعمالِ قبلَ الرحيل ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، يا مطْلِقي النواظر في محرّم المنظور ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]، لا يغرنكم إمهالُ العصاةِ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥]، يا من عاهدناه من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، لا تحلَّنَّ عَقْد العهدِ بأنامل الزَّلل، فما يليقُ بشرفِ قدرك خيانة.

بِحُـــرمـــةِ الـــوُدِّ الـــذي بيننـــا لا تُفْسِـــدِ الأوّلَ بـــالآخـــرِ

اذكر ملازمةَ المطالبةِ بالوفاءِ في أضيق خناق، يا منكر ويا نكير انزلا إلى الخارج من بساتين الأرواح فانظرا، هل استصحبَ وردةً من اليقينِ أو شوكةً من الشك؟.

قِفوا سَـائِلوا بـانَ العقيـقِ هل الهـوى على مـا عَهِدنـا فيـه أم حـالَ حالُـهُ؟

استنكها فمه الذي قال به: ﴿بَلَىٰ﴾ يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؛ هل غيَّر طيبه طولُ رقادِ الغفلةِ؟ هل أنجاسُ زللِه مما يدخلُ قليلُها تحتَ العفوِ؟ هل معرفتُه في قليبِ قلبه

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٤٨٢.
(٢) في الديوان: «وإذا مَضَى لِلْمَرْءِ مِنْ أَعْوَامِهِ * خَمْسُونَ وَهوَ عَنِ الصِّبا لَمْ يَبْرَحِ».
(٣) في الديوان: «عَكَفَتْ عَلَيْهِ المُخْزِيَاتُ وَقُلْنَ: قَدْ * أضحكتنا وسررتنا لا تبرح».
(٤) في الديوان: «إبليس».

يبلغُ قلتين؟ أنا مقيمٌ له على الوفاء في كلِّ حالٍ، فانظر إلى حاله هل حال[1]؟.

(لقيس المجنون):

ألا حبَّذا نجدٌ وطِيْبُ ترابِهِ وأرواحُه إنْ كان نجدٌ على العهدِ
ألا ليتَ شعري عن عُوَيْرِضَتَيْ قبا بطولِ الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن عَلْوِيَّاتِ الرياحِ إذا جرتْ بريحِ الخُزامى هل تهبُّ على نجدِ

المعرفة غرسٌ في القلب، والتذكار ماء، ومتى جفّتِ المياه عن الغروس جفت، شجراتُ ﴿أَلَسْتُ﴾ تسقى من مياه «**هل من سائل؟**»[2].

إذا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نَزُوْرُكُمُ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيْكُمْ فَنَعْتَذِرُ

العقلُ ما ينسى إنّما الحسُّ مغفل، سببُ النسيانِ أمراضٌ من التخليطِ، في مطاعم الهوى عَقَدتْ بُخاراً في هام الفهمِ، فإذا عالجها طبيبُ الرياضةِ تحلّلتْ فذكر ما نسي من عهد ﴿أَلَسْتُ﴾.

قيل لذي النون: أين أنت من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾؟ قال: كأنّه الآن في أذني.

(لمهيار)[3]:

سلْ أبرقَ الحنان واحبس به أينَ ليالينا على الأبرقِ؟
وكيفَ باناتٌ بسقط الهوى ما لم يَجُدها الدمعُ لم تورقِ؟
هل حملَتْ لا حملَتْ بعدنا عنك الصَّبا عَرْفاً لمستنشقِ؟
يا سائقَ الأظعانِ رفقاً وإن لم يُغنِ قولي للعَسوفِ: ارفقِ
لولا زفيري خلفَ أجمالهم وحرُّ أنفاسيَ لم تنشقِ
سمَّيتَ لي نجداً على بُعْدِها يا وَلَهَ المُشْئِمِ[4] بالمُعْرِقِ[5]

* * *

---

(١) **حال**: تغيّر.
(٢) حديث شريف رواه الإمام أحمد في (المسند)، ومسلم.
(٣) في قصيدة يهنئ بها عميد الدولة أبا طالب بالعيد. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٧٧.
(٤) **المشئم**: الذي يأتي الشام، من أشأم.
(٥) **المعرق**: الذي يأتي العراق، من أعرق.

الفصل الرابع والخمسون

أيها القائمُ على سُوق الشهوات في سُوق الشبهات[١]، ناسياً سَوْقَ[٢] المُلِمّات إلى ساقي الممات، إلى كم من الخطأ بالخطواتِ إلى الخطيئات، كم عاينتَ حيّاً فارق حيّاً![٣] وكفّاً كُفَّتْ بالكِفات![٤].

(للشريف الرضي)[٥]:

ما أقلَّ اعتبارَنا بالزّمانِ ... وأشدَّ اغترارَنا بالأماني
وقفاتٌ على غُرورٍ وأقدا ... مٌ على مَزلقٍ من الحدَثانِ
في حروبٍ من الردى وكأنا ... اليومَ في هُدنةٍ مع الأزمانِ
وكفانا مُذكّراً بالمنايا ... عِلْمُنا أننا من الحيوانِ
كلُّ يومٍ رزيةٌ في فلانٍ ... ووقوعٌ من الردى بفلانِ
قل لهذي الهَوَامِل استوثقي ... للسيرِ واستبدلي[٦] عن الأعطانِ
واستقيمي قد ضمَّكِ اللَّقَمُ النهجُ ... وغَنّي وراء كَالحاديانِ
كم مَحيدٍ عن الطريقِ وقد صر ... رَح خَلْجُ[٧] البُرَى[٨] جَذْبُ العِنان[٩]
هل مجيرٌ بذابلٍ أو حُسام ... أو معينٌ بساعدٍ أو سنانِ
قد مررنا على الديارِ خشوعاً ... ورأينا البِنا فأين البَاني

(١) سُوق الأولى: جمع ساق. والثانيةُ: مكان البيعِ والشراءِ.
(٢) سَوق: قيادة.
(٣) حياً الأولى: الإنسان الحي. وحياً الثانية: الحي والمكان الذي يعيش فيه الإنسان.
(٤) كُفت: منعت. الكِفات: الموضع الذي يكفت فيه، أي يضم، وهو إشارة للقبر.
(٥) قاله يرثي صديقاً له من بني العباس، هو ابن الإمام المنصوري، الذي توفي سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٥٩.
(٦) في الديوان: «واستنشزي».
(٧) خلج: جذب وغمز.
(٨) البُرَى: جمع بُرَة، وهي حلقة تجعلُ في أنف البعير.
(٩) العنان: سير اللجام. وفي الديوان: «العران».

أين ربُّ السديرِ[١] والحيرةِ[٢] البيضاءِ ... أم أيــنَ صــاحِــبُ الإيــوانِ[٣]
والسيــوفُ الحــدادُ مــن آلِ بــدرٍ ... والقنــا الصُّــمُ مــن بنــي الــريّــانِ
ليــس يبقــى علــى الـزمــانِ جَـرِيءٌ ... فــي إبــاءٍ وعــاجــزٌ فــي هَــوَانِ

يا عاصياً بالأمسِ أين الالتذاذ؟ يا مُطالَباً بالجُرْمِ أين المعاذ؟ يا مُتَمسّكاً بالدنيا وحبلُها جُذاذ[٤]، ما راعتْ مَنْ راعتْ من المحبين ولا الشذّاذ، بل ساوت في الهلاك بين الفقيرِ وكسرى بن قُبّاذ، تخلّص من أسرِها قبل أن يعِزَّ الإنقاذ، وقبل أن تجري دموعُ الأسى بينَ وَبْلٍ ورذاذ، إذا نبذوكَ في القبرِ انتبذوا أيَّ نَبْذٍ وأيِ انتباذ، فتذكّر ضمةً ما نجا منها **سعدُ بن معاذ**، ألا يلينُ القلبُ؟ أصخرٌ أم فولاذ؟ تدّعي العجزَ عن الطاعةِ وفي المعاصي أستاذ، وتؤثِرُ ما يفنى على ما يبقى وأنت ابن بغداذ[٥].

يا مستلَباً عن أهلِه ومالـه! يا خالياً في القبر بـأعماله! ليته خـلاّك ما منـه تخليت، ليته ولّى عنك إثمُ ما عنه توليت، وا أسفاً من حالة حيلتُها ليت.

وكــلُّ غنــيٍّ يتيــهُ بــهِ غنــاهُ ... فمــرتجَــعٌ بمــوتٍ أو زوالِ
وَهَبْ جَدِّي[٦] زوى لي الأرضَ طيّاً ... أليسَ المـوتُ يطـوِي مـا زوى لـي

إذا اخضرّ الربيعُ ناحَ الهزارُ، ونَدب القُمْري[٧] وأنت تعتقده غناء، إنّما هو بكاء على انتظارِ التكديرِ، ولا يغرنّك صفو العيشِ، فالرسوبُ في أسفلِ الكأسِ، مَنْ لم يسمعْ كلامَ الصامتِ، ولم يسمع عبارة الجامد[٨]، فليس بفطنٍ.

---

(١) **السدير**: بناء، فيه قبة في ثلاث قباب متداخلة.
(٢) **الحيرة**: بلد ملكها النعمان بن المنذر، وفيها القصور البيضاء.
(٣) **الإيوان**: قصرٌ عظيمٌ لكسرى، ورد أنه ارتجّ فسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفةً مع علامات أخرى ليلة مولد الرسول ﷺ. انظر: الإصابة، لابن حجر: ٦ / ٥٢٤، برقم (٨٩٣٤).
(٤) **جذاذ**: مقطوع.
(٥) **بغداذ**: اسم من أسماء بغداد. ويقال: تبغدد عليه: زها وتكبر.
(٦) **جَدِّي**: حظي.
(٧) **القُمري**: طائر حسن الصوت.
(٨) **الصامت من المال**: الذهب والفضة. **والجامد**: الحد بين الأرضين والدارين، إشارة إلى عالم القبر، لأنه الحد الفاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

قال (**أحمد بن أبي الحواري**): رأيتُ شابّاً قد انحدرَ عن مقبرةٍ، فقلتُ: من أين؟

فقال: من هذه القافلة النازلة.

قلت: وإلى أين؟.

قال: أتزوّدُ لألحقها.

قلت: فأيَّ شيءٍ قالوا لك؟ وأيَّ شيء قلتَ لهم؟.

قال: قلتُ: متى ترحلون؟ فقالوا: حتى تَقْدُمون.

وكم مِنْ عِبْرةٍ أصبحتَ فيها ... يلينُ لها الحديدُ وأنتَ قاسِ
إلى كم والمعادُ إلى قريبٍ ... تُذكَّرُ بالمعادِ وأنتَ ناسِ

ويحك تلَمّحْ عاقبتَك بعينِ عقلكَ فإنَّها سليمةٌ مِنْ رَمَد، العقلُ مُحْتَسب، إذا وقع بميزانِ الهوى كسر العَلاقة.

يا صبيان التوبة! قد عرفتم شرورَ أعطانِ الهوى، فرحلتم طالبين ريفَ التقى، فحثوا مطايا الجدّ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، كلّما شَرُفَ المطلوبُ طالت طريقه.

الهرة تحمل خمسينَ يوماً، والخنزيرةُ أربعة أشهرٍ، والخفُّ[١] والحافرُ[٢] سنةً، فأما الفيل فسبعُ سنين، عمومُ الشجر يحمل في عامه، والصنوبر بعد ثلاثينَ سنة، شرفُ النسل يوجِبُ القِلّة، الشاةُ تلد واحداً أو اثنين، والخنزيرةُ تلدُ عشرين.

وأمُّ الصقر مُقلاّت نَزُور[٣]

يا هذا! ينبغي أن تكون همتك على قدرك، ولك قدر عظيم لو عرفته.

---

(١) **الخف**: مجمع فرسن البعير، وقد يكون للنعام.

(٢) **الحافر**: واحد حوافر الدابة، وهو للخيل، وفي الحديث: **«لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر»**.

(٣) هذا عجز بيت صدره: «بغاثُ الطيرِ أكثرُها فراخا».

إنما خُلِقَتِ الداران لأجلك، أمّا الدّنيا فَلِتَتزوّدَ، وأما الأخرى فَلِتَتوطن، أفتراك تعرف مكانة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، أو قيمةَ﴿ يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، أو مرتبةَ «وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً»(١).

تشاغلتمُ عنّا بِصُحْبَةِ غيرنا

إذا صعدت الملائكةُ عن مجلس الذكر، قال الحق: «أين كنتم، **فيقولون: عند عبادٍ لك يسبحونك ويمجدونك، فيقول: ما الذي طلبوا ومما استعاذوا؟...**»(٢).

يـا مَـنْ يُسـائِـلُ عنّـي القـادميـنَ إذا ... ما كنْتَ بي هكذا صبّاً فكيفَ أنا؟

يا من كان في رفقة ﴿ تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦]، فصار اليومَ في حزب أهل النوم.

(للشريف الرضي)(٣):

يـا ديـارَ الأحبـابِ كيـفَ تغيّـرتْ ... ويـا عهـدُ مـا الـذي أَبـلاكَـا؟
هل تولى(٤) الذين عهدي بهم فيك ... علـى عهـدهـم وأيـن أولاكـا؟
الـذّميـلَ الـذميـلَ(٥) يـا راكـبُ إنّـي ... لضميـنٌ أن لا يخيـبَ سُـراكـا

يـا هذا! لا تجزع من ذنـبٍ جرى، فَـرُبَّ زلّـةٍ أورثتْ تقويماً، **«لـو لـم تذنبوا...»**(٦).

مَـنْ لـم يَـذُقْ مـرارةَ الفـراقِ ... لـم يـدْرِ مـا حـلاوةَ التـلاقـي

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً، ولكن ذكره الديلمي في (مسند الفردوس) من حديث أبي الدرداء دون أن يذكر له سنداً.

(٢) روى هذا الحديث بألفاظ متقاربة الإمامان البخاري ومسلم.

(٣) قاله في مدح بهاء الدولة عام (٣٩٧هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٩٩-١٠٢.

(٤) في الديوان: «أولاك».

(٥) **الذميل**: ضرب من السير السريع.

(٦) رواه أحمد في (مسنده) والترمذي والطبراني، وحسنه السيوطي.

ما لم يقع سهمٌ في مَقْتلٍ فالعلاجُ سهلٌ. انحناءُ القوسِ ركوعٌ لا اعوجاجٌ، كانت محبّةُ آدمَ للحبيبِ أصليّةً، وتعبُّدُ إبليسَ تكلُّفاً، والعِرْقُ نزّاع ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، وإنّما يعالَجُ الرَّمِدُ لا الأكمه[١].

تأمّلوا خسة همّة إبليس إذ رضي بعدَ القرب من السدة بالتقاط القُمامة ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الحجر: ١٨]، إنه ليهجمُ على ساحةِ الصَّدْرِ، فيأخذُ في حديثِ الوسوسةِ، فيصيحُ به حراسُ الإيمان من شرفات قصر «ويسعني»، فيرجع بلقب الخنّاس.

فضائل بني آدم خفيتْ على الملائكة يوم ﴿أَنۢبِئْهُم﴾ [البقرة: ٣٣]، فكيف يعرفها إبليس؟!.

صعد إلى السماء منّا إدريس وعيسى، وجالَ في مجالهم محمد ﷺ، ونزل منهم هاروت وماروت[٢]، وتديَّرَ[٣] عندنا إبليس، لو علم المُتَديِّرُ ما قد خُبِّئَ له من البلايا ما سأل الإنظار!.

كلّما غلبَ صاحبَ معصيةٍ، وجلسَ يَقسم[٤] في تقواه، صدرتْ عن التائبِ نشابةُ ندمٍ، فوقعت في صدرِ إبليس.

أعظم ما على إبليس مجلسي[٥]، ما من مجلس أعقِدُه إلا ويقلقُ لما يرى من النفع، واليومَ يُغشى عليه! ما علم أنَّ الجنةَ إقطاعنا، وإنما أُخرجنا عنها مسافرين، كُتُبُ ديارنا تصل إلينا، ورسائلنا تصل إليهم، ويا قرب اللقا!.

كان (فتحُ بن شخرف) يقول: قد طالَ شوقي إليك، فعجّلْ قدومي عليكَ.

(لمهيار)[٦]:

---

(١) الرمد لا الأكمه: الرمد من بعينه هيجان والتهاب، والأكمه من ولد أعمى.

(٢) سبق التعليق على قصة هاروت وماروت، وأنها لا أصل لها.

(٣) تديّر: صارت الأرض له داراً.

(٤) يقسِم في تقواه: يجزئ ويجفف.

(٥) مجلسي: أي مجلس الشيخ ابن الجوزي في الوعظ.

(٦) مطلع قصيدة كتبها إلى الرئيس أبي طالب بن أيوب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٦ ـ ٢٢.

تُمَــــدُّ بـــــالآذانِ والمنــــاخـــــرِ «الحـاجـرِ» أنَّـى لهـا «بحـاجـرِ»[1]؟
أرضٌ بهــا السـائـغُ مِــنْ رَبيعهــا وشــوقُهـا المكنـونُ فـي الضمـائـرِ
ســارتْ يمينــاً والغــرامُ شــامَــةٌ يا سِرْ بها يا «ابنَ الحُداة» ياسرِ[2]

* * *

(١) حاجر: في لغة العرب: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو أيضاً موضع قبل معدن النَّقرة، ومنزل من منازل الحاج في البادية.

(٢) في الديوان: «يا بن رواح».

الفَصْلُ الخَامِسُ والخَمْسُونَ

يا من شابَ وما تاب! أموقنٌ أنت أم مرتاب؟ مَنْ آمن بالسؤالِ أعدَّ الجواب.

فخُـــذْ للسيـــرِ أُهبتَـــه وبـــادِرْ   وجــوِّدْ جَمْــعَ رحْلِــكَ للــذّهــابِ
فقــدْ جَــدَّ الــرحيــلُ وأنــتَ ممَّــنْ   يسيــرُ علــى مُقــدَّمــةِ الــرِّكــابِ

أمَا أنذرك بياضُ الشَّمَط؟![1] أما يُبكيك قبحُ ما منكَ فرَط؟![2] إلى متى تجري في الهوى على نَمَط؟! إلى متى تُضيِّعُ وقتاً ما مثله يُلتقَط؟! لقد أحاطَ بك المنون وها أنتَ في الوسط، واستلَّ التَّلَفُ سيفَه عليك سريعاً واخترط[3]. يا من يهفو وينسى، والملَكُ قد ضَبَط. يا منفِقاً نِعَمَ المولى على العصيان ما هذا الشطط؟! امحُ باعترافِك قبحَ اقترافِكَ وقد انكشط، وقُمْ في الدُّجى والليلُ قد سجى، فربَّ عفوٍ هبط، قد نصحتُك بما أسمعتُك وقد أوقفتك على النُّقَط.

يا مغموراً بالنعم معدومَ الشُّكر، كلّما لَطَفنا بك قابَلْتنا بالمخالفةِ، إنَّه لا عَجَبَ، مِنْ تَرْكِ الشكر إنفاقُ النعم في مخالفة المنعم، هو العجبُ.

هذا عُودُ العنبِ يكون يابساً طولَ السنة، فإذا جاء الربيعُ دبَّ فيه الماء، فاخضَرَّ وخرجَ الحِصْرِمُ، فإذا اعتَصَرَ الناسُ منه ما يحتاجون إليه طول السنة، قُلِبَ في ليلة خَلاًّ، فبانقلابه يوجِبُ للعقلِ الدَّهَش من صنع صانعه، وقدرةِ خالِقه! فينبغي أن يُفَرغَ العقلُ للتفكر، فيأخذُ الجاهلُ العنبَ فيجعله خمراً، فيغطّي به العقلَ الذي ينبغي أن يَحسُرَ عن رأسِه قناعَ الغفلة ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣].

---

(١) الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده.
(٢) فرط: تقصير في الأمر وتضييع حتى فات.
(٣) اخترط: استل.

ويحك! قد أطعمتك إياه حِصرِماً وعنباً وزبيباً وخلاً، فدع الوصف الخامس لي[1]، فقد سمعتَ في كلامي ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

أيُّها الضالُّ في بادية الهوى، احذر من بئرِ بَوَار، وليسَ في كلِّ وقتٍ تتَّفِقُ سيارة[2].

ليل الصِّبا مرخى السُّدْفة[3]، وبخارُ الأماني يعقد دواخنَ الكسل، فانهضْ عن حِفْشِ[4] الكسل، واستنطق ألسن الحِكَم من موضوعاتِ المصنوعات، يُمْلِ عليكَ كَلِماً في دستورِه.

يا مقتولاً ما له طالب ثأر، بريد الموت مطلق الأعنّة في طلبك، وما يُخْفيك حصن.

ثوبُ حياتك منسوجٌ من طاقات[5] أنفاسك، والأنفاسُ تسلبُ ذرات ذاتك، وحركات الزمان قويةٌ في النَّسْج الضعيفِ، فيا سرعةَ التمزيق!.

آن الرحيلُ وما في مزادتك[6] قطرةُ ماء، ولا في مزود[7] عملك قبضةُ زادٍ، وقد أحَلْتَ ناقتَكَ على ما تلقى من العُشب، والجدْبُ عامٌّ في العام، ويحك عش ولا تغتر.

يا رابطاً مُناه بخيط الأمل! إنه ضعيف الفَتْل، صياد التلف قد بثَّ الصقور، وأرسل العُقْبان[8] ونصبَ الأشراك[9]، وقطع الجوَادَّ[10]، فكيف السلامةُ؟ تهيَّأ

---

(١) **الخامس**: أي الخمرة. لي: أي من أجل النهي الذي ورد عن الله.
(٢) **سيارة**: جماعة تسير في الصحراء.
(٣) **السُّدفة**: الظلمة.
(٤) **الحفش**: البيت الصغير.
(٥) **طاقات**: جمع طاقة وهي كُبة الخيطان.
(٦) **المزادة**: آلة يستقى بها الماء كالقربة.
(٧) **مزود**: وعاء الزاد.
(٨) **العقبان**: جمع عُقاب، من جوارح الطير وكواسرها.
(٩) **الأشراك**: جمع شَرَك، وهو الأحبولة تنصب للاصطياد، والفخ.
(١٠) **الجواد**: جمع جادة، وهو الطريق التي لا تخفى عليك، وهي معظم الطريق.

لصرعة الموت، وأشد منها قَلَتُ[1] القلب، فليت شعري إلى ماذا يؤول الأمر؟.

(للحارثي):

والله ما أدري أيغلبُني الهوى إذا جَدَّ جدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطعْ أَغْلِبْ وإن يَغلبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يغلبُ صاحِبَهْ

آهِ من تأوُّهٍ حينئذٍ لا ينفع، ومن عيونٍ صارت كالعيونِ ممّا تدمع.

(لمهيار)[2]:

ولمّا خلا التوديعُ مما حَذرْتُه ولم يَبْقَ إلا نظرةٌ تُغْتَنَمُ
بكيتُ على الوادي فحُرِمْت ماءَه وكيفَ يحلُّ الماءُ أكثرُه دَمُ؟

نُقْلَةٌ إلى غير مَسْكنٍ، وسفرٌ من غير تزودٍ، وقدومٌ إلى بلدٍ ربحٍ بلا بضاعة.

ولمّا تيقنا النوى لم يدعْ لنا مسيلُ غروبِ[3] الدمعِ جفناً ولا خَدّا
فلا صفوةٌ إلا وقد بُدّلتْ قذًى[4] ولا راحةٌ إلا وقد قُلِبتْ كَدّا
فوالله ما أدري وقد كنتُ دارياً أغوَّرَتِ[5] الأظعانُ أم طلبتْ نَجْدَا؟

يا لَساعةِ الموتِ ما أشدَّها، تتمنّى أن لو لم تكن عندَها، وأعظم المِحَنِ ما يكونُ بعدها...

ولم أنسَ موقِفَنا للوداع وقد حانَ ممنْ أُحبُّ الرحيلُ
ولم تَبقَ لي دمعةٌ في الشؤونِ[6] إلا غدَتْ فوقَ خدي تسيلُ

---

(١) قَلَت: القلت الهلاك.
(٢) الديوان: ٣/ ٣٤٤.
(٣) غروب: الغَرب عرق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع كالناسور، يقال: بعينه غرب إذا كانت تسيل ولا تنقطع دموعها، والغُروب: الدموع حين تخرج من العين، ومجاري الدمع.
(٤) قذى: ما يقع في العين من تراب دقيق وغيره، مفرده: قذاة.
(٥) غوّرت: دخلت في الغور ونزلت فيه، وهو ما انخفض من الأرض.
(٦) الشؤون: جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

فقـــالَ نصيـــحٌ مـــن القـــومِ لـــي وقـــد كـــادَ يـــأتـــي علـــيَّ الغَلِيْـــلُ:
تـــأَنَّ بـــدمعِـــكَ لا تُفْنِـــهِ فبيـــنَ يـــديـــكَ بكـــاءٌ طـــويـــلُ

تقسَّم الصالحون عند الموت، فمنهم من صابرَ هجيرَ الخوفِ، حتى قضى نحبه، كعُمَرَ، كان يقول عند الرحيل: «الويل لعُمَرَ إن لم يُغْفرْ له».

ومنهم من أقلقه عطشُ الحذرِ، فيبرده بماء الرجاءِ كبلالٍ، كانت زوجتُهُ تقول: «وا حَرَاباه»، وهو يصيح: «وا طرباه، غداً نلقى الأحبة محمّداً وحِزْبه»، علمَ بلالٌ أنَّ الإمامَ لا ينسى المؤذِّنَ، فمزجَ كربَ الموتِ براحة الرجاء في اللقاء.

بشَّـــرَهـــا دليلُهـــا وقـــالَ: غـــداً تَـــرَيْـــنَ الطَّلْـــحَ والجِبَـــالا

قال سليمان التيمي لابنه عند الموت: اقرأ عليَّ أحاديثَ الرُّخَص لألقى الله وأنا حَسَنُ الظنِّ به.

إلى متى تُتْعِبُ الرواحل؟ لابد من مَنَاخٍ.

رفقـــاً بهـــا يـــا أيُّهـــا الـــزاجـــرُ قـــد لاحَ سَلْـــعٌ ودنـــا حَـــاجِـــرُ[1]
فَخَلِّهَـــا تخلـــعُ أرســـانَهـــا علـــى الـــرُّبَـــى لا راعَهـــا ذاعِـــرُ
واذكـــر أحـــاديـــثَ ليـــالـــي مِنًـــى لا عُـــدِمَ المـــذكـــورُ والـــذاكِـــرُ

كان (أبو عبيدة الخواص) يستغيث في الأسواق وينادي: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

جـــاء بهـــا قـــالصـــةً عـــن ســـاقِ تحـــنُّ والجِنَّـــةُ للمشتـــاقِ
مـــا أولـــعَ الحَنيـــنَ بـــالنيـــاقِ تـــذكـــري رَمْـــلَ النّقـــى واشتـــاقـــي

* * *

---

(١) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية.

الفصل السادس والخمسون

يا مَنْ أيامُ عمُره في حياته معدودة! وجسمُه بعدَ مماته مع دودة!.

رأيتُكَ في النّقصانِ مُذْ أنتَ في المهدِ ... تقرّبُكَ الساعاتُ من ساعةِ اللَّحْدِ
ستضحَكُ سِنٌّ بعدَ عينٍ تعصَّرتْ ... عليكَ، وإن قالتْ: بكيتُ من الوَجْدِ
أتطمحُ أن يشجَى لفقدِكَ فاقدٌ ... لعلَّ سرورَ الفاقدينَ مع الفَقْدِ

يا من عمرُه يمضي بالساعة والساعة، يا كثيرَ التفريطِ في قليلِ البضاعة، يا شديدَ الإسرافِ يا قوي الإضاعة؛ كأنّي بك عن قليلٍ تُرمى في جوفِ قاعة، مسلوباً لباسَ القدرةِ وبأسَ الاستطاعة، وجاء منكر ونكير في أفظع الفظاعة، كأنّهما أَخَوان في الفظاظة من لبَان[1] الرضاعة، وأمسيتَ تجني ثمارَ هذي الزراعة، وتمنيتَ لو قَدرتَ على لحظةٍ لِطاعة، وقلت: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وما لكَ كلمةٌ مطاعة، يا متخلفاً عن أقرانه قد آن أن تلحقَ الجماعة.

يا ساهياً لاهياً عَمّا يُرادُ بهِ ... آنَ الرحيلُ وما قدَّمتَ مِنْ زادِ
ترجو البقاءَ صحيحاً سالماً أبداً ... هيهاتَ أنتَ غداً فِيمَنْ غَدا غادِ

مركبُ الحياةِ تجري في بحر البدنِ برُخاءِ الأنفاسِ، ولابد من عاصفٍ قاصفٍ [تفككه][2] وتُغرق الركاب.

حكمُ المنيةِ في البريةِ جارِ ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
جُبِلَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تريدُها ... صفواً من الأقذارِ[3] والأكدارِ
فاقضوا مآربَكم عِجالاً إنما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفارِ[4]

---

(١) اللبان: الرضاع، والحاجات من غير فاقة، جمع لِبانة.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في الديوان: «الأقذاء».
(٤) الأبيات لأبي الحسن علي بن محمد التهامي المقتول سنة (٤١٦هـ)، من قصيدة في غاية=

يا لُقَمَ الآجال! يا أشباه الرجال، أما تسمعونَ صريفَ أنيابِ الصروف[1]؟! كم غافل وأكفانُه عند القصّار ولِبْنُ قبره قد ضُرب.

يا سخنةَ[2] عينٍ قرّت بالغرورِ، يا خرابَ قلبِ عُمِّر بالمُنى، العمرُ زادٌ في بادية، يُؤخذُ منه، ولا يُطرح فيه.

يا من أجله يذوبُ ذوبانَ الثلج، توانيك[3] أبرد.

كان بعضُ من يبيع الثلجَ ينادي عليه: ارحموا من يذوبُ رأسُ ماله.

يا مؤخِّراً توبته حتى شابَ، خرج وقتُ الاختيار.

يا ابن السبعين لقد أُمهل المتقاضي، البدارَ البدارَ فنَقّاضُ البدنِ قد عَرْقَبَ[4] الأساس.

ولم يبقَ من أيامِ جَمْعٍ إلى منًى ... إلى موقفِ التجميرِ غيرُ أماني

بادرْ بالتوبةِ من هفواتك قبل فواتك، فالمنايا بالنفوسِ فَوَاتك.

أعجبُ خلائقِ الخلائق، محسِنٌ في ليل شبابه، فلمّا لاحَ الفجرُ فَجَر.

آه لموسمٍ فاتَكَ، لقد ملأ الأكياسُ الأكياسَ[5]، رَحَلت الربّاحة[6] فالْحَقْهُم في المنزل...

= الجودة، يرثي بها ولده. وقد طبع ديوانه، وطبعت مرثيته هذه في كتاب «بلوغ الأرب بشرح قصيدة من كلام العرب».

(١) **الصريف**: صوت ناب البعير، وإذا كان من الفحول فهو النشاط، وإذا كان من الإناث فهو من الإعياء. والصروف من الدهر: حدثانه ونوائبه.

(٢) **سخنة العين**: نقيض قرتها، أي: شقاؤها وحزنها.

(٣) **توانيك**: تكاسلك.

(٤) **عرقب**: يقال: عرقب الدابة: قطع عرقوبها، والعرقوب منها ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

(٥) **الأكياس الأولى**: العقلاء. **الأكياس الثانية**: الأوعية.

(٦) **الرباحة**: الرابح في التجارة.

وكَـمْ وقفـتُ وأصحـابـي بمنـزلـةٍ يبيـتُ يقظـانُهـا ولهـانَ[1] وهْـلاَنـا
فهـاجَنـا حيـن حيَّـانـا النسيـمُ بمـا سُقْنـاه يـومَ النقـا بـالجـزعِ أحيـانـا
نبكي وتسعدُنا كومُ[2] المطيِّ فهل نَحْـنُ المشـوقـونَ فيهـا أم مَطـايـانـا
فلا ومن[3] فطرَ الأشياءَ ما وَجَدَتْ كوَجْدِنا العيسُ[4] بل رقَّتْ لبلْوَانا

يا هذا! عقلُك يحثُّكَ على التوبةِ وهواكَ يمنعُ! والحرب بينهما، فلو جهزتَ جيشَ عزمٍ فرَّ العدو، تنوي قيامَ الليلِ فتنام، تحضرُ المجلسَ فلا تبكي، ثم تقول: ما السبب! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، عصيتَ بالنهار فنِمتَ بالليل، أكلتَ الحرامَ فأظلمَ القلبُ، فلما فُتِحَ بابُ الوصول للمقبولين طُردْتَ.

ويحك! فِكْرُ القلبِ في المباحات يحدِثُ له ظلمة، فكيف في تدبير الحرام؟!.

إذا غيّرَ المسكُ الماءَ مُنعَ التوضؤ به، فكيف النجاسة؟!.

متى تُفيقُ من خُمار[5] الهوى؟! متى تَنْتَهي من رُقادِ الغفلة؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يـا قلـبُ مـا أطـولَ هـذا الغـرام يـوم نـوى الحـيِّ ويـومَ المُقـامِ
متـى تَفيـقُ اليـومَ مـن لـوعـةٍ وأنـت نشـوانُ بغيـر المُـدامِ

أين أنتَ من أقوامٍ كُشِفتْ عن أبصارِ بصائِرهم أغطيةُ الجهلِ؟ فلاحتْ لهم الجادةُ، فجَدُّوا في السلوك.

كان (مسروق) يصلي حتى تتورم قدماه، فتقعد امرأته تبكي مما تراه يصنُع بنفسِه.

---

(١) **ولهان**: من الوله، وهو الحزن وذهاب العقل. **ووهلان**: من الوهل، وهو الضعف والفزع.
(٢) **كوم**: جمع كوماء، وهي الناقة مشرفة السنام عاليته.
(٣) **ومن فطر الأشياء**: هذا قسم بفاطر الكون سبحانه.
(٤) **العيس**: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.
(٥) **خمار**: بضم الخاء، بقية السكر.
(٦) من قصيدة طويلة قالها في ذم الزمان في عام (٣٩٢هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣١٣ـ٣١٧.

أُمسي وأُصبحُ من تذكاركُمْ قَلِقاً   يَرْثي ليَ المُشفِقانِ: الأهلُ والولدُ
قد خدَّدَ الدمعُ خدِّي من تذكُّركُمْ   واعتادني المُضنيانِ: الشوقُ والكَمَدُ
وغابَ عن مقلتي نومي فنافرَها   وخانني المُسْعِدَانِ: الصبرُ والجلدُ
لا غَرْوَ للدمعِ أن تجري غواربُه[1]   وتحته الخافقان: القلبُ والكَبِدُ
كأنما مُهْجتي نِضْوٌ[2] بَبَلْقَعةٍ   يعتادُه الضاريان: الذئبُ والأسدُ
لم يبقَ إلا خَفِيُّ الروحِ من جسدي   فِداؤك الباقيانِ: الروحُ والجَسَدُ

يا هذا أولُ الطريق سَهْل، ثم يأتي الحَزن[3].

في البِداءة إنفاقُ البدن، وفي التوسط إنفاقُ النفس، فإذا نزل ضيفُ المحبةِ تناولَ القلبَ فأملق[4] المنفق.

قلقُ القومِ بلا سكون، انزعاجهم بلا ثبات، حلَفتْ جفونُهم على جفاء النوم، فلو سمِعْتَ ضجيجَهم في دياجي الليل.

مَنْ لقلبٍ يألفُ الفِكر   ولعينٍ لا تذوقُ كَرَى
ولِصَبٍّ بالغرامِ قَضَى   ما قَضَى من حُبِّكمْ وَطَرا

أُحْصِرَ القومُ في سبيلِ المحبةِ، فأقعدتْهم عن كلِّ مطلوب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

رأيتُ الحبَّ نيراناً تَلَظَّى   قلوبُ العاشقينَ لها وَقودُ
فلو كانت إذا احترقتْ تفانَتْ   ولكنْ كلَّما نَضِجَتْ تعودُ

لاحتْ نارُ ليلى ليلاً فنهض المجنونُ، فخَبَتْ فضَلَّ، فضَجَّ.

ردُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحَشا   والمقلتين إلى الكَرَى ثم اهجروا

* * *

(١) غواربه: الغرب: الدلو العظيمة، وعِرق في العين أو في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع.
(٢) النضو: البعير المهزول.
(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.
(٤) أملق: افتقر.

الفَصْلُ السَّابِعُ والخمسُونَ

إخواني! قد كفَتِ الكِفاتُ[1] في العبر، ووعَظَ من غَبَر من عبَر، وقد فَهِمَ الفَطِنُ الأمرَ وخَبَر، وما عند الغافل مِنْ هذا خبر.

يـــا أيهـــا النـــاسُ أيـــنَ أولُكـــم ... أَمَـــا أتـــاكُـــمْ للـــذاهبيـــن خَبَـــرْ
اعتبـــروا فـــالمقـــدَّمُـــون خَلَـــوا ... وكلُّهـــم للمـــؤخَّـــريـــن عِبَـــرْ
تعبـــرُ بـــالمِصْـــرِ عـــابـــراً فـــإذا ... ســـألـــتَ عمَّـــنْ تـــودُّ قيـــل عَبَـــرْ
اصبر على العُسْرِ في الزمانِ فكَمْ ... عُسْـــرٌ ويُسْـــرٌ أتـــاك ثمـــتَ مَـــرْ
والصبـــرُ أولـــى بكـــلِّ مَـــنْ صحِـــبَ ... العيشَ، ومـن جرَّبَ الـزمـانَ صَبَـرْ
يَـــرفـــعُ شـــأنَ الكـــرامِ فعلُهُـــمُ ... والفعـلُ إن خـالـفَ الجميـلَ حُـذِرْ
كـادتْ شخـوصٌ فـي الأرضِ بـاليـةٌ ... تنطِـــقُ حقّـــاً إذا المَقـــالُ غَـــدَرْ
بـــالأمـــسِ كُنَّـــا مـــن الأنـــامِ فـــأمّـــا ... اليـــومَ فـــي تُـــربِنـــا فَنَحـــنُ مَـــدَرْ

ابكِ على نفسك قبل أن يُبكَى عليك، وتَفكَّرْ في سهمٍ قد صُوِّب إليك، وإذا رأيتَ جِنازةً فاحْسِبْها أنتَ، وإذا عاينتَ قبراً فتوهَّمْه قبركَ، وعُدَّ باقي الحياة ربحاً.

(لِمُتَمِّمِ بن نُوَيرة):

لقـد لامنـي عنـدَ القبـورِ علـى البُكـا ... رفيقـي لتـذرافِ الـدمـوعِ السـوافـكِ
فقـــال: أتبكـــي كـــلَّ قبـــرٍ رأيتَـــه ... لقبـرٍ ثـوى بيـن اللِّـوى والـدكـادِكِ
فقلتُ له: إنَّ الشَّجا يبعثُ الشجا ... فَـدَعْنـي، فهـذا كلُّـه قبـرُ مـالـك

يا بعيدَ التيقُّظِ والموتُ منه قريب! يا من هو عمّا قليلٍ في القبور غريب!

---

(١) **الكفات**: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويقبض، ومنه قولهم للمنازل: كفات الأحياء، وللمقابر: كفات الأموات.

يا راكباً بحرَ الهوى وفي يديه جنيب[١]، يا مارّاً على وجهِه قل لي متى تُنيب؟ ألا تأخذُ قبل الفوْتِ بعضَ النصيب؟ ألا تتزودُ ليومٍ شرُّه شرٌّ عصيب؟ ألا تخرجُ عن وادي الجدب إلى الربع الخصيب؟ أحاضر أنت؟ قل لي: ما أكثرَ ما تغيب! ألا مريضٌ لبيبٌ يقبَلُ رأيَ الطبيب؟!.

إنَّ الرحيل بلا عُدَّةٍ فج، فكيف به على بعد الفج[٢]؟! أَحْرِمْ عن الحرام، وقدِّرْ أنّه حَجٌّ، واسكُبْ دموعَ الأسى واحسبه ثج[٣]، واستَغِثْ من الزلل ومَثِّلْهُ العَجّ[٤]، وبادروا فقد تفوتُ الوقفةُ أهلَ وَجّ[٥]، اقبل نصحي فمثل نصحي لا يُمَجُّ، كم فَهِمَ وَعْظي ذو فطْنةٍ فهَجّ[٦].

يا من يقول: إذا شئتَ تبتُ.

اليـوم عهْـدُكُـمُ فـأيـنَ المـوعـدُ هيهـاتَ ليـسَ ليـومِ عهـدِكـمُ غَـدُ

إن خرجتَ اليومَ ولم تَتُبْ، خرجْتَ من أولي الفهم.

لأي مَـرْمَـى تـزجُـر الأيـانِقـا[٧] إنْ جـاوزَتْ نجـداً فلسـتَ عـاشقـا

وقوعُ الذنبِ على القلبِ كوقوع الدُّهن على الثوبِ، إن لم تُعجّل غسلَه، وإلا انبسطَ [﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ [النساء: ٧٢].

يـــدي فـــي قـــائـــمِ العضـــبِ[٨] فمـــا الإبطـــاءُ بـــالضـــربِ

ما دامتْ نفسُك عند التوبيخ تنكسرُ، وعينُك وقتَ العتابِ تدمعُ، ففي قلبِكَ

---

(١) جنيب: المقود إلى الجنب من الخيل وغيرها.
(٢) الفج: الطريق الواسع.
(٣) ثج: إراقة الدماء في الحج.
(٤) العج: رفع الصوت بالتلبية.
(٥) وج: اسم واد في الطائف.
(٦) فهج: ثار في غفلته وتنبه.
(٧) الأيانقا: جمع نوق.
(٨) العضب: السيف.

بَعدُ حياةٌ، إنّما المعاصي أوجبتْ سكْتَةً، فأنشِقْ][1] هواكَ حُرَّاق التخويفِ وقد عَطَس.

يا من قدْ أبعدتْهُ الذنوبُ عن ديارِ الأنسِ، ابكِ وطرَ الوطنِ عساكَ تُرَدُّ.

قال بعض السلفِ: رأيتُ شاباً في سفح جبلٍ عليه آثارُ القلقِ، ودموعُه تتحادرُ، فقلت: من أين؟.

فقال: آبقٌ من مولاه.

قلت: فتعود فتعتذر.

فقال: العذرُ يحتاجُ إلى حُجَّةٍ، ولا حجةَ للمفرِّط.

قلت: فتتعلق بشفيعٍ؟.

قال: كلُّ الشفعاء يخافونَ منه.

قلت: مَنْ هو؟.

قال: مولًى ربَّاني صغيراً فعصيتُه كبيراً، فوا حيائي من حسنِ صنعه وقبحِ فعلي.. ثم صاح فمات، فخرجت عجوزٌ فقالت: مَنْ أعانَ على قتل البائس الحيران؟.

فقلت: أقيمُ عندَك أُعينك عليه، فقالت: خلِّهِ ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراهُ بغيرِ مُعينٍ فيرحَمَه.

بـالله عليـكَ يـا فتـى الأعـرابِ إنْ جُـزْتَ علـى مـواطـنِ الأحبـابِ
فـاشـرحْ سَقَمِـي وقـلْ لهـم عَمّـا بـي ذاك المضنـى يمـوتُ بـالأوصـابِ

أيُّها التائبون بألسنتهم، ولا يدرون ما تحت نطقهم، لا يُحْكَمُ بإقراركم ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة من (ب). وأنشق: النشوق: السعوط، والعاطوس: ينشق في الأنف سالته، وهز الدماغ، وهنا يجعل الهوى أنفاً دعاه فيه إلى إشباعه بسعوط الخوف عسى أن يمسه عطاس فيحمد ويشمت ويستقم.

متى صَدَقَتْ توبةُ التائب بنى بيت التعبد بصخور العزائم، ولم ينته في أساسِه دون الماء.

ما ضُرب بسيف العزيمة قط إلا قط[1].

التوبةُ الصادقةُ تقلعُ آثار الذنوب.

إذا قرئ على التائب عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ذكر الإقرارَ، وعرف الشهودَ، فخجِلَ من الخيانة، فجرتِ العينُ، وأطرقَ الرأسُ، إنَّ التائبين كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرونَ الجوابَ.

يا حاديَ الأظعانِ عُجْ متوقفاً   وانظر دَمَ العُشّاقِ كيف يراقُ
صبروا على أَلمِ التهاجُرِ والقِلى   وتجرَّعوا مُرَّ الفِرَاقِ وذاقوا

يا معاشر التائبين مَنْ أقامكم وأقعدنا؟! مَنْ قرَّبكمُ وأبعدنا؟! ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، قفوا لأجل زَمِنٍ، ارحموا مَن قد عُطِب.

ردُّوا المطايا وإلا رَدَّها نَفَسي   وأدمُعي فهما سَيْلٌ ونيرانُ
يا سائقَ الظعنِ قلبي في رحالهمُ   أمانةٌ رعْيُها والحفظُ إيمانُ

يخيّلُ لي أنَّ الحيطانَ تبكي معنا، وأنَّ النسيمَ قد رقَّ لحزننا.

فلا وَمَنْ فَطَرَ الأشياءَ ما وجَدَتْ   كَوَجْدِنا العِيْسُ بل رقَّتْ لبلوانا

ما أحسنَ هؤلاء التوَّاب! ما أذلّ وقوفهم على الباب فاعتبروا يا أولي الألباب.

بما بيننا من حرمةٍ هل رأيتمُ   أرقَّ من الشَّكوى وأقْسَى مِنَ الهَجْرِ
وأفضحَ من عينِ المحبِّ لسرِّه   ولا سيَّما إن أَطْلقتْ عبرةً تجري

وجوههم أضوأُ من البدر، جباهُهم أنورُ من الشمسِ، نَوحُهم أفضلُ من

---

(١) قط الأولى: ظرف لما مضى من الزمان. وقط الثانية: انقطع.

التسبيحِ، سكوتُهم أبلغُ من فصيحٍ، لو علمتِ الأرضُ قدرَ خوفهم تزلزلتْ، لو سمعتِ الجبالُ ضجيجهم تقلقلت.

(لابن المعتز):

اسقنـــي فـــاليـــومَ نشـــوانُ[1] والـــرُّبـــى صـــادٍ[2] وريّـــانُ
ونـــدامَـــى كـــالنُّجـــوم سَطَـــوْا بـــالمُنـــى، والـــدّهـــرُ جـــذلانُ
خطـــروا، والسُّكـــر ينفضُهـــم وذيـــــولُ القـــــومِ أردان

كلّما رأيتُ تقلقُل التائبين تقَلْقَلَ قلبي، وإذا تلمَّحْتُ اصفرارهم تبلبل لُبي، وإذا شاهدتُ دموعَهم زادَ كربي، وإذا سمعْتُ حنينَهم تبدَّدَ ماءُ عيني.

مـــا نـــاحَ فـــي البـــانِ الحَمـــامُ إلا وَرَنَّحَنِـــــي الغَـــــرَامُ
فكـــأننـــي ثَمِـــلٌ تَمشَّـــتْ فـــي مفـــاصلِـــهِ المُـــدام[3]
ومـــا لـــي وبـــانـــاتِ الحِمَـــى لـــولا الصَّبـــابـــةُ والهُيـــامُ

* * *

(١) نشوان: سكران وجَذِل.
(٢) صاد: ظمآن.
(٣) المدام: الخمر.

الفصل الثامن والخمسون

ما زالت المنونُ ترمي عن أقواس، حتى طاحت[١] الجسومُ والأنفس، وتبدلت النِّعَمُ بكثرة الأبؤس، واستوى في القبورِ الأذنابُ والأروُس، وصار الرئيسُ كأنّه قطُّ لم يروُس.

قُلْ للمفرِّطِ يستعد ... ما مِنْ ورودِ الموتِ بُدُّ
قد أخلقَ الدَّهرُ الشبابَ ... وما مَضَى لا يُستَرَدُّ
فإلامَ يشتغلُ الفَتَى ... في لَهْوِه والأمرُ جِدُّ
والعمرُ يقصرُ كلَّ يومٍ ... بي وآمالي تُمَدُّ

لقد وعظَتِ الدُّنيا فألغَتْ وقالتْ، ولقد أخبرَتْ برحيلها قبل أن يُقال: زالتْ، وما سقطَتْ جُدرانُها حتى أنذرتْ ومالت.

قَرُبَ الاغترابُ في التُّراب، ودنا سَلُّ السيفِ من القِراب، كم غنَّت ربابُ برباب[٢]، ثم نادت على البابِ بتباب[٣].

يا من زمانُه الذي يمضي عليه: عليه، يا طويلَ الأملِ وهو يرى الموتى بعينيه! يا مَنْ ذنبُه أوجبَ أن لا يُلتفتَ إليه، قد مُزِجتْ لكَ كأسُ كُربة، ولا بُدَّ واللهِ من تلك الشَّرْبة، يا منقولاً بعد الأُنسِ إلى دارِ غُربة، يا طينَ تربةٍ وهو يطلبُ في الدنيا رتبة، هذا مجلس (ابن زيد) فأين (عُتبة)؟.

أتلهو برَنْدِ الصَّبا وبَانِه؟ ويروقُكَ برقُ الهوى بلَمَعانِه، وتغتَرُّ بعيش في عُنْفوانه، فتمدُّ يدَ الغفلة إلى جَنْي أغصانِه، وتنسى أنَّك في حريمِ خطره وامتحانِه، أما لُقْمةُ أبيك[٤] أخرجَتْه من مكانِه؟ أما نودي عليه بالفطر في رَمَضانه؟ أما شأنه

---

(١) طاح: هلك وسقط.
(٢) رباب: آلة وترية ذات وتر واحد.
(٣) تباب: هلاك.
(٤) يشير إلى أكلة آدم عليه السلام من الشجرة.

شانه[١] لولا وَكْفُ شانه[٢]؟ أما يُسْتدلُّ على نارِ العقابِ بدخانه؟.

نزل آدمُ عن مقام المراقبةِ درجةً فنزَل، فكان يبكي بقيةَ عُمرِه ديار الوَفا، بردُ النفسِ بالهوى لحظةً أثمرَ حرارةَ القَلقِ ألف سنة، فاعتبروا، سالت من عينيه عيون، استحالت من الدماء دموع، شغلته عن لذات الدُّنيا هموم.

(لمهيار)[٣]:

هـل بعـدَ مُفتـرقِ الأظعـانِ مجتَمَـعُ ... أم هل زمـانٌ بهم قد فـاتَ مرتَجَعُ
تحمَّلـــوا تَسَـــعُ البيـــداءُ ركبَهُـــمُ ... ويحمِلُ القلبُ منهم فـوقَ ما يَسَـعُ
الليــلُ بعــدهُــمُ كــالهَجْـرِ متصــلٌ ... ما شـاء والنومُ مثلُ الـوصلِ منقطِعُ
أشتـاق نَعمْـانَ لا أرضـى بـروضتِـه ... داراً، وإن طـابَ مُصْطـافٌ ومـرتَبـعُ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكةَ تنزلُ، تذكّرَ المُرتَبَع في الرَّبْع، فتأخذُ العينُ في إعانة الحزين.

رأى بـارقـاً مـن نحـو نجـدٍ فـراعَـه ... فباتَ يَسُحُّ الدّمعَ وجداً على نجدِ
هل الأعصرُ اللاتي مضيْنَ يعُدنَ لي ... كما كُـنَّ لي، أَمْ لا سـبيلَ إلى الـرَّدِّ

ما أمَـرَّ البُعدَ بعد القربِ، ما أشدَّ الهجْرَ بعد الوصلِ، يا مطـروداً بعد التقريب، أبلغُ الشافعين لكَ البُكاء.

(للمتنبي)[٤]:

وكيف التذَاذي بالأصائلِ والضُّحى ... إذا لـم يَعُـدْ ذاك النسيـمُ الـذي هبّـا
ذكـرتُ بـه وصـلاً كـأنْ لـم أفُـزْ بـهِ ... وعَيْشـاً كـأنّـي كنـتُ أقطعُـه وثْبـا

كان لقوم جارية، فأخرجوها إلى النَّخاس، فأقامت أياماً تبكي، ثم بعثت

---

(١) شانه: عابه.
(٢) وكف: سيل الدمع. شانه: مجرى دمعه، وقد خففت الهمزة فيها فيقال: شانه.
(٣) مطلع قصيدة يصف فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٨١ ـ ١٨٤.
(٤) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة. انظر: الديوان، شرح العكبري: ١/ ٥٧.

إلى ساداتها تقولُ: بحرمةِ الصُّحبة رُدُّوني فقد ألِفْتُكم.

يا هذا! قف في الدياجي وامدُدْ يدَ الذُّل، وقلْ: قد كانت لي خدمة، فعرَضَ تفريطٌ وأوجَبَ البُعدَ، فبحرمة قديمِ الوصل ردوني فقد ألفتكم.

عَلِّلُونا بوصالٍ نافعٍ ... إنَّنا للبُعْدِ كالشيءِ اللَّقا[1]
أو خذوا أرواحَنا خالصةً ... أو ذَرُوا في كلِّ جسمٍ رَمَقا
وارحموا من تنقضي أيّامُه ... غمراتٍ والليالي أرَقا
ويحَ قلبي ما لِقَلْبي كُلَّما ... خفقَ البرقُ اليماني خَفَقا

يا هذا! لا تبرحْ من البابِ ولو طُرِدْتَ، ولا تَزُلْ عن الجنابِ ولو أبعِدْتَ، وقلْ بلسان التَّمَلق: إلى مَن أذهبُ؟!.

يا رَبْعُ إن وصلوا وإنْ صَرمَوا ... فهمُ الأُولى مَلَكوا الفؤاد همُ
شغلوا بحسنهم نواظِرَنا ... وعلى القلوبِ بحبِّهِمْ خَتَموا
أتبعْتُهُم نظراً فعادَ جوًى ... ومن الشفا لذي الهوى سَقَمُ
تمحو دموعي وَسْمَ إبْلهمُ ... وزفيرُ أنفاسي لها يَسِمُ

كان (**الحسنُ**) شديدَ الحزن، طويلَ البكاء، سُئِل عن حاله، فقال: أخافُ أن يطرحني في النّار، ولا يبالي.

يَعُزُّ عليَّ فراقي لكم ... وإنْ كان سهلاً عليكم يسيرا

يا مَنْ كان له قلبٌ فمات، يا مَنْ كان له وقتٌ ففات، استغث في بَوَادي القلق.

رُدُّوا عَلَيَّ لَيَاليَّ الَّتِي سَلَفَتْ

أُحضرْ وقت السَّحَر، فإنّه وقت الإذنِ العام، واستصْحِبْ رفيقَ البكاء، فإنه مساعدٌ صبورٌ، وابعث سائل الصُّعَداء، فقد أقيمَ لها من يتناول.

(للمصنف):

---

(١) اللَّقا: الملقى لهوانه.

عَبَـرتْ بـريحِكـمُ الصَّبـا سَحَـراً فـارتـاحَ قلبـي المـدنَـفُ الحَـرِضُ
مـــا لــــي أرَاكِ سقيمـــــةً بهـــمُ يــا ريــحُ عنــدي لا بِـكِ المَـرَضُ
أتبْعتُهـــــا نَفَســـــاً أُشيّعهـــــا فــإذا جــروحُ القلــبِ تنتقــضُ
قِـفْ صـاحبـي إن كنـتَ تُسْعِـدُنـي عنـدَ الكثيـبِ فثَـمَّ لـي غَـرَضُ
وانشــدْ فــؤاديَ عنــد كــاظمــةٍ فــي كــلِّ ركــبٍ راحَ يعتــرِضُ
أشكــو ومنــي مبتــدَى ألمــي عينــي رمــتْ وفــؤاديَ الغَـرَضُ
فَـرَضُـوا علـى الأجفـانِ إذ هجـروا لا تلتقــي فــاصبــرْ لِمَـا فــرضــوا
كيــف اصطبــاري بعــد فُــرقتِهــمْ يـــا جيــرةً مـــا عنْهـــمُ عِـــوَضُ

* * *

الفصل التاسع والخمسون

يا مَنْ سيَّبَ قلبَه في مراعي الهوى، وألقى حَبْلَه على الغاربِ، ستعلمُ من يطول نشدانُه للضُّلّالِ!.

(لمهيار)[1]:

دعْ ملامي بالحِمَى أو رُحْ ودَعْني   واقفاً أنشدُ قلباً ضاعَ مِنّي
ما سألتُ الدارَ أبغي رَجْعَها   رُبَّ مسؤولٍ سواها لم يُجِبْني
أنا يا دارُ أخو وَحْشِ الفلا   فيكِ مَنْ خان فَعَزْمِي لم يَخُنّي
ولئن غالَ مغانيكِ البِلَى   عادةُ الدَّهرِ فشخصٌ منكِ يُغْنِي
إن خَبَتْ نارٌ فهذي كَبِدي   أو جَفَا الغيثُ فهذا لَكِ جَفْني

أكثرُ فسادِ القلبِ من تخليط العَيْنِ، ما دامَ بابُ العين موثقاً بالغضِّ فالقلبُ سليمٌ من آفة، فإذا فُتح البابُ طارَ طائرهُ وربما لم يَعُدْ.

يا متصرّفين في إطلاقِ الأبصار، جاء توقيع العَزْل ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، إطلاقُ البصر ينقُشُ في القلب صورةَ المنظورِ، والقلبُ كعبةُ «ويسعني»، وما يَرضَى المعبودُ بعبادة[2] الأصنام.

عينايَ أعانتا على سفكِ دمي   يا لذةَ لحظةٍ أطالَتْ ألَمي
كم أندمُ حين لَيسَ يُغني ندمي   وَيْلي ثَبتَ الهوى وزلَّتْ قَدَمي

يا مطلقاً طَرْفَه لقد عَقَلك، يا مرسِلاً سَبُعَ فمِهِ لقد أكَلَك، يا مشغولاً بالهوى مَهْلاً قتلك، بادِرْ رَمقَك فقد رمَقَك[3] بالرحمة مَنْ عذلَك.

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة في النيروز. الديوان: ٤/ ٧٢ ـ ٧٧.

(٢) في (ب): بمزاحمة.

(٣) رمقك الأولى: بقية الشيء. ورمقك الثانية: نظر إليك.

(لمهيار)[1]:

عثـرتَ يـومَ العُـذيْـبِ فـاسْتَقِـلِ   مـا كـلُّ سـاعٍ يُحـسُّ بـالـزَّلَـلِ
مـا سلمـتْ قبلـك القلـوبُ علـى   الحُسـنِ ولا الـراجمـونَ بـالمُقَـلِ
سَـافـرَ قَلبـي يَـومَ الظَّعـائـنِ   بـالسَّفْـحِ وآبَ الفُـؤادُ بـالخبَـلِ
نظـرةٌ غِـرٌّ جنَـتْ مُقـارَعَـةً   يفتـكُ فيهـا الجبـانُ بـالبَطَـلِ
حصلـتُ منهـا علـى جِـراحتهـا   واستـأثـرَ الظـاعنـون بـالنَّفَـلِ

إذا لاحَتْ للتائبِ نظرةٌ لا تَحِلّ، فامتدتْ عينُ الهوى، فزلزلتْ أرضَ التُّقى، ونهضَ معمارُ الإيمان ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

لاحَتْ نظرة لبعض التائبين، فصاح:

حَلَفتُ بدينِ الحُبِّ لا خُنتُ عهدَكُم   وتلـك يميـنٌ لـو علمـتَ غَمُـوسُ

إذا خَيَّمَ سلطانُ المعرفة بقاعِ القلبِ، بثَّ جندَهُ في بِقاع البَدَن، فصارتْ السباخُ رياضاً لرياضة.

سـاكـنٌ فـي القلـبِ يعمـرُه   لسـت أنسـاه فـأذكـره

إذا نزل الحبيبُ ديار القلبِ لم يبقَ فيه نَزَّالة[2].

وكـان فـؤادي خـاليـاً قبـل حبكـمُ   وكـان بـذكـرِ الخلـقِ يلهـو ويمـرَحُ
فلمَّـا دعـا قلبـي هـواكَ أجـابَـه   فلسـتُ أراهُ عـن فِنـائِـكَ يَبْـرَحُ
رُميـتُ ببعـدٍ منـك إن كنـتُ كـاذبـاً   وإن كنـتُ فـي الـدُّنيـا بغيـرِك أفـرَحُ
فإن شئتَ واصلني وإن شئتَ لا تَصِلْ   فلسـتُ أرى قلبـي لغيـرِكَ يَصْلـحُ

أول منازل القوم: «عزفت نفسي عن الدُّنيا»[3]، وأوسطها: «لو كشف

---

(١) مطلع قصيدة كتبها لعميد الكفاة أبي سعد عبد الرحيم في النيروز. انظر: ديوانه: ٣/ ٨٧.
(٢) نزالة: كثير النزول.
(٣) أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، راجع: كنز العمال، المجلد (١٣)، برقم (٣٦٩٨٨).

الغطاء»[1]، ونهايتها: «ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللهَ فيه».

وما تطابقتِ الأجفانُ عن سِنَةٍ | إلا وجَدْتُكَ بين الجفنِ والحدقِ
وهل ينامُ حزينٌ موجَعٌ قَلِقٌ | جفونُه وُكِلَتْ[2] بالسُّهدِ والأرقِ
شغَلْتَ نفسي[3] عن الدُّنيا ولذتِها | فأنتَ والروحُ شيءٌ غيرُ مُفتَرِقِ
فَلِمْ تُعذِّبُها بالصَّدِّ يا أملي؟ | ارحمْ بقيةَ ما فيها مِنَ الرَّمقِ

أرواحُ المحبين خرجت بالرياضة من أبدان العاداتِ، وهي في حواصلِ طيرِ الشوقِ ترفرفُ على أطلالِ الوَجْدِ، وتسرحُ في رياضِ الأنسِ، عند المحبين شغلٌ عن الجنة، فكيف يلتفتون إلى الدُّنيا؟! ما ترى عينُ المحبين إلا المحبوبَ «فبي يسمع وبي يبصر»[4].

أنتَ عينُ العينِ إنْ نظرتْ | ولسانُ الذِّكرِ إن ذكَرا
أنتَ سمعي إنْ سمعتُ به | أنتَ سرُّ السرِّ إن خطرا
ما بقَى للنفس جارحةٌ | كلُّها يا قاتلي أُسِرَا[5]

باتت قلوبُهم يُقْلقُها الوجدُ، فأصبحتْ دموعُهم يسترُها الجَفْنُ[6]، فإذا سمعوا ناطقاً يهتفُ بذكرِ الحبيبِ، أخذَ جَزْرُ الدمع في المَدِّ.

مَنْ أقلقه الخوفُ كيفَ يسكُن؟! من أنطقَه الحبُّ كيف يسكت؟! من آلمه البعد كيف يصبر؟! سل عنهم الليلَ فعنده الخبرُ، أتدري كيف مرَّ عليهم؟ أبَلَغَكَ ما جرى لهم؟ «أيعلَمُ خالٍ كيف باتَ المتيَّمُ»، افترشوا بساط قيس، وباتوا بليل

---

(١) المشهور أنّه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. راجع: شرح سنن النسائي، للإمام السندي، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله: ٨/ ٩٦، الحديث برقم (٤٩٨٨): «ثلاث من كن فيه».
(٢) في (ب): أجفانه وكحلت.
(٣) في (ب): قلبي.
(٤) رواه البخاري في «صحيحه».
(٥) أسرا: أي أسرى.
(٦) في (أ): تستر بفنا الجفن.

النابغة، إن ناحوا فأشجى من مُتَمِّم، وإن ندبوا فأفصح من خنساء.

اجتمعت أحزابُ الأحزان على قلب الخائف، فرمَتْ كبدُ(١) الخوف الكبد، فوصلَ سهمُ نَصْل القلق ففلَقَ حَبَّةَ القلبِ فانْقَلب، فصاح الوجْدُ: مَنْ شاء اقتطع، فلو رأيتَ فعلَ النّهابة(٢) لرحمتَ المتمَزِّق.

(لمهيار)(٣):

أيُّهـا الـرامـي ومـا أجـرى دمـاً ... لا تجنـب قـد أصبـتَ الغـرضـا
أُطلبـوا للعيـنَ فـي أثنـائِـه ... نظـرةً تكحِلُهـا أو غُمُضـا

طالَ حبسُ المحبين في الدُّنيا عن الحبيب، فضجَّتْ ألسنُ الشوق، فلو تيَقَّظْتَ في الدُّجى سمعتَ أصواتَ أهلِ الحبوس.

(للمصنف):

طـالَ ليلـي ودامـا ... وحُـرِمْـتُ المنـامـا
وجـدَ الـوجـدُ عنـدي ... منـذ بـانـوا مقـامـا
ليتهـم حيـن راحـوا ... وَدَّعُـوا مستهـامـا
سـارَ قلبـي وجِسْمـي ... لـم يَسِـرْ بَـلْ أقـامـا
لسـتُ أدري فُـؤادي ... إذ غَـدوا أيـنَ هـامـا
حبُّهُـم قـرَّةُ قلبـي ... منـذْ كنـتُ غـلامـا
حمَّلـوا ضَعْـفَ قلبـي ... يَـذْبُـلاً وشَمَـامـا(٤)
كـم رمـونـي بـرشـقٍ ... وأحـدُّوا سِهَـامـا
مـا لعينـيَ تبكـي ... إنْ سمِعـتُ حَمـامـا
كلّمـا نـاحَ رشَّـتْ ... فظننـتُ الغمـامـا
هـل نسيـمٌ لكـربـي ... أيـن ريـحُ الخُـزامـى

---

(١) كبد: القوس يملأ اليدَ مقبضها.
(٢) النهّابة: الذين يجتمعون على نهب الشيء وأخذه.
(٣) من قصيدة كتبها في النيروز إلى عميد الرؤساء أبي طالب. انظر: ديوانه: ٢/ ١٥٣ـ١٥٤.
(٤) يذبل وشمام: جبلان.

هجـــركـــم يـــا حبيبـــي كـــانَ مـــوتـــاً زُؤامـــا
أكـــلَ اللحـــمَ منـــي ثـــم أَبلـــى العظـــامـــا
صـــارَ ليلـــي نهـــاراً ونهـــاري ظَـــلامـــا
إنّمـــا بـــتُّ أشكـــو لـــوعتـــي والغـــرامـــا
فـــاعـــذروا أو فلـــومـــوا مـــا أُبـــالـــي المَـــلامـــا
أَفـــرِجـــوا عـــن طـــريقـــي قـــد خَلَعْـــتُ اللجـــامـــا
ورمَيْـــتُ ســـلاحـــي وكشفـــتُ اللثـــامـــا
أسعـــدونـــي[1] فـــإنّـــي قـــد فنيـــت سقـــامـــا

* * *

(١) الإسعاد: الإعانة.

الفصل الستون

إخواني! تفكّروا في الذين رحلوا، أين نزلوا؟ وتذكّروا أنَّ القومَ نُوقِشوا وسُئلوا، واعلموا أنكم كما تُعذَلون عُذِلوا، ولقد ودُّوا بعد الفواتِ لو قُبلوا.

(لأبي العتاهية)[1]:

سألتُ الدّارَ تُخبرني ... عن الأحبابِ ما فعلوا
فقالتْ لي: أناخَ القومُ ... أياماً وقَدْ رَحَلوا
فقلتُ: فأينَ أطلبُهم ... وأيَّ منازلٍ نزلوا
فقالتْ: بالقبورِ وقَدْ ... لقوا واللهِ ما عَمِلوا
أُناسٌ غرَّهم أملٌ ... فبادَرَهُم به الأجلُ
فَنَوا وبَقِي على الأيّامِ ... ما قالوا وما عملوا
وأُثبِتَ في صَحَائِفِهِمْ ... قبيحُ الفِعْلِ والزَّلَلُ
فلا يُستَعْتَبون ولا ... لَهُمْ مَلْجَا ولا حِيَلُ
ندامى في قبورِهِمُ ... وما يُغني وقد حَصَلوا

أين مَنْ كانتِ الألسنُ تهذي بهم لتهذيبهم، وأصبَحتْ فُلْكُ الاختبار تجري بهم لتجريبهم، أقامت قيامتَهم مناداةُ خَيْلِ الرحيل لتُغري بهم لتَغْريبهم، فباتوا في القبور وحْداناً لا أنيسَ لغريبهم.

أين أهلُ الوداد الصافي في التَّصافي؟ أين الفصيحُ الذي إن شاء أنشأ في القول الصافي؟ أين قصورُهم التي تضَمَّنتْها مدائحُ الشعراء، صار ذكرُ القوى في القوافي؟ لقد نادى الموتُ أهلَ العوالي والقصورِ العوالي الطوافي: تأهّبوا لقدومي فكم غرثانَ[2] طوَى في طوافي[3]، رحل ذو المال وما أوصى في تفريق كدَرٍ أو صَافِي،

---

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوانه.

(٢) الغرث: الجوع. والغرثان: الجائع.

(٣) طوى: مات جائعاً. طوافي: تجوالي عليه.

ولقيَ في مَرّه أمراً مُرّاً لا تَبْلُغُه أوصافي، ذاقوا الآمال فانْتزِعَ من أفواههم يوم المآل، وعادَ الخَوى في الخوافي[١]، عَوى في ديارهم ذئبُ السّقام بتكذيب العَوَافي، وانقطعتْ آمالُهم، وصار كلُّ المنى في دفع المُنافي، تزلزلَ ودُّ أحبابِهم والتوى، وبِتُّ ألتوي في التوافي[٢]، تالله لقد نال الدودُ والبِلى ما أرادَ منهم وأَلْفَيا فِيْ الفيافي، آلت قبورُهم إلى الخراب أوّلاً، فلا يُدرَى أهذا قبر المولى أوْ لا، وهم سواء في السّوافي[٣]، كم أعرضوا عن نصيحٍ، ورفضوا ما تلا في التّلافي[٤]، كم ندموا على ضياع زِمانهم الذي خَلا في خِلافي، كم رأيتُ عاصيَهم قد أعرَض عنّي إلى عدوي والتجأ إلى التّجافي، أما أخبرتُهم بوصفِ النار أنها ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٦] في الشوافي، فاعتبر بحالهم، فإنه يكفُّ كفَّ الهوى، وهو الواعظ الكافي[٥].

أين الأبصارُ الحدائدُ قبل إحضار الشدائد؟ أما اسْتُلِبَتِ القلائد من ترائب الولائد؟ لابدّ من إزعاج هذا الراقد، فيقعُ الفراقُ بين فريق الفراقد، يا موثَقاً في حَبالَةِ[٦] الصائد، واللهِ ما كذَبكَ الرائد، يا عَمِيَّ البصيرة ولا قائد، كم أضربُ في حديدٍ بارد.

أليلى وكلٌّ أصبحَ ابنَ مُلَوَّحٍ ولُبنى وما فينا سوى ابنِ ذَريحِ

ذهبتْ أعماركم في طِلاب الشهوة، والموتُ قد دَنا، فما هذه السهوة، والقلوب غافلةٌ، فإلامَ القسوة؟!.

والصُّلحُ معروضٌ فحَتّامَ الجفوة؟ أين ربُّ المال؟ أين ذو الثروة؟ أما فرَسَ الموتُ ذا الفرسِ[٧] وأخلى الصهوة؟ طوبى للمتَيقظين إنّهم لقدوة، علموا عيبَ

---

(١) الخوى: الضعف. الخوافي: ما خفي من باطن الإنسان.

(٢) التوافي: لم نجد معنى لهذه الكلمة بعد الرجوع للقواميس المعتمدة.

(٣) السوافي: الرياح.

(٤) يريد ما تلى من ذكر يحثُّ على المبادرة والرجوع وترميم ما أفسد.

(٥) في (أ): الشافي.

(٦) حبالة: شَرَك، الأحبولة التي ينصبها الصائد لتقع فيها الفريسة.

(٧) ذا الفرس: ذا قتل، وكل قتل: فرس.

الدُّنيا فما أمسكوا عُرْوة، وأنت في حُبِّها كقيسٍ وعُروة، أيحسنُ بعد الشيبِ لهوٌ وصَبْوة، أأبقى نأيُ الزمانِ طيبَ ناي وقهوة؟ قُرِّبتْ نوقُ الرحيلِ مساءً وغُدْوة، جَذبتْ أيدي المنون كُرْهاً وعُنوة، يا قليلَ التدبير ولا عقولَ النسوة، إلى كم عيبٌ وعتبٌ أما فيكم نخوة؟ وا عجباً لتاجرٍ يرضى بتعب شهر ليتمتّع بربحه سنة! فكيف لا يصبر أيام عُمُره القليلة ليلتذ بِرِبْحها أبداً.

يا من يروحُ ويغدو في طلب الأرباح، ويحك ازْبحْ نفسك.

يا أطفال الهوى طال مكثكم في مكتبِ التعليم، فهل فيكم من أنجب؟ اقرؤوا أدلة التوحيد من ألواح أشباحكم، وتلقفُوها من أنفاس أرواحكم قبل أن يَستلِبَ الموتُ من أيدي اللاهين ألواحَ الصور، ويمحو مسطورَ التركيب بكفِّ البِلى، وما فُهم المكتوبُ بعدُ، كم يلبثُ مصباحُ الحياةِ على نكباء النكبات.

من رأى بعيْنِ فكرِه معاولَ النقض في هدم المنزلِ ناحَ على السكان.

يا هذا! مشكاةُ بدنك في مهابِّ قواصف الهلاك، وزجاجةُ نفسِك في معرض الانكسار، فاغتنم زمانَ الصفوِ فأيامُ الوصل قصارٌ، كم يلبثُ قنديلُ الحياة على عواصف الآفات، أنفاسُ الحيِّ خطاه إلى أجله، درجاتُ الفضائِل كثيرةُ المراقي وفي الأقدامِ ضعفٌ، وفي الزمانِ قِصَرٌ، فمتى تنال الغاية؟.

وقف قومٌ على راهب، فقالوا: إنا سائلوك أفَمُجيبُنا أنت؟.

قال: سلوا ولا تكثروا، فإنَّ النهار لن يرجعَ، والعمرَ لن يعودَ، والطالب حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد.

قالوا: فأوْصِنا.

قال: تزوّدوا على قدْرِ سفركم، فإنَّ خيرَ الزادِ ما بلَّغَ البُغية.

إخواني! الأيامُ صحائفُ الأعمار فخلّدُوها أحسنَ الأعمال.

الفرص تمرُّ مرَّ السحاب، والتَّواني من أخلاق الخوالف[1].

من استوطأ مركبَ العجزِ عثرَ به.

---

(١) **الخوالف**: النساء.

تزوّجَ التَّواني البطالة[١] فوُلِد بينهما الخسران.

كان **عمرُ وعائشة** يسردان الصوم، وسرد **أبو طلحة** أربعين سنة، وصام **منصور بن المعتمر** أربعين سنة وقام ليلها.

وكان **عامر بن عبد الله** يصلّي كل يوم ألف ركعة، وختم **أبو بكر بن عياش** في زاوية بيته ثمانية عشر ألف ختمة، وكان **لِكَهْمَس** في كلِّ شهرٍ تسعون ختمة، وكان عمير بن هانئ يسبّح كلَّ يوم مئة ألفَ تسبيحة:

صافحوا النجمَ على بُعدِ المنازِلِ ... واستطابوا القيظَ من بَرْد الظلالِ
واستذلّوا الوَعْرَ من أخطارِها ... إنَّما الأخطارُ أثمانُ المعالي
ركبوا الضرَّ إليها رُبَّما ... صَحَّتِ الأجسامُ يوماً بالهزالِ
وجرَوْا يوماً إلى غايتها ... بالطوالِ السُّمْرِ والقبّ[٢] العوالي

وكان **الأسودُ بن يزيد** يصومُ حتى يخضرّ ويصفرّ، وكان **ابنُ أدهم** كأنّه سَفود[٣] من العبادة، وكانت **رابعة** كأنها شَنٌّ[٤] بالٍ، ومات **حسّان بن أبي سنان** فكان على المغتسل كالخيط، وكان **محمد بن النضر** لو كُشِطَ جميعُ لحمه لم يبلغ رطلاً.

جَـزَى اللهُ المَسِيْـرَ إِلَيْـهِ خَيْـراً ... وَإِنْ تَـرَكَ المَطَـايَـا كَـالمَـزَادِ[٥]

أكبرُ دليل على الحبِّ نحولُ الجسمِ واصفرارُ اللونِ.

(للحارثي):

سلبتِ عظامي كلَّها فتَركْتِها ... مجردةً تُضحي لديكِ وتخضُرُ
وأخلَيْتِها مِنْ مُخِّهَا فكأنَّها ... أنابيبُ في أجوافِها الريحُ تصفرُ

---

(١) في (ب): بالكسل.
(٢) **الطوال السمر**: الرماح. **القب**: الفحل من الإبل.
(٣) **سفود**: حديدة يشوى بها اللحم.
(٤) **شن**: قربَة خَلَق.
(٥) **المزاد**: جمع مزادة، وهي الراوية من الجلد.

إذا سمِعَتْ باسمِ الحبيب تقعقعتْ مفـاصلُها مـن خـوفِ مـا تنظـرُ
خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ تنظري ضَنَـى جسـدي لكننـي أَتستَّـرُ
وليسَ الذي يجري من العين ماؤها ولكنّهـا روحٌ تـذوبُ فتقْطُـرُ

قال الجُنيد: دخلتُ على سَري السَّقطي فمدّ جلدة ذراعه وقد يبست على العظم فما امتدت، فقال: والله لو شئتُ أن أقول هذا من محبته لقلتُ:

وهـواكَ مـا أبقـى هـواكَ علـيَّ فيـكَ ولا تَـرَكْ
أيلـومُنـي فيـكَ الـذي يُـزْرِي علـيَّ ولـم يَـرَكْ
رِفقـاً بعبـدِك سيّـدي هـذا عُبَيْـدُك قَـدْ هَلَـكْ

* * *

الفصل الحادي والستون

يا مَنْ أيَّامُه تَعِظُهُ! حينَ تبنيه وتنقضُه، يا من صحته تمرضه! وسلامتُه تُحْرِضُه[1]، يقرُضُ عمره فيفنيه ومَنْ يُقْرِضُه:

أرى الدهرَ أغنى خطْبُه عن خِطابِهِ ... بـوعـظٍ شَفَـى ألبـابَنـا بِلُبـابِـهِ
لـه قلـبٌ تُهـدى القلـوبُ صـواديـاً ... إليهـا وتعمـى عـن وشيـكِ انقـلابِـهِ
هــو الليــثُ إلا أنّــه وهــو خــادرٌ ... سطا فأغابَ الليثُ[2] عن أنس غابِـهِ
وهيهـاتَ لـم تسلـمْ حـلاوةُ شَهْـدِهِ ... لصَـابِ إليـه مـن مـرارةِ صـابِـهِ[3]
مبيــدٌ مَبــاديــه تغــرُّ وإنّمــا ... عــواقبُــه مختــومــةٌ بعقــابِــهِ
ألـم تـرَ مَـنْ سـاسَ الممـالـك قـادراً ... وسارت ملوكُ الأرضِ تحتَ ركابِـهِ
ودانــتْ لــه الــدُّنيـا وكـادتْ تُحلُّـه ... علـى شُهْبهـا لـولا خمـودُ شهـابِـهِ
لقــد أسلمَتْــه حصنُــهُ وحصــونُــه ... غـداةَ غـدا عـن كَسْبِـهِ بـاكتسـابِـهِ
فـلا فضــةٌ أنجتْــهُ عنــد انقضــاضِـهِ ... ولا ذهــبٌ أغنــاهُ عنــد ذهــابِــهِ
ســلا شَخْصَــه ورَّاثُــه بتُــراثِــهِ ... وأفــردهُ أتــرابُــه بتــرابِــهِ

كم دارسٍ عليك أنَّ الرابع[4] دارس، كم واعظٍ ناطقٍ وآخرَ هامسٍ، كم غَمَستْ حبيباً في الثرى كفُّ رَامس[5]، كم طمسَ وجهاً صبيحاً من البِلى طامس، تاللهِ ما نجا بطبِّه بقْراطُ ولا أرسطا طالس، صاحَ الموتُ بالقومِ فنُكِسَ الفارس، أين الفطنُ اللبيب؟ أين اليقظ القائس[6]؟ أتشتري أخسَّ الخسائس بأنفس النفائس؟

---

(١) **تحرضه**: تهلكه.
(٢) **الليث الأول**: تشبيه الدهر بالليث. والليث الثاني: الأسد الحقيقي.
(٣) **صاب**: مائل من الشوق. صابه: الصاب عصارة شجر مر.
(٤) **الرابع**: هو النازل في الربع ويقيم معهم.
(٥) **رامس**: من يتولى دفن الموتى.
(٦) **القائس**: من القياس، وهو الذي يقدر الأمور.

أتؤثر لَذَّةَ لحظةٍ تَجْني حربَ البسوسِ وداحِس؟ يا مُقتِرين[١] من التُّقى بل يا مفالس، يا مُنْهمكين في الخطايا ما تنفعُ الملابس، اشتروا نفوسَكم عن الذنوبِ تشتروا لها السنادس[٢].

إخواني! لو ذكرتم أنكم تُبَادون ما كنتم بالمعاصي تبادون[٣]، لقد صَوّتَ فيكم الحادون[٤] وما كأنكم للخير تُرادون، وا عجباً تُصادُّون المواعظ ولا تُصادون[٥]، إلى متى تراوِحُون الذنوب وتغَادرون؟! يا مقيمين وهُمْ حقّاً غادون، أتعادُون مَنْ يقول: إنكم تعادُون[٦]؟! كأنكم بكم تقادُون إلى مقام فيه تُقَادون[٧]، أما سمعتم كيف نادى المنادون: كلُّ شيء دون المنى دُون؟!.

يا نائمَ الليلِ تَنَبَّهْ للتُّقى ... وانهضْ فقد طالَ بكَ القُعودُ
بينَ يديْكَ حادِثٌ لمثلِهِ ... يُغسَلُ عن أجفانه الرُّقودُ
ما جحدَ الصامِتُ من أنْشأه ... ومن ذوي النطقِ أتى الجحودُ

الدَّهرُ خطيبٌ كافٍ، والفكرُ طبيبٌ شافٍ.

كم قُطِعَ زرعٌ قبلَ التمامِ، فما ظنُّ المستَحْصَد[٨]؟ مَنْ عرفَ الستينَ أنكرَ نفسَه، من بلغ السبعين اختلفَ إليه رسلُ المنيَّة.

عواري[٩] الزمان في ضمان الارتجاع، **يوسُف** العقل ينظر في العواقِب، **وزليخا** الهوى تتلمحُ العاجل.

يا مُقْدمين على الحرام أنتم بعينِ من حَرَّمَ.

---

(١) **مقترين**: يقال: قتر على عياله: ضيَّق في النفقة، وهنا كناية عن القلة.
(٢) **السنادس**: إشارة إلى ثياب الجنة.
(٣) **تبادون الأولى**: تهلكون. **وتبادون الثانية**: تعالنون وتظاهرون.
(٤) **الحادون**: الحداة في القوافل.
(٥) **تصادون الأولى**: من الصد والإعراض. **ولا تصادون**: أي لا تؤثر فيكم المواعظ.
(٦) **تعادون الأولى**: من العداة. **تعادون الثانية**: من الإعادة بعد الموت.
(٧) **تقادون الأولى**: من السوق والأخذ. **وتقادون الثانية**: من القَوَد، أي: الحساب.
(٨) **المستحصد**: حان وقت حصاده.
(٩) **عواري**: جمع عارية.

ينبغي لمن أُلبِسَ ثوبَ العافية أن لا يدنِّسَه بوسخِ الزلل.

زرعُ النِّعَمِ مفتقِرٌ إلى دوران دولابِ الشكر، فإذا فَتَحَ القلبُ سِكرَ[١] الاعترافِ بالعجزِ، صارَ السقيُ سَيْحاً.

هذا اليومُ يقول: أرضني وعليَّ رضا أمس، السكونُ بالبلادةِ أصعبُ من التحرُّكِ بالهوى، إذا رآكَ عقلُك وقد تولّى حسُّك تدْبيرَك تولّى[٢].

ويحك لا تؤمّر حسَّكَ على عقلك، فإنَّه عكسُ الحكمة. العقل نور والحسُّ ظلمة. الحسُّ أعشى[٣] والعقلُ عينُ الهدهد[٤]. الحسُّ طفلٌ والعقل بالغ.

العقل يدخلُ في الحقائِق والحسُّ أبْلَه، الحسُّ لا يرى إلا الحاضر، والعقلُ يتلمّحُ الآخِر. الصَّبرُ عن الأغراضِ صَبْرٌ[٥]، غير أنّ الحازمَ يجعلُ مراقبةَ العواقِب تقويةً. ما خلا قطُّ وجهُ سرورٍ من تَعَبُّسِ مكروهٍ، ولا سلمتْ كأسُ لذةٍ من شائبةِ نَغْصةٍ[٦].

(للمتنبي)[٧]:

فذي الدارُ أخونُ من مُومسٍ — وأخدَعُ من كِفةِ الحابِلِ[٨]
تَفانَى الرِّجالُ على حُبِّها — وما يحصلونَ على طائِلِ

كلُّ صَافٍ من الدُّنيا مقرونٌ بكدرٍ، حتى إنّه في الغيثِ عيثٌ[٩]، أتريدُ أن لا تنعكس لك غرضٌ؟ فما هذا موضعه، الهباتُ ذاهباتٌ، والليالي مُناهباتٌ، الدُّنيا قنطرةٌ، واستيطان القناطرِ بَلَهٌ.

---

(١) **سِكر**: ما يسد به النهر أو غيره.
(٢) **تولّى الأولى**: من الولاية والتحكم. **وتولّى الثانية**: انصرف وذهب.
(٣) **أعشى**: ضعيف البصر.
(٤) **عين الهدهد**: ترى الخَبءَ في باطن الأرض.
(٥) **الصبر الأولى**: حبس النفس. **والصبر الثانية**: الدواء المر.
(٦) **نغصة**: الكدر الذي ينغص حياة الإنسان.
(٧) ختام قصيدة يمدح بها سيف الدولة، الديوان، شرح العكبري: ٣/٣٣.
(٨) **مومس**: المرأة الفاجرة. **كِفة**: كل مستدير. **الحابل**: الصائد ذو الحبالة.
(٩) **عيث**: فساد.

هــــل نَجْــــدُ إلا منـــزلٌ مفـــارَقٌ وَوطـنٌ فـي غيـرِه يُقْضـى الـوطـرْ

الهمُّ فيها أكثر من الفرح، والسرورُ أقلُّ من الحُزْنِ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يا مجتهداً في طلب الدُّنيا، اجعل عُشْرَ اجتهادِكَ للأُخرى، جَهَّزتَ البنات، وزوَّجت البنين، فأنت بماذا تجهزْتَ للرحيل؟.

يا متقاعداً عن أوامرِ الربِّ، احذر أن يقْعِدَك عن نَهضاتِك تَزَمُّنٌ[(١)]، واعجباً! إن حُرِّكْتَ إلى الطاعة فَزُحَل، وإن لاحَ الهوى فعُطارد، عينُك قد استرقَّها المنظور، ولسانُك يتصرَّفُ فيه اللغو، ويدُك يُحرِّكُها الزَّلل، وخُطَا أقدامِك إلى الخطأ، ثم قد أسكنْتَ الهوى قلبَك، فأينَ يكونُ المَلَكُ؟ **«وهل ترك لنا عَقيلٌ من منزل»**[(٢)].

ويحك! إنَّ الإنسانَ يَشُدُّ في إصبِعِه خيطاً يتذكَّر به حاجتَه، وهل في جسدك عرق أو شعرة إلا وهي تُذَكِّرُ بالخالق؟! فما وَجْهُ هذا النسيان البارد؟!.

يا من باعنا نفسَه ثم ماطلَ بالتسليم، لا أنتَ ممن يَفْسخ العقدَ، ولا ممن يُمْضي البيع، تَدَّعي الرحلةَ إلى دار الحبيب، ودهليزُ سرادِقِك إلى بلد الهوى، هيهاتَ لا يُدرِكُ علمَ الربانية إلا مَنْ رُبِّي فيه.

(لمهيار)[(٣)]:

يــا قلــبُ مــا أنــتَ وأهــلُ الحمــى وإنَّمــا هُــمْ أَمْسُــكَ الــذَّاهِــبُ

دونَ نجـــدٍ وظبـــاءِ الحِمَـــى أن يَقــرَحَ المنسِــمُ والغــارِبُ[(٤)]

لابدَّ في سلوكِ الطريقِ من مُصابَرةِ رفيقٍ، البلاءُ له خُلُقٌ صعبٌ، فَاصْبِرْ على مداراته، البلايا ضيوفٌ فأحْسِن قِرَاها، لتَرْحل عنك إلى بلدِ الجزاءِ مادحةً لا قادحةً، من حَكَّ بأظفارِ شكواه جِلْدَ عيشه أدمى دِينَه، البلاءُ ظُلْمةُ غَبَش، ويا سرعةَ طلوع

---

(١) تزمن: مرض مزمن مقعد.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الفرائض، برقم (١٠) بلفظ: «هل ترك لنا عقيل منزلاً».

(٣) من قصيدة يمدح بها عميد الدولة ابن عبد الرحيم. الديوان: ١/١٣٦.

(٤) المنسم: خف البعير. الغارب: ما بين السنام إلى العنق.

الفجر، اللهمَّ أَعنْ أطفالَ التوبة على ما ابتُلُوا به من جوعٍ شديدٍ، فإذا أُعدَّ قرصُ الإفطار نزلَ ضيفُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فزاحم، فأزاح ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ [العنكبوت: ٢].

إنَّ هـــواكَ الـــذي بقلبـــي صَيَّـــرنـــي ســـامعـــاً مطيعـــا
أخـــذْتَ قلبـــي وغمْـــضَ عينـــي سلبْتنـــي النـــومَ والهُجُـــوعـــا
فـــذَرْ فـــؤادي وخُـــذْ رُقـــادي فقـــال لا بـــلْ هُمـــا جميعـــا

فإذا تمكَّنَتْ قدمُ المريد، وطابَ له ارتضاعُ ثَدْيِ الوِصَال، قُطِعَ عنه في أهنأ ما كان، يُرادُ منه زيادةُ القلق، في الحديث: «يوحي الله تعالى إلى جبريل عليه السلام، أَسْلبْ عبدي حلاوةَ مناجاتي، فإنْ تضرّعَ إليّ فرُدَّها»(١)، فلو سمعتَ استغاثة المحبين، لأوْرَثَتْكَ القلقَ:

علـــى بُعْـــدِكَ لا يصبـــرُ مَـــنْ عـــادَتُـــهُ القُـــرْبُ
ولا يقـــوى علـــى هَجْـــرِكَ مَـــنْ تَيَّمَـــهُ الحُـــبُّ
فمهـــلاً أيّهـــا الســـاقـــي فقـــد أسكـــرنـــي الشُّـــرْبُ
فـــإن لـــم تَـــرَكَ العَيْـــنُ فقـــد يشهـــدُكَ القلـــبُ

* * *

---

(١) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث وبرامج الحاسوب.

الفَصْلُ الثَّانِي وَالسِّتُّونَ

يا مَنْ قد غَلبتْهُ نفسُه! وبطشَ بعقلِه حِسُّه، استدركْ صُبابَة اليقظةِ، وصِحْ في سمعِ قلبك بموعظة.

يا نفسُ! توبي فإنَّ الموتَ قد حانا ... واعْصِي الهوى فالهوى ما زالَ فَتَّانا
أما تَرَيْنَ المنايا كيفَ تَلْقطُنا ... قَسْراً وتُلْحِق أُخرانا بأُولانا
في كلِّ يوم لنا مَيْتٌ نُشيّعُه ... نرى بمصرعِه آثارَ موتانا
يا نفسُ ما لي وللأموالِ أَتْرُكُها ... خلفي وأَخرجُ من دنياي عُريانا
أبعدَ خمسينَ قد قضَّيْتِها لَعِباً ... قد آن أن تَقْصُري قد آن قد آنا
ما بالنا نتعامَى عن مصائرنا ... نَنْسى بغفلتنا مَنْ لَيْسَ يَنْسانا
نزدادُ حِرْصاً وهذا الدّهرُ يَزْجُرنا ... كأنَّ زاجرَنا بالحرص أغرانا
أين الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ومَنْ ... كانتْ تَخِرُّ له الأذقانُ إِذْعَانا
صاحت بهم حادثاتُ الدَّهْر فانقلبوا ... مستبدِلين من الأوطانِ أوطانا
خَلَّوا مدائنَ كانَ العِزُّ مَفرشَها ... واستفرشوا حُفَراً غُبْراً وقِيْعانا
يا راكضاً في ميادينِ الهوى مَرِحاً ... وَرَافلاً في ثيابِ الغَيِّ نَشْوانا
مضى الزمانُ وولَّى العُمْرُ في لَعِبٍ ... يكفيكَ ما قد مضى قد كان ما كانا

أين الزادُ يا مسافر؟! أين دِرْعُ التقوى يا سافر؟! لقد أنشبَ الموتُ فيك الأظافر، ولا تَشُكَّنَّ أنه ظافر، هذا النَّبْلُ فأين المغَافِر[1]؟ كيف تصنعُ إذا غضِبَ الغَافِر؟! يا مبارزاً بالقبيح أمؤمنٌ أنت أم كافر؟!.

إن قُمْتَ سَدَلتَ من ثيابِ كِبْرِك، وإن أقمتَ سدَرْتَ[2] من شراب خمرك، اصْطَفَقَتْ أبوابُ المواعظ وما استفقتَ، تقفُ في الصلاة بغير خضوع، وتقرأُ التخويفَ وما ثَمَّ خشوع، يا نائماً عن صلاحه كم هذا الهُجوع؟! يا دائمَ الحضورِ

(١) **المغافر**: جمع مغفر، وهو زرد يُنسج على قدرِ الرأس يلبسُ تحت القلنسوة.
(٢) **سدرت**: من سدر، أي: لم يهتم بما صنع.

عندنا هل عمرُك إلا أسبوع؟! إنَّ لنَجْمِ الحياةِ الأُفول، ولشمْسِ المماتِ الطُّلوع، أين أبوكَ؟! أين جدّك؟! السيف قَطُوع، كيف تبقى مع كسرِ الأصولِ ضعافُ الفروع؟! تَتَمَلَّقُ الدُّنيا بِقَلبِكَ وتعتذر بلفظٍ مصنوع، إصرارُك كالصحيحين[1]، وإقلاعُك حديثٌ موضوع. مَزِّقْ أملك فالعمرُ قصير، حَقِّقْ عملك فالناقد بصير، زِدْ زادَ سَفرك فالطريق بعيد، ردِّد نظر فكرك فالحساب شديد.

صِحْ بالقلبِ لعلَّه يَرْعَوي[2]، سلِّمْه إلى الرائضِ[3] عساه يَستوي.

يـا مؤثرَ البطالةِ! عالمُ الهوى دَنس، عاشـقُ الهوى جامدُ الفكرِ، فلو ذاب ما ذابَ[4].

سهـرُ العيـونِ لغيـرِ وَجْهِـكَ ضـائِـعُ ... وبكـاؤهـنَّ لغَيْـرِ وَصْلِـكَ بـاطِـلُ

يا هذا! وجِّهْ ناقتَك إلى بادية الزيارةِ، فإنَّ لها بنسيمِ نَجْدٍ مَعْرِفةً، قِفْها على الجادةِ، وقد هبَّ لها نسيمُ الشيحِ من الحجازِ، إنْ أَعْوزَكَ في الطريق ماءٌ فتمِّمْ مَزادَتَك بالبكاء.

(لعلي بن أفلح):

دَعْهـا لـكَ الخيـرُ ومـا بَـدا لهـا ... مـن الحنيـن نـاشطـاً عقـالَهـا
ولا تُعلِّلْهـا بجـوِّ بـابـلٍ ... فهُـو أَهـاجَ بـالجَـوَى بَلْبَـالَهـا
ولا تُعقْهَـا عَـنْ عقيـقِ رَامـةٍ ... فـإنَّهـا ذاكـرةٌ آمـالهـا
نَشَـدْتُـكَ الله إذا جئـتَ الـرُّبَـى ... فَـرُدْ أَضَـاهـا[5] واستظِـلَّ ضَـالَهـا[6]

---

(١) **كالصحيحين**: أي البخاري ومسلم، ويقصد أنّ الإصرار على المعاصي ليسَ فيه ضعف البتة.

(٢) **يرعوي**: ينزجر.

(٣) **الرائض**: من راض النفس إذا وطأها وذللها، أو علّمها ما به تتزكى، فتصبحُ مرتاضة منقادة، والمقصود هنا من الرائض: شيخ التربية والسلوك إلى الله عزَّ وجل.

(٤) **ذاب**: نحل وضعف. **ما ذاب**: ما حصل له مراده.

(٥) **أضاها**: الأضاة الغدير. **ورُدْ**: من الفعل يرود ماضيه راد، وأصله الرائد الذي يتقدّم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.

(٦) **ضالها**: الضال الواحد ضالة: شجر من فصيلة النبقيات.

ونـاوِحِ الـوُرْقَ بَشَجْـوِ[1] ثـاكـلٍ أطفـا[2] لهـا ريْـبُ الـردى أطفَـالهـا

بكى آدمُ في طريقِ ابتلائِـهِ ثملاثمئة سنة، وعامَ نوح في دمعه ثلاثمئة عام، وضجَّ داود من دائه حتى ذوى، كان كلّما هاجَ حَرُّ الحزنِ هاجَ نباتُ الفرجِ، فحالت الحال دمعاً، فأجدبَ البصرُ، وأعشبَ الوادي، فلو وُزِنت دموعُه بدموع الخلائق لرجحت.

(للشريف الرضي)[3]:

عنـدي مـن الـدمـع مـا لَـوْ أنَّ واردَه مطـيُّ قومِـك يـومَ الجَزْعِ ما نَـزَحَا
غـادَرْنَ أسـوانَ[4] ممطـوراً بعبـرتِـهِ ينحـو مـع البـارقِ العُلـويِّ أيـن نَحَـا
هـل تَبْلغُنَّهـمُ النفسُ التـي تلفَـتْ[5] فيهم شـعاعاً أو القلبُ الذي قَـرِحا
إنْ هانَ سفحُ دمي بالبينِ عندهُمُ فواجبٌ أن يهونَ الدمعُ إن سُفِحا

كان (يحيى بن زكريا) يبكي حتى رَقَّ جلدُ خَدِّه وبدت أضراسه، هذا! وقَدْ كـان على الجادة فكيف بِمَنْ ضلَّ؟! واعجباً مِنْ بكائه وما ثَمَّ[6] مأثم، فكيف بِمنْ ما انقضى يومٌ إلا وثمَّ مأثم؟!.

يا هذا إن كان قد أصابك داء داود[7]، فَنُح نَوْحَ نُوحٍ تحيى حياةَ يحيى.

لا تَحبِسـنْ مـاءَ العيـونِ فـإنَّـه لـك يـا لـديـغَ هـواهـمُ دريـاقُ[8]

---

(١) الشجو: الحزن، والأصل فيه: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.
(٢) أطفا: أصلها أطفأ وخففت الهمزة، والمعنى: على المحب أن يناوحَ الورق بحزن مَنْ أخذ ريْبُ الردى أطفالها فثكلها بفقدهم.
(٣) من قصيدة له قالها في مدح أبيه عام (٣٨٧هـ). انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٤٣.
(٤) أسوان: من الأسى وهو الحزن.
(٥) في الديوان: «ذهبت».
(٦) ثَمّ: اسم يشار به إلى المكان البعيد بمعنى هناك، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٤].
(٧) داء داود عليه السلام: لا تُلْقِ بالاً لما جاءت به الإسرائيليات عن دواد عليه السلام مما لا يليق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
(٨) درياق: هو الترياق: دواء السموم.

شَنُّوا الإغـارةَ في القلـوبِ بَـأَسْهُـمٍ ... لا يُـرتجـى لأسيـرِهـا إطـلاقُ
واستعـذَبُـوا مـاءَ الجفـونِ فعـذَّبـوا ... الأسـرارَ حتَّـى دَرَّت الآمـاقُ

كان (عمر بن عبد العزيز) و(فتح الموصلي) يبكيان الدم، وقليل في جنب ما نطقَ به لسانُ الوعيد.

إذا خلا الفكرُ باليقينِ، ثارتْ عَجَاجةُ الدمع، فإذا أقرحَ الحزنُ القلبَ استحالتِ الدموعُ دماً.

(لمهيار)[1]:

أجـارتَنـا بـالغَـوْرِ والـركـبُ مُتْهِـمُ ... أيعلـمُ خـالٍ كيـفَ بـاتَ المتيَّـمُ؟
تنـاءيتُـمُ مِـنْ ظـاعنيـنَ وخَلَّفـوا ... قلـوباً أبَـتْ أنْ تعـرِفَ الصبرَ عنهُـمُ
ولمَّـا انجلى التـوديعُ عمَّـا حَـذِرتُـه ... ولـم يَبْـقَ إلا نظـرةٌ تُغْتَنَـمُ
بكيـتُ علـى الـوادي فحـرَّمْـتُ مـاءَه ... وكيـفَ يَحِـلُّ المـاءُ أكثُـره دَمُ؟

وا عجباً! أُطارِحُكُمْ حديثَ العُذَيبِ، وأنتم من وراءِ النهرِ! يا منقطعينَ عن الأحباب تَعالَوْا نمشي رِفقَةً، فمَجْمَعُنا مأتمُ الأسى، موعدنا مقابر الأسَف.

تعـاليـنَ نعـالـجْ زفـرةَ ... البَيْـنِ تعَـالَيْنـا
نُـزوّدُ أُذُنـاً شكـوى ... ونُـودعُ نظـرةً عَيْنـا
ونبكـي مـن يـدِ البيـنِ ... عسـانَـا نَعْطـفُ البينـا
فمـا زادَ النَّـوى إلا ... لجـاجـاً مـا تبـاكينـا
إلـى أيـن أمـا تـألـم ... يـا سـائقهـا الأينَـا
إذا عـرَّسْـتَ بـالجـرعـاءِ ... وسْطـاً بَيْـن مـا بينـا
فحـيَّ اللهُ يبـرينَـا ... وعيـنُ الـرَّمـلِ حيينـا

* * *

---

(١) مطلع قصيدة يعاتب فيها الكافي الأوحد. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٣٤٤ـ٣٤٧.

الفَصْلُ الثَّالِثُ وَالسِّتُّونَ

يا هذا! عاتِبْ نفسَك على تفريطها، ثم حاسبْها على تخليطها، حَدِّثْها بما بينَ يديها وأخبِرْها، أشِرْ عليها بمصلحتها ودبِّرْها.

اسْتَعِدِّي للمَوْتِ يَا نَفْسُ واسْعَيْ ... لِنَجَاةٍ فَالحَازِمُ المُسْتَعِدُّ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ للحَيِّ ... خُلُودٌ ولا مِنَ المَوتِ بُدُّ
أيُّ مُلْكٍ فِي الأرْضِ أوْ أيُّ حَظٍّ ... لامرئٍ حَظُّهُ مِن الأرضِ لحدُ
كيفَ يَهْوى امرؤٌ لذاذةَ أيَّامٍ ... عليهِ الأنفاسُ فيها تُعَدُّ

آه لنفوسٍ بغرور هذه الدُّنيا تُخْدَعْنَ، فإذا فاتهنَّ شيءٌ من فانٍ توجَّعْنَ، شربنَ من مياهِ الغفلةِ وتجرَّعْنَ، فلما بانَت حبةُ الفخِّ أسْرَعْنَ، فما انجلتْ ساعةُ التفريطِ حتى وقَعْنَ، أما عَلِمْنَ أنهنَّ يحصُدْنَ ما زرعنَ، أما تَيقَّنَّ أنهنَّ في هلاكهنَّ يشرعْنَ، يا قلةَ ما تَنَعَّمْنَ، ويا احتقار ما تمتَّعْنَ، أما هُنَّ عن قليلٍ في اللَّحْدِ يُضْجَعْنَ، أينَ تلك الأقدام المشيِّعةُ لهنَّ تصدَّعْنَ؟! بئسَ حافظُ الأجسادِ ترابٌ يقولُ: دَعْهُنَّ لما أودِعْنَ، طالَ ما كنَّ يوتِرْنَ الذنوبَ وَيشْفِعْنَ، فلو رأَيتَهُنَّ بعدَ الموتِ يتضرَّعنَ ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، لا والله لا يرجِعْنَ، يا عجباً هذه الآفاتُ لهنَّ ويَهْجَعْنَ، وهذا الحبسُ الشديدُ ويرتَعْنَ، يا لها من مَواعِظَ فهل أثَّرْنَ أو نَجَعْنَ؟.

يا هذا! أُخْلُ بنفسِكَ في بيتِ الفِكر، واعْذُلها في الهوى، فإنْ لم تَلِنْ فاخرجْ بها على عسكرِ المقابرِ، فإن لم تَرْعَوِ فاضربها بسَوْطِ الجُوْعِ.

يا هذا! العزلةُ تجمَعُ الهمَّ، والمخالطةُ نَهَّابة، الهوى مرضٌ كثيرُ التخليطِ، فهذا طفلُ قلبِكَ كثيرُ المرضِ، عَجِّل فِطَامَه وقد صحَّ.

العزلةُ والقناعةُ والصبرُ والعِفّةُ والتواضعُ عقاقيرُ كيمياءِ النجاةِ، يبْلُغْنَ بمستعملهنَّ مرتبةَ الغِنَى، والحرصُ والشرَهُ والغضبُ والعُجْبُ والكِبْرُ كلُّهم مجانينُ في مارستان العقل، وهو القيِّمُ عليهم، فلتحذرِ الغفلةَ عنهم، فإنّه إنْ أفلَتَ مجنونٌ حلَّ الباقين.

يا هذا! حِصْنُ السلامةِ العزلةُ، أقلُّ ما في الخروج منه من الأذى مصادمةُ الهواء المختلِفِ المهابِّ في بادية الشهوات، وقد أعْقَبَتْهُ جَنُوبُ المجانَبةِ للصوابِ، فصارَ وباءً. وإياك أن تتعرّضَ للهواء الوبيء مُغتَرّاً بصحّة مزَاجك، فإنّك إن سَلِمتَ من فضول الفِتن لم تأمن من زُكْمَةٍ، ومتى تمكّنَتْ زكمةُ الهِمّةِ لم تَشَمّ الفضائل.

يــا قلــبُ إلامَ لا يفيــدُ النُّصْــحُ عُمُــرٌ ولّــى وقــد تَــوالــى القُبْــحُ
جُــرحٌ دامٍ وقــد تَبــدَّى جــرحُ مـا تشعرُ بـالخُمـارِ[1] حتَّى تصحو

لمَّا انقشعَ غيمُ الغفلةِ عن عيونِ أهلِ اليقين، لاحَ لهم هلالُ الهدى في صحراءِ اليقظةِ، فبيّتُوا نية الصومِ عن الهوى على عزم «**عزَفت نفسي عن الدُّنيا**»[2].

دخل (**محمد بن كعب القُرَظي**) على **عمرَ بن عبد العزيز** وقد غيَّره الزهدُ فأنكره، فقال: «يا بنَ كعب! فكيفَ لو رأيتني بعد ثلاثة أيام في قبري؟».

لم تُبْقِ فيهم حراراتُ الهوى وجَوى[3] الأحـزانِ غيـرَ خيـالاتٍ وأَشبـاحِ
تكـادُ تُنكِـرهـم عيـنُ الخبيـرِ بهـم لـولا تـردُّدُ أنفـاسٍ وأرواحِ

كان (**وُهَيْب بن الورد**) قد نحل من التَّعبُّدِ، فكانت خُضْرَةُ البقلِ تَبِيْنُ تحتَ جلدةِ بطنِه.

(لمهيار)[4]:

زَعَمْــتَ لا يُبلــي هــواكَ جَسَــدي بَلَــى وحُبِّــي بكــم لقــد بَلــي
دارُكَ تــدري أنَّــه لــولا الهــوى مــا طُــلَّ دَمْــعُ مقلتــي فــي طَلَــلِ
أو مَــا رأيــتُ أصمــى[5] سهمُــه مــن مقلــةٍ قــد فُــوِّقَــتْ[6] للمقتــلِ

---

(١) **الخُمار**: ألم الخمرة وصداعها وأذاها، وبقية السكر.
(٢) رواه البزار والطبراني.
(٣) **الجوى**: الحرقة.
(٤) من قصيدة كتبها إلى الصاحب بن عبد الرحيم في عيد النحر. الديوان: ٣/ ٣٢_٣٤.
(٥) **أصمى**: أصابه في مقتل.
(٦) **فوّقت**: يقال: فوّقت السهم: وضعته في الوتر لأرمي به.

إخواني! من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

(لصُرَّدُر)[1]:

وكـم نـاحـلٍ بيـنَ تلـكَ الخيـامِ   تحسبُـه بعـضَ أطنـابِهـا[2]

أنضى القومُ رواحلَ الأبدانِ في سفرِ الشوقِ حُبّاً لتعجيلِ اللقاءِ، فكم طَوَوْا منزلاً على الظَّمأ، حتى كَلَّ[3] كَلُّ المطيِّ بتلك الجعجعة، ورفيق الرفق يصيحُ بهم.

(لمهيار)[4]:

دَعُـوْهـا تَـرِدْ بعـدَ خمسٍ شـروعـاً   وارخـوا أزمَّتَهـا والنُّسُـوْعـا[5]
وقـولـوا دعـاءً لهـا: لا عُقِـرْتِ   ولا امتـدَّ دَهْـرُكِ إلا رَبيعَـا
حَمَلْـنَ نشـاوَى[6] بكـأسِ الغـرامِ   فكـلٌّ غـدا لأخيـه رَضِيْعـا
إذا أجـدبـوا خَصَّهـم جَـدْبُهُـمْ   وإنْ أَخْصَبُـوا كـان خِصبـاً مَـريعـا
طِـوالُ السـواعـدِ شُـمُّ الأنـوفِ   فطـابـوا أصـولاً وطـابـوا فُـرُوْعـا
أحبُّـوا فُـرادَى ولكنَّهـم   علـى صيحـةِ البَيْـنِ مـاتـوا جميعـا
حَمَـوْا راحـةَ النـومِ أجفـانَهـم   وَلَفُّـوا[7] علـى الـزفـراتِ الضلـوعـا
أسكَّـانَ رامـة هـل مـن قِـرًى   فقـد دفـعَ الليـلُ ضيفـاً قنـوعـا
كفـاه مـن الـزادِ أن تَمهُـدوا   لـه نظـراً أو حـديثـاً وسيعـا

قيل لأبي بكر النهشلي وهو في الموت: اشرب قليلاً من الماء.

---

(١) من قصيدة قالها يمدح أبا القاسم بن رضوان. انظر: الديوان، ص١٢٩.
(٢) **أطناب**: جمع طنب: وهو حبل الخيمة.
(٣) **كلَّ**: الكلّ الإعياء والتعب، وكلّ البعير إذا أعياه، وأكله السير: أضعفه.
(٤) من قصيدة كتب بها إلى عميد الكفاة أبي سعيد بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٢٢ـ٢٢٦.
(٥) **النسوع**: جمع نسع: حبل من أدم تشد به الرحال.
(٦) **نشاوى**: جمع نشوان، وهو السكران في أول أمره.
(٧) في الديوان: «وشدوا».

فقال: حتى تغربَ الشمسُ.

(لمهيار)[1]:

نَفَّـرَهـا عَـنْ وِرْدِهَـا بحـاجـرِ شـوقٌ يعـوقُ المـاءَ فـي الحنـاجـرِ
ورَدَّهـا علـى الطـوى[2] سـواغبـاً[3] ذُلُّ الغـرامِ وحنيـنُ الـذاكـرِ[4]

وا شوقاه إلى تلك الأشباح، سلامُ الله على تلك الأرواح.

هـا إنّهـا منـازلٌ تَعَـوَّدَتْ منِّـي إذا شـارفْتُهـا التَّسْليمـا
وقفتُ فيهـا سـالِمـاً رَأْدَ الضُّحَـى[5] وَرُحْـتُ مـن وجـدٍ بهـا سَلِيْمـا
يـا نفحـةَ الشَّمـالِ مِـنْ تلقـائهـا رُدّي علـيَّ ذلـك النَّسِيْمَـا

يا هذا! إن أردتَ لَحاقَ السادةِ فخلِّ مخالَلَة الوِسادة، واجعل جلدتك بُرْدتَك، وجِدْ عن الخلق والزمْ وِحْدتكَ، أكْحِلْ عينيكَ بالسهرِ والدمع، وضعْ على قروحِ الجوعِ مَرهمَ الصبرِ، وتزوَّدْ للسيرِ زادَ العزم، واقطعْ طريق الدُّنيا بقدمِ الزُّهد، واخرجْ إلى خِصْبِ الأخرى عن ضَنْكِ المَحْلِ، وسُحْ في بوادي التقى لتنزلَ بوادي الفخر، فإن وصلتَ إلى دوائِك تناولتَه من يَدِ ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإن مُتّ بدائك فمقابرُ الشهداء ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ [القمر: ٥٥].

* * *

---

(١) مطلع قصيدة كتب بها إلى عميد الرؤساء أبي طالب في المهرجان. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٦٣ـ٦٦.

(٢) **الطوى**: الجوع.

(٣) **سواغب**: جمع ساغبة، وهي الجائعة.

(٤) في الديوان: «ذل الغريب وحنين الزاجر».

(٥) **رأد الضحى**: رائده وأوله.

الفصل الرابع والستون

يا مشغولاً بتلفيق مالِهِ عن تحقيق أعماله، مَنْ خَطرَ ذكرُ الرحيلِ بباله قنعَ بالبُلَغِ[1] ولم يُبالِهِ.

مـــالُـــكَ للحـــادثـــاتِ نَهْـــبٌ أو للـــــذي حـــازَه وِرَاثَـــه
أوْلـــــك أن تتَّخِـــــذَهُ ذُخْـــراً فـــلا تكـــنْ أعجـــزَ الثـــلاثَـــه

لا بدَ واللهِ مِنَ العبورِ إلى منزلِ القبورِ، يَسْفي عليك الصَّبا والدَّبور، وأنتَ تحتَ الأرضِ تبور، آهِ من طول الثبور، بَعْدَ طيبِ الحُبورِ، يا لَكْسرٍ بعيدِ الجبُور، لا ينفعُ فيه صبرُ الصبور، يندمُ على عثرته العَثُور. ويفترش الدَّثُورَ حتى يثور، أينَ كسرى وبهرامُ جُور؟! أين المتقلّبون في حِجْرِ الفجور؟! أين الحليمُ؟! أين الضجور؟! أين المهرُ العربي والناقةُ العيسجور[2]؟! أين الظباءُ الكُنَّس والأتراب الحور؟! كُنَّ يُـزَيِنَّ دُرَّ البحورِ بالنحورِ، غرقَ الكلُّ في يمٍّ من التلف زَخُور، واستوى الوضيعُ والفخورُ تحتَ الصخور، لا فرق بين ذوات الإماء وذوات الخدور، في ذلك المهبط الحَدُور.

لقد بان للكل أنَّ الدُّنيا غرور، وعرفوا أنَّ في المصيرِ شرورَ السرور، وتَيقَّنوا أن تزويرَ الأمل للخُلد زور، وتفصّلت أعضاؤهم ولا تفصيلَ لحمِ الجزور، ودُكّت بهمُ الأرض ولا كما دُكَّ الطور، وبانَتْ حسباناتُهم وفيها قصور[3]، وتأسفوا على مُساكَنةِ القصور في مساكن القصور[4]، وهذا المصيرُ ولو عُمِّرتُم عُمْرَ النسور، والرامي مصيبٌ وما يدْفَعُ السُّور[5].

---

(١) **البلغ**: جمع بلغة: ما يتبلّغ به من العيش.
(٢) **العيسجور**: الناقة الصلبة. وقيل: السريعة القوية.
(٣) **قصور**: من التقصير.
(٤) **القصور الأولى**: من التقصير. **والقصور الثانية**: الأبنية الفخمة.
(٥) **وما يدفع السور**: أي لا يستطيع السور والبرج المشيد أن يمنع الإنسان من الموت.

فإذا انقضت بعده تلك العصور ونفخَ في الصور، وخرجت أطيارُ الأرواح من أعجبِ الوُكور، وباتت الأرض تموجُ والسماءُ تمور، ولقي الكَفُور ناراً تلتهِبُ وتفور، انزعجَ الخليلُ والكليم، فَمَنْ **بِشرٌ وطيفور**[1]؟!.

كَـــمْ للمَنَـــايَـــا فـــي بَنِـــي آدم ... تـــوســـعٌ مِنْـــهُ تَضِيْـــقُ الصـــدور
فـــالـــوقـــتُ لا تُحـــدِثُ ســـاعـــاتُـــهُ ... إلا الرَّدى المحضَ بوَشْكِ المروزْ
أيَّـــامُنَـــا السَّبعَـــةُ أيســـارُنَـــا[2] ... وكلُّنَـــا فيـــه شبيـــهُ الجـــزوزْ
طهَّـــرتَ ثـــوبـــاً واهيـــاً ثـــم مـــا ... قلْبُـــكَ إلا عـــادِمٌ للطَّهـــوزْ
لـــو فَطِـــنَ النـــاسُ لـــدنيـــاهُـــمُ ... لاقْتَنَعـــوا منهـــا اقتنـــاعَ الطيـــوزْ

ويحك إنّ الدُّنيا تَغرّ، ولا بدّ لك منها، فخُذْ قدرَ الحاجة على حذر، أما ترى الطائر كيف يختلس قوته؟!.

هذا العصفور يألفُ الناس فلا يسكنُ داراً لا أهلَ بها، وهو مع هذا الأنسِ شديدُ الحذرِ ممن جَاور.

هذا الخُطّافُ يقطعُ البحرَ لطلَبِ الأُنسِ بالإنسِ، ثم يتخذُ وَكْرَه في أحصنِ الأماكنِ في البيتِ، ولا يحملُه الأُنسُ بهم على تركِ الحذرِ منهم، بل يُعطي الأُنسَ حقَّه، والحزمَ حقَّه.

أما عرفتَ أدبَ الشرعِ في تناولِ المطعمِ، ثُلثٌ طعامٌ، وثلثٌ شرابٌ، وثُلثٌ نَفَسٌ.

شره الحِرص يعبئ بلاَغِمَ البلادة، ولا يسهل شربُ المُسهل إلا على مَنْ تأذّى بحركاتِ الأخلاط، لا يقدِرُ على الحمية إلا من تلمَّحَ العافيةَ في العاقبةِ. شُغلُ العقل النظَرُ في العواقب، فأما الهوى فإيثارُه لذة قليلة تُعْقبُ ندامةً طويلةً، فمُلبّس في قضاياه.

المؤمن بين حربٍ ومِحراب، وكلاهما مفتقِرٌ إلى جمع الهمِّ، ويريدُ

---

(١) بشر: هو بشر الحافي. وطيفور: هو أبو يزيد البسطامي.

(٢) أيسارنا: من يَسرتُ الناقة: قطعتها أجزاء.

المحرابُ القيام بأشراط الوضوء، والدُّنيا في مقام امرأة واللمْسُ ناقضٌ، طريقُ المتقين تفتقر إلى رواحل، وإبلُ عزائِمكم كلُّها كالٌّ، إنّما يَصْلحُ للمَلِك قلبٌ فارغٌ ممن سواه.

وقلبُـكَ خـانٌ كـلَّ يـومٍ وليلـةٍ يفـارِقُـه ركـبٌ وينـزلُـه ركـبُ

في كلِّ يوم تَرْهُنُ قلبَك على ثمنِ شهوةٍ، فيستعمله المُرتهِن، فقد أخْلَق[1]، أنتَ توقدُ نارَ التوبةِ في المجلس في الحَلفَاء[2]، فإذا أردتَ منها قَبساً بعد خروجِكَ لم تجِدْ، تَبْكي ساعةَ الحضورِ على الخيانة والمسروقُ في جيبك.

يا مُظهراً من الخيرِ ما ليسَ فيه! لا تَبعْ ما ليسَ عندك، كم نهاك عن نظرةٍ وتعلم أنّه بالحضرة، أفلا تراقبُ الناظرَ بردِّ الناظرِ[3]، وكأنّك لا تعرفُ أنَّ الحاضرَ حاضرٌ.

وا عجباً لك! تَعُدُّ التسبيحَ بسبحةٍ، فهلا جعَلتَ لعدِّ المعاصي أخرى، يا مَنْ يَختارُ الظلام على الضوء! الذباب أعلى همةً منك، متى أظلمَ البيتُ خرجَ الذبابُ إلى الضوء، أما ترى الطفلَ في القِماط يناغي المصباح؟!.

ويحك! خُذْ بتلابيبِ نفسِكَ قبل أن يجذبها ملكُ الموت، وقُلْ: أيتها النفس الحمقاء! إن كان محمد ﷺ صادقاً[4] فالمسجدُ، وإلا فالدَّير.

النـاسُ مِـنَ الهـوى علـى أصنـافِ هــذا نَقَــضَ العهــدَ وهــذا وافِ
هيهاتَ مـن الكُدورِ تَبْغي الصافـي لا يصلُــحُ للحضــرةِ قلــبٌ جـافِ

يا هذا! أكبرُ دليل لك علينا أنك كنتَ مُبَدَّداً في ظهورِ الأصول[5]، فنُظِمْتَ بالقُدرة نظماً عجيباً خالياً من العيب، فما تَنْقُضُ إلا لأمرٍ هو أعجبُ منه، مُدَّت

---

(١) **أخلق**: بلي.
(٢) **الحلفاء**: نبت في الماء.
(٣) **الناظر الأولى**: الرقيبُ المطلع عليك وهو الله. **بردِّ الناظر**: أي بغض البصر.
(٤) يريدُ إذا اعتقدتَ بصدق رسالة الرسول ﷺ فاعمل باعتقادك والزم طاعته، ولو قال: (إذا كان) أولى من (إن كان) لإفادة «إذا» التحقق، دون «إن».
(٥) **ظهور الأصول**: أصلاب آبائك.

أطنابُ العروق، وحُفِرتْ خنادقُ الأعصابِ، وضُربت أوتادُ المفاصلِ، وأقيمَ عُمُد الصُّلْبِ، ثم مُدَّ السرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلب في الباطنِ للملك **«ويسعني قلب عبدي المؤمن»**[1].

إذا لم يجدْ صَبٌّ على النَأيْ مُخْبِراً ... على الحيِّ بَعْدَ البَيْنِ أينَ أقاموا
فعندَ النَّسيمِ الرَّطْبِ أخبارُ منزل ... بـه لسُليمـى بـالعقيـقِ خِيـامُ

يا هذا! إن كنتَ محبّاً؛ فحبيبُك معك في كلِّ حالٍ، حتى عند الموت، وفي بطن اللحد.

(للغزِّي):

يـا حبَّـذا العَـرْعَـرُ النجـديُّ والبـانُ ... ودارُ قـومٍ بـأكنـافِ الحِمَـى بَـانُـوا
وأطيبُ الأرضِ ما للقلبِ فيه هوًى ... سَـمُّ الخيـاطِ مـع الأحبـابِ مَيْـدانُ

إذا أقفرَ قلبُك مع ساكنِ **«ويسعني»**، فَتَحتِ النفسُ باباً لعناكبِ الغفلةِ، فنسجَتْ في زواياه من لُعابِ الأمَلِ طاقاتِ المُنى.

اللهمَّ أجرِ القلوبَ من جَوْرِ النفوس، يا سُلطان القلبِ، نشكو إليك النازلة.

* * *

---

(١) لا أصل له، وقد مرّ.

الفَصْلُ الخَامِسُ والسِّتُّونَ

إخواني! اعرفُوا الدُّنيا وقد سلمتم، ثم اعملوا بما علمتم، لا يغرنَّكُم منها الوَفْر، فإنَّكم فيها على سَفْر، أَمَا بعدَ توطِئةِ المِهادِ الحُفَر؟ أتتوطن مِنًى وتنسى النَّفْرَ؟!.

أرى الـدُّنيـا ومـا وُصِفَـت بِبِـرٍّ   متـى أَغْنَـتْ فقيـراً أرهَقَتْـهُ
إذا خُشِيَـتْ لشـرٍّ عَجّلَتْـهُ   وإن رُجِيَـت لخيـرٍ عَـوَّقَتْـه
تعلقَهـا ابـنُ جهـلٍ فـي صِبَـاهُ   فهـامَ بفـارِكٍ[1] مـا عَلِقَتْـهُ
سقتْـهُ زمـانَـه مَقْـراً[2] وصَـابـا[3]   وكـأسَ المـوتِ آخـرَ مـا سَقتـه
أبـادتْ قصـرَ قيصـرَ ثـم جـازت   بـإيـوانِ ابـنِ هِـرْمِـزَ فـارتَقَتْـهُ
أمـا افتَتَحَـتْ لـه فـي الأرضِ بيتـاً   فـآوتـهُ النـزيـلَ وأطبقتـه
إذا انفلـتَ ابنُهـا عنهـا بِـزُهْـدٍ   ثَنَتْـهُ بـزُخْـرفٍ قـد نَمّقتـه

أتُرى لم تنفعِ التجارب؟ أما تَرَوْنَ الدُّنيا كيف تحارب؟ ألا تُلْقون حَبْلها على الغارب؟ أمّا سَيفُ الهلاكِ في يدِ الضارب؟ تالله لقد جلا صبحُ اليقينِ ظلامَ الغياهِب، ألاَ عَزْمُ زاهِدٍ يتوكأ على عصا راهب.

ودنيـاكَ إنْ وَهَبَـتْ بـاليميـنِ   يسـارَ الفتـى سلبـتْ بـاليسـارِ

إخواني! احذروا الدُّنيا، فإنّها أسحرُ من هاروت وماروت، ذانك يفرّقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرّقُ بينَ العبدِ وربه، وكيفَ لا؟ وهي التي سحرت سحَرة بابل، إن أقبلت شَغَلت، وإن أدبرت قتلت.

نَظَرتْ فأقصَدتِ[4] الفؤادَ بَسَهْمها   ثـم انثنـتْ عنـهُ فكـادَ يَهِيْـمُ

---

(١) فارك: مبغض.
(٢) مقراً: السم.
(٣) الصاب: عصارة الشجر المرّ.
(٤) أقصدت: طعنت أو رمت السهم فأصاب مقتلاً.

وبلاهُ إنْ نظرتْ وإنْ هِيَ أعرضتْ   وَقْـعُ السهـامِ ونَـزْعُهـنَّ أليـمُ

كم في جَرْعٍ[1] لذّاتها مِنْ غُصَص، طالبُها معها في نَغَص.

بكى عليها حتّى إذا حصلتْ بكَى   عليهـا خـوفـاً مِـنَ الغِيَـرِ[2]

إنّها إذا صفَتْ حلالاً كدَّرت الدينَ، فكيفَ إذا أُخذتْ مِنْ حرام؟! إنَّ لحمَ الذبيحةِ ثقيلٌ على المِعاءِ، فكيفَ إذا كان مَيْتةً؟!.

الظَّلَمَةُ في الظُّلْمةِ يمشون في جَمْعِ الحطامِ، يصبحونَ ويمسونَ على فراش الآثام ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

مَنْ نبتَ جسمُه على الحرام، فمكاسبُه كبريتٌ به يوقَدُ، الحجرُ المغصوبُ في البناءِ أساسُ الخراب، أتراهم نسُوا طيَّ الليالي سالفَ الجبّارين، وما بلغوا معشارَ ما آتيناهم؟! فما هذا الاغترار ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ﴾ [الرعد: ٦]، فهم ينتظرون مَنْ لهم إذا طَلَبُوا العَوْدَ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]؟، كم بكتْ في تنعُّم الظالم عينُ أرْمَلة، واحترقَتْ كبدُ يتيم ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [صَ: ٨٨].

ما ابيضَّ لونُ الرغيفِ حتّى اسودَّ وجهُ الضعيفِ، ما تروّقت المشاربُ حتى ترنَّقَتِ المكاسب[3]، ما عَبل[4] جسمُ الظالمِ حتّى ذَوَتْ دوابُ ذاتُ قُوَّة.

لا تحتقر دعاء المظلوم، فشررُ قلبِه محمولٌ بعجيج صوتِه إلى سقفِ بيتك، نبالهُ مصيبٌ، ونَبْله غريبٌ، قوسُه حُرَقُه، ووتره قلقه، ومرماه هدف «**لأنصرنك**»[5]، وسهمُ سهمِه الإصابة.

---

(١) جرع: الجرعة من الماء: حَسوة منه، وجَرِع الماء: بلعه.

(٢) **الغير**: تقلبات الزمان وتصاريف الدهر.

(٣) **تروقت**: تصفت. **ترنقت**: تكدرت.

(٤) **عبل**: امتلأ.

(٥) رواه الترمذي في باب الدعاء، برقم (١٢٨)؛ والإمام أحمد في مسنده: ٢/ ٣٠٥ـ٤٤٥ بلفظ: **«اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»**.

وقـد رأيـتُ وفـي الأيَّـام تجريـب

كم مِنْ دارٍ دارَت بنَعِمِ النِّعَم، دارتْ عليها دوائرُ النِّقَم ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: ٢٤]، كم جارٍ في حلَبَةِ المُنَى قد استولى طرفه على الأمد، صدَمَه قهرُ عقوبة، فألقاه أسرعَ من طَرْف، بَيْنَا القوم ينْبَسطونَ في بسيطةِ البسطِ، كُفَّتْ أكفُّهم بمقامِع القَمْعِ، لسبتهم[١] عقاربُ ظلمهم، نفخَ عليهم ثعبانُ جَوْرِهم، عقرتْهُم أسودُ بطشِهم، نَسَفَتْهم عواصِفُ كِبْرِهم، وفي الغِيَر[٢] عِبَر.

ويحك! إذا كانت راحةُ اللذةِ تُعقب تَعَبَ العقوبة، فدع الدَّعَةَ تمضي في غَيْر الدَّعة، واللهِ ما تساوي لذةُ سنةٍ غَمَّ ساعة، فكيفَ والأمر بالعكس؟ كم في يمّ الغرور من تمساحٍ فاحذرْ يا غائص، يا مَنْ قد أمكنَهُ الزمان من حركات التصرّف في العدل لا تجُر، فما يؤمن من الزَّمن الزمِن.

ومتى بلغتَ إلى الرئاسةِ فاستلب كـرةَ العُلـى بصـوَالـجِ المعـروفِ

كان عمرُ يخافُ مع العدلِ، يا مَنْ يأمنُ مع العدول، رُئي بعد موته باثنتي عشرة سنة، فقال: الآن تخلصت من حسابي، واعجباً! أُقيِّمَ أكثرَ من سِني الولاية، أفينتبهُ بهذا راقدُ الهوى؟!.

أحسنُ شعائر الشرائع العدلُ، الظلمُ ظُلمةٌ في نهار الولاية، وجَدْبٌ يرعى لحومَ الرعية، والعدلُ صوتٌ في صُورِ الحياة، يُبعث به موتى الجَوْر.

أيُّها الظالِمُ! تذكَّرْ عند جَوْرِك عدلَ الحاكِم، تَفَكَّرْ حين تصرفِك في سَرَفِك، عجباً لك! تدَّعي الظَّرف[٣] وتأخذ المظروف والظَّرْف، كلا، أوَ في الظَّرافةِ رأفة؟! ستعلمُ أيُّها الغريمُ قدر غرامِكَ إذا يلتقي كلُّ ذي دين وماطِله، من لم يتتبّع بمنقاشِ العدلِ شوكَ الظُّلمِ من أيدي التصرف، أثَّرَ ما لا يؤمن تعديه إلى القلب.

يا أربابَ الدول! لا تُعربدوا في سُكْرِ القدرةِ، فصاحِبُ الشُّرَطَةِ بالمرصاد.

---

(١) لسبتهم: لسب أي لدغ.

(٢) الغير: التغيرات وتقلبات الزمان.

(٣) الظرف: الكياسة.

سليمانُ الحُكم قد حَبَس آصِفَ العُقوبة في حصنِ ﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [مريم: ٨٤] ، وأجرى رُخاء الرجاء ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ ﴾ [النساء: ١٦٥] ، فلو قد هبّت سمومُ الجزاءِ من مهبٍّ ﴿ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ ﴾ [الأنبياء: ٤٦] .

قلعت سُكْرَ ﴿ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ، فإذا طوفانُ التلف ينادي فيه نوح ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾ [هود: ٤٣] ، فالحذرَ الحذرَ قبل ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ ﴾ [الزمر: ٥٦] ، ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴾ [صۤ: ٣] ، وأنتَ أيُّها المظلومُ فتذكَّر مِنْ أين أُتيتَ؟ فإنّك لا تلقى كَدَراً إلا من طريقِ جنايةٍ ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١] .

كان لبَّانٌ[1] يخلطُ اللبنَ بالماء، فجاء سَيْل فذهبَ بالغنمِ، فجعلَ يبكي ويقولُ: اجتمعت تلكَ القطرات فصارت سيلاً، ولسانُ الجزاءِ يناديه «يداك أوكتا وفوكَ نفخ»[2] .

اذكر غفلتَك عن الآمرِ والأمْر وقت الكسب، ولا تنسَ اطِّراحَ التقوى عند معاملة الخلق، فإذا انْقَضَّ غاصِبٌ فسمعتَ صوتَ سَوْطه يضربُ عِقْدَ الكسبِ جزاءً لخيانة العقود، فلا تستطرف ذلك، فأنتَ الجاني أولاً و«البادي أظلم» .

* * *

---

(١) لبّان: صاحب اللبن.

(٢) يداك أوكتا: مثلٌ يضرَبُ لمن يجني على نفسه الهلاك، وأصلُه ـ كما قال المفضَّل ـ أنَّ رجلاً كان في جزيرة، فأراد أن يعبر على زقّ نفخ فيه فلم يحسنْ إحكامه، حتى إذا توسَّطَ البحرَ خرجت من الزق الريحُ لانفلاتِ الوعاء، فغرقَ الرجلُ، فلما غشيه الموتُ استغاثَ برجلٍ رآه حين نفخَ وربطَ، فقال له: يداك أوكتا وفوك نفخ. انظر: مجمع الأمثال، للميداني: ٢/ ٤١٤، رقم (٤٦٥٥).

الفصل السادس والستون

يا مشغولاً بأملِه عن ذكرِ أجلِه، راضياً في صلاح خِلالِه بخَلَلِه[1]، هل أُتيَ المُساكن لكَسله إلا مِنْ قِبَله؟!.

أَضْحَى لكَ في قبضةِ المطامع آمالُ ... ترجو دَرَكاً والرّدَى لعُمْرِكَ مُغْتَال
هـل أنـتَ مُعِـدٌّ ليـوم حشـرِكَ زاداً ... يـومـاً يجـدُ الفـوزَ بـالقيمـة عمّـال
إن أغفلـك الـدَّهْـرُ بـرهـةً فسيـأتيـ ... ـكَ علـى غفلـة بحتْفـكَ معْجـال
بـادِرْ بمتـابِ فـربَّمـا طـرقَ المـو ... تُ بسهـمٍ مِـنَ المنيـةِ قَتَّـال
أيـنَ المتحـامُـون عـن زخـارفِ دنيـا ... إن أوطنـتِ المـرءَ أعْقَبَتْـهُ بتـرحـال
خـلابـةُ عقـلٍ ببـاطـلٍ متمـادِ ... غـرارةُ صـادٍ رأى المطـامـعَ كـالـلآل
إن شِيمَ[2] سحابٌ لها فذاكَ جَهَامٌ[3] ... أو ظُنَّ بها وابلٌ[4] فذلك خال[5]
دعْ عنك حديثَ الركابِ أينَ تولّتْ ... أو ذِكْرَ ديارٍ بها العِفَاء[6] وأطلال
يـا حسـرةَ مـن أنفـقَ الحيـاةَ غـروراً ... قد باعَ لها الفرصةَ الرخيصةَ بالغال
لا تحتقر الذنبَ فالصحائفُ تُحصي ... ما كنت تَنَاسيتَ من قبائحِ أفعال

ياضاحكاً ملءَ فيه سروراً واغتباطاً، وقد ارتبطتْ له المنونُ خَيلَ التَّلفِ ارتباطاً، أمَا بَسَط الإنذار على بابِ الدَّارِ بساطاً؟! أما الحادي مجدٌّ فما للمنادَى يتباطا؟! أيحسُنُ بالكبير أن يتمرسَ[7] باللهو أو يتعاطى؟! عجباً لعالمٍ بقربِ

---

(١) خِلاله: جمع خلة وهي الخصلة. خلله: من الخلل، وهو الفساد في الأمر.
(٢) شيم: شام البرق: نظر إليه أين يقصد؟ وأين يمطر؟.
(٣) جهام: السحاب الذي فرغ ماؤه.
(٤) وابل: مطر شديد.
(٥) خال: يقال: نستخيل الجهام. أي: لا نتخيل في السحاب خالاً إلا المطر وإن كان جهاماً لشدة حاجتنا إليه.
(٦) العفاء: ذهاب الأثر أو التراب.
(٧) يتمرس: يتعود، يصير محنكاً.

المنايا كيف لا ينتهب التُّقى التقاطاً؟ ولجسدٍ بالٍ جرَّ بالعجبِ والرِّياءِ رِيَاطاً[١].

إلى كمْ هذا الإسراعُ في الهوى والوجيف[٢]؟! وباب البقاءِ في الدُّنيا قد سُدَّ وجِيْفَ[٣]، إن الأمن في طريقٍ قد أُخيف، رأيٌ رذيلٌ، وعقلٌ سخيف، يا من يَجْمعُ العيبَ إلى الشيبِ ويُضيف، لا الماءُ باردٌ ولا الكوزُ نظيف، إنَّ إيثارَ ما يَفْنى لمُزَيّفٌ لا ظَريف، كم أتى خريف، وكم أناخ ريفٌ[٤]، ويكفي مِن الكلِّ كلَّ يومٍ رَغيف، أيجوعُ بِشْرُ الحافي ويشبعُ وصيف[٥]؟! ويَذِل هذا ويَخدُم هذا مئة وصيف، وما أدرك هذا مُدَّ هذا ولا النَّصيف، ألا أريبٌ ألا لبيبٌ ألا حَصِيف؟! لا يُعْجِبنَّكم استقامةَ غصنِ الهوى، فالغُصنُ قَصِيف[٦]، ها نحن قد شَتَوْنا ولعلّنا لا نَصِيف.

سَلِ الأيامَ ما فعلَتْ بكسرى ... وقيصرَ والقصورَ وساكنيها
أما استدَعتْهُمُ للموتِ طُرّاً[٧] ... فلم تدعِ الحليمَ ولا السَّفيها
دنَتْ نحو الدَّنيِّ بسهمِ خَطْبٍ ... فأصمَتْهُ وواجَهَتِ الوَجيها
أما لو بِيعتِ الدُّنيا بفَلْسٍ ... أَنِفْتُ لعاقلٍ أن يَشْتريها

يا من عُمُره يذوبُ ولا يتوبُ، إذا خرَقْتَ ثَوْبَ دينِكَ بالزللِ فارقعه بالاستغفار، فإنَّ رفّاء[٨] الندم صَناعٌ[٩] في جَمْع المُتمزق.

يا هذا إنّما يَضِلُّ المسافِرُ في سَفَره يوماً أو يومين، ثم يقعُ على الجادةِ، وا عجباً من تيه خمسين سنة!.

يا واقفاً مع الصُّوَرِ خالِطْ عالَمَ المعنى، أما علمتَ أن تغريدَ الحمامِ نياحةٌ،

---

(١) رياطاً: جمع ريطة: وهي المُلاءة وكل ثوب لين رقيق.
(٢) الوجيف: ضَرْبٌ من سيرِ الإبل والخيل.
(٣) جيف: أُغلق.
(٤) ريف: السعة في المأكل والمشرب.
(٥) الوصيف: الخادم.
(٦) قصيف: مكسور.
(٧) طرّاً: جميعاً.
(٨) رفاء: خياط.
(٩) صناع: ماهر.

أنتَ تظنُّ البلبلَ يُغنّي، وإنّما يبكي على أحبابه.

ليت شعري عن الذين تَرَكْنا	بعدَنا بالحجازِ هل يذكرونا
أم لعلَّ المدى تطاولَ حتّى	بَعُدَ العهدُ بيننا فَنَسُونا
أزْجِعوا حُرْمَةَ الوصالِ فإنّا	لهم في الهوى كما عهدونا

لو صفَتْ لك فِكْرةٌ، كان لك في كلِّ شيءٍ عِبْرة، كلُّ المخلوقاتِ بين مَخوفٍ ومَشوقٍ.

حَرُّ الصيف يُذكّر حَرَّ جهنم، وبردُ الشتاءِ مَحذِّرٌ من زمهريرها، والخريفُ ينبِّه على جني ثِمارِ الأعمارِ، والربيعُ يحثُّ على طلب العيشِ الصافي.

أوقاتُ الأسحارِ ربيعُ الأبرارِ، وقوةُ الخوفِ صيفٌ، وبرودة الرجاء شتاء، وساعاتُ الدُّعاء والطلب خريفٌ.

إذا استحَرَّ(١) الحرُّ تَقَحَّم القَحلُ، فطلّق القَطْرُ الأرضَ، فَلَبِسَتْ سِرْبالَ الجدب، وأَحَدَّت في حِفْشِ(٢) الذُّلِّ، فلما طَالت أيامُ الأيمة(٣) أَوْمأ إلى المُراجعة الرجعُ(٤)، فبكت قطراتُه لطولِ الهجرِ، فضحكَ لكثرةِ بُكائه رَوْضُ الأرضِ، فبنى البَنّاءُ ريعَ(٥) الربيع، فنهضتْ ماشِطَةُ القدرةِ، لإخراج بناتِ النباتِ من مَخْدرِ الثَّرى، فَفرشَتِ الحُلَلَ بمصبغات الحُلل، فسمع الوردُ هُتافَ العندليبِ، وحَنينَ الدواليبِ، ففتحَ فاهُ مُشتاقاً إلى مشروبٍ، فإذا الطلُّ(٦) صَبوحٌ(٧)، فقالَ: ألا مُنادم؟ فأبتِ الأزهارُ مصاحبةَ مَنْ لا يقيم، فأجابه بعدَ اليأسِ الياسمين، فقال: أنا نظيرُك في قِصَرِ العُمر، والمؤانسةُ في المجانسة، فأشِرْ أنتَ إلى المُذنب بإحمرارِ الخجلِ، حتى أُشيرَ أنا إلى الخائفِ باصفرارِ الوَجَلِ.

---

(١) **استحرّ**: اشتد.

(٢) **حفش**: البيت الحقير القريب السقف من الأرض.

(٣) **الأيمة**: من التأيم ومفارقة الزوج.

(٤) **الرجع**: المطر.

(٥) **ريع**: النماء والزيادة.

(٦) **الطل**: أخف المطر وأضعفه.

(٧) **الصبوح**: كل ما أكل أو شرب غدوة، وهو خلاف الغبوق.

فرأى البُلْبُلُ طيبَ الاجتماعِ فغَنّى، فَرَنَّتْ ديارُ اللهو، فدخلَ الناطورُ والصيادُ، فاقتطفَ الناطورُ رأسَ الوردِ، واختطفَ الصيادُ البُلْبُلَ الوَغْد[1]، فَذُبحَ في الحال العصفورُ، وحُبِسَ الورد في قوارير الزُّور[2]، وقيل للياسمين: لم اغتَرَرْتَ بزُورٍ؟!: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فلمَّا بكى الوردُ بكاءَ نادمٍ على الاغترار صَلَحَ للمُتَطَيِّبين «أنينُ المذنبين أحبُّ إلينا من زَجَلِ المسبِّحين»[3].

فانتبه يا مخدوع، فالعُمْرُ الوَرْدُ، والزجاجةُ القبرُ، والنفسُ البُلبلُ، والقَفَصُ اللَّحْدُ.

* * *

(١) الوغد: ضعيف الجسم.

(٢) الزُّور: مجلس اللهو والغناء.

(٣) انظر: كشف الخفاء، برقم (٨٠٥). وقال بعد أن أورده: «لينظر»، ولم نستطع الوقوف عليه.

الفصل السابع والستون

إخواني! المستقرُّ يزول، والمقيمُ منقول، والأحوالُ تحول، والعتابُ على الفاني يطول، وكم نَعْذُلُ وكَمْ نقول؟!.

سيقطَعُ رَيْبُ البَيْنِ بَيْنَ الفريقينِ ... لكلِّ اجتماعٍ فرقةٌ من يَدِ البَيْنِ[1]
وكلٌّ يقضي ساعةً بعدَ ساعةٍ ... تُخاتِلُهُ عن نفسِه ساعةُ الحَيْنِ
وما العيشُ إلا يومُ موتٍ له غدٌ ... وما الموتُ إلا رقدةٌ بَيْنَ يومينِ
وما الحشرُ إلا كالصَّباحِ إذا انجلى ... يقومُ له اليَقْظانُ مِنْ رَقْدةِ العَيْنِ
أيا عجباً منِّي ومن طولِ غَفْلتي ... أُؤَمِّلُ أنْ أبقى وأنّى ومِنْ أينِ؟

أينَ قُطّانُ الأوطان؟ أينَ الأطفالُ والشُّمْطان[2]؟ أينَ الجائعُ والمِبْطان؟ أين حَطَّان وقحطان؟ أين العبيدُ والسلطان؟ أين الباني وما طان[3]؟ أين السقوفُ والحيطان؟ أين المروجُ والغيطان؟ أين المهاري والأشطان[4]؟ أين الآجال والخيطان[5]؟ أين المُحب والحبيب في الثرى خطان؟ تَعرفُ وتَصْدِف[6] ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥].

الطريقُ الهاديةُ واسعةُ الفجاج، والدليل ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج، وأمَّا بحرُ الهوى فما يفارقه ارتجاج، ما فيه ماءٌ للشربِ بل كلُّه أُجاج، والعَجَبُ من

---

(١) البين الأولى: الفراق. والبين الثانية: الوصال.
(٢) **الشمطان**: جمع أشمط، وهو الرجل الكبير.
(٣) **ما طان**: أي ما طيّن وبناه.
(٤) **المهاري**: نجائب تسبق الخيل. **الأشطان**: الحبل الذي تشد به الدابة، وهو جمع شَطَن.
(٥) **الآجال**: جمع إجل: القطيع من بقر الوحش والظباء. **الخيطان**: جمع خيط، وهي الجماعة من البقر والنعام والجراد.
(٦) **تصدف**: من صدف أي أعرض.

راكبٍ فيه يتَّجرُ في الزجاج، كم مزجورٍ عنه غرَّقَته في لُجّةِ لُجاج.

يا معاشرَ العصاةِ! قد عمَّ الجدْبُ أرضَ القلوب، وأشرفت زروعُ التقوى على التَّوى[1]، فاخرجوا من حُصُر الذنوب إلى صَحراء الندم، وحوِّلوا أرديةَ الغَدْرِ عن مناكب العهود، ونكِّسوا رؤوس الرياسة على أذقان الذُّل، لعلَّ غيومَ الغُموم على ما تَلف تأْتلف.

إخواني! قد بشّر الرَّشَاش فاثبُتوا، وقد سال الوادي.

واحبسِ الركبَ علينا ساعةً نَنْدُب الرَّبعَ ونَبْكِ الدِّمَنا
فلذا الموقفِ أعدَدْنا البُكا ولذا اليومِ الدموعُ تُقْتنى
زَمَناً كان وكُنَّا جيرةً يا أعادَ اللهُ ذاكَ الزَّمَنا
بيننا يومُ أُثَيْلاتِ النَّقا كان عن غيرِ تراضٍ بيننا

إذا خرجَت القلوبُ بالتوبةِ من حَبْس الهوى إلى بيداءِ الإنابةِ، جَرت خيولُ الدمع في حلبات الوجد كالمرسَلات عُرفاً.

إذا استقامَ زرعُ الفكرِ، قامتْ العبراتُ تَسقي، ونهضت الزّفراتُ تَحصُد، ودارت رحا التحيُّر تَطْحن، واضطرمت نارُ القلقِ تُنْضِج، فحصلت للقلب بُلّةٌ، يتقوّى بها في سَفَرِ الحُبِّ.

يا من لم يصبِرْ عن الهوى صبرَ يوسُف، تعيَّنَ عليكَ حُزْنُ يعقوب، فإن لم تُطِقْ فذلُّ إخوته يوم ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف: ٨٨].

خوفُ السابقةِ؛ وحذَرُ الخاتمة قَلْقَلَ قلوبَ العارفين، وزادهم إزعاجاً ﴿يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، كلّما دخلوا سِكَّةً من سِكَكِ السكون، شرعَ بهم الجزعُ في شارعٍ من شَوارع القلق، كلّما حركَ نسيمُ السَّحرِ أغصانَ الشجر، أخذتْ ألسنُ قلوبهم في بَثِّ القَلَقِ، فكاد نفَسُ النَّفْسِ يقطعُ الحيازيم[2]، لولا حَزْمُ التمسُّك.

---

(١) التوى: الهلاك.

(٢) الحيازيم: جمع حيزوم: وسط الصدر.

(للشريف الرضي)[1]:

وإنّـي لأُغـرى بـالنسيـم إذا سَـرَى ... وتُعْجِبُنـي بـالأبـرَقَيـنِ ربـوعُ
ويَحْنـي علـى الشـوقِ نجـديُّ مُـزْنَـةٍ ... وبَـرْقٌ بـأطـرافِ الحجـازِ لمُـوعُ
ولا أعرِفُ الأشجانَ حتّى تَشُوقَني ... حمـائـمُ ورقٍ فـي الـديـارِ وقـوعُ[2]

في كلِّ الليل تهبُّ الرياح، ولكنْ لنسيمِ السحرِ خاصّيَّة، ما أظنُّه تعطَّرَ إلا بأنفاسِ المستغفرين، لِنَفَسِ المُحبِّ عِطْريةٌ تنمُّ على قَدْرِ طِيْبِه.

أحبُّ الثرى النجديَّ مِنْ أَجْرعِ الحِمَى ... كـأنّـي لِمَـنْ بـالأجـرَعيـنِ نَسيـبُ
إذا هـبَّ علـويُّ الـريـاحِ رأيتَنـي ... أغـضُّ جفـونـي أنْ يُقـالَ مُـريـبُ

المحبون على شواطئ أنهار الدمع نُزول، فلو سرْتَ عن هواك خطوات لاحَت لك الخيام:

وصلـوا إلـى مـولاهـمُ وبَقِينـا ... وتَنَعّمُـوا بـوصـالِـهِ وشَقِينـا
ذهبـتْ شَبيبتُنـا وضـاعَ زمـانُنـا ... ودَنَـت منيتُنـا فمـن يُنجينـا
فتجَمَّعـوا أهـلَ القطيعـةِ والجَفـا ... نَبكـي شهـوراً قـدَ مَضْـت وسنينـا

كان بعضُ السلف يقول: اللهم إنْ منعتني ثوابَ الصالحين، فلا تحرمني أجرَ المصابِ على مصيبتِه.

وكان آخرُ يقول: إن لم ترضَ عني فاعفُ عني.

كان القوم زينةَ الدُّنيا، فمُذْ سلبوا تسلبت[3].

خلت والله الديار وباد القوم، وارتحل أربابُ السهر، وبقي أهلُ النوم، واستبدل الزمانُ آكلي الشهوات بأهل الصوم:

كَفَى حَزَنـاً بالوالِهِ الصَّبِّ أن يَـرى ... منـازلَ مَـنْ يَهْـوى معطَّلـةً قَفْـرا

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٦٢١.
(٢) الشطر الثاني في الديوان: «حمام ببطن الواديين سجوع».
(٣) تسلبت: أي لبست السلاب: وهو ثوب أسود أو أبيض تلبسه المرأة في الحداد والحزن.

يا مَنْ كان له في حديثِ القومِ ذوقٌ، أين آثار الوجدِ والشوق؟! إذا طال لبثُ الطين في حافّاتِ الأنهار تكاملِ ريُّه، فإذا نَضبَ الماءُ عنه استلبت الشمسُ جميعَ ما فيه من رطوبةٍ، فيَقوى شوقُه إلى ما فارق، فلو تَرَكْتَ قطعةً منه على لسانِك لأمسكته شوقاً إلى ما فارقَت من رطوبةٍ.

أشدُّ الناسِ حُبّاً لحديث الحجاز مَنْ سافر:

فكـانـتْ بـالفُـراتِ لَنَـا ليـالٍ   سَـرَقْنَـاهُـنَّ مِـنْ رِيَـبِ الـزَّمـانِ

يا هذا! كنْتَ تدَّعِي حبّنا، وتؤثرُ القُرْبَ منّا، فما هذا الصبر الذي قد عنَّ[1] عنا؟!.

كنتَ تستطيبُ رياحَ الأسحارِ، وما تغيَّرَ المهبُّ، ولكن دخلَ فصلُ بَرْدِ الفتور ولم تحترز، فأصابكَ زُكامُ الكَسَلِ.

كنْتَ في الرّعيلِ الأول، فما الذي ردّكَ إلى الساقةِ[2]؟!.

قف الآن على جادَّةِ التأسُّفِ والزم البكاء على التخلّف، فأحقُّ الناسِ بالأسى من خُصَّ بالتعويقِ دونَ الرُّفقاء:

يـا صـاحِبَـيّ أطيـلا فـي مـؤانَسَتـي   وعلِّـلانـي بِخِـلاَّنـي وعُشّـاقـي
وحَـدِّثـانـي حـديـثَ الخَيْـفِ إنَّ لَـهُ   روحـاً لقلبـي وتسهيـلاً لأخـلاقـي
ما ضرَّ ريحَ الصَّبا لو نَاسَمَتْ حُرَقي   واستَنْقَذَتْ مُهجتي من أسرِ أشواقي
داءٌ تقـادمَ عنـدي، مَـنْ يُعـالجُـه؟   ونَفْثَـةٌ بلَغَـتْ منـي، مَـنِ الـرَّاقـي؟
يَمضـي الـزمـانُ وآمـالـي مُصَـرَّمَـةٌ   مِمَّـن أُحـبُّ علـى مُطْـلٍ وإمـلاقِ
وَا ضيْعَةَ العُمْرِ لا الماضي انتفعتُ به   ولا حَصَلْتُ على عِلْـمٍ منَ البـاقي
بلـى علمـتُ وقـد أيقنْـتُ يـا أسفـاً   أنـي لكـلِّ الـذي قـدَّمْتُـهُ لاقِ

* * *

---

(١) عنَّ: طرأ.
(٢) الساقة: المؤخرة.

الفصل الثامن والستون

إخواني! مَنْ عاملَ الدُّنيا خَسِر، ومن حَمَل في صفِّ طلبها كُسِر، وإنَّ خلاصَ مُحبِّها منها عَسِر، وكُلُّ عاشقيها قد قُبِرَ وأُسِرَ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أرى الشهدَ يرجعُ مثلَ الصَّبرِ ... فما لابنِ آدمَ لا يَعْتَبِرْ
ومُخبِرُه صادقٌ في الحديثِ ... فإن شكَّ في ذاك فليختبِرْ
ودنياكَ فالْقَ بطولِ الهوان ... فهلْ هي إلا كَجِسْرٍ عُبِرْ

يا طالباً ما لا يُدرَك، تَمنَّى البقاء وما تُتْرك، كأنك بالحادي قد أَبرك[(١)]، وهل غير الحصاد لزرع قد أفرك؟![(٢)].

وكيفَ أُشيدُ في يومي بناءً ... وأَعلمُ أنَّ في غدٍ عنه ارتحالي
فلا تَنصُبْ خيامَكَ في محلٍّ ... فإنَّ القاطنينَ على احتمالِ[(٣)]

يا من أعماله رياءٌ وسمعة، يا من أعمى الهوى بصرَه وأصمَّ سمعَه، يا من إذا قام إلى الصلاة لم يُخلص ركعة، يا نائماً في انتباهه إلى متى هذه الهَجعة؟! يا غافلاً عن الموتِ كم قلعَ الموتُ قَلْعة! كم دخل دارَك فأخذ غيرك وإنَّ له لرجعة! كم شَرى شخصاً بنقد مَرَض وله الباقون بالشُّفعة[(٤)]! كم طرَق جباراً فشتت شَمْلَه وأخْرَبَ ربعه، أفلا يتَّعِظُ البيدق بسلب شاه الرقعة[(٥)].

يا عامرَ الدُّنيا! إنّما الدُّنيا دار قُلْعة[(٦)]، كم مزَّقت قلباً بُحبِّها فرجع ألفَ

---

(١) أبرك: يقال: أبرك في عدوه: أسرع فيه مجتهداً.
(٢) أفرك: صار صالحاً للحصاد.
(٣) احتمال: رحيل.
(٤) الشُّفعة: مصدر بمعنى التملك، وقد عرفها الفقهاء بأنها تمليك البقعة جبراً على المشتري بما قام عليه، أو هي حق تملك قهري يثبت للشريك القديم على الحادث فيما ملك بعوض.
(٥) بيدق: بيدق الشطرنج: الجندي. وشاه الرقعة: الملك.
(٦) دار قُلْعة: دار تحول وارتحال.

قطعة، إنْ خُصَّتْ بطيب المَذاقِ أَغَصَّتْ وسْطَ الجُرعة، يومُ تَرحِها سنة، وسنةُ فَرحِها جمعة، إنَّها لمُظلمةٌ، ولو أوْقدت ألفَ شَمْعة، وهي مع هذا خائنةٌ، ولو حلفت بِرَبَعة[1]، [والمطبوع على طبعه فمن يُغيِّر طبعه][2].

كم دَرَسَتْ عليكم مُجلدات تقولُ: ما هذه الأنفُس مُخلّدات! أين الأقاربُ، أين اللِّدات[3]؟! أفلا روائدُ ذهنٍ للأخبار مُنْتَسِمات! آهٍ للقاعدينَ عن طلبِ المكْرُمات، آهٍ للمستريحين لقد رضوا بمؤلِمات.

يـــا أسيــــرَ الشهـــوات ذهـــبَ العمـــرُ وفـــات
ومضَـــى وقتُـــك فـــي لهـــوٍ وسهـــوٍ وشتـــات
بينمـــا أنـــتَ علـــى غيّـــكَ حتـــى قيـــل مـــات

إخواني! ما لقلب العزمِ قد غَفَل، ولنَجمِ الحَزْمِ قد أفَل، مهلاً فشمسُ العمرِ في الطَّفَل[4]، ومن لم يحضر الوغى لم يُحرِزِ النَّفَل:

ثَـوَانـيَ[5] هَـمٌّ فَلـم أُقْـرِه أوائـلَ مـن عـزمتـي أو ثـوانـي[6]
فيـا هنـدُ وانٍ[7] عـن المكـرمـات مَـنْ لا يسـاور بـالهُنـدوانـي[8]

يا معاشرَ العلماءِ! أتقنعونَ من الصفات بالأسماء؟! أتؤثرون الأرضَ على السماء؟! أفي السُّكرِ أنتم أم في الإغماء؟! أترضون بالثريّا الثرى؟! أتغمضون العيونَ مِنْ غير كرى؟! أتنامون فمن يحمَدُ السُّرى؟!.

أتحيدون وفي الأنفِ البُرَى[9]؟! أتحلّون عقد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ [التوبة:

---

(١) ربعة: صندوق أجزاء المصحف.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) اللدات: جمع لدة: من ولد معك في وقت واحد.
(٤) الطفل: الوقت قبيل غروب الشمس، أو بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب.
(٥) ثواني: من الثواء: الإقامة.
(٦) ثواني: ما يأتِ ثانية.
(٧) وانٍ: ضعيف فاتر متباطئ.
(٨) هندواني: السيف.
(٩) البرى: جمع برة: حلقة من نحاس في أحد جانبي أنف البعير للتذليل.

١١١]؟! إنكم لأحقُّ بالحزن فيما أرى، أَحْضِروا نائحة لا تُكَفِّكُمُ الكِرا[١].

يـا قـومَنـا هـذه الفـوائـدُ جَمَّـةٌ   فتخيّـروا قبـلَ النّـدامـةِ وانْتقُـوا
إنْ مسَّكـم ظمـأٌ يقـولُ نـذيـرُكُـمْ:   لا ذنبَ لي قد قلتُ للقومِ اسْتَقُوا

يا معاشرَ العلماء! قد كتبتم ودرستم، ثُمَّ إنْ طَلَبَكُم العلمُ فَلسْتُم في بيتِ العمل، ثم لو ناقَشكم الإخلاصُ لأفْلَسْتُم.

شجرةُ الإخلاص أصلُها ثابتٌ، لا يضرُّها زَعْزعٌ[٢] ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: ٢٧]، وأما شجرة الرياء فاجْتُثَّتْ عند نَسْمةٍ ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الصافات: ٢٤].

كم متشبِّهٍ بالمخلصين في تَخَشُّعِه ولِباسه، وأفواهُ القلوبِ تنفرُ من طَعْم مذاقه! وا أَسَفي ما أكثر الزُّور!

أمّا الخِيامُ فإنَّها كخيامهم

ليسَ كلُّ مستديرٍ يكون هلالاً، لا لا، وما كلُّ مَنْ أَوْمَى إلى العزِّ نالَه.
ودون العُلى ضربٌ يُدَمِّي النَّواصيا

كم حولَ معروفٍ من دفينٍ، ذهب اسمُه كما بَليَ رسْمُه، ومعروفٌ[٣] معروف:

فمـا كـلُّ دارٍ أَقْفَـرتْ دارةُ الحِمـى   ولا كـلُّ بيضـاءِ التَّـرائـبِ زينـبُ

ريحُ المُخلصينَ عطريةُ القبول، والمرائي سموميُّ النسيم، نفاقُ المنافقين صَيَّرَ المسجدَ مَزْبلةَ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، وإخلاص المخلصين رفع قدر الوَسَخ «ربَّ أشعثَ أغبر»[٤].

أيُّها المرائي قلبُ من ترائيه بيدِ مَنْ تَعْصِيه[٥]، لا يُنْقَشُ على الدرهم الزائفِ

---

(١) الكراء: بالقصر والمد: الأجر.
(٢) زعزع: الريح الشديدة.
(٣) أي: معروف الكرخي.
(٤) رواه مسلم.
(٥) ترائيه: أي من تعمل لأجله من الناس. بيد من تعصيه: أي بيد الله عزَّ وجلَّ.

اسمُ الملك، فما يتبهرجُ الشحمُ بالورمِ، المرائي يتَبَرْطل[1] على بابِ السلطان، يدّعي أنّه خاصٌ وهو غريب! أتدرون ما ذنب المرائي؟ دعا باسم ليلى غيرَها فيا أسَفي! ذهبَ أهلُ التحقيق وبقيت بُنَيات الطريق، خَلَتِ البقاعُ من الأحباب، وتَبدَّلت العمارةُ بالخراب، يا ديارَ الأحباب عندك خبرٌ! المخلصُ يُبَهْرِجُ على الخلقِ بستر الحال، وبَبِهْرَجته يَصحُّ النقدُ.

كان في ثوبِ أيوب السختياني بعضُ الطولِ لسَتْرِ الحال، وكان إذا وَعَظ فَرَقَ، فَرَقَ قلبه من الرياءِ فيَمْسحُ وجهَه ويقول: ما أشدَّ الزكام.

(لِصُرَّدُرّ)[2]:

أحبسُ دمعي فينِدُّ شارِداً ... كأنَّني أحبسُ عبداً آبقا
ومِنْ محاشاةِ الرقيبِ خِلتُني ... يومَ الرحيلِ في الهوى منافقا

كان (أيوبُ) يُحيي الليلَ كلَّه، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوته كأنه قام تلك الساعة:

(لِصُرَّدر)[3]:

أُكَلِّفُ القلبَ أن يَهْوى وأُلزِمُهُ ... صبراً وذلكَ جمعٌ بين أضدادِ
وأكتمُ الركبَ أوطاري[4] وأسألُه[5] ... حاجاتِ نفسي لقدْ أتعبتُ رُوَّادي
هل مدلِجٌ عندَه من مُبكِرٍ خبرٌ ... وكيفَ يعلمُ حالَ الرائحِ الغادي
وإنْ رويتُ أحاديثَ الذين مَضَوْا[6] ... فعن نسيمِ الصَّبا والبرقِ إسنادي

كان (إبراهيم النخعي) إذا قرأ في المصحف فدخل داخلٌ غطّاه.

وكان (ابن أبي ليلى) إذا دخل داخلٌ وهو يصلي اضطجع على فراشه.

---

(١) يتبرطل: أي لبس البُرطل، أي القلنسوة.
(٢) قاله يمدح عفيفاً القائمي. انظر: الديوان، ص١٤٩.
(٣) قاله في مدح الوزير أبي نصر بن جهير، وهو آخر شعر قاله. انظر: الديوان، ص١٠٥.
(٤) في الديوان: «أسراري».
(٥) في الديوان: «وأسألهم».
(٦) في الديوان: «نأوا».

أَفـدي ظبـاءَ فَـلاةٍ مـا عَـرَفْـنَ بهـا   مضغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجِبِ[1]

مرض (ابنُ أدهم) فجعلَ عند رأسِه ما يأكله الأصحّاء، لئلا يتشبه بالشاكين، هذه والله بَهْرجةٌ أصحُ من نقدك.

(للعباسِ بن الأحنفِ)[2]:

قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا   وفـرّقَ النـاسُ فينـا قـولهـم فِـرَقـا
فكـاذبٌ قـد رَمَـى بـالظّـن غيـركُـمُ   وصـادقٌ ليـس يـدري أنَّـه صَـدَقـا

اشتُهِرَ (ابن أدهم) ببلد، فقيل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناسُ يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوفُ معهم ويقول: أين إبراهيم ابن أدهم.

(لمهيار)[3]:

ضناً بأنْ يعلمَ الناسُ الهوى ولمَن   وهبـتُ للسـرِّ فيـه لـذّةَ العَلَـنِ
عـرِّض بغيـري ودَعْنـي فـي ظنـونهـمُ   إنْ قيلَ: من يَكُ يُخفي الحقُّ في الظَّنَنِ

قرئ على (أحمد بن حنبل) في مرضِهِ أنَّ طاووساً كان يكره الأنين، فما أنَّ حتى مات.

(لِصُرَّدُرَ)[4]:

تفيـضُ نفـوسٌ بـأوصـابِهَـا   وتكتـمُ عـوّادَهـا مـا بهـا
ومـا أنصفـتْ مهجـةٌ تشتكـي   هـواهـا إلـى غيـر أحبـابهـا

لما همَّ الطبعُ بالتأوُّه من البلاء كشفت الحقائقُ سُجُفَ المحبوبِ، فلم يبقَ

(١) يريدُ بالظباء نساءَ العرب، وأنهن فصيحات لا يمضغن الكلام، ولا يصبغن حواجبهن كعادة نساء الحضر، فهو تفضيل للعربيات.
(٢) انظر: ديوان شعره، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٣) مطلع قصيدة يمدح بها الوزير ابن أردشير. الديوان: ٤/ ٢٧ ـ ٢٩.
(٤) من قصيدة يمدح بها أبا القاسم بن رضوان. انظر: ديوان شعره، ص١٣٨.

لتقطيع الأيدي أثر:

بـدا لهـا مِـنْ بعـدِ مـا بـدا لهـا ... روضُ الحِمَـى أن تشتكـي كَـلالَهـا

رحل ـ والله ـ أولئك السادة، وبقِيَ والله قرناء الرياء والوسادة.

ذمَّ المنـازلَ بعـد منـزلـة اللـوى ... والعيـشَ بعـد أولئـك الأقـوام

أسمع أصواتاً بلا أنيس، وأرى خشوعاً أصله من إبليس.

(لمهيار)[1]:

تشبهـتْ حـورُ الظبـاءِ بهـم ... إذ سكنـتْ فيـكَ ولا مثـلُ سكـنْ
أصـامِـت بنـاطـقٍ، ونـافـرٌ بـآنـسٍ ... وذو خـلاً بـذي شَجَـنْ
مُشْتَبَـهٌ أعـرفُـه وإنّمـا ... مغـالطـاً قلـتُ لصَحْبـي: دارُ مَـنْ؟
قِـفْ بـاكيـاً فيهـا وإن كنـتَ أخـاً ... مُـؤانسـاً فبكِّهـا عنـك وعـن
لـم يُبْـقِ لـي يـومُ الفـراقِ فضلـةً ... مِـنْ دمعـةٍ أبكـي بهـا علـى الـدِّمَـنْ

* * *

---

(١) من قصيدة أنشد بها ابن هرثمة الكاتب. الديوان: ٤/ ٤٧.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والسِّتُّون

التفكُّر في عجائب خلق الله

يا مَنْ قد أُرخيَ له في الطِّوَل[1]، وأُمْهِلَ له بِمَدِّ الأجل، اخلُ بنفسِكَ وعاتبْها، وخُذْ على يدها وحاسبها، لعلَّها تأخُذُ عدَّتَها قبل أن تستوفيَ مُدَّتها:

وجدتُ أيامي بي رَواحلاً ... متى ترى ينحطُّ عنها الراحلُ
وصيحَ بي: عَرِّس[2] فقد طالَ المدى ... وكلُّ ركبٍ في التُّرابِ نازلُ
يهدِّدُ الحَيْنُ[3] فهل من سامعٍ ... وجاءَ بالنصحِ فأينَ القابلُ
وكلُّ شيءٍ زاجرٌ مُحدِّثٌ ... يفهمُ ما قالَ الحصيفُ العاقِلُ

إخواني! بادروا قبل العَوائق، واستدركوا، فما كلُّ طالبٍ لاحق، واشكروا نعمةَ من سَتَرَكُم عن الذُّنوب، واعرفوا فضلَه فقد أعطاكم كلَّ مطلوب، ما أعمَّ جودَه لجميع خلقه! وما أكثرَ تقصيرَهم في حقِّه! عمَّ إحسانُه الآدميَّ والبهائمَ، والمستيقظَ والنائمَ، والجاهلَ والعالمَ، والمتّقي والظالم.

من تأمَّلَ حسنَ لطفه لخليقتِه حيَّرَهُ الدَّهَش، خلقَ الجنينَ في بطنِ الأمِّ فجعل وجهه على ظهرِها لئلا يجري الطعامُ عليه، وجعل أنفَه بين ركبتيهِ ليتنفَّس في فَراغٍ[4]، وسيق قوتُه في مِصْران السرة، وليس العجبُ تَغذِّيه لأنَّه متّصلٌ بحيٍّ، إنما العجبُ خلقُ الفرخِ في البيضةِ المنفصلةِ، فإنَّه من البياضِ يخلَقُ ومن المُحِّ[5] يغتذي، فقد هيَّأ له زادَ الطريقِ قبل سيرِ الإيجاد.

---

(١) **الطِّوَل**: الحبل يرخى للدابة لترعى. وهنا كناية عن فسحة الأجل.

(٢) **عرّس**: هو نزول القوم في السفر من آخر الليل، وفي (أ): عرج.

(٣) **الحين**: الهلاك.

(٤) هذه المعارف كانت شائعة في عصرهم، ولا تصح.

(٥) **المح**: ما في جوف البيضة من صفرة.

إذا تفقأت بيضةُ الغرابِ خرجَ الفرخُ أبيض، فتنفرُ عنه الأمُّ لمباينته لونها، فيبقى مفتوحَ الفمِ لطلبِ الرزقِ، فيسوقُ القدرُ إلى فيه الذباب، فلا يزالُ يغتذي به حتى يسوَدَّ، فتعود أمه إليه.

خلق الطير ذا جؤجؤ[1] مخدد، لتجري سفينة طيرانه في بحر الهوى، وجعل في جناحه وذنبه ريشاتٍ طوالاً لينهض للطيران، ولمَّا كان يختلِسُ قوتَه خوفاً من اصطياده، جُعِلَ منقارُه صلباً لئلا ينسحج[2]، ولم يُخلق له أسنان، لأنَّ زمانَ الانتهاب لا يحتمِلُ المضغَ، وجُعِلَتْ له حَوْصلة كالمِخْلاة، فينقل إليها ما يسلُبُ، ثم ينقلُه إلى القانصة في زمان الأمن، فإن كانت له فراخٌ أسْهَمهم قبل النَّقْل.

كلَّما طالَتْ ساقا الحيوان طالَ عنُقُه، ليمكنه تناولَ طُعْمِه من الأرض.

هذا طائرُ الماءِ لا يقف إلا في ضحضاح[3]، فيتأمّل ما يَدُبُّ في الماء، فإذا رأى ما يريدُ خطا خطواتٍ على مهل فيتناول، ولو كان قصيرَ القوائم، كان حين يخطو يضرب الماء ببطنه فيهربُ الصيدُ.

هذه العنكبوتُ تبني بيتها بصناعة يعجزُ عنها المهندس، إنَّها تطلبُ زاويةً فجعلت فيها خيطاً، ووصلت بين طرفيها بخيطٍ آخر، وتُلْقي اللعابَ على الجانبين فإذا أحكَمَتِ المعاقدَ، ورتَّبت القُمُط[4] كالسدى أخذت في اللُّحمة[5]، فيظنُّ الظانّ أنَّ نسجَها عبثٌ، كلا، إنّها تصنعُ شبكةً لتصيدَ قوتَها من الذباب والبقِّ، فإذا أتمَّت النَّسجَ انزوت إلى زاويةٍ ترصدُ رصْدَ الصائِدِ، فإذا وقع صيدٌ قامت تجني ثمارَ كسبها فتغتذي به، فإذا أعجزَها الصيدُ طلبتْ زاويةً ووصلت بين طرفيها بخيط، ثم علَّقَتْ نفسَها بخيطٍ آخر، وتنكّست في الهواءِ تنتظرُ ذبابةً تمرُّ بها، فإذا

(١) جؤجؤ: صدر.
(٢) ينسحج: من سحج جلده فانسحج، أي: قشره فانقشر.
(٣) ضحضاح: ماء قليل قريب القعر.
(٤) القمط: جمع قماط، وهو الحبل ونحوه يقمط به.
(٥) السدى: ضد اللحمة وهو ما يمد طولاً في النسيج. اللُّحمة: ما ينسج عرضاً.

دنَتْ منها دبت إليها، واستعانت على قتلها بلف الخيط على رجلها، أفتراها عَلِمَتْ هذه الصنعة بنفسها؟ أو قرأتها على بعض جِنْسِها؟ أفلا يُنظَرُ إلى حكمةِ مَنْ علَّمَها وتثقيف من ألهمها؟!.

فإن لم يكن لك نظرٌ يُعجبُك منها فتعجَّبْ من عدم تَعَجُّبِكَ، فإنَّ أعجبَ أفعالِ القَدَرِ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

القلبُ جوهرٌ في مَعْدِن البدن، فاكشف عنه بمعوَلِ المجاهدة، ولا تُطَيِّنْهُ بترابِ الغفلةِ، رَمَيْتَ صخرةَ الهوى على يَنْبوعِ الفِطنة، فاحتبسَ الماءُ، انقُبْ تحتَها إن لم تُطِقْ رفعها لعلّ الجُرفَ[1] ينهار.

فـي قُـربنـا نَيْـلُ المنـى ... فتنبَّهُـوا يـا غـافلينـا
عَجَبـاً لقـومٍ أَعْـرَضـوا ... عَنَّـا وقِـدْمـاً واصلـونـا
نَقَضُـوا العهـودَ وبـارزونـا ... بـالصـدودِ وكـاشفـونـا
واستعـذبُـوا طَعْـمَ القطيعـةِ ... والجفـا حتـى نسُـوْنـا
يـا ويحهـم لـو قـد رأوا ... مـا فـاتهـم لاستعطفـونـا

إلٰهي! ما أكثر المعرضين عنك والمعترضين عليك! وما أقلَّ المُتعرضين إليك يا روحَ القلوب! أين طُلَّابك؟ يا نور السماوات! أين أحبابُك؟ يا ربَّ الأربابِ! أين عُبَّادُك؟ يا مُسَبِّبَ الأسباب! أينَ قُصَّادُك؟ من الذي عاملك بلبه فلم يربَح؟ مَنْ الذي جاءَك بكربه فلم يفرح؟ أي صدْرٍ صدَرَ عن بابك ولم يَشْرَح؟ مَنْ ذا الذي لاذَ بجنابك فاشتهى أن يَبْرح؟ يا مُعْرِضاً عنه إلى مَنْ أعرضتَ؟ يا مشغولاً بغيرِه بمَنْ تعوّضت؟!.

مُـتْ علـى مَـنْ غبـتَ عنـه أسفـا ... لسـتَ عنـه بمصيـبٍ خَلَفـا
لـن تـرى قُـرَّةَ عيـنٍ أبـدا ... أو تُـرى نحـوَهُـمُ مُنْصَـرَفـا

بِعْتَ قيامَ الليلِ بفضلِ لُقمة! شربتَ كأسَ النعاسِ ففاتَكَ الرفقة، ضُرِبَ على أذنك لا في مرافقة أهلِ الكهفِ، تناولتَ خَمْرَ الرُّقاد، فوقعَ بكَ صاحِبُ

---

(١) الجرف: شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله.

الشرطة، فعمل في حقك بمقتضى «أقم وأنِمْ»، فجعل حدَّكَ الحبسَ عن لحاقِ المتهجدين.

واللهِ لو بعتَ لحظـةً من خلوةٍ بنـا بِعُمْرِ نوح في ملك قارون لَغُبِنْتَ، لا بل بما في الجنان كلِّها ما ربحتَ، ومن ذاقَ عَرَف.

إخواني! اسمعوا بحُرمةِ الوفاء، فما كلُّ وقتٍ يطلعُ سُهَيل[1]، فإذا خرجتم من المجلسِ، فاقصدوا المساجد الخراب، وضعوا وجوهكم على التـراب، وابعثوا أنفاسَ الأسَـفِ، وكفى بها شـفيعاً في الزَّلل، فإن وجدتُم قلوبَكم قـد حضَرَتْ فاذكروني معكم.

(للشريف الرضي)[2]:

وقولوا لجيران على الخَيْفِ من مِنًى ... تـراكُـمْ مَـن استبْـدَلْتُـمُ بِجِـواريـا
ومَـنْ وَرَدَ المـاءَ الـذي كُنْـتُ وارداً ... به وَرَعَى العُشبَ[3] الذي كنتُ راعيا
فوا لهفتي! كم لي على الخَيْفِ شهقةً ... تـذوبُ عليهـا قطعـةٌ مـن فـؤاديـا

* * *

(١) سهيل: نجم يماني، قيل: عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي الغيظ.

(٢) من قصيدة قالها عند توجّه الناس إلى الحج عام (٤٠٠هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١.

(٣) في الديوان: «الروض».

الفصل السبعون

يا تائهاً في بوادي الهوى، انزل ساعة بوادي الفكر، يخبرْكَ بأنَّ اللذةَ قصيرةٌ والعقابَ طويل، واعجباً لمن يشتري لذّةَ ساعةٍ بَغَمِّ الأبد! كانت المعصيةُ ساعةً، لا كانت، فكم ذلَّت بعدها النفسُ! وكم تصاعدَ لأجلها النَّفَسُ! وكم جرى لتَذْكارِها دمعٌ.

(للشريف الرضي)[1]:

قَضَتِ المنازلُ يومَ كاظمةٍ ... أنَّ المَطِيَّ يطولُ موقفُها

سبقتْ مدامعُنا برَشَّتها ... من قبلِ أن يُومي مُكفكفُها

إن كنتُ أنفدتُ الدموعَ بها ... فالوجدُ بعدَ اليومِ يَخلُفُها

لا تنشُدَنَّ الدارَ بعدهُمُ ... إنِّي على الإقواء أعرِفُها

رفقاً بقلبيَ لا تُعذِّبْه[2] ... العينُ منك وأنتَ تَطرِفُها

في القلبِ منكَ جراحةٌ عَظُمَتْ ... ما زلْتُ أُدمِلُها وتقرِفُها[3]

هل يعطِفنّكمُ توجُّعُها ... أو يُقْبِلَنّ بكُمْ تلهُّفُها

يا من قد هبّتْ على قلبه جَنوبُ المجانبة، فلفَّقَتْ غيمَ الغَفْلة، فأظلمَ أُفُقُ المعرفة، لا تيئس فالشمسُ تحت الغيم.

لو تصاعدَ نفسُ أَسِفٍ، دارَتْ شمالاً فتقطعَ السحاب.

أنفعُ دواءٍ أجدُه لكَ نقض أخلاطِ التخليط بالدموع.

بضاعةُ المُذنِبِ دمعُه، رأسُ مال المُقِرِّ حُزنُه، راحةُ الأوّابِ قلَقُه، عيشةُ التوّاب حُرَقُه.

---

(١) من قصيدة قالها في معاتبة صديق له. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٣٠-٣٣.

(٢) في الديوان: «رفقاً بقلبي يا أبا الحسن».

(٣) تقرفت: يقال: تقرفتْ القرحة: تقشرت.

كان آدم عليه السلام يبكي بعد هبوطه حتى يخوض في دمعه، فكان جبريل يأتيه فيقول: كم هذا البكاء؟! ولسان حاله يجيب:

(للشريف الرضي)[1]:

يـا عـاذلَ المشتـاقِ دَعْـهُ فـإنَّـهُ　　يطوي على الزفراتِ غيرَ حشاكا
لـو كـان قلبُـكَ قلبَـهُ مـا لُمتَـهُ　　حـاشـاكَ ممـا عنـدَهُ حـاشـاكـا

يا جبريل! ما تغيَّرَ عليكَ أمرٌ، وأنا نُقِلْتُ من بردِ عيشٍ إلى حر، ما سَكَنْتَ قط مَسْكَني، ولا توطّأْتَ موطني، فاقرأ على ربعي سلامي، وقل له: لا تنسَ أيّامي.

(للمصنّف):

إذا جـزْتَ بـالغَـوْرِ عـرّجْ يمينـا　　فقـد أخـذَ الشـوقُ منّـا يَمينـا
وسلّـم علـى بـانـةِ الـواديـينِ　　فـإنْ سَمِعَـتْ أوْشَكَـتْ أنْ تبينـا
وروِّ ثـرى أرضهـم بـالـدمـوع　　وخـلِّ الضلـوعَ علـى مـا طُـوِيْنـا
وصـحْ فـي مغـانيهـم أيـنَ هُـمُ　　وهيهـاتَ أمُّـوا طـريقـاً شَطُـونـا
أراكَ يشـوقُـكَ وادي الأراكِ　　أللـدارِ تبكـي أم السـاكنينـا
سقـى اللهُ مـرْتَعَنـا بـالحِمَـى　　وإن كـانَ أورثَ داءً دفينـا
وعـاذلـةٍ فـوقَ داءِ المُحِـبِّ　　رويـداً رويـداً بِنَـا قَـدْ بُلينـا
فمَـنْ تعـذليـنَ أمـا تعـذُريـنَ　　فلـو قَـدْ نَفَقْـتِ دفعـتِ الأنينـا
إذا غلـبَ الحُـبُّ ضـاعَ العتـابُ　　تعبـتِ وأتعبـتِ لـو تَعْلمينـا

ما زال آدم يشيمُ[2] برقَ العفوِ، فلمّا طالَ عليه الزمانُ، حمَّلَ صُعَداءَ[3] الوجْدِ رسالةَ الجوى، ما علمتْ بمضمونها الرياحُ.

إذا بـدا البـرقُ مـن نجـدٍ طـربـتُ لـه　　وكِـدْتُ من طربـي أقضي لذكـرهـمُ

---

(١) انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٠٩.
(٢) يشيم: ينظر إلى البرق أين يقصد، وأين يمطر سحابه.
(٣) صعداء: يقال: تنفس الصعداء: نفساً ممدوداً من توجع.

وتحمِلُ الريحُ إنْ هبَّتْ شآميةً .منّي السلامَ إلى أطلالِ ربعهمُ
فرضٌ عليَّ أراعيهم وأحفظهم على البِعادِ ويرعوني بفضلهمُ

يا معاشر المذنبين! تَأسَّوا بأبيكم في البكاء، تفكَّرُوا كيف باع داراً قد رُبِّيَ فيها وضاعَ الثمن، لا تبرَحُوا من باب الذلِّ، فأقربُ الخطائين إلى العفو المعترِف بالزَّلَلِ.

ما انتفعَ آدمُ في بلية ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [طه: ١٢١] بكمال ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١]، ولا ردّ عنه عزّ ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤]، وإنما خلّصه ذلُّ ﴿ظَلَمْنَآ﴾ [الأعراف: ٢٣].

قال سَرِيّ: بتُّ ببعضِ قرى الشام، فسمعتُ طائراً على شجرةٍ يقول طوال الليل: أخطأتُ لا أعود، فقلتُ لأهل القرية: ما اسم هذا الطائر؟ فقالوا: فاقدُ إلْفِه.

(لمهيار)[1]:

تأوَّهتْ تأوّهَ[2] الأسير ورقاءُ ذات وَرَقٍ نضيرِ
تنطقُ عن قلبٍ لها مكسورِ كأنَّها تنطِقُ عن ضميرِ
لبيكِ يا حزينةَ الصفيرِ إن استجرتِ بي فاستجيري
لكِ الخيارُ أنجدي أو غوري وحيثما صارَ هواكِ صيري
قصَّ جناحي زمنٌ فطيري

إخواني! نفترقُ على هذه الحال، غفلةٌ شاملة، ودموعٌ جامدة، لا، بالله لا تفعَلوا.

يا حاديَ العيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِف نُجري دموعَ هواهُم ثم ننصرف
فما يزالُ نسيمٌ من يمانيَّةٍ يأتي إلينا بِريّا[3] روضةٍ أُنُفِ[4]

---

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٥.
(٢) في الديوان: «ترنمت ترنم».
(٣) ريّا: الرائحة الطيبة.
(٤) روضة أنف: جديدة النبت لم ترع.

إذا رأيتم باكياً في المجلس فارحموه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعذروه، لا تعجبوا من واجدٍ ما لم تجدُوه.

(لابن المعتز):

دعْـوهُ ليُطْفِـي بـالـدمـوعِ حـرارةً ... علـى كَبِـدٍ حَـرَّى دَعُـوهُ دَعُـوهُ
سلـوا عـاذليـه يعـذروه هُنَيْهَـةً ... فبـالعَـذْلِ دونَ الشـوقِ قـد قَتَلُـوهُ

لا تلوموا صاحبَ الوجد فما يرى بحضرتِه أحداً.

ظَـنَّ الأراكَ لـدى واديـه أَظْعـانـا ... فمـا استطـاعَ لمـا أَخْفـاه كِتمـانـا
فبـان للـرّكْـبِ مـا قـد كـان يستـرُه ... عن كـلِّ مستخبِرٍ عن حُـبِّ مَنْ بَانا

كان (**أبو عبيدةَ الخواص**) يمشي في الطريق ويصيح: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه.

هـذا وَلَهـي وكـم كتمـتُ الـولَهـا ... صوناً لحديثِ مَنْ هوى النفس لها
يـا آخـرَ مِحْنَتـي ويـا أوّلهـا ... أيّـامُ عَنـايَ فيـك مـا أطـولَهـا

ليسَ للمحبِّ قرار، ولا من الحبِّ فرار، تعرقَلَ وفات، وخُنِقَ فمات.

ولـي عبـراتٌ تَسْتَهِـلُّ صبـابـةً ... عليكـم إذا بَـرْقُ الغمـامِ تـألَّقـا
أَلِفْتُ الهوى حتى حَلَتْ لي صروفُه ... وربَّ نعيـمٍ كـان جَـالبُـه شَقَـا
وأذهلُ حتى أحسَبَ الصدَّ والنوى ... بمعتـركِ الـذكـرى وصـالاً وملتقـى
فهـا أنـا ذو حـالـين أمـا تلـذُّذي ... فحـيٌّ وأمـا سَلْـوَتـي فلَـكَ البَقـا

لو أشرَفْتَ على وادي الدُّجى، لرأيتَ خيمَ القومِ على شواطئ أنهار الدموع، خلَوْا ـ والله ـ بالحبيب، وطالَ الحديث، عينٌ تبكي من المحبوب، وأخرى تبكي عليه، لفظةٌ تشكو منه، وأخرى تشكو إليه، ريٌّ تام بمحبّته، وعطشٌ مُحرِقٌ إلى رؤيته.

(للمصنف)

المـــاءُ عنـــدي قـــد طَمَـــا ... وأنـــا الـــذي أشكـــو الظَّمَـــا

جِسْمِـــي معـــي لكـــنَّ قلبـــي عنـــــدَ سكّـــــانِ الحِمــــى
واهـــــاً لهـــمْ لـــــو أنّهـــم عــــادُوا وجـــادُوا لـــي فمـــا
أرجـــو نَـــوَال ســـــواهُـــمُ هيهـــاتَ هـــمْ حَسْبــي ومـــا
مَيْلِـــي إلـــى غيـــرِ الأُلـــى سلبـــــوا فـــــؤادي إنَّمـــــا
أشكُـــــو إليهـــم منهـــمُ كَلْمـــاً يـــزيـــدُ وكُلَّمـــــا
هجـــروا تَفَـــاقَـــم أمـــرُهُ يـــا ليتهـــم داوَوْا كَمـــا
جَـــرَحـــوا فلـــو طَبُّـــوا شَفَـــوْا هيهـــاتَ لـــولاهُـــم لمـــا
ذهـــبَ الـــزمـــانُ بـــأنْ أقـــول عســـــى وأرجُـــــو رُبّمـــا
يـــا أيهـــا المضنَـــى بهـــم لـم يبـقَ منـكَ سـوى الـذِّمـا[1]
فـــألَـــذُّ مـــا كـــانَ الـــوصـــالُ فعـــادَ مُـــرًّا علقَمـــا
تـــركـــوكَ بعـــدَ فـــراقهـــم متحيِّـــراً تبكـــي دَمَـــا
يـــا بـــانَـــةَ[2] الـــوادي ارحمـــي مَـــن لا يـــزالُ مُتَيّمـــا
يـــا نسمـــةَ الـــريـــحِ الشمـــالِ ألا ابلِغيهـــم بعـــضَ مـــا
ألقـــى فحـــرُّ سمـــائـــمِ الـ أنفـــاسِ يكفـــي مَعْلَمـــا
نفســـي تكـــابـــدُ وجـــدَهـــا بكـــمُ فمـــا فغَـــرت فمـــا
لكـــنّ آثـــارَ المحبـــةِ ليـــسَ تَخْفـــى أيـــن مـــا
كـــانـــت فـــلا زالَ الفـــؤادُ بهـــا طـــولَ الـــزمـــانِ منعّمـــا

* * *

(١) الذما: بقية الروح.
(٢) بانة: ضرب من الشجر.

الفصل الحادي والسبعون

إخواني: ألا ناظرٌ لنفسه قبل الموت؟! ألا مُستدرِكٌ زادَ رَمْسِه قبل الفوت؟! ألا مُزدَجِرٌ بواعظِ أمسِه؛ فقد أسمعه الصوت؟!.

مــا ضــرَّ عبــدٌ نَفْسَــه ... قبــلَ خــروجِ نفسِــه
هــل يــومُــه أو غــدُه ... إلا نظيــرَ أمْسِــه
وعلَّــه يلقــى الــرَّدى ... قبــل غــروبِ شمسِــه
كــمْ مــدلِــجٍ[1] مُهجِّــرٍ[2] ... يسعــى لبَغْــلِ عُــرْسِــه
وأكيــسُ النــاس امــرؤٌ ... جَــدَّ ليــومِ رَمْسِــهِ

إخـواني! حبال الآمـال رِثاث[3]، وساحرُ الهوى نَـفَّاث، والأمانيُّ على الحقيقة أضغاث[4]، والمال المُدَّخَرُ رِزْقُ الوُرَّاث، عجباً لأجسامِ ذكورٍ وعقولِ إناث.

إلامَ الرواحُ في الهوى والتغليس؟! وحَتَّامَ السعي في صحبة إبليس؟! وكم بَهْرجَةٍ في العملِ وكم تدليس! أين الأقران؟! هل لهم من حسيس[5]؟! أما تعلمُ أنهم نَدِموا على إيثار الخسيس؟! تَاللهِ لقد وَدُّوا طلاق الدنيا قبل المَسيس.

لقد أسمعَكَ الموتُ وعيدَك، وكأنَّكَ به قد ضَعْضعَ مَشِيْدَك، وأخلى منك دارَك، وملأ بك بِيْدَك، لقد أمرضَكَ الهوى وفي عزمه أن يزيدك.

---

(١) مدلج: اسم فاعل من أدلج: سار أول الليل.
(٢) مهجّر: من الفعل هجّر: أي سار في الهاجرة، وفي الحديث: «**المهجّر إلى الجمعة كالمهدي بدنة**».
(٣) رثاث: مهترئة مقطوعة.
(٤) **أضغاث**: جمع ضِغْث، وهو قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، ويقال عن الرؤيا التي لا يصحُّ تأويلها لاختلاطها: أضغاث أحلام.
(٥) **حسيس**: صوت خفيض.

هل لَذَّتْ لذةُ الدنيا فضفَتْ؟! هل عافت إلا وعافت وعَفَتْ[1]؟! هل تبعت غرَضاً و قفت فوقفت[2]؟! هل سقت[3] رشفةً من رُضابها[4] فشفت؟! بينا محبُّها يناجيها بألفاظ المنى خَفَت[5]، ما بلغَ المرادَ إلا مَنْ صدَّ عنها والتفت.

عيـنُ المنيَّـةِ يَقْظَـى غيـرُ مُطـرِفَـةٍ   وطَـرْفُ مطلـوبِهـا مُـذْ كَـانَ وسنـانْ
جهـلاً تمكَّـنَ منـه حيـنَ مـولـدِه   فالنُّطقُ صاحٍ، ولبُّ المرءِ سكرانْ

كم نرمي هدفَ سمعِكَ برشْقِ كلام، كم نلدغُ أصلَ قلبك بحُمة[6] مَلام، لا تنفعُ الرياضةُ إلا في نجيب، لو سُقِيَ الحنظلُ بماءِ السكر لن يخرج حلواً، شَجَرُ الأثل - وإن دام الماءُ تحته - لم يُثْمِرْ، سحابُ الهدى قد طَبَّقَ بيدَ الأكوان، وأظنُّ أرضَ قلبك سَبْخاً! إنّما يغلِبُ هذا على ظنّي لبعد صلاحك، وقد يستحيلُ الخمرُ خلاًّ، كم تحضر المجلسَ وتخرج وما علقتَ بشيء!.

ويحك! هذا البنفسجُ يُطرَحُ في الشيرج فَيَعْبَقُ به طولَ السنة، وكذلك الورد في الأشنان:

ومِـنَ البليـةِ عَـذْلُ مَـنْ لا يـرعـوي   عـن غَيِّـهِ وخِطـابُ مَـنْ لا يفهـمُ[7]

ويحك! إلى كم تعدو خَلْف موكب الهوى وما تربح إلا الغبارَ، دعْ حبلَ الرعونة من يد التمسُّك، فإنّه لا مِرّة[8].

ما قُتِلَ أحدٌ بأحدً من سيف سوف، ومواهب الأعمارِ مسترجَعَةٌ بالأنفاسِ حتى تُسْتَوْفى، ألستَ نقضْتَ عهدَ ﴿أَلَسْتُ﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعد عَقْدِ عُقَدِه؟! فكيف حلَّ لك الحَلُّ؟!.

---

(١) عافت الأولى: من العافية. وعافت الثانية: كرهت. عَفَتْ: مَحَتْ.
(٢) قفت: من القفو وهو الإدبار. فوقفت: ثبتت ولم تتماد.
(٣) في (ب): أرشفت.
(٤) رضابها: الرضاب: الريق.
(٥) خفت: سكن وضعف.
(٦) حُمة: حُمة العقرب: سمها وضرها.
(٧) للمتنبي.
(٨) مرّة: قوة.

بحرمةِ ما قَدْ كان بيني وبَيْنكُمْ ... من الوَصْلِ إلاّ ما رجعتُم إلى الوصْلِ

نحنُ لك على الوفاءِ ما زلنا، وأنت ما ثَبَتَّ يومين.

(لكثيِّر):

وكنا ارتقينا في صعودٍ من الهوى ... فلمّا عَلَوْناهُ ثَبَتُّ وزلَّتِ
وكُنّا عَقَدْنا عُقدةَ الوصلِ بيننا ... فلمّا تَوافينا شَدَدْتُ وحلّتِ

وا عجباً! تتنبّهُ الحيواناتُ بالليل فَتُصَوِّت، وأنت غافل، ويحك! إذا فتحتَ عينيك في الدجى فَصِحْ بقلبِك.

قُمْ بنا يا أخي لمَا تَتَمنّى ... واطردِ النومَ بالعزيمةِ عنّا
قُمْ فقد صاحتِ الديوكُ ونادَتْ ... لا تكونُ الديوكُ أطربَ منّا

إخواني! مصيبتُنا في التفريطِ واحدةٌ، وأهلُ الأحزانِ أهلُ:

إنَّا ليجمعُنا البُكاءُ وكلُّنا ... نبكي على شَجَنٍ[1] من الأشجانِ

مجلسُ الذكر مأتمُ الأحزانِ، هذا يبكي لذنوبه، وهذا ينْدُبُ لعيوبِه، وهذا على فواتِ مطلوبِه، وهذا لإعراضِ محبوبِه.

يتشاكى الواجدونَ جوًى ... واحداً والوجْدُ ألوانُ

يا نائحَ الفكرِ نَضِّدْ[2]، يا نادبَ الحُزْنِ عدِّدْ، يا لائمَ النفسِ شدِّدْ، يا راميَ القلبِ سدِّد، يا جامعَ الدمعِ بدِّد، يا مطربَ السرّ ردِّد.

(لمهيار)[3]:

نَشَدْتُكِ يا بانةَ الأجرعِ ... متى رفَعَ الحيُّ من لَعْلَعِ
وهل مرَّ قلبي في التابعينَ ... أم حارَ ضعفاً فلم يَتْبَعِ

---

(١) شجن: همٌّ وحزن.
(٢) نضد: يقال: دار منضد، أي: مرصف، ورأي منضد كذلك مرصف، أي: محكم رصين.
(٣) من قصيدة طويلة كتبها للوزير ذي السعادات. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٤٢ ـ ٢٥٠.

وأَنَّـــةٌ لـــكِ بيـــن تلـــك القلـــوبِ إذا اشتبهـــتْ أَنَّـــةُ المـــوجَـــعِ
أدرْ يـا نـديمـي كـأسَ الحـديـثِ[1] فكـأسـي مـن بَعْـدِهـم مـدمَعـي

يـا مقيَّداً عن السيرِ بقيودِ الشواغل! أيطمعُ في لَحاقِ الطَّيْـرِ مقصـوصُ القوادم[2]؟!.

صَوِّتْ في الأسحارِ بالسائرين، لعلّ عطفاً ينعطِفُ إليك رحمة، فقد تَرِقُّ الساقة[3] لأهل الفاقة.

(لمهيار)[4]:

ردُّوا لنـا يـومـاً ولـو سـاعـةً على الغضـا مـن عيشِنـا الـزائـلِ
لـي ذلـةُ السـائـلِ مـا بينكـم فـلا تَفُتْكُـمْ عِـزَّةُ البـاذِلِ

سلِ الليلَ عن الأحبابِ فعندَه الخبرُ، خلا الفكرُ بالقلبِ في بيت التلاوة، فجَرَتْ أوصافُ الحبيب، فنهض قلقُ الشوقِ يضرِبُ بطوْنَ الرواحل، لينْهَرَ السهرَ، فلا وجْهَ لنومِ القومِ.

(للخفاجي):

أتَـرى طيفَكُـمُ لمَّـا سـرى أخـذَ النـومَ وأعطـى السهـرا
مـا نلـومُ الليـلَ بـل نَعْـذُرُه إنَّمـا طـوَّلَـه مَـنْ قَصَّـرا
يـا عيـونـاً بـالغضـا راقـدةً حـرَّمَ اللهُ عليكـنّ الكَـرى
لـو عَـدَلْتُـنَّ تَسـاهَمْنَـا جـوًى مثـلَ مـا كُنّـا اشتـركنـا نَظَـرا
حبَّـذا فيـكَ حـديـثٌ بـاطِـنٌ فَطِـنَ الـدمـعُ بـه فـانتشـرا

مَنْ لم يكن له مثلُ تقواهم، لم يعلم ما الذي أبكاهم؟.

---

(١) في الديوان: «المدام».
(٢) **القوادم**: جمع قادمة، كبار ريش الطير، ويقابلها الخوافي، وهي الريش الصغار.
(٣) **الساقة**: مؤخرة الجيش، وفيها مَنْ يجمع ويتتبع ما سقط منهم من أمتعة الجيش فيُلحقه بهم.
(٤) من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن. الديوان: ٣/ ٢١٨.

من لم يشاهدْ جمالَ يوسفَ، لم يعلم ما الذي آلمَ قلبَ يعقوب؟.

مَنْ لم يَبِتْ والحُبُّ حشْوُ فؤادِه ... لم يدرِ كيفَ تَفَتُّتُ الأكبادِ

لو دمْتَ على سلوكِ البادية طابَتْ لك ريحُ الشِّيحِ.

تقرُّ لعيني أن أرى رَملَةَ الحِمى ... إذا ما بَدَتْ يوماً لعيني قِلالُها
ولسْتُ وإن أحببْتُ مَنْ يسكُن الغضا ... بأوّلِ راجٍ حاجةً لا ينالُها

* * *

الفصل الثاني والسبعون

يا مَنْ كانت له معنا معاملة، وطالت بيننا وبينَهُ المواصلة، ثم اختارَ الهجرَ والمفاصلة، إنْ لم يكن جميلٌ، فلتكن مُجاملة، تفكَّرْ! تعرِفْ قدرَ ما فاتَكَ، وابكِ لذنْبٍ حرَمَكَ القربَ وأفاتَكَ.

اسكُبْ دموعَ أسفِك، فربَّ دمٍ بالأسى سُفِك، واندُبْ أطلالَ مألفِكَ، لعلكَ تُغاثُ في موقفك.

(لمهيار)[1]:

تظـــنُّ ليــــالينـــا عُـــوَّدا ... علـى العهـدِ مِـنْ بَـرْقَتَـيْ ثَهْمَـدا
ويـا صـاحبـي أيـن وجـهُ الصباحِ؟ ... وأيـنَ غـدٌ؟ صِـفْ لعينـي غـدا
وخَلْـفَ الضلـوعِ زفيـرٌ أبـى ... وقـد بَـرَدَ الليـلُ أن يبـرُدا
خليلـيَّ، لـي حـاجَـةٌ مـا أخـفَّ ... بـرامَـةَ لـو وَجَـدَتْ مُسْعِـدَا
أريـدُ لأكتُـمَ وابـنُ الأراك ... يفضَحُهـا كلَّمَـا غَـرَّدا
أُحـبُّ وإن أخصَـبَ الحـاضـرون ... ببـاديـةِ الـرمـلِ أن أَخْلُـدَا
أرى كبـدي قُسِّمَـتْ شُعْبَتَيْـنِ ... مـعَ الشـوقِ غَـوَّرَ أوْ أَنجَـدَا
تمنَّـاكَ عينـي وقلبـي يَـراك ... بشـوقـي حـاشـاكَ أن تَبعُـدا

اللهمَّ نَوِّرْ دُنيانا بنورٍ من تَوْفيقِك، واقطع أيامَنا في الاتصال بك، وانظم شَتَاتنا في سِلْكِ طاعتِك، فأنتَ أعلمُ بتلفيق المُقترِف.

اللهمَّ قوِّ مُنَنَ[2] أطفالِ التوبةِ بلبَان الصَّبر، ارفُق بمرضى الهوى في مارستان البلاء، افتحْ مسامعَ الأفهام لقبول ما ينفع، سلِّمْ سيارةَ الأفكار من قاطِعِ طريق، أُحْرُسْ طلائعَ المجاهدةِ من خديعة كمين، احفظ شجعانَ العزائم من شرِّ هزيمة، وقِّعْ على قصص الإنابة بقلم العفو، لا تُسَلِّطْ جاهلَ الطبعِ على عالِمِ

---

(١) من قصيدة قالها للكاتب أبي الحسين بن عبد الله متشوقاً أيام اجتماعه ومستوحشاً لبعده.
انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٧.

(٢) مُنَن: جمع مُنة، وهي: القوة.

القلب، لا تُبَدِّلْ نعيم عيشِ الروح بجحيم حِرصِ النفس، لا تُمِتْ حيَّ العِلْمِ في حيِّ الجهل، أخرجنا إلى نور اليقين من هذا الظلام، لا تجعلْنا ممن رأى الصبحَ فنام، لا تؤاخذْنا بقدرِ ذنوبنا، فإنَّكَ قلت: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وا عجباً لمن عَرَفَك ثم أحبَّ غيرَك، ولمن سمِعَ مناديَك ثم تأخَّرَ عنك!.

حرامٌ عليَّ العيشُ ما دمتَ غضبانا ... وما لم يَعُدْ عني رضاكَ كما كانا
فأحْسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ ... تُعَوِّدُني عند الإساءةِ غُفرانا

إلـٰهي! لا تُعذِّبْ نفساً قد عذَّبَها الخوفُ منك، ولا تُخْرِسْ لساناً كُلُّ ما يَروي عنك، ولا تُقْذِ بصراً طالما يَبْكي لك، ولا تُخيِّبْ رجاءً هو منوطٌ بك.

إلـٰهي! ضَع في ضَعْفي قوةً من مَنِّك[١]، وَضَعْ في كَفِّيَ كَفِّي عن غيرك، ارحم عَبْرَةً تَترقْرَقُ على ما فاتَها منك، بَرِّدْ كَبِداً تحترق على بعدِها عنك.

(للشريف الرضي)[٢]:

أشكو إليكَ مَدامِعاً تَكِفُ[٣] ... بعد النوى وجوانِحاً تَجِفُ[٤]
ما كان أسرعَ ما نَبَا[٥] زمنٌ ... وتكدّرتْ مِنْ وُدِّنا نُطَفُ[٦]
حبلٌ غدا بأكُفِّنا طَرَفٌ ... منهُ، وفي أيدي النَّوى طَرَفُ
لَهَفِي على ذاكَ الزمانِ وهَلْ ... يَثْني زماناً ماضياً لَهَفُ

وا أسفي لمنقطِعٍ دونَ الرَّكب، متأخِّرٍ عن لحاقِ الصَّحْبِ، يَعُدُّ الساعاتِ في متى ولَعَلَّ، ويخلو يُفَكِّرُ في عسى وهل.

(لقيس المجنون):

---

(١) مَنِّك: إنعامك.
(٢) من قصيدة قالها في الوزير أبي علي الحسن بن أبي الريان عاتباً عليه. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢١ـ ٢٤.
(٣) تكف: تسح وتنزل.
(٤) تجف: تضطرب وتخفق.
(٥) نبا: تجافى وتباعد.
(٦) نطف: جمع نُطفَة: اللؤلؤة الصغيرة الصافية.

أعـدُّ الليـالـي ليلـةً بعـدَ ليلـةٍ وقـد عِشْـتُ دَهْـراً لا أَعُـدُّ الليـاليـا
وأخـرجُ مِـنْ بيـن البيـوتِ لعلَّنـي أحدِّثُ عنـكِ النفـسَ بـالليل خاليـا
إذا سـرتُ أرضـاً بـالفضـاءِ رأيتُنـي أصـانِـعُ رَحْلـي أن يميـلَ حِيـاليـا
يمينـاً إذا كـانـت يمينـاً وإن تكـنْ شِمَالاً ينازعُني الهوى عن شِماليا
ألا يـا حَمـامَـيْ بطـنِ نَعمَـانَ هِجْتُمـا علـيَّ الهـوى لمـا تَغَنَّيْتُمـا لِيـا
وأبكيتُماني وَسْطَ صحبي ولـم أكُـنْ أُبـالي بِـدَمْعِ العيـنِ لـو كنتُ خاليـا
ذكتْ نارُ شوقي في فؤادي فأصبَحَتْ لهـا وَهَـجٌ مستضْـرَمٌ فـي فـؤاديـا
خليليَّ ما أرْجو مِنَ العَيْشِ بَعْدَما أرى حاجتي تُشْرى ولا تُشْتَرى لِيا
وقـد يجمـعُ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تَـلاقِيـا

أيها المتخلِّفُ في أعقابِ الواصلين استغث بهم، علِّق على قطارهم، فلعلَّ جَمَلَكَ يَصِل.

يـا صـاحِ والصـاحـبُ لا يُـدْعـى بـه إلاَّ إذا لَـجَّ الغـرامُ واعتـدى
خـذْ بيـدي مـن سَطْـوَةِ البيـنِ فمـا أظـنُّ أنَّ البَيْـنَ أبقـى لـي يَـدا
أيـن ليـالينـا القِصَـارُ بـالحِمـى وا كبـداً علـى الحِمـى وا كبـدا

يا مَن قد مضتْ له ليالي مناجاة، ثم طبق الدستورَ[1]، وقطع المعاملة، اندُبْ زمانَ الوصال لعلَّ حالاً حالٌ يعودُ.

(لمهيار)[2]:

يـا ليلتـي بحـاجـرٍ إنْ عـادَ مـاضٍ فـارجعـي
بِتْنـا علـى الأحقـافِ[3] تَنْـ ـهـالُ بكـلِّ مضجَـعِ
قـالـوا الصبـاحُ فـانتبـه فقـالَ لـي الطيـفُ اسمَـعِ
فقُمْـتُ مخلـوطـاً أظـنُّ البـازلَ ابـنَ الـرُّبَـعِ[4]

---

(١) الدُّستور: بضم الدال: النسخة المعمولة للجماعات، وهي معربة.
(٢) من قصيدة كتبها للأستاذ أبي طالب. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٠٤ ـ ٢١١.
(٣) الأحقاف: جمع حقف: ما اعوجَّ من الرمل واستطال، والأحقاف أيضاً: بلاد معروفة في اليمن كانت ديار عاد قوم هود عليه السلام.
(٤) البازل: المسن من الإبل. والربع: الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج.

حيـــرانَ طـــرفـــي دائـــرٌ أطلـــبُ مـــا ليـــسَ معـــي
أرضـــى بـــأخبـــارِ الـــريـــا حِ والبـــروقِ اللُّمَّـــعِ
وأيـــنَ مِـــنْ بَـــرْق الحِمَـــى شـــائمـــةٌ بلَعْلَـــعِ
أفـــرشنـــي الجمـــرَ وقـــا ل: إنْ أردْتَ فـــاهْجَـــعِ

ذكرُ الوصالِ في زمانِ الهجرِ تلفٌ، خصوصاً إذا لم يكن للحبيب خَلَف.

قال ابن مسروق: كنتُ أمشي مع **الجُنيد** في بعض دروب بغداد، فسمع منشداً يقول:

منـــازلُ كُنْـــتَ تهـــواهـــا وتـــألفُهـــا أيـــامَ أنـــتَ علـــى الأيـــامِ منصـــورُ

فبكى الجنيد بكاءً شديداً، وقال: ما أطيبَ منازلَ الأُلفةِ والأُنس، وأوْحشَ مقاماتِ المخالفة! لا أزالُ أحنُّ إلى أول بدءِ إرادتي وجِدَّةِ سعيي.

(لمهيار)[1]:

يـا ليلتـي بـذاتِ الشّيـحِ والضَّـالِ ومَنْبَتِ البانِ من نَعمانَ عُـودا لِيْ
ويـا مـرابِعَ أطـلالـي بـذي سلَـمِ لهْفي على ما مضى من عَصْرِك الخالي
ويـا مـآربَ نفسـي والـذيـنَ هـمُ بالوَصْلِ والهَجْرِ إغلالي وإبلالي
قد كان قلبي بكم مأوى السرور فَمُذْ نـأيْتُـمْ صـارَ مـأوى كـلِّ بَلْبَـالِ[2]
فلـو شـربْتُ بعمـري سـاعـةً سَلَفَـتْ من عيشَتِي معكم ما كان بالغالي
ما لي أُعلِّلُ نفسي بالوقوفِ على منـــازلَ أقْفَـــرَتْ منكُـــم وأطـــلالِ
مَـنْ لـي بكِتْمـانِ مـا ألقـاهُ مـن ألَـمِ وظاهري مُعْرِبٌ عن باطنِ الحالِ
قـالـوا تَشَـاغَـلَ عنَّـا واصطَفَـى بـدلاً منّا وذلكَ فعلُ الخائنِ السالي[3]
وكيـفَ أُشغـلُ قلبـي عـن مَحَبَّتِكـم بغيـرِ ذِكْـرِكُـمُ يـا كُـلَّ أشغـالـي

* * *

---

(١) لم أجد هذا الشعر في ديوان مهيار الديلمي.
(٢) **بلبال**: شدة الهم والوسواس.
(٣) **السالي**: من سلا، يقال: سلاه، أي: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

الفصل الثالث والسبعون

وا شوقاه إلى أرباب الإخلاص! وا تَوْقاه إلى رؤيةِ تلكَ الأشخاص، إنّي لَأَحْضُرُ ذكركم فأغيب، وإنَّ وقتي بِتَذَكُّرِكُم ليطيب.

(للشريف الرضي)[1]:

إذا هَـزَّنـا الشـوقُ اضطـربنـا لهـزِّهِ ... على شُعَبِ الرَّحْلِ اضطرابَ الأراقِمِ[2]
فمِـنْ صَبَـواتٍ تستقيـمُ بمـائـلٍ ... ومـن أريحـاتٍ تهـبُّ بنـائـمِ
وأستشـرفُ الأعـلامَ حتـى يَـدُلَّنـي ... علـى طِيْبِهـا مَـرُّ الـريـاحِ الهـواجِـمِ
ومـا أنسـمُ الأرواحَ إلا لأنَّهـا ... تهبُّ[3] على تلك الرُّبا والمعالِمِ

الإخلاصُ مِسْكٌ مصونٌ في مَسْكِ[4] القلب، تُنَبِّه[5] ريحُه على حامله.

العملُ صورةٌ والإخلاصُ روح. المُخْلِصُ يَعُدُّ طاعتَه لاحتقاره لها عَرَضاً، وقَلَم القبول قد أثْبَتَها في الجَوْهَرِ خالصاً، الإخلاصُ اليسيرُ كثيرٌ، ووجودُ عملِ الرياءِ عدم. قَرَّاضةُ[6] الأماني لا تقف، وصحيح الشُّبَهِ مردود، خليجٌ صافٍ أنفعُ من بحرٍ كدر، إذا لم تخلِصْ فلا تَتْعَبْ، لا يكثُرُ الجوزُ بالعفصِ[7]. أتحدُو وما لكَ بَعير؟! أتمدُّ القوسَ وما لها وتر؟! أَتَتَجَشَّأُ من غيرِ شبعٍ؟! وا عجباً من وَحْمَى[8]

---

(١) من قصيدة قالها مفتخراً. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٥.

(٢) **الأراقم**: جمع أرقم: حية فيها سواد وبياض.

(٣) في الديوان: «تجوز».

(٤) **مِسْك الأولى**: الطيب. ومَسك الثانية: الجلد.

(٥) **تنبه**: من نبَّه باسمه: نوَّه به.

(٦) **قرَّاضة**: دويبة تقرض الصوف وتسمى (العثّ).

(٧) **العفص**: ثمر شجرة البلوط، وكذلك هو دواء قابض مجفف، وربما اتخذوا منه حبراً أو صبغاً.

(٨) **وحمى ولا حبل**: مَثَلٌ يُضرب في الشهوان أنه لا يُذْكَرُ له شيءٌ إلا اشتهاه.

بلا حَبَل! كم يُذِلُّ نفسَه مُراءٍ لتمدحَه الخلق! فذهبت والمدحُ، ولو بَذَلها للحقِّ لبَقِيَتْ والذكرُ، عملُ المرائي بَصلةٌ كلُّها قشور، المرائي يحشو جِرابَ العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه، ريحُ الرياءِ جيفةٌ، تتحاماها مشامُ القلوب، وما يخفى المرائي على مَسانِحِ[1] الفَطِنِ.

لمَّا أخذ دودُ القزِّ ينسجُ، أقبلتِ العنكبوتُ تَتَشَبَّه، وقالت: لك نسجٌ ولي نسج.

فقالت دودة القزِّ: ولكنَّ نسجي أرديةٌ للملوك، ونَسْجُكِ شبكة للذباب، وعند مسِّ النسيجين[2] يَبِيْنُ الفرق.

إذا اشتبكتْ دموعٌ في خدودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بكَى ممن تباكا

شجرةُ الصنوبرِ تثمِرُ في ثلاثين سنة، وشجرة الدُّباء[3] تصعَدُ في أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إنَّ الطريقَ التي قَطَعْتِها في ثلاثين سنة قد قطعتُها في أسبوعين، فيقال لي: شجرة، ولكِ: شجرة.

فتجيبُها: مَهْلاً إلى أن تَهُبَّ ريحُ الخريف!.

قال الدُّبُّ للآدمي: أنتَ تمشي على رجلين وأنا أيضاً.

فقال الآدمي: ولكنَّ صَدْمَةً تردُّكَ إلى أربع، وكم أُصدَمُ وأنا مُنْتَصِبٌ.

كان الأشياخُ في قديمِ الزمان أصحابَ قَدَمٍ[4]، والمريدون أرباب ألمٍ، فذهبَ القدمُ والألمُ.

كان المريدُ يسألُ عن غُصَّة، والشيخ يعرف القصة، فاليوم لا غُصَّة ولا قِصَّة.

كان الزهدُ في بواطن القلوب، فصار في ظواهر الثياب.

كان الزُّهدُ خِرْقة فصار اليومَ خُرقة، ويحك! صَوِّفْ[5] قلبكَ لا جِسْمَك،

---

(١) مسانح: خواطر، من سنح: عرض وخطر.

(٢) في (ب): الحاجة.

(٣) الدُّباء: القرع.

(٤) القدم هنا: السابقة في الأمر، والمرتبة في الخير.

(٥) صوِّف: من التصوّف، أي: صفِّ قلبك ولا تكتفِ بلباس الصوف، تشبّهاً بالزهّاد العبّاد.

وأصلح نيّتكَ لا مُرَقَّعَتَكَ، غَيِّرْ زيّكَ أيها المرائي فهو يصيحُ: خذوني، لا تَحْمِلَنَّ السيفَ وما تُحسنُ القتال! سيفٌ ودرعٌ لزَمِنٍ هُتْكَةٌ، يا ثاراتِ لمُقْعَدٍ[1] فَضيحةٌ، البَهْرجُ يتبيَّنُ عند الحَكِّ، إذا كان العَلَويُّ ثابتَ النَّسَبِ لم يحتج إلى ضفيرتَيْن، ولا يصيرُ المخنَّثُ تُركيّاً بلبس القِباء، ولا المرائي وليّاً بلبس العباء، هذه من النكت الخفايا، وفي الزوايا خبايا.

واعجباً ما للدواعي إلى الدعاوي[2]، الباطن ينطق.

لمّا علمَ الصالحون خطرَ البَيَات، أدلجوا بأجملِ الأعمالِ في ليلِ الكَتْمِ[3]!.

كان البُكاءُ إذا غلبَ **أيوب** قال: ما أشدَّ الزكام!.

هَبيني أستُرُ النَّجْوى ... أليسَ الدَّمْعُ يَفْضَحُني
لساني فيكِ أَمْلكُه ... ودمعُ العينِ يملِكُني

صام (**داود بن أبي هند**) أربعين سنة لم يعلم به أحد، كان يأخذُ غداءَه ويخرج إلى الدكان، فيتصدَّق به في الطريق، فيظنُّ أهلُ السوق أنه قد أكل في البيت، ويظنُّ أهلُه أنّه قد أكل في السوق.

(لجابر الجرمي):

ومُسْتَخبِرٍ عن سرِّ ليلى رَدَدْتُهُ ... فأصبحَ في ليلى بغَيْرِ يقينِ
يقولونَ: خَبِّرْنا، فأنتَ أمينُها ... وما أنا إن أخبرتُهم بأمينِ

كان **ابنُ سيرين** يتحدَّثُ بالنهارِ وَيَضحك، فإذا جاء الليلُ أخذَ في البكاء والعويل.

نَهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... ليَ الليلُ هَزَّتْني إليكَ المضاجعُ

---

(١) **المقعد**: العاجز الذي أقعده المرض، والفضيحة تتأتّى من حيث إنه على عجزه ينادي بالأخذ بالثأر، وهو لا يطيق حتى القيام، بله الانقضاض!.

(٢) **دواعي**: جمع داعية وهي الباعث. **دعاوي**: جمع دعوى، أي: ما الداعي للدعوة للرياء والمظاهر.

(٣) **الكتم**: كتمان العمل والخفاء وعدم حب الشهرة.

أُقَضِّيْ نهاري بالحديثِ وبالمُنى ... ويجمعُني والهمُّ بالليلِ جامعُ

كان خوفُهم من الرياءِ يوجِبُ مدافعةَ النهار، فإذا خَلَوا بالحبيبِ لم يصبر المشوقُ.

أَحِنُّ بأطرافِ النهارِ صبابةً ... وبالليلِ يدعوني الهَوى فَأُجيبُ

لو قدروا على استدامةِ الكتمان ما أذاعوا.

وكم يقدِرُ المشتاقُ أنْ يكْتُم الوجدا

إذا جنَّ الليلُ وظلامُه، ثارَ شَجَنُ المحبِّ وسِقَامُه، ورمى الوجدَ فأصابَتْ سِهامُه، واستطلقَ مَزادُ العَينِ فانهلَّ سِجامُه، وطال بالحزين قعودُهُ وقيامُه.

كمْ بذكراكَ ولُوعي ... يا جوًى بين الضلوعِ
هجَعَ العاذِلُ لكِنْ ... مَنْ لِعيني بالهُجوعِ
هي في شُغْلٍ عن النَّوْ ... م بِمُزفَضِّ الدُّموعِ
أتَغَنَّى بكَ في الحيْ ... يِ كورقاءَ سَجوعِ

لو أبصرْتَ طلائعَ الصديقين في أوائل القوم، أو شاهدتَ ساقةَ المستغفرين في أواخر الركب، أو سمعْتَ استغاثةَ المحبين في وسط الليل.

مَنْ رأى البرْقَ بِنَجْدٍ إذْ تراءى ... سلبَ النَّومَ وأهدى البُرَحاءَ
فاضَ فيضاً كجفني ماؤُه ... والتظى وَهْناً كأنفاسِي التظَاءَ
نامَ سُمَّارُ الدُّجَى عن ساهرٍ ... اتّخذَ الهمَّ سميراً والبكاءَ
أسعَدَتْه أدمعٌ تَفْضَحُه ... وإذا ما أحْسَنَ الدمعَ أساءَ

إذا رأيتم حزيناً فارحَمُوه، وإذا شاهدتم قلقاً فاعْذُروه، وإذا رأيتم باكياً فوافقُوه.

الدَّمعُ يخونُ كلَّ كاتِم ... والحُبُّ يُحَلِّلُ العزائمْ
القلبُ بحبّكم لديغ ... ما أقلقني مِنَ الأراقمْ
والوَجْدُ يغالِبُ المقاوي ... والسالمُ فيه مَنْ يُسالِمْ

هــذا وَلَعَيــن فــي هــواكــم ... سَلِمَــتْ لكــم فمــا أخُــاصِــمْ
ســالَــتْ بكــم دمــوعُ عينــي ... والــدَّمْــعُ بِمُقلَتــي يُــزاحِــمْ
أبكــي أثــرَ الحبيــبِ عنــدي ... والحــزنُ تُهيجُــه المعــالِــمْ
يــا مــانــعَ مُقْلتــي كَــرَاهــا ... مَــرَّ الليــلُ ولَسْــتُ نــائــمْ
قـد صُمْـتُ عـن الهـوى لأحْظَـى ... فـي الحُـبِّ لكـم بـأجـرِ صـائـمْ
هــل يُبْــذَلُ وردُكــم[1] لظــامٍ[2] ... حيــرانَ علــى الــورودِ حــائــمْ
نــاحَــتْ فــزَجَــرَتْهــا حمــامٌ ... مــا بــالــي تــزعجنــي الحمــائــمْ
يَــرْقَيْــنَ إلــى ذرى غُصــونٍ ... أنَّــى تحمِلُــكِ القــوائــمْ
تبكيــنَ ومــا شجــاكَ شــوقٌ ... شكــواكِ إذاً مِــنَ العَظــائــمْ
إنْ كنـتِ صَـدَقْـتِ فـأسعـدينـي ... لا نَسْمَــعُ لــومــةَ اللــوائــمْ
طــارتْ وبَقِيــتُ فــي ضَمــانــي ... لا أبــرَحُ والــزعيــمُ غــارِمْ[3]

* * *

---

(١) وِردكم: الوِرد: الماء الذي يورد.

(٢) ظام: اسم فاعل من ظمي، اشتدّ عطشه.

(٣) غارِم: الزعيم هنا الكفيل، وكونه غارماً يعني التزامه بما ضمنه وتكفّل به أن يؤديه.

الفصل الرابع والسبعون

إخـواني! سـار المتقون ورجَعْنا، وَوَصلوا وانقطعنا، وأجابـوا الدَّاعي وامتنعنا، ونجوا من الأشْراكِ ووَقعنا، تعالَوْا ننظرْ في آثارهم، ونَدْرُس دارسَ أخبارهم، ونبكي من التفريطِ ما نَابَنا، ونندُب ما لحِقَنا وأصابنا.

(للمصنف):

وَدَّعــوا يــومَ النَّــوى واستَقَلُّــوا ... لَيْـتَ شِعْـرِي بعـدَهـا أيـنَ حَلُّـوا
يــا نسيـمَ الـرِّيـح بلِّـغْ إليهـم ... أنَّ عَقــدي معهــم لا يُحَــلُّ
لــي مِـنَ الـريـحِ الشَّمـالِ انتهـالٌ ... فــإذا هبَّــتْ سُحيــراً فَعَــلُّ[1]
عَـرَّضـوا قلبـي لِسُقْـمٍ طـويـلٍ ... بــاطــنٍ يظهــرُ منــه الأقــلُّ
لو بكتْ عيني على قَدْرِ الجَوَى[2] ... صــارَ واديهــم دَمــاً لا يَحِــلُّ

سافر القومُ على رواحلِ الصدقِ، فقطعوا أرضَ الصبرِ حتّى وقعوا برياضِ الأُنسِ، فعبَقَتْ قلوبُهم بِنَشْرِ القُرْبِ، وتَعَطَّرَتْ بنسيمِ الوصلِ، فعادَتْ سَكْرَى من صِرْفِ[3] سُلافِ[4] الوجدِ، وعربدَتْ على عالمِ الجسمِ، فكلما رَبا الحُبُّ ذابَ.

خُذي بيدي ثم ارفعي الثوبَ فانظري ... ضَنَـا جسَـدي لكنَّنـي أَتَسَتَّـرُ[5]

حمائمُ أَرْواحِهم محبوسةٌ[6] في أقفاصِ أشباحهم، تُصوِّتُ لشَجْوِ شوقها، وتَقْلَقُ لضيقِ حَبْسِها.

---

(١) فعلّ: من العَلّ: وهي الشربة الثانية. والانتهال: أول الشرب.
(٢) في (ب): وجدي.
(٣) الصرْف: الصافي الخالص.
(٤) سُلاف: الخمر.
(٥) في (ب): أتكتم.
(٦) في (ب): مسجونة.

(لمهيار)[1]:

بـالغَـوْرِ دارٌ وبنجـدٍ هـوًى ... يـا لهـفَ مـن غـارَ بِمَـنْ أنجـدا
يـا حبَّـذا الـذكـرى وإن أسْهـرتْ ... بَعْـدكِ والـدَّمْـعُ وإنْ أرْمـدا

البكاء دأبُهم، والدَّمْعُ شرابُهم، والجوعُ طعامُهم، والصَّمْتُ كلامُهم، فلو رأيتَهم وعُذَّالَهم، وقد زادوا بالعَذْلِ أثقالهم.

سَلِمْتَ ممَّا عناني فاستَهَنْتَ بهِ ... لا يعرفُ الشَّجْوَ إلا كلُّ ذي شَجَنِ
شتَّانَ بين خَليٍّ مُطلَقٍ وَشَجٍ ... في رِبْقَةِ الحُبِّ كالمصفودِ في قَرَنِ
[أمسيتَ تشهدُ بادٍ من ضنى جسدي ... بداخلٍ من جَوًى في القلبِ مكتمِنِ][2]
إنْ كانَ يوجِبُ ضُرِّي فرضَى ... بسوءِ حاليَ وحَلَّ للضنى بَدني
منحتُكَ القلبَ لا أبغي به ثمناً ... إلاَّ رضاكَ وَوَافَقْري إلى الثمنِ

أعندك من حديثهم خبر؟ ألك في طريقهم قدم[3]؟.

(لخالد الكاتب):

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للسَّاهرِ ... وليلُ المُحبِّ بلا آخرِ
ولم تَدْرِ بعدَ ذهابِ الرُّقا ... دِ ما فَعَلَ الدَّمْعُ بالنَّاظِرِ

نازلهم الخوفُ فصاروا وَلِهِيْن، وفاجأهُمْ الفِكْرُ فعادوا متحيّرين، وجُنَّ عليهم الليلُ فرآهم ساهرين، وهبَّتْ رياحُ الأسحارِ فمالوا مستغفرين، فإذا رجعوا وقتَ الفجرِ بالأجرِ نادى منادي الهجرِ: يا خيبةَ النائمين!.

ولمَّا وَقَفْنا والرسائلُ بَيْننا ... دموعٌ نهاها الوَجْدُ أنْ تتوقَّفا
ذكرنا الليالي بالعقيقِ وظِلها ... الأنيق فقطَّعْنَ القلوبَ تأسُّفا

جُلِيَتْ أوصافُ الحبيبِ في حليةِ الكمالِ، فقاموا على أقدامِ الشوقِ يَسِيْحون

(١) في قصيدة كتبها إلى صاحب أبي القاسم في عيد الفطر. انظر: الديوان: ١/ ٢٤٣.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): أثر.

في فَلَواتِ الوجدِ، فلو رأيتموهُم لقلتُم: مجانين.

هيهاتَ مَنْ لا يعرفُ مناسكَ الحجِّ، نَسَبَ المُحْرِمِين إلى الخَبَل، الناسُ يضحكونَ وهم يبكون، ويفرَحونَ وهم يحزنون، وينامون وهم يسهرون.

تـركْـتُ ليلـى أمـدً مـن نفسـي　　وا أسفـي للفـراقِ وا أسفـي

لما تمكنتِ المعرفةُ من قلوبهم أثَّرَتْ شدةَ الخوفِ، فارتفعَ ضجيجُ الوجدِ يتمنون العدم.

رأى الصدِّيقُ طائراً فقال: طوبى لك يا طائرُ! تقعُ على الشجرِ، وتأكلُ من الثمرِ، ولا حسابَ عليك، ليتني كنتُ مثْلَك.

وقال عمر: ليتني كنتُ تِبْنَـةً، وليتَ أمي لم تَلدْني.

وقال ابن مسعود: ودِدْتُ أني إذا مِتُّ لا أُبعَثُ.

وقال عمران بن حصين: ليتني كنتُ رماداً.

وقال أبو الدرداء: ليتني كنتُ شَجرةً تُعْضَدُ.

وقالت عائشة: ليتني كنتُ نسياً مَنْسياً.

ودخلوا على عطاء السُّلمي وحوله بَلَل، فظنوه قد توضأ، فقالت عجوزٌ في دارِه: هذه دموعه.

(لِصُرَّدُر)[1]:

كـلُّ سحـابٍ أمطـرتْ أرضَكُـم　　حـاملَـةٌ للمـاءِ مِـنْ أَدْمُعـي
وكـلُّ رِيْـحٍ زَعْـزَعَـتْ تُـرْبَكُـم　　فـإنَّهـا الـزفـرةُ مِـنْ أَضْلُعـي

أتاهم من عندِ اللهِ وعيدُ وَقْدِهِمْ، فباتوا على حُرَق، وأكلوا على تَنْغيص، فنَوْمُهم نومُ الغرقى، وأكلُهم أكلُ المرضى، عَجَزَتْ أبدانُهم عمّا حملتْ قلوبُهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال (فرقد): دَخَلَتْ بيتَ المقدسِ خمسمئة عذراء، لباسُهنّ الصوفُ

---

(١) في قصيدة كتبها إلى رئيس بن المطلب. انظر: ديوان شعره، ص١٦٢ ـ ١٦٦.

والمسوحُ، فتذاكرْنَ ثوابَ اللهِ وعقابَه، فَمِتْنَ جميعاً في مقامٍ واحدٍ.

قال (أبو طارق): شهدْتُ ثلاثين رجلاً دخلوا مجالِسَ الذكر يمشون بأرجلهم صحاحاً إلى المجلس، وأجوافُهم واللهِ قَرِحَةٌ، فلمّا سمعوا الذكرَ، انصدَعَتْ قلوبهم.

قُصُّوا عَلَيَّ حديثَ مَنْ قَتَلَ الهوى | إنَّ التأسِّي روحُ كلِّ حزينِ

قال (عبد الواحد بن زيد): لو رأيتَ الحسنَ لقلتَ: قد بُثَّ عليه حُزْنُ الخلائقِ، ولو رأيتَ يزيدَ الرقاشي لقلتَ مُثْكَلٌ.

أقبلَ يزيدُ يوماً يعاتبُه على كثرة بكائه، فجعل يصرخ ويبكي حتى غُشيَ عليه. فقالت أمُّه: يا بني ما أردْتَ بهذا؟ فقال: إنّما أردتُ أن أهوّنَ عليه.

صِحّةُ الشوقِ أحدثَتْ عِلّةَ الصبرِ | وبُعْدُ المَزَارِ أدنى السُّهادا
كَمْ عذولٍ عليكُم رامَ إصلاحي | فكانَ الملامُ لي إفسادا
كلّما زادَ عَذْلُهُ زادَ وَجْدِي | فكلانا في أمرِهِ قَدْ تمادَى
مَنْ لِقَلْبٍ أصلَيْتُموهُ لظَى الجمرِ | وجَنْبٍ أفرشتموه القَتادا

المحبُّ إن تذكّرَ الرَّبْعَ حَنَّ، وإنْ تفكّرَ في البعدِ أنَّ، وإن جُنَّ عليه الليلُ أظهر ما أجنّ، قُطِعَ عليه رضاعُ الوصالِ فلم يَتَهَنَّ.

(للمصنف):

يا بريقَ الحيِّ حَرَّمْتَ المناما | فانقضى ليلي قعوداً وقياما
أترى ما قَدْ أرى يا صاحبي | كيفَ والشوقُ بروحي يترامَى
يا سقى اللهُ حماهم مُزْنَةً | حَلَبَتْ أشْطُرَها[1] أيدي النَّعامى[2]

(١) حلبت أشطرها: يقال: حلب فلانٌ الدهرَ أشطرَه: مرَّ به خيره وشرّه، وشطّر بناقته تشطيراً: صرَّ خِلْفَيْها، وترك خِلْفَين، وشاة شطور: يبس أحد خِلْفَيها، فالأشطر: جمع شَطْر وهو خِلف الناقة، وللناقة أربعة، وعليه فيقال: حلب فلان الدهرَ أشطرَه: اختبر ضروبه من خيره وشره تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ما كان منها حَفِلاً وغير حَفِل، ودارّاً وغير دارٍّ، وحلبُ أشطرِ الرجلِ: عجمه واختباره وسبر أغواره للتعرف عليه.

(٢) النعامى: ريح الجَنوب، أو بينه وبين الصَّبا، وهذه الريح أبلّ الرياح وأرطبها.

يـا نسيـمَ الـريـحِ بَلِّـغْ وأعِـدْ إنَّ نفسي مع أنفاسِ الخُزامى[1]
آهِ لـو عـادَ زمـانـي بِهِـمُ عندَ جَرْعاءِ الحمى عَوْداً لِماما[2]
يـا ليالينا بـذي الأثْلِ[3] ارجعي أسفـاً لـو أنَّـه يَشْفـي النّـداما
يـا صحـابـي بلِّغـوا إنْ جُـزْتُـمُ بنقا الرّمـلِ عـن الجسـم السلاما
إنَّ قلبـي يـومَ طُفْنـا بـاللّـوى ورَحَلْنـا عنـه بـالـوَجْـدِ أقـامـا
ما غرامي إنْ شَدَتْ[4] وُرْقٌ، وهَلْ عَلَّمَ الوُرْقَ سوى وجدي الغراما؟
قلقـي فـي حُـرَقـي مِـنْ أرَقِـي يَـرْتَقِـي بـلْ يَنْتَقِـي منّـي العِظَـامـا
طَـرَبِـي فـي كُـرَبِـي مـن حَـرَبـي تـاهَ بـي فيكـمْ ولـم أَشْـرَبْ مُـدَامـا
لـو جَـرَتْ عينـي علـى قَـدْرِ الأسَـى رجَـعَ المـاءُ بـواديهـم حَـرَامـا

* * *

(١) الخزامى: نبتٌ طيِّبُ الريح، وقال أبو حنيفة الدِّيْنَوَري: هو عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نَوْر كَنَوْرِ البنفسج، قال: لم نجد من الزهر زهرةً أطيبَ نفحةً من نفحتها.
(٢) لماماً: تقول: فلان يزور لماماً: أي في الأحايين.
(٣) الأثل: شجر، واحده أثلة، وذي الأثل: مكان قرب المدينة.
(٤) شَدَتْ: من الشدو: النشيد والغناء.

الفصل الخامس والسبعون

إخواني! الخلوةُ مَهْرُ بكرِ الفكرِ، وسُلَّمُ معراجِ الهِمَّةِ، حريمُ العزلةِ مصونٌ من عَيْبِ غَيْثِ عَبَث، [إذا خَلتْ دارُ الخلوةِ عن الصور، تفرَّغَ القلبُ لملاحظةِ المعاني][1].

أوحشتنـــــي خَلـــــواتـــــي ... بـــكَ مِـــنْ كـــلِّ أنيـــسِ
وتفـــرَّدتُ فعـــايَنْتُـــكَ ... بـــالغيـــبِ جليســـي
ودَعَـــانـــي الـــوجـــدُ والحُـــبُّ ... إلـــى المَغْنـــى النفيْـــسِ
فبـــدا لـــي أنَّ مَهْـــرَ الحُـــبِّ ... أنفـــاسُ النفـــوسِ
فكتبـــتُ العهـــدَ للحِـــبِّ ... علـــى طِـــرْسِ الـــرَّسِيْـــسِ[2]

يا هذا! إذا رُزِقْتَ يقظةً فَصُنْها في بيتِ عزلة، فإنَّ أيدي المُعاشرة نَهَّابَة، احذر معاشرةَ الجُهَّال، فإنَّ الطبعَ لِصٌّ، لا تصادقَنَّ فاسِقاً، فإنَّ مَنْ خانَ أولَ مُنْعِمٍ عليه لا يفي لك.

يا أفراخَ التوبةِ! لازموا أوكارَ الخلْوة، فإنَّ هِرَّ الهوى صَيُود، إيَّاكَ والتقرُّبَ من طرَف الوَكْر، والخروجَ من بيت العُزْلةِ، حتى يتكاملَ نباتُ الخوافي[3]، وإلا كنتَ رزقَ الصائد.

الأُنسُ بالإنسِ دَبَق[4]، المخالطةُ توجب التَّخليط، وأيسرُ تأثيرِها تَشْتيتُ الهمِّ.

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) **الطرس**: الصحيفة. **رسيس**: الثابت الذي لزم مكانه.
(٣) **الخوافي**: جمع خافية: ما دون الريشات العشر من مقدَّم الجناح في الطائر.
(٤) **دبق**: مادة كالغراء لازقة تلزق بجناح الطائر فيُصادُ بها.

أقلُّ ما في سُقوطِ الذِّئبِ في غَنَمٍ إنْ لم يُصبْ بعضها أنْ ينفِرَ الغنمُ

قطعُ العلائقِ أصلُ الأصولِ، فَرِّغْ لي بيتاً أسكنه، إنَّ الطائرَ إذا كان زاقّاً لم يُرْسَل في كتاب.

تأمّلوا إلى الفَرَسِ إذا قدمَ إلى الماء الصافي كيف يضربُ بيديه فيه حتى يتكدّر! أتدرون لِمَ؟ لأنه يرى صورة نفسِه في الماء الصافي وصورةَ غيره، فيكدره حتى لا تَتَبَيَّنَ فيه الصورُ فيتهنّى بالشرب، لا يظهر في خلوة المتيقِّظِ إلا الحق.

كان أويسُ يهربُ من الناسِ فيقولون: مجنون، وصفَ الرسولُ ﷺ لأصحابِهِ حِلْيَةَ حُلَّتِه[1]، فقويَ تَوْقُ[2] عمر، وكان في كلِّ عامٍ يسألُ عنه أهلَ اليمنِ.

ألا أيُّها الركبُ اليمانون عَرِّجُوا علينا فقد أمسى هوانا يمانِيَا
نُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمانُ بعدَنا وحَبَّ إلينا بطنُ نَعمانَ واديا

لما كانت آخرُ حجةٍ حجَّها عمر، قام على أبي قُبَيْس فنادى بأعلى صوته: أفيكم أويس؟.

(للشريف الرضي)[3]:

وإنّيَ للشّوقِ مِنْ بعدِهِمْ أُراعي الجَنوبَ مراحاً ومَغْدى
وأفرحُ من نحوِ أوطانِهِمْ بِغَيْثٍ يُجَلْجِلُ برقاً ورعدا
إذا طلعَ الرَّكبُ يمّمْتُهم أحيِّي الوجوهَ كهولاً ومُرْدا
وأسألُهمْ عن عقيقِ الحِمَى وعن أرضِ نجدٍ ومَنْ حَلَّ نَجْدَا
نشدتُكُم اللهَ فليُخبرَنَّ مَنْ كانَ أقربَ بالرملِ عَهْدا
هل الدارُ بالجزعِ مأهولةٌ أثارَ الربيعُ عليها وأسْدَى
وهل جَلَبَ الغيثُ أخلافَه[4] على مَحضَرٍ من زَرُودٍ ومبدا؟

(١) حلية: زينة. حُلَّته: الثوب الجيد الجديد.

(٢) توق: شوق.

(٣) من قصيدة قالها يفتخر بقريش ونزار عل قحطان واليمن. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٦.

(٤) أخلاف: جمع خِلف: ما يخلفه الغيثُ من آثار.

كـان (أويـس) يأتي المزابل إذا جـاع، فأتاها يوماً فنبحَ عليه كلبٌ، فقال: يا كلبُ! لا تؤذِ من لا يُؤذيك، كُلْ مما يليك، وآكل مما يليني، فإنْ دَخَلْتُ الجنةَ فأنا خيرٌ منك، وإنْ دخلتُ النارَ فأنت خيرٌ منِّي.

ذلُّ الفتـى فـي الحُـبِّ مَكْـرُمـةٌ وخضـوعُـهُ لحبيبِـه شَـرَفُ

كان الصبيانُ يرمونه بالحجارة، والعُقلاء عند نفوسهم يقولون: مجنون، والمحبةُ تنهاهُ أنْ يُفَسِّرَ ما استُعْجِمَ.

أبثُّهـم وجـدي وهـمْ بـي أعلـمُ وأرجـو شِفَـائـي منهـمُ وهـمُ هـمُ
وكمْ كِدْتُ مِنْ شَوْقٍ أُبَيِّنُ مَنْ هُمُ ويمنَعُنـي مِـن ذاكَ خـوفـي منهـمُ
وكـم عـذَلـونـي فيهـمُ غَيْـرَ مـرةٍ فقلـتُ لهـم، واللهُ بـالصدقِ أعلـمُ:
إذا كـانَ قلبـي مُـوْثَقـاً فـي حِبَـالكـم وجسمي لديكم كيفَ أَفْهَمُ عَنْكُمُ
فـإن شِئْتُـمُ أنْ تَعْـدِلـوا فَتَـوَصَّلُـوا إلـى أن يعـودَ القلـبُ ثـم تكلَّمـوا

صاحِبْ أهلَ الدِّينِ وصَافِهِم، واستَفِدْ من أخلاقِهم وأوصافِهِمْ، واسكُنْ معهم بالتأدُّبِ في دارهم، وإن عاتبوكَ فاصبرْ ودَارِهم، إن لم يكن لكَ مَكنَةُ البَذْرِ، ولَمْ تُطِقْ مراعاةَ الزرع، فقِفْ في رفقة ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٨]، أنتَ في وقتِ الغنائمِ نائمٌ، وقلبُكَ في شهواتِ البهائمِ هائمٌ.

وإن صدقتَ في طِلابهم فانهضْ وبَادِرْ، ولا تستصعب طريقَهم، فالمُعينُ قادر.

تَعَرَّضْ لمن أعطاهم، وسَلْ، فمولاكَ مولاهم، رُبَّ كنزٍ وقعَ به فقير، ورُبَّ فضلٍ فازَ به صغير، عَلِمَ الخضرُ ما خَفِيَ على موسى، وكُشِفَ لسليمانَ ما غُطِّيَ عن داود.

يا هذا! لا تَحْتَقِرْ نفسكَ فالتائبُ حبيبُ اللهِ، والمنكسِرُ مستقيمٌ، إقرارُكَ بالإفلاسِ غنًى، اعترافُكَ بالخطأ إصابة، تنكيسُ رأسِكَ بالندمِ رِفْعَةٌ.

عُرِضتْ سِلْعَةُ العبوديـة في سـوق البيع، فبذلتِ الملائكـةُ نَقْـدَ ﴿ وَنَحْنُ

نُسَبِّحُ﴾ [البقرة: ٣٠]، فقيل: ما تُؤثِّرُ سَكة[1] دراهمكم، فإنَّ عُجْبَ الضاربِ بسرعة الضربِ أوجب طمساً في النَّقْشِ، فقال آدم: ما عندي إلا فلوسُ إفلاسِ نقشُها ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقيل: هذا الذي ينفق على خزَانة الخاص، أنين المذنبين أحبُّ إلينا من زجل المسبحين.

واستعذبوا ماءَ الجفونِ فعذَّبوا الأسرارَ حتَّى دَرَّتِ الآماقُ

يا معاشرَ المذنبين! إنْ كانَ يأجوجُ الطبْعِ، ومأجوجُ الهوى، قد عاثوا في أرضِ قلوبكم، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥]، اجمعوا لي عزائِمَ قوية، تشابِهُ زُبَرَ الحديدِ، وتَفَكَّروا في خطاياكم، لتثور صُعَداءُ الأسَفِ، فلا أحتاجُ أن أقولَ ﴿ٱنفُخُواْ﴾ [الكهف:٩٦]، شَيِّدوا بنيان العزائم بِهَجْرِ المألوف ليَسْتَخجِر البناء، فَنَسْتَغْني أن نُفرِغَ عليه قطراً[2]، هكذا بناءُ الأولياء قبلكم، فجاء الأعداء ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

ليسَ عَزْماً ما مَرِضَ المرءُ فيه ليسَ همّاً ما عاقَ عنه الظلامُ

الجدَّ الجدَّ، فما تَحْتَمِلُ الطريق الفتور، ضاقتْ أيامُ الموسمِ، فجعجعوا بالإبل[3].

كان (أُسيد الضَّبّي) إذا عوتب في كثرة بكائه يقول: كيف لا أبكي وأنا أموتُ غداً؟! واللهِ لأبكِيَنَّ، فإنْ أدركتُ بالبكاءِ خيراً، فَمِنْ مَنِّ اللهِ عليّ، وإن كانتِ الأُخرى فما بكائي في جَنْبِ ما ألقاه؟!.

كانت عابدةٌ لا تنامُ من الليل إلا يسيراً، فعُوتِبَتْ في ذلك فقالتْ: كَفَى بطولِ الرَّقدةِ في القبورِ رُقاداً.

أيُّها العُذَّالُ لا تَعْذلُوا إنَّما العَذْلُ لمَنْ يَقْبَلُ
وأرى ليليَ لا ينقضِي طالَ ليلي والهَوى أطولُ

---

(١) سكّة: حديدة منقوشة تُضْرَبُ عليها النقود.
(٢) القطر: النحاس الذائب، أو ضرب منه.
(٣) جعجع بالإبل: حركها للنهوض.

تزوّجَ رَباحُ القيسيُّ امرأةً، فرَأَتْهُ قائماً طولِ الليلِ، فقالت: ليت شعري من غَرَّني بك يا رباح؟.

يــا عقيــقَ الحِمَــى اللهُ مَغْنــاكَ ورَوَّى ثــراك مــن مُــزْنِ دَمْعِــي
مَــن لصَــبٍّ يشــوقُــه لامــعُ البَــرْقِ فيـــرتـــاحُ قلبُـــه للجـــزْعِ
يــا خَلِيلــيْ مــا أنــتَ لــي بخليــلٍ ورفيــقٍ إن لــم تَقِــفْ بــالــربــعِ

هذه طريقُهم فأينَ السالكُ؟ هذه صفاتهم فأينَ الطالبُ؟.

هـــذه المنـــازلُ والعقيـــقُ فـــأيـــنَ سلمـــى والخيـــامُ
لـــم يَبْـــقَ مـــذْ صـــاحـــوا النـــوى لمُتَيَّـــمٍ فيهـــا مقـــامُ

* * *

الفصل السادس والسبعون

أيها المُقَصِّرُ عن طلبِ المَزاد، كيفَ تُدْرِكُ المعالي بغيرِ اجتهاد؟ أينَ أهلُ السَّهَرِ من أهلِ الرُّقاد؟ أينَ الراغبونَ في الهوى من الزُّهَّاد؟ رحلَ المتيقّظون مستظهرينَ بكثرة الزاد، كلُّ جوادٍ لهم يعرِفُ الجَوادَّ[1]، فساروا فزاروا والكسلانُ عاد.

(للشريف الرضي)[2]:

يا قلبُ ما أنتَ مِنْ نَجْدٍ وساكِنِه ... خلَّفْتَ نجداً وراءَ المُدْلِجِ الساري

أهفو إلى الركبِ تَعلُو لي ركائبهم ... من الحِمَى في أُسَيْحاقٍ[3] وأطْمَارِ

تفوحُ[4] أرواحُ نَجْدٍ مِنْ ثيابِهِمُ ... عندَ القدومِ[5] لقُرْبِ العهدِ بالدارِ

يا راكبانِ قفا لي فاقضيا وَطَري ... وحَدِّثاني[6] عن نجدٍ بأخبارِ

هل رُوِّضَتْ قاعةُ الوعْساءِ[7] أم مُطِرَتْ ... خَميلةُ الطَّلْحِ[8] ذاتِ البانِ[9] والغارِ[10]

أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ ... داري وسُمَّار ذاك الحيِّ سُمَّاري؟

فلم يزالا إلى أن نَمَّ بي نَفَسي ... وحدَّثَ الركبَ عني مدمعي الجاري

لما صَفَتْ خلواتُ الدُّجى، نُودي آذِنُ الوصول: أقم فلاناً وأنِمْ فلاناً. خرجَتْ بالأسماءِ الجرائد، وفازَ الأحبابُ بالفوائد.

---

(١) الجوادّ: جمع جادة، وهي الطريق.
(٢) قصيدة قالها متغزلاً. انظر: ديوان شعره: ١/ ٥١٧.
(٣) أسيحاق: مصغر إسحاق، وهي الثياب البالية.
(٤) في الديوان: «تضوع».
(٥) في الديوان: «عند النزول».
(٦) في الديوان: «وخبراني».
(٧) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل تنبت البقول الجيدة.
(٨) الطلح: شجر عظام من شجر العضاه ترعاه الإبل.
(٩) البان: ضرب من الشجر سبط القوام ليّن، ويشبّه به الحسان في الطول واللين.
(١٠) الغار: شجر طيب الرائحة، ورقُه دائمُ الاخضرار، وخشبُه عَطِرٌ.

قال (أحمد بن أبي الحواري): قلت لامرأتي رابعة ـ وقد قامتْ من أولِ الليل ـ: قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه، ما رأينا مَنْ يقومُ من أول الليل، فقالت: سبحان الله! مثلُكَ يقول هذا؟! إنَّما أقومُ إذا نُوديت.

(للمتنبي):

تقولينَ: ما في الناسِ مثلُكَ وامقٌ[1]
جِدي[2] مثلَ مَنْ أَحْبَبْتُه تجِدي مثلي
ذرِيني أَنَلْ ما لا يُنالُ مِنَ العُلى
فَصَعْبُ العُلَى في الصَّعْبِ، والسَّهْلُ في السَّهْلِ
تريدينَ لقيانَ المعالي رَخِيْصَةً
ولا بدَّ دونَ الشَّهْدِ مِنْ إبَرِ النَّحْلِ

لما دارتْ كؤوسُ النومِ على أفواهِ العيونِ، فسكرت بالشرابِ الألبابُ، فطُرِحَت الأجسادُ على فراش ﴿يَتَوَفَّى﴾ [الزمر: ٤٢]، صاحت فصاحةُ الحُبِّ بالمُحِبِّ «كلُّ مُسكرٍ حرام»[3]، فلمَّا نُفِخَ في صورِ الإيقاظِ في إبّان ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [الزمر: ٤٢]، قامَ أمواتُ النوم، وقد رحَلَ سَفْرُ[4] الوصال، فلم يروْا إلا آثار القُرْبِ في مَناخِ الأحباب، وأَثَافيَّ[5] ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: ١٦].

سترَ القومُ قيامَهم بالليل، فسترَ جزاءَهم أن يطَّلعَ عليه الغير ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [السجدة: ١٧]، فلو عاينتهم وقد دارت كؤوسُ المناجاةِ بين مَزَاهِرِ التلاوة فأسكرتْ قلبَ الواجد، ورقَمَتْ في صحائفِ الوَجَنات ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) وامق: محب.
(٢) جِدي: فعل أمر من المضارع (يجد) ماضيه (وجد).
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب والأحكام والمغازي؛ ومسلم في الأشربة: ٣/ ١٥٨٧؛ وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.
(٤) السَّفر: المسافرون إلا أنها جمع لسافر، كصحب وصاحب، ومسافرون جمع مسافر.
(٥) أثافي: جمع أثفية، حجارة يوضع عليها القِدْر، وهي ثلاث، ثالثها القطعة من الجبل يجعل إلى جنبها اثنتان، فتكون القطعة متصلة بالجبل، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، بالشر كله، جعل الشر أثفية بعد أثفية، حتى إذا رماه بالثالثة لم يترك منها غاية.

وتَمَشَّتْ في مفاصلهم كتَمَشّي البُرْءِ في السَّقَمِ

اشتُهرَ بقيامِ الليلِ كلِّه، وصلاةِ الفجرِ بوضوء العشاء: سعيدُ بن المسيب، وصفوانُ بن سليمان، ومحمد بن المُنكَدر المدنيون، وفُضَيْلُ ووهب المكّيان، وطاوُس ووهب اليمانيان، والربيع بن خُثيم والحكم الكوفيان، وأبو سليمانَ الداراني وأبو جابر الفارسيان، وسليمان التميمي ومالك بن دينار ويزيد الرقاشي وحبيب العجمي ويحيى البكّاء وكهمس ورابعة البصريون.

قالت أمُّ عمرو بن المنكدر: يا بُني أشتهي أراك نائماً.

فقال: يا أُمّاه إنَّ الليلَ ليرِدُ عليَّ فيَهُولني، فينقَضي عنّي وما قضيتُ منه مآربي.

وصحبَ رجلٌ رجلاً شهرين، فما رآهُ نائماً، فقال له: ما لَكَ لا تنام؟.

فقال: إنَّ عجائبَ القرآنِ أطْرَنَ نومي، ما أخرُجُ من أعجوبةٍ إلا وقعتُ في أخرى.

لا تَلْحُهُ إنْ كنتَ من سُجَرائه[1] عَذْلُ المحبِّ يزيدُ في إغرائِهِ
ودعِ الهَوَى يقضي عليهِ بِحُكْمِهِ ما شاءَ فهو مسَلِّمٌ لقضائِهِ
فشَقَاؤُه فيما يراهُ نعيمُه ونعيمُه في ذاك عينُ شقائِهِ
كُحِلَتْ مآقيه بطولِ سُهادِهِ وحَنَتْ أضالعُه على بُرَحائِهِ
دَنِفٌ ببابلَ جِسْمُهُ، وفؤادُه بالخَيْفِ وا عجباً لطولِ بقائِهِ

قال سفيانُ: إنَّ للهِ ريحاً تُسمَّى الصُّبْحيَّة، مخزونةً تحتَ العرشِ، تهبُّ عند الأسحارِ، فتحملُ الأنين والاستغفار.

(لمهيار)[2]:

يا نسيمَ الرِّيحِ مِنْ كاظِمةٍ شَدَّ ما هِجْتِ الأَسَى والبُرَحا

---

(١) سجرائه: أصحابه وأصفياؤه.
(٢) كتبها إلى أبي المعمر بن الموفق علي بن إسماعيل في النيروز سنة (٤١٤هـ). انظر: ديوان شعره: ١/ ٢٠٢ـ٢٠٥.

الصَّبــا إنْ كــانَ لا بــدَّ الصَّبــا　　إنَّهــا كــانــتْ لِقَلْبِــي أزوحــا
اذكــرونــا ذكْــرَنــا عهــدَكُــمُ　　ربَّ ذِكْــرَى قَــرَّبَــتْ مَــنْ نَــزَحــا
وارحمــوا صَبّــاً إذا غنَّــى بِكُــمْ　　شَــرِبَ الــدَّمْــعَ وعــافَ القَــدَحــا

يا طويلَ النوم، فاتتكَ مِدْحةُ ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ [السجدة: ١٦]، وحُرِمْتَ منحة ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧]، ولست من أهل عِتابِ «فإذا جَنَّهُ[١] الليلُ نامَ عَنِّي»، ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ، ومتى رأيتَ محبّاً ينامُ؟!.

(للمتنبي)[٢]:

فــإنَّ نهــاري ليلــةٌ مُــدْلَهِمَّــةٌ　　على مُقلةٍ مِنْ فَقْدِكُم في غَيَاهِبِ
بعيــدةِ مــا بَيْــنَ الجفــونِ كــأنَّمــا　　عَقَدْتُــمْ أعالي كــلِّ هُــدْبٍ بِحَاجِبِ

ثَوَّرت في الليلِ الحُداةُ، وعُكِمَتْ[٣] أحمالُ الأعمالِ، وسارتْ رفقَةُ المتهجّدين، وترنَّمَ كلُّ ذي صوتٍ بشجوٍ، وأنتَ في الرقدةِ الأولى بعدُ.

لم يخلُ مَرْجَانُ دمعٍ مِنْ عَقيقِ دمٍ　　شــوقٌ بــلا عَبْــرَةٍ ســاقٌ بــلا قَــدَمِ

يا هذا! كيفَ تُطِيْقُ السَّهَرَ مع الشِّبعِ؟! كيف تزاحِمُ أهلَ العزائمِ بمناكِبِ الكَسَلِ؟!:

دعِ الهَــوى لأُنــاسٍ يُعــرَفُــونَ بــهِ　　قد مارسوا الحُبَّ حتى لانَ أصعبُه
بَلَــوْتَ نَفْسَــكَ فيمــا لســتَ تَخْبُــرُه　　والشيءُ صعبٌ على مَنْ لا يُجرِّبُه
فافنَ اصطباراً وإن لم تستطع جَلَداً　　فَــرُبَّ مــدرِكِ أمــرٍ عــزَّ مطلَبُــه
أَحْنُو الضلوعَ على قلبٍ يُحيِّرُني　　فــي كــلِّ يــومٍ ويُعْيِينــي تقلُّبُــه
تَنــاوُحُ الــريــحِ مِــنْ نَجْــدٍ يُهَيِّجُــهُ　　ولامِــعُ البــرقِ مِــنْ نَعْمــانَ يُطْــرِبُــه

* * *

---

(١) جنه: ستره.
(٢) من قصيدة طويلة له. انظر: ديوان شعره، ص٢٠٩.
(٣) عكمت: ربطت.

الفصل السابع والسبعون

إذا هبَّتْ رياحُ المواعِظِ، أثارتْ من قلوبِ المتيقظين غيمَ الغمِّ على ما سلفَ، وساقتهُ إلى بدلِ الطبعِ المُنحَرِفِ برعدِ الوعيدِ وبرقِ الخشيةِ، فتترقّى دموعُ الأحزانِ مِنْ قَعْرِ بحرِ القَلْبِ إلى أَوْجِ الرأسِ، فتسيلُ في ميازيبِ الشؤونِ على سطوحِ الوجناتِ، فإذا أعْشَبَ السِّرُّ اهتزَّ فرحاً بالإنابة.

مَحَتْ بعدَكم تلك العيونُ دموعَها ... فهل مِنْ عيونٍ بعدَها نستعيرُها
رَحَلْنا وفي سِرِّ الفؤادِ ضَمَائرٌ ... إذا هَبَّ نجديُّ الصَّبا يستثيرُها
أتنسى رياضَ الغَوْرِ بعد فراقها ... وقد أخَذَ الميثاقَ منك غديرُها
يُجعِّدُه مرُّ الشَّمالِ وتارة ... يغازِلُه كرُّ الصَّبا ومرورُها
ألا هَلْ إلى شَمِّ الخُزامى وعَزْعَرٍ ... وشيحِ بوادي الأَثْلِ أرضٌ نسيرُها
ألا أيها الركبُ العراقيُّ بلِّغوا ... رسالَةَ محزونٍ حواهُ سطورُها
إذا كتَبَتْ أنفاسُه بعضَ وَجْدِها ... على صفحةِ الذِّكرى محاهُ زفيرُها
ترفَّقْ رفيقي هل بدَتْ نارُ أرضِهم ... أم الوجدُ يُذْكِي نارَه ويُثيرُها؟
أعِدْ ذكرَهم فهو الشفاءُ وربَّما ... شفَى النفسَ أمرٌ ثم عادَ يَضيرُها
ألا أينَ أزمانُ الوِصالِ التي خَلَتْ ... خلا ما خَلا منها وجاءَ مَريرُها
سقى اللهُ أياماً مَضَتْ ولياليا ... تَضوَّعَ ريَّاها وفاحَ عبيرُها

مَنْ تفكَّرَ في تفريطِهِ أنَّ، ومَن تذكَّرَ أيامَ وصلِه حَنَّ، ومَنْ سمعَ صوتَ الحَمامِ ظنّه لِحُسْنِ الصوتِ[1] . . .

. . . كلا بل لَذَكَرَ ما مرَّ من العيش[2].

إذا نظر الأسيرُ إلى نفسِه في ضيق القِدِّ[3]، ولم يَقْدِرْ على فَكِّ القيد، قطع

---

(١) يوجد نقص في الجملة كما لا يخفى.

(٢) يوجد نقص في صدر الجملة.

(٣) القِدّ: سيرٌ من جلد غير مدبوغ يربط به الأسير.

حُزْنُه حيازِيمَ القلب، فَنَفَسُه بالأَسَفِ في آخر نَفَسٍ.

تهيمُ ريحُ الصَّبا نَسَمَتْ لها | وتبكي إذا الوَرْقاءُ في الغُصْنِ غنَّتِ
إذا جذَبَ الصبحُ اللثامَ تأوَّهَتْ | وإنْ نشرَ الليلُ الجناحَ أرَنَّتِ

كان داودُ يؤتى بالإناء ناقصاً، فلا يشربُه حتى يُتمَّه بالدموع.

يا ساقيَ القومِ إنْ دارَتْ عليَّ فلا | تَمْزُجْ فإنّي بدَمْعي مازجٌ كأسي

كان في خَدِّ (عمرَ بن الخطاب) خطَّان أسودانِ من البكاءِ، وكان في وجه (ابن عباس) كالشِّراكَيْنِ الباليين من الدمع.

(لمهيار):

ألا مَنْ لِعَيْنٍ من بُكاها على الحِمَى | تجفُّ ضروعُ المُزْنِ وهي حَلُوبُ
بكَتْ وغَديرُ الحَيِّ طامٍ وأصبحتْ | عليهِ العِطَاشُ الحائماتُ تلوبُ
وما كنتُ أدري أنَّ عَيْناً رَكِيَّةٌ | ولا أنَّ ماءَ المأقِيَيْنِ شَرُوبُ

كان (الحسن) يبكي حتى يُرْحم.

وكان (الفضيلُ بن عياض) يبكي في النوم حتى ينبِّه أهلَ الدار ببكائه.

وكان (عطاءُ السُّلمي) يبكي في غرفة له حتى تجري دموعُه في الميزاب، فقطرَتْ يوماً إلى الطريقِ على بعض المارّين، فصاحَ يا أهلَ الدار: أماؤكم طاهِرٌ؟ فصاحَ عطاء: اغسلْهُ، فإنَّه دمعُ عينِ مَنْ عَصَى الله.

ومَنْ لُبُّهُ مع غيرِهِ كيفَ حالُه | ومَنْ سِرُّهُ في جَفْنِه كيفَ يكْتُمُ؟

وقالوا لعطاء السُّلمي: ما تشْتَهي؟.

فقال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدرَ أن أبكي.

وإنَّ شفائي عبرةٌ مُهْراقَةٌ | فهل عندَ رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعوَّلِ

كان أشعثُ الحرّاني وحبيبُ العَجمي يتزاوران فيبكيانِ طولَ النهارِ.

وكان حزام وسهيل وعبدُ الواحد كلُّ واحدٍ في بيتٍ يتجاوبون بالبكاء.

(للخفاجي):

ركبُ هوًى تجاذبُوا حديثَه ... فأترَعوا[1] من الغرام أكؤسا
وأسبَلوا من الجُفونِ أدْمُعاً ... ظَنَنْتُها ماءً وكانَتْ أنفُسا
لقد سمِعْتُ في الرِّحالِ أنَّةً ... أظنُّها نَشْطَةَ[2] وَجْدٍ حُبِسا

البكاءُ موكل بعيون الخائفين، كلّما همَّتْ بفَتْح طَرْفٍ لتنظرَ إلى طَرَفٍ من طُرَفِ الدنيا طَرَفَتْهُ دمعة[3].

قال عليه الصلاة والسلام: «**عينان لا تمسُّهما النارُ أبداً، عينٌ بكتْ مِنْ خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتَتْ تحرسُ في سبيلِ اللهِ**»[4].

قال الحسن: لو بكى عبدٌ من خشية الله لرُحِمَ مَنْ حولَه ولو كانوا عشرين ألفاً.

وقيل لثابت البُناني: عالِجْ عينيكَ ولا تبكِ. فقال: أيُّ خيرٍ في عينٍ لا تبكي.

(لصُرّدُر):

إذا لم أفُزْ منكمْ بوعْدٍ ونَظْرَةٍ ... إليكم فما نَفْعني بسمعي وناظري
متى غنَّتِ الوَرْقاءُ كانتْ مُدامتي ... دموعي وزفَراتي حَنينَ مَزاهري

البُكاءُ لأجل الذنوب مقامُ المُريد، والبكاءُ على المحبوب مقام العارف.

رُوحي إليكَ بِكُلِّها قدْ أجمَعَتْ ... لو كانَ فيكَ هلاكُها ما أَقْلَعَتْ
تبكي عليكَ بكلِّها عن كلِّها ... حتى يقالَ: من البُكاءِ تَقَطَّعَتْ
فانظرْ إليها نظرةً بتعطُّفٍ ... قد طالما متَّعْتَها فتمتّعَتْ

---

(١) أترعوا: ملؤوا.
(٢) نَشْطة: انطلاقة.
(٣) الطَّرْف: العين. طَرَف: جانب، وطائفة من الشيء. طُرَف: جمع طُرْفة: كل مستحدَثٍ عجيب. طرَفته: أصابته فأطبقت أحدَ جَفْنَيه على الآخر.
(٤) رواه أبو يعلى في (مسنده)، والضياء عن أنس رضي الله عنه، وصححه السيوطي. انظر: الجامع الصغير، برقم (٥٦٤٧)؛ ورواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما دون قوله: «أبداً» وقال: حديث حسن.

إخواني! حرُّ الخوفِ صيفُ الذَّوَبان، وبرودةُ الرَّجاء شتاءُ الغفلة، ومَنْ لُطِفَ به كان زمانُه كلُّه فصلاً.

عيـنٌ تُسَـرُّ إذا رأتْـكَ وأُخْتُهـا ... تبكِـي لطـولِ تبـاعُـدٍ وفِـراقِ
فـاحفـظْ لـواحـدةٍ دوامَ سُـرورِهـا ... وَعِـدِ التـي أبكيتهـا بتـلاقِ

سبحانَ من روَّحَ أرواحَ الخائفين بريحِ الرجاءِ الضعيفِ، إذا لم يُتلافَ تَلِف لا بدَّ للمكروبِ من نسيمٍ بارد.

بـالله يـا رِيـحَ الشّمـالِ ... إذا عَـزَمْـتِ علـى الهُبُـوبِ
فتحمّلـي شكـوى المُحِـبِّ ... المستهـامِ إلـى الحبيـبِ
قَـرُبَ الضَّنَـى[1] مِـنْ مُهْجَتـي ... لمـا بعُـدْتُ عـن الطبيـبِ

وقف (عتبةُ الغلامُ) ليلةً على ساحلِ البحرِ إلى الصباحِ يقول: إنْ تُعَذِّبني فإنِّي لك محبٌّ، وإن ترحَمْني فإنِّي لك محب.

يا قومَنا! المحبُّ مع بَذْلِ روحِه يرتاحُ إلى المنى والتعليل[2]، لأنَّه لا يرى ما بذلَ يصلحُ ثمناً لما طلَب:

بِقَلْبـي منهُـمُ عُلَـقٌ[3] ... ودمعـي فيهـمُ عَلَـق[4]
وبـي مِـنْ حُبِّهِـمْ حُـرَقٌ ... لهـا الأحشـاءُ تحتَـرِقُ
ومـا تـركـوا سـوى رَمَقـي[5] ... فليتَهُـمُ لـهُ رَمَقـوا[6]

كان (عبد الواحد) يقول لعتبة: ارفُقْ بنفسِك، فيبكي ويقول: إنَّما أبكي على تقصيري.

---

(١) الضنى: المرض والتعب والهزال الشديد.
(٢) في (ب): عسى ولعل.
(٣) عُلَق: محبة ملازمة.
(٤) عَلَق: دم.
(٥) رمقي: الرمق: بقية الحياة.
(٦) رمقوا: نظروا.

قالوا: تصبَّرْ فما هذا الجنونُ بِهِمْ فقلتُ: يا قومِ ليسَ القلبُ من قِبَلي

واعجباً! أوَيقدِرُ المحبُّ على التصرُّفِ في قلبه؟ كلاّ، دينُ المحبِّ الجَبْرُ[1].

(لأبي الشيص الخزاعي):

وقفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي متــأخَّــرٌ عنــه ولا مُتَقَــدَّمُ
أجِدُ المـلامَـةَ فـي هـواكِ لـذيـذةً حُبّـاً لِـذِكْـرِكِ فليلُمْنـي اللُّـوَّمُ

دخلوا على رابعةَ فقالَتْ: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ بالشوقِ إلى لقاءِ الله تعالى.

ودخلوا عليها مرّةً أخرى فقالوا: أتشتاقين إليه؟.

فقالت: هو حاضرٌ معي.

قالوا: يا رابعةُ! هذا ضدُّ الأول.

أجابَتْ بلسان الحالِ: هكذا تحيُّرُ المُحبِّ.

ومِـنْ عجـبٍ أنّـي أحـنُّ إليهـمُ وأسـألُ شـوقـاً عنهُـمُ وهـمُ معـي
وتطلُبهـمْ عينـي وهـم فـي سـوادِهـا ويشتـاقُهـم قَلْبي وهـمْ بَيْنَ أضلُعي

إذا بدَتْ رابعةُ في يوم القيامة مُخَمّرة، وقعتْ لهيبةِ خمارِها طيالسةُ[2] العلماء.

كان سفيانُ يتأدّبُ لرابعةَ، وكان هو صاحبَ مَخزنِ العلمِ، فتردَّدَ إلى القَهرَمانة[3]، لأنَّ لها دخولاً أكثر منه.

رحلَ المُلاَّكُ وبقي المُدَّعون، أترى أيَّ طريقٍ سلكوا؟ نحن مُلِكْنا والقوم مَلَكوا.

(للشريف الرضي، ولمهيار)[4]:

---

(١) الجبر: أن المحبّ لا اختيار له مع محبوبه.

(٢) طيالسة: جمع طيلسان، وهو كساء من خَزّ غليظ، (فارسي معرب).

(٣) القهرمانة: مدبرة البيت ومتولية شؤونه، (فارسية معربة).

(٤) من قصيدة قالها الشريف الرضي خلال ذهابه إلى المدينة عام (٣٩٤هـ). انظر: ديوان=

يـــا صـــاحِبَـــيْ رَحْلـــي قِفَـــا فسَـــائِـــلا لـــي الـــدِّمنـــا
وأمطـــــرا دمعَكمـــــا[1] ذاك الكثيـــــبَ الأيمَنـــــا
مـــا الـــدارُ عنـــدي سكـــنٌ إذا عَـــدِمْـــتُ السَّكَنـــا
كـــانَ فـــؤادي وهُـــمُ فظَعَنـــوا فَظَعَنـــا
مُنَـــى لعينـــي أن تـــرى تلـــك الثَّـــلاثَ مـــن «منـــى»
ويـــومَ «سَلْـــعٍ» لـــم يكـــن يـــومـــي «بسَلْـــعٍ» هيّنـــا
ويـــومَ «ذي البـــانِ» تبـــا يعنـــا فحُـــزْتُ الغَبَنـــا[2]
كـــان الغـــرامُ المشتـــري وكـــان قلبـــي الثمنـــا
وبـــارقٌ أُشِيمُـــهُ[3] كـــالطَّـــرْفِ أغضـــى وَرَنـــا[4]
ذكَّـــرَنـــي الأحبـــابَ والـــذ كـــرى تُهيـــجُ الحَـــزَنـــا
مِـــنْ بطـــنِ مـــروٍ والشُّـــرى تـــؤمُّ عُسْفـــانَ بنـــا
وبـــالعـــراقِ وطَـــري يـــا بُعْـــدَ مـــا لاحَ لنـــا

* * *

= شعره: ٢/ ٤٨٠، وفي قصيدة قالها مهيار يهنئ كمال الملك أبا المعالي. انظر: الديوان: ٤/ ١٤٢.

(١) في الديوان لمهيار: «من سائل لي بالحمى».

(٢) الغَبْن: يقال: غبنه في البيع: خَدَعَهُ وأوقعَ به ضرّاً، ويكون في البيع والشراء. والغَبَن: يكون في الرأي.

(٣) أشيمه: أنظر إلى البرق أين يقصد؟ وأين يمطر؟.

(٤) رنا: أطال النظر.

الفصل الثامن والسبعون

المُحِبُّ يتعلَّقُ بكلِّ شيء، ويهيمُ في كلِّ وادٍ، على القلَقِ يَمشي، وعلى الحُرَقِ يُمسي:

بقيتُ على الأطلالِ مِنْ بعدكُمْ مُلْقَى ‍ ‍ ‍ ‍ أهيمُ بكمُ وأطلبُكُمْ شرقا
وأسألُ أنفاسَ الرياحِ إذا جَرَتْ ‍ ‍ ‍ ‍ يمانيةً عنكم وأسْتَنْبِئُ البَرْقا

كان رسولُ الله ﷺ يَخرجُ إلى حِراء، ويبدو إلى التلاع[1]، مقاساةُ الخلق ظلمة، والحبيبُ لا يَتجلّى إلا في خلوة.

وأخرجُ مِنْ بينِ البيوتِ لَعلّني ‍ ‍ ‍ ‍ أحدّثُ عنكِ النفسَ في الليلِ خاليا

المحبُّ مقتولٌ بلا سيفٍ، مُلقًى في مِنَى المُنى لا عندَ الخَيْفِ[2]، إذا سمع صوتَ منشدٍ قد غرَّد، خلعَ لجامَ الصبرِ وتشرَّد.

ولمّا غرَّدَ الحادي ‍ ‍ ‍ ‍ وسارَ القومُ في الوادي
وراحَ القلبُ يَتْبَعُهم ‍ ‍ ‍ ‍ بِلاَ ماءٍ ولا زادِ
رأيتُ قتيلَ بَيْنِهم[3] ‍ ‍ ‍ ‍ صريعاً ما لَه فادِ[4]

---

(١) التلاع: ما ارتفع من الأرض وما انهبط، وهو من الأضداد كما في (مختار الصحاح). وحديثُ: كان رسولُ الله ﷺ في أول أمره يتبتل في غارِ حراء وينعزلُ إليه. رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: «فكان يخلو بغار حراء يتحنّثُ فيه...». وفي (الجامع الصغير) برقم (٦٩٥٨): «كان يبدو إلى التلاع» رواه أبو داود وابن حبان في (صحيحه) عن عائشة، ورمز له السيوطي بالحسن.

(٢) الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وغرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وبها سمي مسجد الخَيْف، وهو في ناحية من منى.

(٣) بينهم: من البَيْنِ، وهو البعد.

(٤) فاد: أي من يدفع ديته، وهو اسم فاعل من فدى يفدي، أي: دفع الدية.

أولُ علاماتِ المحبّةِ دموعُ العينِ، وأوسطُها قلقُ القلبِ، ونهايتها احتراقه.

(لقيس بن ذريح):

هــل الحُــبُّ إلا زفــرةٌ بعــد زَفْــرَةٍ وَحَــرٌّ علــى الأحشــاءِ ليسَ لــهُ بَـرْدُ
وفيــضُ دمــوعٍ تَسْتَهِــلُّ إذا بــدا لنا عَلَمٌ من أرضكمْ لمْ يكنْ يبدو

قال ذو النون: لقِيتُ امرأةً متعبّدةً فوعظتني فبكيتُ.

فقالت: لمَ تبكي؟.

قلت لها: والعارفُ لا يبكي؟.

قالت: إذا بكى استراحَ، ولا راحةَ للمؤمن دونَ لقاءِ ربِّهِ.

لا وحُبِّيــكَ لا أصــافــحُ بــالــدَّمْــعِ مَــدْمعــا
مَــنْ بكــى شَجْــوَهُ استــرا حَ وإنْ كــان مُــوجَعــا
كَبِــدِي فــي هَــواكَ أهــ ـــونُ مــن أنْ تَقَطَّعــا
لــم تــدع سَــوْرَةُ[1] الضَّنــى[2] فِــيَّ للسُّقْــمِ مــوضِعــا

المحبةُ نَـزَّالةٌ، وقُوتُها المُهَجُ.

كانت أضلاع (عمرَ بن عبد العزيز) تُعَدُّ، وكان جَسَدُ سَرِيٍّ كالشَّنِّ[3].

وقف أبو يزيد في المحراب فكبّر فتقَعْقَعتْ عظامُه.

وإنّــي لَتعــرُوني لــذكــراكِ لــوعــةٌ لهــا بيــن جلــدي والعظــامِ دبيــبُ
فمــا هــو إلا أنْ أراهــا فجــأةً فــأُبْهَــتُ حتــى لا أكــادُ أُجيــبُ

إذا رأيتَ محباً ولم تدرِ لمن؟ فضع يدكَ على نَبْضِه، وسَمِّ كلَّ من تظنُّهُ المحبوب، فإنَّ النبضَ لا ينزعِجُ إلا عندَ ذكره ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) سَوْرة: شدة.
(٢) الضنى: المرض والتعب.
(٣) الشن: القِربة الخَلقة.

(لمهيار)[1]:

ألا فتًى يسألُ قلبي ما لَهُ ... يَنْزو إذا بَرقُ الحِمَى بَدَا لَهُ
فهبَّ يرجو خبراً من الحِمى ... يُنْشِدُه عنه فما رَوَى لَهُ
أرادَ نجداً معه ببابلٍ ... إرادةً هاجَتْ له بَلْبالَهُ
وانتسم الريحَ الصَّبا ومَنْ لَهُ ... بِنَفْحَةٍ من الصَّبا طُوبى لَهُ

المحبُّ في قلقٍ لا سكونَ له، والعجبُ أنه يَتَكَلَّفُ الثباتَ.

الوجدُ يُحْرِقُه، والليلُ يُقْلِقُه ... والصبرُ يُسْكِتُه، والحبُّ يُنْطِقُه
ويسترُ الحالَ عَمَّنْ ليسَ يعذُرُه ... وكيفَ يسترُهُ والدَّمْعُ يَسْبِقُه

المحبُّ يُبالِغُ في كِتمان وجْدِهِ، غيرَ أنَّ الدَّمْعَ نمَّامٌ.

آفةُ السرِّ مِنْ جُفو ... نِ دوامٍ[2] دَوَامع
كيفَ يَخْفَى مِنَ الدمو ... عِ الهوامي[3] الهوامعِ[4]

كان أكثرُ القومِ إذا جاءَه البكاءُ دافعَه اتقاءً للاحي[5] له، فيغلبُه ولا حيلة.

(للمتنبي)[6]:

حاشى الرقيبَ فخانتْه ضمائرُه ... وغَيَّضَ الدمعَ فانهلَّتْ بوادرُهُ
وكاتمُ الحبِّ يومَ البَيْنِ مُفْتَضَحٌ ... وصاحِبُ الوَجْدِ لا تَخْفَى سرائِرُهُ

إذا أقلقه الحب ضجَّ، وإذا أَرَّقَهُ الشوقُ عَجَّ، وكلَّما حبس دمعَة ثَجَّ[7]، وإذا

---

(١) مطلع من قصيدة كتبها إلى كمال الملك أبي المعالي في النيروز. انظر: ديوان شعره: ٣/ ٢٢٧.
(٢) دوام: جمع دامية.
(٣) الهوامي: جمع هامية، من همى يهمي، وهمت العين: صبّت دمعها.
(٤) الهوامع: جمع هامعة، من همع يهمع، وهمعت العين: أسالت الدمع.
(٥) اللاحي: المنازع المخاصم.
(٦) مما قاله في صباه. انظر: الديوان، ص٣٦.
(٧) ثجّ: سال.

استوحشَ من الخَلْقِ هَجَّ[1]، فالهموم تنوبُه من كلِّ فجٍّ.

حُشِيَتْ قلوبُ المحبين بالغُموم، حشوَ الوَرْدِ في قوارير الزَّوْر[2]، وكلما التهبتْ نارُ الحَذَرِ جَرَتْ عيونُ الدَّمْعِ في جداولِ العيونِ، فَرَشَّتْ على الخدودِ ماءً، [ما] مَاءُ الوردِ عِنْدَه بِطيب.

(لابن المعتز):

أَسَـرَ القلـبَ فـأمسـى لـديْـهِ   فَهْــوَ يَشْكُــوه ويشكــو إليــه
عــذَّبَ الأحبـابَ بـالهجـرِ حينـاً   فهــمُ يبكــونَ بيــنَ يــديــهِ

وا عجباً لضَعْفِ بدنِ العارفِ كم يَحْمِل! وا أسفاً لقلبِ المحبِّ كم يَصْبِرْ!.

نعم تُحملُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ[3]   ويمشـي الهـوى والنـاقـلاتُ قُعُـودُ

ما أقوى جَلَدَ جِلْدِ القلبِ على نارِ الحُبِّ، كأنّه قد أُلبسَ السَّمَنْدل[4]، على أنّه لا بدَّ من لَذْعٍ يَبينُ أثرُه، في صُعُودِ الصُّعَداءِ، دلالةٌ تدلُّ على الحريقِ، اشتطَّ اللهيبُ فشاطتِ القلوب، لولا أنَّ القومَ على شواطئِ بحرِ الدموع نزول.

(للشريف الرضي)[5]:

خُذي حديثَكِ في نَفسٍ من النَّفَسِ   وَجْدُ المَشوقِ المعَنَّى غيرُ مُلْتبِس
الماءُ في ناظري والنارُ في كَبدي   إنْ شئتِ فاغترفي أو شئتِ فاقتبسي

أشدُّ ما على المُحبِّ من مقاساة الحُبِّ سماعُ اللَّوْم، وا عجباً من خليٍّ يعذِلُ ذا شجًى، ويحك! خلِّ شأنَه وشانه.

---

(١) هجّ: لعله يريدُ: شرد منهم وفرّ عنهم ونأى، وإن لم نجد معنى لكلمة هجَّ في المعاجم.
(٢) الزور: وسط الصدر، أو ما ارتفع منه إلى الكتفين.
(٣) ظَلَّع: من ظلع أي: عرج وغمز في مشيه.
(٤) السمندل: طائر في الهند لا يحترق في النار فيما زعموا، أو نسيجٌ منه ريش بعض الطيور لا يحترق.
(٥) مطلع من قصيدة قالها في شكوى الزمان. انظر: ديوان شعره: ١/ ٥٥٧.

فيا حُبَّهُم زدني جوًى كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوةَ الأيامِ موعدُكِ الحَشْرُ

لما أسلم سعدُ بنُ أبي وقاصٍ قالت له أمُّه: واللهِ لا آكلُ ولا أشربُ، ولا يُظلُّني سقفُ بيتٍ حتى تكفرَ بمحمدٍ.

فقال: اسمعي يا أماه! لو كان لكِ مئةُ نَفْسٍ فخرجتْ واحدةً بعد واحدةٍ، لم أكفر بمحمدٍ.. ويحها! ما خَبِرَتْ خبرَ المحبة! متى وقع السُّلوُّ في حبٍّ صادق!

(للمتنبي):

عذلُ العواذِلِ حَوْلَ قلبي التائِه ... وهوى الأحبة منه في سَوْدائه
القلبُ أعلمُ يا عذولُ بدائِه ... وأحقُّ منكَ بجَفْنِهِ وبمائه
فوَ مَنْ[1] أُحبُّ لأعصينَّك في الهوى ... قسماً بهِ وبحُسْنهِ وبهائِه
أأحبُّه وأحبُّ فيه ملامةً ... إنَّ الملامةَ فيه من أعدائِه
لا تعذلِ المشتاقَ في أشواقِه ... حتى تكونَ حشاكَ في أحشائِه

واعجباً لعاذل في حُبٍّ ما ذاقه، وآمرٍ بهجرِ حبيبٍ ما شاقه.

وماذا على مُفْرِدٍ بالعراقِ ... تذكَّرَ بالرملِ عهداً فَحَنَّا
وإنِّي لكلِّ شجٍ[2] عاذرٌ ... إذا ناحَ من طَرَبٍ أو تَغَنَّى

كانت أمُّ الربيع بن خُثَيْم إذا رأت قلقَه بالليل قالت: يا بُني! لعلَّكَ قتلتَ قتيلاً! فيقولُ: يا أمّاه! قتلتُ نفسِي.

قيل لعابد كان ينتحب: إنَّكَ تُفْسِدُ على المصلين صلاتهم بارتفاعِ صوتِكَ!.

فقال: إنَّ حزنَ القيامةِ أورثني دموعاً غِزاراً، فأنا أستريحُ إلى ذَرْفِها أحياناً.

مهلاً عذولُ صَليتَ[3] نارَ جَوانحي ... وغَرِقْتَ في تيَّارِ دَمْعِي المسبلِ
هذي حشايَ لديكَ فانظرْ هل ترى ... قلباً فإنْ صادفْتَ قلباً فاعذِلِ

---

(١) فوَ من: الواو واو القسم، والمقسَم به هو المحبوب «مَنْ أحبّ».
(٢) شجٍ: من الشجو؛ أي: الحزن، شجي يشجي فهو شجٍ.
(٣) صليت: هذا أسلوب دعاء، دعا على العذول بأن يذوق ما ذاق، ليعذره فيما هو فيه.

غايةُ العاذلين إيصالُ اللوم إلى الأسماع، فأما القلوب فلا سبيلَ إليها.

سِيَّـــانَ إنْ لامـــوا وإنْ عَـــذَرُوا ... مـــا لـــي عـــن الأحبـــابِ مُصْطَبَـــرُ
لا غَـــزْوَ أنْ أُغْـــرى بحبهـــمُ ... إذ ليـسَ لـي فـي غيـرِهـمْ وَطَـرُ
لابـــدَّ لـــي منهـم وإنْ تـركـــوا ... قلبـــي بنـــارِ الهَجْـــرِ يَسْتَعِـــرُ
وعلـــيَّ أن أرضـــى بمـــا صنعـــوا ... وأُطيعُهـــم فـــي كـــلِّ مـــا أَمَـــروا

لو رأيتَ المُحِبَّ يهرُبُ من العذْلِ إلى فلواتِ الخلواتِ، فإذا ناوله الوجدُ كأسَ الدموعِ اقترحَ عليه غناء الحمائم.

ذَكَـــرَ الأحبـــابَ والـــوطَنـــا ... والصِّبـــا والإلـــفَ والسَّكَنـــا
فبكـــى شجـــواً وحُـــقَّ لـــهُ ... مُـدْنـفٌ بـالشـوقِ حِلْـفُ ضنـى
أبعَـدْتَ مَـزْمَـى بـــهِ رَجَمَـتْ ... مِـــنْ خُـــراســـانَ بـــهِ اليَمَنـــا
مَـــــنْ لِمُشتـــــاقٍ تُمَيِّلُـــــه ... ذاتُ سَجْـــعٍ مَيَّلَـــتْ فنَنَـــا
لـــم تُعَـــرِّضْ فـــي الحنيـــنِ بمَـــنْ ... مُسعِـــدٌ إلا وقلـــتُ أنـــا
لـــكِ يـــا ورقـــاءُ أســـوةُ مَـــنْ ... لـــم تـــذيقـــي طـــرفَـــهُ الـــوسَنـــا
بـــكِ أُنســـي مثـــلُ أُنســـكِ بـــي ... فَتَعـــالَـــيْ نُبْـــدِ مـــا كَمَنـــا
نَتَشَـــاكـــى مـــا نُجِـــنُّ إذا ... بُحْـــتِ شكـــوى صِحْـــتُ وا حـــزنـــا
أنـــا لا أنـــتِ البعيـــدُ هـــوًى ... أنـــا لا أنـــتِ الغـــريـــبُ هنـــا
أنـــا فَـــرْدٌ يـــا حمـــامُ وهـــا ... أنـــتِ والإلـــفُ القـــريـــنُ ثُنَـــا
اســـرحـــا رأْدَ[1] النهـــارِ معـــاً ... واسكُنـــا جُنْـــحَ الـــدُّجـــى غُصُنـــا
وابكيـــا يـــا جـــارتـــي لمـــا ... لعِبَـــتْ أيـــدي الفـــراقِ بنـــا
أيـــن قلبـــي مـــا صَنَعْـــتِ بـــهِ ... مـــا أرى صَـــدْري لـــهُ سكنـــا
كـــان يـــومَ النَّفْـــرِ وهـــو معـــي ... فـــأبـــى أن يَصْحَـــبَ البَـــدنـــا
أَبِـــهِ حـــادي الـــرفـــاقِ حَـــدا ... أم لـــهُ داعـــي الفـــراقِ عَنَّـــى؟

* * *

---

(١) رأد: انبساط الشمس وارتفاع نهاره.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والسَّبعُونَ

يا هذا: قد سمعتَ أخبارَ المُتَّقين، فَسِرْ في سِرْبِهم، وقد عَرَفْتَ جِدَّهُم، فتناول مِنْ شِرْبِهم[1]، ثم سَلْ مَنْ أعانَهم يُعِنْكَ فيما كان بهم.

(لابن هند):

لا يـؤيِسَنَّـكَ مِـنْ مجـدٍ تَبَـاعُـدُه ... فـالمَجْـدُ يُـدرَكُ تـدريجـاً وتـرتيبـا
إنَّ القَنَـاةَ التـي شـاهَـدْتَ رِفْعَتَهـا ... تَنمـى وتُنْبِـتُ أُنبـوبـاً فـأنبـوبـا

استغنى القومُ بطبيبهم عن مدح خطيبهم، فاسلُك طريقَهم تَكُنْ رفيقهم.

(لابن الرومي):

وسـائـلٌ عَنْهُـمُ: مـاذا يُقَـدِّمُهـم ... فقلتُ: فضلٌ به عن غيرِهم بَانُوا
صانوا النفوسَ عن الفحشاءِ وابْتَذَلوا ... منهـنَّ فـي سبـلِ العليـاءِ مـا صـانـوا
المُنْعِمـونَ ومـا مَنُّـوا علـى أحـدٍ ... يوماً بنُعمى ولو مَنُّوا لما مَانوا[2]
قـوم يَعِـزُّون إنْ كـانَـتْ مغـالبـةً ... حتـى إذا قـدَرَتْ أيـديهـمُ هَـانـوا

أطارَ خوفُ النارِ نومَهم، وأطالَ ذِكْرُ العطشِ الأكبرِ صومَهم، يحسبُهم الناظرُ مرضى الأبدان، وإنَّما بهم سِقَامُ الأحزان.

مكتئـبٌ ذو كبـدٍ حـرَّى ... تَبْكـي عليـه مقلـةٌ عَبْـرى
يـرفـعُ يُمْنـاه إلـى ربّـه ... يَشْكـو وفـوْقَ الكَبِـدِ اليُسـرى
يبقـى إذا حـدَّثْتَـهُ بـاهتـاً ... ونفسُـه ممـا بـه سَكْـرى
تحسبُـه مُسْتَمِعـاً نـاصتـاً ... وقلبُـه فـي أُمَّـةٍ أُخـرى

---

(١) شربهم: أي شَرابهم الذي يتناولوه، ويدخل فيه معاني المجد والشوق والأنس والواردات الإلـٰهية.

(٢) مان مؤناً: احتمل مؤونته وقام بكفايته.

[إذا ذكروا العفوَ طابَ العيشُ، وإذا تَصوَّروا العذابَ جاء الطَّيْشُ.

أَمُــدُّ بــإحــدى مُقْلَتَــيَّ إذا بَــدَتْ ... إليهـا وبـالأُخـرى أُراعـي رقيبَهـا
وقـد غَفَـلَ الـواشـي ولـم يـدْرِ أنّنـي ... أَخَذْتُ لعَيْنِي من حبيبي نَصِيْبَها][1]

قال صالحُ المريّ: كان عطاءُ السُّلمي قد اجتهدَ حتى انقطعَ، فصنعْتُ له شَرْبَةَ سُوَيقٍ فلم يشرب فلُمْته، فقال: إنّي واللهِ كلَّما هَمَمْتُ بِشُرْبِها ذكرت قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣] فلم أقدر، فقلت: أنا في وادٍ وأنتَ في وادٍ:

أَطَلْــتَ وعَــذَّبْتَنــي يــا عَــذُولُ ... بُليــتُ فــدَعْنــي حــديثــي يطــولُ
أبِيْــتُ أراقِــبُ نَجْــمَ الــدُّجــى ... إلـى الصُّبْـحِ وَخَـدي ودَمْعِـي يسيـلُ

انبعَثَتْ غيومُ الغمومِ من أوديةِ القلوبِ، فاستَتَمَّتْ قُبَيْلَ الصبحِ فهطلتْ، فلها مع الشؤونِ شؤون[2]، فجرت الأرواحُ في مَوْتى العيدان، فَقَدَحَتْ [فَحَرَقَتْ][3]، فارتَقَتْ وُرْقُ الشوقِ منابرَ الشدو فأطربتْ، فصدَحَتْ بَلابِلُ المحبّةِ بين مَنْثورِ منْثورِها فَبَلْبَلَتْ [قلبَ الواجدِ][4].

يــا نفحــاتِ الــريــحِ مُــرّي سَحَــراً ... فَبَلْبلــــي طــــرةَ أرضِ بــــابــــلِ
صفــي لأهــلِ بــابــلٍ بَــلابلــي ... وبَلِّغيهــم فــي الهَــوى رسَــائلــي
كــم مــن دمٍ طــاحَ بغيــرِ ثــائــرٍ ... وكــم قتيــلٍ كَلِــفٍ بــالقــاتِــلِ

قلبُ المحبِّ تحتَ فَحمةِ الليلِ جمرة، كلَّما هبَّ النسيمُ التَهَبَتْ.

تمرُّ الصَّبا صَفْحاً بساكنِ ذي الغَضَا ... ويصــدَعُ قلبــي أن يَهُــبَّ هُبــوبُهــا
قــريبــةُ عهــدٍ بــالحبيــبِ وإنّمــا ... هــوى كــلِّ نَفْسٍ حيث حلَّ حبيبُها

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) الشؤون: الأحوال. شؤون: دموع.
(٣) زيادة من (ب).
(٤) زيادة من (ب).

سهر القومِ يقعُ ضرورةً، لأنَّ القلقَ مانعٌ من النوم، وليس لهم في تلك الشدائد راحةٌ سوى جَريانِ الدموع.

(للسّري بن أحمد الكِنْدي):

بـلانـي الحُـبُّ فيـك بمـا بَـلانـي فَشَأني أنْ تَفيضَ غَروبُ شاني[1]
أبيـتُ الليـلَ مـرتقبـاً أُنـاجـي بِصِـدقِ الـوجـدِ كـاذبـةَ الأمـانـي
فتشهـدُ لـي علـى الأرَقِ الثُّـريَّـا ويعلـمُ مـا أُجِـنُّ الفـرْقـدانِ
فيـا ولـعَ العـواذلِ خـلِّ عنـي ويـا كَـفَّ الغرامِ خُـذِي عِنانـي[2]

من صلى بالليل حَسُن وجهه بالنهار، شِيْمَة المحبّ لا تَخْفى، وصحائفُ الوجوهِ يقرؤها من لم يكتب.

خذي حديثَك في نفْسي من النَّفَس

قطعت نياقُ جِدِّهم باديةَ الليل، ولم تَجِدْ مسَّ تعب، الطريق إلى المحبوب لا تطول.

(للشريف الرضي):

بَـدَا لهـا مـن بعـد مـا بَـدالهـا روضُ الحِمَـى أنْ تشْتكـي كَـلالَهـا
فخلِّهـا تَمْـرَحُ فـي زِمَـامهـا فـإنَّهـا قـد سئِمَـتْ عقـالهـا
أذكـرَهـا مـرُّ النسيـمِ سَحَـراً مَـراتعـاً تفيَّـأتْ ظـلالهـا
رنَّحهـا الشـوقُ المُمِـضُّ والسُّرى فَسَحَبَـتْ مِـنْ وَجْـدِهـا جـلالَهـا
تحسبُهـا سكـرى ومـا ذاكَ بِهـا وإنَّمـا شـوقُ الحِمـى أَمَـالهـا

يا ربِّ! قَرِّبْ أرضَ كَنْعانَ من مصر، فَقد نَفَدَ صبرُ يعقوب.

كان أبو زيد يقول: إلٰهي إلى متى تحبس أعضاءَ مُحِبِّيْكَ تحت الترابِ؟ احشُرْهم، واجعلني جسراً ليعبروا إليك.

---

(١) غَروب: بمعنى الدلو الكبير. شاني: مجرى الدمع.
(٢) عِناني: سير لجامي، أي: أذن للغرام أن يقوده إلى حيث الأحبة.

وا ويلاه أنا أشرَبُ وأنا أطرب، يتركوني أسيرَ وجدي، أسيرُ وحدي، هلاَّ سَعَتْ معي رِجْلُ رَجُل، أو أعانني ساعدُ مُساعد، أين شَرْطُ الرِّفْقَة؟ أوَما العزاءُ للكل.

(للخفاجي):

لــو عَــدَلْتُــنَّ تســاهَمْنــا جــوًى مثــلَ مــا كنّــا اشتــركنــا نَظَــرا

يا حاضرين عندنا بِنِيَّــةِ التَّنَزُّهِ لستم معنا، عُــودوا إلى أوطانِ الكســل، فالحربُ طعْنٌ وضربٌ، يا مُدَّعين ارجعوا فقد عبَرْنا العُذيب[١]، دَعُوْنا نَخْلُ بالوجدِ في صحراء نجد، ستأتيكم أخبارُنا عن قريب بعدَ فَيْدٍ[٢]، وأنتَ أيها الحادي عــرِّضْ بــالمأزِمَيْن[٣] والخَيــف، تعلِّمك الدمــوعُ كيف تُــرمى حصى الحَذَف[٤].

ألا غَنيــانــيْ بــالــدّيــارِ فــإنّنــي أحــبُّ زرُوداً مــا أقــام ثَــرَاهــا
وبيـــن النَّقَـــى والأنْعُمَيْـــنِ مَحِلـــةٌ حبيـــبٌ لقلبـــي قـــاعُهـــا ورُبـــاهـــا
ونَعمـانُ يـا سقيـاً لنَعْمـانَ مـا جـرَتْ عليـهِ النُّعـامَـى[٥] بَعـدَنـا وصبـاهـا
وللقلـبِ عنـد المـأزِمَيْـنِ وجَمْعِهـا ديـونٌ ومَقْضَـى خَيْفِهـا ومُنـاهـا

* * *

---

(١) العُذيب: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٢) فيد: منزل بطريق مكة.
(٣) المأزِمين: مثنّى مأزم: موضع بين المشعر الحرام وعرفة.
(٤) الحذف: رميك حصاةً بين سبابتَيْك.
(٥) النعامى: ريح الجنوب؛ لأنها في جزيرة العرب أندى الرياح وأرطبها.

الفصل الثمانون

يا مقيماً في دائرةِ دارِ الغِيَر! كمْ حَضَرْتَ فيها مُحتضَر[(١)]، كم عايَنَتْ عينُكَ قبراً يُحتفر، لقد ألانت مواعظُها كلَّ صَلْدٍ[(٢)] حجر، عجباً لفَرْخها ما عَيَّدَ حتى نُحِر.

إنَّ فــي نــأيِ زمــانـــي عِظَــةً | تشغـلُ العـاقـلَ عـن نـأيِ زُنـامْ[(٣)]
ومُــدامُ الفِكْــرِ فيمــن قــدْ مَضَــى | مُسْكـرٌ يُغْنيـك عـن شُـرْبِ مُـدامْ[(٤)]
عَـرَّسَ[(٥)] القـومُ، وغُـرْبـانُ الـدُّجى | إنَّمـا صـاحَـتْ بتقـويـضِ الخِيـامْ
وحمــامــاتُ الضُّحَــى صــادحــةٌ | نَـوْحُهـا ينـذرهـا صِـرفَ الحِمـامْ[(٦)]
ومطـايـا الخَيْـفِ قـد زُمَّـتْ لكـم | وَدّعُـوا يـا قـومِ وامضُـوا بسـلامْ
وَدّعــوا عنكــم أبــاطيــلَ المُنــى | ليســتِ الــدُّنيـا لنـا دارَ مُقَـامْ
أقسَـمَ السـاقـي بكـاسَـاتِ الـرَّدَى | لَيَــدُورَنَّ علــى كــلِّ الأنــامْ

يا مَنْ إذا عامل خان وظلَم! يا مَنْ أُمِرَ بما ينفعه فلَم، هذا القَتير[(٧)] في الرأسِ كالعَلَم، أَبَقِيَ بَعْدَ نُوره يا ظالمُ ظُلَم، ألمْ يقلْ لك: ألَمَّ[(٨)] الضَّعْفُ انتبه؟ ألَمْ؟ أين رفيقُكَ؟ أَدْلَجَ[(٩)] وقد عرفتَ المنهج، والرحيل قد أزعج، وهذا فرس

---

(١) المحتضَر: من حضره الموت، أي: ملكه ليقبض روحه.
(٢) الصَّلْد: الصلب الأملس.
(٣) زنام: كغُراب: الداهية.
(٤) المدام: الخمرة.
(٥) عرّس: نزل في وجه السحر من سفر، والتعريس: النزول في آخر الليل.
(٦) الحِمام: الموت.
(٧) القتير: الشيب.
(٨) ألمَّ: نزل.
(٩) أدلج: سار في أول الليل (مختار الصحاح).

مُسْرَج، والبضاعة كلُّها بَهْرج[1].

ويحَكَ! تعاهدْ قلبَكَ، فإذا رأيتَه قد مالَ إلى الهوى، فاجعل في الجانب الآخر ذكرَ العِقاب ليستقيمَ، فإنْ غلبكَ الهوى، فاستغِثْ بصاحب القلبِ، وإن تأخَّرتِ الإجابةُ فابعثْ رائدَ الانكسارِ خلفَها «**تجدني عند المنكسرة قلوبُهم**»[2].

يا هذا! أَمَا عَلِمْتَ أنَّ اللُّطفَ مع الضعيف أكثر؟

لمّا كانت الدجاجةُ لا تحنو على الولدِ أُخْرَج كاسياً.

ولما كانتِ النملةُ ضعيفةَ البصرِ أُعينَتْ بقوةِ الشَّمِّ، فهي تجدُ ريحَ المطعومِ من بعيدٍ فتطلُبُ.

لما كانَ التِّمساحُ مختلفَ الأسنان، صارَ كلَّما أكلَ حصَلَ بين أسنانه ما يؤذيه، فيخرجُ إلى شاطئِ البحرِ فاتحاً فاه[3]، طالباً للراحة، فيأتي طائرٌ فينقرُ ما بين أسنانه، فيكونُ ذلك رزقاً للطائر، وترويحاً عن التمساح.

هذه الخُلْد[4] دويبةٌ عمياء قد أُلْهِمَتْ وقتَ الحاجة إلى القوتِ أن تفتحَ فاهاً، فيسقطُ الذبابُ فيه فتَتَناولُ منه.

هذه الأطيارُ تَتَرَنَّمُ طولَ النَّهارِ، فيُقالُ للضفدعِ: ما لكِ لا تنطقين؟!.

فتقول: مع صَوتِ الهَزازِ يُسْتَبْشَعُ صَوْتي، فيقال: هذا الليل بحُكْمِكِ «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**».

لمَّا خُلِقَ الأخرسُ لا يَقْدِرُ على الكلامِ سُلِبَ السَّمْعَ لئلاّ يسمعَ ما يكره، ولا يمكنه الجواب، فكلُّ أخرسٍ أُطروش[5].

---

(١) **بهرج**: زائف.

(٢) **قال في (كشف الخفاء: ١/ ٢٠٣): ذكره الغزالي في (البداية) بلفظ: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي» ولا أصل له في المرفوع، وقال المناوي في (فيض القدير): جاء في** بعض الكتب الإلٰهية.

(٣) **فاه**: أي فمه.

(٤) **الخلد**: نوع من الجرذان خلقت عمياءَ تسكن الفَلَوات.

(٥) **الأطروش**: الأصم.

لمّا تَوَلَّعَ الجُذامُ[1] بأظفارِ أصحابِه، صَعُبَ عليهمُ الحَكُّ فمُنِعَ منهم القَمْل، فليس في ثياب المجذومين قَمْلة، سبحان مَنْ هذا لطفه.

سبحانَ مَنْ لا يَعْطِفُ عنّا[2] عطفَه، ثَكِلَتْ خواطرَ أَنِسَتْ بغيرك، عَدِمَتْ قلباً يُحبُّ سواك:

لا أذاقَ اللهُ عينــــاً أَبْصَــــرَتْ   بعدكُم - يا قوتَ[3] روحي - وسنا[4]
لا وَلا كــانــتْ قلــوبٌ سَكَنَــتْ   عِنْـدَ ذكـراكـم ولا نـالَـتْ مُنـى

إلـٰهي أَدِلْنا[5] من نفوسنا التي هي أقربُ أعدائنا منا، وأعظَمُهم نكايةً فينا.

إلـٰهي تلاعبتْ خوادعُ آمالِنا ببضائعِ أعمارِنا فَصِرْنا مفاليس، أغارتْ علينا خيولُ الهوى فاستَأسَرَتْنا بأسْرِنا[6]، وأَوْثَقَتْنا في أَسْرِنا، ورَمَتْنا في مطاميرِ طردنا[7].

فيا مالكَ المُلكِ أنقِذْ حبيسَنا، وخَلِّصْ أسيرنا، وسَيِّرْ أَوْبَتَنا من بلادِ غربتنا، كم عُدْنا مريضاً وما عُدنا! كم رأينا الألحاد[8] تُبْنى وما تُبنا[9]! كم أبصرْنا وما أقْصَرْنا[10]! وانتهينا وما انتهينا[11]! كم بادرنا إلى ما يضرُّنا، وانتهبنا وما هِبْنا!.

يا ملاذَ العارفين! يا مَعاذ الخائفين! خُذْ بيدِ مَنْ قدْ زلَّتْ قدمُ فطنتِه في مَزْلَقِ فِتْنَتِه، أقِمْ مَنْ قَعَدَ بِه سوءُ عَمَلِه.

---

(١) الجذام: مرض جلدي خطير حذّر منه رسول الله ﷺ؛ إذ جاء عنه: «فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد».

(٢) لا يعطف عنا: لا يصرف عنا.

(٣) القوت: المسكة من الرزق، وقد جعل المحبوبَ قوتَ روحِهِ، وناداه بذلك.

(٤) وسنا: النوم.

(٥) أدِلْنا من نفوسنا: انصرنا عليها، من أدال إدالة.

(٦) بأسرنا: أي كلّنا.

(٧) مطامير طردنا: أي سجون الإبعاد والقطيعة.

(٨) الألحاد: جمع لحد: الشَّقُّ في جانب القبر.

(٩) ما تبنا: من التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

(١٠) أقصرنا: يقال: أقصر عن الشيء: أمسك عنه مع القدرة عليه.

(١١) انتهينا الأولى: فنيت أعمارنا. وانتهينا الثانية: لم ننتهِ عما نُهينا عنه.

كـم أشكـو وأيـن نفـعُ الشكـوى　　قـد قـلَّ تَصَبُّـري وحَـلَّ البَلْـوى
مـا لـي جَلَـدٌ علـى جفـاهُـم يقْـوى　　أهْـوَى قَلقـي إذا جَفـا مَـنْ أهـوى

يا مَنْ أصلحَ السَّحَرَة فجعلهم بَرَرة، جاؤوا يحاربون، وخِلَعُ الصُّلْح قد هُيئت[1]، وتيجانُ الرضا قد رُصِّعَتْ، وشرابُ الوصالِ يُرَوَّقُ[2]، فمدُّوا أيديهم إلى ما اعتصروا من خَمْرِ الهوى، فإذا به قد استحالَ خلاًّ، فأفطروا عليه.

وا عجباً لسكارى من شرابِ الحُبِّ عَرْبَدتْ عليهمُ المحبة، فَصُلِّبوا في جذوعِ النخل، ارتقى سُلطانُ عَزْمِهم إلى سماوات قلوبِهم ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢].

وا عجباً لَعَزْمٍ صُلْبٍ ما هاله الصَّلْبُ، لا تَتَعرَّضْ بنار المحبة إلا أن يكون لقلبك جِلْدُ السمندل[3] أو صبرُ الفراش.

يا هذا! الاحتراقُ على قدر الاشتياق، لما اشتدَّ شوقُ الفراشِ إلى النارِ، تعجَّلَ احتراقَه، وهجمَ يبتغي الوصالَ فصالَ عليه المحبوب.

لاذَ بِهِـــمْ يَشْتكـــي جـــواهُ　　فلـم يجـدْ فـي الهـوى مَـلاذَا
ولـــم يـــزلْ ضـــارِعـــاً إليهـــم　　تَهْطُـــلُ أجفـــانُـــه رَذاذا
فقـــرَّبُـــوه فَحَـــادَثُـــوه　　وأتلفُـــوه فكـــان مـــاذا؟

لما علمَ المحبُّونَ أنَّ الصبرَ محبوبُ المحبوبِ شَمَّروا لِحَمْلِ البلاءِ، ثم حَلَى[4] لهم فعدُّوه نِعْمةً.

سقَمِـي فـي الحُـبِّ عـافيتـي　　ووجـودي فـي الهـوى عَـدَمـي
وعـــذابٌ تـــرتضـــونَ بـــهِ　　فـي فَمِـي أَحْلَـى مِـنَ النِّعَـمِ

كان الربيعُ بن خُثَيْم يقولُ في شِدَّةِ مَرَضِه: ما أُحِبُّ أنَّ اللهَ نقصني منه قُلامَةَ ظُفرٍ.

---

(١) في (ب): خبثت.
(٢) يُرَوَّق: يُصفى.
(٣) السمندل: طائر إذا انقطع نسله وهَرِمَ ألقى نفسه في الجمر.
(٤) حَلَى: من الحلاوة، أي: صار البلاء حلواً.

مَـرَضُ الحـبِّ شفـائـي فـي الهـوى | كلَّمـا أكـرَبنـي أطـرَبنـي
فبقـائـي مِـنْ فنَـائـي فيكـمُ | وسـروري منكـمُ فـي حَـزَنـي
وشَـربْتُـم بـوصـالِ مُهْجَتـي | وأنـا منتظـرٌ للثمـنِ
كيـفَ أرجـو البُـرءَ مـن داءِ الهـوى | وَطَبيبـي فـي الهَـوى أمـرضني
وإذا البلـوى أفـادتْ قُـرْبَكُـمْ | فمـن النُّعْمـى دوامُ المِحَـنِ

إخواني! لَسْنا من رجالِ البلاءِ، فسلوا اللهَ العافية، يُضَيِّقُ الخِناقُ على المُحبِّ، ويُمنع مِنَ التَّنَفُّسِ «لئن قلتَ: آه، لأمْحونَّك».

الحِـبُّ يقـول لا تُشِـعْ أسـراري | والـدَّمْـعُ يسيـلُ هـاتكـاً أستـاري
فـالشـوقُ يـزيـدُني على المِقْـدارِ | وا نـاري إذنْ مـن الهـوى وا نـاري

* * *

الفصل الحادي والثمانون

يا مَنْ أنفاسُه عليه معدودة، وأبوابُ التُّقى في وجهِه مسدودة، وأعمالُه بالرياءِ والنفاقِ مردودة، غيرَ أنَّ محبةَ التفريطِ معهُ مَوْلُودَة.

حيـاتُـكَ أنفـاسٌ تُعَـدُّ فَكُلَّمَـا مضى نَفَسٌ منها انتَقَصْتَ بِهِ جُزْءا
فتصبـحُ فـي نَقْـصٍ وتُمْسـي بمثلِـهِ أمـا لـكَ معقـولٌ تُحِـسُّ بِـه رُزْءا[١]
يُمِيتُـك مـا يُحييـكَ فـي كـلِّ سـاعـةٍ وَيخْـدوكَ حادٍ ما يُريـدُ بكَ الهُـزْءا

كم أسـرَعْتَ في ما يـؤذي دينَك ودَأَبْتَ! كم خرَّقْـتَ ثوبَ إيمانِـكَ وما رَأَبْتَ[٢]! كم فرَّقْتَ قلبكَ وما شَعِبْت[٣]! كم فاتكَ من خيرٍ وما اكتأبت!.

يا كاسبَ الخطايا! بئسَ ما كسبت، جمعتَ جُمْلةً من حسناتِكَ ثم اغْتَبْت، وحِصنَ دينِكَ ثَلَمْتَ لمَّا ثَلَبْت[٤]، وأنت الذي بدَّدْت[٥] ما حَلَبْتَ، إنْ لاحَ لكَ أخوكَ عِبْته، وإن لاحى[٦] سَبَبْتَه.

يا عقربَ الأذى كَمْ لَدَغت! كم لسبت[٧]؟ تَعْلَمُ أنَّ مولاكَ يراكَ وما تأدَّبْت! تؤثرُ ما يَفْنى على ما يبقى! ما أَصبْت، تصبح تائباً فإذا أمسيتَ كَذَبْت، تمشي مع اليقين فإذا قاربتَ انقلبْتَ، تعمُرُ ما لا يـبقى وما يَبْقَى خَرَّبْتَ، تأنسُ بالدُّنيا وغرورِها وقد جَرَّبْتَ.

---

(١) رزءاً: مصيبة.
(٢) رأبت: من رأب، أي: لأم وأصلح.
(٣) شعبت: أي ما أصلحت صَدْعه.
(٤) ثلمت: ثَلَم الشيء: أحدث فيه شقاً، ثلبت: أي عبت وانتقصت.
(٥) بدّدتْ: فرقت.
(٦) لاح: ظهر. ولاحى: نازع وخاصم.
(٧) لسبت: لسعت.

كأنَّكَ بِكَ في القبرِ تبكي ما كَسَبْت، لقد حَسِبْتَ حساباً كثيراً وهذا ما حَسَبْتَ.

يا واديَ الشيحِ! كيف يُقالُ لو أَعْشَبْت؟!.

يا هذا! أكبرُ الإنعام عليك، كيفَ كَفَّ[١] فضولَ الدنيا عنك.

إذا رأيتَ سِرْبال[٢] الدنيا قد تَقَلَّصَ[٣] فاعلم أنَّه قد لُطِفَ بك، لأنَّ المُنعمَ لم يُقَلِّصه عليك بخلاً أن يتمزق، لكن رِفقاً بالماشي أن يتَعَثَّر، أَحْرِمْ عن الحرامِ بنَزْعِ مَخِيط الهوى، لعلَّ جذبَ القدَرِ يقارنُ ضعفَ كَسْبِك.

إنَّ المقاديرَ إذا ساعَدَتْ ألحقتِ العاجزَ بالحازمِ

يا تائهاً في فلاةِ الغفلات، أُعْلُ بأقدامِ الزُّهْدِ نَشَزَ[٤] الفكرِ، تَلُحْ لك البلدُ.

ويحك! تركبُ البحارَ في طلبِ الدُّنيا، فإذا أُمرتَ بخيرٍ قلتَ: إن وفَّقَني.

أصمَّ اللهُ سمْعَ الهوى فما يَسْمَعُ إلا ما يريد.

يا ملولاً كلَّما ثُقِفَ[٥] بالعذلِ[٦] التوى[٧]
عَنَتاً تطلبُ في فالوذَجِ[٨] الهَوى نَوى

ما أحسنَ قولَكَ! وما أقبحَ فعلَكَ! كم يشكو حزيرانُ[٩] نُطْقِكَ من

---

(١) كَفَّ: منع.
(٢) سربال: كل ما يُلبَس.
(٣) تقلص: قصر.
(٤) نَشَز: المرتفع من الأرض.
(٥) ثقف: قوّم.
(٦) العذل: اللوم.
(٧) التوى: اعوجَّ.
(٨) فالوذج: نوع من الحلوى.
(٩) حزيران نطقك: حزيران: الشهر السادس من الشهور الميلادية وفيه شدة الحر، نطقك: لسانك، وهذا كناية عن كثرة الشكوى.

كانون[1] عزمِك!.

ويحك! بادِرْ دُرَّ الأرباحِ ما دام يُنثَر، فسينادى عن قليل: «يا سماء أقلعي»، أتحسَبُ تحصيلَ المعالِي سهلاً؟! نيلُ سُهَيْلٍ[2] أسهلُ، مَنْ أدلجَ في ليلِ الصبرِ فاتَ المَكّاس[3]، يا مَنْ يتعبُ في التعبدِ ولا يجدُ له لذّةً، أنتَ بعدُ في سواد البلدِ[4]، اخرجْ إلى الباديةِ تجدْ نسيمَ نَجْدِ.

الاعتبارُ عندنا بالأعمالِ القَلْبِيَّةِ.

غلَبَتْ حراراتُ الخوفِ قلبَ داودَ فصارَ كفُّهُ كِيْراً ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبا: ١٠]، وقويت روحانية محمدٍ ﷺ فنبعَ الماءُ من بين أصابعه.

لـولا مـدامـعُ عُشّـاقٍ ولـوعتُهـم ... لبـانَ فـي النَّـاسِ عِـزُّ المـاءِ والنـارِ
فكـلُّ نـارٍ فَمِـنْ أنفـاسِهـم قَـدَحَـتْ ... وكـلُّ مـاءٍ فَمِـنْ طَـرْفٍ لهـم جـارِ

أيُّها المُصلِّي! طهِّرْ سرَّكَ قبل الطَّهور[5]، وفتِّشْ على قلبِكَ الضائعِ قبلَ الشروع، حضورُ القلبِ أوَّلُ منزلٍ، فإذا نَـزَلْتَهُ انتقَلْتَ إلى باديةِ المعنى، فإذا انتقلتَ عنها أنخْتَ بباب المُناجى، وأول قِرَى[6] الضيف اليَقِظِ كَشْفُ الحجابِ لعينِ القَلبِ، وكيفَ يَطْمَعُ في دخولِ مكَّةَ منقطِعٌ قبلَ الكوفة.

همُّكَ في الصلاةِ مُتَشَبِّثٌ[7]، وقلبُكَ بمساكنة الهوى متلبّثٌ، ومن كان متلطّخاً بالأقذار لا يُغَلَّفُ، أُدخلْ دارَ الخلوةِ لمَنْ تُناجي، وأحْضِرْ قلبَك لفهم ما تتلو، ففي خَلواتِ التلاوةِ تُزَفُّ أبكارُ المعاني، إذا كانت مشاهدةُ مخلوقٍ يومَ

---

(١) كانـون عزمك: كانون: الشهر الثاني عشر من الشهور الميلادية، وفيه شدة البرد، عزمك: همتك، وفيه كناية عن فتور العزم.
(٢) سهيل: نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ.
(٣) المكاس: من المكس: وهو جامع الضرائب.
(٤) سواد البلد: قراها.
(٥) الطهور: مصدر بمعنى التطهر واسم لما يُتَطهَّر به.
(٦) قرى: طعام الضيف.
(٧) متشبث: متعلق.

﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] استغرقَتْ إحساسَ الناظرات ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١] ؛ فكيف بألبابٍ عَلِقتْ فعُقِلَتْ على الباب؟!.

لهـا بـوجهِـكَ نـورٌ تستضـيءُ بـهِ ... ومِـنْ نَـوالـكَ فـي أعقـابِهـا حـادِ
لهـا أحـاديـثُ مـن ذكـراكَ تشغلُهـا ... عـن الشـرابِ وتُلهيهـا عـن الـزادِ

لو أحبَبْتَ المخدومَ لحضرَ قلبُكَ في الخِدمةِ.

ويحك! هذا الحديدُ يعشَقُ المغناطيس، فكيف ما التَفَتَ التفتَ، إن كنتَ ما رأيتَ هذا الحجر فانظر إلى الحرابيِّ(١) تواجِهُ الشمسَ فكيف مالت قابَلْتها.

(للشريف الرضي)(٢):

وإنّـي إذا اصطَكَّـتْ رقـابُ مطيِّكـم ... وَثَـوَّرَ حـادٍ بـالـرفـاقِ عَجُـولُ
أخالِفُ بين الراحتين على الحشى ... وأنظُـرُ أنـى مِلْتُـمُ فـأميـلُ

قيل (لعامر بن عبدِ قيسٍ): أما تسهو في صلاتِك؟.

قال: أوَحديثٌ أحبُّ إليَّ من القرآن حتى أشتغلَ به؟!.

هيهات! مناجاةُ الحبيبِ تستغرقُ الإحساسَ.

كان (مسلم بن يسار) لا يلتفتُ في صلاتِه، ولقد انهدمت ناحيةٌ من المسجدِ فزِعَ لها أهلُ السوقِ فما التفَتَ، وكان إذا دخلَ منزلَهُ سكتَ أهلُ بيته، فإذا قام يصلِّي تكلَّموا وضحكوا عِلْماً منهم أنَّ قلبَه مشغول.

وكان يقول في مناجاته: إلٰهي! متى ألقاكَ وأنت عني راضٍ.

إذا اشتغـلَ الـلاهـونَ عنكَ بشُغلِهـمْ ... جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنْتهى شُغلي
فمَنْ لي بأنْ ألقاكَ في ساعةِ الرِّضا ... ومَنْ لي بأنْ ألقاكَ والكلُّ لي مَن لي؟

كان (الفُضيل) يقول: أفرحُ بالليل لمناجاةِ ربي، وأكرهُ النهارَ للقاءِ الخلق.

---

(١) الحرابي: جمع حرباء: دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون ألواناً.
(٢) من شعره في النسيب. انظر: الديوان: ٢/ ٢٢٠.

المـوتُ ولا فـراق مَـنْ أهـواهُ هـذي كَبِـدي تـذوبُ مِـنْ ذِكْـراهُ
وا شـوقـي مَتـى تُـرى ألقـاهُ مـا مَقصـودي مـن المُنـى إلا هـو

كان (أبو يزيد) يقول: وَدِدْتُ أنَّ اللهَ تعالى جعلَ حِسَابَ الخلق عليّ.

قيل: لماذا؟.

قال: لعلَّه يقول في خلال ذلك: يا عبدي. فأقول: لبيك، ثم لِيَصْنَعْ بي ما شاء.

هل الطَّرْفُ يُعْطِي نظرةً من حبيبِه أمِ القلبُ يَلْقَى رَوْحةً من وَجيبِه
وهل لِلَّيالي عطفةٌ بعد نفْرةٍ تَعودُ فتُلْهي ناظراً عن غُروبِه
أحِنُّ إلى نَوْرِ[1] الرُّبى في بطاحِهِ وأظمأُ إلى ريّا اللِّوى[2] في هُبوبِه
وذاك الحِمى يغدو عليلاً نسيمُه ويُمْسي صحيحاً ماؤُهُ في قَليبِهِ
هو الشَّوقُ مدلولٌ على مَقْتَلِ الفتى إذا لم يَعُدْ قلباً بِلُقيا حَبيبِه

يا واقفاً في صلاته بجسدهِ والقلبُ غائبٌ، ما يصْلُح ما بذلْتَه من التَّعبُّد مهراً للجنّة، فكيفَ يصلحُ ثمناً للمحبة؟!.

رأتْ فأرةٌ جملاً فأعْجَبَها، فَجَرَّتْ خِطامَه فتبعها، فلمَّا وصلَ إلى بابِ بيتها وقفَ، ونادى بلسان الحالِ: إمَّا أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك، أو محبوباً يليقُ بدارِكِ.

خُذْ هذه إشارةً إما أن تصلي صلاة تليقُ بمعبودِك، أو تتَّخِذ معبوداً يليقُ بصلاتك.

* * *

---

(١) النَّور: بفتح النون؛ الزهر.
(٢) اللوى: منقطع الرمل، والجدد بعد الرملة.

الفصل الثاني والثمانون

عجباً لمن رأى فعلَ الموتِ بصحبه ثم ينسى قربَ نَحْبِه[1]، واستبدالَه ضيقَ المكانِ بعد رحْبِه، مَنْ لم ينتبه بِوكْزِه فسيَنْتَبِه بِسَحْبِه:

ما لبني الدُّنيا غدَوْا ... أهلَ ضلالٍ وعَمَهْ[2]
بصيرُهم مِنْ جَهْلِهِ ... كأنَّه حِلْفُ كَمَهْ[3]
أنتَ مقيمٌ سائرٌ ... فلا تَقُلْ لِمْ ولِمَهْ
ولا تُكَلِّمْ أحداً ... في غَيْرِ بِرٍّ كلِمَهْ
فكلُّ مُعْطَى مَهَلٌ ... أوقاتُه مُنْصَرِمَهْ
ولا تدومُ للفتى ... شؤونُه المنتظِمَهْ
يأتي على الأرضِ مَدًى ... وما عليها نَسَمَهْ[4]
ضاقَ رحيبُ العمرِ عَنْ ... حاجاتنا المزدَحِمَهْ

أين الأقران؟! وأين سلكوا؟! تالله لقد فَنَوْا وهلكوا، اجتمعَ الأضدادُ في الألحادِ واشتركوا، وخانهم حبلُ الأملِ بعدما امتسكوا، ونُوقشوا على ما خَلَّفُوا وتَركوا، وصارَ غايةَ الأماني أن لو تُرِكُوا.

تالله لقد سَعِدَ مَنْ تَدَبَّرَ، وسَلِمَ من الأذى من تَصَبَّر، وهلك مؤثرُ الهوى وأدبر، فكأنكم بالفراقِ يا ركَّابَ المَعْبَر.

يا نائماً في لَهْوِهِ وما نام الحافظُ، لاحظْ نورَ الهدى فلا حظَّ إلا لِمُلاحِظٍ، ولا تغْتَرَّ بِبَرْدِ العيشِ[5] فزمانُ الحسابِ قائِظ، يا مُدْبِراً أمرَ دُنياهُ ينسى أُخراهُ فخف

---

(١) نحبه: يقال: قضى نحبه، أي: مات.
(٢) العمه: التردد في الضلال، والتحير في منازعة أو طريق أو أن لا يعرف الحجة.
(٣) الكمه: العمى يولد به الإنسان.
(٤) نسمة: إنسان.
(٥) برد العيش: سعته.

النداءَ اللافِظ[1]، وعجائبُ الدنيا تُغْني عن وَعْظِ كلِّ واعظ.

يا مَنْ قد رأينا يدَ التفريطِ قد وَلِعَتْ به، فأتينا لِلَوْمه ولِعَتْبِه، أما مصيرُ السلف نذيرُ الخَلَفِ، أما مهدُ الطِّفْلِ عنوانُ اللَّحْدِ، يا مَنْ لمعَ له سرابُ الأملِ، فبدَّدَ ماءَ الاحتياطِ، أتُراكَ ما علِمْتَ أنَّ الأمانيَّ قِمار[2]، مدَّ نهرُ الهوى وقلبُكَ على الشاطئ، فمرَّ به، صُمَّ مَسْمَعُ اليقظةِ فصَمَّمْتَ على الزَّلَل، أكلُّ الزمان ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]؟ أما تقع في يوم ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]؟.

الورعُ عن الذنوبِ يُوجِبُ قوةً قلبية. قال بعضُ السَّلَف: ارتكبْتُ صغيرةً، فغضبَ عليَّ قلبي، فلمْ يرجعْ إليّ إلا بعدَ سنة.

إخواني! إطلاقُ البصرِ سيفٌ يقعُ في الضارب:

يـا للـرِّجـالِ لنظـرةٍ سفكَـتْ دمـاً ... ولِحـادثٍ لَـمْ ألفَـه مُستَسْلِمـا
وأرى السهامَ تؤمُّ[3] مَنْ يُرْمَى بها ... فعلامَ سَهْمُ اللَّحْظِ يُصْمِي[4] مَنْ رَمى

المحرَّمات حَرَمٌ، ونَظَرُ المملوكِ إلى حرمِ المالك مِنْ أقبح الخِيانة.

يا بني آدم! تلمَّحوا تأثير ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ [طه: ١٢١]، لقمةٌ أثَّرت إن عثرَت، فعرِيَ المُكْتَسِي، ونزل العَالِي، وبكى الضاحك، وقامَ المترفَّهُ يخدمُ نفسَه، فاشتدَّ بكاؤه، فنزل جبريلُ يُسلِّيه، فزاد برؤيتِه وَجْدُهُ.

(للشريف الرضي)[5]:

رأى علـى الغَـوْرِ وَمِيْضـاً فـاشتـاقْ ... مـا أجلـبَ البـرقَ لمـاءِ الآمـاقْ
مـا للـوميـضِ والفـؤادُ الخَفَّـاقْ ... قـد ذاقَ مِـنْ بيـنِ الخليـطِ مـا ذاقْ
داءُ غـرامٍ مـا لـه مـن إفـراقْ ... قـد كَـلَّ آسيـهِ وَقَـدْ مَـلَّ الـراقْ

---

(١) النداء اللافظ: صيحة الصور التي يُلفظ بها الأمواتُ من قبورهم.
(٢) قمار: كل لعب فيه مراهنة.
(٣) تؤم: تقصد.
(٤) يُصمي: من أصمى الرمية: أنفذ فيها السهم.
(٥) مطلع قصيدة يهنئ فيها الملكَ قِوام الدين بالنيروز سنة (٤٠١هـ). انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢ـ٤٥.

قلبي وطرفي من جوًى وإملاق ... في غرقٍ ما ينقضي وإحراقْ[1]
يا ناقَ[2] أداكِ المؤدّي يا ناقْ ... ماذا المقامُ والفؤادُ قد تاقْ[3]

هل حاجةُ المأسورِ إلاَّ الإطلاقْ

كان آدمُ كلَّما عاينَ الملائكة تصعَدُ إلى السماء وجناحُه قدْ قُصَّ زاد قَلَقُهُ.

وأصبحتُ كالبازيّ المُنَتَّفِ ريشُهُ ... يرى حَسَراتٍ كلَّما طارَ طائرْ
يرى خارقاتِ الجوِّ يَخْرِقْنَ في الهوى ... فيذكرُ ريشاً من جناحيه وافرْ
وقد كان دهراً في الرياض منعَّماً ... على كلِّ ما يهوى من الصيدِ قادرْ
إلى أن أصابتْهُ من الدَّهرِ نكبةٌ ... فأصبحَ مقصوصَ الجناحين حاسرْ

أعظمُ البلايا تردُّدُ الركْبِ إلى بلدِ الحبيبِ يودعونَ عند فراقهم الزَّمِنَ[4]:

ولم يبقَ عندي للهوى غيرَ أنَّني ... إذا الركبُ مرُّوا بي على الدارِ أَشْهَقُ

كانت الملائكةُ إذا نَزَلَتْ إليه، استنشقَ ريحَ الوصالِ من ثيابِ الواصلين، وتعرَّفَ أخبارَ الديارِ من نسماتِ القاصدين.

خَبِّراني عن العقيقِ خُبَيراً ... أنتُما بالعقيقِ أحدثُ عهدَا

يا ناقضي العهودِ! دومُوا على البكاءِ، فَمَنْ أشبَهَ أباهُ فما ظَلَم.

---

(١) جاء في الديوان تكملة الشطر: ألهاكِ عن ليل السرى والإعناق.
(٢) يا ناقَ: نداء مرخَّم على لغة من ينتظر إذا قلت: يا ناقَ، وعلى لغة من لا ينتظر إذا قلت: يا ناقُ. وللترخيم حذف الحرف الأخير، وهو هنا التاء المربوطة من المنادى، فكان «ناقة» وصار «ناق» ثم تنقل علامة الإعراب إلى القاف، وهي (الضمة) أو تبقى الفتحة على ما قبل التاء المحذوفة.
(٣) تاق: اشتاق.
وهذا البيت لم يذكر في القصيدة الواردة في الديوان لكن جاء على الشكل التالي:
من منصفي من الملوك المذاق ... قلبي وطرفي من جوى وإقلاق
في غرق ما ينقضي وإحراق ... يضنُّ حتى بالخيال الطراق
(٤) الزَّمِن: المُقْعَد.

كانت عابدة من أحسن النساء عيناً، فأخذت في البكاء، فقيل لها: تذهبُ عيناك!.

فقالتْ: إن يكنْ لي عندَ اللهِ خيرٌ فسيُبْدلُني خيراً منهما، وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزنُ عليهما.

(للمتنبي)[1]:

قـد علَّـمَ البيـنُ منـا البيـنَ أجفـانـا ... تدمَى وألَّفَ في ذا القلبِ أحزانا
قد كنتُ أشفِقُ منْ دَمعِي على بصري ... فـاليـومَ كـلُّ عـزيـزٍ بعـدَكُـم هـانـا
تُهدِي البـوارِقُ أخلافَ المياهِ لكم ... وللمحـبِّ مِـنَ التـذكـارِ نيـرانـا

من سعى إلى جنابِ العزِّ بأقدام المسكنةِ، ووقفَ ببابِ الكرمِ على أخمَصِ المسألةِ، ووصفَ ندمَه على الذنبِ بعبارة الذُّلِّ، لم يَعُدْ بالخيبة.

ملكتُـمْ قلبـي فمـا ... لـي عنكـمْ مُنصـرَفُ
فَـوُدُّكُـمْ مِنْـهُ مكـا ... نَ كبـدي أو الْطَـفُ
فـلا بَـرَى وجـدي بكـم ... ولا أفـاقَ الشَّغـفُ
[لسـتُ وإن أعـرضتُـمُ ... أيئـسُ مـن أن تعطفـوا][2]
وصبـرُ يعقـوبَ معـي ... حتـى يُـردَّ يـوسُـفُ

يا معاشر التائبين[3]! اسمعُوا وصيَّتي، إذا قُمْتُمْ من المجلس فادخلوا دارَ الخلوة، وشاوِرُوا نصيحَ الفكر، وحاسبوا شريكَ الخيانة، وتلمَّحُوا تفريطَ التواني في بضاعَةِ العمر، ويكفي ما قَدْ مضى، فليحذر الأعورُ الحَجَر.

إذ نُقِّيَ خاطرُ المذكِّرِ من دَغل[4] هوًى، وصُفِّي مَعينُ معنى كلامِه من كدر طمَعٍ، انكشفَ الغشاءُ عن عينه، فرأى بالفِطنَةِ موضعَ قُطْنَةِ مَرْهمِ العافية، فربَّى

(١) مطلع قصيدة يمدح فيها أخاه أبا سهل. انظر: الديوان، ص١٦٧.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): المذنبين.
(٤) دغل: مثل الدخل: الفساد.

حشائشَ الحِكَم، وركَّب فيها معاجينَ الشفاء، ففتحَتْ سُدَد الكَسَل، واستفرغَتْ أخلاط الشواغل.

فأما مجتلِبُ الدنيا بنطقِهِ، فإنَّه كُلَّما حفَرَ قليبَ قلبه، فأمعنَ لاستنباطِ معنى طمَّ الطمَعُ، إذا صَدَرَ العلمُ من عاملٍ به كان كالعربية يَنْطِقُ به البدويُّ، وأحلى أبياتُ الشِّعْرِ ما خرجَ من أبيات الشَّعْر.

جَمَعْتُ بين الكتاب والسُّنَّة، ففتحا لي هذه المعاني، فهي تنادي السامعين «وُلدتُ مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ»[1].

ومن جَمَع بين الجهلِ والبدعة هذى الهذيان، فكلامُه في مرتبةِ ابنِ زانية.

إذا فَتَحَتِ الوردةُ عينَها رأتِ الشَّوكَ حَوْلَها، فلتصبرْ على مجاورته قليلاً، فوحدها تُجْتَنَى وتُقَبَّلُ.

وا عجباً لألفاظي وعملِها، بطلَ السحرُ عندها، كلُّ المذكرين رَجَّالَةٌ وأنا فارس، أخرج إلى المعاني في كمينٍ، فأصيدُها لا بأُحْبُولة، إذا حَضَرْتُ ملكْتُ العيونَ، وإذا غبتُ استَرْهَنْتُ القلوبَ.

(لمهيار)[2]:

طَرْفُ نجديةٍ وظَرفُ[3] عِراقي ... أيُّ كاسٍ يديرُها أيُّ ساقِ
سَنَحَتْ والقلوبُ مطلقةٌ ترعَى ... غابتْ[4] وكلُّها في وثاقِ
لم تَزَلْ تخدعُ العيونَ إلى أنْ ... عَلَّقَتْ دمعةً على كلِّ ماقِ

* * *

---

(1) رواه البيهقي بلفظ: «خرجت من نكاح لا من سفاح» في الدلائل، عن أنس: ١/١١٨؛ وابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٢٥٥، وقال: حديث غريب جداً.

(2) مطلع قصيدة قالها في تهنئة نقيب النقباء أبي القاسم بعقد النكاح. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٢٩٠.

(3) ظرف: الحسن والأدب والكياس.

(4) في الديوان: «وعاشت» بدلاً من «غابت».

الفَصْلُ الثَّالِثُ والثَّمانونَ

إخواني! أعجبُ العجائب أنَّ النقادَ[1] يخافون دخولَ البَهْرجِ في أموالهم، والمُبهرِجُ آمن.

هذا **الصدِّيق** رضي الله عنه يمسِكُ لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وهذا **عمر** رضي الله عنه يقول: يا **حذيفةُ**! هل أنا منهم؟[2].

والمُخلِّطُ على بساط الأمن.

الناسكونَ يحاذرونَ وما بسيِّئَةٍ ألمّوا
كانوا إذا راموا كلاماً مُطلَقاً خَطمُوا وزَمُّوا
إنْ قيلتِ الفحشاءُ أو ظهَرَتْ عَمُوا عنها وصَمُّوا
فمَضَوْا وجاءَ معاشِرٌ بالمُنكراتِ طَمَوْا وطُمُّوا[3]
ففمٌ لطُعْمٍ فاغرٌ ويدٌ على مالٍ تُضَمُّ
عدلوا عن الحَسَنِ الجميلِ وللخَنا عَمَدُوا وأمُّوا
وإذا همُ أعيَتْهمُ أعمالُهُم[4] كذبوا وأمُّوا
فالصدرُ يغلي بالهوى جَسِ مثلَ ما يَغْلي المُحَمُّ

لله درُّ أقوامٍ شغلهم حُبُّ مولاهم عن لذّاتِ دنياهم، اسمعْ حديثَهم إن كنتَ ما تراهم، وخوفُهم قد أزعجَ وأقْلَق، وحِذرُهم قد أتلفَ وأحرَقَ، وحادي جِدِّهمْ

---

(١) النقاد: من يعمل في الصرافة وبيع النقود.
(٢) أي: من المنافقين، إذ إنّ النبيَّ ﷺ أسرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، فلم يكن غيرُه يعرفهم.
(٣) طَمَوا: خفوا وأسرعوا. طُمُّوا: أكثروا حتى غُمِروا بها.
(٤) في (ب): شنعاؤهم.

مُجِدٌّ لا يَتَرفَّق، كلَّما رأى طول الطريق نصَّ وأعنق[١]، وكيف يحسن الفتور أوقاتُ السلامةِ تُسْرَق؟ دموعُهم في أنهار الخدودِ تجري وتَتَدفَّق، يشتاقون إلى الحبيب، والحبيبُ إليهم أشْوَقُ، يا حُسْنَهم في الدُّجى ونورُهم قد أشرق، والحياءُ فائضٌ والرأسُ قد أطرقَ، والأسيرُ يَتَلظَّى ويترجَّى أن يُعتق.

إذا جُنَّ الليلُ تَغَالبَ النومُ والسهرُ، والخوفُ والشوقُ في مُقَدَّم عسكرِ اليقظةِ، والكسلُ والتَّواني في كتيبة الغفلة، فإذا حَمَلَ[٢] العزمُ حمَلَ على القيام فانهزمتْ جنودُ الفتورِ، فما يطلعُ الفجرُ إلا وقد قُسِمَت السُّهمان[٣]، سفرُ الليلِ لا يطيقُه إلا مُضَمَّرُ المجاعة، النجائبُ في الأوَّلِ، وحاملاتُ الزادِ في الأخير.

قام المتهجِّدون على أقدامِ الجِدِّ تحت سترِ الدجى يبكون على زمانٍ ضاع في غيرِ الوصال.

سَقَـــوا بميـــاهِ أعينِهـــم هنـــاكَ الضَّـــالَّ والـــرَّنْـــدا
بـــأنفـــاسٍ كبـــرقٍ فـــي أنيـــنٍ يُشْبِـــهُ الـــرَّعْـــدا

إن ناموا توسَّدُوا أذرعَ الهِمَمِ، وإن قاموا فَعَلى أقدامِ القلق، لما امتلأت أسماعهم بمعاتبة «**كذب من ادّعى محبّتي، فإذا جنَّهُ الليلُ نام عنّي**» حلفَتْ أجفانُهم على جَفَاءِ النوم.

إنْ كـــانَ رِضـــاكُـــم فـــي سَهَـــري فســـلامُ اللهِ علـــى وَسَنـــي[٤]

ما زالت مطايا السَّهرِ تَذْرَعُ بِيْدَ[٥] الدُّجى، وعيونُ آمالها لا ترى إلا المنزل، وحادي العزم يقول في إنشاده: يا رجالَ الليلِ جُدُّوا، إلى أن نمَّ النسيمُ بالفجرِ، فقام الصارخُ يَنْعى الظلامَ، فلمَّا همَّ الليلُ بالرحيلِ، تَشَبثوا بذيلِ السحر.

---

(١) **نص وأعنق**: ضربان من السير.
(٢) **حمل**: أغار.
(٣) **السهمان**: جمع سهم، وهو النصيب والقسم.
(٤) **الوسن**: شدة النوم أو أوّله، أو النعاس.
(٥) **تذرع**: تسير وتقطع. **بيد**: جمع بيداء، وهي الصحراء.

فاستوقف العيسَ لي فإنَّ على خِلْبِ[1] فؤادي تَشُدُّ أَزْحُلَها
إن دُثِرَتْ دارُها فما دُثِرَتْ منازلُ في القلوبِ تنزلُها

قال علي بن بكّار: منذ أربعين سنةً ما أحزنني إلا طلوعُ الفجر.

لو قمتَ في السَّحَرِ لرأيتَ طريق العُبَّادِ قد غُصَّ بالزحام، لو وردتَ ماءَ مدين، وجدتَ عليه أمّةً من الناسِ يسقون.

بانوا وخُلِّفْتُ أبكي في ديارِهِمُ قلْ للدِّيارِ: سقاكِ الرائحُ الغادي
وقُلْ لأظعانِهم: حُيِّيْتِ من ظَعَنٍ وقُلْ لواديهمُ: حُيِّيْتَ من وادِ

يا بعيداً عنهم! يا مَنْ ليسَ منهم! ألك نيةٌ في لحاقهم؟ أَسْرِج كُمَيْتَكَ، واجزُزْ زِمَامَك، يقف بكَ على المرعى.

يا مَنْ يستَهْوِلُ أحوالَ القومِ! تَنَقَّلْ في المراقي تَعْلُ.

قال أبو يزيد: ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقتُها وهي تضحك.

(للمتنبي)[2]:

ما زلتُ أُضْحِكُ إبْلي كُلَّما نظَرَتْ إلى من اختضبتْ أخفافُها بدمِ
مَنْ اقتضى بِسِوَى الهنديِّ حاجته أجابَ كلَّ سؤالٍ عَنْ هلٍ بِلَمِ

قال أبو يزيد: كنْتُ اثنتي عشرة سنة حدّاد نفسي، وخمسين سنة مرآةَ قلبي، ولقد أحببتُ اللهَ حتى أبغضْتُ نَفْسي.

(للخفاجي):

ثَوَّرْها ناشطةً عقالَها قَدْ ملأتْ مِنْ بَدْنِها جِلالَها
فلم تزلْ أشواقُها تسوقُها حتى رَمَتْ من الوَجَى رحالَها

---

(1) خِلب: حجاب ما بين القلب والكبد.
(2) من قصيدة قالها بعد خروجه من مصر عام (٣٥٢هـ). انظر: الديوان، ص٥١٠ ـ ٥١٣.

مـاذا علـى النـاقـةِ مـن غـرامـهِ لـوْ أنَّـه أنصَـفَ أو رثـى لهـا

أراد أنْ تشـربَ مـاءَ حـاجـرٍ أريَّهـا تطلـبُ أم كـلالَهـا؟

إنَّ لهـا علـى القلـوبِ ذِمَّـةً لأنَّهـا قـد عَـرَفَـتْ بَلْبَـالهـا

كـانـت لهـا علـى الصَّبَـا تحيـة أَعْجَلَهـا السـائـقُ أنْ تنـالَهـا

وامتـدَّتِ الفـلاةُ دونَ خَطـوهـا كـأنَّهـا قـد كَـرِهَـتْ زوالَهـا

فعلِّلُـوهـا بحـديـثِ حـاجـرٍ ولْتَصْنَـعِ الفـلاةُ مـا بـدا لهـا

* * *

الفصل الرابع والثمانون

إخواني! قد دنا رحيلُكم، وقد بان سبيلُكم وسيهجرُكم خليلُكم، وقد نصحكم دليلُكم.

يـا مقيميـنَ ارحلـوا للـذهـابِ بشفيـرِ القبـورِ حَـطُّ الـركـابِ
نَعِّمُـوا هــذه الأوجــهَ الحســانَ فمـا صنتمـوهـا إلا لعَفْـرِ[1] التـرابِ
والبَسُـوا نـاعـمَ الثيـابِ ففـي الحفْـرَةِ تعروْنَ عـن جميـعِ الثيـابِ
قـد نَعَتْكُـمُ الأيـامُ نَعْيـاً صَحيحـاً بفـراقِ الإخـوانِ والأصحـابِ

تذكَّر يا مَنْ نَسِيَ[2] ركوبَ الجنازة، وتصوَّرْ ما مِنْ مأوى في طول المفازة، ودع الدُّنيا مودِّعاً للحلاوةِ والمزازة[3]، ارقُمْ من قلبك ذكر الجزاء على جُزازَة[4]، كم ظالم تعدَّى وجار، فما رعى الأهل ولا الجار، [حلّ به الموتُ فحلَّ الأزرار[5]، وأدبرَ عن الأوامرِ فأحاطَ به الإدبار[6]][7]، ودارَ عليه بالدوائر[8]، فأخرجَه من الدار، وخلا بعملِه ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] ولكن لا ﴿فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، فانتبهوا فإنما هي جَنَّةٌ أو نار:

تَعَلَّقْـتَ بـآمـالِ طِـوَالِ أيَّ آمـالِ
وأقبلـتَ علـى الـدُّنيـا مُلِحّـاً أيَّ إقبـالِ

---

(١) العَفَر: ظاهر التراب، والعَفْر كذلك.

(٢) في (ب): جنى.

(٣) المزازة: بين الحموضة والحلاوة.

(٤) جُزازة: الوريقة تكتب فيها قطعة من صوف.

(٥) حل الأزرار: كناية عن خلع الثياب المحيطة استعداداً للكفن.

(٦) الإدبار: الهزيمة.

(٧) زيادة من (ب).

(٨) الدوائر: الدواهي.

فيــا هـــــذا تجهَّــــز لــ ـفــراقِ الأهـــلِ والمـــالِ
فـــلا بـــدَّ مـــن المـــوتِ علـــى حـــالٍ مـــن الحـــالِ

يا مَن يحدِّثُه الأملُ فَيَستَمع، ويُخَوِّفُه الأجلُ فلا يرتدِع، وصلَ الصالحونَ إلى المُنى يا مُنْقَطِع، وجُوزُوا على صبرهم - إي واللهِ - لم يَضِعْ، تَلَمَّحِ العواقِبَ فَتَلَمُّحُها للعَقْلِ وُضِع، كأنَّه ما جاعَ قطُّ مَنْ شَبع.

إذا تلاقَحَتْ غُروسُ المجاهدةِ تلاحقتْ ثمارُ المدائح.

أفلـحَ قـــومٌ إذا دُعـــوا وَثَبُـــوا لا يَحْسبُـــونَ الأخطـــارَ إنْ رَكِبُـــوا
ســارُون[1] لا يســألــونَ مـــا فَعَـلَ الــ ـفجْرُ، ولا كيـفَ مـالـتِ الشُّهُـبُ
عَــوَّدَهُــم هجــرُهُــم مطـــالبَـــةَ الـــراحـــةِ أن يظفَــرُوا بِمـــا طَلَبُـــوا

أشرافُ الأوصافِ أوصافُ الأشراف، وساداتُ العاداتِ عاداتُ السادات، أحرارُ الشِّيَمِ[2] شيمُ الأحرارِ، أقدموا على الفضائل وتأخَّرْتَ، وقدَّموا الأهمَّ وأخَّرْتَ، الشجاعُ يلبسُ القلبَ على الدِّرع، والجبانُ يلبسُ الدِّرع على القلب.

(للمتنبي)[3]:

وتكـــادُ الظُّبـــا[4] لمـــا عـــوَّدوهـــا تنتضـــي نفسَهـــا إلـــى الأعنـــاقِ
وإذا أشفَـــقَ الفـــوارسُ مـــن وَقْـــعِ القَنـــا[5] أشفَقُـــوا مـــنِ الإشفـــاقِ
ومعـــالٍ لـــو ادَّعـــاهـــا سِـــوَاهُـــم لــــزِمَتْـــهُ جنـــايَـــةُ السُّـــرَّاقِ

لوَّحَ للقومِ فأجابُوا، وكرَّرَ الصياحَ بكَ وما تَلْتَفِت، إذا سمعوا موعظةً غَرَسَتْ في قلوبهم نخيلَ العزائم، ونباتُ عزمكَ عند الزواجرِ كنبات الكشوثا[6]، كم بَيْنَ ثالِثَةِ الأثافي[7] وسادسةِ الأصابع! بِعْ باعاً من عَيْشِكَ بِفِتْرٍ من حَيَاتهم، لو

---

(١) سارون: جمع سارٍ، والسُّرى: سير عامة الليل.
(٢) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والميزة والعادة.
(٣) من قصيدة قالها يمدح بها أبا العشائر. انظر: الديوان، ص ٢٢٤ - ٢٢٧.
(٤) الظبا: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف والسنان والخنجر.
(٥) القنا: الرماح مفردها قناة.
(٦) الكشوثا: بالقصر وبالمد: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.
(٧) الأثافي: جمع أثفية: أحد أحجارٍ ثلاثة توضع عليها القِدْر، وثالثة الأثافي: حرف الجبل يجعل إلى جنبه أثفيتان، ويقال: رماه بثالثة الأثافي، أي: بداهية كالجبل.

صَدَقَ عزمُك قَذَفَتْكَ ديارُ الكسَلِ إلى بيداءِ الطلب، كان **سلمانُ** أعْجمياً فلمّا سمعَ بنبيٍّ عربيٍّ صارَ بدويَّ القلبِ.

(لمهيار)[١]:

ولقــد أحِــنُّ إلــى زرودَ وطينتــي ... مِــنْ غيــرِ مــا فُطِــرَتْ عليــه زرودُ
وَيشُوقُني عَجْفُ[٢] الحجازِ وقد صَفَا ... ريــفُ العــراقِ وظِلُّــه الممــدودُ
ويُطــرِّبُ الشــادي وليــسَ يَهــزُّني ... وينــالُ مِنِّــي الســائــقُ الغِــرِّيــدُ

أيـن وصفُـكَ مـن هـذه الأوصـاف؟! أيـن شجـرةُ الـزيتـون مـن شجـرِ الصَّفْصاف؟! صَعَدَ القومُ ونَـزَلْتَ، وجَدُّوا في الجدِّ وهَزَلْتَ.

شُــمُّ[٣] العرانيـنِ في آنـافِهِم[٤] أَنَـفٌ ... مـن القبيـحِ وفـي أَعْنـاقِهـم صِيْـدُ[٥]
إنْ تَلْقَهُمْ تلقَ منهم في مجالسِهم ... قـومـاً إذا سُئِلـوا جـادوا بمـا وَجَـدُوا
نالوا السماءَ وحَطُّوا من نفوسِهمُ ... إنَّ الكـرامَ إذا انحطُّـوا فقـد صَعَـدوا

إنَّ بينَكَ وبينَ القومِ كما بينَ اليَقَظَةِ والنومِ، أين مِسْكٌ من حَمْأةٍ[٦]؟! وبخور من بُخَار؟! وصفوة من قذًى؟!.

دخلوا على **عابدٍ** فقالوا له: لو رفَقْتَ بنفسِكَ.

فقال: مِنَ الرِّفْقِ أُتِيتُ.

اسمعْ يا كسلانُ! كانوا في طلبِ العُلا يجتهدون ولا يرضون بدون، على أنَّهم يُعانون فيما يُعانون، القوم مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون، فقولوا لعاذليهم: لمن تعذلون؟.

---

(١) من قصيدة كتب بها إلى الوزير كمال الملك أبي المعالي. انظر: ديوان شعره: ١/٣٢٦ ـ ٣٣٠.
(٢) **عجف**: قحط.
(٣) **شم العرانين**: مرتفعو الأنوف، كنايةً عن العزّة والشموخ.
(٤) **أنف**: حمية. **والآناف**: جمع أنف.
(٥) **صيد**: جمع أصيد: المتكبر المزهو بنفسه.
(٦) **حمأة**: الطين الأسود المنتن.

(المهيار)[1]:

كَثُـــرَ فيـــكَ اللُّـــوَّمُ فـــأيـــنَ سمعـــي منهُـــمُ؟
قَلْبِـــيَ واللـــومُ عليـ ـــكِ مُنْجِـــدٌ ومُتْهِـــمُ
قـــالـــوا: سهـــرتَ والعيـــو نُ الســـاهـــراتُ نُـــوَّمُ
وليـــسَ مِـــنْ جسمِـــكَ إلْـ لا جلـــدةٌ وأعظـــمُ
ومـــا عليهـــم سهـــري[2] ولا رُقـــادي لهـــمُ
وهـــل سمـــاتُ الحـــبِّ إلْـ لا سَهَـــرٌ وسَقَـــمُ
[خُـذْ أنـتَ فـي شـأنِـكَ يـا دمعـي، وخـلِّ عنهـمُ[3]][4]

كان بِشْرٌ لا ينامُ الليلَ، ويقول: أخافُ أن يأتيَ أمرٌ وأنا نائم.

رقَـــدَ السُّمَّـــارُ وأرَّقَـــهُ هـــمٌّ لِلْبَيْـــنِ يُـــرَدِّدُه
فبكـــاهُ النجـــمُ ورَقَّ لـــه ممـــا يـــرعـــاهُ ويـــرصُـــدُه
وغـــداً يَقْضِـــي أو بعـــد غـــدٍ هـــل مِـــنْ نظـــرٍ يَتَـــزَوَّدُه
يَهْـــوَى المشتـــاقُ لقـــاءَكُـــمُ وصـــروفُ الـــدَّهْـــرِ تُقَيِّـــدُه

بقيَ بِشْرٌ خمسينَ سنةً يشتهي شهوةً، فما صفا له درهمُها، وبضائعُ أعمارِكُم كُلُّها مُنْفَقَةٌ في الشَّهَواتِ من الشبهات، أبشرُوا بطولِ المرضِ يا مُخَلِّطين.

وا ويـلاه مـن ضيـاع كـلِّ العُمـر قـدْ مـرَّ جميعُـه بِمُـرِّ الهَجْـرِ
ضـاعَـتْ حِيَلـي وضـلّ عنّـي صَبْـري يـا قـومُ عَجَـزْتُ عـن تـلافـي أمـري

يا مَنْ فاتُوه وتَخَلَّفَ، بُلَّ ثَراهُم من دَمْعِ الأسف.

دعْ شـأنَ عينِـكَ يـا حَـزِيْـنُ وشَـانَهـا وَضَـعِ اليديـنِ على الحَشا وتَمَلْمَلِ

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالمهرجان. انظر ديوان شعره: ٣/ ٣٢٢_٣٢٦.
(٢) في الديوان: (أرقي).
(٣) في الديوان: (وخذ ودعهم).
(٤) زيادة من (ب).

هــذا أوانُ فــراقهــمْ ولعَــلَّ مــا يُغْني وقـوفُـك سـاعـةً فـي المنـزل

جُزْ بنادي المحبّة، ونادِ بالقومِ تَراهُم كالفراشِ تحتَ النيرانِ.

(للشريف الرضي)[1]:

يــا دارُ مَــنْ قَتَـلَ الهـوى بعـدي وَجَـدُوا ولا مثـلَ الـذي عنـدي
لــو حَــرَّكَــتْ ذاك الـرَّمـادَ يـدٌ لـرأَتْ بقـايـا الجَمْـرِ والـوَقْـدِ

يشتدُّ عليهم حرُّ الخوفِ، فيشرفون على التلف «لولا نسيمٌ بذكراهم يُرَوِّحُني» يَنْبَسِطون انبساطَ المحبِّ، ثم ينقبضون انقباضَ الخائفِ.

هذا اللَيْنُوْفَرُ[2] ينشرُ أجنحةَ الطَّرَبِ في الدُّجى، فإذا أحسَّ بالفجرِ جمعَ نفسَه، واستحيى من فارط[3]، فإذا طلعتِ الشمسُ نكَّسَ رأسه في الماءِ خَجِلاً من انبساطه:

أبــاسطُــه علــى جَــزَعٍ كشُــرْبِ الطـائــرِ الفَــزِعِ
رأى مـــاءً فـــأطْمَعَـــهُ وخــافَ عــواقــبَ الطَّمَــعِ
فصــادفَ فُــرْصَــةً فـدنـا ولــم يلْتَــذَّ بــالجَــرَعِ

كلَّما جاء كلامي صَعَّد، كلَّما زادتِ الوَقودُ فاحَتْ ريحُ العود، أفيكم مُسْتَنْشِق؟! أوَ كلّكم مزكومٌ؟! «إني لأجدُ نَفَسَ الرحمنِ من قِبَلِ اليَمَن»[4].

---

(١) مطلع قصيدة قالها في أبي سعيد بن خلف. انظر ديوان شعره: ١/ ٣٢١.
(٢) اللينوفر: جنس من نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية يُزرع في الأحواض، وينبت على ضفاف الأنهار.
(٣) الفارط: السابق المتقدم، السابقِ إلى الماء ليهيئه ويُعدّه.
(٤) أخرجه أحمد بلفظ: «وأجدُ نَفَسَ ربّكُم من قبل اليمن» عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحافظ العراقي: رجاله ثقات. وبالرجوع إلى إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد: ١/ ١٠٣، وجدنا تخريج الحافظ العراقي المذكور، وفي الإحياء: ٣/ ٢١٧: جاء تعليق العراقي التالي: أشار به (أي: نفس الرحمن) إلى أويس القرني، وقد تقدَّم في كتاب قواعد العقائد، ولم أجد له أصلاً!! علماً أنه هناك قال: أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة. ولعل الطابع الأول للكتاب وضع تخريج حديث آخر، هذا وقد ذكر بعض =

باح مجنون عامرٍ بهواه.

وما بُحْت حتى استنطقَ الشوقُ أدمعي وأذكَرَني عهدَ الحِمى المُتقادِمِ

أتجدونَ يا إخواني ما أَجِدُ من ريحِ النسيم؟.

ألا يا نسيمَ الريحِ ما لكَ كُلَّما تجاوزتَ ميلاً زادَ نشرُكَ طيبا
أظنُّ سُليمى خُبِّرَتْ بِسقامِنا فأعطَتْكَ ريَّاها فَجِئْتَ طبِيبا

* * *

= الفضلاء أن المقصود «بنفس ربكم» تلك الكتائب اليمنية المجاهدة التي انطلقت إلى الشام داعية مجاهدة. انظر: إتحاف السادة المتقين: ٢/ ١٣٠، للزبيدي، شرح الإحياء.

الفصل الخامس والثمانون

يا مَنْ كلَّ يوم يقْدُم إلى القبرِ فارط[١]، لا تغْتَرَّ بالسلامةِ فربَّما قَبَضَ الباسِط، انهض للنجاةِ بِقَلْبٍ حاضرٍ وجأشٍ[٢] رابط، قبلَ أن يكفكَ[٣] على بساطِ العجْزِ خابط[٤]، ونفَسُ النَّفْسِ تخرجُ من سَمِّ إبرةِ خَائط.

قُلْ للمؤمِّلِ: إنَّ الموتَ في أَثَرِك ... وليسَ يَخْفَى عليك الأمرُ من نَظَرِك
فيمَنْ مضى لكَ إنْ فكَّرْتَ معتبرٌ ... ومَنْ يَمُتْ كلَّ يومٍ فهو مِنْ نُذُرِك
دارٌ تسافِرُ عنها من غدٍ سَفَراً ... فلا تؤوبُ إذا سافرتَ من سَفَرِك
تُضْحي غداً سَمَراً للذاكرين كما ... صارَ الذين مَضَوْا بالأمسِ مِنْ سَمَرِك

أُخْلُ بنفسِكَ في دارِ المعاتبة، وأحْضِرْها دستورَ المحاسبة، وارْفَعْ عليها سوطَ المُعاقَبة، وإنْ لم تفعلْ خسرتَ في العاقبة.

خُلِقْتَ جِسْماً سويّاً ثم زُرْتَ ثرَى ... فَصِرْتَ خطّاً وطالَتْ مدةٌ فَمُحي
قِفْ بالمنازلِ من عادٍ وغيرِهِمُ ... فما ترى ثَمَّ مِنْ شَخْصٍ ولا شَبَحِ
كُلٌّ مجازى بما أسداهُ من حَسَنٍ ... وسَيِّئٍ فاهجُرِ السَّوْءاتِ وانْتَزِحِ

لقد وعظك أمسُ واليوم، وأنتَ من سَنةٍ[٥] إلى نَوْم! أين العشائرُ؟ أينَ القوم؟ اشتراهُم البِلى بلا سَوْم[٦]، لا فِطرَ عندهم ولا صَوْم، بل بلابلُ العتابِ واللَّوْم، هذا رشاشُ الموجِ يُنْذِرُ بالعَوم، ويخبِرُ بالحادثاتِ إشمامُها[٧] والرَّوم[٨].

---

(١) **الفارط**: السابق المتقدم.

(٢) **جأش**: القلب.

(٣) في (ب): يلقيك.

(٤) **خابط**: نازلة تلقيه في المرض أو العجز.

(٥) **سنة**: النعاس من الوسن.

(٦) **سوم**: يقال: سام المشتري السلعة: طلب بيعها.

(٧) **إشمامها**: الإشمام في علم التجويد هو تحريك الشفتين بلا صوت، إشارة إلى الضمة المحذوفة بُعيد الوقف على الكلمة، ولا يكون إلا على الضم.

(٨) **الرَّوم**: هو إسماع الحركة للقريب دون البعيد ولا يكون إلا في الكسرة أو الضمة.

اغْتَنِـــمْ صَفْـــوَ الليـــالـــي إنَّمـــا العَيْـــشُ اختـــلاسُ
تلبِـــسُ الـــدَّهـــرَ ولكـــنْ متعـــةٌ ذاكَ اللبـــاسُ

يا جامعَ الحطام ولا يدري ما جَنَى، كلَّما نَقَضَ الواعظُ أصلاً مِنْ حرصِكَ بنى[(١)]، بادر الفَوْتَ[(٢)] فإن الموتَ قد دنا، هذا بشيرُ القَبول وإياكَ عنا، النِّثار[(٣)] كثير فما هذا التوقُّفُ والوَنَى[(٤)]؟! امدُدْ يدَ الصدقِ وقد نلتَ كلَّ المنى، هذه الخَيفُ وهاتيك مِنى.

أمَا تهزُّكَ هذه المواعِظُ أيها المهزوزُ؟! أمَا يوقظُكَ التصريحُ ولا الرموز؟! أمَا كلُّ وقتٍ عودُ الهلاك مغموزٌ[(٥)]؟! أما كلُّ ساعةٍ غصنٌ مقطوعٌ ومَحْزوز؟! أما تراهم بين مدفوع وموكوز[(٦)]؟! كلُّ أفعالك إذا تأمَّلْتَ ما لا يجوز، أين أربابُ القصور؟! أين أصحابُ الكنوز؟! هلَكَ القومُ كلُّهم وضاع المكنوز، وحِيْزَ في حُفْرة البِلى مَنْ كان للمالِ يحوز[(٧)]، بينا تغرّهم الإناءةُ وقعتِ النواةُ في الكوز! أين كِسْرى؟! أين قَصيرُ[(٨)]؟! أين فَيروز[(٩)]؟! عَرَوْا عن الأكفانِ وما كانوا يَرضَوْن الخُزوز[(١٠)]، وأبرزَ الموتُ أوجهاً عزَّ عليها البروز، وساوى بين العرب والعجم

---

(١) بنى: من البناء، أي: بنى الحرص.
(٢) الفوت: الفراغ والعمر.
(٣) النِّثار: ما نثر في حفلات السرور من حلوى أو نقود.
(٤) الونى: الضعف والفتور.
(٥) مغموز: معصور ومعضوض، يقال: غمز المثقِف القناة: عضها وعصرها (المعجم الوسيط).
(٦) موكوز: المضروب بجمع اليد على ذقنه (المعجم الوسيط).
(٧) يحوز: يجمع ويملك.
(٨) قصير: هو قصير بن سعد صاحب جذيمة الأبرش، ومن المثل: (لا يطاع لقصير أمر).
(٩) فيروز: في كتاب الإصابة: ٥/ ٣٥٠ برقم (٧٠١٤): فيروز الديلمي، يكنى أبا الضاحك، ويقال: أبا عبد الرحمن، يماني كناني من أبناء الأساورة من فارس، كان كسرى بعثهم إلى قتال الحبشة، وفي الصفحة (٣٨٠): وفد على رسول الله ﷺ وأعان بعد ذلك على قتل الأسود العنسي. وروى عنه أولاده الثلاثة. ومن شاء معرفة أوسع فليرجع إلى الإصابة.
(١٠) الخزوز: جمع خز، وهو الثياب المنسوجة من صوف وحرير.

والنبَـط[1] والخُوز[2]، ونَسخَ[3] بِحَسراتٍ يومَ الرحيلِ لذاتِ النيروز[4]، وكشفَ لهم نِقابَ الدنيا فإذا المعشوقةُ عجوز، ما رَضيتْ إلا قَتْلَهم، وكم تدلَّلَتْ بالنشوز[5]، لقد أذاقتهم بردَ كانون الأول فإذا هُم في تموز، وإنَّما قصدَتْ غرورَهم لتقتلهم في كالوز[6].

وا عجباً! بحرُ الوُجودِ قد جمع الفنونَ: العلماءُ جوهرُه، والعبَّادُ عَنْبَرُه، والتجارُ حيتانُه، والأشرارُ تماسيحُه، والجهَّالُ على رأسِه كالزَّبَدِ، فيها مَنْ يجري به على هواه، وهو عليه كالقفيا.

قِفْ يا قُفيّا، كم تحضُر مجلساً وكم تتردّد، وكم تُخوَّفُ عقبى الذنوبِ وكم تُهدَّدُ! يا مَنْ لا يلينُ لواعظٍ وإن شدَّدَ، يا راحلاً عن قريبٍ ما عليها مُخلَّد، تلمَّحْ قبرَكَ لا قصرَكَ المُشيَّد، وتعلَّمْ أنَّ المطْلِقَ إذا شاءَ قَيَّد، أترى تَقَعُ في شَرَكي، فإني جئتُ أتصيَّدُ.

يا مَنْ يَسألُ عن مراتب الصالحين ما لَكَ ولَها؟! تساومُ في راحلة، وما تَمْلِكُ ثمنَ نعلٍ، تجمعُ من جوانِبِ الحافات خُبازي[7] وتريد أن تطعم أخضر، تطلب سهماً من الغنيمة وما رأيتَ الحربَ بعينيك!.

يحاولُ نيلَ المجدِ والسيفُ مُغْمَدٌ ... ويـأمـلُ إدراكَ العُلـى وهـو نـائـمُ

البلايا تُظهِرُ جواهرَ الرجال، وما أسرعَ ما يُفْتَضحُ المُدَّعي.

تنـــامُ عينـــاكَ وتَشكـــو الهَـــوى ... لـو كنـتَ صبّـاً لـم تكُـنْ نـائمـا

رأى فقيرٌ في طريق مكة امرأةً فتَبِعَها فقالت: ما لَكَ؟.

---

(١) النبط: جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والأنباط.
(٢) الخوز: جيل من الناس واسمٌ لجميع بلاد خوزستان.
(٣) نسخ: أزال.
(٤) النيروز: عيد من أعياد الفرس يكون في أول فصل الربيع.
(٥) النشوز: الترفع والتمنع.
(٦) كالوز: قوم يخرجون بالسلاح للماء إذا تشاحُّوا عليه.
(٧) خبازي: جنس نبات من الفصيلة الخبازية، منه نوع يُطهى ورقه فيؤكل.

فقال: قد سَلَبَ حُبُّكِ قلبي.

قالت: فلو رأيتَ أُختي؟ فالتفتَ فلم يَـرَ أحداً.

فقالت: أيها الكاذب في دَعْوَاهُ، لو صدقْتَ ما التَفَتَّ.

واللهِ لو عَلِمَتْ روحي بمَنْ عَلِقَتْ قامَتْ على رأسِها فضلاً عن القدم

إذا كنتَ تشتغِلُ اليوم عنّا بسوداءَ، فكيف تَذْكُرُنا إذا أعطيناك الحور؟!.

يا مؤثـراً ما يَفْنى على ما يَبْقى، هذا رَأيُ طبعِكَ، هـلاّ استشـرْتَ عقلكَ لتسمع أصحَّ النصائح، مَنْ كان دليله البوم كان مأواهُ الخَراب.

ويحك! اعزِمْ على مجنون هواكَ بعزيمة، فرُبَّ شيطانٍ هاب الذكر، تلمَّحْ غِبَّ[1] الخطايا لعلَّه يكُفُّ الكَفَّ، لا تحتَقِرَنَّ يسيرَ الطاعات «فالذَّودُ إلى الذَّودِ إبل»[2]، ورُبما احتيجَ إلى عويد[3] منبوذ. لا تحتقرنَّ يسيرَ الذنب، فإن العُشْبَ الضعيف يُفْتَلُ منه الحبل القوي، فَيَخْتَنِق به الجملُ المغتلِم[4]، أوما نفذت في سَدِّ سبأ حيلةُ جُرَذٍ[5]، مَنْ عرفَ شَرَفَ الحياة اغتنَمَها، من عَلِمَ أرباحَ الطاعاتِ لزِمَها، العمرُ ثوبٌ ما كُفَّ، والأنفاسُ تَسْتَلُّ الطاقات، كَمْ قد غَرِقَتْ في بحرِ سَوْفَ سفينةُ نَفْسٍ!.

يا هذا! أنتَ أجيرٌ وعليكَ عَمَل، فإذا انقضى الشُّغْلُ فالبَسْ ثيابَ الراحة.

قال رجلٌ لعامر بن عبدِ قَيْسٍ: كَلِّمْني، فقال: أمسكِ الشَّمس.

دخلوا على الجنيدِ عند الموت وهو يصلِّي، فقيل له: في هذا الوقت؟! فقال: الآنَ تُطوى صحيفَتي.

---

(١) الغبّ: العاقبة.
(٢) الذود إلى الذود إبل: مثلٌ عربي معناه: القليل يضم إلى القليل يصير كثيراً. و(إلى) في العبارة بمعنى (مع)، والذود: جمع لا واحد له من لفظه كالنعم.
(٣) عويد: تصغير عُود.
(٤) المغتلم: الهائج بسبب شدة الشهوة.
(٥) الجُرَذ: الذكر من الفئران.

حُثُّوا المَطيَّ فهذه نجدُ | بلغَ المدَى وتجاوزَ الحدُّ
يا حبّذا نجدٌ وساكنُه | لو كان يَنْفَعُ حَبَّذا نجدُ

يا دارَ الأحبابِ! أين السكان؟ يا منازلَ العارفين! أينَ القُطّان؟ يا أطلالَ الواجدين! أين البُنْيان؟.

تعاهَدَتْكَ العُهّادُ يا طَلَلُ | خَبِّرْ عن الظّاعنينَ ما فَعَلُوا
فقال: ألا اتَّبَعْتَهم أبداً | إن نزلوا مَنْزِلاً وإن رَحَلُوا
تَرَكْتَ أيدي الهوى تقودُهمُ | وجِئتنِي عن حديثهم تَسَلُ

رحَلَ القومُ يا مُتَخَلِّف، وسبقوكَ بالعزائمِ يا مُسَوِّف، فَقِفْ على الآثار وقوفَ مُتلهِّف، وصِحْ بالدمعِ: سِرْ يا مُتَوقِّف.

(للشريف الرضي)[1]:

يا قلبُ جدِّدْ كمَدَا | فموعدُ البَيْنِ غدا
لم أرَ فَرْقاً بعدهُمْ | بينَ الفِراقِ والرّدى
يا زفرةً هَيَّجَها | حادٍ مِنَ الغَوْرِ حدَا
أَرْعَى الحُمُولَ ناظراً | أو أُلزِمُ القلبَ يدا
وأطردُ الطّرفَ على | آثارهم ما انْطَرَدا
مُذ أوقَدوا بأضلعي | حَرَّ الجَوى ما بردا[2]
ومُذْ أذابُوا ماءَ عيني | للأسى ما جَمَدا
كنتُ أُداوي كبدي | لو تركوا لي كبدا

* * *

(١) انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٥٣-٣٥٦.
(٢) الشطر الثاني من هذا البيت في الديوان: «جمع الغضا ما خمدا».

الفصل السادس والثمانون

إخواني! المفروحُ بِـهِ من الدُّنيا هو المحزونُ عليهِ، وبِقَدْرِ الالتذاذِ يكونُ التأسُّف، ومَنْ فَعَلَ ما شاءَ لَقِيَ ما ساء.

مـا آلَ مـا كـانَ المُنـى مـا آلمـا ... صـارَ مـا واصلتَـه قـد صـارَمـا
بيْنَمـا أضحـكُ مسـروراً بـه ... سـالَ مـاءُ العيـنِ إذا مـا سـالَمـا

الدنيا فلاةٌ فلا تَأْمَنِ الفَلا[1]، بل تَيقَّنْ أنها مارستان بَلا[2]، ولا تَسْكُنْ إليها، وإن أظْهَرَتْ لكَ الوَلا[3]، على أنها تَخْفِضُ مَنْ عَلا.

فلينظرِ الإنسانُ يَمْنَةً فهل يرى إلا مِحْنَةً؟! ثم ليَعْطِفْ يَسْرَةً فهل يرى إلا حَسْرةً؟!.

أمَّا الربْعُ العامِرُ فقد دَرَس[4]، وأما أسَدُ المماتِ فَفَرَس[5]، وأما الراكبُ فكَبَتْ[6] به الفرس، وأما الفصيحُ فاستبدلَ الخَرَس، وأما الحكيمُ فما نفعه إن احتَرَس، ساروا في ظلام ظُلْمِهم ما عندهم قَبَس، ووقفَتْ سفينةُ نجاتهم لأنَّ البحرَ يَبَس، وانقلبَتْ دُوَلُ النفوسِ كُلِّها في نَفَس، وجاء (مُنْكَرٌ)[7] بآخرِ (سبأ)[8]، و(نكير) بأول (عبس)، أفلا يقوم لنجاتِه مَنْ طالَ ما جَلس؟!.

آهِ لِنَفْسٍ رَفَلَت[9] مِنَ الغفلةِ في أثوابِها، فثوَى بها الأمرُ إلى عدمِ ثَوابِها، آهِ

---

(١) الفلا: الأرض الواسعة المقفرة، وأيضاً الفلا: الانقطاع.
(٢) مارستان: دار المرضى. بَلا: بلاء وفناء.
(٣) الولا: الولاء والمحبة.
(٤) الربْع: الدار بعينها حيث كانت. درَسَ: عفا وذهب آثاره.
(٥) فرس: يقال: فرس الأسدُ فريسته: صادها وقتلها.
(٦) كبت: عثرت.
(٧) منكر ونكير: ملكان يسألان الميت بعد دفنه.
(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤].
(٩) رفلت: رفل في ثيابه: أطالها وجرَّها متبختراً.

لعيونٍ أغشاها الأملُ، فسَرَى[1] بها إلى سَرَابِها، آهِ لقلوبٍ قَلَبَها[2] الهوى عن القرآنِ إلى رِبَابها[3] فربا بها[4]، آهِ لمرضى قد علمَ الطبيبُ قَدْرَ ما بها، وقَدْ رُمي بها.

(لأبي العتاهية):

يـا نَفْـسُ مـا هـي إلا صبـرُ أيـامِ كـأن مُـدَّتَهـا أضغـاثُ أحـلامِ
يا نفسُ جُوزي عن الدنيا مبادِرَةً وخـلِّ عَنْهـا فـإنَّ العيشَ قُـدَّامـي

يا مغرورين بِحَبَّةِ الفخِّ! ناسينَ خَنْقَ الشَّرَك، تَذَكَّروا فواتَ المُلتَقَط[5] مع حصولِ الذَّبحِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣].

الحذرَ الحذرَ من صيَّادٍ يسبق الطيرَ إلى مهابِطِه بِفخَاخ مختلفة الحِيَلِ، قدِّروا أنكم لا تَرَوْنَ خَيْطَ فَخِّهِ، أما تُشاهدون ذبائحَهُ في خَيْط ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]؟!.

(للشريف الرضي)[6]:

يا قلبُ كيفَ عَلِقْتَ في أشراكِهم ولقـد عَهِـدْتُـكَ تُفْلِـتُ الأشْـرَاكـا
لا تَشْكُـوَنَّ إلـيَّ وَجـداً بعْـدَهـا هـذا الـذي جَـرَّتْ عَلَيْـكَ يـداكـا

ألا يصبِرُ طائرُ الهوى عن حَبَّةٍ مجهولةِ العاقبة! وإنّما هي ساعة ويصلُ إلى بُرْجِ أمْنِـهِ، وفيه حبّات.

فـإنْ حَنَنْـتَ للحِمَـى وطِيْبِـهِ فبـالغَضَـا مـاءٌ وروضـاتٌ أُخَـرْ

وا عجباً أن يكون حاملُ الكتابِ من الطيرِ أقوى عزيمةً منك، لعلَّ وضعَكَ

---

(١) سرى: سار بها ليلاً. سرابها: أي سراب الدنيا، ما فيها من لذات فانية.
(٢) قلبها: صرفها.
(٣) ربابها: الربابة آلة لهو، وفيه إشارة إلى نمو الهوى وتضخمه في تلك القلوب.
(٤) رَبا: اشتد.
(٥) الملتقط: الحبة الملتقطة. الشرك: الفخ وشبكة الصيد.
(٦) انظر: ديوان شعره: ٢/ ١٠٩.

على غيرِ الاعتدال، الخَلْقُ يدلُّ على الخالقِ، لا تكونُ الروحُ الصافيةُ إلا في بدنٍ مُعتدِلٍ، ولا الهمّةُ الوافيةُ إلا لنفسٍ نفيسةٍ.

لا يصلُحُ لحملِ الرسائل إلا الطيرُ الأخضرُ أو الأنمر[١]، لأنّه إذا كان أبيضَ، كان كالغلامِ الصَّقْلابي[٢]، والصقلابي فَطِيرٌ[٣] خام، لم ينضج في محل الحمل، وإذا كان الطائرُ أسودَ دلَّ على مجاوزة حدِّ النُّضج إلى الاحتراق، فإن اعتدلَ اللونُ على نَفَاسَةِ النَّفْس، وشَرَفِ الهِمَّة، فحينئذٍ يعرفُ الطائرُ سِرَّ الجناح، فيقول بلسان الحال: عَرِّفوني الطريقَ بتَدْريجٍ، ثم حَمِّلوني ما شِئْتُم، فإذا أُدْرِجَ فَعَرَفَ، حُمِّلَ فَحَمَلَ، فصابَرَ الغُرْبَة، ولازمَ بطونَ الأودية، وسارَ مع الفراتِ أو دجلة.

فإنْ خَفِيتِ الطريقُ تَنَسَّمَ الرياحَ وتَلَمَّحَ قُرْصَ الشَّمس، وتراهُ مع شدَّةِ جُوْعِه يحذَرُ الحَبَّ المُلْقَى، خوفاً من دَفينة فَخٍّ توجبُ تَعَرْقُلَ الجَناح، وتَضْييعَ المحمُولِ، فإذا بَلَّغَ الرِّسالةَ أطلقَ نفسَه في أغراضِها داخلَ البُرج.

فيا حاملي كتبِ الأمانةِ إلى عَبَّادان[٤] التعبد، أكثرُكُم على غيرِ الجادَّةِ، وما يَسْتَدِلُّ منكم مَنْ قد رَاقَهُ حُبُّ حَبٍّ، فنزلَ ناسياً ما حُمِّل، فازْتُهِنَ بفَخٍّ [قد نُفِخَ][٥] فذُبِح، ومنكم من بَانَ[٦] لِتَعَرْقُلِ جَناحِه، وما قصَده الذَّابحُ بَعْدُ، فلا الحبّةَ حصَّلْتَ، ولا الرسالةَ وصَّلْتَ.

قطـاةٌ عَـزَّهـا شَـرَكٌ فبـاتَـتْ   تُجـاذِبُـهُ وقـدْ عَلِـقَ الجَنـاحُ

---

(١) **الأنمر**: ما فيه نمرة بيضاء، وأخرى على أي لون كان.
(٢) **الصقلابي**: الصقلاب: الرجل الأبيض، والصقالبة: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون الخزر وبعض جبال الروم.
(٣) **فطير**: كل ما أعجل قبل نضجه، يقال: رأيٌ فطير: خطر في البال وأُبدي بلا تثبت.
(٤) **عبّادان**: جزيرة أحاط بها شِعْبا دجلةَ ساكبتين في بحر فارس، وهي معبد العباد، وملقى عصي النساك، وفي المثل: «ما وراء عبادان قرية» سمّيت بعبادان بن الحصين التميمي. (تاج العروس).
(٥) زيادة من (ب).
(٦) **بان**: من الأضداد: ظهر واختفى، وتأتي بمعنى: انقطع.

فـلا فـي الليـلِ نـالَـتْ مـا تَمنَّـتْ ولا فــي الصُّبْـح كــانَ لهــا بَــراحُ

لو صابرتُم مشقَّةَ الطريقِ لانتهى السفر، فتَوَطَّنتُم مستريحينَ في جنَّاتِ عدنٍ.

فيا مُهمِلينَ النظرَ في العواقبِ! سَلِّفُوا وقتَ الرُّخَصِ، فما يُؤمَنُ تَغَيُّرُ السعرِ. سَلْسِلوا سِباعَ الألسُنِ، فإنِ انحلَّتْ افترَسَتْكُم. لا تَرْمُوا بأسهُمِ العيونِ ففيكم تَقَعُ. رُبَّ راعي مُقْلَةٍ أهْمَلَها، فَأُغِيرَ على السَّرْحِ. من رأى الحقائقَ رأيَ عين غَضَّ طرفَه عن الدارين. لو حضرتم حَضْرَةَ القُدْسِ لَعَبَقْتُم بنشرِ الأُنس.

اطلبُــــــوا لأَنْفُسِكُــــــم مثْـلَ مــــا وجــدْتُ أنــــا
قــدْ وجَــدْتُ لــي سَكَنــا ليــس فــي هــواهُ عَنَــا
إنْ بعُــدْتُ قــرَّبنــي أو قَــرُبْــتُ منــه دنَــا

يا هذا! اِعْرِفْ قَدْرَ لُطفنا بك، وحِفْظِنا لَك، إنَّما نهيناكَ عن المعاصي صيانةً لك، لا لحاجَتِنا إلى امتناعِك، لمّا عَرَفْتَنا بالعَقْلِ حَرَّمْنا الخمرَ لأنّها تَسْتُرُه، ومثلُ يوسفَ لا يُخبَّأ.

يا متناولاً للمُسْكِرِ! لا تَفْعَل، يكفيكَ سُكْرُ جهْلِكَ، فلا تجْمَع بين خَليطَيْن، اجعلْ مراقبتَكَ لِمَنْ لا تَغيبُ عنهُ، وشكرَكَ لمن لا تَغُبُّك[١] نِعَمُه، وطاعتَك لمن لا ترجو خيراً إلا منه، وبُكاءك على قَدْرِ ما فاتك منه، وارفع إليه يدَ الذُّلِّ في طلبِ حوائجِ القلبِ تأتي وما تشعر.

يا هذا! عندَكَ بضائعُ نفيسةٌ، دموعٌ ودِماء، وأنفاسٌ وحركات، وكلماتٌ ونَظَراتٌ، فلا تبذلْها فيما لا قَدْرَ له، أيصْلُحُ أن تبكيَ لِفَقْدِ ما لا يبقى؟ أو تَـتَنَفَّسَ أسفاً على ما يَـفْنى، أو تَبْذُلَ مُهجةً لصورةٍ عن قليلٍ تُمْحى، أو تتكلَّمَ في حصولِ ما يَشين ويَـتْوى[٢].

وا عجباً! من مجنونٍ بلا ليلى، ويحك! دمعةٌ منك تُطْفي غَضَبَنا، وقطرةٌ من دمٍ في الشهادةِ تمحُو زَلَلَك، ونَفَسُ أسَفٍ ينسِفُ ما سَلَف، [وخُطواتٌ في

(١) تغبك: يقال: أغب في الزيارة: أتى يوماً وانقطع آخر، فتغب: فتنقطع.
(٢) يتوى: توى: هلك، والتوى: الهلاك.

رياضِنا تَغْسِلُ الخطيئات][1]، وتسبيحةٌ تَغْرِسُ لك أشجارَ الخُلْدِ، ونظرةٌ بِعبْرة تثمرُ الزُّهدَ في الفاني، ولكنّ تَصْحيحَ النقدِ شرطٌ في العَقْدِ.

سِلَعُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] لا تُباعُ إلا بدينار ﴿لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] إذا كان خارجاً من سبيكة ﴿وَءَامَنَ﴾ [طه: ٨٢] عن سِكَّة[2] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢] من دَارِ ضَرْبِ[3] ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

يا هذا! لو استَشْعَرْتَ زُرْمانِقَةَ[4] الزُّهْدِ، تحتَ مُطْرَفِ[5] «رُبَّ أشعَثَ أَغْبَر»[6]، وسُحْتَ[7] في باديةِ «يُدْفعون» لأَفَضْنا عليك خِلَعَ[8] «إذا رؤوا ذُكِرَ الله»[9].

يا هذا! إن لم تقْدِرْ على كثرةِ العملِ، فقِفْ على بابِ الطلبِ، تعرَّضْ بجَذْبَةٍ من جذَبات الحق، ففي لحظةٍ أفلحَ السَّحَرَةُ.

لا تجْزَعَنْ مِنْ كلِّ خَطْبٍ عَرا[10] ... ولا تُري الأعداءَ ما يُشمِتُ
يا قومِ بالصَّبْرِ يُنالُ المُنى ... إذا لقيتُم فِئَةً فاثبتوا

---

(١) زيادة من (ب).
(٢) السِّكَّة: قالب لسكّ العملة.
(٣) دار ضرب: المكان الذي تسبك فيه الدراهم والدنانير.
(٤) زُرْمانِقة: جبة من صوف، وفي الحديث: أنَّ موسى عليه السلام كان عليه زُرْمانِقة من صوف يوم قال له ربه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢].
وفي الصحاح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زُرْمانِقة، يعني: جبة صوف. (انظر: لسان العرب).
(٥) مُطْرَف: رداء من خزّ مربع له أعلام.
(٦) رواه الحاكم وأبو نعيم في (الحلية)، وصححه السيوطي في (الجامع الصغير).
(٧) سحت: من ساح يسيح سياحة: ذهب في الأرض وسار، والسائح: المتنقل في البلاد للتنزّه والاستطلاع والبحث والاعتبار.
(٨) خِلَع: جمع خلعة، وهي المنح من ثياب وغيرها.
(٩) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن مسعود بلفظ: «إنَّ من الناسِ مفاتيح لذكرِ الله إذا رُؤوا ذُكِرَ الله». وذكره في (الجامع الصغير) برقم (٢٤٦٦).
(١٠) عرا: حلّ ووقع.

طريقُ الوصولِ صعبة، وفي رِجْلِكَ ضَعْفٌ، ويحَك! دُمْ على السلوكِ تَصِلْ، أوّلُ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ[1] فَسيلةٌ[2]، بدايةُ الآدمي الشريفِ مُضْغَةٌ، ثمنُ المعالي جَدُّ الطالبِ، والفُتورُ مُزْمِنٌ، بلدُ الرياضةِ سحيقٌ ﴿لَّمْ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾ [النحل: ٧] ، سحابةُ الصيفِ أثْبَتُ مِنْ قولِكَ، والخطُّ على الماءِ أبقى منْ عَهْدِكَ.

مِـــنَ السَّلْـــوَةِ فـــي عينَيْـــــكَ آيـــاتٌ وآثـــارُ
أراهـــا منـــكَ بـــالـــذِّهــنِ وفـــي الألبَـــابِ أبصـــارُ
إذا مـــا بَـــرَدَ القلـــبُ فمـــا تُسَخِّنُـــهُ النـــارُ

يا هذا! إذا حضرَ قلبُكَ فنسيمُ الريحِ يُذَكِّرُك، وإنْ غابَ فمئة ألفِ نبيٍّ لا يُوصلون التذكرةَ إليك، تَاللهِ لقد أَلْمَعْنا المعنى، وما أَلزَمْنا الزَّمنى[3].

ولـي ألـفُ بـابٍ قـد عرفْـتُ طريقَـه ولكـن بـلا قلـبٍ إلـى أيـنَ أذْهَـبُ

* * *

---

(١) السَّحوق: الطويلة.

(٢) فسيلة: النخلة الصغيرة.

(٣) الزَّمنى: جمع زَمِن، وهو المريض بداء عُضال.

الفصل السابع والثمانون

يـا مَنْ يرْحلُ في كلِّ لَحْظَـةٍ عن الدُّنيـا مَرْحلةً، وكتابُه قد حَوَى حتّى قَدْرَ خَرْدَلة، كُنْ كيف شئتَ، فبَيْن يديك الحسابُ والزلزلة، يا عجباً من غفلةِ مؤمنٍ بالجزاءِ والمسألة، أَيَـقِيْنٌ بالنجاةِ أمْ غرورٌ وَبَلَه؟.

تبنـي وتجمـعُ والآثـارُ تَنْـدَرِسُ ... وتـأْمَـلُ اللُّبـثَ والأرواحُ تُخْتَلَـسُ
ذا اللُّبِّ! فكِّرْ فما في الخلدِ مِنْ طمَعٍ ... لا بـدَّ مـا ينتهـي أمـرٌ ويَـنْعَكِـسُ
أيـنَ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ ومَـنْ ... كانوا إذا الناسُ قاموا هيبةً جَلَسُوا؟
ومَـنْ سيـوفُهُـمُ فـي كـلِّ مُعْتَـرَكٍ ... تُخْشى، ودونَهُمُ الحُجَّابُ والحَرَسُ
مـاتـوا جميعاً ولـم يظهرْ لهم أثـرٌ ... وتحتَ أطباقِها في التُّرْبِ قدِ درَسُوا
أضحَـوْا بمَهْلَكَـةٍ فـي وَسْـطِ معـركـةٍ ... مَوْتى وماشِي الورى مِنْ فوقِهم يَطِسُ[1]
وعمَّهُـم حـدَثٌ وضمَّهـم جَـدَثٌ ... باتوا وهم جُثَثٌ في الرَّمْسِ قد حُبِسوا
كـأنَّهـم قَـطُّ مـا كـانـوا ومـا خُلِقـوا ... ومـاتَ ذكـرُهـمُ بيـنَ الـوَرَى ونُسُـوا
واللهِ لـو نَظَـرَتْ عينـاكَ مـا صَنَعَـتْ ... يـدُ البِلـى بِهِـمُ والـدودُ يَـفْتَـرِسُ
مـن أوجـهٍ نـاضـراتٍ حـارَ نـاظرُهـا ... في رَوْنَقِ الحُسْنِ منها كيف تَنْطَمِسُ
وأَعْظُـمٍ بـاليـاتٍ مـا بهـا رَمَـقٌ ... وليـسَ تَبْقـى وهـذا وهـي تُنْتَهَـسُ
وألسـنٍ نـاطقـاتٍ زانهـا أَدَبٌ ... خَفَتْ[2] وما شانَها[3] بالآفةِ الخرَسُ
لسبتهـمُ[4] ألسُـنٌ للـدَّهْـرِ فـاغـرةٌ ... فاهاً فآهاً لهم إذْ بالردى وُكِسُوا
عَرُوا عن الوَشْيِ لمّا أُلبِسُوا حُللاً ... من الرُّغامِ على أجسادِهم وكُسُوا[5]
حتَّـامَ يـا ذا النُّهـى لا تَـرْعَـوي سَفَهـاً ... ودمـعُ عينِـكَ لا يَهْمـي وينحبـسُ

---

(١) يطس: الوطس: الضرب الشديد بالخف وغيره.
(٢) في (ب): ما شأنها.
(٣) شانها: عابها.
(٤) لسبتهم: يقال: لسبته الحية وغيرها: لدغته، واللسب واللسع واللدغ بمعنى واحد.
(٥) كسوا: من الكسوة، أي: الثياب.

أيها المطمئنُّ إلى دنيا وهي تطلبُه بِدَخَلٍ[1]، قد مَرِضَتْ عَينُ بصيرتِه فيها فما يَنْفَع الكُحْلُ، يَتَبَخْتَرُ في رِيَاضِها وما يُصْبح إلا في الوَحْل[2]، انتبه للرحيل، ثم اشدُد الرَّحْل[3]، واستبدلْ خِصْبَ المَرادِ[4] عن قَحل المَحْل، وتأمَّرْ على نَفْسِك فللنَّحْلِ فَحْل.

اتـــرِكِ الشَّـــرَّ ولا تـــأْنَـــسْ بِشَـــرّ وتـــواضَـــعْ إنَّمـــا أنـــتَ بَشَـــرْ
هـــذه الأجســـامُ تُـــربٌ هـــامـــدٌ فمـــن الجهـــل افتخـــارٌ وأشَـــرْ[5]
جســـدٌ مـــن أربـــعٍ يَلْحظُهـــا سبعـةٌ مِـنْ فـوقِهـا فـي اثنَـيْ عَشَـر
فـــي حيـــاةٍ كخيـــالٍ طـــارقٍ شَغَـــلَ الفِكْـــرَ وخَـــلَّاكَ ومَـــرّ

تَاللهِ! لقد كَشَفَتِ الغِيَرُ ما انسَدَل، فلم يبقَ مِراءٌ ولا جدَل، [هذا حَمامُ الحِمامِ قد هَدَل[6]][7]، فكم صَرَخَ صوتُه وكم جَدَل[8]! يا جائرين احذروا ممَّن إذا قَضَى عَدَل، واعلموا أنَّ الآخرةَ ليس منها بدَل، هذا هو الصوابُ لو أنَّ المزاجَ اعتدَل.

يا مَنْ عُمْرُه كزمانِ الوَرْدِ، الْتَقِطَ واعتَصِرَ لا في زور، يا شمسَ العصرِ على القَصْرِ، قد بلغَ مركَبُكَ ساحلَ الحياة، ووقف بعيرُك على ثَنيَّةِ الوداع، وقاربتْ شمسُ عُمُرِكَ الطَّفَل[9]، وبقي من ضوء الأجلِ شَفَقٌ، فاستدركْ باقي الشعاعِ قبلَ غروب الشمس.

---

(١) **الدخل**: المكر والخديعة، وفي (ب): **الذحل**: وهو طلب الثأر أو طلب مكافأة بجناية أو عداوة.
(٢) **الوحل**: الطين الرقيق.
(٣) **الرحل**: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.
(٤) **المراد**: بفتح الميم: موضع التردد، يقال: مَراد الإبل: موضع رعيها مقبلةً ومدبرةً فيه.
(٥) **الأشر**: البطر.
(٦) **هدل**: صوّت.
(٧) زيادة من (ب).
(٨) **جدل**: يقال: جدَلْتُه تجديلاً: ألقيته على الجَدالة، وطعنه فجدّله.
(٩) **الطفل**: يقال: طفلت الشمس: مالت إلى الغروب.

أَيُنفَقُ العُمْرُ في الدُّنيا مجازَفَةً   والمالُ يُنفَقُ فيها بالموازينِ

البِدارَ البِدارَ قبل الفَوْتِ، الحذَارَ الحذارَ قبلَ المَوْتِ، ما في المقابرِ مِنْ دَفينٍ إلا وهو متألِّمٌ من «سوف»[(١)].

يا هذا! متى تُبْتَ بلسانِكَ، وما حَلَلْتَ عُقَدَ الإصرارِ مِن قلبِكَ؛ لم تَصِحَّ التوبةُ، كما لَوْ سَكَنَتِ الأمراضُ بغْتَةً من غيرِ استفراغٍ، فإنَّ المرضَ على حاله.

يا هذا! إذا لم يتحقَّقْ قصدُ القلبِ لم يُؤثِّرِ النطقُ باللفظ، إنَّ المُكْرَه على اليمينِ لا تنعقدُ يمينُه «إنَّما الأعمال بالنيّات»[(٢)] وقلبُكَ كلُّه مع الهوى، «**إنَّ في البدن مُضْغةً، إذا صَلَحَتْ صَلحَ البدن، وإذا فَسَدَتْ فسدَ البدَن، ألا وهي القلب**»[(٣)].

أكثرُ الأمراضِ أمراضُ الهوى، وأكثرُ القتلى بسيفه. أربابُ الهوى أطفالٌ في حُجورِ العاداتِ وإنْ شابوا. [انحدَرَتْ عزيمتُكَ في جَرَيانِ نَهْرِ الهوى، فاصبرْ صبرَ مَدَّادٍ لعلَّكَ تَردُّها][(٤)].

ويحك! انتبهْ لإصلاحِ عيوبِكَ، لعلَّ المُشْتَرِي يَرْضى، تَاللهِ إنَّ المُشتري ما يحبُّ تَثبُّطَ زُحَلٍ. اكفُفْ ثوبَ الكلام بالصمت وإلا تَنَسَّلَ[(٥)]. اِطْفِ حريقَ[(٦)] الهوى وإلا عَمِلَ. ارفُقْ بزجاج العُمْرِ فما يَنْشعِب[(٧)] إذا انكسر.

واعجباً! الظاهرُ غيرُ طاهر، والباطنُ باطل. الأمل بخارٌ فاسد. الرعونةُ علةٌ صعبة. منامُ المُنى أضغاثُ أحلام. رائدُ الآمالِ كذوب. مرعى المشتهي هَشِيم[(٨)]. العجزُ شريكُ الحرمان، التفريطُ مضاربُ الكسل. ديجورُ[(٩)] الجهلِ مُعْتِم.

---

(١) سوف: يشير إلى التسويف في الأعمال.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ولفظه: «**وإنَّ في الجسد مضغة... وإذا فسدت فسد الجسد**».

(٤) زيادة من (ب).

(٥) تنسل: تساقطت خيوطه وانقطعت.

(٦) في (ب): حرَاق.

(٧) ينشعب: يقال: شَعَبَ الصدعَ: لَمَّهُ وأصْلَحَه.

(٨) هشيم: النبات اليابس المتكسر.

(٩) ديجور: ظلام.

سؤر[1] الهوى مُغرِق. رَوْضُ اللهو وَبِيء[2]. غديرُ اللذاتِ غَدِر[3].

ظَلَلْتُ أكُرُّ عليه الرُّقَى ... وتأبَى عريكتُه[4] أنْ تلينا

كَمْ قَدْ لُمْتُكَ وما نَفَع! كم قَدْ نَصَبْتُ لك شَرَكاً وما تَقَع، قُفْلُ قلبك روميٌّ ما يقع عليه فَشٌ[5].

يا هذا! المجاهدةُ حربٌ لا يصلُحُ لها إلا بطل، متى تَغَيَّر من جنودِ عَزْمِكَ على الإنابةِ قلبٌ واحدٌ، لمْ آمَنْ قَلْبَ الهزيمة عليك.

وإذا كانَ في الأنابيبِ[6] خُلْفٌ ... وقعَ الطيشُ[7] في رؤوسِ الصِّعادِ[8]

أيها المريدُ! تلطَّفْ بنفسِك في الرياضةِ تَصِل. مشيُ القَطا بتدبير[9]، ومشي العصفور نقَزان، العنكبوت الفطِنُ ينسجُ في زاوية، والمغفَّلُ ينسجُ على وجه الأرض.

كنْ قيِّماً على جوارِحِك، وفِّها الحظوظَ، واستوفِ منها الحقوق، أما ترى حاضِنَ البيضِ يقلِّبُه بمنقارِه، لتأخذَ كلُّ بيضةٍ حظَّها من الحَضْنِ، ثمَّ أكثر ساعات الحضن على الأنثى، لاشتغال الذَّكَر بالكسبِ، فإذا صار البيضُ فراخاً كان أكثرُ الزَّقِّ على الأب ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

ما لَقِيَتْ حواءُ عُشْرَ ما لقي آدم، لأنَّها وإن شاركته في العلمِ بفقد صورة النعيم، فهو منفردٌ عنها بملاحظة المعنى، بَعْدَ عِزِّ ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [طه: ١١٦] يَقْبِضُ جبريل على ناصيتِه للإخراجِ، والمدنَفُ يقول: ارفق بي.

---

(١) سؤر: بقية الماء.

(٢) وبيء: وخيم.

(٣) غدر: من الغدر والخيانة.

(٤) عريكته: طبيعته.

(٥) فش: يقال: فَشَّ القفلَ فشاً، أي: فتحه بغيرِ مفتاح.

(٦) **الأنابيب**: جمع أنبوب: ما تصنع منه الرماح.

(٧) **الطيش**: يقال: طاش: عدل وانحرف.

(٨) **الصِّعاد**: جمع صَعْدة: وهي الرماح.

(٩) **التدبير**: النظر في عاقبة الأمر.

يا سائقَ البَكَراتِ[1] استَبْقِ فَضْلَتَها على الغُويرِ[2] فظهرُ البَكْر معقُورُ

كان يتوقَّفُ في خروجه لو ترك، ويتشبّث بذيلٍ لو نَفَع، ولسانُ الأسَى يصيحُ بمن آسا[3]:

تَزَوَّدْ مِنَ الماءِ النُّقاخِ[4] فَلَنْ تَرى بوادي الغَضى[5] ماءً نُقاخاً ولا بَرْدا
وَنَلْ مِنْ نسيمِ البَانِ والرَّنْدِ نَفْحةً فَهَيْهاتَ وادٍ يُنْبِتُ البَانَ[6] والرَّنْدا[7]
وكُرَّ إلى نجدٍ بطَرْفِكَ إنَّهُ متى تَسْرِ[8] لا تنظرْ عقيقاً[9] ولا نجدا

ما زال مُذْ نزل، يرفعُ قِصَصَ الغُصصِ، على أيدي أنفاسِ الأسفِ، فتصعد به صُعداءُ اللَّهَفِ[10]:

ألا يا نَسيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بابلٍ تَحَمَّلْ إلى أهلِ الحجازِ سلامي
وإنِّي لأهوى أنْ أكونَ بأرضِهِم على أنَّني مِنْها استفدتُ سِقامي

وا عجباً! مَنْ قلقِ آدمَ بلا مُعينٍ على الحزنِ، هوامُ الأرضِ لا تَفهمُ ما يقول، وملائكةُ السماءِ عندها بقايا ﴿أَتَجْعَلُ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ فهو في كربة، وحيدٌ بِدارِ غربة:

ألا راحمٌ مِنْ آلِ لَيْلَى فأشْتكي غرامِي لَهُ حتّى يَكِلَّ لِسانيا

* * *

(١) البكرات: جمع بكْرة: الفتية من الإبل.
(٢) الغوير: كزبير، ماء لبني كلب بن وبرة بناحية السماوة.
(٣) الأسى: الحزن. وآسا: أحزن، يقال: آساه، أي: أحزنه.
(٤) النُّقاخ: بضم النون، الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده، أي: ينقفه، أي يكسره.
(٥) الغضى: شجر من الأثل خشبه أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، واحده غضاة، وأهل الغضى أهل نجد.
(٦) البان: جمع بانة: ضرب من الشجر.
(٧) الرَّند: شجر طيب من شجر البادية.
(٨) تسْر: السير في الليل.
(٩) العقيق: الوادي الذي شقّه السيل قديماً فأنهره.
(١٠) صعداء: تنفس ممدود. اللَّهف: الحزن والتحسّر.

الفصل الثامن والثمانون

إخواني! أيامُ العافيةِ غنيمة باردة، وأوقاتُ السلامةِ لا تُشْبِهُها فائدة، فتناولْ ما دامتْ لديكَ المائدة، فليسَتِ الساعاتُ الذاهباتُ بعائدة:

مَضَى أَمْسُكَ الماضِي شهيداً مُعَدَّلاً[1] وأتبعـهُ يـومٌ عليـكَ شهيـدُ
فـإنْ تَـكُ بـالأَمْسِ اقتَرَفْتَ إساءَةً فبـادِرْ بـإحسـانٍ وأنـتَ حميـدُ
ولا تُبْقِ فِعلَ الصالحاتِ إلى غدٍ لعـلَّ غـداً يـأتـي وأنـتَ فقيـدُ
إذا ما المَنَايا أخطأتْكَ وصادَفَتْ حَميمَـكَ فـاعْلَـمْ أنَّهـا ستعـودُ

كأنكُم بالقيامةِ قد قَامَت، وبالنفسِ الأَمَّارة بالسوءِ قد لامَتْ، وانْفَتَحَتْ عيونٌ طالَما نامت، تحيَّرتْ قلوبُ العصاةِ وهامَتْ.

غـداً تُـوَفَّـى النفـوسُ مـا كسبَـتْ ويحصـدُ الـزارعـون مـا زَرَعـوا
إنْ أحسنُـوا أحْسَنُـوا لأنفسِهـم وإن أسـاؤوا فبئـسَ مـا صَنَعـوا

شبَكَةُ الحساب ضيِّقةُ الأعين[2]، لا يعبرُها شيءٌ، وَكِيلُ المطالبةِ خصمٌ ألَدُّ[3]، أَيَـنْطِقُ باقلُ[4] عُذْرِكَ بين يَدَيْ سَحبانَ[5] المناقشة، كلاّ أيقِنْ بالسجنِ.

يا هذا! إنَّكَ لم تَـزَلْ في حَبْس: **فأول الحُبُوس**: صُلْبُ الأب، **والثاني**: بطنُ الأمِّ، **والثالث**: القِماط[6]، **والرابع**: المكتب، **والخامس**: الكدُّ على

---

(١) **شهيداً**: أي شاهداً على عملك. **معدّلاً**: من العدالة وهو مَنْ قبلت شهادته.

(٢) **الأعين**: أي الفتحات.

(٣) **ألدّ**: شديد الخصومة.

(٤) اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق أصابعه وأخرجَ لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فضربوا به المثل في العيّ فقالوا: «أعيا من باقل» يريد أنَّ عذره لا يقوم للمحاسِب الذي شبهه بسحبان.

(٥) **سحبان**: رجل من وائل مشهور بفصاحته وبلاغته.

(٦) **القماط**: ما يُشَدُّ به الصبي في المهد.

العيال، **والسادس**: الموت، **والسابع**: القبر، فإن وَقَعْتَ في **الثامن**[(١)]، نسيتَ مرارةَ كلِّ حَبْس.

يا هذا! أُدْخُلْ حَبْسَ التقوى باختيارِك أياماً، ليَحْصُلَ لك الإطلاقُ في الأغراضِ على الدوام، ولا تُؤْثِرَنَّ إطلاقَ نفسِك فيما تُحِبُّ، فإنَّه يورِثُ حَبْسَ الأبدِ في النار.

إلى متى تسجنُ عقلَكَ في مطمورةِ[(٢)] هواك؟! أَوَيُحبس طاووس في ناووس[(٣)]؟!.

ويحكَ! تفكَّرْ فيما بينَ يديك، وقد هان الصَّبْرُ عليك، لما خفيت العواقبُ على المتّقين، فَزِعُوا إلى القلقِ، وأكثروا من البكاء، فعذلَهُم من يشفقُ عليهم، وما يدري العاذلُ أنَّ العذلَ على حَمْلِ الحُزنِ عِلاوَة[(٤)].

قيل لبعضِ العُبَّادِ: لِمَ تبكي؟.

قال: إذا لم أبكِ فما أصنع؟:

ما كانَ يقرأُ واشٍ سطرَ كِتْماني ... لو أنَّ دمْعيَ لم يَنْطِقْ بتبْيانِ
ماءٌ، ولكنَّه ذَوْبُ النفوسِ، وهَلْ ... ماءٌ تَوَلَّدُهُ مِنْ حَرِّ نيرانِ
ليتَ النَّوى إذ سقَتْني سُمَّ أَسْوَدِها ... سَدَّتْ سبيلَ امرئٍ في الحُبِّ يَلْحاني
قد قلتُ بالجِزْعِ لما أنكَروا جَزَعي: ... ما أبعدَ الصبرَ ممن شوقُهُ دانِ
عُجْنا على الرَّبْعِ نستسْقي له مطراً ... وفاضَ دمْعي فأرواهُ وأظْماني

قَوِيَ حَصْرُ الخَوفِ، فاشتدَّ كربُ القوم، فكلَّما هبَّ نسيمٌ من الرجاءِ وَلَّوا وجوهَهُم شَطْرَه[(٥)].

---

(١) **الثامن**: يشير إلى الموقف يوم الحساب.

(٢) **مطمورة**: حفرة يطمر فيها الطعام، أي: يخبأ.

(٣) **ناووس**: صندوق من خشب توضع فيه جثة الميت عند النصارى.

(٤) **عِلاوة**: ترقية.

(٥) **شطره**: نحوه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

يـا طـربـا لنفحـةٍ نَجْـدِيَّـةٍ أعـدلُ حَـرَّ القلـبِ بـاستبـرادِهـا
ومـا الصَّبـا رِيحـيَ لـولا أنّهـا إذا جَـرَتْ مَـرَّتْ علـى بـلادِهـا

عبارةُ النسيمِ لا يفهمها إلا الأحبابُ، وحديثُ البروقِ لا يروقُ إلا للمشتاق.

ومـرنَّـحٍ[1] فَطِـنَ النسيـمُ بـوجْـدِهِ فروى له خبرَ العُذَيْبِ[2] مُعَرِّضا[3]

العارِفُ غائبٌ عند ذكرِ الدنيا، وحاضرٌ عند ذكر الأُخرى، وطائشٌ عند ذكر الحبيب، ويحضر المجلس موثقاً بقيودِ الهمّ، فإذا ذُكِرَ الحبيبُ قطعَ الوجدُ السلاسلَ، إنَّ مداراةَ قيس تمكنُ[4]، ولكن لا عندَ ذكر ليلى.

(للخفاجي):

رَمـتْ بـالحِمَـى أبصـارَهـا مطمئنـةً فلمَّـا بـدَتْ نجـدٌ وهبَّـتْ جَنـوبُهـا
بَخِلْنـا عليهـا بـالبُـرى[5] فتقطَّعـتْ وقـلَّ لِنَجْـدِ لـو تفـرّتْ[6] قلُـوبُهـا

لو برزتْ ليلى ليلاً، لصارَ الظلامُ عند قيسٍ أوضحَ من الضحى.

إذا ما وَنَتْ[7] نادى الشوقُ فانبرَتْ[8] تَجِدُّ[9]، ومَنْ نادى به الشّوقُ أسرعا

مَنْ سمعَ ذِكْرَ الحبيب، ولم يَـثُـرْ قلبُه عن مستقرِّهِ فهو مدَّعٍ.

---

(١) المرنَّح: المتمايل من السكر وغيره.
(٢) العذيب: تصغير العذب؛ ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة.
(٣) معرضاً: التعريض ضد التصريح، يقال: عرَّض لفلان: إذا قال قولاً وهو يعنيه. والمعاريض في الكلام: التورية.
(٤) تمكن: أي ممكنة.
(٥) البُرى: جمع بُرة، وهي حَلْقة من نحاسٍ في أنف البعير، أي: أنه لما بدت نجد شددنا على النوق أزمّتها فتقطعت.
(٦) تفرت: تشققت.
(٧) ونت: ضعفت وفترت وكلت.
(٨) فانبرت: تعرضت وتصدت.
(٩) تجدّ: تجتهد في السير.

(لمهيار):

إذا ذُكِـرَ المحبـوبُ عنـدَ مُحبِّـهِ　　تـرنَّـحَ نشـوانٌ وجُـنَّ طَـروبُ
إذا قيل: مَـيٌّ لـم يسعْني لـذكْرِهـا　　خِبـاءٌ، ولـم يحبِسْ بُكـايَ رقيـبُ

كلامي صحيحُ المزاج، خفيفُ الرُّوح، أنا صائغٌ صانعٌ بابليٌّ[1]، لفظي يُبَـلْبِل[2]، أنا ماشطةُ[3] القوم، أنا لسان الوقت.

فكـأنَّ قُسّـاً فـي عُكـاظٍ[4] يخطُـبُ　　وكـأنَّ ليلـى الأخيليـةَ تنـدُبُ
وكُثَيِّـرَ عَـزَّةَ يـومَ بَيْـنٍ يُطْنِـبُ　　وابنَ المقفَّعِ في (اليتيمة) يُسْهِبُ

أنا طبيبٌ لبيب، أمزجُ التحذيرَ بالتشويقِ للعاملين، وأجعلُ كأسَ التخويفِ صِرْفاً للغافلين، وأجتهدُ في التَّلَطُّفِ جَهْدي بالعارفين.

الخام[5] يعجبُ البدوي، وأما الحضري فَدِقٌّ[6] مِصْرَ. الأوديةُ الحادَّة تؤذي الأبـدانَ النَّحيفـة. الزاهدُ ملاَّحُ الشَّـطِّ. والعارفُ ناتانيُّ[7] المركبِ. الزاهدُ مُقْتِبٌ[8]، والعارفُ في مَحْمِل[9]، نفسُ الزاهدِ تسيرُ به، وقلبُ العارفِ يطيرُ به. العارفُ خالٍ في الزحمة، غريبٌ في الوطن، خلوتُه بمعرُوفه، طُورُه[10] متى تقاضَاه[11] الشوقُ، حَضَرَ لا عن ميعاد، إذا وطئ بِساطَ الانبساط قال: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا سمع صاعقةَ الهَيْبَةِ قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) بابلي: نسبة إلى بابل، يريد أن لبيانه سحراً كسحر بابل.
(٢) يبلبل: من بلبل: فرّق وبدّد، ويريد أن عبارته تؤثر في النفوس.
(٣) ماشطة: امرأة تحسن المَشط وتتخذه حرفة.
(٤) عكاظ: سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة يتناشدون الأشعار.
(٥) الخام: النبات الغض الرطب.
(٦) الدق: الخلطة من الأبزار والتوابل.
(٧) ناتاني: أي النوتي، وهو الملاح الذي يدير السفينة في البحر، جمعه نواتي.
(٨) مقتب: مأخوذ من القتب: وهو الرحل الصغير على قدر السنام.
(٩) المحمل: الهودج.
(١٠) طوره: يشير إلى جبل الطور الذي خوطب عنده موسى عليه السلام.
(١١) تقاضاه: طلب منه أن يقضيه حقه.

وبأبى الجَوى[1] أنْ أُسِرَّ الهوى إذا امتلأ القلبُ فاضَ اللسانُ

إذا رأيتم ناطقاً بالحكْمَةِ قد طَرِبَ لها فاعذروه، فإنَّه قد صَدَرَ ولم تَرِدُوا بعدُ[2].

العالمُ المُحَقِّقُ قد اعتصَرَ مِنْ كرومِ المعارفِ خَنْدَريسَ[3] المعاني، فشَرِبَ منها حتى غُلِبَ، فإذا عَرْبَدَ بالطَّرَبِ، فلَم يَعْذُرْهُ الصاحِي، أمرَ ساقي النطقِ أن يدوْرَ بكأسِ اللَّفْظِ على أربابِ الألبابِ، فإذا القومُ نشاوى من الثمل[4]، فيصبح حينئذٍ موافقَ ﴿ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا ﴾ [يوسف: ٣٠]، ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [يوسف: ٣٢]، عَبَرنَاكم يا منقطعين، وعَلَيْنا أن نَرِدَ.

لا بدَّ للأميرِ أنْ يقفَ للسَّاقة[5]، عودوا إلى أوكارِ الكسلِ، فنحنُ على نيّة دخُولِ الفلاة.

اسمعوا وصايانا يا مُوَدِّعينَ، إذا جُنَّ الليلُ فسيروا في بوادي الدُّجى، وأنيخُوا بوادي الذُّلِّ، واجلِسُوا في كِسْرِ[6] الانكسار، فإذا فُتِحَ البابُ للواصلين دُوْنكم، فاهجُموا هجومَ الكذَّابين، وابسُطوا كفَّ ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ [يوسف: ٨٨] لعلَّ هاتفَ القبول يقول: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وإذا جِئْتُمْ ثَنِيَّاتِ اللِّوى فلِجُوا رَبْعَ الحِمَى في خَطَري[7]
وصفُوا شوقي إلى سُكَّانِه واذكُروا ما عندكُمْ من خَبَري
وَا حنيني نَحْوَ أيامٍ مَضَتْ بالحِمَى لم أَقْضِ منها وَطَري
كلَّ ما اشتقْتُ تَمَنَّيْتُكُمُ ضاعَ عُمْري بالمُنى وا عُمُري

* * *

---

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.
(٢) صدر: رجع بعد شربه. تردوا: من الورود على الماء.
(٣) الخندريس: الخمر القديمة.
(٤) الثمل: بقية الكأس.
(٥) الساقة: ساقة الجيش: مؤخره.
(٦) كِسْر: بكسر الكاف وتسكين السين: جانب الخباء.
(٧) خطري: يقال: خَطَر في مشيته خَطَراً، أي: اهتزَّ وتبختر.

الفصل التاسع والثمانون

آهٍ لنفسٍ أقبلتْ على العدوِّ وقَبِلَتْ، وبادرَتْ إلى ما يؤذيها من الخطايا وعَجِلَتْ، مَنْ لها إذا سُئِلَتْ عن قبيحِها فخجلتْ، وسُلَّ عليها سيفُ العِتابِ فَقُتِلَتْ؟!.

ما لِنَفْسي عَنْ معادِي غَفَلتْ؟! أَتُراها نَسِيَتْ ما فَعَلَتْ
أيها المغرورُ في لهوِ الهَوَى كلُّ نفسٍ سترى ما عَمِلَتْ
أفٍّ لِدُنيا فكمْ تخدَعُنا كم عزيزٍ في هواها خَذَلَتْ
رُبَّ ريحٍ لأناسٍ عَصَفَتْ ثمَّ ما إنْ لبِثَتْ أَنْ سَكَنَتْ
فكذاكَ الدَّهْرُ في تصريفِهِ قَدَمٌ زلَّت وأُخرى ثبَتَتْ
أينَ مَنْ أصبَحَ في غفلتِهِ في سُرورٍ ومُرَاداتٍ خَلَتْ
أصبحتْ آمالُه قد خسِرَتْ ودِيارُ اللهوِ منه خرِبَتْ
جُزْ على الدارِ بقلبٍ حاضرٍ ثم قل: يا دارُ ماذا فَعَلتْ؟
أَوْجهٌ كانتْ بُدُوراً طُلَّعاً وشموساً طالَما قد أشْرَقَتْ
قالتِ الدَّارُ: تفانَوا ومَضَوْا وكذا كلُّ مُقيمٍ إنْ ثَبَتْ
عاينُوا أفعالَهم في تُربِهم فَسَلِ الأجداثَ[1] عمَّا استُودِعَتْ
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ أو كأحلامِ منَامٍ ذَهَبَتْ

يا مَنْ هوَ في هُوَّةِ الهوى قد هَوَى[2]، كم مسلوبٍ بكفِّ النَّوى[3] عمَّا نوى، أين المستقِرُّ عيشُهُ، أدركَه التَّوى فالتوى[4]؟!.

أين الجبَّارُ الذي إذا عَلَّقَ بالشَّوى شَوَى[5]؟! أين شبعانُ اللذاتِ أدركَهُ

---

(١) الأجداث: القبور.

(٢) هوى: تردَّى وسقط.

(٣) بكف النوى: كناية عن الموت.

(٤) التَّوى: الهلاك. فالتوى: ذهب وهلك.

(٥) الشوى: الرِّجْلان وسائرُ الأطْراف. شوى: أَحْرَقَ.

الطوى لما طَوى[١]، ليته لما ذهب الأصلُ، تيقَّظَ الفرعُ[٢] فارعوى[٣]، إلى متى خَلْفٌ[٤] ووعد الدنيا كله خُلْفٌ؟!.

يا مُتْعِباً نَفْسَه بالحرص والقدر ما يتغير، الراضي مُرفَّهٌ، كم غرقت سفينةُ مهجة في لُجَّةِ حِرْصٍ، الطمع يخنقُ العصفور قبل الفخِّ، لما قَنَعَتِ العنكبوتُ بزاوية البيت سيق لها الحريصُ وهو الذبابُ، فصار قوتاً لها، وصَوَّتَ بها لسانُ العِبرة: رُبَّ ساعٍ لقاعِدِ.

ترسلُ قلبَكَ مع كل مطلوبٍ من الهوى، ثم تبعثُ وراءَه وقتَ الصلاةِ ولا يلْقاه الرسولُ، فتُصَلّي بلا قَلْب.

خَلَّفْتَ قَلْبَكَ في الأظعانِ إذ نَزَلَتْ ... بالمأزِمَيْنِ زمانَ النَّفْرِ بالنَّفَرِ[٥]
ورُحْتَ تطلبُ في أرضِ العراقِ ضُحًى ... ما ضاعَ عند مِنًى فاعجَبْ لذا الخبرِ
لمَّا طرَقْنا النَّقَا كان الفؤادُ معي ... فضَلَّ عنّيَ بين الضَّالِ والسَّمُرِ
يا أرجلَ العيسِ تُهنيكِ الرمالُ فما ... أغدُو بوجْدِي غداً إلا على الأثَرِ

عليَّ تفصيلُ الأمورِ والجُمل، وما يُرضَى للقبرِ بهذا العمل، يا مَنْ قد حمل الخطايا وبئسَ ما حمل، أفي سكرٍ أنتَ أم في ثمل[٦]؟! لو علمتَ أنَّ مكاوي الحديد قد أُحْمِيَتْ للسَّمل[٧]، ولم تفرِّق من اللِّباس بين الجديدِ والسَّمَل[٨]، يا ثقيلَ الطبعِ كالرَّملِ[٩]، فما يطربه الثقيل[١٠] ولا

---

(١) **الطوى**: الجوع. **طَوى**: كناية عن الموت.
(٢) **الأصل**: إشارة إلى الآباء والأجداد. **الفرع**: الأبناء.
(٣) **فارعوى**: انزجر.
(٤) **خَلْفٌ**: متخلف عن الأولين.
(٥) **المأزمين**: موضع بين المشعر الحرام وعرفة، والأصل في المأزم: كل طريق ضيّقٍ بين جبلين. **وزمان النفر**: اليوم الذي ينفرُ الناسُ فيه من منى بعد الرمي. **بالنَّفَر**: عدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة.
(٦) **ثمل**: الثَّمِل: من سكر فأخذ فيه الشراب.
(٧) **للسمل**: يقال: سمل العين: فقأها بحديدة محماة.
(٨) **السمل**: الخَلَق من الثياب.
(٩) **كالرمل**: فتات الصخر.
(١٠) **الثقيل**: ضرب من النغم.

الرَّمَل[١]، تعصي ثم تُصرُّ فتضيف إلى صفّينَ الجَمَل[٢]، يا مَنْ قدْ فقدَ قلبَهُ لا تيئسْ من عَوْدِه.

وقـدْ يجمـعِ اللهُ الشتيتيـنِ بعـدمـا يظنـانِ كـلَّ الظَّـنِّ ألاَّ تـلاقيـا

الهوى قاطن[٣]، والصوابُ خاطرٌ، وقلعُ القاطنِ صعبٌ، وإمساكُ الخاطرِ أصعب، الهوى متديّر[٤]، والمواعظ نزّالة[٥]، ومع مداراةِ الجملِ تصلُ[٦].

لما تزينَتْ زخارفُ الدُّنيا، تواثبتْ جُهّالُ الطبعِ لاتِّباعِ الهوى، فبُعِثَ العقلُ كافّاً لهم، فأقام عندهم، مُوكَّلاً بهم، وكلَّما زادَ في قيودِهم فكُّوا السلاسلَ، وكلّما تلا عليهم النصائح، أسمعوا القبائح.

فوا عجباً لمعـرِّفٍ بُلِيَ بمقاسـاةِ أنذال، ما يزالُ العقلُ يضرِبُ الأمثالَ، ويشـرحُ العواقبَ، ولكن من يسمع؟! احْضُر معه في خَلوةٍ، واستحضر صديقَ الفكرِ، فإنَّـه ثقـة، فـإن خرجتـم إلى المقابـرِ قـويَ دليـلُ النُّصـح، مـرّوا[٧] بقصـور المذنبين، تجـدوا طَعْم أخبـارِهم مُـرّاً[٨]، وجـوزوا علـى قبـور الصالحين، فقـد جُـوزوا[٩] في العاجـل ذكـراً، **«إذا مـات المؤمنُ بكى عليه مُصـلّاه مـن الأرض، ومصعـدُ عملِـه مـن السمـاءِ أربعيـن صباحـاً»**[١٠]،

---

(١) **الرمل**: إشارة إلى بحور الشعر، وقد زاد شيوعه في العصر الحديث.

(٢) **صفّين**: إشارة إلى معركة صفين بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما. **والجمل**: أي معركة الجمل بين أم المؤمنين عائشة وسيدنا علي رضي الله عنهما.

(٣) **قاطن**: مقيم.

(٤) **متدير**: من تدير المكان اتخذه داراً، يشير إلى تمكن الهوى من النفس.

(٥) **نزالة**: كثرة النزول.

(٦) إشارة إلى حسن سياسة النفس.

(٧) **مروا**: من المرور.

(٨) **مرّاً**: من المر وهو العلقم.

(٩) **جوزوا الأولى**: مُروا. **وجوزوا الثانية**: أثيبوا.

(١٠) رواه ابن المبارك في الزهد، وعبدُ بن حُميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن المنذر دون قوله: «أربعين صباحاً» بلفظ: **«إذا ماتَ العبدُ الصالحُ بكى عليه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩]»** كنز العمال (٤٢٩٦٦).

وا عجباً للبِقـاع تبكـي عليهم، وتبكي منكم[1].

أمَّا الـوقـوفُ فقـد وَقَفْـتُ بـدارِهـم   وسـألتُهـا لـو أنَّ داراً تفهـمُ
وإذا رأيـتُ طلـولَهـم أيقنـتُ أنْ   نَ الـدَّارَ يُخْـرِبُهـا البلـى ويتمِّـمُ
نَحَلْـتَ لِبينهـمُ ولـم أكُ عـارفـاً   أنَّ الـديـار بهـم تصـحُّ وتَسقـمُ

يا له من عذل، لو كان للمعاتَبِ فَهْم، لقد نفختُ ـ والله ـ لو كان ثَمَّ فحم.

(للشريف الرضي)[2]:

والحُـرُّ مَـنْ حَـذَرِ الهـوانِ   يُـزايـلُ[3] الأمـرَ الجسيمـا
والعـاجـزُ المـأفُـونُ[4]   أقعـدُ مـا يكـونُ إذا أُقيمـا

العباراتُ حظُّ النفوس، والإشاراتُ قوتُ القلوب.

نزلَ بعضُ أرباب المعاملة إلى الشطِّ فصاح: يا ملاحُ تحملني؟.

فقال: إلى أين؟.

قال: إلى دار الملك؟.

فقال: معي ركاب إلى القطيعة[5].

فصاح الفقير بالملاح: لا باللهِ لا باللهِ، أنا منذُ سبعينَ سنةً أفِرُّ منها.

دخل ذو فطنة إلى دار قوم، فرأى حُبّاً[6]، وإلى جانبه مَرْكَن[7] قد زُرِعَ فيه صَبْر، فتواجد فقال: حُبٌّ إلى جانبه صَبْرٌ.

---

(١) في (أ): تبكي منهم.
(٢) من قصيدة عاتب فيها الوزير البرقومي. انظر: ديوان شعره: ٢/ ٤٢٨.
(٣) يزايل: يحاذر.
(٤) المأفون: الضعيف العقل.
(٥) الظاهر أنه اسم مكان، وهذا المحب منعه الركوب في السفينة خوفاً من القطيعة حتى من ذكر اسمها.
(٦) حُبّاً: بضم الحاء: الخابية.
(٧) مركن: وعاء يغسل فيه الثياب.

يا نازلينَ الحِمَى رفقاً بقلبِ فتًى إنْ صاحَ بالبينِ داعٍ باحَ مُضْمَرُهُ
وقد يميلُ إلى المغنى يُسَائِلُهُ أخو الغرامِ ولكنْ مَنْ يخبّره
وما ذكرتُكُمُ إلا وَهِمْتُ جوًى وآفةُ المُبْتَلى فيكُم تذكُّرُه
ولا عزمْتُ على سُلوانِ حُبّكُمُ إلاَّ ويخذُلُني قلبي ويَنْصُرُه

أين الذين كانوا نجوم الدنيا وأقمارَ الآخرة، قياماً كالأعلام[1]، على جوادِ الهوى، تقوى بأنفاسهم نفوسُ أنفاسِ أهل التقوى، يُصَوّتون بالمنقطعِ، ويُرشدونَ المتحير، ما بقي في الديار ديّار.

نسيمَ الصَّبا إنْ زرْتَ أرضَ أحبّتي فخُصَّهُمُ عنّي بكلِّ سلامِ
وبَلِّغْهُمُ أنّي رهينُ[2] صبابةٍ[3] وأنَّ غرامي فوقَ كلِّ غرامِ
وإنّي لَيَكْفيني طروقُ خيالِهم لو أنَّ جفوني مُتِّعَتْ بمنامِ
ولستُ أُبالي بالجِنانِ وباللظى إذا كان في تلكَ الديارِ مَقامي
وقد صُمْتُ عن لذّاتِ دَهْرِي كلِّها ويومَ لِقاكُم ذاكَ فِطْرُ صيامي

رحلَ القومُ وتخلَّفنا، وبادَرُوا[4] أيامَهم وسوَّفْنا، وعرفنا طريقَهم لكنّا انقطعنا، فسيروا بنا، فإنْ لحقنا وإلاّ تأسَّفْنا.

يا صاحبي إنْ كنتَ لي أو معي فعُدْ إلى روضِ الحِمَى نرتعِ
حيِّ كثيبَ الرملِ رملِ الحِمَى وقِفْ وسلِّمْ لي على لعلعِ
وسَلْ عن الوادي وأربابِه وانشُدْ فؤادي في رُبى المجمَعِ
وابكِ فما في العينِ من فَضْلةٍ وَنِبْ[5] فَدَتْكَ النفسُ عنْ مَدْمَعي
واسمعْ حديثاً قد رَوَتْه الصَّبا تُسْنِدُهُ عن بانةِ[6] الأجْرَعِ
وانزِلْ على الشِّيحِ بواديهمُ واشممْ عُشَيْبَ البلدِ البَلقعِ
بَلِّغْ تحيّاتي إلى رَبْعِهم وقلْ ديارَ الظاعنينَ اسْمعي

---

(١) الأعلام: الجبال.
(٢) رهين: مرهون، وهو ما وضع عندك لينوب مناب ما أُخذ منك.
(٣) صبابة: عشق.
(٤) بادروا: سارعوا وسابقوا.
(٥) نِبْ: فعل أمر من ناب ينوب نيابة.
(٦) بانة: ضرب من الشجر.

رِفْقاً بِنِضْوٍ[1] قد بَراهُ[2] الأسى ... يا عاذلي لو كانَ قلبي معي
لَهْفي على طِيْبِ ليالٍ خَلَتْ ... عُودِي تَعودي[3] مُدْنَفاً قدْ نُعي
إذا تذكرتُ زماناً مَضَى ... فويحَ أجفانيَ مِنْ أَدْمُعي
أراجِعٌ لي وصلُهم بعدها ... يا نفسُ إنْ لم يَصِلوا ودّعي
يا نفسُ كم أتلو حديثَ المُنى ... ضاعَ زماني بالمنى فاقْطعي
يا قلبُ لا تسْكُنْ على بُعْدِهم ... وأنتِ يا عينُ فلا تهْجَعي

* * *

(١) نضو: مهزول، بالٍ.
(٢) براه: أنحله وجعله هزيلاً.
(٣) تعودي: من عيادة المريض، وهو مجزوم بالطلب. (عُودِي) بمعنى: ارجعي.

الفصل التسعون

إخواني! ألا ذو سمعٍ وبصرٍ، يعلمُ أنَّ الأعمارَ فيها قِصَر، ألا مُتلمِّحٌ ما في الغِيَرِ من العِبَرِ، ألا ذاكرٌ بيتَ الترابِ والمَدَر.

تَنبَّهْ فإنَّ الدَّهْرَ ذو فَجَعَاتِ ... وشَمْلُ جميعٍ صائرٌ لِشَتاتِ
نُخَلِّفُ مأمولاتِنا وكأننا ... نسيرُ إليها لا إلى الغَمَراتِ[1]
هل المرءُ في الدُّنيا الدنيَّةِ ناظِرٌ ... سوى فَقْدِ حِبٍّ أو لقاءِ مماتِ
وما حركاتُ الدَّهْرِ في كلِّ طَرْفَةٍ ... بلاهيةٍ عن هذه الحركاتِ
سَيُسْقى بنو الدُّنيا كؤوسَ حتوفِهم[2] ... إلى أنْ ينامُوا لا منامَ سُباتِ
وما فوجِئَتْ نفسٌ بِبَلْوى وقد رأتْ ... عِظاتٍ من الأيامِ بعدَ عِظاتِ
إذا بغتَتْ أشياءُ قد كانَ مثلُها ... قديماً فلا تَعْتَدَّها بَغَتاتِ
وأعقبْ من النَّومِ التَّنبهَ راشداً ... فلا بدَّ للنَّوَّام من يَقظاتِ

يا مَنْ يجولُ في المعاصي قلبُه وهمُّهُ! يا معتقداً صحّتَه فيما هو سَقَمُه! يا مَنْ كلّما طال عمرُه زادَ إثمُه! أين لذةُ الهوى؟ رَحَلَ المطعومُ وطعمُه، يا من سيجمعُهُ اللّحدُ عن قريبٍ ويَضمُّه، كيف يُوعظُ من لا يعِظُه عقلُه ولا فَهْمه؟! كيف يُوقَظ مَنْ قد نامَ قلبُه لا عينُه ولا جِسْمُه؟!.

ويحَكَ! تدارك أمرَكَ قبلَ الفَوْتِ، أتنفَعُ الاستغاثةُ والسمُّ قد وَصَلَ إلى القلبِ؟! إنَّ الدِّرياقَ[3] يَصْلُحُ قبلَ اللسعِ، ومذهبُ ابن سُريجٍ يُستعمَلُ قبلَ الطَّلاقِ[4].

---

(١) **الغمرات**: الشدائد: كناية عن شدائد الموت.

(٢) **حتوفهم**: جمع حتف، وهو الموت.

(٣) **الدرياق**: دواء السموم، (فارسيٌّ معرب).

(٤) **مذهب ابن سُريج**: يشير إلى مذهب ابن سُريج في المسألة المشهورة بالسُّريجية، وصورتها أن يقول الزوج لزوجته: «متى طلقتُكِ فأنتِ طالقٌ قبله ثلاثاً، فطلقها» فمذهبُه=

لِمَ أحدِّثُ والقلبُ غائبٌ؟! لِمَ أُعاتِبُ والفكرُ ذاهلٌ؟! وا أسفا من ضربِ الخراجِ[١] على بلدٍ خرابٍ.

ويحك! أجمادٌ أنتَ أم حيوان؟! هذا الفهدُ على خساسةِ خُلقِه يُصَادُ بالصوتِ الحسنِ، ومتى وثبَ على الصيدِ ثلاثَ مراتٍ ولم يدركه، غضب على نفسه، كم قد وثبْتَ على هواكَ مرةً فلم تقدر عليه، فأينَ غضبُك على التقصيرِ؟! هيهاتَ، ليس عند الطاووس إلا حُسن الصورة، تُفيقُ في المجلسِ لحظةً، ثم تذكر الشهوات فيُغمى عليك، وإنَّ الغرابَ إذا سَكِرَ بشَرابِ الحِرْصِ تَنَقَّلَ بالجيفِ، فإذا صحا من خُماره نَدَبَ على الطَّلَلِ[٢]، لما عزَّت نفسُ الببغاءِ زاحَمَتِ الآدميين في النّطق، وهي تتناول بكفّها مِنْ جِنْسِ مَطاعِمهم.

وا عجباً لبهيمٍ يتشبّه بالناس، ولإنسانٍ يتشبّه ببهيم، كلُّ هذا سببه الهمّة[٣]، لا يطمعَنَّ البطالُ[٤] في مَنازِلِ الأبطالِ، إنَّ لذّةَ الراحةِ لا تُتَناول بالراحةِ[٥]، من زرع حصد، ومن جَدَّ وجد.

(لأبي فراس):

وكيفَ يُـنالُ المجدُ والجسمُ وادعٌ[٦] وكيف يُحازُ الحمدُ والوَفْرُ[٧] وافِرُ[٨]

= عدم وقوع الطلاق المعلّق ولا المنجز، وقد ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في (منهاج الطالبين) ثلاثةَ أقوال: وقوع المنجز فقط، وقيل: ثلاث، وقيل: لا شيء. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لا يجوزُ التقليدُ في عدم الوقوع. وقال ابن الصباغ: وددتُ لو مُحيتْ هذه المسألة، وابن سريج بريءٌ مما نُسِبَ إليه. انظر: مغني المحتاج شرح المنهاج، للخطيب الشربيني: ٣/ ٣٢٤.

(١) **الخراج**: ما تفرضه الدولة على الأرض المفتوحة غلة يؤدونها مع إقرار أهلها عليها.

(٢) **التنقل**: أكل النَّقْلِ، والنقل: المكسّرات. **خُماره**: سكره. ندب: يقال: ندب الميت: بكى عليه وعدّد محاسنه. **الطلل**: بقايا الديار.

(٣) **الهمة**: العزم القوي.

(٤) **البطّال**: المتعطّل عن العمل.

(٥) **الراحة**: ضد التعب.

(٦) **وادع**: أي ذو دَعةٍ وراحة، أي: مستريح.

(٧) **الوَفر**: المال الكثير.

(٨) **وافر**: مخزون، مدّخر موفّر، والموفور: التام.

أيُّ مطلوب نِيْلَ مِنْ غيرِ مشقّةٍ؟! وأيُّ مرغوبٍ لم تَبْعُدْ على مؤثِرِه الشُّقة؟! المالُ لا يَحصلُ إلا بالتّعبِ، والعلمُ لا يُدرَكُ إلا بالنَّصَبِ[1]، واسمُ الجوادِ لا ينالُه بخيلٌ، ولقبُ الشجاعِ بعدَ تعبٍ طويلٍ.

(للمتنبي):

لا يُـدرِكُ المجـدَ إلا سيـدٌ فطـنٌ ... لِمـا يَشُـقُّ علـى الساداتِ فَعَّـالُ

لـولا المشقّـةُ سـادَ النَّاسُ كلُّهُـمُ ... الجـودُ يُفْقِـرُ والإقـدامُ قَتَّـالُ

يا أعجميَّ الفهمِ! متى تَفْهمُ؟ يا فَرِحاً بلذّةٍ عُقباها جهنّمُ! ستدري متى تبكي ومتى تندم؛ إذا جثا الخليلُ وتزلـزل ابنُ مريم[2]! يا عاشقَ الدنيا كم ماتَ مُتَيّمٌ! ما للفلاحِ فيكَ علامةٌ، واللهُ أعلمُ. إنْ كانَ ثَمَّ[3] عُذْرٌ، فقُلْ وتكَلَّمْ.

غابَ الهدهدُ عن سليمانَ ساعةً فتواعدَه[4]، فيا غائباً عَنّا طولَ عُمُرِه، أما تحذَرُ غضَبَنا؟!.

خالفَ موسى الخضرَ في طريقِ الصحبةِ ثلاثَ مرّات، فحلّ[5] عُقدةَ الوَصْلِ بكفِّ ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٨]، أما تخافُ يا مَنْ لم يَفِ لنا قطّ، أنْ نقولَ في بعضِ زلاّتِك: ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.

أعظم عذابِ أهلِ النارِ جهلُهم بالمعذِّب، لو صحَّتْ معرفتُهم بالمالكِ، لما استغاثوا ﴿ يَٰمَٰلِكُ ﴾ [الزخرف: ٧٧][6].

وَقَعَ بينهم شخصٌ ليس مِنَ الجنْسِ[7]، كانت في باطنِه ذرةٌ مِنَ المعرفة،

---

(١) النصب: التعب.
(٢) الخليل: أي إبراهيم عليه السلام. وابن مريم: سيدنا عيسى عليه السلام، وذلك عندما يؤتى بجهنّم يومَ القيامة، فتزفر زفرة تجثو لها الأمم في أرض المحشر.
(٣) ثَمَّ: هناك.
(٤) تواعده: هدّده.
(٥) فحلّ: أي حلّ الخضر عليه السلام عقد المصاحبة.
(٦) سورة الزخرف، الآية ٧٧: ﴿ وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾.
(٧) وقع بينهم: أي بين أهل النار. ليس من الجنس: ليس من الكافرين المخلدين.

فكلَّما حمَلَتْ عليه[1] النارُ اتّقاها بِدِرْع «يا حنّانُ يا منّانُ»[2] كان موتُه في المعاصي سكْتَةً، فَقُبِرَ في جهنّم، فلمَّا تحرّكَ الروحُ في الباطنِ أُخْرِج، رأى الأسباب بيدِ المسبِّبِ، فتعلّقَ بالأصلِ.

إخواني! اليومَ رجاؤنا للرحمةِ قويٌّ، فكيف نصنعُ غداً إن ضَعُفَ؟!.

هـذا جَـزَعِـي ومـا خـلا معنـاكُـمُ ... مـا أصنـعُ يـومَ بينِكـم حـاشـاكُـمُ
أقسمْـتُ بكـم لكـم وحسبـي ذاكُـمُ ... لا أذكـرُ غيـرَكـم ولا أنسـاكُـمُ

أزعجتموني بتقلقلكم يا تائبين، أخرجتموني عن الحدّ يا خائفين.

يـا صَبـا نجـدٍ وبـانـاتِ الغَضَـى ... أَرْفُقا بي في التَّثَنّي[3] والهبوبِ[4]

يتقوَّمون بمقالي، ويقومون على حَرِّ المقالي[5]، ويخرجُ عاطِلُ البطالةِ وهو خالي، وأنا أدري ما حالي ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

يـا غـاديـاً نحـوَ هضـابِ الحِمَـى ... بلِّـغْ رسـومَ الـدارِ مـا عنـدي
كـم لـي بتلـكَ الـدَّارِ مِـنْ وِقْفَـةٍ ... أشكـو مِـنَ الْهِجْـرانِ والصَّـدِّ

يا ركبَ التوبـةِ! إن تزودتم فـالتقوى، وإن سـرتم إلى اللهِ فاحملوا معكم

---

(١) حملت عليه: أغارت.
(٢) أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس، وأبو ظلال ضعيف، ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء بلفظ: «إنَّ رجلاً يدخلُ النارَ فيمكث فيها ألفَ سنة ينادي: يا حنّانُ يا منّانُ! فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأتني بعبدي، قال: فيجيء به، فيوقفُه على ربه، فيقول الله تعالى: كيف وجدتَ مكانك؟ فيقول: شرُّ مكان، قال: فيقول: رُدّوه إلى مكانِه. قال: فيمشي ويلتفتُ إلى ورائه، فيقول الله عزَّ وجلّ: إلى أيّ شيء تلفّت؟ فيقول: لقد رجوتُ ألّا تعيدني إليها بعد إذا أخرجتني منها! فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة»، ورواه البيهقي في (الشعب) وضعّفه، وابن أبي الدنيا في كتاب (حُسن الظن بالله).
(٣) التثني: إشارة إلى حركة البان بهبوب الصبا عليه.
(٤) الهبوب: يشير به إلى حركة الصبا.
(٥) المقالي: جمع مقلاة، وهي ما يقلى فيها.

رسالةَ متلهِّفٍ تحتوي على حسرةِ مُحْصَرٍ[1].

يـا حـاديَ العيـسِ تـرفَّـقْ واستمـعْ منـي وبلّـغْ إنْ وصلْـتَ عنـي
وَقِـفْ بـأكنـافِ الحِجـازِ نـاشـداً قلبـي فقـدْ ضـاعَ الغـداةَ منـي
وقـلْ إذا وصلْـتَ نحـو أرضِهِـمْ ذاكَ الأسيـرُ مـوثَّـقٌ بـالحُـزْنِ
عَـرِّضْ بـذكـري عنـدَهُـمْ عسـاهُـمُ إن سمعـوكَ سـائلـوكَ عنِّـي
قل: ذلك المحبوسُ عن قصدِكُم معـذَّبُ القلـبِ بكـلِّ فَـنِّ
يقـول: أَمَّلْـتُ بـأنْ أزورَكـم فـي جملـةِ الـوَفْـدِ فخـابَ ظنِّـي

يا معاشرَ التائبين! بحُرمةِ الصحبةِ لا تنسَوْني غداً، بايعتُكم على المُلكِ فلا تنسَوْا كرامةَ الدَّلالِ، أعوذُ بك يا إلٰهي أن تجعلَ حَظِّي لفظي، وا أسفي أصف وأُصَفِّي، ويَشربُ غيري.

(للشريف):

فَعِنْدي زفيـرٌ ما تـرقَّى إلى الحشـى وعنـدي دمـوعٌ مـا بَلَغْـنَ المـآقيـا

وا حسـرتا! أأكونُ كالقوسِ دفَعتِ السـهمَ فمرَّ ولم تبرحْ؟! أأصيرُ كالإبرةِ تكسو غيرَها وهي عُريانةٌ؟! أَأُشْبِهُ حالَ الشمعةِ أضاءَتْ غيرَها باحتراقِ نَفسِها؟!.

أتُـرى يـرجـعُ لـي دهـرٌ مضـى أتُـرى ينفعنـي قـولـي تُـرى
وَيْـكِ يـا عيـنُ أعينـي قَلَقـي إنْ تـوانيْـتُ فـلا ذُقْـتِ الكَـرى

إلٰهي! أيقَظْتَني في الصِّبا، وأقمتَني أدلُّ الخلقَ عليكَ، ومزجْتَ كأسَ نطقي بعذوبة، وجعلْتَني في إخباري معروفاً بالأمانة، فركَنَ إليّ أهلُ المعاملةِ، ولو عَرَفُوا إفلاسي ما عُوملتُ.

إلٰهي طالَ ما اجتذبْتُ العصاةَ بعد أنْ تهافتوا في النارِ، أَفَيَصْدُرُون وأَرِدُ؟!.

سيدي إنْ لم أصلُحْ للرِّضا فالعفوَ العَفْوَ.

* * *

---

(١) محصَر: الذي حبس عن أداء النسك.

الفصل الحادي والتسعون

إخواني! أما يُنبِّهُ على استعدادِ الزادِ سلبُ الآباءِ وأَخْذُ الأجداد؟! أما يُحرِّكُ إلى التيقُّظِ ونفي الرقادِ عكسُ المُشْتَهي وردُّ المرادِ؟!.

(للشريف الرضي)[1]:

لنا كلَّ يومٍ رنَّةٌ خَلْفَ ذاهبٍ ومُسْتَهْلَك بين النَّوى[2] والنوائبِ[3]
ونأمَلُ مِنْ وَعْدِ المُنَى غيرَ صادقٍ ونأمَنُ مِنْ وَعْدِ الرَّدَى غيرَ كاذِبِ
نُراعُ إذا ما شِيْكَ[4] أخمصُ بَعْضِنا وأقدامُنا ما بَيْنَ شَوْكِ العَقارِبِ
نَعَمْ إنّها الدُّنيا سِمَامٌ لِطاعِمٍ وَخَوْفٌ لمطلوبٍ وهمٌّ لِطَالِبِ
وإنَّا لنهواها على الغَدْرِ والقِلَى[5] وَنَمْدَحُهَا مع عِلْمِنَا بالمعايِبِ

أيُّ مطمئنٍّ لم يُزْعَج؟! أيُّ قاطنٍ لم يُخرَج؟! فَرَسُ الرَّحيلِ لنا مُسْرَج، وما جرى على الأقرانِ أنموذج.

يا مختالاً في ثوبِ الصِّبا مُعْجَباً بِمُرْطِه[6]، شَرْطُ المقام الرَّحيلُ، وقد تقاضَى بشرطِهِ، أما لكَ عبرةٌ في رَفْعِ الزَّمانِ وحَطِّهِ، أما ترى رُقومَ[7] المنايا مكتوبةً بخطِّهِ، أما أَعْرَبَ[8] المسطورُ بشَكْلِ المرضِ ونَقْطِه، هلاَّ تصوَّرَ العاصي

---

(١) من قصيدة قالها يرثي خاله أحمد بن الحسين الناصر، سنة (٣٩١هـ). انظر: ديوان شعره: ١/١٣٦.
(٢) النوى: البعد.
(٣) النوائب: المصائب.
(٤) شيك: غزته شوكة: أي دخلت في أخمصه.
(٥) القلى: البغض.
(٦) مرطه: المرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به.
(٧) رقوم: جمع رقم، وهو النقش.
(٨) أعرب: أفصح وأبان.

ساعةَ إنزالِهِ إلى القبرِ وحَطِّه، أفلا يتذكَّرُ الفتى أخذَ مالـه على رَغْمِه ومِنْ أَصْلِ قرطه.

يـا مَنْ قد قاده بلا خِزامةٍ[1]، لو قبلْتَ مشورَةَ العقلِ لم تَتَجرّعْ مـرَّ (لو) و(لَيْتَ)[2]، قدّرْ أنَّ الزَّلَل يخفى على الخلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤]، صوّر أنّه قد عفا عنك فأين الحياء مما جنيتَهُ؟!.

هـبِ البعـثَ لـم تَـأْتِنَـا رُسْلُـهُ وجـامحـةُ النـارِ لـم تُضْـرَمِ
أليـسَ مـن الـواجـبِ المُستَحِـق حيـاءُ العبـادِ مِـنَ المُنْعِـمِ؟!

أقلُّ نعمِهِ أنْ أَوْسَعَ عَرْصَةَ[3] الوجودِ، لئلا يضيقَ نَفَسُ النَّفْسِ بالحَصْرِ، وأجرى بَحْرَ الهواءِ في جوِّ الفَضاء يُقْتَسَمُ بمكاييلِ الخياشيم، فيَصِلُ بالعَدْلِ إلى ذواتِ الذوات، واعجباً للغافلينَ عن هذا المنعمِ!.

بماذا اشتغلوا؟! أجهلاً بوجوده؟! فهو أوضحُ من ضُحى. أم ميلاً إلى الدنيا؟ فهي أغدرُ من تاء بتَمْتَام[4]؛ إنْ سَلِمَتْ فَتَنَتْ، وإنْ تَلِفَتْ أهلكت!.

وقعَ نَحْلٌ على نيلوْفَر[5] منتشر الورقِ، فأحبَّ رِيحَهُ، فأقامَ، فلمَّا تقبّضَ الورقُ وغاصَ؛ هَلَكَ العاشقُ.

إخواني! إيَّاكم والذنوبَ، فإنّها أذلّت عزيزَ ﴿ ٱسْجُدُوا ﴾ [البقرة: ٣٤]، وأخرجَتْ مَقْطَعَ ﴿ ٱسْكُنْ ﴾ [البقرة: ٣٥]، لولا لطفُ ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ﴾ [البقرة: ٣٧] كان العجب، استراحَ آدمُ إلى بعضِ العناقيدِ، فإذا به في العنا[6] قِيد.

جاءَ جبريلُ فسلَّم عليه فبكى وبكى جبريل، ثم قال: يا آدمُ! ما يبكيك؟ قال: كيفَ لا أبكي وقد حوّلني ربي من دارِ النعيم إلى دارِ البؤس؟! واعجباً بمجيء جبريل زاد المريض ألماً.

---

(١) **الخزامة**: حلقة من الشعر تُجعل في وَتَرةِ أنفِ البعيرِ يُشدّ بها الزمام.
(٢) **(لو، وليت)**: حرفان للتمني، وهو تعلق القلب بمرغوب مع تعذر نواله.
(٣) **عرصة**: كل بقية بين الدور واسعة ليس فيه بناء، جمعها: عراص وعرصات.
(٤) **التمتام**: من يتعثر لسانُه بالنطق بحرف التاء.
(٥) **النيلوفر**: نبات ذكي الرائحة.
(٦) **العنا**: التعب.

آهِ لِبَــــرْقٍ لَمَعــــا   مــاذا بِقَلْبِــي صَنَعــا
أيْقَـــظَ منِّـــي للغــــرا   مِ مُستهــامـاً مُــوْجِعــا
فَبِــتُّ مِــنْ إيمــاضِــهِ   أسْكُــبُ دَمْعِــي دُفعــا
يــا بَــرْقُ أمــا تُــرينــي   للصَّنِيْــعِ مَــوْضِعَــا
فحَيِّــي عَنِّــي أرْبُعــاً[1]   أكْــرِمْ بِهِــنَّ أربعــا
يــا نــاظــراً أُقْسِــمُ مِــنْ   بَعْــدِ النّــوى لا هَجَعــا
كَبِّــرَ مُــذْ فــارَقَهُــمْ   علــى الــرُّقــادِ أرْبَعــا
كَــمْ كَبــدٍ قَطَّعهــا   بَيْــنُ الحبيــبِ قِطَعــا
حَمَّــلَ وَجْــدِي جَلَــدِي   أكثــرَ ممّــا وَسِعــا

خرجَ آدمُ يؤمُّ الكعبةَ، فلمّا وصلَ طافَ أسبوعاً[2]، فما أتمَّه حتى خاضَ في دموعِه.

دُمــوعُ عينــي مُــذْ جــدَّ بينُهُــمُ   مِثْــلُ الــدَّوالي وهــي الــدّوا لــي[3]

فَشَمِتَ به إبليسُ حين نزلَ، وما عَلِمَ أنَّ نزولَه إلى دارِ التعبُّدِ صُعودٌ، كنزولِ الغائصِ خَلْفَ الدُّرِّ صُعود. رأى في بدايتِهِ طِيناً قد صَلْصَل، وبذارٍ قد عَفِن، ونَسِيَ أنَّه ستهتزُّ طاقاتُه في ربيع ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ [البقرة: ٣٧].

ويلَكَ يا إبليسُ! ما جرى على آدمَ هو المرادُ من وجودِه «لو لم تذنبوا»[4]، قَدَحٌ أُريدَ كسرُه فَسُلِّمَ إلى مُرتعِشٍ.

(لمهيار):

فلولا غَلِيْلُ الشَّوْقِ أو لَوْعَةُ الأَسَى   لمــا خُلِقَــتْ لــي أعيــنٌ[5] وجفــونُ

---

(١) أربع: جمع ربع: وهي الدار.
(٢) أسبوعاً: سبعة أشواط.
(٣) **الدوالي** الأولى: العرائش. والثانية: أي: الدواء المناسب لي.
(٤) رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ ومسلم في (صحيحه) في كتاب التوبة بلفظ: **«والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهبَ اللهُ بكم، ولجاءَ بقومٍ يذنبونَ فيستغفرون الله فيغفرَ لهم»**.
(٥) في (ب): أضلع.

لا يهُولنَّكَ قوله: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا ﴾ [البقرة: ٣٨] فلكَ خَلقَها، وإنَّما أُخرِجْتَ إلى مزرعةِ المجاهدةِ، فإذا حصدْتَ فَعُدْ.

إنْ قيلَ لك مرةً: ﴿ ٱهۡبِطۡ ﴾ [هود: ٤٨] ففي كلِّ يومٍ تُنادى ألفَ ألفِ مرَّةٍ ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥]، إن أُبعِدْتَ عن الحضرةِ مرّةً، فزيارةُ الحبيبِ ما تَنْقطعُ «هل من سائل»[(١)].

الكُرةُ تُلقى من صاحب الصَّوْلجان صولَ جانٍ، ثم هو يطلبُها.

تَرْجُو في المُحبِّ عَتْقَ مَنْ أنتَ له ... إنْ كانَ كذا الحُبُّ فَمَا أعْدَلَهْ
هيهاتَ الحُبُّ يَعتريهِ وَلَه ... مِن حُكْمِهِ قَضَى عَلَيْهِ وَلَهْ

يا آدمُ! قَدْ ذُقْتَ حلاوةَ الذنبِ، وتطعَّمْتَ مرارةَ الندمِ، فهل وفَّتْ هذه بتلك؟! أين لَذَّاتُكَ إذا نزل الموتُ؟! كيف حسراتُكَ إذا وقَعَ الفوتُ؟!.

ما أسرعَ ما انْقَضى زمانُ الوَصْلِ ... هَلْ يَرْجِعُ ما مَضَى بِرَدِّ الشَّمْلِ
مَنْ لي بِهِمْ وَهَلْ مفيدٌ مَنْ لي ... يكفُّ ما بي فلا تزِدْ في عذلي

يا صبيانَ التوبةِ! اشكروا من نجّاكم بالإنابة ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، تذكّروا عظمةَ مَنْ عاهدتُم ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

لا تزدروا أثوابَ الفقرِ فعليها أنوارُ المهابةِ ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦]، لا يَصْعَبَنَّ على الخيلِ تضميرُها، فستفرحُ به يومَ السِّباق.

إنْ قال لك رُفقاؤكَ: امْشِ معنا ساعةً، فقل: أقعدني الخوفُ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (١٧٠ ـ ١٧٢)، والإمام أحمد: ١/ ٣٨٨ و٣/ ٣٤ و٤/ ٢٢، عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ: «إنَّ الله يمهل حتى إذا ذهب ثُلُثُ الليلِ الأوّل نزلَ إلى السماءِ الدنيا فيقول: هل من مستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟ حتى ينفجر الفجر».

يـا نَـديمَـيَّ صَحَـا القلـبُ صَحَـا ... فـاطـرُدا عَنّـي الصِّبـا والمَـرَحـا
شمِّـــرا بُـــرديَ للنُّســـكِ ولا ... تَعْجَبَـا مِـنْ فـاسِـدٍ انْ صَلَحـا
زَجَـرَ الحُلْـمُ فـؤاداً فـارْعَـوَى ... وَلَحَـا الـدَّهـرُ امـرأً فـي مَـنْ لَحَـا

أيها التائب! قلْ لقلبكَ الراعي في رياضِ الهُدى، احذر مِنْ لفتةٍ إلى خضراءِ دِمَنِ الهوى(١)، فمَرْعاكَ أطيبُ، وشرابُكَ أعذبُ ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ [يوسف: ٣٢]، نسيمُ الريحِ يقوِّي الروحَ ما لم يختلط به بخارٌ رَدِي، كذلك كلامُ المذكِّرين، إذا سَلِمَ مِنْ بدعـةٍ كان قوتـاً للنفس، وإنْ مازجـهُ هـوًى، هوى(٢) بصاحبه إلى العلل.

كلامي نهرٌ يأخذُ من بحر الكتاب والسُّنَّة، صافٍ ما تغيَّرَ قطُّ، فلا أحتاجُ أن أُكرى(٣)، يَسقي قلوبكم سَيْحاً بلا كَلَف(٤)، وقد قنع من الخراج(٥) بالدّعاءِ، هل في مجلسي نقصٌ فيقال: لو أنه؟ أو عيبٌ إلاَّ أنَّه؟ أَوَ رأيتم مثله فيقال: كأنّه؟ آهٍ لو كانَ أعجمي ولكنه(٦).

أَبلُغُ بلفظي منزلَ المعنى وما طالَ سَفَرُ العبارةِ.

المعاني واسعةُ الفيافي، والألفاظُ ضيّقةُ العِراص(٧)، وما يقدرُ على حَشْو العَرْصة فوق ما تَسَعُ إلا مهندسٌ. لآلئ هذه المعاني لِطافٌ، فأيُّ سِلْكِ فَهْمٍ دقَّ انتظمَتْ فيه، وإنّما يُنْظَمُ اللؤلؤ في خيطٍ لا في حَبْل.

كلامي ثوبٌ فُصِّلَ على قَدْرِ أسماعِكم، فهو لا يصلحُ إلا لكم، لا تنكروا

---

(١) **خضراء الدمن**: ما ينبت على المزابل من أعشاب.
(٢) **هوى**: سقط.
(٣) **أكرى**: كرى النهر: عزَّله من الأوحال والأوساخ.
(٤) **سيحاً**: الماء الجاري. **بلا كلف**: بلا مشقة.
(٥) **الخراج**: أجرة الأرض ببعض غلتها يؤديها الفلاحون من النبط الذين أقروا عليها.
(٦) **لَكْنه**: لكِنَ كفرِحَ لَكَناً، فهو ألْكَنُ: لا يُقيمُ العربيةَ لِعُجْمَة لسانه، أو «ولكنّه» استدراك، أي: ولكنّه عربي.
(٧) **العراص**: جمع عرصة؛ وهي البقية بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

مدحي لأهل بغداد فَهُمُ فُهُمْ[١]، ألهذا البلد بَدَل؟! إذا مرضَتِ الأفهامُ السليمةُ من وبـاءِ طعامِ العباراتِ الركيكـةِ عَمِلَ لفظي في شفائها، ولا رُقَى[٢] الهنـدِ، كَلِمٌ تُداوي كلَّ كَلِم، ظُلَم قياسُها بِعُذوبةِ الظَّلم[٣].

جَـــوَاهِـــرُ كلُّهـــا يُتَّـــمٌ تُـــوْجَـــدُ مفقـــودةَ المثـــالِ
تجنَّـــبَ الغـــائصـــون عنهـــا عَجْـزاً وجـاشَـتْ بحـارُهـا[٤] لـي

* * *

(١) فهُمُ فُهُم: أي هم الناس الأكياس.

(٢) رقى: جمع رقية.

(٣) الظَّلم: ماء الأسنان وبريقها.

(٤) جاشتْ: جاش الماءُ جيشاً: تدفَّق وجرى، وجاش البحر: هاج فلم يُستطع ركوبه.

الفصل الثاني والتسعون

يا دارَ الأحبابِ أقوى[1] جديدُها، أين أسودُها؟! أم أينَ غِيْدُها[2]؟! أينَ ظباءُ الهوى مَرَّتْ؟! ومن يصيدُها؟! تساوَى في القبورِ مواليها وعبيدُها.

قفْ يـا حبيبي بالرسـوم، وانظر نَسْخَ النسيمِ بالسَّموم[3]، وتبديلَ الأفراحِ بالغموم، هيهاتَ إنَّ الدُّنيا لا تدومُ، إنَّها على قَتْلِكَ تَحوم، إيثارُ مثلِ هذه لَوْم.

(للخفاجي):

سَلْ بِغَمْـدانَ[4] أيـنَ ساكنُـه سَيْـفُ — وَقُلْ لنُعمانَ[5] أينَ أينَ السَّدِيْرُ[6]
أيُّهـا الظـاعنـونَ لا زالَ للغَيْـثِ — رواحٌ عليكـمُ وبكـورُ
قـد رأينـا ديـارَكُـمْ وعليهـا — أثـرٌ مِـنْ عِفـائِكُـم[7] مَهْجُـوْرُ
وسـألنـا أطـلالَكُـمْ فَـأَجَـابَـتْ — وَمِـنَ الصَّمـتِ وَاعِـظٌ ونَـذِيْـرُ
عَجَباً كيفَ لم تَمُتْ في مغانيها[8] — أسًـى مـا القلـوبُ إلا صخـورُ
يـا ديـارَ الأحبـابِ غَيّـرَكِ الـدَّهـرُ — وكـانـتْ بعـدَ الأمـورِ أمـورُ

أيُّها الباكي على أقاربه الأموات، ابكِ على نفسِكَ، فالماضي قد فاتَ، وتأهَّبْ لنزولِ البلايا، وحلولِ الآفاتِ، وتذكَّرْ قولَ من إذا ذَكَرَكَ قال: مات،

---

(١) **أقوى**: خلا.
(٢) **غيدها**: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة.
(٣) **نسخ**: أزال. **النسيم**: الريح الطيبة اللينة. **السَّموم**: الريح الحارة.
(٤) **غمدان**: حصن في اليمن، معروف. **وسيف**: هو سيف بن ذي يزن ملك اليمن.
(٥) **نعمان**: أي نعمان بن المنذر بن ماء السماء.
(٦) **السدير**: قصرٌ قريب من الخورنق، اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم (معجم البلدان: ٣/ ٢٠١).
(٧) **عفائكم**: العفاء: ما كثُر وطال من الشعر والوبر والريش.
(٨) **مغانيها**: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غَنِيَ به أهله.

كأنَّكَ بما أتى الماضين[1] قد أتاك، ولقد صاحَ بك نذيرُهم: أنتَ غداً كذاك، وليُخْرِسَنَّ الموتُ بسطوتِه فاكَ إذا وَافاك[2]، إنَّما اليومُ لهذا وغداً لذاكَ، قُرِئَ على قبرٍ:

أنـــا فـــي القبـــرِ وحيـــدٌ قـــد تَبَـــرَّا الأهـــلُ مِنِّـــي
أَسْلَمُـــونـــي بِـــذُنُـــوبـــي خِبْـــتُ إنْ لـــم تَعْـــفُ عَنِّـــي

يا هذا! لاحَتِ الغايةُ[3] عين الشَّيْبِ فَصِحْ بخَيْلِ البِدَار، مرحلةُ الشَّيبِ تحطُّ على شفير القبر «وقد أنجد من رأى حضناً»[4]، أتحمِلُ مشاقَّ السَّفَرِ مِنْ وراءِ النَّهرِ، وتخاطِرُ بالوقْفَةِ من نخلة؟!.

يا هذا! إذا ركبْتَ مركبَ الهوى، فاجعل ناتانيَ[5] المركبِ لمحاسبةِ النفسِ، فإنَّه يَشَمُّ كلَّ يومٍ ريحَ ثَرى الأرضِ، فيعلَمُ هَلْ هو على خطأ أو صواب؟ ومتى لم يعرِف الطَّريقَ صدَمَهُ حجرٌ فغرِق.

يا مَنْ يُحَدَّثُ وكأنَّه ما يسمَعُ، متى لم يُنْصِتْ سمعُ القلبِ ضاعَ الحديثُ، أتُرى ينطَبِعُ في شَمْعِ سَمْعِك من هذا حرف، تحضرون المجلسَ فُرْجةً! وتجعلون رجاءَ النَّفْعِ حُجَّةً، ولا تسلكونَ إلى العملِ مَحَجَّةً[6] ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

واعجباً! تَجْتَمِعُ العزائمُ في المجلسِ اجتماعَ الثُّريا[7]، فإذا خرجنا صارتْ

---

(١) **ما أتى الماضين**: كناية عن الموت.
(٢) **فاك إذا وافاك**: أي فمك إذا جاءك الموتُ أُخرِس.
(٣) **الغاية**: نهاية الشوط، إشارةٌ إلى نهاية طريق الحياة.
(٤) في كتاب: مجمع الأمثال، للميداني، برقم (٤٢١٢) مَثَلٌ يُضرَبُ في الدليلِ على الشيءِ: أي: قد ظهرَ حصولُ المرادِ وقربِه، و(أنجد): بلغَ نجداً من رأى (حضناً)، وحضناً: اسمُ جبلٍ، وعليه وجّه الفارسي روايةَ مَنْ روى قولَ الأعشى:
نبـيٌّ يـرى مـا لا تـرونَ وذِكْـرُهُ أغارَ لَعَمْري في البلادِ وأَنْجَدَا
(٥) **ناتاني**: أي النوتي، وهو الملاح الذي يديرُ السفينةَ في البحر، جمعه: نواتي.
(٦) **محجة**: طريقاً.
(٧) **الثريا**: نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره.

كبناتِ نَعْش[1]، لو تأمّلتمْ عَيْبَ الدُّنيا لهان طلاقُها:

سـرورُ الـدَّهـرِ مقـرونٌ بحُـزْنٍ فكُـنْ مِنْـهُ علـى حَـذَرٍ شَـدِيْـدِ
ففـي يُمنـاهُ تـاجٌ مِـنْ نُضـارٍ[2] وفـي يُسْـرَاهُ قَيْـدٌ مِـنْ حـديـدِ

آهٍ للدنيا! مَلَكتِ القلبَ حين مُلِكَتْ، وأبْقَتِ الهَمَّ ثم أبِقَتْ[3].

(للشريف الرضي):

تـزودْنَ مِنَّـا كـلَّ قَلْـبٍ ومُهْجـةٍ وزوَّدْنَنـا للـوجْـدِ عَـضَّ الأبـاهِـمِ[4]

كَمْ تألَّفَتْ بحلوِ مَذَاقِها، ثم أتْلَفَتْ بمُرِّ فِراقِها.

(للشريف الرضي):

فليـتَ عهْـدكَ إذْ لـم يبْـقَ لـي أبـداً لـم يُبْـقِ عنـدي عقابيلاً[5] مِنَ السَّقَمِ

لما كان الصانعُ غائباً عن الإحساسِ[6] سطَّرتْ قدرتُه في ألواحِ التكوينِ عجائبَ الكائنات، ثم وُضِعَتِ الألواحُ في حجورِ[7] العقولِ، ليقرأها أذهانُ أطفالِ الطباع، فإذا حَذَقَ[8] الصبيانُ، وحُفِظَ المكتوبُ محا السطورَ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير].

إخواني! عيونُ يَقينِكم رَمِدة[9]، والفكرُ تبريد[10]، مَنْ أيقنَ بالموتِ كيفَ

---

(١) **بنات نعش**: سبعةُ كواكب تشاهَدُ جهةَ القطب الشمالي، شُبِّهَت بحملةِ النعشِ، أي سرير الميت.

(٢) **النَّضار**: الذهب.

(٣) **أبَقَتْ**: تركت. **وأبَقَتْ**: هربت.

(٤) **الأباهم**: جمع إبهام، وهي الإصبع الخامسة الغليظة.

(٥) **عقابيل**: جمع عُقبول: بقية العلة والمرض.

(٦) أي: لا تدركه الحواس.

(٧) **حُجور**: جمع حِجْر، وهو الكنف والحضن.

(٨) **حذق الصبي العمل**: إذا مهر فيه.

(٩) **رمدة**: فيها داء الرمد، يقال: رمدت العين رمداً: هاجت وانتفخت.

(١٠) **تبريد**: من برد عينه بالبرود كحّلها به تكحيلاً.

يفرح؟! من علم قربَ الحسابِ كيف يلهو؟! من عرفَ تقليبَ القلوبِ كيف يأمن؟!.

كان سفيانُ **الثوري** من شدَّةِ خوفِهِ يبولُ الدَّمَ، فَحُمِلَ ماؤه إلى الطبيبِ فقال: هذا ماءُ رُهبان، هذا ماءُ رجلٍ قد فتَّتَ الحزنُ كَبِدَهُ.

وحُمِلَ ماءُ سَرِيٍّ إلى الطبيب، فلمَّا نظرَ إليه قال: هذا بولُ عاشقٍ، قال حامله: فصعقتُ وغُشِيَ عليَّ، ثم رجعتُ إلى سريٍّ فأخبرته فقال: قاتله الله ما أبصرَه!.

إذا أنا واجهتُ الصَّبَا عادَ بردُها ... مِنْ حَرِّ أنْفَاسي عليه لَهِيْبُ
وقد أكثَرَتْ فيَّ الأطباءُ قولَهم ... وما ليَ إلا أنْ أراكَ طبيبُ

قيل لبعضِ عُقلاءِ المجانين: لم سُمِّيْتَ مجنوناً؟ قال: لمَّا طالَ حَبْسِي عنه في الدُّنيا صِرْتُ مجنوناً لخوفِ فراقِه:

قلبي بِحُبِّكَ ما يُفيقُ ... وجَفْنُ عينيَ ما يَنامُ
قدْ طالَ فيكَ الليلُ حتَّى ... ما يُقالُ لَهُ انصرامُ
والنَّجمُ فيهِ راكدٌ ... والفجرُ يمنعُه الظَّلامُ
ليلٌ بغيرِ نهايةٍ ... ولكلِّ مفتاحٍ خِتامُ
في وصلِكَ العيشُ الهنيُّ ... وهجرُكَ الموتُ الزؤامُ[1]

إنْ لم تكن مع القومِ في السَّحَرِ تَلَمَّحْ آثارَ الحبيبِ عليهم وقتَ الضحى، ترى في صحائفِ الوجوهِ سطورَ القبولِ بمدادِ[2] الأنوارِ:

وجوه زهاها الحسنُ أن تترفّعا

قال أحدُ الصالحين: لقيتُ غلاماً في الطريق إلى مكةَ فقلتُ له: أما تستوحشُ؟.

فقال: إنَّ الأُنسَ بالله قطعَ عَنِّي كلَّ وحشةٍ.

قلتُ: فأين ألقاكَ؟.

---

(١) **الزؤام**: الموت السريع.
(٢) **بمداد**: بحبر.

قال: أمَّا في الدنيا فلا تُحدِّثْ نفسَكَ بلقائي، وأمَّا في الآخرةِ فإنَّها مجمَعُ المتقين.

قلتُ: فأينَ أطلبُكَ في الآخرة.

قال: اطْلُبْنِي في جملةِ الناظرين إلى الله.

قلتُ: وكيف علمتَ؟.

قال: بِغَضِّ طَرْفِي عن كلِّ محرَّم، واجتنابي فيهِ كلَّ مُنْكَرٍ ومأثَمٍ، وقد سألتُه أن يجعلَ جنّتي النظرَ إليه. ثم صاح، وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري.

(للشريف الرضي)(١):

وما تلوَّمَ جسمي عن لقائكمُ ... إلاَّ وقلبي إليكم شيِّقٌ عَجِلُ
وكيفَ يَقْعُدُ مشتاقٌ يُحرِّكُه ... إليكمُ الحافزانِ الشوقُ والأملُ
فإنْ نهضتُ فما لي غيركم وَطَرٌ ... وإنْ قعدتُ فما لي غيرُكُمْ شغُلُ
وكم تعرَّضَ لي الأقوامُ بَعْدَكُمُ ... يستأذنونَ على قلبي فما وصلوا

* * *

(١) شعر كتبه إلى الملك بهاء الدولة وضياء الملة. انظر: ديوانه: ٢/ ٢٢٨.

الفصل الثالث والتسعون

سبحانَ من فاوتَ[1] بينَ القلوب، فمنها ما لا يصلحُ إلا لخدمة الدنيا، ومنها ما لا يصلحُ إلا للتعبّد، ومنها روحاني مشغولٌ بمحبّةِ الخالق.

(للمتنبي):

أروحُ وقـدْ ختمـتُ علـى فـؤادي ... بحبِّـكَ أنْ يَحُـلَّ بـهِ سـوَاكـا
فلو أنّي استطعتُ غَضَضْتُ طرفي ... فلـمْ أُبصِـر بِـهِ حتّـى أراكـا
أحبُّـكَ لا ببعضـي بَـلْ بِكُلِّـي ... وإنْ لـم يُبْـقِ حُبُّـكَ لـي حِـرَاكـا
ويَقْبـحُ مـن سِـواكَ الفِعْـلُ عِنْـدِي ... فَتَفْعَلُـهُ فَيَحْسُـنُ مِنْـكَ ذاكـا
وفـي الأحْبـابِ مُخْتَـصٌّ بِـوَجْـدٍ ... وآخـرُ يَـدَّعـي مَعَـهُ اشْتِـراكـا
إذا اشتبَكَـتْ دُمـوعٌ فـي خُـدُودٍ ... تبيَّـنَ مَـنْ بَكَـى ممَّـنْ تَبـاكـا
فـأمَّـا مَـنْ بَكَـى فيـذوبُ شَـوْقـاً ... ويَنْطِـقُ بـالهَـوَى مَـن قـدْ تباكـى

النهارُ يزيد في كُرَبِ المُحِبِّ، واللَّيلُ يُرَوِّحُه السَّحَرُ، روضة نجديّة يجدُ فيه المحبُّ ضالَّةَ وَجْدِه، شرابُ المناجاةِ يَرْوي ظمأ العُشَّاقِ.

لو رأيتَ المُحِبَّ في الليلِ يتقَلْقَلُ، ويناجي حبيبَه ثم يتَمَلْمَلُ، وكلَّما أزعجَه الشوقُ تحيَّرَ وتَبَلْبَلَ[2]، وما ألذَّ ما يصِفُ حالَه ولا يتعمّل[3]!.

أحبّـايَ أمَّـا جَفْـنُ عينـي فمَقْـروحُ ... وأمَّا فؤادِي فهْوَ بالشوقِ مَجْروحُ
يُـذكّـرُنـي مـرُّ النَّسِيـمِ عهـودَكـم ... فـأزدادُ شـوقـاً كلَّمـا هبَّـتِ الريـحُ
أرانـي إذا مـا الليـلُ أظلـمَ أشـرقَـتْ ... بقلبـيَ مِـنْ نـارِ الغـرامِ مَصَـابيـحُ

---

(١) فاوت: جعلها متفاوتة متباينة في الاستعداد.

(٢) تبلبل: تفرق وتبدد.

(٣) يتعمل: يتكلف الوصف.

أُصَلِّي بـذكـراكـم إذا كُنـتُ خـاليـاً ألا إنَّ تَـذْكـارَ الأحِبَّـةِ تَسْبيـحُ
يَشُـحُّ فـؤادِي أنْ يخـامِـرَ سِـرَّهُ سِوَاكم وبَعْضُ الشُّحِّ في المرءِ ممدوحُ

لو لبس أحدُ المحبين حُلَّةً، عُلِمَ أنَّه من الزهّاد «كيف يُخفي الليلُ بدراً طالعاً»، كَمْ بالغوا في كتم الحال، وسترُ الحبِّ مُحال:

أُسـائِـلُ عَمَّـنْ لا أُرِيـدُ وإنَّمـا أريـدُكُـمُ مـن بينهـم بسـؤالـي
فيعثُـرُ مـا بيـنَ الكـلامِ ورَجْعِـهِ لسـاني بِكُـمْ حتّـى يَنـمَّ[1] بحـالـي
وأطوي على ما تعلمونَ جَوَانحي وأُظْهِـرُ للعُـذّالِ أنّـيَ سَـالِ[2]

كلَّما قَوِيَ حاملُ المحبّة، زِيْدَ في حِمْلِه «**نحن معاشر الأنبياءِ أشدُّ الناسِ بلاءً ثمّ الأمثلُ فالأمثل**»[3]، فَورانُ قِدْرِ القلبِ من قَدْرِ شدَّةِ الإيقاد.

كان يُسْمَعُ لصدر **الخليلِ**[4] أزيزٌ من بعيدٍ خوفاً مِنَ اللهِ تعالى، وكذلك نبيّنا ﷺ يصلّي ولجوْفِـهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء[5]، كان الوحيُ إذا نزلَ عليه، وهو على ناقتِه أثَّرَ فيها، فربّما وَتِدَتْ بيدَيها في الأرضِ، وربّما بَرَكَتْ لِثِقَلِ الوحي[6].

---

(١) ينم: يكشف.
(٢) جوانحي: ضلوعي. سالٍ: مِنْ سلا يسلو: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.
(٣) رواه الترمذي: ٢/ ٦٤ وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه رقم (٤٠٢٣)؛ والدارمي: ٢/ ٣٢٠؛ والطحاوي: ٣/ ٦١؛ وابن حبان برقم (٦٩٩)؛ والحاكم: ١/ ٤٠، ٣١؛ وأحمد: ١/ ١٧٢، ١٧٤ ولفظه: «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل**».
(٤) **الخليل**: هو سيدنا إبراهيم ﷺ.
(٥) أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي في (الشمائل) من حديث عبد الله بن الشِّخِّير، وصححه النووي.
(٦) روى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ١١٨، وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه عن عائشة: أنها قالت: إنْ كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرّانها (أي: بصدرها) فما تستطيعُ أن تتحرّكَ حتى يُسرَّى عنه. وتَلَتْ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. وروى ابن سعد في (الطبقات): ١/ ١٩٧: عن أبي أروى الدوسي رضي الله عنه قال: رأيتُ الوحيَ ينزلُ على رسول الله ﷺ وإنَّه على راحلته، فترغو وتفتل يدَيْها حتى أظنُّ أنَّ ذراعها تنقصم، =

(للشريف الرضي):

أَحَسَّتْ بنارٍ في ضلوعي فأصبحَتْ يَخُبُّ بها حَرُّ الغرام ويُوْضِعُ[1]
تَحِنِّينَ إلا أنَّ بي لا بِكِ الهوى ولِيْ لا لكِ الإلفُ الخليطُ المُودِّعُ
وباتتْ تشكَّى تحت رَحْلِي ضامراً كلانا إذن يا ناقُ نِضْوٌ[2] مُفجَّعُ

انماعت[3] قلوبهم بالخوف، فهابتهم الجوامد، «فالحجرُ يسلّمُ على الرسول ﷺ»[4]، والسكينُ لا تعملُ في الذبيح[5].

ما لك أيتها المُديةُ وعادتُكِ القطعُ؟!.

قالتْ بلسانِ الحالِ: أخواتي تَحُزُّ رِقَابَ الكفّارِ، وأنا قد ابتُليتُ بقَطْعِ عُنُقِ إسماعيلَ، فقد وقفتُ مدهوشةً بالبلوى فعندي شُغْلٌ.

قطعُ يدِ زليخى يجوزُ، فأما يدُ يوسُفَ فمُشْكِلٌ.

أتُراكَ تحلو لك عبارَاتي؟ أوَتفْهَمُ إشارتي؟ كيف أجلو عليك عرائسَ المحبة ولستَ كُفؤاً؟ وإنَّما يحلُّ النظرُ لمن يعْقِد، أقلُّ أحوالِ القومِ رفضُ الهوى وهذا كالمستحيل عندك، كانوا إذا ابتُلوا صبروا، ثم صاروا إذا ابتُلوا شكَروا، ثم رأَوْا في البِلا[6] المُبْتلي فسكِروا، أين الذين أصفهم؟ مرّوا وعبروا.

= فربّما بَرَكَتْ، وربّما قامت موتدةً يَدَيْها حتى يُسَرَّى عنه من ثِقَلِ الوحي، وإنَّه ليتحدّرُ منه مثل الجُمان. وروى الإمام أحمد في (المسند): ٦/ ٤٥٥؛ والطبراني وابن كثير في السيرة: ١/ ٤٢٤، عن أسماء بنت يزيدَ: كنتُ آخذةً بزمام ناقةِ رسول الله ﷺ حين أُنزِلَتْ عليه سورة المائدة، فكاد ينكسر عضُدُها من ثِقَل السورة.

(١) **يخب ويوضع**: الخب والإيضاع ضربان من السير.

(٢) **النضو**: البعير المهزول. **يا ناقُ**: نداء من يا ناقة، وهذا على لغة من لا ينتظر، لو قلت: يا ناقَ، لكان على لغة من ينتظر.

(٣) **انماعت**: ذابت.

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥؛ ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢)؛ والترمذي عن جابر بن سمرة، قال ﷺ: **«إنّي لأعرفُ حجراً بمكة كان يسلّمُ عَليَّ قبل أن أُبعث»**.

(٥) أي: إسماعيل عليه السلام.

(٦) **البلا**: البلوى والبلاء.

ليسَ بالصَّبِّ مَنْ يُحَرِّكُ بالشَّكوى لسانـاً ويـوْدِعُ الـدَّمْـعَ خَـدَّا[1]
أيُّهـا الـوامِـقُ الـذي جعـلَ الكتمـانَ بيـنَ الـوُشَـاةِ والحِـبِّ سـدَّا[2]
صاحِ لولا صَوْنيَ الغرامَ لأجريتُ دمـوعـاً تُـوفـيْ علـى البَحْـرِ مَـدَّا
قل لحيٍّ على اللوى والكثيب الفَرْدِ جـادَ الحَيـا الكثيـبَ الفَـرْدا[3]
قَدْ وَقَفْنا مِنْ بَعْدِكُمْ نَسْألُ البانَ ضَـلالاً عَنْكُـم ونشكـو الـرَّنْـدا[4]
أين تبغي يا حادِيَ الرَّكبِ أفنيتَ المطـايـا سَيْـراً ذَمِيـلاً ووَخْـدا[5]
قِفْ قليلاً في الرَّبْعِ وارفُقْ فما أبقيتَ مِنْهـا إلا عِظـامـاً وجلْـدا
فلـدارِ الهَـوَى علينـا حقـوقٌ إنْ تـركْنـا أداءَهـا كـانَ إدّا[6]
يـا بنـي الـودِّ والـوفـاءِ ومـا أسمـعُ إلا قـولاً وفـاءً ووُدَّا
كَـمْ نَقَضْتُـم مِـنْ غيـرِ جُـرْمٍ عهـوداً مـا نَقَضْنـا منهـا علـى الـرَّمْـلِ عهـدا

كم أنشُرُ بزَّ[7] المحبّة ولا أرى إلاَّ مُفْلِساً، تَنزَّهُوا في السّلَعِ، فسهْلٌ عليَّ طيُّ المنشورِ، ما أحلى ذكرَ الأحبابِ، ما أطيبَ حديثَ أولي الألبابِ!.

(لصُرَّدُرّ)[8]:

إيـهِ أحـاديـثَ نَعْمـان[9] وسـاكنِـه إنَّ الحـديـثَ عـن الأحبـابِ أسمـارُ
أُفَتِّـشُ الـرِّيـحَ عنكـم كلَّمـا نفحـتْ من نحوِ أرضِكُمُ نكباءُ معطارُ[10]

---

(١) **الصب**: المحب، وهو من لذعته حرارةُ الشوق ورقته.
(٢) **الوامق**: المحب. **الوشاة**: جمع واشٍ، وهو هنا العذول الذي يفشي السر. **الحِبّ**: المحبوب.
(٣) **اللوى**: الملتوي والمنقطع من الرمال. **الحيا**: الغيث.
(٤) **البان**: جمع بانة: ضرب من الشجر. **الرند**: شجر طيب الرائحة من شجر البادية.
(٥) **ذميلاً ووخداً**: الذميل والوخد ضربان من سير الإبل.
(٦) **إدّاً**: داهية وأمراً فظيعاً.
(٧) **بزّ**: البزّ الثياب.
(٨) من قصيدة يمدح بها الوزير ابن فسنجس. انظر: الديوان، ص٢٧.
(٩) **نعمان**: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، ويقال له: نَعمان الأراك.
(١٠) **نكباء**: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصَّبا والشمال. **مِعطار**: عطرة.

تمكَّنَ الحبُّ من حَبّاتِ[1] قلوبهم، فأخرجَهم إلى الوَلَهِ[2] فلو رأيتموهم لقلتم: مجانين.

قـدْ لَـجَّ بـيَ الغـرامُ حتـى قـالـوا: قَـدْ جُـنَّ بهـم وهكـذا البلبـالُ[3]
فـي مِثْـلِ هـواكَ تـرخُـصُ الآجـالُ المـوتُ إذا رضيتُـه سِلْسـالٌ[4]

كانت رابعةُ تقول: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ والليالي بالشوقِ إلى اللهِ تعالى.

أُمِـرتُ عنـكَ بصبـرِ وليـسَ لـي عنـكَ صبـرُ
يـا آمـري بـالتسلّـيَ مـا لـي مَـعَ الشَّـوْقِ أمـرُ

قال الشبليُّ: رأيتُ جاريةً حبشيةً فقلتُ: من أين؟.

قالت: مِنْ عندِ الحبيب.

قلت: وإلى أين؟.

قالت: إلى الحبيب.

قلتُ: ما تريدين من الحبيب؟.

قالت: الحبيب.

وَجْـدي بكمـو وصَفْـوُ وُدّي لكُـمُ والقلـبُ مـذْ نـأيتُـمُ عنـدكـمُ
عينـيَ عَيْـنٌ[5] لبُعْـدِكُـمُ لـو شَقُّـوا قلبـي لمـا رأوْا غيـرَكـمُ

* * *

(١) حبات القلوب: سويداء القلوب.
(٢) الوله: ذهاب العقل والتحيير من شدة الوجد.
(٣) لج: تمادى. البلبال: شدة الهم والوسواس.
(٤) سلسال: يقال: ماء سلسال: سهل المرور في الحلق لعذوبته وصفائه.
(٥) عين: أي عين ماء جارية.

الفصل الرابع والتسعون

يا هذا! اشتغلتَ بفنونِ تَعليلِك عن ذكرِ تَحْويلك، وسَتُسْلَبُ من أخيك وخَليلِك، وعلى تَخْبيطِكَ وتخبيلِك.

كـأنَّـكَ بـالمضـيِّ إلـى سبيلـكْ ... وقـد جَـدَّ المجهِّـزُ فـي رَحيلِـكْ
وجـيْءَ بغـاسـلٍ فـاستعجلـوه ... بقـولِهِـمُ لـهُ افـرغْ مِـنْ غَسيلِـكْ
ولـم تحْمِـلْ سِـوى كَفَـنٍ وقُطْـنٍ ... إليهـم مِـنْ كثيـرِكَ أو قليلِـكْ
وقـدْ مَـدَّ الـرِّجـالُ إليـكَ نَعْشـاً ... فـأنـتَ عليـهِ ممـدودٌ بِطُـوْلِـكْ
وصلَّـوْا ثـمَّ إنَّهُـمُ تَـداعَـوْا ... لِحَمْلِـكَ فـي بكـورِكَ أو أصيْلِكْ[1]
ولمَّـا أسلمـوكَ نـزلْـتَ قبـراً ... ومَـنْ لـكَ بـالسلامـةِ فـي نـزولـكْ
أعـانَـكَ يـومَ تـدخلُـهُ رَحِيْـمٌ ... رؤوفٌ بـالعبـادِ علـى دُخُـولِـكْ
فسـوفَ تجـاوِرُ المـوْتَـى طـويـلاً ... فـدعْنـي مِـنْ قصيْـرِكَ أو طـويلِـكْ
أخـي إنِّـي نَصَحْتُـكَ فـاستمِـعْ لـي ... وبـاللهِ استعنْـتُ علـى قَبُـوْلِـكْ
ألسْـتَ تـرى المنـايـا كـلَّ يَـوْمٍ ... تصيبُـكَ فـي أخيـكَ وفـي خَلِيْلِـكْ

إخواني! ما مِنَ الموتِ بُدٌّ، بابُ البقاءِ في الدُّنيا قدْ سُدَّ، كَمْ قَدٍّ في القبرِ قدْ قُـدَّ[2]! كم خدٍّ في الأخـدودِ قد خُدَّ[3]! يا مَنْ ذنوبُه لا تُحصَى! إنْ شكَكْتَ عُدَّ، يا مَنْ أتى بابَ الإنابةِ كاذباً فَرُدَّ.

لقد حَمَّلْتَ على نفسِكَ ما يثقلُها، فحسبُكَ ما قَدْ مَضَى، أتقتُلُها؟! يا طولَ سَفْرَةٍ! الموتُ أوَّلُها، أين جَزَعُ النفسِ؟ أين تَمَلْمُلُها؟ كأنَّها بالمرَضِ قدْ نزلَ

(١) أصيلك: الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
(٢) قَدّ الأولى: القامة. وقُدَّ الثانية: شُق وقطِّع.
(٣) خَدّ الأولى: وجنة الوجهِ. خُدَّ الثانية: الشق.

يزلزلُها، وبعثَ إليها رائدَ الأسَفِ يَسْتعْجِلُها، الحذرَ الحذرَ! فقد فوَّقَ السِّهامَ[1] مُرسِلُها، الدرُوعَ الدُّروعَ فقد جلا السيوفَ صَيْقَلُها.

ما هذه الخصالُ المذمُومةُ؟! أتُؤثِرُ العقولُ لذَّةً مسمومةً؟! ما هذا الحِرْصُ والأرزاقُ مَقْسُومَةٌ؟! أنسيتَ يوم تُنْشَرُ الصحفُ المختومة؟! أما تَعْلَمُ أنَّها ستَظْهَرُ القبائحُ المكتومة؟! يا لها موعظةٌ بين المواعِظِ كالأيام المعلومة، أحسنُ من اللآلئِ المنثورة، وأعجبُ من العقودِ المنظومةِ.

العلمُ والعملُ توءمان أمُّهُما علوُّ الهمّة.

أيّها المعلمُ تَثَبَّتْ[2] على المُبْتَدي ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبا: ١١]، فللعالِمِ رسوخٌ وللمُتعلِّمِ قَلَقٌ.

ويا أيها الطالبُ تواضَعْ في الطَّلَب، فإنَّ الترابَ بَيْنا هو تحتَ الأخمصِ صار طهوراً للوجه، السهرُ مَرْقى إلى أطيب مَرْقدٍ.

الهُونُ في ظِلِّ الهُوينا[3] كامنٌ وجلالةُ الأخطارِ في الأَخْطارِ[4]

قلبُ العالم بحرٌ ما لِلُجَّتِه قرارٌ، إذا نزَلَ غواصُ الفكرِ، تَرَقَّى إلى ساحِلِ اللسانِ قدْرَ الممكنِ، مياهُ المعاني مخزونةٌ في صَدْرِ العالِمِ تَفَتَّحُ منها لزرع قلبِه، سيحاً بعد سَيْحٍ[5]، ويدَّخرُ أصفاها قوتاً للرُّوح، فإذا تكاثَرَتْ عليه صاحَ السيلُ[6].

العالِمُ يَنْفُخُ في صُورِ فيْهِ[7] بعبارة التخويف، فيموتُ هوَى العاصي، ثم ينفخُ في صُورِ التشويقِ، فيُحيي روحَ المعرفةِ، فيَخْرُج التائبُ من قَبْرِ غَفْلَتِه في كفن يقظتِه، وقد بُدِّلتِ الأرضُ غيرَ الأرض، فيَفْتَحُ له رضوانُ الرِّضا بابَ جَنَّةِ الوَصلِ.

---

(١) فوَّق السهام: وضع السهام في القوس ليرميها.
(٢) تثبَّت: يقال: تثبت في الأمر: تأنَّى ولم يتعجَّل.
(٣) الهُون: الخزي. الهوينا: الخفض والدَّعة.
(٤) الأخطار الأولى: جمع خطر: الشرف والرفعة. الأخطار الثانية: جمع خطر: الإشراف على الهلاك.
(٥) سيحاً بعد سيح: السيح: الماء الجاري.
(٦) صاح السيل: فاض.
(٧) صور فيه: الصور: القرن، فيه: الفم.

لا تظنوا العالِمَ شخصاً واحداً، العالِم عالَمُ تصانيفَ، العالِم أولادُه المخلَّدون دون أولادِه، من خُلِقَ للعلم شَفَّ جَوْهَرُهُ من الصِّغَر، فتراهُ يُنْفِقُ في الجِدِّ بضاعَةَ الشَّبيبة، ويُسابِقِ سائقَ العَجْزِ، يصل الكَدُودُ[1] ليله بِنهارِه، كدُودِ القَزِّ في زمانِ الشِّدَّةِ، فإذا امتلأ وعاءُ قلبه بما وَعَى، نَسَجَ الفَهْمُ في زوايا الذهنِ من المعاني المستنبطة نَسْجَ القَزِّ[2].

فإذا رأى عُرياناً من العلم فأرادَ كِسْوَتَه، بَعثَ الفكرَ، فسلَّ من لطائِفِ اللُّطْفِ طاقاتٍ، ثم أرسلَها إلى صانِعِ القوَّةِ، فبالَغَ في تَحْسينها، وتَأَنَّقَ في تَلْوينِها، ثم يَنْسجُها اللسانُ على مِنْوالِ البلاغةِ، فتَظْهَرُ رقومُ نقوشِها عَنْ شُدود عُقْدتِها الفِطَن الباطِنَة، فإذا الثوبُ نسيجُ وحْدِه. ومثلُ تلكَ المطارفِ[3] الطرائفِ[4] لا تبتذلُ إلا في عيدِ مجلسِ الذكرِ.

ليسَ كلُّ مَنْ ربَّى دودَ القزِّ سلاَّلاً[5]. ولا كلُّ قزّاز سقلاطونيّاً[6]. آهِ من اشتراكِ الأسماءِ، وتلقيبِ القصديرِ بالبيعِ، ليسَ كلُّ مَعْدِنٍ عِرْقَ الذَّهَبِ، ولا في بَطْنِ كلِّ غزالٍ مسكٌ.

ليس مَنْ غاصَ[7] في قرارِ البحرِ حتّى وقعَ بالدُّرِّ اليتيم[8]، كمن قعدَ على الساحلِ يجمعُ الصَّدَفَ.

أمراءُ العباراتِ رعيةٌ لفصاحتي، وَيْكَ[9] إنَّه كَيْلٌ بلا ثمنٍ.

---

(١) **الكدود**: صيغة مبالغة من الكد: وهي الشدة في العمل.
(٢) **القزّ**: الحرير.
(٣) **المطارف**: جمع مِطْرف: رداء من خزٍّ له أعلام.
(٤) **الطرائف**: جمع طُرْفة، وهي كلُّ مستحدَث عجيب.
(٥) **سلاَّلاً**: السَّلُّ: نزع الشيء برفق. **والسلال**: صانعُ السلال.
(٦) **قزاز**: بائع القز. **سقلاطونياً**: السقلاط: الياسمين أو شيء من صوفٍ تلقيه المرأة على هَوْدَجِها، أو ثياب كتَّانٍ موشاة، وكأنّ وشيه خاتم.
(٧) **غاص**: نزل تحت الماء.
(٨) **الدر اليتيم**: الدر المتفرد بنفاسته.
(٩) **ويك**: من وي: اسم فعل مضارع بمعنى أعجب.

سَقْيُ فصاحتي سَيْحٌ، فقد تضاعَفَتْ عَليَّ زكاةُ الشُّكْرِ.

سافرَ لفظي ببضائعِ فكري من أرضِ قلبي إلى باديةِ فمي، فَسَلَّمَ سِلَعَ النُّطْقِ إلى منادي لساني، هيهاتَ، فواكِهُ الألفاظِ اللذيذةِ في مَذاقِ الأفهامِ السليمةِ ليسَ لها ثمنٌ؛ فهو يَعْرِضُها في موسمِ النُّصْحِ على تُجّارِ الإرادةِ، فمَنْ منكم يشتري حِكْمَةً بِقَبول؟.

قد يـرى علوَّ مكاني وينسى الدَّرَج، كم خُضْتُ بحـراً مَلِحاً حتى وقَعْتُ بِعَذْبٍ! كَمْ قطعْتُ مَهْمَهاً وَحْدِي حتى سُمِّيتُ بالدَّليلِ! أَنْضَيْتُ[1] مركَبَ الجسمِ، ورَفَضْتُ شهواتِ الحسِّ، وواصَلْتُ الليلَ بالنّهارِ في الجِدِّ، وأوقدْتُ في دُجى الهوى نارَ الصَّبْرِ، فإن وثَقْتُم بأمانتي فهذا تخييرُ[2] الشراء:

شـربـتُ لأغـلالـي رَحِيقـاً بسَلْسَـالِ مِنَ الشاهِقِ العالي على غَيْرِ تَصْريدِ[3]
فأصبحْتُ نَشْواناً مِنَ الشُّرْبِ سكراناً وأطـربُ أحيـانـاً بـلا نَغْمـةِ العُـودِ
وكم جُبْتُ[4] مِنْ وادٍ وسِرْتُ بلا حادٍ وبـتُّ بـلا زادٍ سـوى ذكـرِ مَعْبـودي

* * *

(١) أنضيت: أهزلت.
(٢) تخيير: هو تخيير أحد المتابعين ليقطع خيار المجلس.
(٣) أغلالي: حرارة العطش. الرحيق: صفوة الخمر. سلسال: العذب الصافي سهل المرور في الحلق. تصريد: تناول الماء جرعات متفرقة.
(٤) جبت: قطعت.

الفصل الخامس والتسعون

كم تُنذِرُ الدُّنيا ولا نَسْمَعُ! وكم تُؤْيِسُ مُحبَّها من وصلِها ويَطمَعُ! فالعجبُ مِنْ فَطِنٍ غرَّهُ سرابٌ يَلْمَعُ.

يـأتـي على النـاسِ إصباحٌ وإمسـاءُ ... وكلُّنـا لصـروفِ الـدَّهْـرِ نَسَّـاءُ[(١)]
خَسِسْـتِ يـا دارَ دُنيـانـا وربَّمـا ... يَـرْضَـى الخسيسـةَ أوبـاشٌ أخِسَّـاءُ
إذا تَعَطَّفْـتِ يـومـاً كنْـتِ قـاسيـةً ... وإن نظـرتِ بعيـنٍ فَهْـيَ شَـوْسـاءُ[(٢)]
وقـد نَطقْـتِ بـأصنـافِ العظـاتِ لنـا ... وأنـتِ فيمـا يـراكِ النـاسُ خَـرسـاءُ
أيـنَ الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ ومَـنْ ... كانتْ لهم عِزَّةٌ في المُلكِ قَعْساءُ[(٣)]
نـالـوا يسيـراً مـن اللـذّاتِ وارتحلـوا ... بِـرَغْمِهِـم فـإذا النَّعمـاءُ بـأسَـاءُ

الدنيا دارُ كَدَرٍ، بذلك جرى القدرُ، فإنْ صَفَا عيشٌ لحظةً نَدَر، ثم عادَ التخليطُ فيذرُ الورودَ فيها كالصَّدَر[(٤)]، ودمُ قتيلها هَدَر[(٥)].

المـرءُ مِـنْ دُنْيـاهُ فـي كَلَـفٍ[(٦)] ... ومـالُـه فيهـا إلـى التَّلَـفِ
ولكـلِّ شـيءٍ فـائـتٍ خَلَـفٌ ... وحيـاتُنـا فـوتٌ بـلا خَلَـفِ

يـا لاحقاً بآبائـه وأمهاته! لا بـدَّ أن يصيـرَ الطَّلا إلى مهاتِه[(٧)]، يا مَنْ جُلُّ همَّتِـهِ شَـغْلُ خَيَّاطِـهِ وطُهَاتِـه[(٨)]، يغلبُـه الهـوى وهو غالبُ دُهَاتِـه[(٩)]، إنْ كـان

---

(١) نسَّاء: كثير النسيان.
(٢) شوساء: يقال: شاس فلان: نظر بمؤخر عينه تكبّراً وتغيّظاً.
(٣) قعساء: يقال: عزة قعساء: ممتنعة ثابتة.
(٤) الورود: المجيء للماء. الصَّدَر: الرجوع عن الماء.
(٥) هدر: باطل لا قَوَد فيه.
(٦) الكَلَف: المحبة والولع.
(٧) الطلا: ولد ذوات الظلف، مهاته: مفرد جمعها مها، وهي البقرة الوحشية.
(٨) طهاته: طباخو طعامه.
(٩) دهاته: الرجل الداهية: جيد الرأي بيّن الدَّهاء.

لك عذرٌ في تفريطك فهاتِه.

إخواني! مَرُّ الزمانِ وَعَظَ الألبابَ، ويكفي في الإنْذَارِ مَوْتُ الأصحاب، كم تَرى في التُّرابِ مِنْ أتراب[١]؟ أُغمِدَتْ تلكَ السيوفُ في شَرِّ قِرَاب[٢]، تناولتهم يدُ البِلى مِنْ كفِّ اسْتِلاب[٣].

ويحك! ضياءُ الدنيا ضباب، وشرابُ الهوى سَراب، أترضى أن يقال: قد خَاب؟ أما لهذا عندكَ جواب؟ كلَّما دخلنا من بابٍ خرجْتَ من باب.

(للشريف الرضي):

أَذْكُـرُ تَصَـابٍ والمشيـبُ نِقـابُ ... وغيـرُ الغـوانـي للمشيـبِ صِحـابُ
أؤَمِّـلُ مـا لا يبلـغُ العمـرُ بعضَـه ... كـأنَّ الـذي بعـدَ المشيـبِ شبـابُ
وطُعْمٌ لبازي الموتِ لا شكَّ مُهْجتي ... أَسَفَّ[٤] على رأسي فطار غرابُ[٥]
وأثْقلُ محمـولٍ على العينِ ماؤهـا ... إذا بـانَ[٦] أحبـابٌ وعـزَّ إيـابُ

لله درُّ أقوامٍ عَلِمُوا قُرْبَ الرحيلِ، فهيَّؤوا آلة السَّفَر، وهَوَّنُوا بالدنيا، فَقَنَعوا منها بما حَضَر، واستوثَقُوا بقُفْل التَّقوى من أذى النطقِ والنَّظَرِ! ما لك خبرٌ بحالهم، ولا عِنْدَكَ منهم خبر، قامُوا في الجِدِّ وقَعَدْتَ، وسهروا في الدُّجى ورقَدْتَ، طالما نَصَبُوا[٧] في خدمة المالك، وناقشوا أنفسَهم مناقشةَ مماحِك[٨]، وآثروا بالزادِ فزادُوا على البرامك، واخْتُبِرُوا بالبِلا كالتِّبْرِ عن السابك[٩]، هذه طريقُهم فأين السالكُ؟! أترضى بالتأخرِ عنهم؟! هذا برَأيك، كأنَّكَ بهم وقدْ دَخَلَتْ على

---

(١) أتراب: جمع تِرْب، وهو المماثل في السنّ.
(٢) قِراب: غمد السيف، والمقصود ـ هنا ـ القبر يضم الأجساد.
(٣) استلاب: اختلاس.
(٤) أسف: أسف الطائر: دنا من الأرض في طيرانه.
(٥) غراب: طائر أسود ينعب.
(٦) بان: اختفى.
(٧) نصبوا: تعبوا.
(٨) مماحك: مجادل.
(٩) التبر: الذهب. السابك: الصائغ.

الملأُ الملائكُ: كُلْ يا مَنْ لم يأكل[1]، هذا بذلك.

لما أُرِيدوا أُفيدوا، لما شَكَروا النِّعَم زِيدُوا، ولو فَتَرُوا عن التعبّدِ قِيْدوا.

نام (**العلاءُ بنُ زيادٍ**) ليلةً عن وِرْدِه فَجُذِبَ في نومِه بناصيتِهِ وقيل له: قم إلى صلاتِك، فما زالتْ الشَّعَراتُ قائمةً باقي حياته ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة: ٧٣].

قال **أبو سليمان**: غلبتني عَيْني، فإذا أنا بالحوراءِ قدْ رَكَضَتْني بِرِجْلِها وهي تقولُ: أتَرْقُدُ عَيناكَ والمَلَكُ يقظان؟! قال: ونمتُ ليلةً أخرى، وإذا بها توقظُني وتقول: أتنامُ وأنا أُرَبَّى لك في الخُدور منذ خمسمئة عامٍ؟!.

(للنابغة الذبياني)[2]:

أقولُ والنَّجْمُ قدْ مَالتْ أوَاخِرُهُ ... إلى المَغِيبِ تَبَيَّنْ نظرةً حارِ[3]
ألمحةً مِنْ سَنا برقٍ رأى بصري ... أمْ وَجْهُ نُعْمٍ بَدَا لي أم سَنا نارِ
أُنْبِئْتُ نُعْماً على الهِجْرانِ عاتبةً ... سُقْياً ورُعياً لذاكَ العاتبِ الزاري[4]

قلوبُ القومِ في الدُّجى قَلِقَة، وأفئدتُهم من الخوفِ مُحْتَرِقة، والنفوسُ من هَجْرِ الحبيب فَرِقَة[5]، وجفونُهم من البكاءِ غَرِقَة، وعروقُ المحبّةِ في سويدائهم عَلِقَة، شفاهُهم بكأسِ المناجاةِ مُصْطَبِحَةٌ مُغْتَبِقَةٌ[6]، والآمالُ إليه كلَّ وقتٍ مُنْطَلِقة، وما عادَتْ قطُّ إلا وهي بالرَّجاء عَبِقَةٌ.

---

(١) ورد أنَّ بِشراً الحافي رؤي في المنام جالساً على أريكته وملك يطعمه ويقول: كل يا من لم يأكل لأجله. من محاسن الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري، ص٢٠.

(٢) انظر: ديوان النابغة، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٣) حارِ: أصلها حارث، وهو منادى بإسقاط أداة النداء على لغة من ينتظر، و(حارُ) على لغة من لا ينتظر.

(٤) سقياً ورعياً: دعاء بالسقيا والرعاية. الزاري: المتهاون.

(٥) فرِقة: وجلة خائفة.

(٦) مصطبحة مغتبقة: الاصطباح: شرب الصَّبوح. والاغتباق: شرب الغَبوق في المساء.

قـلْ للمقيميـنَ علـى واديِ الحِمَـى ... عنّـــي إذا أتَيْتَهُـــم مُسَلِّمـــا
قد صارَ طِيْبُ العيشِ مُذْ فارقْتُكم ... عَلــيَّ مِــنْ بَعْــدِكُــمُ مُحَــرِّمــا
وكــلُّ شَهْــدٍ ذقتُــه فــي وَصْلِكــم ... قــدْ عــادَ مِنْ بَعْـدِ الفِـراقِ عَلْقما
لا عيشَ لـي إن غِبْتُـمُ عَـن نَـاظِري ... وإنْ حَضـــرتُـــم رُبَّمـــا ورُبَّمـــا
إنْ ســألــوكَ عــن سقـامٍ قــدْ رثَـى ... لي فيه أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّمَا
فقـل لهـم مـا يَشْتَكـي مِـنْ سَقَـمٍ ... لأنَّـــه يَـــذكُـــرُ فِيْـــهِ المُسْقِمـــا

وا حسرةَ مَنْ مَضَوْا وخَلَّفُوا، لقد اسْتبدلَ بالعَسَل الخلَّ فُوْه[1]، آهٍ على عيشٍ ولّى ولا عَوْدة، وعلى حادٍ سَرَى ولا وِقْفَة، تَاللهِ لو صارتِ العينُ عيناً[2] ما وَفَتْ.

(لمهيار)[3]:

يــا لنَسيــمِ سَحَــرٍ بحــاجــرٍ ... ردَّتْ بـه عهْـدَ الصِّبـا ريـحُ الصَّبَـا
سلْ مَـنْ يـدلُّ النـاشـديـن بـالغضـا ... علــى الطـريــقِ ويــرُدُّ السَّلَبــا
أرَاجِــعٌ لــي والمنــى هَلهلــةٌ ... أوْ طـالِــعٌ نجـمُ زمـانٍ غَـرَبـا
إذا اطمــأنَّــتْ أضْلُعــي تــذكّــرَتْ ... نَـوَاكَ[4] فـاهتـزتْ جَوًى لا طـرَبـا

تَاللهِ ما تُعْشَقُ الأماكنُ لذاتِها، بل لسالِفِ لذّاتها.

لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ[5]

للمعاهدِ عهدٌ عند المُعاهَدة، كلّما تذكَّره الصَّبُّ صَبَّ الدموعَ.

(للمتنبي)[6]:

---

(١) بالعسل: بالباء دخلت على المتروك. فوه: فمه.
(٢) عيناً: نبع ماء.
(٣) من قصيدة كتب بها إلى صديقه أبي منصور الحسن بن علي بن مزروع. انظر: ديوان شعره: ١/ ١٢٠، ١٢٥.
(٤) نواك: بعدك.
(٥) صدر بيت للمتنبي، وعجزه: أقفرتِ أنتِ وهنّ منكِ أواهلُ.
(٦) من قصيدة قالها عام (٣٤٢هـ). الديوان، ص٣٤٧ـ٣٥٢.

وما شَرَقي بالماءِ إلاَّ تذكُّراً ... لماءٍ بهِ أهلُ الحبيبِ نُزولُ
وما عِشْتُ مِنْ بعدِ الأحِبَّةِ سُلْوةً ... ولكنّني للنائباتِ حَمُولُ
أمَا في النُّجومِ السائراتِ وغيرِها ... لعينيَ على ضوءِ الصَّباحِ دليلُ

أَعْرَفُ الناسِ بالطريقِ مَنْ قَدْ سلك، إذا ذُكِرَتْ منازلُ مكَّةَ حَنَّ الحاجُّ.

(لمهيار)[1]:

وإذا هبَّ صَبَا أرضِكُم ... حمَلَتْ تُربَ الغَضَى باناً ورندا
رُدَّ لي يوماً على وادي مِنًى[2] ... إنْ قضى اللهُ لأمرٍ فاتَ رَدَّا
عَجَباً لي كيفَ أبْقى بعدَهُمْ ... غيرَ أنْ قَدْ خُلِقَ الإنسانُ جَلْدا[3]

* * *

---

(١) من قصيدة كتبها للوزير أبي المعالي يهنئه بالنيروز. انظر: ديوان شعره: ١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦.
(٢) في الديوان: «كاظمة».
(٣) جَلْداً: يقال: جَلَدَ جلادة: قوي وصبر.

الفَصْلُ السَّادِسُ والتِّسْعُونَ

يا مَنْ قَدْ مَلَكَتْهُ نفسُه، وغلبهُ حسُّهُ، وقد دنا حَيْنُه، وسَتُكَفتُ خَمْسُه، ولقد أنذرَه جِنْسُه، عاتِبْ نفسَكَ لعلَّها تَرْعَوي، وسلِّمْها إلى رائض العلم عساها تستوي، أَحْضِرْ دستورَ المحاسبة وحاسِبْها، واندُبْها إلى الخيرِ فإن أبتْ فاندُبْها[1].

(للمصنف):

يا ويحَ نفسٍ رضِيَتْ بالسَّقَمِ ... وفرَّطَتْ في عُمُرٍ مُنْصَرِمِ
تُسَرُّ باللَّهوِ وتنْسَى حتفَها ... وتُؤْثِرُ البعدَ على التقدُّمِ
وكلَّما أصبَحْتُ أبكي فِعْلَها ... أضْحَتْ عِناداً ليَ في تَبَسُّمِ
تَفرحُ بالفاني فما تطلبُ ما ... يبقى لها فَمَنْ يكونُ حَكَمي
أقولُ: يا نفسُ اتّقي مَنْ لم يَزَلْ ... معروفُهُ يفوقُ وَكْفَ الدِّيَمِ[2]
كم مِنْ ذنوبٍ لكِ قد سترَها ... وعادَ بالفَضْلِ وبالتَّكَرُّمِ
وكم له مِنْ نعمةٍ جادَ بها ... وكَمْ وكَمْ أولاكِ طيبَ أنْعُمِ
كم واعظٍ في كلِّ يومٍ زاجرٍ ... وكم نذيرٍ زائرٍ مُسَلِّمِ
وكم يناديكِ لسانُ عِبْرَةٍ ... وأنتِ عن قولِ الهُدى في صَمَمِ
أين الذين شيَّدوا واحتَرَسُوا ... وأينَ مَنْ كانَ كثيرَ النِّعَمِ
مضى الجميعُ هل تَرَىْ مِن أثرٍ ... لهم وصاروا في بيوتِ الظُّلَمِ
تبدَّلوا بالتُّرْبِ تُرْباً كلُّهم ... في قَعْرِ لَحْدٍ ضَيِّقٍ مُنْهَدِمِ
وفُصِّلَتْ أوصالُهم، وحُصِّلَتْ ... أعمالُهم، وأصبحوا كالعَدَمِ
وباشَروا التُّرابَ بعدَ تَرفٍ ... وشَرَفٍ وحُجُبٍ وخَدَمِ

(١) اندبها الأولى: ادعها. اندبها الثانية: ابكِ عليها.

(٢) وَكْف: سال وقطر. الديم: جمع ديمة، وهي السحاب الممطر.

وسُـــرُرٍ ودُرَرٍ وطُـــرَفٍ   وتُحَـــفٍ وَصَـــوْلَـــةٍ وكَـــرَمِ
ولـــذَّةٍ فـــي شهـــوةٍ لـــذيـــذةٍ   وعِـــزَّةٍ فـــي عَـــزْمَـــةٍ وهِمَـــمِ
لـو قيـلَ: قـولـوا ما مُناكُمْ طَلَبُوا   حيـاةَ يـومٍ ليتـوبـوا فـاعْلَـمِ
ويحَـكِ يـا نَفْـسُ ألا تَيَقُّـظٌ   يَنفـعُ قبـلَ أنْ تَـزِلَّ قـدمـي
مضـى الـزَّمـانُ فـي تَـوانٍ وهـوًى   فـاستـدركي مـا قَدْ بَقِـي واغْتَنِمـي
انتظـري المـوتَ سيـأتـي بغتـةً   وأنـــتِ بيـــنَ أسَـــفٍ ونَـــدَمِ
وحُـــرَقٍ وفَـــرَقٍ وحَسْـــرَةٍ   وفيـضِ دمـعِ العَيْـنِ فـي تَسَجُّـمِ(١)
وتـــرحليـــنَ عـــن ديـــارِ أُلفـــةٍ   فـــانتبهـــي مـــن رَقَـــداتِ النُّـــوَّمِ
مَـنْ لـي إذا نـزَلْـتُ لحـداً مُظلمـاً   هـذا وكـمْ مِـنْ نـازلٍ لـم يَسْلَـمِ
مَـــنْ لـــي إذا قـــرأتُ مـــا أمْلَيْتُـــه   أقبـحَ مسطـورٍ جـرى بـالقلـمِ
مَـنْ لـي إذا أزعـجَ قلبـي حسـرة   وهـلْ تـرى يُشْفـى بفَـوزي ألمـي
كيفَ الخلاصُ والكتابُ قد حوى   كـلَّ فِعَـالـي وجميـعَ كَلِمـي
يـا نَفْـسُ فـازَ الصـالحـونَ بـالتُّقـى   فـأبْصـرُوا الـرُّشْـدَ وقلبي قَـدْ عَمِـي
يـا حسنَهـم والليـلُ قـدْ جَنَّهـمُ   ونــورُهُـم يفـوقُ نـورَ الأنْجُـمِ
تـرنَّمـوا بـالـذِّكْـرِ فـي ليلِهـمُ   فَعَيْشُهُـمْ قـدْ طـابَ بـالتَّـرَنُّـمِ
قلُـوبُهـمْ للـذِّكْـرِ قـدْ تَفَـرَّغَـتْ   دمـــوعُهـــم كلـــؤْلُـــؤٍ مُنْتَظِـــمِ
أسحـارُهـم بهـم لـه قـدْ أشْرَقَـتْ   وخِلَـــعُ الغُفْـــرَانِ خيـــرُ القِسَـــمِ
سـاروا وَعُـدْتُ عـنْ طـريـقٍ واضـحٍ   دَلَّ علـى الـرُّشْـدِ دليـلُ العَلَـمِ
دعنـيَ أبكـي مـا حَيِيـتُ أبـداً   فحُـقَّ لـي أبكـي فـلا لا تَلُـمِ

يا عجباً لكَ! تَـتَسمَّى باسمِ تاجرٍ، وتُخاصِمُ على الدِّرْهَمِ وتُشاجِر، وتُصابِرُ لربحِ القيراطِ الهواجِرَ(٢)، وتَغْضَبُ لأجلِ الحَبَّةِ وتُهاجِر(٣)، وتَرْضى في أفعالِكَ باسمِ فاجر، أما لَكَ من عقلِكَ ناهٍ ولا زَاجر؟! يا مَنْ نَومُه كثيرٌ وانتباهُه نادر! إن

---

(١) تسجم: هطول.
(٢) الهواجر: جمع هاجرة، والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس، أي: وقت اشتداد الحر.
(٣) تهاجر: تقاطع.

دُعيتَ إلى التَّوبةِ سَوَّفتَها، وإنْ قُمتَ إلى الصلوةِ سَفَفْتَها[١]، وإن لاحَ وجهُ الدُّنيا تَرَشَّفْتَها[٢]، أمَا هيَ دارُ بُلْغَةٍ[٣] لضَيْفِها تَضيَّفْتَها[٤]، أوليسَ قدْ شِبْتَ وما عَرَفتَها؟! كَمْ باديةٍ في أرباحٍ غير بادية تَعسَّفتَها[٥]، لقد استَشْعَرْتَ مَحبَّتَها إي واللهِ والتَحفْتَهَا[٦]، تَاللهِ لو علمتَ جِناياتِها لعِفْتَها[٧]، أنسيتَ تلكَ الذُّنوبَ التي أسْلَفْتَها، آهٍ لبضائع عُمُرٍ بذَرْتَ فيها وأَتْلَفْتَها، كم تَعِدُ بالإنابةِ؛ وكلُّ الوعودِ أخلفْتَها.

فما تلينُ قناتُكَ لغَامِزٍ[٨]، ولا تَرى ما يُشْتَهى فَتُجاوِز، ويحك! بين يديك أهوالٌ وَهَزَاهِز[٩]، كم تُقَوَّمُ ولا تَسْتَوي؟! مَنْ يُغيِّرُ الغَرائز؟![١٠].

ابكِ لما بكَ، واندُبْ في شَيْبك على شَبَابِكَ، وتَأَهَّبْ لسيف المَنونِ فقد عَلَّقَ الشَّبا[١١] بِكَ:

قــدْ كــانَ عُمْـرُكَ ميـلاً ... فــأصبـحَ الميْــلُ شِبْــرا
وأصبــحَ الشِّبْــرُ عُقْــداً ... فــاحْفِـرْ لِنَفْسِــكَ قَبْــرا

عجباً للطَّرْفِ كيف اغْتَمَض! ولِمُكَلَّفٍ ما أدّى المُفْتَرَض، يا مَنْ كلَّما بنى على أن يلوذَ بنا نَقَضَ، يا مَنْ إذا أدَّى حقّاً فعلى مَضَضٍ[١٢]، يا مَنْ إذا لاحَ له صَيْدُ

---

(١) سففتها: يقال: سفَفَ العمل: لم يبالغ في إحكامه.
(٢) ترشفتها: اشتففت ما فيها واستقصيته.
(٣) البلغة: ما يتبلغ به من العيش.
(٤) تضيفتها: نزلْتَ عليها ضيفاً.
(٥) البادية الأولى: الصحراء. غير بادية: غير ظاهرة. تعسفتها: العسف: الأخذ على غير الطريق.
(٦) استشعرت: الشعار: ما يلي البدن من اللباس. التحفتها: جعلتها لحافاً.
(٧) لعفتها: لتركتها كراهية.
(٨) قناتك: رمحك. لغامز: يقال: غمز المثقّف القناةَ: إذا عضّها وعصرها ليختبرها.
(٩) هزاهز: جمع هزهزة: الفتنة يهتز فيها الناس ويُبتلون.
(١٠) يُغير: يبدّل. الغرائز: جمع غريزة: طبيعة الإنسان وشهواته.
(١١) المَنون: الموت. الشبا: جمع شباة، وهي من كل شيء حدُّ طَرَفِه.
(١٢) المضض: الألم والكراهية.

الفاني جَدّ ورَكَض! يا مَنْ إذا قَدِرَ على جيفةِ الهوى جَثَمَ ورَبَضَ! يا مشغولاً عن الجَوْهَرِ بفاني العَرَض، إيثارُ ما يَفْنى أشدُّ المرض:

ألا يــا غــافــلاً تُحْصَــى عليــه ... مــن العَمَــلِ الصغيــرةُ والكبيــره
يُصــاحُ بــه ويُنْــذَرُ كــلَّ يــومٍ ... وقــدْ أنْسَتْــهُ غفلتُــه مَصِيْــرَه
تــأهَّــبْ للــرحيــلِ فقــد تَــدَانــى ... وأنــذَرَكَ الــرحيــلَ أخٌ وَجيــره
وكــمْ ذنــبٍ أتيــتَ علــى بَصيــره ... وعَيْنُــكَ بــالــذي تــأتــي قَــريــرَه
تحــاذِرُ أنْ تَــراكَ هُنــاكَ عَيْــنٌ ... وإنَّ عليــكَ لَلْعَيْــنُ البَصيــره
وكــمْ مِــنْ مَــدْخَــلٍ لــو مُــتَّ فيــهِ ... لكنــتَ بــهِ نكــالاً فــي العشيــره
وُقِيــتَ الســوءَ والمكــروهَ منــهُ ... ورُحْــتَ بِنِعمــةٍ فيــه سَتِيْــرَه

هذا حادي الممَاتِ قد أسْرَع، هذه سيوفُ المُلِمَّاتِ تقطع، هذه قصورُ الإخوانِ بَلْقع، إنْ وصلَتِ الدُّنيا فعلى نيَّةٍ أن تَقْطَع، وإنْ بَذَلْتَ فعلى عَزْمٍ أن تَمْنَع، أفيها حيلةٌ أم في وصْلِها مَطْمَعٌ؟ يا مُعْرِقاً[1] في البلى قل لي: لمَنْ تجمع؟! إذا خَلَوْتَ وتَخَلَّيْتَ فكيفَ تصنع؟! أتُرى: أنتَ عندنا أوَ مَا تَسمَع؟!.

يا محبوساً في سجنِ هَواه متى تَتَخلَّص؟! لو عَرَفْتَنا أَلِفْتَنا، لنا أحبابٌ لهم ألبابٌ هم اللُّباب[2]، شَغَلَهم على الدوامِ المحراب، حاضرون معكم بالأبدانِ وبالقلوب غُيَّابٌ:

وشُغِلْتُ عـن فهـمِ الحـديـثِ سِـوَى ... مــا كــانَ منــكَ فــإنَّــه شُغْلــي
وأديــمُ نحــوَ محــدِّثــي نَظَــري ... أنــي[3] فَهِمــتُ وعنــدَك معقلــي

ما نالَ الصالحونَ ما نَالُوا إلا بِتَرْكِ ما نَطْلُبه وما نَالوا، كانت هِمَمُهم في طلبِ الفَضائلِ تَغْلي في القلوبِ غليانَ الماءِ في القدور، تخايلَ القومُ لذَّةَ الثواب فَسَهُلَتْ عليهم مراراتُ الصبر، وتَصَوَّرُوا خلودَ الأبدانِ فهانَ عليهم بذلَ النفوسِ،

---

(١) يا معرقاً: يقال: أعرق فلان: له أصل ممتد في الكرم وغيره.
(٢) ألباب: أي لهم عقول راجحة. اللباب: الخالص من كل شيء.
(٣) في نسخة: أن قد.

جدُّوا في الجَدِّ فما سكنوا حتى سكنوا الجنة[١]، وراحةُ المؤمنِ في الدنيا صفرٌ من راحـةٍ[٢]، فلو رأيتَهم في رياض الجِنـانِ يَسْـرَحُون، منطلقين فـي أغراضِهم يَمْرَحون، لا يدرُون بأيِّ مطلوبٍ يفرحون، بالنجاةِ من النيران؟ أم بالخلودِ في الجِنان؟ أم بالخيراتِ الحِسان؟ أم برضا المليكِ الدَّيَّان؟ لقد نالوا بالمُرادِ ما لم يكنْ في الحُسْبان، من تَلَمَّحَ جولانَ مُضَمَّرِ الصَّبْرِ في لذيذِ العافية، وفَرحَةَ المُفْطِرِ بعد أنصاب[٣] الصوم، وتناول العَذْبِ بعد عذاب الظمأ، وسلامة الغريقِ بعد الإغراقِ في أَذَى الأذى، وخلاص التَّجْرِ في مِصْرِ ماصِرِ المُكْسِ[٤]، وتلاقي الأحبابِ على بابِ الطَّوْلِ بعد طُول الفراق، رأى من قوةِ قُرَّة العين ما لا يدخلُ تحت حدِّ قياس، بعد أنْ حَدَّقَ يـاسٌ، وقد وصَفْنا ما حصلَ للقوم، وجُمْلَـةُ المبذولِ من الثمن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

قفْ بالمُحَصَّبِ[٥] واسألْ أيُّها الرَّجُلُ ... تلْكَ الرسومَ عن الأحبابِ ما فَعَلُوا
فمـا أُسـائِـلُ عـن آثـارِهـم أحـداً ... إلا أجابَ غُرابُ البَيْنِ: قَدْ رَحَلُوا

* * *

(١) سكنوا الأولى: اطمأنوا. سكنوا الثانية: استقروا.
(٢) صفر من راحة: إشارة إلى استحالة راحة المؤمن في الدنيا.
(٣) أنصاب: جمع نصب، أي: متاعب ومشاق.
(٤) مصر: ناحية ومكان. ماصر: الحبل يلقى في الماء ليمنع السفن من السير حتى يؤدي صاحبها حق السلطان. المكس: الجباية وما يأخذه العشار من الضرائب.
(٥) المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى.

الفصل السابع والتسعون

مَنْ رَكِبَ الهوى هَوَى[١] به، والنفسُ إذا اسْتَعْمَلَتِ التَّقوى تقوى به[٢].

إنْ كنتَ يا صاحِ لبيباً حازِما — فكُنْ لأسبابِ الهوى مُراغِمَا[٣]
لا تهوَ دنياكَ فإنَّ حُبَّها — رأسُ الخطايا تُكْسِبُ المآثما
غدَّارةٌ فكُلُّ مَنْ حلَتْ لهُ — لا بُدَّ أنْ تُذِيقَهُ العَلاقِما[٤]
وأنها تَخْدِمُ مَنْ أهانَها — كما تُهينُ مَنْ أتاها خادِما
فكُنْ بها مثلَ غريبٍ مُصْلِحٍ — أزوادُهُ على الرحيلِ عازما
وبادِرِ الأيامَ قبلَ فَوْتِها — مخاصِماً للنَّفْسِ أو مُسالِما
فإنَّما عُمْرُ الفتى سُوقٌ لَهُ — يَرُوحُ عنها خاسراً أو غانما

يا مَنْ يُخطي[٥] على نَفْسِه ويقْترف! متى تندمُ وتعترف؟! يا مَنْ بِحُبِّ العاجل قد كَلِفَ[٦] ستعلمُ غداً جَفْنَ من يَكِف[٧]، يا محبوساً في سِجْنِ الهوى لوِ ازْعوى أنِف[٨]، يا متردّداً في التَّوبةِ سارِعْ ولا تقِفْ.

إلى متى أعمالُكَ كلُّها قِباح؟! إلى كم فسادٍ؟! متى يكون الصلاحُ؟! ستفارقُ هذه الأجسادَ الأرواحُ، إما في غدُوٍّ وإمَّا في رَوَاح، سَيَفْنى هذا المساءُ والصباحُ، وسيخْلُو البلى بالوجوه الصِّباح[٩]، أفي هذا شكٌّ والأمرُ صُراح[١٠]؟! أين

---

(١) هوى: سقط.
(٢) تقْوى به: صارت به قويةً.
(٣) مراغماً: مغاضباً.
(٤) العلاقم: جمع علقم: الشيء المر.
(٥) يخطي: يقع في الخطيئة والآثام.
(٦) كَلِف: أحب وعلق.
(٧) يكف: يسيل.
(٨) ارعوى: كف وارتدع. أنف: ترفع.
(٩) الصباح: الحسان.
(١٠) صراح: ظاهر بيّن.

شارب الراح[١]؟! راحَ إلى القبرِ تَسْفي[٢] عليه الرياح، حلّ للبلى وللدودِ مُباح، لهما اغتباقٌ به ثم اصْطِباح[٣]، عليهِ نِطاق من التُّرابِ ووِشاح[٤]، عنوانُه لا يزالُ مفهومُه لا بَـراح[٥]، مشغولٌ عمَّنْ بكى عليه وناح، أمَا هذا لنا عن قَليل؟ إنَّا لَوَقـاح[٦]، كأنَّك بملكِ الموتِ قدْ صَوَّتَ[٧] بالروحِ وراح، فنَهَضْتَ للنُّقْلَةِ على غَفْلَةٍ، إما في المساءِ أو في الصَّباح.

لـم أدرِ بـالبَيْـنِ حتـى أزمَعُـوا ظَعَنـاً　　كلُّ الجمالِ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمُومُ[٨]

هذا حادي الرحيلِ قد اسْتَعْجَلَكُم، فالبدارَ البدارَ، خَلُّوا كسلَكُم، ودَعُوا التواني[٩]، فالتواني قـد قتلكُم، وا أسـفي! سبقَ الصالحون، فماذا شَـغَلَكُم ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٤٤].

مـا علـى حـادي المَطَـايا لـوْ تَـرَفَّقْ　　رَيْثَمـا أسكُـبُ دَمْعِـي ثـم أَعْنَـقْ[١٠]
يـــا فـــؤاداً كلَّمـــا قُلْـــتُ خَبَـــتْ　　نـارُه ألهبَـهُ الـوَجْـدُ فـأَحْـرَقْ[١١]
ذلـــك العيـــشُ الـــذي فـــاتَ بـــه　　سائقُ الدَّهْرِ فولَّى أين يُلْحَقْ[١٢]
زالَ إلا خَطْـــرةً مـــن ذكْـــرِهِ　　كادَ إنسانيْ لها بالدَّمْعِ يَشْرَقْ[١٣]

---

(١) الراح: الخمر.
(٢) تسفي: من سفت الريح الترابَ: أذرته.
(٣) اغتباق واصطباح: شراب المساء والصباح.
(٤) نطاق: حزام يشدُّ الوسط. وشاح: نسيج عريض يرصَّعُ بالجواهر وتشده المرأة بين عاتِقها وكَشْحِها.
(٥) مفهومه: مضمونه. لا براح: لا زوال.
(٦) وَقاح: من الوقاحة: الاجتراء على اقتراف القبائح.
(٧) صوَّت: صاح.
(٨) مزموم: وضع لها الزمام والخطام تأهّباً للسير.
(٩) البدار: المسارعة. التواني: التباطؤ والتكاسل.
(١٠) حادي المطايا: سائق الإبل. أعنق: العنق: ضرب سريع من السير.
(١١) خبت: سكَنَت. الوجد: المحبة.
(١٢) فات به سائق الدهر: أخذ به الزمان.
(١٣) إنساني: بؤبؤ العين. يشرق: يغص.

يلـــذعُ القلـــبَ إذا غنَّـــى علـــى فَنَـــنٍ أو نـــاحَ قُمْـــريٌّ مُطـــوَّقْ[1]

يـا معدوداً مـع الشَّـيبِ فـي الصِّبْيان! يا محبوساً مع البُصراءِ في العُمْيان! يا واقفاً في الماءِ وهو ظمآن! يا عارفاً بالطريقِ وهو حَيْران! أما وُعِظْتَ بآيِ القرآن؟! أما زُجِرْتَ بِنَأْيِ[2] الأقران؟! أما تعتبرُ بصروفِ[3] الزَّمان؟! أتُعَمِّرُ المنزلَ وعلى الرحيلِ السُّكان؟! أما يكفي وَعْظُ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]؟!.

تسافرُ ببضائع الأمانةِ وما تنزلُ إلاَّ في خانِ مَنْ خَان[4]، أفعالُكَ كلُّها مكتوبةٌ فيا لَيْتَ ما كانَ ما كان[5]، تدفُنُ الميت ولا وَعْظَ كالعِيان، ثم تعودُ غافلاً يا قُرْبَ ذا النِّسْيان، ويحك! أما تدري أنَّ الهوى هَوَان[6] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يسٓ: ٦٠].

نُـــراعُ[7] إذا الجنـــائـــزُ قـــابَلَتْنـــا ونسْكُـــنُ حيـــنَ تَخفـــى ذاهبـــاتِ
كـــرَوْعَـــةِ ثُلَّـــةٍ لظهـــورِ ذِئْـــبٍ فلمَّـــا غـــابَ عـــادَتْ راتعـــاتِ[8]

يا مُسْتَأْنِساً بِظِلٍّ مُتَقَلِّصٍ[9]! يا حريصاً على الهوى، والموتُ عليه يَحْرِصُ! يـا مَنْ إن كالَ فمُطَفِّفٌ، وإنْ وزنَ فَمُتَلَصِّصٌ[10]، ما يتخلَّصُ من معامل إلا مَنْ هـو عند اللهِ مخلص، تفكَّـر فيمن أصبحَ مسـروراً فأمسـى وهو متنغِّص[11]،

---

(١) يلذع: يحرق. فنن: غصن. قمري: ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت. مطوق: الحمامة التي في عنقها طوق.
(٢) بنأي: النأي: البعد، وهو كناية عن الموت. الأقران: الأصحاب.
(٣) صروف: نوائب.
(٤) خان الأولى: النزل والفندق. خان الثانية: من الخيانة.
(٥) ما كان الأولى: الذي كان. ما كان الثانية: لم يكن.
(٦) هوان: ذل.
(٧) نراع: نفزع.
(٨) ثلة: جماعة. راتعات: لاعبات لاهيات.
(٩) ظل متقلص: أي ظل منقبض وناقص، وهذا إشارة إلى الدنيا وما فيها.
(١٠) مطفف: منقّص من المكيال. متلصص: سارق.
(١١) متنغص: مُتكدّر.

ومتى ازدَدْتَ لـذَّةً فاذكر قبلها المُنَغِّص، حاسِبْ نفسَكَ وخُـذْ على يدها[١] لا تُرَخِّصْ[٢]، حائطُ الباطنِ خَرابٌ فلماذا تُجَصِّص[٣]؟!.

يـا بْنَ آدمَ! أنتَ بين ذنـبٍ لا تَدْري أَغُفِرَ؟ وحَسَنَةٍ لا تعلَمُ أقُبِلَتْ؟ فأيـنَ الانزِعـاجُ؟ لمَّا سُتِرَتْ عن الصالحين العـواقبُ[٤]، استراحوا إلى الأحـزان، وفَزِعوا[٥] إلى البكاء، كانوا يتزاوَرُون فلا تجري في خلوة الزيارة إلا دموعُ الحذَرِ، كان **أشعثُ الحراني** يزورُ حبيباً **العَجَمِيّ** فيبكيان طولَ النهار.

بـاحَـتْ بِسِـرِّي فـي الهـوى أدْمُعـي ... ودَلَّـتِ الـوَاشـي علـى مَـوْضِعـي
يـا قـومِ إن كنتُـمْ علـى مَـذْهبـي ... في الـوَجْـدِ والحزنِ فنُوحُـوا معي
يَحِـقُّ لــي أبكــي علــى زلَّتــي ... فــلا تلــومُــونــي علــى أدْمُعــي

إخواني! أتدرونَ ما أقْلَقَ هذا التائبَ؟ أعَلِمْتُم ما أقْدَمَ هذا الغائبَ؟.

سرى نسيمُ الصَّبا من حاجرٍ فَصَبا ... فباتَ يشكو إلى أنفاسِه الوَصَبا[٦]
ما يَبْرَحُ البارِقُ والنجديُّ[٧] يُذَكِّرُهُ ... نجـداً ويُلْهِبُــه وَجْـداً إذا التَهَبـا

يَحقُّ لمن رأى الراحلينَ إلى الحبيبِ وهو قاعدٌ أن يبكي، ولِمَنْ سمِعَ بأخبارِ الواصلين وهو متباعدٌ أن يَقْلَق.

أَبْصرَ الـرَّكْبُ على الجِزْعِ ضُحًى ... فتـــوالَـــى دمعُـــه مُنْسَفِحـــا
يـــا خَليلَـــيَّ بجَـــزْعَـــاءِ الحِمَـــى ... سَـــائـــلا مَـــنْ حَـــلَّ ذاكَ الأبطحـــا
وخُـــذا عنـــي أحـــاديـــثَ الغَضَـــا ... بَخِـــلَ الـــراوي بهـــا أو سَمَحـــا

---

(١) **خذ على يدها**: أي امنعها.
(٢) **لا ترخص**: لا تأخذ بالرخص.
(٣) **تجصص**: تطلي بالجص.
(٤) **العواقب**: خواتم الأعمال.
(٥) **فزعوا**: لجؤوا.
(٦) **نسيم الصبا**: ريح مهبّها من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. **فصبا**: جن واشتاق. **الوصب**: المرض.
(٧) **البارق**: سحاب ذو برق. **النجدي**: من أنجدت السماء: إذا صحت.

وَاسْتَمِلَّاهَا بِدَمْعِي واكْتُبَا عَنْ أخي الشوقِ إذا ما شَرَحا
وإذا هَبَّ الصَّبا قولا لَه: عُذْ فقد هيَّجْتَ قلباً ما صَحَا
يا أُهَيْلَ الحيِّ من كاظمةٍ عادَ مستورُ الهوى مُفْتَضَحَا

إذا رأيتُم قَلِقاً فارحمُوه، وإذا شاهدتُم باكياً فوافِقوه، وإذا عايَنْتُم واجِداً فاتركوه.

خَلِّني مِنَ العَذْلِ ما الفُؤادُ مِنْ قِبَلي
لا تَسَلْ ففي كبِدي شُعْلَةٌ مِنَ الشُّعَلِ

يا أطفالَ الهوى أين أنتم والرجال؟!.

كَمْ مَنْ حثَّ وما أرى غيرَ بَطَا[1] لوْ حَرَّكْتَ العَزْمَ نحوَنا فَضْلَ خُطا
تَعْصِي قَصْداً وتدَّعيهِ غلطا تُصْمي عَمْداً وتَزْعُمُ القتلَ خطا[2]

يا هذا! إذا هَمَمْتَ بخيرٍ فبادر لئلا تُغْلَب، وإذا هَمَمْتَ بشَرٍّ فَسَوِّف هَواك لعلَّكَ تَغْلِب، ثَقِّفْ نفسك[3] بالآدابِ قبل صحبةِ الملوك، فإنَّ سياسةَ الأخلاق مراقي المعالي.

قال بُزُرْجَمْهَر[4]: أخَذْتُ من كلِّ شيءٍ أحسنَ ما فيه، حتى من الكلبِ والهرِّ والغراب.

قيل: ما أخَذْتَ من الكلب؟.

قال: ذبُّه عن حريمهِ وإلْفُه لأهله.

قيل: ما أخَذْتَ مِنَ الهِرِّ؟.

---

(١) بطا: من التباطؤ.
(٢) تُصمي: من أصميتُ الصيدَ: إذا رميته فقتلته. خطا: من الخطأ.
(٣) ثقف: هذّب وقوّم.
(٤) بزرجمهر: وزير كسرى أنوشروان، كان حكيماً، ومن أقواله: كن شديداً بعد رفق، لا رفيقاً بعد شدة، لأنَّ الشدةَ بعد الرفق عز، والرفقُ بعد الشدّة ذل. انظر: فيض القدير، رقم (٤٥٢٩ و١٩١).

قال: رِفقُها عند المسألة، ولينُ صِيَاحها.

قيلَ: ومن الغراب؟.

قال: شدَّةُ حذَرِه.

لولا سَخَطُ نفسِ أبي بكرٍ عليه لمُفَارقةِ هَوَاهـا، ما نَال مرتَبَةَ «أنـا عنكَ راضٍ»[1].

لولا عُزْيُ أويسٍ ما لبسَ حُلَّةَ «يشفع مثلَ ربيعةَ ومضر»[2].

يا كثيرَ الذنوبِ متى تَقْضِي؟! يا مقيماً وهو في المعنى يَمْضي، اترُكِ الهوى محمُوداً قبل أن يتركَكَ مذموماً، إن فاتَتْكَ قصباتُ السَّبْقِ في الزهدِ، فلا تفُوتَنَّكَ ساعاتُ الندمِ في التوبة، يا مَنْ كلَّما حُرِّكَ إلى الجَدِّ[3] سوَّف، يا مَنْ شدَّدَ عليه الوعيدُ وما تخوَّف، يا مَريضَ الهوى بل يا مُدْنَف[4]، إن كنتَ لا تعرِفُ الدواءَ فالطبيبُ قد عرَف، هذا مُمْكن النصائح[5] ثم أنتَ بنفسك أعْرف.

* * *

---

(١) رواه ابن حبان والعُقيلي في كتاب (الضعفاء)، وقال الذهبي في (الميزان): هو كذب، وذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، باب فضل الألفة والأخوّة.

(٢) عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أمّتي لمن يشفعُ لأكثرَ من ربيعة ومضر» رواه الإمام أحمد في (المسند)؛ وانظر: صفة الصفوة: ٣/ ٤٩؛ وذكره الحافظ في (ميزان الاعتدال) في ترجمة أويس عن عمر: «يدخل الجنة بشفاعته ـ أي أويس ـ مثل ربيعة ومضر».

(٣) الجَدّ: معالي الأمور وعظمتها.

(٤) مدنف: الدنف: المرض الملازم.

(٥) ممكن النصائح: ما تيسر من النصائح.

الفصل الثامن والتسعون

إخواني! من عَرَفَ ما بين يديه لم يُؤْثِرِ الهوى ولَمْ يَلْتَفِتْ إليه، ومَنْ تَفَكَّرَ في رحيلِ مَنْ كان لديه صارَ النهوضُ للتزوُّدِ متعيِّناً عليه.

رَحَـلَ الأَحِبَّـةُ عَـنْ ديـارِهِـمُ … أَهْـوِنْ بمـا أَخَـذُوا ومـا تَـرَكـوا
وعلمْتُ أينَ مَضَى الخليطُ[1] فما … أرى بـالمنـادِي أيَّـةَ سَلَكُـوا
ونفـوسُنـا كحمـائِـمٍ رُفِعَـتْ … للصـائـديـنَ وَدُونهـا الشَّبَـكُ
مُتَضَـرِّبـاتٌ فـي حبـائِلِهـا … وَوَهَـى جَنَـاحٌ ضمَّـهُ الشَّـرَكُ
إنَّ الملـوكَ إذا هـمُ احتُضِـرُوا … وَدُّوا هنـالـك أنَّهـم نَسَكُـوا

كم فَرِحٍ بشَهْرٍ وإهلالِه، مُتَهَلِّلٍ[2] لرؤيةِ هلاله، اِختطَفَهُ الموتُ في خِلالِه، كم مائلٍ إلى جمعِ ماله، تركَهُ تَرِكَةً ومَرَّ بأثقاله، هل رَحِمَ الموتُ مريضاً لِضَعْفِ أوصَالِه؟! هل تركَ كاسباً لأجل أطفالِه؟! هل أمْهَلَ ذا عيالٍ من جَرّا[3] عياله؟! كم راعَ قَصْراً وماراعى عِزَّ أبطالِهِ[4]، كم أشرَفَ على شريفٍ فلم ينظر في جَلالِه[5]، كم خَرَقَ دِرْعاً نبيلاً[6] بِوَقْعِ نبالِه، كم أيْتَمَ طفلاً صغيراً ولم يُبالِهِ[7]، كم سَلَّ سَليماً من سَعَةِ نعاماه وشماله، كم بَغَتَ عليلاً بالبِلى بعد التّراقي إلى إبْلاله[8] فرقَّى

---

(١) الخليط: المخالط (يطلق على الفرد والجمع).
(٢) متهلل: فرح مسرور.
(٣) جرا: أصلها جراء: أي لأجل.
(٤) راع: أخاف. راعى: لاحظ واهتم.
(٥) جلاله: عظمته.
(٦) نبيلاً: عظيماً.
(٧) يباله: لم يهتم به.
(٨) البلى: الهلاك والقبر. بعد التراقي: مِنْ الرقي: أي ارتقى وتسامى. إبلاله: شفائه.

روحَه إلى التّراقي[1] ولم ينظر في حاله!.

أليسَ إلى الآجالِ نَهْوِي وخَلْفَنا / منَ الموتِ حادٍ لا يُغِبُّ عَجُوْلُ[2]
دع الفِكْرَ في حُبِّ البقاءِ وطولِه / فهمُّكَ لا العمْرُ القصيرُ يَطُولُ
ومَنْ نظَرَ الدُّنيا بعينِ حَقِيقةٍ / تيقَّنَ أنَّ العيشَ سوفَ يزولُ
وما هذه الأيامُ إلا فوارسٌ / تُطارِدُنا والنائباتُ[3] خيولُ

بَيْنَا محبُّ الدنيا في اختيالٍ ومَرَحٍ، وكلَّما جاءَ باباً من أبوابِهَا فُتِح، وكلّما عانَى أمراً من أمرِها صَلَح، فَبَيْنا هو في لَذّاتِه يُديرُ القَدَح[4]، قَدِحَ زنادُ العمرِ في حَرَّاقِ القِدَح[5]، فمَنْ يستدْرِكُ ما فات؟! ومَنْ يُداوي ما جُرِح؟!.

بينما المرءُ غافلٌ إذ أتاهُ / مِنْ يَدِ الموتِ سالبٌ لا يُصَدُّ
فتأهَّبْ لِمَا لَه كلُّ نَفْسٍ / عُرْضةُ الأسرِ إنَّما الأمرُ جِدُّ

إلى كم تَعْصِي وتتمرَّد؟! وأقبحُ من قبيحِكَ أنَّك تتعَمَّد، يا رَديَّ العَزْمِ! يا سيِّئَ المَقْصِدِ! يا نَقِيَّ الثَّوب، والقلبُ أسودُ! ما هذا الأملُ ولستَ بِمُخلَّدٍ؟ يا مسوّراً على القبيح أتَقِرُّ أم تَجْحَدُ؟! أمَا الطريقُ طويلةٌ فمتى تَتَزَوَّدُ؟ تَخلَّصْ مِنْ أسْرِ الهوى فإلى كم مُقَيَّدٌ؟! أتَشْتَري لذّةَ ساعةٍ بعذابٍ سَرْمَدٍ؟!.

سَبِيْلُكَ في الدُّنيا سبيلُ مُسافِرٍ / ولا بُدَّ مِن زادٍ لكلِّ مُسافِرِ
ولا بدَّ للإنسانِ من حَمْلِ عُدَّةٍ / ولا سيَّما إنْ خِيْفَ صَوْلَةُ قاهرِ[6]

يا مذمِنَ الذُّنوبِ منذ كانَ غلاماً! عَلامَ عَوَّلْتَ قل لي علامَ[7]؟! أتَأْمَنُ مأتى[8] مَنْ أتى حراماً؟! قَدْ ترى ما حلَّ بهم إليكَ قَدْ تَرامى، أينَ المجتمعون على

---

(١) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظام المكتنفة نقرة النحر موضع الحشرجة.
(٢) لا يُغب: لا ينقطع. عجول: صيغة مبالغة من العجلة.
(٣) النائبات: المصائب.
(٤) القدح: إناء يشرب به الماء.
(٥) القدح: قدح زناد العمر: القِدْحة: اسم اقتداح النار. والزَّنْد: عودٌ يقدح به النار، وكأنه يشير إلى انتهاء العمر بإيرائه المستمر، واستنفاده في اللذات والغفلات.
(٦) عُدة: العدة، ما أعددته لحوادث الدهر. صولة: وثوب.
(٧) علام: على أي شيء. عوّلت: اعتمدت.
(٨) مأتى: عاقبة.

خمورهم والنَّدامى[١]؟! كلُّ القومِ في قبورِهم نَدَامى[٢]، أما جرى على العُصاةِ يكفي إماماً[٣]؟! لقد ضيَّعْنا حديثاً طويلاً وكلاماً، وما أرى ذلك إلا دَاء عَقاماً[٤]:

يـا ليـتَ شعـري مـا ادَّخَـرْتَ ... ليـومِ بـؤْسِـكَ وافتقـارِكْ
فَلَتَنْـزِلَـنَّ بمنـزلٍ ... تَحْتـاجُ فيـهِ إلـى ادّخَـارِكْ
أفنيـتَ عُمْـرَكَ بـاغتـرارِكَ ... ومُنـاكَ فيـهِ بـانتظـارِكْ
ونَسِيـتَ مـا لا بُـدَّ مِنْـهُ ... وكـانَ أَوْلـى بـادِّكَـارِكْ[٥]
ولـو اعتبـرتَ بمـا تَـرى ... لكفـاكَ عِلْمـاً بـاعتبـارِكْ
لـكَ سـاعـةٌ تـأتيـكَ مِـنْ ... سـاعـاتِ ليلِـكَ أو نَهـارِكْ
فتصيـرُ مُحْتَضَـراً بِهـا ... فَتَهـيَّ[٦] مِـنْ قَبْـلِ احتضـارِكْ
مِـنْ قَبْـلِ أنْ تُقْلـى[٧] وتُقْصَـى ... ثُـمَّ تُخْـرَجُ مِـنْ ديـارِكْ
مـن قبـلِ أنْ يتثـاقَـلِ ... الـزُّوَّارُ عَنْـكَ وعَـنْ مَـزارِكْ[٨]

متى تُفِيقُ من هذا المَرَضِ المُراض[٩]؟! متى تستَدْرِكُ هذه الأوقاتَ الطِّوالَ العِراض؟! يا غَرَضَ المنونِ كيف تتقي الأغراض[١٠]؟! أمَا الأعمارُ في كلِّ يومٍ في انقراضٍ؟! لقد نَبَّهْتُ قبلَ شكَّةِ السَّهمِ صكة المِعراض[١١]، أما ترى الراحلينَ

---

(١) الندامى: جمع نديم: وهو المصاحب على الشراب المسامر.
(٢) ندامى: جمع ندمان: أي آسفون.
(٣) إماماً: مثالاً وعبرة.
(٤) عقام: أي عقيم: لا برء منه.
(٥) ادكارك: تذكرك.
(٦) فتهيَّ: فتهيّأ: استعد.
(٧) تقلى: تُهجر.
(٨) مزارك: قبرك.
(٩) المُراض: داء يقع في الثمر فتهلك.
(١٠) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه والبغية والقصد. الأغراض: الأهداف التي تُصوِّب إليها المنايا سهامها.
(١١) شكة: الغزة، يقال: شكّ فلاناً بالرمح طعنه. صكة: ضَربة. المِعراض: سهمٌ بلا ريشٍ غليظُ الوسطِ يصيبُ بعُرْضِه دونَ حدِّه.

ماضِياً خلفَ مَاضٍ[1]؟! كم بُنْيان ما تَمَّ حتى تَمَّ مأْتَم[2]؟! وهذا قدِ استَفَاضَ، إنَّ الموتَ إليك كما كان إلى أبويك في ارتكاضٍ[3]، إن لم تقدر على مشارع[4] الصالحين فَرِدْ[5] باقيَ الحِياض، إن لم يكنْ لكَ ابنُ لَبونٍ فلتكنْ بنتَ مَخاض[6]، إلى متى؟ وحتى متى؟ أتعبْتَ الرُّوَّاض[7]، كلَّما بَنَيْنا نَقَضْتَ، ولا بِنَاءَ مع نَقَّاض، يـا مَـنْ قَدْ باعَ نفسَه بلذَّةِ ساعةٍ بيعاً عن تراضٍ، لبئسَ ما لَبِسْتَ أتدري ما تَعْتَاضُ؟ يا عِلَّةً لا كالعِلل! ويا مَرضاً لا كالأمراض!.

لقـد أخبـرتْـكَ الحـادثـاتُ نُـزُولهـا ونـادَتْـكَ إلا أنَّ سمعَـكَ ذو وَقْـرِ[8]
تنـوحُ وتبكـي لـلأحبـةِ إنْ مَضَـوْا ونفسَكَ لا تبكي وأنتَ على الإثْرِ[9]

يا مخالِفاً مَنْ نهاه وأمرَه! يا مُضَيِّعاً في البطالةِ عُمُرَه! الزمانُ صولجان[10] والعُمُر كُرَة، الدنيا بحرٌ والساحلُ المقبرة، احذَرْ نوائبَها فإنَّ مشاربَها كَدِرة، على أنَّها مزرعةٌ يحصُدُ كلُّ ما بَذَرَه، فلا تَحْتَقِرْ معصيةً فربّما أحرقَتْ شَرَرة[11]، أما عَرَفْتَ سِرَّ ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، لو اقتنعَ اكتفى، ولكنَّ المحنةَ الشَّرَه[12].

إخواني! كلُّ مقاتلٍ ليسَ معهُ سلاحُ عَزْمٍ مغلوبٌ، إذا برزَ شجاعُ اليقظَةِ بسلاحِ الجِدِّ، هَشَّمَ وجهَ الأملِ، وهَزَمَ جيوشَ الزَّلَلِ، إذا اسْتَشْعَرَتِ النفسُ

---

(١) ماضياً: ذاهباً.
(٢) مأتم: الجماعة من الناس في حزن أو فرح، وغلب استعماله في الأحزان.
(٣) ارتكاض: إسراع.
(٤) مشارع: جمع مشرع، وهو مأخذ الماء.
(٥) فرِدْ: من الورود، أي: الإتيان إلى الماء.
(٦) ابن لبون: ولد الناقة إذا استكملَ السنة الثانية ودخل في الثالثة، لأنَّ أمّه وضعتْ غيره، فصار لها لبن. بنت المخاض: ولد الناقة إذا استكمل الحول ودخل في الثانية.
(٧) الرواض: جمع رائض: أي مُرَبٍّ ومهذِّب.
(٨) وقر: ثقل.
(٩) الإثر: الأَثَر، أي على أعقابهم.
(١٠) صولجان: المِحْجن، وهو عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرةَ.
(١١) شررة: أصغر ما يتطاير من النار.
(١٢) الشَّرَهُ: غلبة الحرص.

زُرمانِقة[1] الزُهدِ، ودخلَتْ مترَهْبِنةً[2] دَيْرَ العُزوف[3]، وجَدتْ أنيسَ «أنا جليسُ مَنْ ذكرني»[4].

الخلوةُ شَرَكٌ لصيد المُؤانسة، فأخْفَى الصيادين شخصاً، وأقلُّهم حركةً أكثرُهم التقاطاً للصَّيْد، ما صادَ هزٌّ صَاحَ.

وَخلُ المُخالطةِ يُلْزِمُ المتهذِّبَ المُتَمَذْهِب رفْعَ أذيالِ قميصِ الدين.

قيل للحَسَن: ما بالُ المتهجّدين بالليلِ من أحسَنِ الناسِ وجوهاً؟.

قال: لأنَّهم خَلَوْا بالرَّحْمنِ فألبَسَهُم من نورِه.

أبــداً نفــوسُ الطــالبيــنَ ... إلــى طُلُــولكــمُ تَحِــنُّ
وكــذا القلــوبُ بــذكــركُــمْ ... بعــدَ المخــافــةِ تَطْمَئِــنُّ
جُنَّــتْ بحبِّكُــمُ ومَــنْ ... يَهْــوى الحبيــبَ ولا يُجَــنُّ؟
بحيــاتِكُــمْ يــا ســادتــي ... جــودوا بــوصلكُــمُ ومُنُّــوا[5]

رَحِمَ اللهُ أعْظُماً طالما نَصَبت وانتَصَبَتْ[6]، جُنَّ عليها الليلُ، فلمَّا تمكَّنَ وثَبَتَ وَثَبَتْ[7]، إنْ ذَكَرَتْ عَدْلَهُ رَهِبَتْ وهَرَبَتْ، وإنْ تصوَّرَتْ فَضْلَهُ فَرِحَتْ وطَرِبَتْ، عَرَفَتْ إذْ نَبَتْ[8] عن خدمتِه أنها قد أذْنَبَتْ، هبَّتْ على قلوبهم عقيمُ الحذر، فاقشعرَّتْ ونَدَبَتْ[9]، فبكَتْ عليها سحابُ الرجاءِ، فاهتزَّتْ ورَبَتْ،

---

(١) زرمانقة: جبة صوف، وفي الحديث: أنَّ موسى عليه السلام لما أتى فرعون أتاه وعليه زرمانِقة.

(٢) مترهبنة: سلكت مسالك الرهبان العازفين عن الدنيا.

(٣) العزوف: يقال: عزفت نفسي عنه: زهدت فيه، وانصرفتُ عنه.

(٤) رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في (الشُّعَب) عن أُبَيّ بن كعب بلفظ: «قال موسى: يا رب أقريبٌ أنتَ فأناجيك، أو بعيدٌ فأناديك؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني» راجع: كشف الخفاء: ٢٠١/١.

(٥) مُنّوا: تكرّموا وأنعموا.

(٦) نصبت: تعبت. انتصبت: قامت لله.

(٧) وثبت الأولى: من الثبات. وثبت الثانية: من الوثوب.

(٨) نبت: من نبا: أي تجافى وتباعد.

(٩) ندبت: بكت وصاحت.

حَسْبُكَ أنَّ قوماً موتى تَحْيَا بذكرهمُ النُّفوس، وأنّ قوماً أحياء تقشعرُ برؤيتهم القلوبُ، سلامُ الله على تلكَ القبور، ورضوانُ اللهِ حَشْوُ تِلْكَ اللُّحود.

(للغزي):

طلولٌ إذا دَمْعي شكى البَيْنَ بَيْنَها[1] ... شكَى غيرُ ذي نُطْقٍ إلى غَيْرِ ذِيْ فهْمِ[2]

أماكنُ تَعَبُّدِهم باكيةٌ، ومواطِنُ خَلَواتِهم لِفَقْدِهم شاكيةٌ، زالَ التعبُ وبقي الأجرُ، وذهبَ ليلُ النَّصَبِ وطَلَعَ الفَجْرُ.

جاء في الحديث: «**تحتَ شجرةِ طُوبى مُسْتَراحُ العابدين**»[3]، إنّما يطيبُ مكانُ الاستراحةِ بإجْرَاء حديثِ التَّعَبِ، وإنَّما يَلَذُّ الظِّلُّ الباردُ لمن تأذَّى بِحَرِّ الهجير[4].

إخواني! مَثِّلوا الاستراحةَ تحتَ شَجَرَةِ طوبى يهُنْ عليكم السَّفَر، ادأبوا في السَّيْرِ، فقدْ لاحَ العَلَم:

لمّا وَرَدْن القَادسيّة ... حيثُ مُجْتَمَعُ الرفاقِ
وشَممْتُ مِنْ أرضِ الحجازِ ... نَسيمَ أرواحِ العِراقِ
أيقَنْتُ لي ولمَنْ أُحِبُّ ... بجَمْعِ شَمْلٍ واتفاقِ
وضحِكْتُ مِنْ طيب الوصالِ ... كما بكيتُ مِنَ الفِراقِ
ما بينَنَا إلاَّ تَصَرُّمُ[5] ... هذه السَّبْع البواقي
حتّى يطولَ حديثُنا ... بصنوفِ ما كنّا نُلاقي

* * *

---

(١) بينها: أي فيما بين الطلول.

(٢) في (أ): راحم.

(٣) لم نقف على هذا الأثر فيما رجعنا إليه من كتب الحديث.

(٤) **الهجير**: نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

(٥) **تصرّم**: انقضاء.

الفَصْلُ التَّاسِعُ والتِّسْعُونَ

يا هذا! هَوِّنْ بأمرِ الدُّنيا تَهُنْ، وقدِّرْ أنها قطُّ لم تَكُنْ، واحفظْ دينَكَ مِنْ مَكْرِها وَصُنْ، فمتى وفَتْ؟! ومتى لم تخُنْ؟!.

(للمتنبي):

لا تلـقَ دَهْـرَكَ إلاَّ غيـرَ مكتَـرِثٍ ... مـا دامَ يَصْحَـبُ فيـهِ روحَـكَ البـدنُ
فمـا يـدومُ سـرورٌ مـا سُـرِرْتَ بـهِ ... ولا يَـرُدُّ عليـكَ الفـائـتَ الحَـزَنُ
ممـا أضـرَّ بـأهـلِ العِشْـقِ أنَّهُـمُ ... هَوَوْا، وما عَرَفُوا الدُّنيا ولا فَطِنُوا
تَفْنـى عيـونُهـم دمعـاً وأنفسُهُـم ... فـي إثْـرِ كـلِّ قبيـحٍ وجهُـهُ حَسَـنُ
تَحَمَّلـوا حَمَلَتْكُـم كُـلُّ نـاجيـةٍ ... فكـلُّ بَيْـنٍ علـيَّ اليـومَ مُـؤْتَمَـنُ[1]
ما في هوادِجِكُم[2] مِنْ مُهْجَتي عِوَضٌ ... إنْ مِـتُّ شـوقـاً ولا فيهـا لهـا ثمـنُ
سَهِـرْتُ بعـد رحيلـي وحشـةً لكُـمُ ... ثم استمرَّ مَرِيري، وارعوى الوَسَنُ[3]

إنَّما الدنيا حلمُ نائمٍ، وقائِلَةُ[4] راقِدٍ، ومَعْبَرُ مُعْتبِرٍ، وضِحْكَةُ مُسْتعبِرٍ[5]، تَاللهِ ما أُعْجِبَ بمالها من نَظَر في مآلِها[6]، ولا بنى قصورها من عرف غرورها، ولا مدَّ باعَ الأملِ فباعَ وشرَى بِها مَنْ تذكَّرَ مُرَّ شرابِها، إنَّها إذا طَغَتْ على الطَّغامِ تُطغي، وإذا بُغِيَ نكاحُها على العفافِ تَبْغي[7]، وكأنَّها تَقْصِـدُ هَـلاكَ مُحبِّهـا

---

(١) ناجية: الناقة المسرعة. بين: فراق، ويقصد أنَّ الفراقَ مؤتمن عليّ، أي: أرضى بحكمه، ولا تضرني غائلته، أي لا أحزن على فراقكم.

(٢) هوادجكم: جمع هودج، وهو مركب النساء.

(٣) مريري: المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الحبل. استمر: استقام. ارعوى: انزجر. الوسن: النعاس.

(٤) قائلة: قيلولة: أي النوم عند الظهيرة.

(٥) مستعبر: باك.

(٦) نظر في مآلها: أي نظر فيم تصير إليه.

(٧) تبغي: تتعدى وتظلم.

وتبغي[(١)]، وكم عذلتْ في فتكِها بالفتى الفتي وتُلغي.

أمَا درَّ دَرُّها[(٢)] فغَرَّت[(٣)]؟ فلمَّا فَرَغتْ[(٤)] فَغَرَتْ[(٥)] فاهاً فرغت[(٦)] للظَّعنِ، أما سَحَبت قرونَ قارونَ مع أقرانِه إلى القرارِ في قَرَن[(٧)]، أما كفْكَفَتْ[(٨)] بكفِّها كَفَّ مكفوفِ حُبِّها[(٩)] فأرتكَ فَنَّ ما يكونُ في كفن، تَـالله لقـد لَقِيَ الغبـيُّ غِبَّ[(١٠)] غباوته، فلمَّا انجلى غَيْهَبُ عَيْبَتِـهِ[(١١)] رأى الغَبْنَ والغَبَن[(١٢)].

يا أرباب اللِّمَم[(١٣)] الشِّماطِ[(١٤)] الموتُ بكم قد أحاط، هذا العدوّ مُنازِلٌ[(١٥)] فالزموا الرباط، ما هذا الفتورُ[(١٦)]! ومهرُ الحورِ الجِدُّ والنشاط، إياكم والزَّلَل فكم من دَمٍ أشاط[(١٧)].

أما سمعتم مناديَ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ [الكهف: ٥٩]؟! أما يُنذرُكم أعلامُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾ [هود: ١٠٢]؟! أما يَفْصِمُ عُرى عزائِمكم ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ [الأنبياء: ١١]؟! أما يقصُرُ من قُصوركم[(١٨)] ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ

---

(١) تبغي: تقصد وتريد.
(٢) دَرَّ: كثر. درها: لبنها.
(٣) فغَرَّتْ: خدَعَتْ.
(٤) فرغت: انتهت.
(٥) فغرت: فتحت.
(٦) فرغت: من رغا يرغو: أي صوت وضج.
(٧) القَرَن: الحبل يقرن به البعيران.
(٨) كفكفت: منعت.
(٩) مكفوف حبها: الأعمى في حبها.
(١٠) غب: عاقبة.
(١١) عيبته: وعاء من خُوص ينقل فيه الزرع إلى الجرين، أو من أَدَم توضع في الثياب.
(١٢) الغبْن: بسكون الباء، وهو ـ في البيع ـ النقص، وبفتح الباء الغَبَن يكون في الرأي: الضعف.
(١٣) اللمم: جمع لِمَّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.
(١٤) الشِّماط: جمع شَمَط: اختلاط بياض الشعر بسواده.
(١٥) منازل: مقاتل.
(١٦) الفتور: التقصير والضعف.
(١٧) أشاط: أهدر.
(١٨) يقصر: يكف. قصوركم: تقصيركم.

﴿مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]؟! أما سمعتم هاتفَ العِبَر ينادي ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]؟! إذا رأيتم المبارزين بالخطأ قد اتّسعَ لهم مجالُ الإمهالِ فلا تستعجل لهم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، بينَا القومُ على غرور سرورهم ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] ، يا سالكي سبيلهم انحرفوا عن هذه الجادة.

يا هذا! ظُلْمُكَ لنفسِكَ غايةٌ في القبح ، إلاّ أنَّ ظُلْمَكَ لغيرِكَ أقبحُ.

ويحك! إن لم تَنْفَعْ أخاكَ فلا تؤذِه، وإنْ لم تُعْطِه فلا تأخذْ منه، لا تُشابِهَنَّ الحيةَ، فإنَّها تأتي إلى الحَفْرِ الذي قد حَفَرَهُ غَيْرُها فتَسْكُنه، ولا تتمثَّلَنَّ بالعُقاب، فإنَّه يتكاسَلُ عن طلبِ الرزق، ويَصْعَد على مَرْقبٍ عالٍ، فأيُّ طيرٍ صاد صيداً اتّبعَه، فلا تكونُ له همّةٌ إلا إلقاء صَيْدِه والنجاةُ بنفسه.

في الحيواناتِ أخيارٌ وأشرارٌ كبني آدم، فالتقطْ خيرَ الخِلال وخلِّ خسيسَها، ولا تكنِ العصافيرُ أحسنَ منك مروءةً، إذا أوذي أحدُها صاحَ، فاجتَمَعْنَ لنُصْرَته، وإذا وقعَ فَرْخُها طِرْنَ حوله يعلِّمْنَه الطيران.

يا هذا! تخلَّقْ في إعانةِ الإخوانِ بخُلُقِ النملةِ، فإنَّها قدْ تَجدُ جرادةً لا تطيقُ حملها، فتعودُ مستغيثةً بأخواتها، فترى خَلْفَها كالخيطِ الأسودِ قد جئنَ لإغاثتها، فإذا وصَلْنَ بالمحمولِ إلى بيتِها، رفهنه عليها[(١)].

هيهات إنَّ الطبعَ الرديّ لا يليق به الخيْر، هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرك، فإذا أعيدت إلى الروث رَتَعَتْ. وما يكفي الحيَّةَ أنْ تشربَ اللبنَ حتى تمجَّ سمَّها فيه، وكلٌّ إلى طبعه عائد، إلا أنَّ الرِّياضَةَ قد تُزيلُ الشرَّ جملةً، وقد تخفف، كما أنَّ غَسْلَ الأثرِ إن لم يُـزِلْهُ خَفَّفَ، إنْ دمتَ على سلوكِ الجادة رجونا لك الوصول، وإن طال السُّرى[(٢)].

يا هذا! الفيلُ والجملُ يَسْبَحَان، ولكنّ الفيلَ مليحُ السباحة، والجملَ يسبحُ على جنب فيُفْتَضَحُ عند سباحة الفيل، ثم كلاهما يَعْبُرُه.

إذا لم تُطِقْ منازلةَ الحرب، فكن من حُرَّاسِ الخيم.

---

(١) رفهنه: تركنه طعاماً لها.

(٢) السُّرى: سير الليل.

إذا رأيتَ البـابَ مسـدوداً في وجهك، فَارْضَ بالوقوف خارجَ الدار مع السؤال.

إذا لم تُظْفِرْكَ الحروب فَسَالِم، أَتَرى يصلحُ هذا القلبُ بعد الفساد؟! أترى يتبدَّلُ بالبياض هذا السواد؟! كم أقولُ: عسى أصْلُح ولعلَّ! وكلَّما استوى قدمي زَلّ، كم تتغيَّرُ الأحوال وما أتغيّر! كم تتضح ليَ الطريقُ وأتحيَّر:

لله أمـرٌ مـنَ الأيّـامِ أطلبُـهُ هيهَـاتَ أطلـبُ شيئـاً غَيْـرَ مطلـوبِ
وحـاجـةٌ أتقـاضَـاهـا وتَمْطُلُنـي كـأنَّهـا حـاجـةٌ فـي نفـسِ يعقـوبِ

إلى كم تقولُ سأتوبُ؟! متى يخجَلُ اللسانُ الكذوبُ؟!.

كلَّمـا أمّلـتُ يـومـاً صـالحـاً عـرضَ المقـدورُ لـي فـي أَمَلـي
أقطـعُ الـدهـرَ بظـنٍّ حَسَـنٍ وأُجَلّـي غمـرةَ مـا تَنْجلـي
وأرى الأيّـامَ لا تُـدنـي الـذي أرْتجـي منـك وتُـدنِـي أجلـي

إذا كانت كرةُ القلبِ بحُكْمِ صولجان التقليب بطَلَتِ الحِيَل. لما قُرِّبَ جبريـلُ وميكائيل اهتـزَّت الملائكةُ فخراً بقرب جِنْسِـها من جنـاب العزّة، فقُطِع من بين أغصانها شجرةُ هاروتَ، وكُسِرَ فَنَنُ[1] ماروت[2]، وأُخِذَ من لُبِّها كُرة

---

(١) فنن: الغصن.

(٢) قال القاضي عياض في شأن القصة المذكورة على هاروت وماروت على اختلاف رواياتها: «وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما؛ فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يُرْوَ منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسول الله ﷺ، وليس هو شيئاً يؤخذ من القرآن، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائاتهم.
وقال الحافظ ابن كثير: وقد رويت قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. انظر تفسير: المحرر الوجيز، لابن عطية: ١/ ٤٢٠.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ ﴾ [ص: ٧٨]، فتزوّدت الملائكةُ في سَفَر العبودية بزاد الحذر، وقادت في سُبُلٍ معروفها نُجُبَ[1] التطوع للمنقطعين ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥]، نودي مِنْ نادي الأفضال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فسارت نجائبُ الأعمالِ إلى باب الجزاءِ فَصِيحَ بالدليل ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ ﴾ [الإسراء: ٧٤] فقال: «ما منكم مَنْ يُنْجِيهِ عَمَلُه»[2].

فيا لسانَ القَلَقِ تكلّم بعبارة الدَّمع، لعلَّهُ يقعُ في سَمْعِ القبول، فمُرادُ المُمْرِض أنينُ المبتلى. النظرُ في هذه الأمورِ أقلقَ قلوبَ العارفين، فكانوا يبكون الدماء.

اجتمعت أحزانُ القوم على القلوب فأوقَدَتْ حولها نارَ الحذر، وكان الدمعُ صاحبَ الخير فَنَمَّ.

أَقْلَقَهُم الخوفُ والفَرَقُ، أطافَتْ بقلوبهم الحُرَقُ، لباسُهم ملفقاتُ الخِرَق، طعامُهم ما حضرَ واتَّفَق. يا نورَهم إذا جَنَّ الغَسَق، يا حُسْنَ دمْعِهِم محدقاً بالحدَق، انقطَعَ السِّلْكُ فسَالَتْ على نَسَق، فكتبتْ عُذْرَها في الخدِّ لا في الوَرَق، ذابتْ أجسامُهم فلم يَبْقَ إلاَّ رَمَقٌ، فلاحظَهُم العفوُّ لطفاً بهم ورِفَق، لو رَأَيْتَهم يتشبَّثونَ بذيلِ الظلامِ، ويأنسونَ بنَوْحِ الحمام، ويهربُون إلى الفلوات، وغايةُ لذّاتهم الخلوات.

نُواح الحمامِ مُسَخَّرٌ للمشتاق، لا يريدُ منه أُجرةً، بينهما أنسٌ ممزوجٌ بمنافرة:

إنْ كنتَ تنوحُ يا حَمَامَ البَانِ ... للبَيْنِ فأيْنَ شاهدُ الأحزانِ
أجفانُكَ للدُّموعِ أم أَجْفاني ... لا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بلا بُرْهانِ

* * *

---

(١) نجب: جمع نجيب، وهو الفاضل من كل حيوان، ويطلق على البعير إذا كان كريماً عتيقاً خفيفاً سريعاً.

(٢) رواه البخاري ومسلم بلفظ: «ما مِنْكُم منْ أحدٍ يُنجيهِ عملُهُ» قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمَّدني اللهُ برحمتِهِ».

الفصل الثامن

يا مَنْ أنفاسُه محفوظة، وأعمالُه مَلْحُوظة، أتُنفِقُ العمرَ النفيسَ في نيلِ الهوى الخسيس؟!.

جـدَّ الـزمـانُ وأنـتَ تلعـبُ والعمـرُ لا فـي شـيءٍ يـذهـبُ
كـمْ كـم تقـول غـداً أتـوبُ غـداً غـدا والمـوتُ أقـربُ

أمَا عمرُكَ كل يومٍ يُنْتَهَب؟! أما المُعْظَمُ مِنْهُ قد ذهَب؟! في أي شيء؟ في جمع الذهب! تبخلُ بالمالِ والعُمرَ تَهَب، يا مَنْ إذا خَلا تَفَكَّرَ وَحَسَب، فأما نزولُ الموتِ فما حَسِب، لك نَوْبَةٌ لا تُشْبِهُ النُّوَبَ[١]، بين يديك كربةٌ[٢] لا كالكُرَب، تطلبُ النجاةَ ولكنْ لا مِنْ بابِ الطَّلَب[٣]، تقفُ في الصلاة إنَّ صلاتَكَ عجب، الجسمُ حاضرٌ والقلبُ في شُعَب[٤]، الجسدُ بالعراق، والقلبُ في حَلَب، الفهمُ أعجمي واللفظُ لفظُ العرب، أنا أعلم بكَ منك، حبُّ الهوى قد غَلَب، ومتى أسَرَ الهوى قلباً لم يُفْلِح وكَتَب[٥].

يـا آدمـيُّ أتَـدْرِي مـا مُنِيـتَ بـهِ أمْ دونَ ذِهْنِكَ سِترٌ ليس يَنْجابُ[٦]
يـومٌ ويـومٌ ويفنـى العُمْـرُ منطـويـاً عامٌ جَديبٌ وعامٌ فيه إخصابُ[٧]
فـلا تغـرنَّـكَ الـدنيـا بـزُخْـرُفِهـا فـأريُهـا أن بـلاهـا عـاقـلٌ صـابُ[٨]

---

(١) النّوب: جمع نوبة: وهي النازلة.
(٢) كربة: شِدَّةٌ، وهي إشارة إلى سكرة الموت.
(٣) لا من باب الطلب: إشارة إلى النجاة الحقيقية تطلب بالإيمان والعمل الصالح وإعداد العدة.
(٤) شُعَب: متفرق.
(٥) في (أ): بسبب. وكتب: ربط وأوثق.
(٦) ما منيت به: ما ابتليت به. ينجاب: ينكشف.
(٧) جديب: قاحل. إخصاب: نماء وبركة ورغد العيش.
(٨) عاقل: الواعي الحصيف. صاب: شجر مرّ له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا=

والحـزمُ يجنـي أمـوراً كلُّهـا شـرفٌ والخُرْق[1] يجني أموراً كلُّها عابُ[2]

كأنّكم بالدُّنيا التي تولَّتْ قد تولَّت[3]، وبالنفوسِ الكريمةِ قدْ هانَتْ وذلَّتْ، وبكؤوسِ الأسى قد أنهلتْ وعَلَّتْ[4]، وبحُمولِ الظاعنين على الأسَفِ قد استقلَّت[5]، متى يُقالُ لهذه الغمرةِ التي جَلَّتْ: قد تجلَّتْ[6]؟ وا عجباً لنفسٍ ما تنتبهُ وقد زلَّتْ، كلّما عَقَدْنا عُقْدَةً تَنفَعُها حَلَّت.

كم مستيقظٍ وقد فاتَ الوقتُ، ينْظُرُ إلى نفسِه بعين المَقْت[7]، ويَصيحُ بنَصِيحِه لقد صدَقْت، وينادي الكَسَلُ: أنْتَ الذي عَوَّقْت! فيجيبُه: أنتَ من سُكْرِك[8] ما أفَقْت، كم قدِمَ إلى القبورِ قادمٌ! كلُّهم على فراش النَّدَمِ نادم.

أطـاعُـوا ذا الخِـداعِ وصـدَّقـوه وكـمْ نَصَـحَ النصيـحُ فكـذَّبـوه
ولـم يـرضَـوْا بمـا سَكَنـوا مَشيـداً إلـى أنْ فَضَّضـوه وأَذْهَبُـوه
ألَظُّـوا بـالقبيـحِ وتـابعـوه ولـو أُمـرُوا بـهِ لتَجَنَّبُـوه
نهـاهُـم عـن طِـلابِ المـالِ زُهْـدٌ ونـادى الحِـرْصُ ويْلَكُـمُ اطلُبُـوه
فـألقـاهـا إلـى أَسْمـاعِ غُثْـر[9] إذا عـرفـوا الطـريـق تنكَّبُـوه[10]
وحبـلُ العيـشِ مُنْتكِـثٌ ضعيـفٌ ونِعـمَ الـرأيُ أن لا تجـذبـوه
حسبتُـم يـا بنـي حَـوَّاءَ شيئـاً فجـاءَكُـمُ الـذي لـم تحسبُـوه

= أصابت العين أتلفتها. والأري: العسل.

(١) **الخُرق**: الجهل والحمق.

(٢) **عاب**: وصمة.

(٣) **تولّت الأولى**: من الولاية والسيادة. **وتولت الثانية**: من الذهاب والانصراف.

(٤) **أنهلت**: من النهل وهو الشرب الأول. **علت**: من العلل: وهو الشرب ثانية أو تِباعاً.

(٥) **حمول**: جمع حِمْل: وهو ما يُحمل على الظهر وغيره. **الظاعنين**: الراحلين، إشارة إلى الرحيل عن الدنيا. **استقلت**: أي مضت وارتحلت.

(٦) **الغمرة**: الشدة. **جلّت**: عظمت. **تجلّت**: جَلَتْ وزالت.

(٧) **المقت**: أشد البغض.

(٨) **سُكرك**: غيبوبة العقل.

(٩) **غُثْر**: جمع أغثر: وهو الأحمق.

(١٠) **تنكبوه**: حادوا عنه.

أُديـلَ[١] الشـر منكـم فـاحـذروه   ومـاتَ الخيـرُ فيكـم فـانـدُبـوه

إلى كَمْ بالهوى تُغْري وتَلْهَج! أنسيْتَ أنك عن محبوبك تُزْعَج؟ تَفكَّرْ في حلة من البِلى لك تُنْسَج، يا مَنْ بضاعته كلُّها بَهْرَج[٢]، ضيَّقْتَ على نفسِكَ فلا مَخرج، انتبهْ سريعاً فالخيولُ تُسْرَج.

(للشريف):

ولم يَبْـقَ من أيـامِ جَمْعٍ[٣] إلى منًى   إلى مـوقف التَّجْمير[٤] غيـرُ أماني

يا عُبَيْدَ فلْسِه! يا عدوَّ نفسِه! تُعانقُ الدنيا بيدِ الحِرْصِ عِنَاقَ اللامِ للألف! وتُنْزِلُ الدرهمَ من القلبِ منزلةَ البُرءِ مِنَ الدَّنِف[٥]، ترشُّ ماءَ الغِشِّ حولَ الحانوتِ، وتَنْظُرُ إلى الدرهم لا فيه، وتنصبُ ميزانَ البَخْسِ[٦] وميكال التطفيف[٧] «والغَدْرُ ثالثةُ الأثافي»[٨].

ويحك! أتَبْحَثُ عن حَتْفِكَ بظُلْفِك[٩]؟ وتجدَعُ بسيفك مارِنَ[١٠] أنْفِك.

ما أكرمَ نفسَه قطُّ مَنْ لم يُهنها، فاحذَرْها فكلُّ ما يجري عليك منها، حاسِبْها قبلَ يومِ الحساب وَ زِنْها، وخَفْ شَيْنَ شَيْنِها[١١] إن شئتَ عِزَّها وَ زِنْها[١٢]، واحفرْ

---

(١) أديل: من الإدالة وهي الغلبة.

(٢) بهرج: مزيفة.

(٣) أيام جمع: أي ليلة مزدلفة لاجتماع الحجيج فيها بعد الإفاضة.

(٤) التجمير: رمي الجمار.

(٥) الدنِف: من اشتدّ مرضه.

(٦) البخس: النقص.

(٧) التطفيف: الزيادة.

(٨) الأثافي: جمع أثفية: وهي ما يوضع عليه القِدْر، وإنما يوضع على ثلاثة أحجار.

(٩) الحتف: الموت. الظلف: يقال للبقرة والشاة والظبي: ذوات الظلف. وأصل هذا المثل: أنَّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر، فوجدَ شاةً ولم يكن معه ما يذبحها به، فبحثت الشاة الأرض بظلفها فظهر فيها مُدية، فذبحها بها، فصار مثلاً لكلِّ منْ أعانَ على نفسِه بسوء تدبيره.

(١٠) مارن: ما لانَ مِنَ الأنف.

(١١) شين: عيب.

(١٢) وزِنها: زينها بالتقوى والعمل الصالح.

لها زُبيةَ[١] العزلة، وإن أبَتْ فادفِنْها، وأخْضِرْها على الرُّغْم[٢] في رَغَام[٣] مَسْكِها[٤] ومَسْكَنها[٥]، دِنْها[٦] بما التذّت آلاتُها لا تهادنها. هذه قِصَصُ النَّجاةِ، قد أمليتُها فَعَنْونْها، هذه جوارِ منشآتُ المواعظِ قد جمعتُها فاعْجِنْها.

يا مُوَثَّقَ الأقدام بقَيْدِ العوائق، أجود ما للعصفور قطعُ السِّباق[٧]، لو تفكَّرَ الطائرُ في الذَّبح ما حَامَ حولَ الفخِّ، من طَلَبَ المعالي سهرَ الليالي، لولا صبرُ المُضَمَّرِ على قلّةِ العلفِ ما قيل: سَبَّاق.

هَوَّنْ[٨] في الليلِ عليها الغَرَرا[٩] إنَّ العُلى مقيداتٌ بالسُّرى[١٠]
فركبتْ بسُوقِها رؤوسَها حتى تَخَيَّلْنا الحجولَ الغُرَرا[١١]
عَلَّمْها النومَ على رباطِها ذليلةً أنْ تستطيبَ السَّهرا
قد تركتْ مطعَمَها لشَوْقِها تقول: كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا[١٢]

---

(١) زبية: الحفرة تحفر للأسد، سُميت بذلك لأنهم يحفرونها في موضع عال.
(٢) الرغم: الكره والذل والهوان.
(٣) رغام: تراب.
(٤) مَسكها: جلدها.
(٥) مسكنها: منزلها.
(٦) دنها: حاسبها وألزمها.
(٧) السباق: قيد يوضع في رجل الطير.
(٨) هوّن: خفف وسهل.
(٩) الغرر: الخطر.
(١٠) السرى: السير في الليل.
(١١) الحجول: التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس كلّها، ويقال: فرس محجّل وفرس بادٍ حجولُه. والغُرر: جمع غُرّة، وهي بياض في جبهة الفرس.
(١٢) كل الصيد في جوف الفرا: الفرا: الحمار الوحشي، وهذا مثل قاله النبيُّ ﷺ لأبي سفيان ابن الحارث، وقال السهيلي: إنه قاله لأبي سفيان بن حرب يتألفه به، وذلك لأنه استأذن على النبيِّ ﷺ فحُجِبَ قليلاً، ثم أذِنَ له، فلما دخل قال للنبيِّ ﷺ: ما كدْتَ أن تأذنَ لي حتى كِدْتَ أن تأذنَ لحجارة الجلهمتين (الجلهمتان: حافة الوادي وناحيته) قبلي. فقال له النبي ﷺ: «يا أبا سفيان! أنت كما قيل: كل الصيدِ في جوف الفرا»، وأصل المثل: أنَّ جماعةً صادَ أحدُهم: ظبياً، والآخر: أرنباً، والثالث: حمارَ وحش، فاستبشرَ الأوّلان=

سينْقَشع[1] غيمُ التعبِ عن فَجْرِ الأجْرِ، كم صبرَ بِشْرٌ عن شهوةٍ حلوة، حتى سمعَ كلمةً حُلْوة: «**كُلْ يا مَن لَمْ يأكل**»[2].

ما مُدَّ سِجافُ[3] ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ [صٓ: ٤٤] على قُبّةِ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ [صٓ: ٤٣] حتى جُرِّبَ في أمانة ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ [صٓ: ٤٤].

مَنْ لم تَبْكِ الدُّنيا عليه لم تَضْحَكِ الآخرةُ إليه.

كان بعضُ النجّارين يبيعُ الخشَبَ، وكان عنده قطعةُ آبنوس ملقاةٌ تحت الخشبِ، فاشتُرِيَتْ منه، فدخلَ دارَ الملكِ بعد مُدَّة، فإذا بها قد جُعِلَتْ سريراً للملك، فوقف متعجِّباً وقال: لقد كنْتُ لا أعبأُ بهذه، فكيف وَصَلَتْ إلى هذا المقام؟! فهتف به لسانُ المُفْهِمِ نائباً عنها: كم صَبَرْتُ على ضرْبِ الفؤوسِ ونَشْرِ المناشيرِ، حتى بَلَغْتُ إلى هذا المقام!.

* * *

= بما نالاه، فقاله الثالث. يعني: أنَّ ما رُزِقْته يشتمل على ما عندكما لأنه أعظم، ثم اشتهر في كل شيء كان جامعاً لغيره. انظر: كشف الخفا والإلباس، للعجلوني: ٢/ ١٧٨ رقم (١٩٧٧). هذا وقد رواه الرامهرمزي في (الأمثال). وسنده جيد، لكنه مرسل، ونحوه عند العسكري، وذكره الدميري في (حياة الحيوان الكبرى).

(١) سينقشع: سينكشف.

(٢) سبق تخريجه في الفصل الخامس والتسعين.

(٣) سجاف: الستر، وجمعه سجُف.

الفَصْلُ الأَوَّلُ [بَعْدَ المَنِيَّة]

إخواني! الموتُ مُقاتِلٌ، يَقْصِدُ المَقاتل[1]، فما ينفعُكَ أن تُقاتل.

(للمتنبي)[2]:

نُعِدُّ المَشْرفيَّةَ[3] والعَوالي[4] ... وتَقْتُلُنا المنونُ بلا قِتالِ
ونَرْتَبِطُ السَّوابقَ مُقْرِباتٍ[5] ... وما يُنْجِينَ من خَبَبِ[6] الليالي
ومَنْ لم يَعْشَقِ الدُّنيا قديماً؟ ... ولكنْ لا سبيلَ إلى الوِصالِ
نَصيبُكَ في حياتِكَ مِنْ حَبيبٍ ... نصيبُك في مُنامِكَ مِنْ خَيالِ
يُدفَّنُ بعضُنا بعضاً وتمشي ... أواخِرُنا على هامِ الأوالي[7]
وكَمْ عينٍ مُقَبَّلةِ النَّواحي ... كَحيلٍ بالجَنادِلِ[8] والرِّمالِ

لقد وعَظَ الزمانُ وما قصّر، وتكلَّم الصامِتُ[9] وما أَقْصَر، ولاحَ الهُدى وإنَّما الشأنُ فيمَنْ أبْصَر، ونطقَتِ المواعِظُ بزجرٍ لا يُحْصَر، هلَكَتْ ثمودُ بصيحةٍ، وعادٌ بريحٍ صَرْصَر[10]، وكُسِر كسرى وقُصِرَ[11] قيصر، تَاللهِ ما يبالي ميزانُ

---

(١) **المقاتل**: جمع مقتل، وهي المواضع الخطرة في الجسم التي يؤدي ضربها إلى الموت.

(٢) ديوان المتنبي: ٣/ ٨، رقم (١٧٥) يرثي والدة سيف الدولة.

(٣) **المشرفية**: السيوف منسوبة إلى مشارف، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٤) **العوالي**: الرماح.

(٥) **مقربات**: الخيول الكرام التي ترتبط لكرامتها أو لفرط الحاجة إليها.

(٦) **الخبب**: عَدْوٌ لا يستفرغ الجهد.

(٧) **هام الأوالي**: رؤوس الأوائل.

(٨) **كحيل**: مكحلة. **الجنادل**: جمع جندلة، وهي الحجارة.

(٩) **الصامت**: الذهب والفضة، يقال: ما لَه صامتٌ ولا ناطقٌ، الصامت: الذهب والفضة، والناطق: الحيوان من الإبل والغنم، وفي الحديث: «**على رَقَبَتِهِ صامت**»، أي: ذهب وفضة.

(١٠) **صرصر**: باردة.

(١١) **قصر**: من القصر، أي: الحبس، يقال: قصر بهم الليل: أي حبسهم.

الجزاءِ أَرْبَحَ أم أَخْسَر ، ولا حاكمُ العَدْلِ مَنْ أَفْلَسَ وأعْسَر، هذا أمرٌ مُجْمَلٌ وفي غدٍ يُفَسَّر .

أيها المُتَحرِّكُ في الدُّنيا! لا بدَّ مِنْ سكون[1]، لا يغرنَّكَ سَهْلُها فبعدَ السَّهْلِ حُزون[2]، كَمْ سَلَبَتْكَ من حَبيبٍ! وبعضُ القُبْحِ يَهُون، ما فَرَحُها مُستقيمٌ، ولا تَرَحُها[3] مأمون، إنَّها الدارُ الغَرور ودائرة الهُوْن[4]، كم تَلوَّن[5]، ولكن أينَ العقلُ مِنْ مجنون؟ فهلا أضعنا الحديثَ، قلبُ هذا مفتون:

أيُّهـــا السكـــرانُ بـــالآمـــالِ ... قـــدْ حـــانَ الـــرحيـــلْ
ومشيـــبُ الـــرأسِ والفَـــوْ ... دَيْـــنِ[6] للمـــوتِ دليـــلْ
فـــانْتَبِـــه مِـــنْ رَقْـــدَةِ الغَفـ ... ـلَـــةِ والعمْـــرُ قليـــلْ
واطَّـــرِحْ سَـــوْفَ وحتَّـــى ... فهمـــا داءٌ دخيـــلْ

كأنَّكَ بما يُـزْعِجُ ويَرُوعُ[7]، وقد قَلَعَ الأُصولَ وقطعَ الفُروعَ، يا نائماً في انتباهه! كم هذا الهجوع[8] أيَنْفَعُكَ حينَ الموتِ جَرْيُ الدموع؟ إذا رُشِقَ سَهْمُ التَّلفِ فطاحَتِ الدُّروع، وأتى حاصدُ الزَّرْع وأين الزروع؟! وخَلَت منك المنازلُ وفَرَغَتِ الرُّبوع، ونابَ غُرابُ البَيْنِ عن الوَرْقَا السَّجُوع[9] .

قَـــرْنٌ مَضَـــى ثـــم نَمَـــى غيـــرُه ... كـــأنَّـــه فـــي كـــلِّ عـــامٍ نبـــاتْ
أقـــلُّ مَـــنْ فـــي الأرضِ مُسْتَيْقِـــظٌ ... وإنَّمـــا أكثـــرُهـــم فـــي سُبـــاتْ

---

(١) سكون: إشارة إلى الموت.
(٢) حزون: جمع حَزْن: ما غَلُظَ من الأرض.
(٣) ترحها: حزنها.
(٤) الهون: المذلة.
(٥) تلوّن: أي تتلون: لا تثبت على خلق.
(٦) الفودين: مثنى فود، وهو معظم شعر اللمة، مما يلي الأذنين، ويطلق على الضفيرة.
(٧) يروع: يخيف.
(٨) الهجوع: الرقاد.
(٩) الـورقا: أي الورقاء: وهي حمامة في لونها بياضٌ إلى سوادٍ. والسجوع: التي تـردد صوتها على طريقة واحدة.

حَـوْلٌ خصيـبٌ إثْـرُه مُجـدِبٌ فـادّخِرْ من المُخْصِب للمُجْدِبـات

أما عَلِمْتَ أنَّ الدنيا غدّارة؟! أما بَرْدُ لذّاتها ينقلبُ حرارة؟! أما ربحُها على التحقيق خسارة؟! أما يَنْقُصُ الدينُ كلّما زادَتْ عِمَارة؟! أما قتلَتْ أحبابَها وإليكَ الإشارة؟! إذا قال محبّها: هيَ لِيْ ومعي، أهلَكَتْه وقالت: «اسمعي يا جارة».

إنَّمـا الـدُّنيـا بـلاءُ ليـسَ للـدُّنيـا ثبـوتُ
إنَّمـا الـدُّنيـا كَبَيْـتٍ نسجَتْـه العنكبـوتُ
إنَّمـا يكفيـكَ منهـا أيُّهـا الـراغـبُ قـوتُ

يا مَنْ عاهَدَنا على الطاعةِ في الإعلان والإسرار، كيف استحلَّ حَلَّ[1] عَقْدِ التوبة، وعَقَدَ الإصرار؟! متى يخرجُ العاصي من هذه الدّار؟! شَيبٌ وعَيْبٌ ونهايةُ الإدبار، ضدان بعيدان: ثلجٌ ونارٌ، كم بَيْنكُم وبين المتقين الأبرار! مَلَكَتْكُم الدنيا ومَلَكوها فالقومُ أحرارٌ، كانت لهم أَنَفَةٌ فاحْتَمَوْا من العار، وعرَفوا قدرَ الزّمانِ فانْتَهَبوا الأعمار، فلو مَدَدْتُم أبواعَكم[2]، ما كانتْ منهم كأشبارٍ، لو اطّلَعْتُم عليهم في أوقـاتِ الأسحارِ لرأيتم نجومَ الهُدى لا بَلْ هي أقمارٌ، قـاموا جميعَ الدُّجى على قدم الاعتذارِ، ثم تساندوا[3] إلى رَوَاحِل البكاء والاستغفار، وقَويَ كربُهم فهبّتْ لهمُ نكْباء[4] لطفِ مِعطارٌ[5]، رفعوا رسائلَ الجوى[6] فعادَ جوابُ الأبرار.

لا تُـوقِـدوا فـي القلبِ نـارَ الجحيـم كفـى سِقـامـي لفـؤادي غـريـم
مـا زلْـتُ[7] عَـنْ حُبِّكُـم لحظـةً وحَقِّكُـم إنِّـي عليـه مقيـم
وكلّمـا هبَّـتْ نسيـمُ الصَّبـا مِـنْ نحـوِكُـم عِشْـتُ بـذاك النسيـم

وا أسفى! متى رَحَلوا؟ ليت شعري، أين نَـزَلوا؟.

---

(١) **استحل**: جعله حلالاً ومباحاً. حلَّ: فكّ.
(٢) **أبواعكم**: جمع باع، وهو قدرُ مدِّ اليدين.
(٣) **تساندوا**: ركنوا إليه واعتمدوا عليه.
(٤) **نكباء**: ريح انعطفت وانحرفت ووقعت بين ريحين كالجنوب والشمال.
(٥) **معطار**: معطرة زكية.
(٦) **الجوى**: شدة الوجد من العشق.
(٧) **ما زلْتُ**: لم أتغيّر.

أَنْجَــــدَتِ الــــدَّارُ بهــــم وأتْهَــــمَ الــــوَجْــــدُ معــــي

مالَتْ بالقومِ ريحُ السحرِ ميلَ الشجرِ بالأغصان، فهزَّ الخوفُ أفنان[1] القلوب، فانتثرتِ الأفنان[2]، فاللسانُ يتضرّعُ، والعينُ تدمعُ، والوقتُ بستان، خَلْوَتُهم بالحبيب تَشْغَلُهم عَنْ نُعْمَ وَنَعمان[3]، سُوَرُهُم أساوِرُهم، والخشوعُ تِيْجان، خضوعُهم حُلاهُم، فما دُرٌّ ومُرْجانٌ! أخذوا قَدْرَ البلاغ[4]، وقالوا: نحن ضِيفـانٌ، باعُوا الحِرْصَ بالقناعة، فما مُلْكُ أَنُوشروان[5]؟ رَفَضُوا حتى زِمَـامَ المبيع، وما باعوا بثُنيان[6]، طالَتْ عليهم أيامُ الحياة، والمحبُّ ظمآن. اطَّلِعْ من خَوْخَةِ التيقُّظِ بِعَيْنِ التأمُّلِ ترَ الرهبان، أين أنتَ منهم؟! ما نائم كيقظان، كم بينكَ وبينهم؟ أين الشُّجاعُ من جَبان؟!.

ما للمَوَاعظ فيك موضع، القلب بالهوى ملآن، يا هذا! قِفْ على باب النجاح، ولكن وقوفَ لهفان، واركبْ سَفِيْنَ الصلاحِ، فهذا الموتُ طُوفان، أيكونُ بعدَ هذا إيضاحٌ؟ أَوَ مِثْلَ هذا تِبْيان؟ يا لها من موعظةٍ سحبَتْ ذيْلَ الفصاحةِ فحارَ سَحْبانُ[7]، بغدادية إمامية مستضيئـة لا تعرِفُ ضَرْبَ خُراسان[8].

* * *

---

(١) أفنان: جمع فنن، أي: أغصان.

(٢) الأفنان: جمع فن، وهو النوع والحال.

(٣) نُعْم: اسم المحبوبة من النساء. نَعمان: وادي قرب عرفة.

(٤) البلاغ: من البُلْغة، وهو ما يكفي لسد الحاجة ولا يفضل عنها.

(٥) أنوشروان: خسرو أنوشروان ملك ساساني (٥٣١ ـ ٥٧٩م) عقد هدنة مع البيزنطيين، استولى على اليمن سنة (٥٧٠م)، واستشهر بعدله وإصلاحاته.

(٦) ثنيان: كرُغفان: الاسم من الاستثناء، والثنيا المنهي عنها في البيع: أن يستثنى منه شيء مجهول فيفسد البيع، وذلك إذا باع جزوراً بثمن معلوم، واستثنى رأسه وأطرافه، فإن هذا البيع فاسد.

(٧) سَحْبان: اسم رجل من وائل، كان لَسِناً بليغاً، يضرب به المثل في البيان والفصاحة فيقال: «أفصحُ من سَحْبانَ وائل» ومن شعره قوله:

لقـد عَلِـمَ الحـيُّ اليمـانيـونَ أنني إذا قلـت: أما بَعْدُ، أنـي خـطـيـبُـهـا

(٨) ضرب خراسان: أي بعيدة عن العجمة واللكنة.

الفصل الثاني [بعد المنية]

إخواني! أينَ الذين سَلَبوا؟ سُلِبوا[1]! طال ما غَلَبوا فَغُلِبوا، عمّروا ديارَهم فلما تمّتْ خرَّبوا، وديفتْ[2] لهم كؤوسُ المنايا فأُكرِهوا وشَرِبوا:

سَيْرُ الليالي إلى أعمارِنا خبَبُ[3] … فمـا تَبيـنُ ولا يَعتـاقُهـا[4] تَعَـبُ
وهـل يـؤمَّـلُ نيـلَ الشَّمْـلِ ملتئِمـاً … سَفْرٌ[5] لهم كلَّ يوم رِحْلةٌ عَجَبُ
ومـا إقـامتُنـا فـي منـزلٍ هَتَفَـتْ … فيـهِ بنـا قـدْ سَكنَّـا رَبْعَـهُ النُّـوَبُ
وآذَنَتْنـا وقـدْ تمَّـتْ عِمـارَتُـه … بـأنَّـه عـن قليـلٍ داثـرٌ[6] خَـرِبُ
ليستْ سِهامُ قسيِّ الموتِ طائشةً … وهـل تطيشُ سِهـامٌ كلُّهـا صِيَـبُ[7]
ونحنُ أغراضُ[8] أنواعِ البلاءِ بهـا … قبـلَ الممـاتِ فمَـرْمِـيٌّ ومـرتَقِـبُ
أينَ الذينَ تَنَاهَوْا[9] في ابتنائهم … صاحَتْ بهم نائباتُ الدَّهْرِ فانْقَلَبوا

أين أربابُ الأماني والأملِ؟ أُخِذُوا بين سُكْرِ الهوى والثَّمَلِ[10]. والذي علا[11] عَلى عُلى[12] العَلا[13] نزل. وكأنّه في الدنيا لم يكن، وفي القبرِ لم يزل.

---

(١) سَلَبوا: انتزعوا ما لغيرهم قهراً بغير حق. سُلبوا: انتُزعوا قهراً، أي: أميتوا.

(٢) ديفت: من داف، أي: خلط ومزج، وجاء في (ب): وذيفت.

(٣) خبب: ضرب من المشي السريع.

(٤) يعتاقها: يسبقها ويقدمها.

(٥) سَفْر: مسافرون.

(٦) داثر: هالك فانٍ.

(٧) صيب: من صاب السهمُ الهدفَ يصيبه، وجاء في لسان العرب: أن (صيب) من قولهم: صابت السماء الأرض: أصابتها بصَوْبٍ فكأنَّ المنيةَ كانت صابت الحميم فأصابته بصَوبها (مادة صوب).

(٨) أغراض: جمع غرض، وهي الدريئة التي يُرمى إليها السهم.

(٩) تناهوا: بلغوا النهاية والغاية.

(١٠) الثمل: أن يأخذ الشراب منه كل مأخذ. والثمالة: البقية في أسفل الإناء ونحوه.

(١١) عَلا: صعد وارتقى.

(١٢) عُلى: جمع العُليا.

(١٣) العَلا: المنزلة الرفيعة في الدنيا.

كُـلُّ حــيٍّ فقُصـــارَاه[١] الأجــلْ		ليـسَ للخلـقِ بـذا المـوتِ قِبَـلْ[٢]
نُـــوَبٌ[٣] أبــدَتْ لعـــادٍ قَبْلَنـــا		إنَّ مِـنْ ذاتِ العِمــادِ المُـرتَحَـلْ
فـانْثَنُـوْا عـن ذلـك الشـربِ الـذي		صـارَ عَـلاًّ[٤] لسـواهـم ونهَـل[٥]
ألبسَــتْ قــومـاً سِـواهـم حليُهُـم		ثـمَّ بَـزَّتْـه[٦] فَعَـادوا بـالعَطَـل[٧]
فــاســألِ الإيــوانَ عــنْ أرْبــابِـه		كيـفَ جـدَّتْ بهـمُ تلـك الـرُّحَـلْ
نقلَتْهـــم عـــن فضـــاءٍ واســـعٍ		يمـرحُ الطَّـرفُ بِـهِ حتـى يَمَـلْ
نحـنُ أغـراضُ خُطـوبٍ إنْ رَمَـتْ		عـادت الأدرُعُ لِيْنـاً[٨] كـالحُلَـل[٩]
وإذا مـــا أخْلَفَـــتْ أسْهُمهـــا		فـأصـابَـتْ بَطَـلَ القـومِ بَطَـل[١٠]

جُزْ على القبورِ بقلبٍ حاضرٍ، وسَلْها ما فَعلَ الوجهُ الناضر؟ ثم افتحْ ناظرَ ناظر، وخاصِمْ نفسَكَ على التواني[١١] وناظِر[١٢].

ومسنَدون[١٣] تعاقَرُوا كأسَ الرّدى		وَدَعـا بسيـرِهـمُ الحِمـامُ فـأسْـرَعـوا
خُــرْسٌ إذا نــاديــتَ إلاَّ أنَّهــم		وَعَظُوا بما يُرْضي اللبيبَ فأسمعوا
والـدَّهْـرُ يَفْتِـكُ بـالنفـوسِ حِمـامُـه		فَلِمَـنْ تُعِـدُّ كـريمـةً[١٤] أو تَجْمَـعُ

---

(١) فقصاراه: نهايته.
(٢) قِبَل: طاقة ووسع.
(٣) نُوَبٌ: جمع نائبة: نوازل ومحن.
(٤) علاًّ: العلّ: الشرب الثاني.
(٥) النهل: الشرب الأول.
(٦) بزته: سلبته.
(٧) العطل: الخلو عن الزينة.
(٨) ليناً: طرية ناعمة.
(٩) الحلل: جمع حلة، ولا تكون إلا من ثوبين من جنس واحد.
(١٠) بطل القوم: قويهم. بطل: هلك.
(١١) التواني: التقصير.
(١٢) ناظر: من المناظرة، أي: المباحثة والمحاجة.
(١٣) مسندون: جمع مسنَد، وهو الدعي.
(١٤) كريمة: جمعها كرائم، وهي نفائس الأموال.

عجَباً لمَـنْ تَبْقَـى ذخـائِـرُ مـالِـه وَيَظَـلُّ يحفظهُـنَّ وهـو مُضيِّـعُ
ولعـاقـلٍ ويـرى بكـلِّ ثنيـةٍ يُلْفـى لـه بطـنُ الصفـائـحِ مَضْجَعُ
أتُـراهُ يحسِـبُ أنَّهـم مـا أسـأرُوا[1] مـنْ كـأسِهـم أضعـافَ مـا يَتَجَـرَّعُ

كم صاحَ بك واعظٌ! وما تَسمع، وكم حصَّلْتَ ما يَكفي! ما تقنَع، لقد استَقْرَضَك مولاكَ مالَكَ، فما لك تجمَع! وضَمِنَ أنَّ نَبْتَ الحبَّةِ سبعُمئةٍ وما تَزْرَع!

تشتغلُ عن القرآنِ وتَسْتَمتِع من مغنٍّ يَتَغزَّل! تمشي إلى نجاتك مشيَ أقزل[2]، وتخرجُ إلى الحربِ وأنتَ أعزل! ويحك! إنَّ والي الحياةِ عن قليلٍ يَعزِل، كأنك بالسماءِ تمورُ، وبالأرضِ تُزَلْزَل، تُنْصَب[3]، ولا تدري أيُّ الكفَّتينِ أنْزَلُ.

إخواني! غَرِقَتِ السفينةُ ونحن نِيامٌ، أبوكم لم يُسامَحْ في لُقْمتِه، **وداودُ** عُوتِبَ على نظرته[4].

يـا مظهـريـنَ ضِـدَّ مـا بـهِ الكتـابُ واردُ
إلـى متـى تُبَهْـرجُـو نَ والبصيـرُ نـاقِـدُ
كيـفَ يكـونُ حـالُكُـمْ وَهْـوَ عليكـمْ شـاهِـدُ
عجبْـتُ مِـن مستيقـظٍ والقَلْـبُ مِنْـهُ راقـدُ
مضيِّـعٌ لـدينِـهِ وللـذنـوبِ رَائِـدُ
كـأنَّـه علـى مَـدا هُ مُهْمِـلٌ وخـالِـدُ
فحسِّنُـوا أعمـالَكُـمْ فَهْـيَ لكُـمْ قـلائِـدُ
ولا تُضِيعـوا واجبـاً واجْتَهـدُوا وجَـاهِـدُوا

إخواني! أفيكم عازمٌ على الصلح؟ أمنكم محبٌّ يضجُّ من الهجر؟ أفيكم ذو وَجْدٍ قَلِقٌ من البَيْن؟ الوقتُ يقْتَضِيكَ[5] يا عاصٍ، منادِي القَبولِ على منازلِ

---

(١) **أسأر**: إذا شرب فتَـرَكَ سؤراً، أي: بقية الكأس.
(٢) **مشية الأقزل**: مشية المقطوع الرِّجْل.
(٣) **تُنْصَبُ**: أي: تُنْصَبُ الموازينُ يومَ القيامة.
(٤) ما ذكره المؤلف عن عتاب داود على نظرة ليس بثابت، وهو من الإسرائيليات التي تتنافى مع عصمة الأنبياء.
(٥) **يقتضيك**: يطالبك.

الوصول يقول: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

الغَيْمُ رَطْبٌ ينادي: يا غافلينَ الصَّبوحُ
فقلتُ: أهلاً وسهلاً ما دامَ في الجِسْمِ روحُ

قد قيَّدَ الطردُ قَدَمَيْك، وغلَّ[١] الإبعادُ يديك، أفما لكَ عينٌ تبكي عليك؟!.

وفي نظرِ الصَّادي[٢] إلى الماءِ حسرةٌ إذا كان ممنوعاً سبيلَ الموارِدِ

على نوحٍ نَحْتُ[٣] السفينةِ، وأن يصيحَ: اركبوا، فما ذنبُه إنْ تخلَّفَ كنعان؟![٤].

إذا وقعت عزيمةُ العاصي على فِراقِ دار المعاصي، هيّأ مركبَ القصدِ، وزوَّدَ سَفرَ العَزْمِ، وقامَ على أقدامِ الجِدِّ، وسعى على طريقِ الرجاءِ، خائفاً من عارِضِ رَدٍّ، فيصيحُ به حينئذٍ هاتفُ القَبول:

لئنْ قَدِمَتْ من سَفْرةِ الهَجْرِ عيسُكُمْ تلقيتُها بالوَصْلِ مِنْ كلِّ جانبِ

إخواني! ما قعودُكم وقد سارَ الرَّكْبُ؟! الحقوهم في المنزل، النجاءَ النجاءَ من شرِّ الخِلاف[٥]، الوحَا الوحَا[٦] قَبْلَ لحاقِ الأسلاف، الحذرَ الحذرَ من خُطوات الخطايا، الهَرَبَ الهرَبَ قبلَ بتِّ[٧] الأماني بالمَنايا، قبل أن تنزلوا الكِفات[٨] وتَلْحقوا الرُّفات[٩]، وما بينكم وبين ماذا حلَّ من آفاتٍ آفاتٌ، إلا أنْ تعاينوا الوفاةَ وفات.

* * *

---

(١) غلّ: جعل الغُلّ في يديه، وهو الطوق من الحديد.
(٢) الصادي: العطشان.
(٣) نَحْتُ: صُنْع.
(٤) كنعان: ولد سيدنا نوح عليه السلام الذي رفض الركوب مع أبيه في السفينة.
(٥) الخلاف: التخلف.
(٦) الوحا: السرعة.
(٧) بت: قطع.
(٨) الكِفات: القبر.
(٩) الرفات: بقايا العظام.

الفصل الثالث [بعد المنية]

عبادَ الله! إنّما الأيّامُ طُرُقُ الجِدِّ، والساعاتُ ركائبُ المجد، وأيامُ العافيةِ أوقاتٌ تُسْتَدرَك، وأحيانُ السلامةِ تنادي «مَنْ جَدَّ أدْرَك»:

كَــمْ للمنيّــةِ مِــنْ ضُـروبِ ... بيــنَ الحــوادِثِ والخُطــوبِ
تــدعُ الحبيــبَ بــلا مُحِــبٍّ ... وكــذا المُحـبُّ بــلا حَبيــبِ
لا والــــذي هــــو قــــاذفٌ ... بــالحــقِّ عَــلاّم الغيــوبِ
وبحكمِــــهِ يُمْلــــي[1] لِمَــــنْ ... يُمْلي[2] القبيحَ على الرّقيبِ[3]
مــا للنفــوسِ مــعَ المنيّــةِ ... فــي الســلامــةِ مِــنْ نصيــبِ
هيهــاتَ أيــنَ يفــوتُها ... لا بــدَّ مِــن سَهْــمٍ مُصيــبِ
مَــنْ دَبَّ فــوقَ الأرضِ أصبــحَ ... دارجــاً[4] بعــدَ الــدبيــبِ
فــإذا تغيَّــبَ تحتهــا ... فكفــاه بُعــداً بــالمغيــبِ
ولَكَــمْ طــويــلُ العُمْــرِ ليــسَ ... لعَيْشِــه بــالمُسْتَطيــبِ
ولــربَّمــا انْتُــزِعَ القصيــرُ ... العمــرِ مِــنْ سَعَــةٍ وطِيــبِ
ولا تيئسَــنَّ مِــنَ البعيــدِ ... وخَــفْ مُبــاعــدةَ القــريــبِ
فلَكَــمْ حَمَلْــتَ مــعَ المــريــضِ ... إلــى الثّــرى نَعْــشَ الطبيــبِ

إخواني! احذروا دُنياكم فإنَّها خادعةٌ، وانتظروا حُتُوفَها فهي لا رَيْبَ واقعة. أيها العبدُ! إلى متى تشتغلُ بها عن مولاكَ وَهُوَ غَيُور؟! وكيفَ تَغْتَرُّ بغريرِ[5] هَوًى يُغري[6] ويَغُور[7]؟! وكم عدلْتَ[8] عن العَدْلِ وحاضَرْتَ[9] المحظور!

(١) يُملي: من أملى، أي أمهل.
(٢) يُملي: يقال: أمللت الكتاب وأمليته عليه: ألقيته.
(٣) الرقيب: الملك الموكل بكتابة الأعمال.
(٤) دارجاً: يقال: درج الصبي، أي: أخذ في الحركة ومشى أول ما يمشي.
(٥) غرير: من غرَّ، وهو الخداع والإطماع بالباطل.
(٦) يغري: يخدع.
(٧) يغور: يقال: غار الماء: ذهب في الأرض.
(٨) عدلت: انحرفت.
(٩) حاضَرْتَ: قارَفْتَ المحظور وتوغّلتَ فيه.

أتظنُّ البقاءَ وقلائدُ الفراقِ[١] كالأطواقِ في النحور[٢]؟! أما تعتبرُ بأقرانٍ[٣] قُرِنوا[٤] بقرائن[٥] أعمالهم في القبور؟! أمَا مواضعهُم تَضَعُكَ على وَضْع الوضَائع[٦] والفتور؟! أما حَلُّوا[٧] اللحودَ[٨] فحالَتْ[٩] حُلى[١٠] تلكَ البُدور؟! أما منازلُهم نازلَهم مُنازِلُهم[١١] زال عنهم السرور؟! أبالى بفخرِهمُ الموتُ لا بلْ بَلْبَلَ[١٢] تلك القصور!.

أين همُ الآن؟! قل لي خلا خاليهم[١٣] بالثبورِ[١٤]، مالَ بهم عن المالِ ما لا يُرَدُّ[١٥]، وصرفَهم صَرْفُ الدُّهور، جرى[١٦] بهم ما جارَ[١٧] كما جارى الجارَ[١٨] جاري[١٩] المقدور، أصبحَتْ وجوهُهم الصبيحةُ مصطَبِحةً[٢٠] شرابَ

---

(١) قلائد الفراق: شبه الفراق بالقلائد تحيط بالعنق ولا تفارقها، إشارة إلى لزوم الفراق وتحققه.

(٢) النحور: جمع نحر، وهو أعلى الرقبة.

(٣) أقران: جمع قِرن: الكفؤ والنظير في الشجاعة والحرب.

(٤) قرنوا: شدوا وربطوا.

(٥) قرائن: جمع قرينة مأخوذة من قرن الشيء بالشيء، وهي ما يدلّ على المراد من غير كونه صحيحاً. كما في قوله ﷺ: «والبِكْرُ تُسْتَأْذَن وإذْنُها سُكُوتُها» فجعل السكون قرينةً دالة على الرضا.

(٦) الوضائع: جمع وضيعة، وهي الحطيطة والخسارة والثقل.

(٧) حلوا: نزلوا واستقرّوا.

(٨) اللحود: جمع لحد، وهو الشق يكون بجانب القبر للميت.

(٩) حالت: تغيّرت وتبدّلت.

(١٠) حُلى: جمع حلية: كل حلية حليت بها امرأة، والمقصود محاسن الوجه.

(١١) مَنازِلهم: بيوتهم. مُنازِلهم: كناية عن الموت. والمُنازل: المقاتل.

(١٢) بلبل: أنزل فيها الافتراق والاضطراب.

(١٣) خاليهم: المغادر والتارك.

(١٤) الثبور: الهلاك.

(١٥) ما لا يُرد: كناية عن الموت.

(١٦) جرى بهم: أذهبهم.

(١٧) وما جار: ما ظلمهم.

(١٨) كما جارى الجار: أي كما جرى مع الجار أي أخذه.

(١٩) جاري المقدور: ما يقع من المقادير (وهو فاعل الفعل جرى).

(٢٠) مصطبحة: شاربة شراب الصباح.

الدُّثور[1]، مبانيهم أبينت، فلو أُبينت لم تَبِن الإناثُ من الذكور، انفصَمَتْ عُرى الأوصالِ وَخَلَوْا بالخصالِ، فذو الوصالِ منهم مَهْجور، سكنوا بعد الودودِ معَ الدودِ في اللحودِ كمأسور، تكدَّرَ صافيهم فمُصافيهم يُجافيهم، وما فيهم معذور، علا أعلامَهم علاءُ ترابٍ كثيرٍ موفورٍ، وسكنَ المكينُ في كمين إمكانِه فاستكانَ في مكانٍ مَخقور.

بينا مترفُهم قد اطمأنَّ و﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]؛ إذا الأذى كالحذا، وكذا كلُّ محتذٍ الغرور، وكم قال واعتذرَ، فلمّا لم يَذَرْ قيل: هذا الهَذَرُ زُور.

صبَّ الصابُ في فِيِّ مَنْ صَبا، فالصّبا تَسفي على مَنصِبه والدَّبُورُ، وسيأتيكَ يا فتًى ما أتى مَنْ عتا حتى في الرَّواح أو في البُكور، فانتبهْ فإنَّ الموتَ يدورُ على ساكني الدور، ويلتقط أربابَ القصورِ بلا فُتورٍ ولا قُصور، وكأنَّكَ بالأمرِ قد فُصل ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، فمن جازَ قنطرةَ الهوى آبَ بتجارةٍ لن تبور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ ... ثم عادٍ مِنْ بعدِهِمْ وثمودُ
بينما القومُ في النَّمارِقِ والديباجِ ... أفضَتْ إلى الترابِ الخدودُ
وأطباءُ بعدَهم لَحِقوهم ... ضلَّ عنهم سَعُوطُهُمْ واللَّدودُ[2]
وصحيحٌ أضحى يعودُ مريضاً ... وَهْوَ أدنى للموتِ مِمَّن يعودُ

يا قليلَ البضاعةِ! بلِ يا مفلسُ! ترجو النجاةَ بالمعاصي؟! لقد وسوس، أتلبس ثوبَ الشيب؟ ثم تُلبِّسْ، جاء الصباحُ فَنَسَخَ حكمَ الخَنْدَس[3]، وأطرق النَّيْلَوْفَرُ لما حدَّق النَّرْجِس، يا مَنْ يقومُ من المجلسِ كما يَجْلِس، كن كيف شئتَ، فإنَّما تجني ما تَغْرِس، ألكَ عذرٌ؟ قل لي؟ الباطلُ يُخْرِس:

---

(١) الدثور: الانقراض والزوال.

(٢) اللدود: ما يُصَبُّ من دواء في أحد شقي الفم فيمر على اللديد، وفي الحديث: «خيرُ ما تَداوَيتُم به اللَّدود والحِجامَة والمشي»، وقال الأصمعي: اللدود: ما سقي الإنسان في أحد شقي الفم.

(٣) الخندس: الليل.

كيفَ الرحيلُ بلا زادٍ إلى وطنٍ ... ما ينفعُ المرءَ فيه غيرُ تقواهُ
مَنْ لم يكنْ زادُه التقوى فليسَ لهُ ... يومَ القيامةِ عُذْرٌ عندَ مولاهُ

يا ربّ! إليكَ منا نـتَظلّم، أحوالُنا تَنْطِقُ عنّا وما نتكلّم، وقلوبُنا من ذنوبنا تبكي وتتألم، وأنت العالمُ الذي لا تُعَلَّم.

أتَتْرُكُنا للجهل؟ وأبونا منك تعلّم. يا من أخَّرَ ما شاءَ كما شاءَ وقدَّم. لا تجعلْنا ممَّنْ إذا رَحَلَ تَنَدَّم. يا مَنْ نبَّهَ الفُضَيْلَ وابنَ أدْهَم. قد تركتنا الذنوبُ لا نُشْتَرى بدرهم:

يا عمادِي في شِدَّتي ورجائي ... عندَ فَقْري وكوكبي في المعامي
ساعتي إنْ نَأيْتَ يومٌ ويومي ... مثلُ شهرٍ والشهرُ مثلُ العامِ

يا صاحبَ الخطايا لستَ معنا، يا مقبلاً على الهوى ما أنتَ عندنا، ضاعَتْ حِيَلي في تحصيلِ قلبك، اشتدَّتْ حَيْرَتي في تَلافي أمرِك، وا عجباً! أُخَوِّفُكَ عواقبَ الأمور، وما تتوب، وأشرَحُ لكَ أحوالَ الصالحين وما تؤوب، ومتى سقطَتْ شهوةُ العليل دنا الموتُ، قدْ أوقدْتُ نارَ المواعظِ إلى جانبِ كَسَلِكَ، ونَفَسُ عزيمتكَ شديدُ البرودةِ، وقد اتَّفقَ الأطباء على أنَّ النَّفَسَ البارِدَ في المرضِ الحادِّ دليلُ الهلاك:

الموتُ في كلِّ حينٍ يَنْشُرُ الكَفَنا ... ونحنُ في غفلةٍ عمّا يُرادُ بنا
كأنَّ ما قد رأينا في أحِبَّتِنا ... من الرَّحيلِ ونأيِ الدارِ ليس لنا

واللهِ ما فاز سوى الزاهدين، ولا نالَ الربحَ غيرُ العابدين، ونهايةُ الكمال للمحبين، كان هَمُّ القومِ طلبَ النجاةِ، وكانتْ لذَّتُهم في المناجاة، فارتَفَعَ لهم القَدْرُ وعلا الجاه، لو رأيتَهم في الأسحارِ، وقد حار الخائف بين اعتذارٍ واستغفارٍ ولطائف، ويتخلَّلُ ذلك دمعٌ غزيرٌ ذارفٌ[1]، يَرمز إلى شوقٍ شديدٍ متكاثِف.

كانَتْ عابدةٌ تقومُ من أول الليلِ، وتقول: تشاغلَ الناسُ بلذّاتِهم، وقد جئتُ إليك يا محبوبُ:

---

(١) ذارف: سائل وجارٍ.

سُروري مِنَ الدَّهْرِ لقياكُم وَدارُ سلامِيَ مَغْناكُمْ
وأنتُمْ مَدَى أملي ما حييتُ وما طابَ عيشيَ لولاكُمْ
جنابُكُمُ الرَّحْبُ مَرْعى الكرامِ فلا صَوَّحَ[1] الدَّهْرُ مَرْعاكُمْ
حشا البينُ يومَ رَحَلْتُم حَشايَ بنارِ الهُمومِ وحاشاكُمْ[2]
فيا ليتَ شِعْرِي ومَنْ لي بأنْ أعيشَ إلى يومِ ألقاكُمْ
إذا ازدَحَمَتْ في فؤادي الهمومُ أُعَلِّلُ قلبي بذِكراكُمْ
وأستنشِقُ الريحَ مِنْ أرضِكُمْ لعلّي أحظى بريَّاكُمْ
فلا تَنْسَوا العَهْدَ فيما مضى فَلَسْنا مدى الدهرِ نَنْساكُمْ

تاللهِ لقد حصل للقومِ فوزُ الدَّارَيْن، ورضيتُم أنتم بالبَينِ من البَيْن[3].

تنبَّهوا يا نيامُ! كم ضَيَّعْتُم من عام! الدنيا كلُّها منام، وأحلى ما فيها أحلامٌ، غيرَ أنَّ عقل الشيخ بالهوى غُلام، علامَ قَتْلُ النفوسِ عَلام؟! هل هو إلا ثوبٌ وطعامٌ؟! ثم يتساوى خزٌ[4] وخَامٌ[5]، ولذَّاتٌ طيّباتٌ وَوِخَام[6]، إنما يَعْرِفُ الفُطَناءُ لا الطَّغام[7]، آهٍ للغافل! إلى كم يُلامُ! أما توقظُكَ الليالي والأيام؟! أين سُكَّانُ القصورِ والخيام؟ دارت على الكُلِّ كأسُ الحِمام[8] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

إلى متى مزاحمةُ الأنعامِ؟! رُدُّوا هذه الأنفسَ بزِمام، ازجُرُوا هذه القلوبَ عن الآثامِ، اقرؤوا صحائفَ العِبَرِ[9] بألسنة الأفهام[10]، موتُ الجيران شَكْلٌ[11]

---

(١) صوَّح: يبس.
(٢) حشا: ملأ. حشاي: أي أحشائي، وهو الجوف. حاشاكم: من حاشا وهي أداة استثناء، والمعنى: براءةً ومعاذاً.
(٣) البين الأولى: البعد. البين الثانية: الوصال والمودة.
(٤) خز: ما ينسج من الثياب من صوف وحرير خالص.
(٥) خام: الخام من الثياب الذي لم يُبيّضه القَصّار.
(٦) وخام: غير مستمرإ من الطعام. والطعام الوخيم: غير الموافق لآكله.
(٧) الطَّغام: أراذل الناس وأوغادهم.
(٨) الحِمام: قضاء الموت وقدره.
(٩) العِبَر: جمع عِبْرة مواضع الاتعاظ والاعتبار.
(١٠) الأفهام: جمع فهْم: حسن تصور المعنى أو جودة استعداد الذهن للاستنباط.
(١١) شَكْل: الشكل: الحركة توضع على الحرف. يقال شكلَ الكتابَ: ضبطه بالشكل =

وأخذُ الأقرانِ[١] إعجام[٢]، يا مَنْ أجَلُهُ خَلْفَه، وأمَلُهُ قُدَّام، ربَّ يوم له مِفتاح، ما لَهُ خِتام.

يا مقتحماً على الحرامِ أيَّ اقتحام، ستعلمُ مَنْ يبكي في العُقبى عُقبى الإجرام[٣]، ويشاركُ النَّدامى على النَّدامى[٤] والمُدام، يا طويلَ المرض! متى يَبرأ السِّقام؟! يا من إنْ قَعَد فللدنيا، وكذا إنْ قام، أولُ الدُّنيا همٌّ، وآخرُها مَوْتٌ زُؤام[٥]، حَلَّ لها الفراقُ، وحُرِّمَ عليها الدوامُ، سحابُها لا يُمطر، وسماؤها قَتام[٦]، كلُّها عيبٌ في عَيْبٍ، وذامٌ في ذام، أتعيبُها عندَ مُحِبّها؟! متى يسمعُ العَذْلَ مُسْتَهام[٧]؟!.

خلِّها واخرجْ عنها بسلامٍ إلى دارِ السلام؛ فالجنَّةُ رخيصةٌ[٨] ثم ما تغلو على مُستام، خُذْها إليك نصيحةً من طَبٍّ[٩] يداوي الأسقام[١٠]، يضع الهناء[١١] موضع النَّقْبِ[١٢]، ويعرفُ أصلَ الآلام، ويُركِّبُ المرهمَ عن خُبْرٍ، ويديرٌ كيفَ شاءَ الكلام، ما بعدها[١٣] نصيحةٌ تكفي والسلام.

* * *

= لتسهُلَ قراءته.

(١) الأقران: جمع قِرْن، وهو المثْل في الشجاعة والعلم وغير ذلك.

(٢) إعجام: يقال: أعجم الكتاب، أي: أزال إبهامه بالنقط.

(٣) العقبى الأولى: الآخرة. وعقبى الثانية: العاقبة.

(٤) الندامى الأولى: النادمين. والندامى الثانية: من المنادمة والمسامرة.

(٥) زؤام: عاجل سريع.

(٦) القَتام: الغبار الأسود.

(٧) العذل: اللوم. مستهام: المشغوف محبةً.

(٨) رخيصة: ناعمة وليِّنة.

(٩) طَبٌّ: طبيب.

(١٠) الأسقام: الأوجاع.

(١١) الهناء: القَطِران.

(١٢) النقب: الجرب يصيب الإبل.

(١٣) ما بعدها: ليس وراءها.

آخر كتاب المدهش

الحمد لله عددَ أنفاس أهل الجنة

وصلواتُه على محمدٍ وآله، وسلم كثيراً وشرّف وكرّم

وفرغ منه ناظمه عبد الرحمن بن علي بن الجوزي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمسمئة، حامداً الله سبحانه، ومصلياً على رسوله محمد وعلى آله ومسلِّماً، يرحم الله من نفع به وانتفع، ودعا لمؤلفه بالعفو والغفران(١).

* * *

(١) جاء في خاتمة (أ): وافق الفراغ من نسخه في أواخر شهر ربيع الثاني لسنة (١١٤٢هـ) اثنتين وأربعين ومئة وألف على يد الفقير مصطفى بن بكتاش، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وفي آخر (ب): تم كتاب المدهش بحمد الله وعونه، وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد ﷺ، وكان الفراغ من نسخه في العشر الأوسط من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمئة، غفر الله لكاتبه وقارئه ولجميع المسلمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



ملحق التراجم

الحمد لله الذي جعلَ في السماءِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، وجعلَ من البشرِ نجوماً لنهتديَ بها في ظلمات الغفلات والأهواء والفتن.

والصلاة والسلام على النبيّ الهادي، السراج المنير، وعلى آله وأصحابه مصابيح الهُدَى، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فعلى الصفحات القليلة التالية، نستعرض مقتطفاتٍ من سِيَرِ أُناسٍ عاشوا فوق هذه الأرض، أشاعوا فيها الخيرَ، ونشروا فيها المعرفة، وأصَّلوا فيها المنهاجَ التطبيقيَّ لحقائقِ الغيبِ في عالم الشهادة.

هم إشاراتُ هدايةٍ على طريق السير إلى الله، هم أطواقُ نجاةٍ للغارقين في بحارِ الشهواتِ والبعدِ عن الله.

عرفوا اللهَ فأحبُّوه، وجعلوه في قلوبهم، وعرفوا الدنيا فجعلوها في أيديهم وسيلةً للأُنس بمحبوبهم.

هم بشرٌ.. إلا أنهم تخرَّجوا في مدرسة الإسلام، وتربوا على تعاليم وهدي المصطفى رسول الله ﷺ.

* * *

● **أبو علي لدقاق:**

أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري.

كان يعظُ الناسَ، ويتكلَّم عن الأحوال والمعرفة، ومن كلامه:

- من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنّه خضعَ له بلسانه وأركانه، فإن اعتقدَ تعظيمَه بقلبه، أو خضعَ له به؛ ذهب دينه كله.

- وقال في قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]: اذكروني وأنتم أحياء، أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلّى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب.

- وقال: البلاء الأكبر أن تريدَ ولا تُراد، وتدنو فتردَّ إلى الطردِ والإبعاد.

- وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤]، أنشد يقول:

جُنِنا بليلى وهي جُنَّتْ بغيرِنا   وأُخرى بنا مجنونةٌ لا نريدُها

- وفي قوله ﷺ: «**حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِه**»[١] قال: إذا كان هذا المخلوقُ لا وصولَ إليه إلا بتحمّل المشاقّ، فما الظنُّ بمن لم يزل؟!.

- وقال في الحديث: «**جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها**»: يا عجباً لمن لم يَرَ مُحْسِناً غيرَ الله، كيفَ لا يميلُ بكلّيته إليه؟!.

قال ابن كثير في (البداية): «كلامه على هذا الحديث جيّدٌ، والحديثُ لا يصحُّ بالكلية». توفي أبو علي سنة (٤١٢هـ).

● **أبو العتاهية:**

أبو إسحاق، إسماعيلُ بنُ قاسم بن سُويد بن كَيسان العَنزي، رأسُ

(١) حديث صحيح.

الشعراءِ، الأديبُ الصالحُ الأوحدُ، نزيلُ بغداد، لُقِّبَ بأبي العتاهيةِ لاضطرابٍ فيه، وقيل غيرَ ذلك. سار شعرُه لجودَتِه وحُسْنِه وعدم تَقَعُّرِه. وكان أبو نُواس يُعظِّمُه، ويتأدَّبُ معه لدينه، ويقولُ: ما رأيتُه إلا وتوهَّمتُ أنَّه سماويٌّ، وأنّي أرضي. وهو القائل:

إنَّ الشَّبـــابَ والفَــرَاغ والجِــدَه مَفْسَـــدَةٌ لِلْمَـــرْءِ أيُّ مَفْسَـــده

حَسْبُــكَ مِمَّـــا تَبْتَغِيـــهِ القُـــوتُ مـــا أكْثَـرَ القُـوتَ لِمَـنْ يَمُـوتُ

هـــيَ المَقَـــاديـــرُ فلُمْنـــي أوْ فَـــذَرْ إنْ كُنْتُ أخْطَـأْتُ فمـا أخطا القَـدَرْ

توفّي أبو العَتاهية في جُمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين. وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوِها، ببغداد.

● **أبو العلاء المعري:**

أحمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ سليمانَ.

وترجعُ أصولُ نسبه إلى النبيِّ هُود عليه السلام، التَّنوخيُّ المَعَرِيُّ الأعمى، اللُّغوي، الشاعرُ، صاحبُ التصانيف السائرة، والمُتَّهَمُ في نِحْلَتِهِ. شيخُ الآداب. وُلد سنة ثلاثٍ وستين وثلاثِمئة.

وأضرّ بالجُدَرِيِّ وله أربعُ سنين وشهر؛ سالتْ واحدةٌ، وابيضَّتِ اليُمنى، فكان لا يَذْكُرُ من الألوانِ إلا الأحمرَ لثوبِ أحمر ألبسوه إياه. وقد جُدِّرَ، وبقي خمساً وأربعين سنةً لا يأكلُ اللحمَ تزهُّداً فلسفيّاً.

وكان قَنوعاً مُتعفِّفاً، له وَقْفٌ يقومُ بأمره، ولا يَقبلُ من أحدٍ شيئاً، ولو تكسَّبَ بالمديح لحصَّلَ مالاً ودُنيا، فإنَّ نظمه في الذروة، يُعَدُّ مع المتنبي والبُحتُري.

وأخذ الأدبَ عن بني كوثر، وأصحابِ ابنِ خالويه، وكان يَتَوقَّدُ ذكاءً.

كان يَحْفَظُ كلَّ ما مرَّ بسمعِه، ويُلازم بيتَه، وسمى نفسَه رهينَ المَحْبَسَينِ، للزومه منزلَه والعمى، وقال الشِّعْرَ في حداثته، وكان يُملي تصانيفَه على الطَّلَبةِ من صَدْرِه.

ودخل أبو الفتح القاضي عليه بَغْتَةً، فسمعه يُنشد:

كَــمْ غُـــودِرَتْ غَـــادَةٌ كَعَـــابٌ وعُمِّـــرَتْ أُمّهـــا العَجـــوزُ

أحـرَزَهـا الـوالِـدانِ خَـوْفـاً والقبـرُ لهـا حِـرزٌ حَـريـزُ
يجـوزُ أن تُخْطِـئ المنَـايـا والخُلْـدُ فـي الـدَّهـرِ [عـزيـزُ]

ثم تأوَّهَ مرات، وتلا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود]. ثم صاح وبكى، وطرح وجهه على الأرضِ زماناً، ثم مَسَحَ وجهَه، وقال: سبحانَ مَنْ تكلَّمَ بهذا في القِدَم، سُبحانَ مَنْ هذا كلامُه. فصبرتُ ساعةً، ثم سَلَّمْتُ، ثم قلتُ: أرى في وَجْهِكَ أثَرَ غيظٍ؟ قال: لا، بل أنشدتُ شيئاً من كلام المخلوق، وتَلَوْتُ شيئاً من كلامِ الخالق، فلَحِقَني ما ترى.

قال أبو المكارم ـ وكان من أفراد الزمان ـ: لما تُوفي أبو العلاء اجتمع على قبرِه ثمانون شاعراً، وخُتِمَ في أسبوعٍ واحدٍ مئتا ختمة.

وفي الجُملة: فكان من أهلِ الفضلِ الوافرِ، والأدبِ الباهر، والمعرفةِ بالنسبِ وأيامِ العرب، قرأ القرآنَ بروايات، وسَمِعَ الحديثَ على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يَحُضُّ على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعرٌ كثير، والمُشكِلُ منه فله على زَعمه تفسير. مات في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسعٍ وأربعينَ وأربعمئة، عن ستٍّ وثمانينَ سنة.

● أبو بكر النَّهْشَلي:

الكوفي: من علماء الكوفة، في اسمه أقوال، ولا يُعرف إلا بكنيته.

تكلَّمَ فيه ابنُ حِبَّان، فقال: كان شيخاً صالحاً فاضلاً، غلبَ عليه التَّقَشُّفُ حتى صارَ يَهم ولا يعلم، ويُخطئ ولا يفهم، فبطل الاحتجاجُ به.

قال الذهبي في (السير): «بل هو صدوق، احتجَّ به مسلم وغيره».

وكان صالحاً، يثب للصلاة في مرضه ولا يقدِر، فيقال له، فيقولُ: أُبادِرُ طيَّ الصَّحيفة. توفي النَّهْشلي سنة ست وستين ومئة.

● أبو بكر بن عياش بن سالم الأسَدي:

المقرئ، الفقيهُ، المحدِّثُ، شيخُ الإسلام، وبقيةُ الأعلام، مولى واصل الأحدب، وُلد سنة خمس وتسعين.

قرأ القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النَّجود.

سُئل: قد بلغكَ ما كان من أمر ابن عُلَيَّة في القرآن.

قال: ويلك، مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ زِنْديقٌ عدوُّ الله لا نجالِسُه ولا نكلِّمه.

مكث نحواً من أربعين سنة يختِمُ القرآن في كلِّ يومٍ وليلةٍ مَرَّة.

لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقيل لها: ما يُبكيكِ؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوكِ فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

مات أبو بكر في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومئة، عن ستٍّ وتسعين سنة.

● **أبو تمَّام:**

حَبِيبُ بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي.

شاعر عصره، من حَوْران، من قرية جاسم. مدحَ الخلفاءَ والكُبَراء. وشعره في الذِّرْوَة. كان أسمرَ طُوالاً فصيحاً، عَذْبَ العبارةِ، مع تَمْتَمةٍ قليلةٍ.

وُلدَ في أيام الرشيد، وكان أولاً حدثاً يَسقي الماءَ بمصر، ثم جالسَ الأدباء، وأخذَ عنهم، وكان يتوقّدُ ذكاءً. وسَحَّتْ قريحتُه بالشعر البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدَّمَهُ على الشعراء، وله فيه قَصائد. وكان يُوصَفُ بطيب الأخلاق والظَّرْف والسماحة. وقد كان البحتريُّ يرفعُ من شأن أبي تمام، ويقدِّمُه على نَفْسِه، ويقول: ما أكلتُ الخبزَ إلاَّ به، وإنِّي تابعٌ له.

وهو القائل:

وَلَو كانَتِ الأَرْزاقُ تَجْرَى عَلى الحِجَى ... هَلَكْنَ إذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ البهائِمُ
وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لقاصدٍ ... ولا المَجْدُ في كفِّ امرئٍ والدَّرَاهِمُ

وله أيضاً:

ألم ترني خَلَّيتُ نَفْسِي وَشأْنَها ... فَلَمْ أحْفِلِ الدُّنْيا ولا حدثانَها

لقد خَـوَّفتني الحـادِثـاتُ صُرُوفَهـا | وَلَـوْ أمَّنَتْنـي مـا قَبِلْـتُ أمَـانَهـا
يقولونَ: هَلْ يَبْكِي الفَتَى لخريدةٍ | مَتَى ما أرادَ، اعْتاضَ عَشْراً مَكانَها؟
وَهَلْ يَسْتَعِيضُ المَرْءُ مِنْ خَمسِ كَفِّه | وَلَـو صـاغَ من حُـرِّ اللُّجَينِ بَنـانَها؟

لمَّا مات رثاه محمد بن عبد الملك الوزير فقال:

نَبَـأٌ أَلَـمَّ مُقَلْقِـلُ الأحْشَـاءِ | لَمَّـا أَتَـى مِـنْ أعظَـمِ الأنْبـاءِ
قَالُوا: حَبيبٌ قَدْ ثَوى، فأجَبْتُهم: | نَـاشَـدْتُكُـمْ لا تَجْعَلُـوهُ الطَّـائـي

كان واحدَ عَصرِه في ديباجةِ لفظه، وفصاحةِ شِعْرِه، وحُسْن أسلوبه. ألَّفَ (الحماسة) فَدَلَّتْ على غَزارةِ معرفـتِـهِ بحُسْنِ اختيارِه، وله كتاب (فحول الشعراء)، وقيل: كان يحفظُ أربعةَ عشر ألف أرجوزة للعرب.

مات في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

● أبو جَنْدَل رضي الله عنه:

اسمه: العاصُ بنُ سُهَيْل بن عَمْرو بن عَبْدِ شَمْس بن عَبْدِ وِدٍّ بن نَصْر بن حِسْل بنِ عَامِر بن لُؤَيّ بن غالِب بن فِهْر العَامريُّ القُرَشيُّ.

كان من خِيار الصحابة، وقد أسلمَ، وحبسَه أبوه وقيَّدَه، فلمَّا كان يومَ صُلحِ الحديبية، هربَ يَحْجِلُ في قيودِه، وأبوه حاضِرٌ بين يدي النبيِّ ﷺ لكتاب الصلح. فقال: هذا أوَّلُ مَنْ أقاضيك عليه يا محمّد. فقال: هبه لي، فأبى. فردَّه وهو يصيحُ ويقول: يا مسلمون أُرَدُّ إلى الكُفر؟ ثم إنَّه هرب. وله قصّة مشهورة مذكورة في (الصحيح) وفي المغازي. ثم خلصَ وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفي شهيداً في طاعون عَمَواس بالأردن سنة ثماني عشرة.

● أبو سُليمان الدَّاراني:

عبدُ الرحمن بنُ أحمد، الإمامُ الكبيرُ، زاهدُ العصر وُلد في حدود الأربعين ومئة. قال يعجَبُ ممن يتعلَّق بالدّنيا: إنَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ خلقاً لو زُيِّنَ لهم الجِنانُ ما اشتاقوا إليها، فكيف يُحبُّون الدنيا وقد زَهَّدهم فيها؟!.

قال أحمد بن أبي الحَوَارِي: سمعتُه يقولُ:

لو لا الليلُ لما أحببتُ البقاءَ في الدُّنيا، ولربَّما رأيتُ القلبَ يضحكُ ضحِكاً.

قال أحمدُ: ورأيتُ أبا سُليمان حين أراد أن يُلَبِّي غُشِيَ عليه، فلما أفاقَ

قال: بَلَغني أنَّ العبدَ إذا حجَّ من غير وجهة، فقال: لَبَّيك، قيل له: لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْك حتى تطرَحَ ما في يديك، فما يُؤْمِنَّا أن يُقال لنا مثل هذا؟! ثم لبَّى.

ومن **أقواله**: إنَّ مَن وَثِقَ باللهِ في رِزْقِهِ زادَ في حُسن خلقه، وأعقبَهُ الحِلْمَ، وسَخَتْ نَفْسُهُ، وقلَّتْ وساوسُه في صلاتِه.

قال أحمد بن أبي الحَواري: تمنَّيْتُ أن أرى أبا سُليمان الداراني في المنام، فرأيتُه بعد سنةٍ، فقلتُ له: يا معلّمُ ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: يا أحمدُ دخلتُ من باب الصَّغير، فلقيتُ وَسْقَ شِيحٍ، فأخذتُ منه عوداً، فلا أدري تخللتُ به أم رَميتُ به! فأنا في حِسابه من سنة.

توفّي أبو سُليمانَ سنةَ خمس عشرة ومئتين. وقال أحمدُ: مات سنةَ خمسٍ ومئتين.

● أبـو عبيدة الخواص:

هو عَبَّـاد بن عبّاد، واشـتهر بأبي عبيـدة، وإنَّما هو أبو عتبة، كما ذكره البخاري وغيره.

كتب مرةً إلى إخوانِه يعظهم فقال: إنكم في زمانٍ قد رقَّ فيه الورع، وقلَّ فيه الخشوع، وحمل العلم مفسدوه، فأحبّوا أن يعرفوا بحمله، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعة العمل به، فنطقوا فيه بالهوى ليتزيّنوا ما دخلوا فيه من الخطر، فذنوبهم ذنوبٌ لا يُستغفر منها، وتقصيرهم تقصيرٌ لا يُعترف به، أحبّوا الدنيا، وكرهوا منزلة أهلها، فشاركوهم في العيش، وزايلوهم بالقول.

وامتنع عن الضحك، فسُئل: لم لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك وفي أيدي المشركين من المسلمين أحد؟!.

وكان يمشي في طريق البصرة وهو يقول: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه.

ونقل أحمد بن الحواريّ أنَّ عبـاداً دخل على إبراهيـم بن صالح أميـر فلسطين، فقال له: يا شيخ! عظني، فقال: بِمَ أعظكَ أصلحكَ الله؟ بلغني أنَّ أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك. فبكى حتى سالت الدموع على لحيته.

وعن بشر بن الحارث قال: رأيتُ على جبالِ عرفة رجلاً قد ولع به الوله، وهو يقول:

سبحانَ مَنْ سَجَدْنا بالعيونِ لهُ — على شبا الشوكِ والمُحمَّى مِنَ الإبرِ
لم نبلغِ العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ نعمتِهِ — ولا العُشَيْرَ ولا عُشْراً مِنَ العُشْرِ
هو الرفيعُ فلا الأبصارُ تُدْرِكُهُ — سبحانَهُ مِنْ مَليكٍ نافذِ القَدَرِ
سبحانَ مَنْ هو أُنسي إذ خَلَوْتُ بِهِ — في جوفِ ليلي، وفي الظَّلْماءِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحبّ يا أملي — مَنْ لِي سوَاكَ ومَنْ أرْجُوْهُ يا ذُخُرِي

قال: ثم غاص في خلال الناس، فلم أره، فسألت عنه، فقيل: هذا أبو عبيدة الخواص، منذ سبعين سنة لم يرفع رأسَه إلى السماءِ حياءً منَ الله عزَّ وجلّ.

وسمع عقبة بن فُضالة أبا عبيدة بعدما كبر وهو آخذٌ بلحيتِهِ يبكي ويقول: قد كبرتُ.. فأعتقني.

● **أبو عِمران الجَوني:**

عبدُ الملك بن حبيب البصري.

الإمام الثقة، كان الغالبُ عليه الكلامَ في الحِكَم، وكان يقول: أما واللهِ لئن ضيَّعْنا، إنَّ للهِ عِباداً آثروا طاعةَ اللهِ تعالى على شهواتهم.

ويقول: أجرى اللهُ علينا وعليكم محنته، وجعلَ قلوبَنا أوطاناً تَحِنُّ إليه.

توفي في سنة ثلاث وعشرين ومئة، وقيل: سنة ثمان وعشرين عن سنٍّ عالية.

● **أبو نُواس:**

أبو علي الحسنُ بنُ هانئ الحكَمي، وقيل: ابن وهب.

رئيسُ الشعراء، وُلِدَ بالأهواز، ونشأَ بالبصرةِ. قيل: لُقِّبَ بهذا لِضَفْرَتين كانتا تَنوسان على عاتِقَيْه، أي: تَضْطربان. وهو القائل:

سُبحانَ ذي الملكوتِ أيّةُ لَيْلَةٍ — مَخَضَتْ صَبِيحتُها بِيَومِ الموقِفِ
لو أنَّ عَيْناً وَهَّمَتْها نَفْسُها — ما في المَعادِ مُحَصَّلاً لم تَطْرُفِ

وله:

ألا كُلُّ حيٍّ هالِكٌ وابنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكينَ عَريقِ
إذا امْتَحَنَ الدُّنيا لَبيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثيابِ صَديقِ

قال أبو العتاهية: قلت في الزهد عشرين ألف بيت، ووددتُ أنَّ لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس، وكانت مكتوبة على قبره:

يا نُواسيُّ توقَّرْ أو تغيَّرْ أو تصبَّرْ
إنْ يكنْ ساءَكَ دهرٌ فَلَمَا سَرَّكَ أكثرْ
يا كثيرَ الذَّنْبِ عفوُ اللهِ من ذَنْبِكَ أكبَرْ

وممَّا يدلُّ على تمكّنه في الشعر أنَّه سمع حديثَ سهيل عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**القلوبُ جنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلَفَ**» فنظم ذلك في قصيدة له فقال:

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مجنَّدةٌ للهِ في الأرضِ بالأهواءِ تَعْتَرِفُ
فما تناكَرَ منها فهو مختلِفٌ وما تعارَفَ منها فهو مُؤْتَلِفُ

وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكّان ورّاق، فكتبَ على ظهر دفتر هذه الأبيات:

أيا عَجَباً كيف يُعصى الإلهُ أم كيفَ يجحدُهُ الجاحِدُ؟
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه الواحِدُ

ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال: ما أحسنَ قائِله واللهِ، واللهِ لوددتُ أنَّها لي بجميعِ شيءٍ قلتُه، لمن هذه؟ قيل: لأبي العتاهية. فأخذ فكتب في جانبها:

سبحانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ ضَعْفٍ مهينِ
يسوقُهُ مِنْ قرارٍ إلى قرارٍ مكينِ
يخلُقُ شيئاً فشيئاً في الحُجْبِ دونَ العيونِ
حتّى بَدَتْ حركاتٌ مخلوقةٌ في سكونِ

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ومن شعره المستجاد قوله:

انقَطَعَتْ شِدَّتي فعُفْتُ الملاهي ... إذْ رَمى الشيْبُ مفرقي بالدَّواهي
ونهتني النُّهى فمِلْتُ إلى العَدْلِ ... وأشفقْتُ مِنْ مقالةِ ناهي
أيُّها الغافِلُ المقرُّ على السّهو ... ولا عُذْرَ في المعادِ لِسَاهي
لا بأعمالِنا نُطِيقُ خلاصاً ... يومَ تبدو السماءُ فوقَ المياهِ
على أنّا على الإساءةِ والتفريطِ ... نرجو من حُسْنِ عفوِ الإلٰهِ

وقوله:

نموتُ ونبلى غيرَ أنَّ ذنُوبَنا ... إذا نحنُ مِتْنا لا تموتُ ولا تَبْلَى
ألا رُبَّ ذي عينينِ لا تنفعانِهِ ... وما تنفَعُ العينانِ مَنْ قلبُه أعمى

وذكرَ أنَّه لما أراد الإحرامَ بالحج قال:

يا مالكاً ما أَعدَلَكْ ... مليكَ كلِّ مَنْ مَلَكْ
لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ ... والملكَ لا شريكَ لكْ
عبدُكَ قد أهلَّ لكْ ... أنتَ لهُ حيثُ سلكْ
لولاك يا ربِّ هَلَكْ ... لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ

ومما أملاه قوله:

إذا خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ، ولكن في الخلاءِ رقيبُ
ولا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولا آثماً يخفى عليه يغيبُ

وعن الشافعي قال: دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي ماتَ فيه وهو يجودُ بنفسِه، فقلنا: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ فأنشأ يقول:

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتُه ... بعفوِكَ ربّي كان عفوُكَ أعظما

مع أبيات.

ومما نقل أنَّه كان قد نقشَ على خاتمه «لا إلٰه إلا الله مخلصاً»، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسّلوه، ففعلوا به ذلك. ورآه بعضُ أصحابِه في المنام بعد موته

فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بأبياتٍ قلتُها في النرجس:

تفكَّرْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ ... إلى آثارِ ما صَنَعَ المليكُ
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ ... بأبصارٍ هي الذَّهَبُ السَّبِيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهِداتٌ ... بأنَّ اللهَ لَيْسَ له شريكُ

مات رحمه الله سنة خمس أو ست وتسعين ومئة.

● **أبو يَزيد البِسْطامي:**

طَيْفُور بن عيسى بن شَرْوسان البِسْطامي.

سُلْطانُ العارفين، أحدُ الزهَّاد، وله كلامٌ نافعٌ، منه: ما وَجدْتُ شيئاً أشَدَّ عَليَّ من العِلْمِ ومتابعتِه، ولولا اختلافُ العلماءِ لبقيتُ حائراً.

ومن مناجاته الربَّ تبارك وتعالى:

- هذا فَرحي بكَ وأنا أخافُكَ، فكيفَ فَرَحِي بكَ إذا أَمِنْتُكَ؟!.

- ليسَ العجبُ من حُبِّي لكَ، وأنا عَبْدٌ فقيرٌ، إنَّما العَجَبُ من حُبِّكَ لي، وأنتَ ملِكٌ قديرٌ.

- الجنّة لا خَطَرَ لها عند المحِب، لأنه مَشْغولٌ بمَحبَّتِه.

- ما دامَ العَبْدُ يَظُنُّ أنَّ في الناسِ مَنْ هو شَرٌّ مِنْهُ، فهو مُتَكَبِّر.

قيل له: عَلِّمْنا الاسم الأعظم.

قال: ليسَ له حَدٌّ، إنَّما فَرَاغ قَلبك لوحدانيَّتِه، فإذا كنتَ كذلك، فارفَع له أيَّ اسمٍ شِئْتَ من أسمائه إليه.

توفي أبو يَزيد رحمه الله تعالى عن ثلاث وسَبعين سنة بِبَسْطَام، سنة إحدى وستين ومئتين.

● **أسيد الضبي:**

بكى أسيد الضبي حتى عميَ، وكان إذا عُوتب على البكاء، قال: الآن حين لا أهدأ وأنا أموتُ غداً! واللهِ لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، ثم لأبكينَّ، فإن أدركتُ بالبكاءِ خيراً فبمنّ اللهِ وفضلهِ عليّ، وإن تكنِ الأُخرى فما بكائي في جنبِ ما ألقى

غداً؟ قيل: فكان ربّما بكى حتى يتأذّى به جيرانُه من كثرة بكائه.

● **أوَيْسُ القَرَنـيّ:**

هو القدوةُ الزاهدُ، سيّدُ التابعين في زَمانه. أبو عَمْرو، أُوَيْسُ بنُ عامر بن جَزْء بن مالك القَرَنيّ المُراديُّ اليمانيُّ. كان من أولياء الله المتَّقين، ومن عِبادِه المُخلَصين.

عن أُسَيْر بن جابر، قال: لمّا أقبلَ أهلُ اليمن، جعل عمرُ رضي الله عنه يستقرئ الرِّفاقَ فيقول: هل فيكم أحدٌ من قَرَن؟ فوقع زِمامُ عُمَر أو زِمام أُويس فناوله ـ أو ناول أحدُهما الآخر ـ فعرفه، فقال عُمَر: ما اسمُكَ؟ قال: أنا أُويس، قال: هل لك والدة؟ قال: نَعَم. قال: فهل كان بكَ مِنْ البياضِ شيءٌ؟ قال: نعم، فدعوتُ اللهَ فأذهبه عنّي إلاّ موضعَ الدِّرْهم مِنْ سُرَّتي لأذْكُرَ به ربّي. قال له عمر: استغفرْ لي. قال: أنتَ أحقُّ أنْ تَسْتَغْفِرَ لي، أنت صاحبُ رسول الله، فقال عمر: إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ خَيْرَ التَّابعينَ رَجلٌ يُقالُ لهُ: أُوَيسٌ، ولهُ والِدَةٌ وكان بِهِ بَياضٌ، فَدَعا الله، فأذهبَهُ عَنْه إلَّا مَوْضِعَ الدِّرْهَمِ في سُرَّتِه**» فاسْتَغْفَرَ لهُ، ثم دَخَلَ في غِمارِ الناسِ، فلَمْ نَدْرِ أين وقع؟! قال: فَقَدِم الكوفة. قال: فكُنّا نجتمع في حَلْقة، فنذكُر اللهَ، فيجلسُ مَعَنا. فكان إذا ذَكَرَ هو وَقَعَ في قلوبنا، لا يقعُ حديثٌ غَيْرُه.

ذكرَ ابن القيّم في كتاب (الروح) أنَّ أبا يعقوب القاري قال: رأيتُ في منامي رجلاً آدمَ طوالاً، والناس يتبعونه، قلت: مَنْ هذا؟ قالوا: أويس القرني، فاتّبعته فقلتُ: أوصني يرحمكَ الله، فكلح في وجهي (كلح: عبس) فقلتُ: مسترشِدٌ فأرشِدْني رحمَكَ الله، فأقبلَ عليّ فقال: ابتغ رحمةَ الله عند محبته، واحذَر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءَكَ منه في ذلك، ثم ولّى وتركني.

اختُلِفَ في وقتِ وفاتِه، فعن عبد الله بن سالم قال: غزونا أذربيجان زمنَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني، فلمَّا رجعنا مرضَ علينا، فحملناه فلم يستمسك فمات.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى منادٍ يوم صفّين: **أفي القومِ أويس القرني؟ فوُجِدَ في قتلى علي. قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح.**

● **ابنُ أبي لَيْلى:**

محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

العلاّمة، الإمام، مفتي الكوفة وقاضيها، أبو عبد الرحمن الأنصاري، الكوفي. ولد سنة نيف وسبعين. ومات أبوه وهو صبي.

كان فقيهاً ونظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه، صاحِبَ سنّة، صدوقاً، جائز الحديث، وكان قارئاً للقرآن، عالماً به. قرأ عليه حمزة الزيات فكان يقول: إنَّا تعلَّمنا جودةَ القراءةِ عند ابن أبي ليلى. وكان مِنْ أحسبِ الناس، ومن أنقطِ النَّاسِ للمصحف، وأخطِّه بقلم. وكان جميلاً نبيلاً.

ماتَ ابنُ أبي ليلى رحمه الله في سنة ثمانٍ وأربعين ومئة في شهر رمضان.

● **ابن أدْهَم:**

ابراهيم بن أدْهَم بن منصور بن يزيد بن جابر.

القدوةُ الإمامُ العارف، سيّدُ الزُّهَّاد. كان من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبُزاة. وكان أنْ أثارَ ثعلباً أو أرنباً، فهتف به هاتف: ألهذا خُلِقْتَ؟ أم بهذا أُمِرْتَ؟ فنزلَ، وصادفَ راعياً لأبيه، فأخذ عباءته، وأعطاه فرسَه، وما معه، ودخل الباديةَ، وصحب الثّوري، والفُضَيل بن عِياض. **ومن أقواله:**

ـ من أراد التّوبة، فليخرجْ من المظالم، وليدعْ مخالطةَ النَّاس، وإلا لم ينلْ ما يريد.

ـ وفي الزهد قال: الزُّهْدُ فرضٌ، وهو الزُّهدُ في الحرام. وزهدُ سلامةٍ، وهو الزُّهدُ في الشُّبُهات. وزهدُ فضلٍ، وهو الزُّهدُ في الحلال.

ـ ويُروى أنَّه كان مع جماعةٍ في البحر، فهاجت ريح، واضطربت السَّفينة، وَبَكوا، فقالوا: يا أبا إسحاق ما ترى؟ فقالَ: يا حيُّ حينَ لا حيَّ، ويا حيُّ قبل كلِّ حيّ، ويا حيُّ بعدَ كُلِّ حيّ، يا حيُّ، يا قَيُّومُ، يا مُحسنُ، يا مُجْمِل قد أريتَ قدرتَك، فأرنا عفوَك. فهدأت السفينة من ساعته.

ـ ومن حِكَمِه قال: كلُّ ملك لا يكون عادلاً، فهو واللصُّ سواء، وكلُّ عالمٍ لا يكون تقيّاً، فهو والذّئبُ سواء، وكلُّ من ذَلَّ لغير الله، فهو والكلبُ سواء.

وتوفي سنة اثنتين وستين ومئة، وقبرُه يُزار، وترجمته في (تاريخ دمشق) في ثلاث وثلاثين ورقة.

● **ابن المُعْتَزّ:**

الشيخ أبو الحسن، عبيدُ الله بنُ المُعْتَزِّ بن منصور بن عبد الله بن حمزة، النيسابوريُّ. راوي الأجزاءِ الأربعةِ من حديث عليّ بنِ حُجْر.

توفي سنةَ سبعٍ وأربعين وأربعمئة، وهو أخو منصور شيخ إسماعيلَ بنِ المُؤَذِّن.

● **ابنُ مَرْزُوق:**

الإمامُ المحدِّثُ الرحّال، أبو الخير عبدُ الله بن مرزوق الهروي، مولى شيخُ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري. قيل: وُلِدَ سنةَ إحدى وأربعين وأربعمئة.

قرأ العلم، ورُزِقَ الفهم، وسَمِعَ الكثيرَ، وسافر وكتب وحصَّل، وكان موصوفاً بالحفظ والمعرفة وحسن السيرة.

مات في جُمادى سنة سبع وخمسمئة.

● **الأسْوَدُ بنُ يَزيد بن قَيْس:**

الإمامُ، القدوةُ، أبوعمروالنَّخَعيّ الكوفي. وقيل: يُكنى أبا عبد الرحمن، وهوأخوعبد الرحمن بن يزيد، ووالدُ عبد الرحمن بن الأسود، وابنُ أخي علقمةَ بن قيس، وخالُ إبراهيم النّخعي. فهؤلاء أهلُ بيتٍ من رؤوس العلمِ والعَمَل.

وكان الأسودُ مُخضرماً، أدركَ الجاهليّة والإسلامَ. حجَّ الأسودُ ثمانين، من بين حجَّةٍ وعُمرة. كان يقول في تلبيته: لَبَّيْكَ غفَّارَ الذنوب.

وكان يَخْتِمُ القرآنَ في رمضان في كُلِّ ليلتين، وينامُ بين المغرب والعشاء، وكان يَخْتِمُ القرآن في غيرِ رمضان في كلِّ ستِّ ليالٍ.. وكان إذا حضرتِ الصلاةُ، أناخَ بعيرَه ولو على حجر. وكان صوَّاماً قوَّاماً حجَّاجاً.

توفي رحمه الله سنةَ خمسٍ وسبعين.

● **الجُنَيْد (ت٢٩٨هـ):**

ابنُ محمَّد بن الجُنيد النَّهاوَنْدي ثمَّ البغدادي القَوارِيري، والدُه الخزّاز.

هو شيخُ الصُّوفية، وُلد سنة نيِّفٍ وعشرين ومئتين.

عن الجُنيد قال: ما أخرجَ اللهُ إلى الأرضِ عِلماً، وجعلَ للخَلقِ إليه سبيلاً، إلا وقد جعلَ لي فيه حظّاً.

وقيل: إنَّه في سُوقِهِ ووِرْدُه كلَّ يومٍ ثلاثُمئة رَكعة، وكذا وكذا ألف تسبيحة.

وعنه غيرَ مرّةٍ يقول: عِلْمُنا مضبوطٌ بالكتابِ والسُّنَّة؛ مَنْ لم يحفَظِ الكتاب، ويكتبِ الحديثَ، ولم يتفقَّه، لا يُقْتَدى به.

وعنه قال: أعلى الكِبْر أن تَرَى نفسَكَ، وأدناهُ أن تخطرَ ببالك. يعني: نفسك.

وقيل: كان نقشُ خاتم الجُنيد: إنْ كُنْتَ تأمُلُهُ فلا تأْمَنْه.

● **الحسن البصري:**

هو الحسن بن أبي الحَسن يسار، أبو سعيد، مولى زَيْد بن ثابت الأنصاري، ويُقال: مولى أبي اليسر كعب بن عَمْرو السَّلَميّ.

ويسار أبوه مِن سَبْيِ مَيْسان؛ سكنَ المدينةَ، وأُعْتِقَ، وتزوَّجَ بها في خلافةِ عمر، فوُلِدَ له بها الحسنُ رحمةُ الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر، واسم أمه خيرة؛ ثم نشأ الحسنُ بوادي القُرى، وحضرَ الجُمعةَ مع عثمان، وسمعه يخطب. ورُويَ أن ثَدْيَ أم سلمة دَرَّ عليه ورضعها غيرَ مرَّة.

كان رجلاً تامَّ الشَّكْل، مَليْحَ الصورة، بَهِيّاً، وكان مِنَ الشُّجعان الموصوفين.

وقال قتادة: ما جمعتُ عِلْمَ الحَسَن إلى أحَدٍ من العلماء إلاّ وجدتُ له فضلاً عليه، غيرَ أنه إذا أشكلَ عليه شيءٌ، كتب فيه إلى سعيد بن المسيّب يسألُ، وما جالستُ فقيهاً قطُّ إلا رأيتُ فضلَ الحسنِ.

وقال فيه ابن المسيب، وعُروة، والقاسم وغيرهم: ما رأيتُ مثلَ الحسن، ولو أدرك الصحابةَ وله مِثْل أسنانهم ما تقدَّموه.

وقال الربيعُ بن أنس يصفُ علمه: اختلفتُ إلى الحَسَن عشرَ سنين أو ما شاء الله، فليس مِنْ يومٍ إلاَّ أسمعُ منه ما لم أسمَعْ قبل ذلك.

ـ وعن الحسن قال: يا بنَ آدم، واللهِ إنْ قرأتَ القرآن ثم آمنتَ به، ليطولنَّ

في الدُّنيا حُزْنُك، وليستديمنَّ في الدنيا خَوْفُك، وليكثرَنَّ في الدُّنيا بكاؤك.

وقال أحد الصالحين يصفه: ما أريتُ أحداً أطولَ حُزْناً من الحَسن، ما رأيتُه إلاَّ حَسِبْتُهُ حديثَ عَهْدٍ بمصيبةٍ.

ومن حِكَمِه:

- بئسَ الرفيقانِ: الدِّينار والدِّرْهَم، لا ينفعانِكَ حتَّى يُفارقاك.

- ابن آدم، إنَّما أنتَ أيَّامٌ، كُلَّما ذهبَ يومٌ، ذهبَ بعضُك.

- فضحَ الموتُ الدنيا، فلم يَتْرُكْ فيها لذِي لُبٍّ فرحاً.

- ضَحِكُ المؤمنُ غَفْلةٌ من قَلْبِه.

- ابنَ آدم، السِّكِّينُ تُحَدُّ، والكَبْشُ يُعْلَفُ، والتنُّورُ يُسْجَرُ.

- ومن أقواله: المؤمنُ مَن عَلِمَ أنَّ ما قال الله كما قال؛ والمؤمنُ أحسَنُ النَّاسِ عَمَلاً، وأشدُّ الناسِ وَجَلاً، فلو أنفقَ جَبَلاً من مالٍ ما أمِنَ أن يُعاين، لا يزدادُ صلاحاً وبرّاً إلا غزداد فَرَقاً، والمنافقُ يقولُ: سوادُ الناسِ كثير، وسيُغفَرُ لي ولا بأسَ عليَّ، فيُسيء العَمَل، ويتَمَنَّى على الله.

مات الحسن رحمة الله عليه في رجب سنة عشرٍ ومئة.

وقال عبد الله بن الحَسَن: إنّ أباه عاشَ نحواً من ثمانٍ وثمانين سنة.

قال صاحب (السير): مات في أوَّلِ رجب، وكانت جِنازتُه مشهودةً، صلَّوْا عليه عقِيبَ الجُمعة بالبَصْرة، فشيَّعَهُ الخَلْقُ، وازدحموا عليه، حتى إنَّ صلاةَ العصرِ لَمْ تُقَمْ في الجامع.

● الحكم الكوفي:

الحكم بن عُتَيْبة. الإمامُ الكبير عالِمُ أهل الكوفة، أبو محمد الكِندي، أبو عمرو وأبو عبد الله. من أقران إبراهم النخعي، ولدا في عام واحد، سنة ست وأربعين.

قال الأوزاعي: حججتُ فلقيتُ عَبْدة بن أبي لُبابة، فقال لي: هل لقيتَ

الحكمَ؟ قلتُ: لا، قال: فالقه، فما بين لَابَتَيْها أفقه منه.

كان إذا قَدِمَ المدينة، فُرِّغَت له ساريةُ النبيِّ ﷺ يُصلّي إليها.

توفي سنة خمس عشرة ومئة.

● **الخفاجي:**

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (لم نجد له فيما بين أيدينا ترجمة).

● **الرَّبيع بنُ خُثَيْم بن عائذ:**

الإمامُ القدوةُ العابد، أبو يزيد الثَّوْريُّ الكوفيُّ، أحدُ الأعلام.

أدركَ زمانَ النبيِّ ﷺ، وأرسلَ عنه.

وعن ابنةٍ للربيع، قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَنْ يخافُ البَيات.

كان الربيعُ بن خُثَيْم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالِج، فقيل له: قد رُخِّصَ لك، قال: إني أسمَعُ (حيَّ على الصلاة)، فإن استطعْتُم أن تأتُوها ولو حبْواً.

وقيل له: لو تداويتَ، قال: ذكرتُ عاداً وثمودَ وأصحاب الرسّ، وقروناً بين ذلك كثيراً، كانتْ فيهم أوجاع، وكانتْ لهم أطبّاء، فما بقي المداوي ولا المداوى إلا وقد فَنِي.

قال له رجل: دُلّني على مَنْ هو خَيْرٌ منك. قال: نعم مَنْ كانَ مَنْطِقُه ذِكْراً، وصمْتُه تفكُّراً، ومسيرُه تدبُّراً، فهو خَيْرٌ مني.

توفي الربيعُ بن خُثَيْم رحمه الله قبل سنة خمس وستين.

● **السبتي:**

هو ولد هارون الرشيد، يقال: اسمه أحمد، وكان من زبيدة، وقد خرج يوماً يتصيد فوعظه صالح المري فتزهد وتعلم القرآن والعلم، ولما ولي أبوه الخلافة تركه ولم ينل من دنياه شيئاً، وقد كان براً بأمه.

وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٧) في قصة مطولة، وابن قدامة في كتاب التوابين (ص١٧٠ ـ ١٧٣).

● **الشِّبْليُّ:**

أبو بكر، الشِّبْليُّ البَغْدَاديُّ. قيل: اسمُه دُلَف بنُ جَحْدر.

أصلُه من الشِّبْليَّة، ومولده بسامَرّاء. وكان أبوه من كبار حُجَّابِ الخِلافة، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق، ثم لما عُزل أبو أحمد من الولاية حضَرَ الشبلي مجلسَ بعض الصَّالحين، فتاب، ثُمَّ صَحِبَ الجُنَيد وغيرَه، وصار مِنْ شأنه ما صار. وكان فقيهاً عَارِفاً بمذهبِ مالك، وكتبَ الحديثَ عن طائفة، وقال الشعرَ، وله ألفاظٌ وحِكَمٌ وحال وتمكُّن، لكنَّه كان يحصُلُ له جفافُ دِمَاغٍ وسُكْرٍ.

- قيل: إنَّه مرَّة قال: آه، فقيل له: من أيّ شيءٍ؟ قال: من كلِّ شيء.

- وعنه قال: ما قُلْتُ الله، إلاّ واستغفرتُ الله من قولي الله.

- وسُئِلَ: ما علامةُ العارفِ؟ قال: صدرُه مَشروحٌ، وقلبُه مجروحٌ، وجسمُه مَطْرُوحٌ.

توفي ببغداد سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة، عن نيف وثمانين سنة.

● **الشريفُ الرضي:**

الشريفُ أبو الحسن، محمدُ بنُ الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى، الحُسينيُّ المُوسويُّ البغداديُّ الشاعر. صاحبُ (الديوان).

قال صاحبُ (السيَر): وديوانُه يكونُ أربعَ مجلَّدات. وله كتاب (معاني القرآن) مُمتِعٌ يدلُّ على سَعَةِ علمه. مات في المحرم، وقيل: في صفر سنةَ ست وأربعمئة وله سبع وأربعون سنة وكان شيعيّاً.

في ترجمة أخيه (الشريف المُرتضى) قال صاحب (السير): هو جامعُ كتابِ (نهج البلاغة) المنسوبة ألفاظُه إلى الإمامِ عليّ رضي الله عنه، ولا أسانيدَ لذلك، وبعضُها باطلٌ، وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعاتٌ حاشا الإمامَ من النطقِ بها، ولكن أين المُنصِف؟! وقيل: جَمْعُ أخيهِ الشريف الرضي.

● **الطُّفَيْلُ بنْ عَمْرو الدّوسيّ رضي الله عنه:**

صاحبُ النبيِّ ﷺ، كان سيداً مُطاعاً من أشراف العرب، ودَوْس بطنٌ من الأزد، وكان الطفيل يلقّب ذا النُّور، أسلم قبل الهجرة بمكة، وذكر ابن إسحاق عن عثمان بن الحويرث، عن صالح بن كيسان: أنَّ الطُّفَيل بن عمرو قال: كنتُ رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمتُ مكة، فمشيتُ إلى رجالاتِ قريش، فقالوا:

إنَّكَ امرؤٌ شاعرٌ سيّد، وإنّا قد خشينا أن يلقاكَ هذا الرجل، فيصيبك ببعضِ حديثِه، فإنَّما حديثُه كالسحر، فاحذره أن يُدخِلَ عليك وعلى قومك ما أدخلَ علينا، فإنَّه فرّق بين المرءِ وأخيه، وبينَ المرءِ وزوجته، وبين المرء وابنه. . فواللهِ ما زالوا يُحدّثوني شأنه، وينهوني أن أسمعَ منه حتى قلتُ: واللهِ لا أدخلُ المسجدَ إلا وأنا سادٌّ أذنيّ، قال: فعمدت إلى أذنيّ، فحشوتُهما كُرْسُفاً، ثم غدوتُ إلى المسجد، فإذا برسولِ الله ﷺ قائماً في المسجد، فقمتُ قريباً منه، وأبى الله إلاّ أن يُسمعني بعضَ قوله، فقلتُ في نفسي: واللهِ إنَّ هذا للمعجزُ، وإنِّي امرؤٌ ثَبْتٌ، ما تَخفَى عليَّ الأمورُ حَسَنُها وقبيحُها، واللهِ لأسمَعَنَّ منه، فإن كان امراً رشداً أخذتُ منه، وإلا اجتنبته، فنزعت الكُرْسُفة، فلم أسمع قطّ كلاماً أحسن من كلام يتكلم به، فقلتُ: يا سبحانَ الله ما سمعتُ كاليومِ لفظاً أحسن ولا أجملَ منه، فلمَّا انصرفَ تبعته، فدخلتُ معه بيته، فقلتُ: يا محمد إنَّ قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى اللهُ إلاَّ أن أسْمَعَني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنَّه حقّ، فاعرِض عليَّ دينك، فَعَرَضَ عليَّ الإسلامَ فأسلمتُ، ثم قلتُ: إنِّي أرجعُ إلى دَوْس، وأنا فيهم مُطاع، وأدعوهم إلى الإسلامِ لعلَّ اللهَ أنْ يهديهم، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لي آية، قال ﷺ: **«اللهمَّ اجعل له آيةً تعينُه»**.

فخرجتُ حتى أشرفتُ على ثنيَّةِ قومي، وأبي هناك شيخٌ كبير، وامرأتي وولدي، فلمَّا علوت الثنية، وضعَ اللهُ بين عينيَّ نوراً كالشهاب يتراءاه الحاضِرُ في ظلمةِ الليل، وأنا منهبِطٌ من الثّنية، فقلتُ: اللهمَّ في غيرِ وجهي، فإنّي أخشى أن يظنوا أنّها مُثْلةٌ لفراق دينهم، فتحوّل فوقعَ في رأس سوطي، فلقد رأيتُني أسيرُ على بعيري إليهم، وإنّه على رأس سوطي كأنّه قنديلٌ معلّق، قال: فأتاني أبي فقلتُ: إليك عنّي، فلستُ منك ولستَ منّي، قال: وما ذاك؟ قلتُ: إنّي أسلمتُ واتَّبعتُ دين محمد، فقال: أيْ بني ديني ودينُك، وكذلك أمي، فأسلما، ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلامِ، فأبَتْ عليَّ، وتعاصَتْ، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: غلبَ على دَوْسٍ الزنى والربا فادعُ عليهم، فقال ﷺ: **«اللهمَّ اهدِ دَوْساً»**.

ثم رجعتُ إليهم، وهاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأقمتُ بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام، حتى استجابَ منهم من استجاب، وسبقني بدرٌ وأُحد والخندق، ثم قدمتُ بثمانين أو تسعينَ أهل بيتٍ مِنْ دَوْس، فكنتُ مع النبيِّ ﷺ، حتى فتح مكة

فقلتُ: يا رسولَ الله ابعثني إلى ذي الكَفَّيْن، صنم عمرو بن حُمَمَة، حتى أحرقه. قال: «أجل، فاخرجْ إليه» فأتيتُ، فجعلتُ أُوقدُ عليه النَّار، ثم قدمتُ على رسولِ الله ﷺ، فأقمتُ معه حتى قُبِض.

ثم خرجتُ إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو، حتى إذا كنتُ ببعض الطريق رأيتُ رؤيا، رأيتُ كأنَّ رأسي حُلق، وخرَجَ من فمي طائر، وكأنّ امرأة أدخلتني في فرجها، وكأن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، فحِيْلَ بيني وبينه، فحدّثتُ بها قومي، فقالوا: خيراً، فقلتُ: أمَّا أنا فقد أوَّلْتُها: أمَّا حلقُ رأسي فَقَطْعُه، وأمَّا الطائرُ فروحي، والمرأةُ الأرض أدفنُ فيها، فقد رُوِّعْتُ أن أُقتل شهيداً، وأما طلب ابني إياي، فما أراه إلا سيُغْذَرُ في طلب الشهادة، ولا أراه يلحقُ في سفره هذا. قال: فقُتِلَ الطّفيلُ يومَ اليمامة، ثم جُرِحَ ابنُه، ثم قُتِلَ يوم اليرموك.

● **العاصمي:**

الشـيخُ، العالمُ، الصادق، الأديب، مُسـنِدُ بغداد في وقتـه، أبو الحسين، عاصمُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بن عليّ بن عاصم بن مهران العاصميُّ، البَغدادي، الكَرخي، الشاعر.

ولد سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاثمئةٍ. كانَ شيخاً مُتقِناً، أديباً، فاضلاً، كان حُفّاظُ بغدادَ يكتبون عنه، ويشهدون بصحّة سماعه.

عن أبي علـيّ بنُ سُكّرة: كان عاصمٌ ثقةً فاضلاً، ذا شِعر كثير، وكـان يكرمني، وكان لي منه مِيعادٌ يومَ الخميس، لو أتاه فيه الخليفةُ لم يُمكِّنه.

مات في جُمادى الآخرة، سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمئة ببغدادَ، وله سِتٌّ وثمانون سنة.

● **العَوْفي:**

العلاَّمة أبو عبد الله الحسينُ بن الحسن بن المُحدِّثِ عَطية العَوفي الكوفي الفقيه، قاضي الشَّرْقية بِبغدادَ، ثم قاضي عَسكر المهدي.

قال ابنُ مَعين: كان ضعيفاً في القضاء، ضعيفاً في الحديث.

قال الحافظ الذهبيّ: له حكاياتٌ في القضاء، وفيه دُعابةٌ، وكان مُسِنّاً كبيراً.

توفي سنة إحدى ومئتين.

● **الفُضيل بن عياض بن مسعود بنِ بِشْر:**

الإمامُ القدوة الثَّبْتُ، شيخ الإسلامِ، أبو علي التميمي اليَرْبوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله، وُلِدَ بِسَمَرْقَند، ونشأ بأَبِيوَرْد، وارتحل في طلب العلم.

كان الفُضيل بن عياض شاطراً يقطعُ الطريق بين أبيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنَّه عشقَ جاريةً، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، فلمّا سَمِعَها، قال: بلى يا ربّ، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلةٌ، فقال بعضُهم: نرحل، وقال بعضهم: أولى بنا أن ننتظر حتى الصباح، فإنَّ فُضَيلاً على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرتُ، وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين هاهنا، يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مجاورةَ البيت الحرام.

قال إبراهيمُ بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذكرَ الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهرَ به الخوف والحزن، وفاضتْ عيناه، وبكى حتى يرحمه مَنْ يحضرُه، وكانَ دائم الحزنِ، شديدَ الفكرةِ، ما رأيتُ رجلاً يريدُ اللهَ بعلمه وعمله، وأَخْذِه وعطائِه، ومنْعِه وبذله، وبُغضِه وحبّه، وخصالِه كلِّها، غيرَه. كنّا إذا خرجنا معه في جنازةٍ لا يزالُ يَعِظُ، ويذكّرُ ويبكي كأنه مودّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلغَ المقابر؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقومَ وكأنّه رجع من الآخرةِ يخبرُ عنها.

● **أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ):**

هو أحمد بن الحسين الجُعْفِي الكوفي الكندي، الشاعر العملاق، له الأمثال السائرة، والحكم البارزة، والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة)، وإليها نسبته، ونشأ بالشام، تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، قال الشعر صبياً، تنبأ في بادية السماوة [بين الكوفة والشام] فسجن حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب، ثم فارقه ومضى إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي، وطلب منه أن يولّيه، فلم يولّه كافور، فغضب عليه وهجاه، تنقل في بلادٍ كثيرة، وفي طريق عودته إلى بغداد من شيراز، عرض له فاتكٌ الأسدي في جماعته، وجرى اقتتال

قتل فيه المتنبي، وفاتك هذا هو خال ضبة بن يزيد الأسدي، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة.

● **مهيار:**

مِهْيَار بنُ مَرْزَوَيْه، الأديبُ الباهرُ، ذو البلاغتين، أبو الحسن الدَّيْلَميُّ، الفارسي.

قال فيه ابنُ بَرْهان: انتقلتَ بإسلامِكَ في النارِ من زاويةٍ إلى زاويةٍ، كُنتَ مجوسياً، فصِرْتَ تَسُبُّ الصحابةَ في شعرك. له ديوان، ونظمُهُ جزلٌ حُلو، يكوِّن ديوانُه مئةَ كُرّاس.

توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمئة.

● **بشر الحافي:**

بشر بن الحارث بنِ عبد الرحمن بن عطاء، الإمامُ العالمُ المحدّثُ الزاهدُ الربّاني القدوة، شيخُ الإسلام، أبو نصر المَروزيُّ، ثم البغداديُّ، المشهورُ بالحافي.

ولد سنةَ اثنتين وخمسين ومئة، وارتحلَ في العلم، كانَ يَذُمُّ نفسَه، فقد كان رأساً في الورعِ والإخلاصِ، ثم إنَّه دفنَ كتبه. وقلَّ ما روى من المُسندات. رُوي عن بشر أنَّه قيلَ له: ألا تُحدِّثُ؟ قال: أنا أشتهي أن أُحدِّث، وإذا اشتهيتُ شيئاً، تركتُهُ. وأنَّه سُمِعَ يقول: حدّثنا حمادُ بن زيد.. ثم قال: أستغفر الله، إنّ لذكرِ الإسنادِ في القلبِ خُيلاء. **ومن أقواله:**

- شاطرٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من صوفيٍّ بخيل.

- أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد. إذا أعجبكَ الكلامُ، فاصْمُتْ، وإذا أعجبكَ الصمتُ، فتكلَّم.

- قد يكون الرجلُ مُرائياً بعد موتِه، يُحبُّ أن يكثر الخلق في جنازته.

- لا تجدُ حلاوةَ العبادةِ حتى تجعلَ بينَكَ وبينَ الشهواتِ سدّاً.

- وعن حمزة بن دهقان، قال: قلتُ لبشر بن الحارث: أحبُّ أنْ أخلوَ معك. قال: إذا شئتَ فيكون يوماً. فرأيتُه قد دخلَ قُبَّةً، فصلّى فيها أربعَ ركعَات لا أُحسِنُ أُصلِّي مثلَها، فسمعتُه يقولُ في سجوده: اللهمَّ إنّك تعلم فوقَ عرشِكَ أنَّ الذُّلَّ أحبُّ إليَّ من الشَّرَف، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوقَ عرشِكَ أنَّ الفقرَ أحبُّ إليَّ من

الغنى، اللهمَّ إنَّك تعلمُ فوق عرشِكَ أنّي لا أوثِرُ على حبّكَ شيئاً. فلمَّا سمعتُه، أخذني الشهيقُ والبكاءُ، فقال: اللهمَّ إنَّك أنت تعلم أني لو أعلمُ أنَّ هذا هاهنا، لم أتكلّم.

ـ قيل: جاء رجلٌ إلى بشر فقبَّله وجعل يقول: يا سيدي أبا نصر. فلمّا ذهب، قال بشرٌ لأصحابه: رجلٌ أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهّمه، لعلَّ المُحِبَّ قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله.

مات بشرٌ الحافي رحمة الله عليه يومَ الجمعة في شهر ربيع الأول سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين، قبلَ المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

● **بلال بن رباح رضي الله عنه:**

مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأُمّه حَمَامة، وهو مؤذّن رسولِ الله ﷺ. من السابقين الأوّلين الذين عُذّبوا في الله، شهد بدراً، وشهد له النبيّ ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب. يقال: إنّه حبشيّ، وقيل: من مولَّدي الحجاز.

أولُ من أظهرَ إسلامَه سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار، وأُمّه سُميّة، وبلال، وصهيب، والمقداد رضوان الله عليهم جميعاً. فأمّا النبيُّ ﷺ وأبو بكر فمنعَهما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراعَ الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال رضي الله عنه، فإنَّه هانَتْ عليه نفسُه في الله، وهانَ على قومه، فأعطوه الوِلدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاةِ الصبح: **«حدّثني بأرجى عملٍ عملتَه في الإسلام، فإنّي قد سمعتُ الليلةَ خشفةَ نعليكَ بين يديَّ في الجنّة»** قال: ما عملتُ عملاً أرجى من أني لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلاّ صلَّيتُ لربّي ما كُتِبَ لي أنْ أُصلّي.

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقيةً لبعناكه، قالَ: لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذتُه.

وعن سعيد بن المسيّب: أنّ أبا بكر لما قَعَدَ على المنبرِ يومَ الجمعة، قال له

بلال: أعتقتني لله أو لنفسك؟ قال: لله، قال: فائذن لي في الغزو. فأذن له. فذهبَ إلى الشام. ثم إنَّ بلالاً رأى النبيَّ ﷺ في منامه وهو يقولُ: ما هذه الجفوةُ يا بلالُ؟ أما آن لك أن تزورني. فانتبه حزيناً، وركبَ راحلته، وقصد المدينةَ، فأتى قبرَ النبيّ ﷺ، فجعل يبكي عنده، ويُمرِّغ وجهه عليه، فأقبل الحسنُ والحسينُ، فجعلَ يَضمُّهما ويُقبِّلهما، فقالا له: يا بلالُ نشتهي أن نسمع أذانَك. ففعل، وعلا السطحَ، ووقف، فلمّا أن قال: **الله أكبرُ، اللهُ أكبرُ**، ارتجّت المدينةُ، فلمّا أن قال: **أشهدُ أن لا إلـه إلا الله**، ازدادت رجَّتُها، فلمَّا قال: **أشهدُ أنَّ محمداً رسول الله**، خرجتِ العواتِقُ مِنْ خُدورهنَّ، وقالوا: بُعِثَ رسول الله، فما رُئي يومٌ أكثرَ باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعدَ رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

لما احتُضِرَ بلال قال: «غداً نلقى الأحبّة محمّداً وحِزبه»، وقالت امرأته: «وا ويلاه» فقال: «وا فرحاه». توفي سنةَ عشرين بدمشق. وقيل: سنة إحدى وعشرين. قال الواقدي: دُفِنَ بباب الصغير وهو ابنُ بضع وستين سنة. وقيل: مات بحلب، ودُفِنَ بباب الأربعين.

● **جعفر الصادق:**

جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد أبي عبد الله ريحانة النبيِّ ﷺ وسبطه ومحبوبه الحُسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عبد مناف بن شيبة، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبد الله القرشي، الهاشمي، العلويّ، النبويّ، المدنيّ، أحد الأعلام. وأمُّه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وأمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة. قال زهير بن معاوية: قال أبي لجعفر بن محمد: إنَّ لي جاراً يزعمُ أنك تبرأُ من أبي بكر وعمر. فقال جعفر: بريءٌ الله من جارك. والله إنّي لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر.

وقال: ما أرجو من شفاعة عليّ شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله.

وسئل عن أبي بكر وعمر، فقال: إنك تسألُني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة.

أتى قوماً أرادوا أن يرتحلُوا من المدينة، فقال: «إنكم إن شاءَ الله من صالحي

أهل مصركم، فأبلغوهم عني: من زعم أنِّي إمامٌ معصومٌ مفتَرض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأُ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء».

قال صاحب (السير): إن قول جعفر: «برئَ اللهُ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر» هو «متواتر عن جعفر الصادق، وأشهدُ بالله إنَّه لبارٌّ في قوله غير منافق لأحدٍ، فقبَّح الله الرافضة».

- ومما نقل عنه من **الحكم**: أنه سئل: لِمَ حرَّمَ الله الربا؟.

قال: لئلاّ يتمانع الناسُ المعروفَ.

- الفقهاءُ أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتّهموهم.

- الصلاةُ قُربانُ كُلِّ تقيّ، والحجّ جهادُ كلِّ ضعيف، وزكاةُ البدنِ الصيامُ، والدَّاعي بلا عَمَل كالرَّامي بلا وَتَر، واستنزِلُوا الرزقَ بالصدقة، وحصِّنُوا أموالكم بالزكاة، وما عالَ منِ اقتصد، والتقديرُ نصفُ العيشِ، وقلَّةُ العِيالِ أحدُ اليسارين، ومن أحْزَنَ والديه فقد عقَّهما، ومن ضرب بيدِه على فخذه عند مُصيبةٍ فقد حَبِطَ أجرُه، والصَّنيعةُ لا تكون صنيعةً إلا في حسبٍ أو دينٍ، والله ينزل الصبرَ على قدرِ المصيبة، وينزل الرزقَ على قدر المؤونةِ، ومن قدَّرَ معيشتَه، رزقه الله، ومن بذر معيشته، حرمه الله.

- ومن حِكَمِه: لا زادَ أفضلُ من التقوى، ولا شيءَ أحسنُ من الصمت، ولا عَدوَّ أضرُّ من الجهل، ولا داءَ أدوأُ من الكَذِب.

- لا يَتِمُّ المعروفُ إلاّ بثلاثة: بِتعجيله، وتصْغيره، وسَتْرِه.

- إياكم والخصومةَ في الدين، فإنها تشغل القلب، وتُورِثُ النِّفاق.

- سأله سفيان الثوري: لِمَ جُعِلَ الموقف من وراءِ الحرم؟ ولم يُصيَّرْ في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حِجابه، والموقفُ بابه. فلمّا قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرّعون، فلما أُذِنَ لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرّعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلمّا رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلمّا قرّبوا قربانهم، وقضوا

تفتَهم، وتطهَّروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

قال: فلمَ كُرِهَ الصومُ أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافةِ الله، ولا يُحبُّ الضيفُ أن يصومَ عند من أضافه.

قلت: جعلتُ فداكَ فما بالُ الناسِ يتعلّقون بأستار الكعبة وهي خِرَقٌ لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جُرْم، فهو يتعلّق به، ويطوفُ حوله رجاءَ أن يهبَ له ذلك الجُرْمَ.

ـ رآه رجل يوصي ابنه: يا بني من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدَّ عَيْنَيْه إلى ما في يدِ غيْرِه ماتَ فقيراً، ومن لم يرضَ بما قُسمَ له اتّهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظمَ زلة نفسه، ومن كشف حِجَاب غيرِه انكشفت عورته، ومن سلَّ سيف البغي قُتِلَ به، ومن احْتَفَرَ بئراً لأخيه أوْقَعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقّر، ومن دخل مداخلَ السُّوءِ اتُّهِمَ.

يا بُني إيّاكَ أن تُزريَ بالرجال فيُزرى بك، وإياكَ والدخولَ فيما لا يَعنيك فتذِلَّ لذلك.

يا بني قل الحقّ لك وعليك تُستشر من بين أقربائك، كن للقرآن تالياً، وللإسلام فاشياً، وللمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولِمَن قَطَعَكَ واصلاً، ولِمَنْ سكتَ عنك مبتدئاً، ولمن سألكَ مُعطياً.

وإيّاكَ والنَّميمةَ فإنها تزرعُ الشَّحناءَ في القلوب، وإياكَ والتعرُّضَ لعيوبِ الناس، فمنزلَةُ المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف.

إذا طلبتَ الجودَ، فعليك بمعادنه، فإنَّ للجودِ معادِنَ، وللمعادن أصولاً، وللأصولِ فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيبُ الثمرُ إلا بِفَرْع، ولا فَرْعٌ إلا بأصلٍ، ولا أصلٌ إلا بِمَعْدِنٍ طَيِّبٍ. زُرِ الأخيارَ ولا تَزُرِ الفُجّار، فإنَّهم صخرةٌ لا يتفجَّرُ ماؤها، وشجرةٌ لا يخضرُّ ورقُها، وأرضٌ لا يظهر عُشبُها.

توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومئة، عن ثمانٍ وستين سنة رحمه الله.

● **جعفر الطيّار رضي الله عنه:**

جَعْفَرُ بنُ أبي طالب، السيدُ الشهيدُ، الكبيرُ الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عمِّ النبيِّ ﷺ، وهو أسنُّ من عليّ بعشر سنين، هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خَيْبَر إِثْرَ أخذها، فأقامَ بالمدينة أشهراً، ثم أمَّرَه رسولُ الله ﷺ على جيشِ غزوةِ مؤتة بناحية الكَرَك، فاستشهد. وقد سُرَّ رسولُ الله ﷺ كثيراً بقدومه، وحَزِنَ والله لوفاته.

قال ابن إسحاق: وهو أول من عَقَرَ في الإسلام وقال:

يا حبَّذا الجنَّةُ واقترابُها ... طيّبةٌ وباردٌ شرابُها
والرُّومُ رومٌ قد دنا عَذَابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

عن ابن عباس: بينما رسولُ الله ﷺ جالسٌ وأسماءُ بنت عُميس قريبةٌ إذ قال: «**يا أسماءُ هذا جعفرٌ مع جبريلَ وميكائيلَ مرَّ، فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلَّم، فرُدّي عليه السلامَ، وقال: إنه لقي المشركين، فأصابَه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذَ اللواءَ بيده اليُمنى فقُطِعَتْ، ثم أخذَهُ باليسرى فقُطعت. قال: فعوّضني الله من يديَّ جناحين أطيرُ بهما مع جبريلَ وميكائيلَ في الجنة آكلُ من ثمارها**».

عن ابن المسيب، قال رسول الله ﷺ: «**مُثِّلَ لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من درٍّ، كلُّ واحدٍ منهم على سريرٍ، فرأيتُ زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيتُ جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود**»، وقال: «**فسألتُ - أو قيل لي: - إنّهما حين غشيهما الموت أعرضا، أو كأنهما صدا بوجوههما، وأما جعفر فإنه لم يفعل**».

قال الزبير بن بكار: كانت سن جعفر بن أبي طالب يوم قتل إحدى وأربعين سنة.

● **حبيبٌ العجمي:**

زاهد أهل البصرة وعابدهم، أبو محمد.

كان مجابَ الدعوة، تؤثَرُ عنه كرامات وأحوال، وكان له دُنيا، فوقعت

موعظةُ الحسن في قلبه، فتصدَّقَ بأربعين ألفاً، وقَنِعَ باليسير. وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقينُ. كان حبيبٌ يُرى بالبصرة يومَ التروية ويُرى بعرفة من الغد. ورد ذكره في (تاريخ الإسلام) للذهبي.

● **حجَّاج بن فُرافِصَة:**

الباهلي، البَصْرِي العابدُ. نقل عنه في بعض الكُتب: مَنْ عمل بغير مشورة فذلك باطل يتعنَّى، ومن لم ينتصر من ظالمِه بيدٍ ولا بلسانٍ ولا حقدٍ فذلك علمه باليقين، ومن استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان.

كان يجلسُ عند أصحابِ الأكفانِ في السُّوق، فإذا جاءَ إنسانٌ يشتري كفناً يسأله: أين منزله؟ وأين حيّه؟ فيأتي الجبّان. ورؤي واقفاً بالسُّوق عند أصحاب الفاكهة، فسئل: ما تصنع هاهنا؟ قال: أنظر إلى هذه المقطوعة الممنوعة.

● **خبَيْب بنُ يَسَافٍ:**

ابن عتبة بن عَمْرُو بن خَدِيجِ بن عَامرِ الأنصاريُّ الخزرَجيُّ.

عن خُبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُريد غزواً، أنا ورجل من قومي لم نسلم، فقلنا: إنا نستحيي أن يشهد قومُنا مشهداً لا نشهده، قال: «**أسلمتُما؟**» قلنا: لا، قال: «**فلا نستَعِينُ بالمُشركينَ على المُشركين**» قال: فأسلمنا، وشهدنا معه. فقتلتُ رجلاً، وضربني ضربة، وتزوجتُ ابنتَه بعد ذلك، فكانت تقول لي: لا عَدِمتُ رجلاً وشَّحَك هذا الوِشاح، فأقول لها: لا عدمتِ رجلاً عجَّلَ أباكِ إلى النار.

قال الواقدي: هو خُبيب بن يساف، تأخّر إسلامُه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، فلحِقَه، فأسلم، وشهد بدراً، وأُحُداً، قال: وتوفي في خلافة عثمان، وقد انقرض ولده.

● **خبَيْب بنُ عَدِي رضي الله عنه:**

ا بنِ عامر بن مَجْدَعَةَ الأنصاريُّ الشهيدُ. ذكرهُ ابنُ سعد فقال: شهد أُحُداً، وكان فيمن بعثه النبيُّ ﷺ مع بني لِحْيان، فلما صاروا بالرَّجيع غدروا بهم، واستصرخُوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خُبيباً، وزيدَ بنَ الدَّثِنَة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبيُّ ﷺ من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم.

قال مَوْهَب: قال لي خُبيب، وكانوا جعلوه عندي: أطلبُ إليك ثلاثاً: أنْ تسقيَني العذبَ، وأن تجنبني ما ذُبحَ على النُّصُب، وأن تؤذِنني إذا أرادوا قتلي.

قال ابن إسحاق: فلما خرجوا به ليقتلوه، وقد نصبُوا خشبته ليصلبوه، فانتهى إلى التنعيم، فقال: إن رأيتُم أن تَدَعوني أركع ركعتين. فقالوا: دونَكَ. فصلَّى. ثم قال: واللهِ لولا أن تظنوا أنما طوَّلْتُ جزَعاً من القتلِ لاستكثرتُ من الصلاة، فكان أولَ من سنَّ الصلاة عند القتل. ثم رفعوه على خشبتِهِ، فقال: اللهمَّ أحصِهم عدداً، واقتُلهم بدَداً، ولا تُغادِرْ منهم أحداً، اللهمَّ إنَّا قد بلَّغنا رسالةَ رسولك، فبلّغه الغداةَ ما أتى إلينا.

● **داوُدُ بنُ أبي هنْد:**

واسم أبي هند: دينار بن عُذافر، الإمام الحافظ، الثقة، أبو محمد الخراساني ثم البصري، من موالي قُشير فيما قيل. وكان مُفْتي أهل البصرة.

صام داود بن أبي هند أربعين سنةً لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءَه فيتصدّق به في الطريق. وسمع يروي: يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليّ، فكأنَّ آتيين أتياني فغمز أحدُهما علوة لساني، وغمز الآخر أخمص قدمي، فقال: أي شيء تجد؟ قال: أجدُ تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطو إلى المسجد، وشيئاً من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت القرآن حينئذ. قال: فكنت أذهب في الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي، قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته.

مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومئة. وقيل: أربعين ومئة.

● **ذو البِجَادَيْن** = عبد الله المزني رضي الله عنه.

● **رابعة العَدَوية:**

أم عمرو، رابعة بنتُ إسماعيل، ولاؤها للعتكيِّين. البصريةُ، الزاهدةُ، العابدةُ، الخاشعةُ.

عن عَبْدة بنت أبي شَوَّال، وكانت تَخدُمُ رابعةَ العَدوية، قالت: كانت رابعةُ تُصلي الليلَ كلَّه، فإذا طلَعَ الفجرُ، هَجَعت هجعةً حتى يُسْفِرَ الفجرُ، فكنتُ أسمعُها تقول: يا نَفْسُ كم تنامينَ، وإلى كم تَقومين، يُوشِكُ أن تنامي نَومةً لا تقومينَ منها إلا ليوم النُّشور.

وعن حمَّاد، قال: دخلتُ أنا وسلاَّم بن أبي مُطيع على رابعة، فأخذَ سلاَّم في ذكر الدنيا، فقالت: إنّما يُذكَرُ شيءٌ هو شيءٌ، أما شيءٌ ليس بشيءٍ فلا.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعةُ، فقد حَمَلَ الناسُ عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سُفيانُ وشُعبة وغيرُهما ما يَدُلُّ على بُطلان ما قيل عنها، أي بالنسبةِ لما فيها، وقد تمثّلت بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الفُؤَادِ مُحَدِّثي ... وأبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أرَادَ جُلوسي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قال صاحب (السير): فهذا غُلُوٌّ وجهلٌ، ولعلَّ نَسَبَها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتجَّ بها على كُفره كاحتجاجهم بخبر: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ**».

قيل: عاشت ثمانين سَنَة. توفيت سنة ثمانين ومئة.

● **رباح القيسي:**

هو رباح بن عمرو القيسي، العابد أبو المهاجر، بصري زاهد، متألِّه، كبير القدر، سمع مالك بن دينار، وحسان بن أبي سنان، وطائفة، وهو قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة، نقل عنه أنه قال: لي نيف وأربعون ذنباً، وقد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئة ألف مرة.

وقال أبو معمر المقْعَدُ: نظرت رابعةُ إلى رباح يضم صبيّاً من أهلِه ويقبّله، فقالت: أتحبّه؟ قال: نعم، قالت: ما كنت أحسِبُ أنَّ في قلبِكَ موضعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمه! فغشي عليه، ثم أفاق، وقال: رحمة منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

● **زجلة العابدة:**

دخل عليها نفرٌ من القرّاء، فكلّموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفقِ به؟ فإنما هي أيّام مبادرةٍ، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً، واللهِ يا إخوتاه لأُصليَنَّ ما أقلتني جوارحي، ولأصومَنّ له أيامَ حياتي، ولأبكيَنّ له ما حملت الماءَ عيناي. ثم قالت: أيكم يأمرُ عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه؟!.

هذا، وقال كليب بن عيسى: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين (أي: المجاهدين على الثغور في سبيل الله تعالى).

وقد سمع كليب سعيدَ بن عبد العزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة، وتعظيمها لله تعالى وخشيتها منه دفعتها إلى أن تقول: علمي بنفسي قرّح فؤادي، وكَلَمَ قلبي، واللهِ لوددتُ أنَّ اللهَ لم يخلقني، ولم أكُ شيئاً مذكوراً.

● **سحبان وائل:**

الذي يُضرَب به المثل في البلاغة، ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال: بلغني أنه وَفَدَ على معاوية، قال الذهبي: إن ثبت هذا فهو من أهل هذا القسم، فإن المعروف أنه جاهلي. وقال أبو نعيم في كتاب (طبقات الخطباء): كان سحبان خطيبَ العرب غيرَ مدافع، وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ولم يتلعثم، ولم يتوقف، ولم يتفكّر، بل كان يسيل سيلاً.

● **سري السقطي:**

السري بن المغلِس، أبو الحسن السقطي البغدادي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو الحسن البغدادي، ولد في حدود الستين ومئة، حدَّثَ عن الفُضَيل وهُشَيم بن بشير وأبي بكر بن عيّاش، وغيرهم بأحاديث قليلة، واشتغل بالعبادة، وصحب معروفاً الكرخي، وهو أجلّ أصحابه، وروى عنه الجُنيد بن محمد، وغيره.

وروى ابن شاكر عنه قال: صلّيتُ وردي ليلة، ومددتُ رجلي في المحراب، فنوديت: يا سَرِيُّ! كذا تجالس الملوك! فضممتها، وقلتُ: وعزّتِكَ لا مدَدْتُها.

وقال أبو بكر الحربي: سمعت السري يقول: حمدتُ الله مرةً، فأنا أستغفر من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة!.

قيل: وكيف ذلك؟.

قال: كان لي دكان فيه متاع، فاحترق السوق، فلقيني رجل، فقال: أبشر، دكانك سَلِمَتْ، فقلتُ: الحمدُ لله، ثم فكّرت، فرأيتها خطيئة.

ويقال: إنَّ السري رأى جارية سقط من يدها إناء، فانكسر، فأخذ من دكانه إناءً، فأعطاها، فرآه معروف الكرخي، فدعا له، قال: بغّض اللهُ إليك الدنيا، فهذا الذي أنا فيه من بركات معروف.

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: أشتهي منذ ثلاثين سنة جزرة أغمسها في دبس وآكلها، فما يصحُّ لي. وسمعته يقول: أحبُّ أن آكل أكلة ليس للهِ عليَّ فيه

تَبِعة، ولا لمخلوق فيها منّة، فما أجدُ إلى ذلك سبيلاً.

ودخلتُ عليه وهو يجودُ بنفسه، فقلت: أوصني، قال: لا تصحبِ الأشرار، ولا تشتغلَنّ عن الله بمجالس الأخيار.

وقال الفرخاني: سمعتُ الجُنيد يقول: ما رأيتُ أعبدَ لله من السري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في عِلَّةِ الموت.

ويقول السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مخافةَ أن يكون وجهي قد اسودّ، وما أحبّ أن أموتَ حيث أعرف، أخاف أن لا تقبلني الأرض، فأُفْتَضَح.

وكان السري كما ذكر السلمي: أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد، تكلّم في علوم الحقائق، وهو إمام البغداديين في الإشارات، توفي في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

● **سعيد بن المسيب:**

بن حَزْن بن أبي وهْب بن عمْرو بن عائذ بن عِمْران بن مخْزُوم بن يَقَظَة. الإمامُ العَلَمُ، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ.

عالمُ أهلِ المدينة، وسيّدُ التابعين في زمانه. وُلِدَ لسنتين مَضتا مِنْ خلافةِ عُمَر رضي الله عنه، وقيل: لأربع. رأى عُمَر، وسمِعَ عثمان، وعلياً وغيرهم من الصحابة.

كان يُفتي والصحابةُ أحياء. ويقال له: فقيه الفقهاء.

ما فاتَتْه الصلاةُ في جماعة أربعين سنة. وكان يقول: ما أَذَّنَ المؤذِّنُ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

حجَّ أربعين حِجَّة. وكان يسيرُ الأيامَ والليالي في طلبِ الحديث الواحد.

قدِمَ عبد الملك بن مروان المدينةَ فامتنعتْ منه القائلةُ، واستيقظَ، فقال لحاجبه: انظُرْ، هل في المسجدِ أحدٌ من حُدَّاثنا؟ فخرج فإذا سعيدُ بن المسيِّب في حَلَقته، فقامَ حَيثُ ينظرُ إليه، ثم غَمَزَهُ وأشارَ بأصبعِه، ثم ولَّى، فلم يتحرَّكْ سعيد، فقال: لا أُراه فطِن، فجاء وَدَنا مِنه، ثمَّ غمزه وقال: ألَمْ تَرَني أشيرُ إليك؟ قال: وما حاجتُكَ؟ قال: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فقال: إليَّ أرسلكَ؟ قال: لا، ولكنْ قال: انظرْ بعضَ حُدَّاثنا، فلم أرَ أحداً أهيأ منك. قال: اذهبْ فأعلِمْه أني

لستُ من حُدّاثِه. فخرجَ الحاجبُ وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، وذهبَ فأخبرَ عبدَ الملك، فقال: ذاك سعيدُ بن المسيِّب فدعْه.

وكان سعيدُ بن المسيب يقول: لقد رأيتُني لياليَ الحرَّة وما في المسجد أحدٌ غيري، وإنّ أهل الشامِ ليدخُلونَ زُمَراً يقولون: انظروا إلى هذا المجنون. وما يأتي وقتُ الصلاة إلا سمعتُ أذاناً في القبر. ثم تقدَّمتُ فأقَمْتُ وصلَّيْتُ وما في المسجدِ أحدٌ غيري.

● سفيان الثوري:

سُفيان بن سعيد بن مَسْروق بن حمزة بن حَبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أُبيّ بن عبد الله. شيخ الإسلام، إمامُ الحُفَّاظ، سيّدُ العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثَّوري الكوفيُّ المجتهد، مصنِّف كتاب (الجامع). ولد سنة سبع وتسعين. مات سنة ست وعشرين ومئة.

يقال: إنّ عددَ شيوخه ستُّمئة شيخ، وكبارُهم الذين حدَّثوه عن أبي هريرة، وجَرير بن عبد الله، وابن عبَّاس، وأمثالِهم.

ومن أقواله:

ـ أُحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلم في كفايةٍ، فإنَّ الآفاتِ إليه أسرعُ، والألسنةُ إليه أسرع.

ـ ودِدْتُ أني أنجو من هذا الأمر كفَافاً، لا عَليَّ ولا لي.

ـ ما أخافُ على شيءٍ أن يُدخلني النارَ إلا الحديث.

ـ ودِدْتُ أني قرأتُ القرآن، ووقفتُ عنده لم أتجاوزه إلى غيره.

ـ من يزدَدْ علماً يزدَدْ وجعاً، ولو لم أعلم كان أيسر لحزني.

ـ ودِدْتُ أنَّ علمي نسخ من صدري، ألستُ أريدُ أن أُسأل غداً عن كل حديث رويته: أَيْش أردتَ به؟ إن قلتُ: إني أحدِّثُكم كما سمعتُ، فلا تُصدّقوني.

ـ البكاءُ عشرة أجزاء: جزء لله، وتسعة لغير الله، فإذا جاء الذي لله في العام مرة، فهو كثير.

ـ وعنه أيضاً: مَن أحبَّ أفخاذَ النساءِ لم يُفلِح.

ـ قَدِمَ سُفيان البصرةَ، والسُّلطان يطلبه، فصار إلى بُستان، فأجَّرَ نفسه

لحفظِ ثماره، فمرَّ به بعض العَشَّارين فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أَرُطَبُ البصرة أحلى أم رُطَبُ الكوفة؟ قال: لم أذق رطب البصرة. قال: ما أكذبَكَ! البَرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطَب السَّاعة. ورَجَع إلى العامل، فأخبره ليُعجبه، فقال: ثكلتْكَ أمُّكَ أدرِكْه، فإنْ كنتَ صادقاً، فإنَّه سُفيانُ الثَّوري، فخذْه لتتقربَ به إلى أمير المؤمنين، فرَجَعَ في طلبه، فما قدَرَ عليه، وأقام سُفيان في اختفائه نحو سنة.

ـ وعن البدع قال: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

ـ وسئل سُفيان عن أحاديث الصِّفاتِ، فقال: أَمِرُّوها كما جاءت.

ـ رؤي الثَّوريُّ بمكة، وقد كثروا عليه، فقال: إنَّا لله، أخافُ أن يكون اللهُ قد ضيَّعَ هذه الأمة، حيثُ احتاجَ الناس إلى مثلي.

ـ وسُمِعَ يقول: لولا أن أُسْتَذَلَّ، لسكنتُ بين قوم لا يعرفوني.

ـ قال عبد الرَّزَّاق: لما قدم سُفيان علينا، طبخت له قدر سِكباج، فأكل، ثم أتيتُه بِزَبيب الطائف، فأكل، ثم قال: يا عبد الرزّاق اعلف الحمار وكُدَّه. ثم قام يُصلّي حتى الصباح.

أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة، فشهده الخلق، وصلّى عليه عبدُ الرحمن بن عبد الملك بن أبجر الكوفي، بوصيَّةٍ من سُفيان، لصلاحه.

ماتَ رحمه الله في شعبان سنة إحدى وستين ومئة.

● صردُرّ بَعْر:

الشاعر المُفْلِق، أديبُ وقتِه، أبو منصور، عليُّ بنُ الحسين بن عليّ بن الفضل البغداديُّ، الكاتب. ويلقَّبُ بصُرّدرّ بَعْر. صاحبُ بلاغة وجزالة ورِقّة وحلاوة، وباع طويلٍ في الأدب. مَدَحَ الخليفةَ القائمَ ووزيرَه أبا القاسم بن المُسْلمة. لم يَكُ في المتأخرين أرقُّ طبعاً منه، مع جَزَالةٍ وبلاغة.

وقال بعضُ الأدباء: هو أشعرُ من مِهيار. تَقَطَّرَ به فرسُه، فهلكَ في ربيعِ الأول، سنةَ خمسٍ وستين وأربعمئة. وقع به الفرس في زُبْيَةٍ للأسد، فهلكا معاً.

● **صلة بن أشيم:**

هو الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري، زوج العالمة معاذة العدوية (وهي من رجال التهذيب، وحديثُها في الكتب الستة)، ورد في صلة حديث عن ابن المبارك في (الزهد) عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يكونُ في أمّتي رجلٌ يقال له: صلة، يدخل الجنّةَ بشفاعة كذا وكذا**»[1]. وجاء الخبرُ في (حلية الأولياء).

لقي صلة جماعة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وغيره.

وقالت زوجته معاذة: كان أبو الصهباء يصلّي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

وقال ثابت: جاء رجلٌ إلى صلة بنعي أخيه، فقال له: ادنُ وكُلْ، فقد نعي إليّ أخي منذ حين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وجاء عن حمَّاد بن سلمة: أنَّ ثابتاً أخبرهم أن صلة كان في الغزو ومعه ابنه، فقال: أيْ بني! تقدّمْ، فقاتل حتى أحتَسِبَكَ، فحمل فقاتل حتّى قتل، ثم تقدّم صلة فقتل، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة، فقالت: مرحباً إن كنتنّ جئتنّ لتهنّئنني، وإن كنتنَّ جئتنَّ لغير ذلك فارجعن.

ومن كرامات صلة أنه خرج في قرية وهو على دابته، وسار يوماً لا يجدُ ما يأكل، يقول: فلقيني علجٌ يحمل على عاتقه شيئاً، فقلتُ: ضعه، فإذا هو خبز، فقلتُ: أطعمني، فقال: إن شئتَ ولكن فيه شحم خنزير، فتركته، ثم لقيتُ آخر، فقلت: أطعمني، فقال: هو زادي لأيام، فإن نقصته أجعتني، فتركته، فوالله إنّي لأسير، إذ سمعتُ خلفي وَجْبة كوجبة الطير، فالتفتُّ فإذا هو شيءٌ ملفوفٌ في سِبٍّ أبيض، فنزلتُ إليه، فإذا دَوْخَلة من رُطَب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلتُ منه، ثم لففتُ ما بقي، وركبتُ الفرس، وحملت معي نواهنَّ، قال جرير ابن حازم: حدّثني أوفى بن دِلَهم قال: رأيتُ ذلك السِّبّ مع امرأته في مصحف، ثم فُقِدَ بعدُ.

---

(١) قال الحافظ الذهبي: حديث معضل ـ **والحديث المعضل**: ما سقط من إسناده راويان على التوالي ـ انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٧.

كذلك روى ابن المبارك أنَّ جعفرَ بن زيد قال: خرجنا في غزاة، وفي الجيش «صلة» فنزلوا فقلت: لأرقبنّ عملَه، فصلَّى، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، ثم وثب فدخل غيضة، فدخلتُ، فتوضّأ وصلّى ثم جاءَ أسد حتى دنا منه، فصعدتُ شجرة، فدنا الأسد، فقلت: الآن يفترسه، لكن صلة جلس ثم سلَّم فقال: يا سبع، اطلب الرزق بمكانٍ آخر، فولّى وإنَّ له زئيراً يكاد يتصدّع الجبل منه، وعند الصباح جلس صلة، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللهمَّ إنّي أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!. ذكر هذا أبو نعيم في (الحلية) والذهبي في (السير).

قتل صلة شهيداً في أول إمرة الحجاج على العراق.

● طـاووس اليمانـي:

طاووس بن كَيْسانَ، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني الجَنَدي الحافظ. كان من أبناء الفرس الذين جهَّزهم كسرى لأخذ اليمن له!.

وُلِدَ في دولة عثمان رضي الله عنه، أو قبلَ ذلك. وكان مِنْ عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجابَ الدعوة، حجَّ أربعين حجَّة.

قال مجاهدٌ لطاووس: رأيتُكَ يا أبا عبد الرحمن تصلّي في الكعبة، والنبيُّ ﷺ على بابها يقول لك: اكْشِفْ قِنَاعَكَ، وبيِّنْ قراءَتَكَ، قال طاووس: اسكتْ لا يسمعْ هذا منك أحد، قال: ثم خُيِّلَ إليَّ أنه انبسط في الكلام، يعني فرحاً بالمنام.

ويُروى أنَّ طاووساً جاء في السَّحَر يطلبُ رجلاً، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنتُ أرى أنَّ أحداً ينامُ في السَّحَر. وكان وأصحابُه إذا صلَّوا العصر، استقبلوا القبلةَ، ولم يُكلِّموا أحداً، وابتهلُوا بالدُّعاء.

- ومن حِكَمِه: قوله: خَفِ اللهَ مخافةً لا يكونُ شيءٌ عندَكَ أخوفَ منه، وارجُه رجاءً هو أشدُّ من خوفك إيّاه، وأحِبَّ للناسِ ما تُحِبُّ لنفسك.

- وقال: البخلُ أن يبخلَ الرجلُ بما في يديه، والشحُّ أن يُحبَّ أن يكونَ له ما في أيدي الناس.

توفي عام ستمئة رحمه الله.

● **عامر بن عبد الله:**

ابن الزبير بن العوام، الإمام الربَّاني أبو الحارث الأسَدي المدني، أحد العبَّاد.

قال أحمدُ بن حنبل: حدَّثنا سفيان أنَّ عامر بن عبد الله اشترى نفسَه من الله ستَّ مرات، يعني يتصدَّق كلَّ مرةٍ بِدِيَتِهِ. كان يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قَطيفة، فتسقُطُ وما يشعر.

وعن مالك: رُبّما انصرفَ عامر من العتمة، فيعرض له الدعاء، فلا يزال يدعو إلى الفجر.

سمع عامرٌ المؤذنَ وهو يجودُ بنفسه، فقال: خذوا بيدي، فقيل: إنك عليل! قال: أسمع داعيَ الله فلا أُجيبه؟! فأخذوا بيده، فدخلَ مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات. توفي رحمة الله عليه سنة نَيِّفٍ وعشرين ومئة.

● **عبْدُ الله المزني رضي الله عنه (ذو البجَادَيْن):**

وهو ابنُ عبْد نُهْم بن عَفِيف ابن سُحَيم بن عَدِيّ بن ثعلبة بن سعد بن عديّ بن عثمان بن عمرو. قَدِمَ على النبيّ ﷺ وكان اسمه عبدَ العُزّى، فسمَّاه رسول الله ﷺ عبدَ الله. وهو عمّ عبد الله بن مُغَفَّل ابن عبد نُهْم، ولقّبه رسول الله ﷺ (ذو البجادين)، لأنه لمّا أسلمَ عند قومه جَرّدوه من كلّ ما عليه وألبسوه بجاداً ـ وهو الكساءُ الغليظ الجافي ـ فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ، فلمّا كان قريباً منه شقّ بجاده اثنين، فاتّزرَ بأحدِهما وارتدى بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ فقيل له: ذو البجادين. وقيل: إنّ أمّه أعطته بجاداً فقطعته قطعتين، فأتى فيهما رسولَ الله ﷺ.

صحبَ رسول الله ﷺ وأقام معه، وكان أوّاهاً فاضلاً كثير التلاوة للقرآن العزيز.

وعن عبد الله بن مسعود أنّه قال: لكأنّي أرى رسولَ الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبر عبد الله ذي البجادين، وأبو بكر وعُمَر يُدَلِّيانه، ورسولُ الله ﷺ يقول: «**أدْنِيا مني أخاكما**»، فأخذه من قِبَلِ القبلة حتى أسنده في لحده، ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ وَوَلِيا هُما العمل، فلمَّا فرغَ من دفنه استقبلَ القلبة رافعاً يديه يقول: «**اللهمَّ إني أمسيتُ عنه راضياً فارْضَ عنه**». قال ابن مسعود: فوالله لوَدِدْتُ أنّي مكانَه، ولقد أسلمتُ قبله بخمس عشرة سنة.

وقد روي من طريق آخر فيه: فقال أبو بكر: وددتُ أني ـ والله ـ صاحب القبر. أخرجه الثلاثة.

توفي في حياة رسول الله ﷺ.

● **عبْد الوَاحِدِ بنُ زَيْد:**

الزاهد، القدوة، شيخ العُبَّاد، أبو عُبَيْدة البصري.

وَعَظَ عبدُ الواحد، فنادى رجل: كُفَّ، فقد كشفتَ قِناع قلبي، فما الْتَفَتَ، ومَرَّ في الموعظة، فَحَشْرَجَ الرَّجُلُ وماتَ، فشهدْتُ جنازته.

وقال مِسْمَع بن عاصم: شهدتُ عبدَ الواحدِ يعظ، فماتَ في المجلس أربعةٌ.

وعن الخُزاعي قال: صلّى عبدُ الواحد بن زيد الصُّبْح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان صاحبَ فنون، داخلاً في معاني المحبّة والخصوص، قد بقي عليه شيءٌ من رؤية الاكتساب، وفي ذلك شيءٌ من أصول أهل القَدَر.

وفي الجملة: عبد الواحدِ من كبار العُبَّادِ، والكَمَال عزيز.

مات رحمه الله تعالى بعد الخمسين ومئة.

● **عطاء السَّليمي:**

البصري العابد، من صغار التابعين.

أرعبه فرطُ الخوفِ من الله. قيل له: أرأيتَ لو أنَّ ناراً أُشْعِلَتْ، ثم قِيْلَ: مَن اقتحمها نجا، ترى كان يدخُلها أحد؟ قال: لو قيلَ ذلك، لخشيتُ أن تخرجَ نفسي فرحاً قبل أن أصل إليها.

قال نُعيم بن مورّع: أتينا عطاء السَّليمي فجعل يقولُ: ليتَ عطاءً لم تلِدْه أمُّه، وكرَّر ذلك حتى اصفرَّت الشمسُ.

وكان يقولُ في دعائه: اللهمَّ ارحم غُربتي في الدنيا، وارحم مصرَعي عند الموت، وارحم قيامي بينَ يديك.

وقيل: كان إذا بكى، بكى ثلاثة أيام بلياليها.

وقيل: إنه بكى حتى عَمِش، وربما غُشِيَ عليه عند الموعظة.

وقيل: إنَّه شيَّع جنازة، فغُشيَ عليه أربعَ مرات. وكان إذا جاءَ برق وريح ورعد، قال: هذا من أجلي يُصيبكم، لو مُتُّ استراحَ الناس.

● **عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:**

ابْن عَامِرِ بْن مَالِكِ بْن كِنَانَةَ بْن قَيْسِ بْن الوَذيمِ. أحدُ السابقين الأوّلين،

والأعيان البدريين. وأمّه: هي سُميَّة مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات أيضاً.

كان عمار يُعذَّبُ حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [النحل: ٤١].

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نالَ مِن رسولِ الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلمَّا أتى النبيَّ ﷺ قال: «ما وراءَك؟» قال: شرٌّ يا رسول الله! واللهِ ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «**فكيف تَجِدُ قلبك؟**» قال: مطمئنٌّ بالإيمان. قال: «**فإن عادُوا فَعُدْ**». وعن قتادة: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ...﴾ [النحل: ١٠٦] نزلت في عمار.

عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبينَ عمار كلام، فأغلظتُ له، فشكاني إلى رسول الله ﷺ. فقال: «**مَنْ عَادَى عمَّاراً عادَاه الله، ومَنْ أبغَضَ عمَّاراً أبغَضَهُ الله**» فخرجتُ، فما شيءٌ أحبَّ إليَّ مِنْ رضا عمار، فلقيته فرضي. أخرجه أحمد والنسائي.

عن عبد الله بن سَلِمَة قال: رأيتُ عماراً يومَ صفّين شيخاً آدم، طُوالاً، وإنَّ الحربةَ في يده لترعدُ، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلتُ بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أنّنا على الحق، وأنَّهم على الباطل.

عاش عمّار رضي الله عنه ثلاثاً وتسعين سنة، وكان لا يركبُ على سرجٍ، ويركب راحلته.

قُتِلَ في صفّين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

● عمَرُ بنُ عَبْدِ العزيز:

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدِ شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب. **الإمامُ الحافظ العلاَّمة المجتهدُ الزاهدُ العابدُ السيد أميرُ المؤمنين حقّاً أبو حفص، القرشيّ الأمويّ المدنيّ ثم المصريّ، الخليفةُ الزاهدُ الراشدُ أشجُ بني أُمية.**

حدَّث عن: عبدِ الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهبَ منه قدحاً شَرِبَ منه النبيُّ ﷺ، وأمَّ بأنس بن مالك، فقال: ما

رأيتُ أحداً أشبَهَ صلاةً برسولِ الله ﷺ مِنْ هذا الفَتى. كان من أئمة الاجتهاد، ومنَ الخُلفاء الراشدينَ رحمة الله عليه.

أمُّه هي أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

وُلِدَ سنة ثلاث وستين، وكان ثقةً مأموناً، له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمامَ عدلٍ رحمه الله ورضي عنه.

دخل عمر بن عبد العزيز إلى إصْطَبْل أبيه، وهو غلامٌ، فضربه فرس، فشجَّه، فجعل أبوه يمسَح عنه الدم، ويقول: إن كنتَ أشجَّ بني أُميّة إنّكَ إذاً لسعيد. قيل: إن عمر بن الخطاب قال: إنَّ من ولدي رجُلاً، بوجهه شَتَر، يملأُ الأرضَ عدلاً.

ـ بكى وهو غلامٌ صغير، فأرسلَتْ إليه أمُّه، وقالت: ما يُبكيكَ؟.

قال: ذكرتُ الموت. قال: وكان يومئذٍ قد جمع القرآن، فبكت أمُّه حين بلغها ذلك.

حجَّ سليمان، ومعه عمر بن عبد العزيز، فأصابهم برقٌ ورَعْدٌ حتى كادَتْ تَنْخلِعُ قلوبُهم، فقال سليمان: يا أبا حفص هل رأيتَ مثلَ هذه الليلة قطُّ، أو سمعتَ بها؟ قال: يا أمير المؤمنين هذا صوتُ رحمةِ اللهِ، فكيفَ لو سمعتَ صوتَ عذابِ الله؟!.

ـ وعن زوجه فاطمة قالت: دخلتُ عليه، فإذا هو في مُصلاَّه يدُهُ على خدّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين ألشيءٍ حدث؟.

قال: يا فاطمةُ إني تقلَّدْتُ أمْرَ أمَّةِ محمّد؛ فتفكَّرْتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العِيَال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَّ ربّي سيسألني عنهم، وأنَّ خَصْمَهُم دونَهم محمَّدٌ، فخشيتُ ألاَّ تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرَحِمْتُ نفسي فَبَكَيتُ.

ـ كتبَ عمر بن عبد العزيز رسالة فيها: أمَّا بعدُ، فإنَّه مَنْ أكثرَ ذِكْرَ الموتِ، رضيَ من الدنيا باليسير، ومَنْ عدَّ كلامَه مِنْ عمَلِهِ، قلَّ كلامُه إلاَّ فيما ينفعُه والسلام.

ـ سُمع مالك بنُ دينار يقول: الناسُ يقولونَ عنّي: زاهد، إنّما الزاهدُ

عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها .

ـ عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: دعاني المنصورُ فقال: كم كانت غلَّةُ عُمَر بن عبد العزيز حين استُخْلِف؟ قلت: خمسينَ ألفَ دينار، قال: كم كانت يومَ موتِه؟ قلتُ: مئتي دينار .

ـ كان عمرُ بنُ عبد العزيز يجمَعُ كلَّ ليلةٍ الفقهاء فيتذاكرون الموتَ والقيامةَ والآخرة ويبكون .

ـ وكان إذا ذُكِرَ الموت اضطربت أوصالُه .

ـ لمَّا احتضرَ عمرُ بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني، فقعد مَسْلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنسٍ ولا جانٍّ، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، ثم هدأ الصوتُ، فقالَ مسْلَمةُ لفاطمة: قد قُبِضَ صاحِبُكِ، فدخلُوا فوجدُوه قُبِضَ .

● عمير بنُ هانئ:

العبسي الداراني الإمام أبو الوليد، وقد ناب عن الحجاج بالكوفة، ثم ولي الخراج لعمر بن عبد العزيز، وقد كره ظلمَ الحجاج وفارقه، وقال: كان إذا كتبَ إليَّ في رجل أحَدُّه حَدَدْتُه، وإذا كتبَ فيمن أقتله، لم أَقْتُلْهُ .

قال أبو داود: قتل عُمير صبراً بداريّا أيامَ فتنة الوليد، لأنَّه كان يُحرِّض على قتله ـ يعني وقام ببيعة الناقص ـ قال: فقتله ابنُ مرّة، وسمط رأسه حلقه، وأتي به مروان ابن محمد سنة سبع وعشرين ومئة .

● فتح الموصلي:

الزَّاهد الوَلي العابِدُ أبو نَصْرٍ، فَتْحُ بن سَعيد المَوْصِلي. وهو من أقران إبراهيمَ بن أدْهم، وكلاهما من كبار المشايخ .

ـ وكان يقولُ: رَبِّ أفْقَرْتَني، وأفْقَرْتَ عِيالي، بأيِّ وسيلةٍ هذا؟ وإنَّما تَفْعَلُ هذا بأوليائِك .

ـ وعنهُ: من أدام النَّظَرَ بقَلبه أورثه ذلك الفَرَحَ بالله .

قيل: إنّه كان يَتَقَوَّتُ بِفَلْسٍ نُخالةً، وقد قَدِمَ بَغداد زائراً لِبِشر الحافي، فأضافَه خُبزاً وتَمراً بنصفِ دِرهم. توفي سنة عشرين ومئتين .

● **فتحُ المَوْصِلي (الكبير):**

زاهدُ زمانه، فتح بن محمد بن وِشَاح الأَزْدي المَوْصلي، أحد الأولياء، وله أحوال ومقامات وقدم راسخ في التَّقوى.

كان لا ينامُ إلا قاعداً. وكان بكَّاءً، خوَّافاً، متهجّداً. قيل: أتاه متولي المَوْصل، فخرج ابنه، وقال: هو نائم. فصاح: ما أنا نائماً، ما لي ولك؟ قال: هذه عشرةُ آلاف خذها، فأبى.

توفي سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة خمس وستين.

● **فتح بن شخرف:**

هو ابن شخرف بن داود بن مزاحم أبو نصر الكشي.

كان الفتح ـ كما شهد به الصالحون في عصره ـ صالحاً زاهداً عفيفاً! ذا أخلاق حسنة، وكان يطعم الفقراء ومن يزوره من الأصحاب الطعام الطيب، وكان حسن العبادة ورعاً.

قال البريهاري: سمعتُ ابن شخرف يقول: رأيتُ ربَّ العزّة ـ جلَّ وعزَّ ـ في النوم، فقال: يا فتحُ! احذر لا آخذك على غرّة. قال: فتهتُ في الجبال سبع سنين.

وعن رويم بن أحمد قال: لقيني ـ يوماً ـ الفتح فقال: يا أبا أحمد! أنتَ أمينُ الله على نفسك، لا ترى عليَّ شيئاً أحتاج إليه، ولا عندي شيء تزحمك الحاجة إليه، فتتخلف عن أخذه. أي: أذن له يأخذ كل ما يحتاج إليه مما يلبسه أو يمتلكه.

وعن محمد بن المسيب قال: قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: ما أخرجتْ خُراسان مثل فتح بن شخرف.

وقد كتب فتح على باب بيته: رحم الله ميتاً دخل على هذا الميت، فلم يذكر الموتى عنده إلا بخير.

وقال أحمد بن عبد الجبار: سمعتُ أبي يقول: صحبت فتحاً ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء، ثم رفع رأسه مرة فقال: قد طال شوقي إليك فعجّل قدومي عليك.

وعن أبي الحسين الحمادي القاضي قال: سمعتُ الفتح يقول: رأيت أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين! أوصني! قال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك تيهُ الفقراء على الأغنياء، قال: فقلتُ له: زدني، فأومأ إليّ بكفّه، فإذا به مكتوب:

قد كنتُ ميتاً فصرتُ حيّاً ... وعن قليلٍ تصيرُ ميتا
أغنى بدارِ الفناءِ بيت ... فابنِ بدارِ البقاءِ بيتا

توفي يوم الثلاثاء للنصف من شوال (٢٧٣هـ)، ودفن في مقبرة ببغداد، وقد صلّيَ عليه ثلاثاً وثلاثين مرة، أقل قوم كانوا يصلون عليه في المرة خمسة وعشرون ألفاً إلى ثلاثين ألفاً.

وعن أبي محمد الحريري قال: غسّلنا الفتح فرأينا على فخذه مكتوباً «لا إلـه إلا الله» فتوهمناه مكتوباً، فإذا هو عِرْق داخل الجلد.

● **فرقد:**

فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب.

عن جعفر بن سليمان قال: قال فرقد السبخي: إنّ ملوك بني إسرائيل كانوا يقتلون قرّاءهم على الدّين، وإن ملوككم إنما يقتلونكم على الدنيا، فدعوهم والدنيا. وقال: سمعته يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبحَ ساخطاً على ربّه عزّ وجلّ، ومَن جالس غنيّاً فتضعضع له ذهبَ ثلثا دينه، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربّه عزّ وجلّ.

وسمعه عبد الواحد بن زيد يقول: ما انتبهتُ من نومي إلا خفتُ أن أكونَ قد مُسختُ.

وسمع جعفر بن سليمان فرقداً يقول: اتخذوا الدنيا ظئراً، واتخذوا الآخرة أُمّاً، ألم تروا إلى الصبيّ يلقي نفسه على الظئر، فإذا ترعرع، وعرف والدته ترك ظئره، وألقى نفسَه على والدته؟! وإن الآخرة والدتكم يوشك أن تجركم.

وقال مرة: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل، ولبس ثوبين نقيين؟! وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل.

وهذا، وقد أسند فرقد عن أنس بن مالك، وسمع من جماعة من كبار التابعين، كسعيد بن جبير ومرّة وإبراهيم النخعي وأبي الشعثاء، وشغله التعبّد عن حفظ الحديث. . ومات فرقد في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة.

● **قيس بن ذريح:**

الليثي من أعراب الحجاز، شاعرٌ محسِنٌ، كان يُشبِّب بأُمِّ مَعْمَرَ لُبْنى بنت الحُباب الكَعْبيَّة، ثم إنَّه تزوَّج بها. وقيل: كان أخاً للحُسين رضي الله عنه في الرضاعة.

وهو القائل:

وكُـلُّ مُلِمَّـاتِ الـزَّمَـانِ وَجَـدْتُهـا ... سِوَى فُرْقَةِ الأحْبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

ونظمه في الذُّروة العُليا، رِقَّةً، وحلاوةً، وجزالةً. وكان في دولة يزيد.

● **كثَيِّـرُ عَزَّة:**

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعي المدني. من فحول الشعراء، امتدحَ عبدَ الملك والكبار. وكان مولده سنة خمس وعشرين من الهجرة.

قـال الزبير بن بكّار: كان شـيعيّاً، يقولُ بتناسخ الأرواح، وكان سـبئيّاً، يُؤْمِنُ بالرجعةِ، وكان قد تَتَيَّمَ بِعَزَّة، وشبَّبَ بها، وبعضُهم يُقدِّمُه على الفرزدق والكبار.

ومات سنة خمس ومئة وهو ابن ثمانين سنة.

● **كهْمَس:**

كهمس بن الحسن التميمي، الحنفي، البصري، العابد. أبو الحسن. من كبار الثقات.

كـان كَهْمَـس يُصلّي في اليـوم والليلة ألفَ ركعـة، فإذا مـلَّ، قـال: قومي يا مأوى كُلِّ سوء، فوالله ما رضيتُكِ لله ساعة.

وروي أنه أراد قتل عقرب، فدخلتْ في جُحْرٍ فأدخلَ أصابعه خلفَها فضربته فقيل له، قال: خفت أن تخرج، فتجيء إلى أمي تلدغُها. وكان رحمه الله بَرّاً بأمّه، فلما ماتت، حجَّ وأقام بمكة حتى مات.

وكان يعمل في الجص، وكان يؤذّن.

كان يقول في الليل: أتُراكَ مُعذّبي، وأنتَ قُرَّةُ عيني، يا حبيبَ قلباه.

توفي كَهْمَس رحمة الله عليه في سنة تسع وأربعين ومئة.

● ليلى الأخيلية:

أورد صاحب (السير) ذكرها في معرض ترجمته لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في بعضِ أبياتٍ لها ترثي فيها مقتله رضي الله عنه. ومما قالت فيه:

قُتِلَ ابنُ عفَّانَ الإمامُ ... وضاعَ أمرُ المسلمينا

وتَشَتَّتتْ سُبُلُ الرَّشادِ ... لصادرينَ وواردينا

فانهَضْ معاويَ نهضةً ... تشفي بها الداءَ الدَّفينا

أنتَ الذي مِنْ بعدِه ... تُدعى أميرَ المؤمنينا

● محمد بن المُنْكَدِر:

ابن عبد الله بن الهُدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث ابن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. الإمام الحافظ القدوة، شيخُ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني. ولد سنة بضعٍ وثلاثين.

ـ ومن أحواله: أنَّه بينا هو ذاتَ ليلةٍ قائمٌ يصلّي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فَزِعَ له أهله، وسألوه، فاستعجمَ عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مرَّتْ بي آية، قال: وما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فبكى أبو حازم معه، فاشتدَّ بكاؤهما.

ـ ومنها: أنه كان يضع خدَّه على الأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدّي.

ـ ومنها أيضاً: أنه جَزِعَ عند الموت، فقيل له: لِمَ تجزَعُ؟ قال: أخشى آيةً من كتاب الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

ـ وعنه أنه قال: كابدتُ نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

مات ابنُ المكدر سنة ثلاثين ومئة.

● **محمد بن النضر الحارثي:**

أبو عبد الرحمن.

قال أبو أسامة: كان محمد بن النضر من أعبد أهل الكوفة.

وقال: قلتُ له: كأنك تكره أن تُزار؟.

فقال: أجل.

قلت: أما تتوحش؟.

قال: كيف أستوحش وهو يقول: «**أنا جليسُ مَنْ ذَكَرَني**»؟!.

- وسمعه خالد بن يزيد يقول: شغل الموتُ قلوب المتقين عن الدنيا، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكرْبه وغُصصه.

وكان إذا ذَكَرَ الموتَ اضطربَتْ مفاصِلُه حتى تبين الرعدةُ فيها كما قال المبارك.

وقد صحبه من أولاد الزبير بن العوام من عبَّادان إلى الكوفة فما سمعه يتكلَّم بكلمة حتى افترقا.

وكان محمد بن النضر يرى الجوعَ يبعث على البر كما تبعثُ البِطنة على الأشر.

وذكر ابن الجوزي أن محمداً كان مشغولاً بالعبادة عن الرواية.

● **محمد بن واسع:**

ابن جابر بن الأخنس. الإمام الربّاني، القدوة، أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي، البصري. قال سُليمان التيمي: ما أحدٌ أُحِبُّ أن ألقى اللهَ بمثل صحيفتِه مثلَ محمد بن واسع.

- قال له رجل: أوصني.

قال: أوصيك أن تكونَ ملكاً في الدنيا والآخرة.

قال: كيف؟.

قال: ازهد في الدنيا.

- ومن أقواله: طُوبى لمن وجدَ عشاءً ولم يجدْ غداءً، وجدَ غداءً ولم يجد عشاءً، والله عنه راضٍ.

ـ وقال: لو كان للذنوب ريحٌ ما جلسَ إليَّ أحدٌ.

ـ وقال: إذا أقبلَ العبدُ بقلبه على الله، أقبل اللهُ بقلوب العباد عليه.

ـ وقال: يكفي مع الدعاء الورع يسيرُ العمل.

ـ وقيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: قريباً أجلي، بعيداً أملي، سيئاً عملي.

ـ ونُقِلَ عنه وهو في الموت: يا إخوتاه! تدرونَ أين يُذهَبُ بي؟ والله إلى النار، أو يعفو الله عني.

توفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومئة.

● **مسْـرُوق بنُ الأجْدَع:**

الإمام، القدوة، العَلَم، أبو عائشة الـوادِعيّ، الهمدانيّ، الكوفي.

يُقالُ: إنَّـه سُـرِقَ وهو صغير، ثم وُجِدَ فسـمّي مسروقاً. وعِدادُه في كبار التابعين وفي المُخَضْرَمين الذين أسلموا في حياة النبيّ ﷺ. ومسـروق هو ابنُ أختِ عمرو بن معدي كرب.

حجَّ مسروقٌ فلم يَنَمْ إلاَّ ساجداً على وجهه حتَّى رجع.

وروى أنس بن سيرين، عن امرأةِ مسروق قالت: كان مسروق يصلّي حتّى تورمت قدماه، فرُبَّما جلستُ أبكي مِمَّا أراهُ يصنعُ بنفسه. شُلَّت يدُه يومَ القادسية، وأصابتْهُ آمّة.

فقالت له ابنته يوماً: يا أبتاه أفْطِر واشرب.

قال: ما أردتِ بي يا بُنَـيَّـة؟.

قالت: الرفْق.

قال: يا بُنَيَّـة إنّما طلبتُ الرِّفْقَ لنفسي في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألف سنة.

كان لا يأخذُ على القضاءِ أجْراً.

وكان يقول: كَفَى بالمرءِ عِلْماً أنْ يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أنْ يُعْجَبْ بعمله.

مات سنة اثنتين وستين.

● **مصعب بن عُمَيْر رضي الله عنه:**

ابنِ هاشِم بنِ عَبْدِ مَنَاف بن عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كلاب. السيِّدُ الشَّهيدُ السَّابِقُ البَدْرِيُّ القرَشيُّ العَبْدَري.

قال البراء بن عازب: أول مَنْ قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، فقلنا له: ما فعلَ رسولُ الله؟ فقال: هو مكانه، وأصحابُه على أثري.

عن خبَّاب قال: هاجرنا مع رسولِ الله ﷺ ونحنُ نبتغي وجهَ اللهِ، فوقع أجرُنا على الله، فمِنَّا من مضى لسبيلِه لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد، ولم يترك إلا نَمِرَة، كنا إذا غَطَّينا رأسَه بدتْ رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «**غَطُّوا رَأْسَهُ، وَاجعلُوا عَلَى رِجْلَيْه مِنَ الإذْخِر**»، ومنا مَنْ أينَعَتْ له ثمرته فهو يهدبها.

قاتَلَ مصعبُ بن عمير دونَ رسول الله ﷺ حتى قُتِل، قتلَه ابن قَمِئة الليثي، وهو يظنُّه رسولَ الله، فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمداً. فلمّا قُتلَ مصعب، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب، ورجالاً من المسلمين.

● **مطرِّفُ بـن عبد الله بن الشِّـخِّير:**

الإمامُ، القدوةُ، الحُجّة، أبو عبد الله الحَرَشيّ العامريّ البَصْري. كان ثقة، له فضل وورع وعقل وأدب.

قال العِجْلي: كان ثقةً لم يَنْجُ بالبَصرةِ من فِتْنَةِ ابنِ الأشعث إلاَّ هُوَ وابنُ سيرين، ولم يَنْجُ منها بالكوفة إلا خَيْثَمةُ بن عبد الرحمن، وإبراهيم النَّخَعيّ.

يروى عنه أنَّه كان بَيْنَه وبين رجلٍ كلام، فكذَبَ الرجل، قال: لا، ولكنَّها دَعوةٌ وافَقَتْ أجَلاً.

- وكان يقول: عقول الناس على قدر منازلهم.

- فضلُ العلمِ أحبُّ إليَّ من فضْلِ العبادة، وخَيْرُ دينكم الوَرَع.

- لأنْ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً أحبُّ أليَّ من أنْ أبيتَ قائماً وأصبح مُعْجَباً.

- لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة، فيقول: يا مطرِّف، ألا فعلتَ، أحبُّ إليَّ من أن يقول: لِمَ فعلت؟.

ـ إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النعيمِ نعيمَهُم، فاطْلُبوا نعيماً لا موتَ فيه.

ـ ليس لأحدٍ أن يصعدَ فيُلْقي نفسَه من شاهق، ويقول: قَدَّرَ لي ربِّي. ولكن يحذَرُ ويجْتهد ويَتَّقي، فإن أصابَه شيءٌ، علمَ أن لن يُصيبَه إلاَّ ما كتبَ الله له.

ـ لأن آخُذ بالثِّقَةِ في القعودِ أحبُّ إليَّ من أنْ ألْتَمِس فَضْلَ الجهاد بالتعزير.

ـ لقد كادَ خَوْفُ النارِ يحولُ بَيْني وبَيْنَ أنْ أسألَ الله الجنة.

ـ اللهمَّ ارضَ عنَّا، فإنْ لم تَرْضَ عنّا فاعفُ عنّا، فإنَّ المَوْلى قد يعفو عن عَبْدِه وهو عَنْهُ غيرُ راضٍ.

ولما أتتِ الحَرورية مُطرِّفَ بنَ عبد الله يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء، لو كان لي نفْسانِ بايَعْتُكم بإحداهما وأمسكتُ الأخرى، فإنْ كان الذي تقولون هُدًى أتْبَعْتُها الأخرى، وإن كان ضلالةً، هلكَتْ نفْسٌ وبقيتْ لي نفْس، ولكنْ هي نَفْسٌ واحدة لا أغرِّرُ بها.

كان مطرِّف يكبر الحسن البصري بعشرين سنة. وتوفي في أول ولاية الحجاج سنة ست وثمانين.

● معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه:

ابْنُ عَمْرو بْنُ أوْسِ بْنُ عائِذٍ بن عَدِيّ بْن كَعْبِ بْن عَمْرِو، السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ البدريّ. أمه هند بنتُ سهل من بني رفاعة، ثم من جُهينة، ولأمه ولد من الجدّ بن قيس. أسلمَ معاذ وله ثماني عشرة سنة، شهد العقبة شاباً أمرَد.

وعنه قال: لما بعثني النبيُّ ﷺ إلى اليمن، قالَ لي: «**كيف تقضي إنْ عَرَضَ قضاءٌ؟**» قال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال: «**فإن لم يكن في كتاب الله؟**» قال: قلت: فبما قضى به رسولُ الله، قال: «**فإنْ لم يكن فيما قضى به الرسول؟**» قال: قلت: أجتهدُ رأيي ولا آلُو، فضربَ صدري، وقال: «**الحمدُ لله الذي وفّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله**».

وقد جاء أنَّ النبيَّ ﷺ حين ودَّعه معاذ، قال: «**حفظَكَ الله مِنْ بين يديكَ ومن خلفِك، ودَرَأَ عنكَ شرَّ الإنس والجنّ**».

عن معاذ قال: لقيني النبيُّ ﷺ فقال: «**يا معاذ إنّي لأحبّكَ في الله**» قلت: وأنا واللهِ يا رسولَ الله أحبُّكَ في الله. قال: «**أفلا أعلّمكَ كلماتٍ تقولهُنَّ دُبُرَ كلِّ صلاةٍ: ربِّ أعنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك**».

عن أبي سعيد: أنَّ معاذاً دخل المسجدَ ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ، فسجدَ معه، فلمّا سـلّم، قضى معاذ ما سبقه، فقال له رجل: كيف صنعت؟ سجدتَ ولم تَعْتَـدَّ بالركعة، قالَ: لم أكن لأرى رسولَ الله على حالٍ إلاَّ أحببتُ أنْ أكونَ معه فيها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فسرَّه، وقال: «**هذه سنةٌ لكم**».

وعن الحارث بن عُميرة قال: إنّي لجالسٌ عند معاذ، وهو يموت، وهو يُغمى عليه ويفيق، فقال: اخنق خنقك فوعِزَّتكَ إنّي لأحبّك.

قُبِضَ معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو ابنُ ثلاث أو أربع وثلاثين، سنة ثماني عشرة.

- **منصور بن المعتمر:**

الحافظُ الثبت القدوةُ، أبو عتاب السُّلمي الكوفي أحدُ الأعلام.

قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبتِ أين الخشبة التي كانت على سطح منصور قائمة؟ قال: يا بنية ذاك منصورٌ، كان يقومُ الليل.

صامَ أربعين سنة، وقام ليلَها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلتَ قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي، فإذا كان الصبحُ، كحل عينه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه، وخرج إلى الناس.

قال العِجلي: كان منصور أثبتَ أهلِ الكوفةِ، لا يختلف فيه أحدٌ، صالحٌ متعبِّدٌ، أُكْرِهَ على القضاءِ فقضى شهرين، قال: وفيه تشيّع قليل، وكان عمِش من البكاء. قال فيه الحافظ الذهبي: تشيعه حُبٌّ وولاء فقط.

- **هشام بنُ حسَّان:**

الإمام العالم، الحافظ، محدّث البصرة، أبو عبد الله الأزدي، القُرْدوسي، البصري، ويقال: هو من العتيك، ونزل في القراديس. وقيل: هو من مواليهم، وهو أشبه، وقال أبو حفص الفلاس: هشام مولى العتك، نزل درب القراديس

فنُسِبَ إليهم، فلم يُسم له جَدّ مع شهرة هشام ونبله. وقال سُليمان بن أبي شيخ: إنما سُمي (قردوس) من جماله.

روى حماد عن هشام قال: كَنَّاني محمد بن سيرين أبا عبد الله ولم يُولد لي.

وروى حماد عن سعيد بن أبي صدقة: أن محمد بن سيرين قال: هشامُ منا أهل البيت.

وقال إبراهيم بن مهدي: سمعتُ حمادَ بن زيد يقول: أنبأنا أيوب وهشام. وحَسْبُكَ بهشام.

وقال حماد: وكان أيوبُ يقول: سل لي هشاماً عن حديث كذا.

قال سعيد بن أبي عروبة: ما رأيتُ، أو ما كان أحدٌ أحفظ عن محمد من هشام.

وعن إبراهيم بن المغيرة المَرْوَزيّ: قلتُ لهِشام بن حسان: أخرج إليَّ بعضَ كتبك، قال: ليس لي كتب. يعني كان يحفظ وقلّما كتب.

● **وهب المزني رضي الله عنه:**

هو وهب بن قابوس المزني. أقبل وهب ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهما من جبل مُزينة، فوجدا المدينة خاليةً، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأُحُد خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين، فقالا: لا نسألُ أثراً بعد عين، فأسلما.

ثم خرجا، فأتيا النبيَّ ﷺ بأُحُد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغارا مع المسلمين في النهبِ، وقاتلا أشدّ القتال، وكانت قد انفرقت فرقة من المشركين، فقال النبيُّ ﷺ: «**من لهذه الفرقة؟**» فقال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجعت، فانفرقت أخرى، فقال النبيُّ ﷺ: «**من لهذه؟**» فقال المزني: أنا، فقام فذبّها بالسيف، حتى ولوْا، ورجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى، فقال ﷺ: «**من يقوم لهؤلاء؟**» فقال المزني: أنا، فقال ﷺ: «**قم وأبشر بالجنة**»، فقام المزني مسروراً يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يضرب فيهم بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه، ومثّلوا به. ثم قام ابن أخته الحارث فقاتل كنحو قتاله حتى قُتل.

ووقف عليهما رسول الله ﷺ وهما مقتولان فقال: «**رضي الله عنه فإني عنك راضٍ**»، يعني وهباً. ولم يزل الرسول ﷺ قائماً على قدميه وقد ناله ما ناله

من الجرح حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حالٌ نموت عليها أحبّ إلينا من أن نلقى الله على حال المزني.

● وهَيْب بن الورد المكي:

أخو عبد الجبار بن الورد، العابد الربَّاني أبو أُمية، ويقال: أبو عثمان المكي، مولى بني مخْزوم، ويقال: اسمه: عبد الوهَّاب.

قيل لوُهَيْب: يجدُ طعم العبادة من يعْصي؟ قال: ولا مَنْ يَهُمُّ بالمعصية.

وقيل: إنَّه حلفَ أن لا يضحك حتى تُعلمه الملائكة بمنزلته إذا احتُضِر.

توفي سنة ثلاث وخمسين ومئة.

● يحيى البَكَّاء:

شيخ بصري، مُحدِّث، وهو يحيى بن مُسلم، وقيل: يحيى بن سليمان، وقيل: ابن سُليم، وهو يحيى بن أبي خُليد. مات سنة ثلاثين ومئة رحمة الله عليه.

● يحيى بنُ مُعَاذ:

الرَّازِي، الواعظُ. من كبار المشايخ، له كلامٌ جيّد، ومواعظُ مشهورةٌ.

- وعنه أنه قال: لستُ أبكي على نفْسي إن ماتَتْ، إنَّما أبكي على حاجتي إن فاتَتْ.

- لا يُفلحُ من شُمَّتْ رائحةُ الرياسة منه.

- مسكينٌ ابنُ آدم، قَلْعُ الأحجارِ أهونُ عليه من تَرْكِ الأوْزار.

- لا تَسْتَبْطِئِ الإجابةَ وقد سددتَ طريقَها بالذّنوب.

- وقال: الدَّرجاتُ سَبْعٌ: التَّوبةُ، ثم الزُّهْدُ، ثم الرِّضا، ثم الخَوْفُ، ثم الشَّوْقُ، ثم المحبَّةُ، ثم المعرفَة.

● يزيد الرقاشي:

عن أشعث بن سوّار قال: دخلتُ على يزيد فقال: يا أشعث! تعال نبكِ على الماء البارد في يوم الظمأ. وجعل يقول: سبقني العابدون وقُطع بي، وا لهفاه!.

وقد صام يزيد اثنتين وأربعين سنة.

وقال ثابت البُناني: ما رأيتُ أحداً أصبر على طول القيام والسهر من يزيد ابن أبان.

وقال عبد الخالق بن موسى اللقيطي: كان يزيد يقول: غلبني بطني، فما أقدر له على حيلة! مع أنه جوّع نفسَه لله عزَّ وجلّ ستين عاماً حتى ذبل جسمه ونهك بدنه، وتغيّر لونه!.

ـ وعن أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد يقول في قصصه: ويحك يا يزيد! من يترضَّى عنك عند ربِّك؟! ومن يصوم لك أو يصلي لك؟! ثم يقول: يا معشر من القبر بيته! والموت موعده، ألا تبكون؟!.

ـ وكان يقول: ابكِ يا يزيد على نفسِكَ قبل حين البكاء.

ـ وقيل لابنه: أما كان أبوكَ يتمثّل الشعر شيئاً؟ قال: كان يتمثّل:

إنَّا لنفرحُ بالأيَّامِ نقطعُها وكلَّ يومٍ يمضي يُدني من الأجلِ

هذا، وأسند يزيد عن أنس بن مالك، وروى عن الحسن وغيره، إلا أنَّ التعبّد شغله عن حفظ الحديث، فأعرضت النَّقَلَةُ عما يروي.

● أبو فِرَاس الأسلمي:

قيل: اسمه ربيعة بن كعب، وقيل: إنه ربيعة بن كعب الأسلمي، ولا خلاف أن ربيعة بن كعب يكنّى أبا فراس، والأغلب أنهما اثنان، فمن جعلهما اثنين قال: أبو فراس الأسلمي، في أهل البصرة، وروى عنه أبو عمران الجَوني.

أما الآخر فهو أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي. حجازي؛ كان خادماً للنبي ﷺ، وكان من أهل الصُّفة. فلمَّا توفّي رسول الله ﷺ نزل على بَريد من المدينة، ولم يزل بها حتى مات بعد الحرة، سنة ثلاث وستين.

وروى إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عُبَيد الله، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبي فراس الأسلمي: أنّ فتًى منهم كان يلزم النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ ذات يوم: «**سلني أعطك**». قال: ادع الله أن يجعلني معك يوم القيامة. قال: «**إنّي فاعلٌ، فأعِني على نفسك بكثرة السجود**».

● أبو فِرَاس بن حَمْدان:

هو الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدانَ بن حمدون الحَمْدَاني التَّغْلبيُّ، الأميرُ الشاعر المُفْلِق.

اِبن عمّ ناصر الدولة وسيف الدولة، وكان رأساً في الفروسيَّة والجُود وبراعة الأدب.

كان الصّاحبُ ابن عبّاد يقول: بُدئَ الشعرُ بمَلكٍ وهو امرُؤُ القيْس، وخُتم بملكٍ وهو أبو فراس.

قال الثعالبي: كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سيّار، بين الحسن والجودَة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظّرف وعزّة الملك. ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر عبد الله بن المعتز. وأبو فراس يُعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة بنقد الكلام. وله ديوان مشهور.

كان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا يَنْبري لمباراته، ولا يجترئ على مجاراته، وإنّما لم يمدحه ومدح مَنْ دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً له لا إغفالاً ولا إخلالاً.

أسرَتْهُ الرُّومُ جريحاً، فبقيَ سجين قلعة بقسطنطينية أعواماً، ثمَّ فداهُ سيفُ الدوّلةِ منهم بأموال، وأعطاهُ أموالاً جزيلة وخيلاً ومماليك. وكانتْ له مَنْبج، ثمَّ تملَّكَ حمص، ثم سارَ ليمتلك حلب فقتل بناحيَة تَدْمر سنَة سبع وخمسين وثلاثمئة. وكلُّ عمره سبعٌ وثلاثونَ سَنَة.

● **أبو الشيص الخُزَاعي:**

محمد بن عبد الله بن رَزين. الشاعر المشهور الملقَّب بأبي الشِّيص، وهو ابن عمّ دِعبل الخزاعي الهجاء، توفي سنة مئتين أو قبلها، قال ابن الجوزي: سنة ست وتسعين ومئة وقد كفّ بصره، ومن شعره المشهور:

وَقفَ الهوى بِي حيث أنتِ فليس لي ... متـأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ
أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً ... حُبّاً لذِكرك فليَلُمْني اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائي فصِرتُ أحبُّهم ... إذ كان حظّي منكِ حظّي منهمُ
وأهَنْتِني فأهنتُ نفسي عامداً ... ما مَنْ يَهُون عليك ممّن يكرَمُ

وله أيضاً:

لا تُنْكـرِي صَـدّي ولا إعـراضـي ... ليسَ المُقِـلّ عـن الـزمـان بـراضِ
شيئـان لا تصبُـو النسـاء إليهمـا ... حلـيُ المشيـبِ وحُلّـة الأنفـاضِ
حَسَـرَ المشيـبُ قِناعَـه عـن رأسـه ... فـرَمَيْنَـه بـالصـدِّ والإعـراضِ
ولـربّمـا جعلـتْ محاسـنَ وجهِـه ... لجفـونهـا غَـرَضـاً مـن الأغـراضِ

● مسلم بن يَسار:

القدوةُ، الفقيـه، الزاهدُ، أبـو عبد الله البصريّ، مولى بني أميَّة.

كان ثقةً فاضلاً، عابداً، ورعاً. خامسُ خمسةٍ من فقهاء البصرة، لا يُفضَّل عليه أحدٌ في زمانه.

وقال عليُّ بن أبي حَمَلة: قدِمَ علينا مُسلم بن يَسار دمشق، فقالوا له: يا أبا عبد الله، لو علم الله أنَّ بالعراق مَنْ هو أفضلُ منكَ، لأتانا به؛ فقال: كيف لو رأيتُم أبا قِلابة.

وعن العلاء بن زياد أنَّه كان يقول: «لو كنتُ متمنِّياً ،لتَمنَّيْتُ فقهَ الحَسن، وورَع ابن سيرين، وصوابَ مُطرِّف، وصلاة مسلم بن يَسار».

كانَ إذا صلَّى كأنَّه وَتد لا يَميلُ لا هكذا ولا هكذا، وإذا سجد كأنَّه ثوبٌ مُلقى.

وكان يقولُ لأهلِهِ إذا دخل في الصلاة: تحدَّثوا فلستُ أسمعُ حديثكم.

ورُويَ أنَّه وقع حريق في داره وأطفئ، فلما ذُكِرَ ذلك له قال: ما شعرتُ.

قال قتادة: قال مسلم بن يَسار في الكلام عن القدَر: «هما واديان عميقان، يسلكُ فيهما النَّاس، لنْ يُدركَ غورهما، فاعملْ عملَ رجلٍ تعلمُ أنَّه لن يُنجيكَ إلا عملك، وتوكَّلْ توكُّلَ رجلٍ تعلم أنَّه لا يصيبُكَ إلاَّ ما كتب الله».

قال سفيان بن عُيَيْنة: إنَّ الحَسن البَصْريّ لمَّا مات مُسلم بن يَسار قال: وا مُعَلِّماه.

له ترجمةٌ حافلةٌ في تاريخ الحافظ ابن عساكر. مات سنة مئة، وقيلَ: سنة إحدى ومئة.

● عامر بنُ قيْس الأشْعَري:

عَامر بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو بُرْدَة، أخو أبي موسى الأشعري.

ومن حديثه: عن النبي ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمّ، اجعلْ فناءَ أُمّتي قتلاً في سبيلك بالطعْن والطاعون**».

● ابنُ الرُّومي (الشاعر):

شَاعر زمانه مع البُحْتُري، أبو الحَسَن، عليُّ بن العَبّاس بن جُرَيْج، مولى آل المنصور.

له النَّظم العَجيب، والتَّوليد الغريب. رَتَّب شِعْرَه الصُّولي. وكان رأساً في الهِجَاء، وفي المديح، وهو القائل:

آرَاؤُكُـمْ، وَوُجُـوهُكُـمْ، وسُيُـوفُكُـم ... فـي الحـادِثـات إذا دَجَـوْنَ نُجُـومُ
مِنْهَـا مَعَـالِـمُ للهُـدَى ومَصَـابِـح ... تَجْلُـو الـدُّجَـى والأخْـرَيَـاتُ رُجُـومُ

قيل: إنَّ القاسم بن عُبَيْد الله الوزير كان يخافُ من هَجْو ابن الرُّومي، فدَسَّ عليه مَن أطعمه خُشْكُناكة مَسْمُومَة، فأَحَسَّ بالسُّمِّ، فوَثَبَ، فقال الوزيرُ: إلى أين؟ قـال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سَلِّم على أبي. قال: ما طريقي على النَّار. فبقي أياماً وماتَ.

ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين، ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، سَنَة ثلاثٍ وثمانين، وقيل: سنة أربع.

● ابنُ الرُّومي (الزاهد):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الرُّومي النيسابوريُّ الحِيري، أبو محمد، شيخُ سعيدِ بن أبي سعيد العيَّار. الزاهدُ العابد.

قال الحاكم في (تاريخه): كان أبوه أبو عبد الله الرُّومي محدِّثاً مذكوراً ثقة. ثم إنَّ أبا محمدٍ كان من الصَّالحينَ المجتهدينَ في العبادة، إلا أنَّه لم يقتصر على سماعاته في كتاب أبيه وزاد فيها، وكان سماعُه من أبي العبّاس السرَّاج، فارتقى إلى ابن خُزيمة.

توفي رحمه الله يوم الإثنين السادس عشر من شهر رمضان سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمئة، ودفن في مقبرة الحِيْرة.

● ذو النُّون المِصْريُّ:

ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيضُ بن أحمد، وقيل: فيض بن إبـراهيم

النوبي الإخْمِيمي، يُكْنَى أبا الفيض، ويُقال: أبـا الفياض. الزاهد، العالم، الفصيح، الحكيم، شيخُ الديار المصرية.

ولد في أواخر أيام المنصور.

قال يوسفُ بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سببُ تَوْبَتِك؟ قال: نمتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُبَّرَةٌ عمياءُ سقطتْ من وَكر، فانشقت الأرضُ، فخرج منها سُكُرُّجَّتان ذهب وفضة، في إحداهما سِمْسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتْ وشربتْ. فقلتُ: حسبي. فَتُبْت ولزمتُ الباب إلى أن قبلني.

قال السُّلَمي في (محن الصوفية): ذو النون أولُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بنُ عبد الحكم، وهجره علماءُ مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف.

وقال محمدُ بنُ الفَرْجي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورقٌ آخر، فقيل لذي النون: إنَّ هؤلاء يمرون إلى السلطان، يَشهدونَ عليك بالكفر. فقال: اللَّهُمَّ إنْ كانوا كاذبين، فغرِّقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلتُ له: فما بال الملاَّح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلمُ قصدهم؟! ولأنْ يقفوا بين يدي الله غرقى خيرٌ لهم من أن يقفوا شُهود زُور، ثم انتفض وتغيَّر، وقال: وعزَّتِك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاهُ أميرُ مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلَّم، فرضي أمرَه. وطلبَهُ المتوكل، فلما سمع كلامه، وَلِعَ به وأحبَّه. وكان يقولُ: إذا ذُكر الصالحون، فحيَّ هلا بذي النون.

قال في الاستغفار: إنَّه جامع لمعانٍ:

أوّلُها: النَّدمُ على ما مضى.

الثاني: العزمُ على الترك.

الثالثُ: أداء ما ضيَّعْتَ من فرض لله.

الرابعُ: ردُّ المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها.

الخامسُ: إذابةُ كل لحم ودم نبت على الحرام.

السادس: إذاقة ألم الطاعة كما وجَدْتَ حلاوة المعصية.

وعن عمرو بن السرح: قلتُ لذي النون: كيف خلصتَ من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلامُ، قلتُ في نفسي: يا مَنْ ليس في البحار قطراتٌ، وفي ديلج الرياح ديلجاتٌ، ولا في الأرض خبيئاتٌ، ولا في القلوب خطراتٌ، إلا وهي عليك دليلاتٌ، ولك شاهداتٌ، وبربوبيتك مُعترفاتٌ، وفي قُدرتك متحيِّراتٌ، فبالقُدرةِ التي تُجيرُ بها من في الأرضين والسماوات إلا صَلَّيْتَ على محمد وعلى آل محمد، وأخذتَ قلبَه عني. فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني.

لما مات، أظلّت الطير جنازَتَه. مات بالجِيزة وهو في التسعين، وعُديَ به إلى مصر في مركبٍ خوفاً من زحمة الناس على الجسر، لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومئتين.

● **عتْبَة الغلام:**

عتبة بن أبان البصري، الزّاهدُ، الخاشعُ، الخائفُ.

كان يُشَبَّه في حُزْنِه بالحسن البصري. وكان من نُسَّاكِ أهل البصرة، يصوم الدهْرَ، ويأوي إلى السواحلِ والجَبَّانة.

قال رباح القيْسي: باتَ عندي، فسمعته يقول في سجودِه: اللهم احشر عُتْبَةَ من حواصِل الطَّير وبطون السِّباع.

كان رأسُ ماله فَلْساً، يشتري به خُوصاً، يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعشى بفلس، وفلس رأس ماله. وكان يقول: لا يُعجبني رجلٌ ألاّ يحترف. وقيل: نازَعَتْه نفسُه لحماً، فماطلها سبع سنين.

رؤي يبكي فقال: إنّما أبكي على تقصيري.

وعنه أنه قال: من عَرَفَ الله أحَبَّه، ومن أحبّه أطاعه.

وذكَرَ مَخْلَدُ بن الحُسَيْن عُتْبَةَ الغلام وصاحبه يحيى الواسطي فقال: كأنما رَبَّتْهم الأنبياء.

وكان يقال: إنَّ الطَّير تُجيبه.

وقال مَخْلَدُ بن الحُسَين: جاءنا عُتْبَة الغُلام غازياً، وقال: رأيت أني آتي المَصِّيْصة في النَّوم، وأغزو فأسْتَشهد. قال: فأعطاه رجل فرسَه وسلاحَه، وقال: إنّي عَليلٌ، فاغزُ عني. فلقوا الرومَ، فكان أول من استُشهد. ولما غزا قال: لا تفتحُوا بيتي. فلما قُتِلَ، فتحوه. فوجدوا قبراً محفوراً، وغِلَّ حديد.

● أبو الدَّرْداء رضي الله عنه:

هو عويمِرُ بنُ قيس بن زَيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عديٍّ بن كعبِ بن الخزرج، صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو الدرداء، الإمامُ القدوةُ، قاضي دمشق، ويقال: عُويمِرُ بن عامر.

حكيم هذه الأمـة. وسيِّدُ القُرَّاءِ بدمشق. ويُروى له مئة وتسعة وسبعون حديثاً. وهو معدودٌ فيمن تلا على النبي ﷺ، وفيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ثم تَصَدَّر للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك.

كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً، وكان يعبدُ صنَماً، فدخل ابنُ رواحـة ومحمَّدُ بن مسـلمة بيتَه، فكسـرا صنمه، فرجع فجعل يجمعُ الصنم، ويقولُ: ويحك هلاَّ امتنعتَ، ألا دفعْتَ عن نَفْسِك. فقالت أم الدَّرداء: لو كان ينفَعُ أو يَدْفَعُ عن أحد، دَفَعَ عن نفسه ونفعها. فقال أبو الدّرداء: أعدِّي لي ماءً في المُغْتَسل. فاغتسلَ، ولبسَ حُلَّتَهُ، ثم ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ، فنظر إليه ابنُ رواحة مُقبلاً، فقال: يا رسولَ الله! هذا أبو الدّرداء، وما أراه إلا جاءَ في طَلَبنا؟ فقال: «**إنّما جاء ليُسْلِمَ، إنَّ رَبِّي وَعَدَني بأبي الدَّرْدَاءِ أنْ يُسْلِم**».

لما هُزِمَ الصحابة يومَ أُحُد، كان أبو الدّرداء يومئذ فيمَنْ فاءَ إلى رسول الله ﷺ في الناس، فلما أظلَّهم المشركون من فوقهم، قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ، ليْسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا**»، فثابَ إليه ناسٌ، وانتدَبُوا، وفيهم عُوَيمرُ أبو الدَّرْدَاء، حتى أدحَضُوهم عن مكانهم، وكان أبو الدّرداء يومئذ حَسَنَ البلاء. فقال رسولُ الله ﷺ: «**نِعْمَ الفارسُ عُوَيمر**»، وقال: «**حكيم أمَّتي عُوَيمر هذا**».

وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين سَلمان وأبي الدّرداء؛ فجاءه سلمانُ يزوره، فإذا أمُّ الدّرداء مُتَبَذِّلة، فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: إنَّ أخاكَ لا حاجة له في

الدّنيا، يقومُ الليلَ، ويصومُ النَّهار. فجاء أبو الدّرداء، فرحَّبَ به، وقرَّبَ إليه طعاماً. فقال له سلمان: كُلْ. قال: إنِّي صائم. قال: أقسمتُ عليك لَـتُفْطِرَنَّ. فأكل معه. ثم بات عنده، فلمَّا كان من الليل، أراد أبو الدّرداء أن يقوم، فمنعه سلمانُ وقال: إنَّ لجسدك عليك حقّاً، ولربك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً؛ صُم، وأفطر، وصَلِّ، وائتِ أهلك، وأعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.

فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم الآن إن شِئْتَ؛ فقاما، فتوضَّأا، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدّرداء لُيخبرَ رسولَ الله ﷺ بالذي أمره سَلمان. فقال له: **«يا أبا الدَّرداء، إنَّ لِجَسَدِكَ عَليكَ حَقّاً، مثل ما قال لكَ سَلْمان»**.

كان الصحابة يقولون: أرحمُنا بنا أبو بكر؛ وأنطقُنا بالحقِّ عُمر؛ وأمينُنا أبو عُبيدة؛ وأعلمُنـا بالحرام والحلال مُعَاذ؛ وأقرؤنـا أُبَيّ، ورجلٌ عنده علمٌ ابنُ مسعود، وتَبعهم عُوَيمر أبو الدَّرداء بالعقل. وكانوا يقولون: أتبعُنا للعلم والعمل أبو الدَّرداء. كان ابنُ عمر يقول: حدِّثونا عن العاقِلَيْن. فيقال: مَن العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدّرداء. ولمَّا مات النبيُّ ﷺ، لم يكن قد جمع القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدّرداء، ومُعاذٌ، وزيدُ بنُ ثابت، وأبو زيد.

وَلِيَ القَضَاءَ بدمشق في دولةِ عُثمان، فهو أولُ من ذُكِرَ من قضَاتها. ودارُهُ بباب البَريد، ثم صارت في دولة السلطان صلاح الدين تُعرفُ بدار العَزّي.

وكان يُصلي الصبح ثم يُقرئ ويَقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عَقِيقة نشهدُها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إنّي أُشهدُك أنّي صائم.

وكان الذين في حلقة إقراء أبي الدّرداء أزيدَ من ألفِ رجل، ولكُلِّ عشرة منهم ملقِّن، وكـان أبو الدّرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدّرداء - يعني يعرض عليه. وهو الذي سنَّ هذه الحِلَق للقراءة.

قال في العلم: ما لي أرى عُلماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، تعلَّموا فإنَّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

وقال: ويل للذي لا يعلمُ مَرَّةً، وويل للذي يعلمُ ولا يعملُ سبعَ مرات.

وقيل لأم الدّرداء: أيُّ عبادة أبي الدّرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار. وكان يقول: تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة.

وقيل له ـ وكان لا يفترُ عن الذِّكر ـ: كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلاَّ أنْ تُخطئَ الأصابع.

وقال: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعة ظمأ الهواجر، والسجودُ في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جَيِّدَ الكلام كما يُنتقى أطايبُ الثمر. قيل له: ما تُحِبُّ لمن تُحب؟ قال: الموت. قيل: فإن لم يمت؟ قال: يَقِلُّ مالُه وولدُه.

وقال: ثلاثةٌ أحبهنَّ، ويكرهُهُنَّ النَّاس: الفقر، والمرض، والموت. أَحِبُّ الفقرَ تواضُعاً لربي، والموتَ اشتياقاً لربي، والمرضَ تكفيراً لخطيئتي.

وقال: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يجعل لي في كل وادٍ مال.

جاءه رجلٌ فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السرَّاء يذكُرْك في الضَّراء؛ وإذا ذكرتَ الموتى، فاجعلْ نَفْسَكَ كأحدهم، وإذا أشرفتْ نَفْسُك على شيء من الدُّنيا، فانظُر إلى ما يصير. وقال: اعبد الله كأنك تراه وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياكَ ودعوة المظلوم، واعلم أنَّ قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأنَّ البرَّ لا يَبْلى، وأن الإثم لا يُنْسى.

وعنه: إياكَ ودعواتِ المظلوم؛ فإنهُنَّ يَصعدْنَ إلى الله كأنهن شراراتٌ من نار.

وقال: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنَّون أنهم مثلُنا عند الموت، ولا نتمنَّى أننا مثلُهم حينئذٍ. ما أنصفنا إخوانُنا الأغنياء: يُحِبُّوننا على الدين، ويُعادوننا على الدُّنيا.

لما فُتحتْ قبرص، مُرَّ بالسَّبْي على أبي الدّرداء، فبكى، فقيل له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أَعَزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟! قال: بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذْ عَصَوُا الله، فلقُوا ما ترى، ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه.

وعن أمِّ الدّرداء قالتْ: كان أبو الدّرداء لا يحدث بحديث إلا تَبَسَّم،

فقلت: إني أخاف أن يُحَمِّقكَ النَّاس. فقال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يُحَدِّثُ بحديث إلا تَبَسَّم. أخرجه أحمد في (المسند).

وعنها أيضاً: أنها قالت: كان لأبي الدّرداء ستون وثلاثمئة خليل في الله. يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب إلاَّ وَكَّلَ الله به ملكين يقولان: ولك بمثل. أفلا أرغبُ أنْ تدعُوَ لي الملائكة.

وذُكِرَ الدَّجَال في مجلس فيه أبو الدّرداء فقال نَوف البكَالي: إني لغير الدجال أخْوَفُ مني من الدّجال. فقال أبو الدّرداء: وما هو؟ قال: أخاف أن أُستَلَبَ إيماني وأنا لا أشعر. فقال أبو الدّرداء: ثكلتْكَ أمُّك يا بنَ الكندية! وهل في الأرض خمسون يَـتَخوَّفون ما تَـتَخَوَّفُ؟ ثم قال: وثلاثون، وعشرون، وعشرة، وخمسة. ثم قال: وثلاثة. كلُّ ذلك يقول: ثكلتْكَ أمُّك والذي نفسي بيده ما أمِنَ عبدٌ على إيمانه إلا سُلِبَه، أو انتُزِعَ منه فيفقده. والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمَّصُه مرةً ويضعه أخرى.

وعن أبي الدَّرداء، قال: مَنْ أكثر مِن ذكر الموت قلَّ فرحُه، وقلَّ حسدُه.

لما احتُضر أبو الدّرداء، جعل يقول: مَن يعملُ لمثل يومي هذا؟ مَن يعملُ لمثل مضجعي هذا؟.

وماتَ رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين للهجرة.

● **ماهَان الحَنَفي:**

أبو سَالِم الكُوْفِي الأعْوَر، وكان يقال له: المُسَبّح وليس بأبي صالح الحَنَفيِّ عبد الرَّحمن بن قيْس.

ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب (الثقات).

وقال محمد بن فُضَيْل عن أبيه: كان ماهان الحَنَفِيُّ يلقى الرجل، فيقول: ما يستحيي أحدكم أن تكون دابته التي يركبها، وثوْبه الذي يلبسهُ، أكثر ذِكْراً لله منه. وكان لا يفتر من التَّسبيح. قال: فأخذه الحَجَّاجُ فصلَبَهُ على باب مسجد بني حَنِيفة وكان يُسَبِّح ويعقد. قال: فطُعِنَ وقد عَقدَ تسعة وستين.

وقال أبو عُبَيد الآجُرِّي عن أبي داود: حدثني الثِّقة عن ابن فضَيْل، وعن إبراهيم بن أبي حَنِيفة، قال: رأيتُ ماهانَ الحَنَفيَّ حيث صلبه الحجاج، فجعل

يُسَبِّح حتى عَقد على تسعة وعشرين، فطعن وهو على تلك الحال، فرأيته بعد شَهْرٍ عاقداً عليها، قال إبراهيم: وكنا نُؤمر بالحَرس على خَشَبَته فنرى عنده الضَّوء، قال أبو داود: قال عَمَّار الدُّهْنيُّ: رأيت ماهان حيث صُلِبَ، فقال: إنّي لأرغب بك عن هذا المكان اذهب. قال أبو داود: قطَعَ الحجاج يديه ورجْليه وصَلَبَهُ. قال أبو داود: سُئِلَ سُفيان عن الرجل يُقتل أيمد رقبته؟ فقال: قال ماهان الحنفي: احملوني - أي على الخشَبةِ. قال: وقال الحجاج لأبي صالح: زَرَعْتُم. قال: حَرَثنا. قال: فقال له ابن أبي مُسلم: اقتله فإنَّه خارجي.

قتلَ الحَجَّاجُ ماهان سنة ثلاث وثمانين.

● عمران بن حُصَين بن عبيد بـن خَلف:

صاحبُ رسول الله ﷺ، القدوةُ الإمامُ، أبو نُجيد الخزاعي.

أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت واحد، سنة سبع.

ولي قضاء البصرة، وكان عمر بَعثه إلى أهل البصرة ليفقههم؛ فكان الحسنُ يحلف: ما قدم عليهم البصرة خيرٌ لهم من عِمران بنِ الحُصين.

وقال مُطرِّفُ بنُ عبد الله: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَين: أحدِّثُك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إنَّ رسولَ الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات، ولم ينزلْ فيـه قرآنٌ يُحَرِّمُه، وأنه كان يُسَـلَّمُ عَلَيَّ - يعني الملائكة - قال: فلما اكتويتُ، أمسكَ ذلك؛ فلما تركتُه، عادَ إليَّ.

قال ابن سيرين: سَقى بَطْنُ عِمران بن حُصَين ثلاثين سنة، كل ذلك يُعْرَضُ عليه الكيُّ، فيأبى؛ حتى كان قبل موته بسنتين، فاكتوى.

وقد غزا عِمران بنُ حُصَين، قال: ما مسستُ ذكري بيميني منذُ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ.

اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاريُّ بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة، ومسنده: مئة وثمانون حديثاً.

قال قتادة: بلغني أنّ عمران قال: وددتُ أنّي رمادٌ تذروني الرياح.

وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي.

وعن إبراهيمَ بنِ عطاء مولى عِمران، عن أبيه؛ أنَّ عِمران قضى على رجل بقضية، فقال: والله، قضيتَ عليَّ بجَوْرٍ، وما ألَوْتُ. قال: وكيفَ؟ قال: شُهدَ عليَّ بزور. قال: ما قضيت عليك فهو في مالي، ووالله لا أجلس مجلسي هذا أبداً.

عن أبي رجاء، قال: خرج علينا عِمران في مطرف خَزٍّ لم نَره قط، فقال: قالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أنْعَمَ على عَبْد نعمةً يُحِبُّ أنْ تُرَى عليه**».

وعن الحسن: أنَّ عِمران بنَ حُصَين أوصى لأمهات أولاده بوصايا، وقال: مَنْ صَرَخَتْ عليَّ، فلا وصية لها.

توفي عِمرانُ رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين.

● **العلاءُ بنُ زياد بن مطر بن شُرَيْح:**

القدوةُ العابد، أبو نصر العدويُّ البصريُّ.

وكان ربَّانياً تقيّاً قانتاً لله، بكَّاءً من خَشيةِ الله؛ بكى حتى غشِيَ بَصَرُه. وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلم، جَهَشَهُ البكاء.

كان قوته رغيفاً كلِ يوم، وكان له مالٌ ورقيق، فأعْتَقَ بعضَهم، وباع بعضَهم، وتعبَّد وبالغ، فكُلِّم في ذلك فقال: إنما أتذلَّلُ لله لعلَّه يَرْحَمُني.

عن جعفر بن سُليمان: سَمِعْتُ مالكَ بنَ دينار وسأل هشامَ بن زياد العدويّ فقال: تجهَّزَ رجلٌ من أهلِ الشام للحجِّ، فأتاه آتٍ في منامِه: ائتِ البَصْرة، فائتِ العلاء بنَ زياد فإنَّه رجلٌ رَبْعة، أقصمُ الثنيَّةِ بَسَّام، فبشِّرْهُ بالجنة. فقال: رؤيا ليسَت بشيء. فأتاه في الليلة الثانية، ثم في الثالثة وجاءهُ بوَعيد، فأصبح وتجهَّزَ إلى العراق، فلما خرجَ مِنَ البيوت إذا الذي أتاهُ في منامه يسير بين يديه، فإذا نزلَ فقدَهُ. قال: فجاء فوقف على باب العلاء، فخرجتُ إليه فقال: أنتَ العلاء؟ قلتُ: لا، انْـزلْ رحمَك الله، فضَعْ رَحْلَـك. قال: لا، أينَ العلاء؟ قلت: في المسجد.

فجاءَ العلاء، فلمَّا رأى الرجُلَ، تبسَّمَ فبدَت ثنيَّتُه، فقال: هذا والله هو. فقال العلاء: هلاَّ حططتَ رحْل الرجُل، ألا أنزلتَه، قال: قلتُ له فأبى. قال العلاء: انزلْ رحمكَ الله. قال: أخْلِني. فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماءُ تحوَّلي. فدخل الرجل فبَشَّرَه برؤياه، ثم خرج فركب، وأغلقَ العلاءُ بابه، وبكى

ثلاثـة أيام، أو قال: سبعة، لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً. فسمعتُه يقول في خلال بكائه: أنا، أنا. وكُنّا نهابُه أن نفتحَ بابَه. وخشيتُ أن يموت، فأتيت الحسن، فذكرت له ذلك، فجاء فدقَّ عليه، ففتح وبه من الضُّرِّ شيءٌ الله بِهِ عليم. ثم كلَّمَ الحسَن؛ فقال: ومِن أهْلِ الجنَّة إن شاء الله، أفقاتِلٌ نَفْسَكَ أنت؟! قال هشام: فحدَّثنا العلاءُ - لي وللحسن - بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنتُ حيّاً.

قتادة: عن العلاء بن زياد، قال: ما يضرُّكَ شهدتَ على مسلم بكفر أو قتلتَه.

عن العلاء بن زياد، قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعُون شيئاً، فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرة هتْماء عوراء، عليها من كلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدّنيا. قلتُ: أسأل الله أن يُـبَغِّضكِ إليَّ، قالتْ: نَعم، إن أبغضت الدراهم.

وعن هشام بن زياد أخو العلاء: أن العلاء كان يُحيي ليلة الجمعة، فنام ليلة جُمُعةٍ، فأتاه من أخذ بناصيته، فقال: قم يا بن زياد، فاذكُر الله يذكُرْك. فقام، فما زالت تلك الشعراتُ التي أخذها منه قائمة حتّى ماتَ.

ذكر أبو حاتم ابن حِبَّان أنَّ العلاء بن زياد توفي في أخَرَةِ ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين.

● حسَّانُ بنُ أبي سِنان البَصْري:

أحَدُ العَبَّادِ الوَرِعِيْنَ. قال عنه البخاري: كان من عُبّاد أهل البصرة.

كان حسان بن أبي سِنان يفتح باب حانوته فيضع الدَّواة، وينشر حسابه، ويُرخي سِتْرَهُ، ثم يصلِّي، فإذا أحسَّ بإنسان قد جاءَ، يقبل على الحساب يريه أنه كان في الحِساب. وكان يقول: لولا المساكين ما اتَّجَرت.

مَرَّ حسان بن أبي سنان بغُرفة، فقال: مذ كم بُنيَت هذه؟ قال: ثم رَجَعَ إلى نفسه، فقال: وما عليكِ مذ كم بُنيَت، تسألين عمَّا لا يَعنيكِ؟! فعاقبها بصوم سنة.

ذكرهُ البخاري في البيوع، قال: وقال حَسَّان بن (أبي) سنان: ما رأيتُ شيئاً أهونَ من الوَرَع، دَعْ ما يريبُكَ إلى ما لا يريبُكَ.

● محمد بن كعب القُرَظي:

مدني، تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. منسوب إلى بني قريظة الطائفة المعروفة من اليهود، وهو تابعي جليل من كبار التابعين وأئمتهم، وهو

أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد المدني من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم عاد إلى المدينة. وولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع ابن عباس وزيد بن أرقم ومعاوية. وقيل: سمع ابن مسعود ورأى ابن عمر. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً.

توفي سنة ثمان ومئة، قيل: سنة سبع عشرة ومئة.

● إبراهيم النَّخَعيّ:

إبراهيم بن يزيد بن قيس الأسود النَّخَعيّ، اليَماني ثم الكوفيّ أبو عِمْران الإمام، الحافظ، فقيه العراق، مفتي أهل الكوفة، قال فيه سعيد بن جُبَير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟! وقال فيه الإمام أحمد بن حَنْبَل: كان إبراهيم ذكيّاً، حافظاً، صاحبَ سُنَّة.

أحدُ الأعلام، كان بصيراً بعِلْمِ ابن مسعود، واسِعَ الرِّواية، فقيهَ النَّفس، كبير الشَّأن، كثيرَ المَحاسِن، رحمهُ الله تعالى. لم يحدِّث عن أحدٍ من أصحاب النبيّ ﷺ، وقد أدرك منهم جماعة، ورأى السيدة عائشة رضي الله عنها.

قال إبراهيم: تكلمتُ، ولو وجَدْتُ بُدّاً لم أتكلَّمْ، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهاً لزمانُ سُوء.

جاءه رجلٌ فقال: يا أبا عِمران، إنَّ الحَسَن البصريَّ يقول: إذا تواجَهَ المسلمان بسَيْفَيْهِما فالقاتلُ والمقتول في النار. فقال رجل: هذا مَن قاتلَ على الدُّنيا، فأمَّا قتالُ مَن بغى، فلا بأس به، فقال إبراهيم: هكذا قال أصحابُنا عن ابنِ مسعود؛ فقالوا له: أين كُنتَ يوم الزَّاوية؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فأين كنت يوم الجماجم؟ قال: في بيتي؛ قالوا: فإنَّ عَلْقمة شهدَ صفين مع عليّ؛ فقال: بخ بخ، مَن لنا مثل عليِّ بن أبي طالب ورجاله.

مَرَّ الشَّعْبيّ - وهو من ثقات التابعين - بإبراهيم النخعي، فقام له إبراهيم عن مجلسِه، فقال له الشَّعْبيّ: أما إني أفقهُ منك حيّاً، وأنت أفقهُ مِنِّي مَيْتاً، وذاكَ أنَّ لك أصحاباً يلزمونك، فيُحْيُون عِلْمَك.

فلما مات إبراهيم النَّخَعيّ قال الشَّعْبيّ: أما إنَّه ما ترك أحداً أعلمَ منه، أو أفقه.

وقيل: إنَّ إبراهيمَ لما احتُضِر، جَزِعَ جَزَعاً شديداً؛ فقيل له في ذلكَ، فقال: وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ ممَّا أنا فيه، أتوقَّعُ رسولاً يَرِدُ عليَّ مِن رَبِّي إما بالجنَّةِ وإمَّا

بالنَّار؛ والله لَوَدِدتُ أنها تَلَجْلَجُ في حَلْقي إلى يوم القيامة.

توفي سنة ستٍّ وتسعين وله تسع وأربعون سنة، وقيل: ابن نيِّفٍ وخمسين بعد الحجَّاج بأربعةِ أشهر أو خمسة.

● **العباس بن أحمد بن علي القحطبي:**

أبو الفضل، جرجاني، كان رئيس جرجان في أيامه، روى بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجموا لخمس عشرة، أو سبع عشرة، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين، لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم**». ورد ذكره في (تاريخ جرجان).

● **أبو قُلابة:**

عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قُلابة.

مما نقل عنه: أنه قال: أي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار يُعفّهم اللهُ به ويغنيهم.

وقال: إذا أحدث الله عزَّ وجلَّ لك علماً، فأحدث له عبادة، ولا يكن همّك ما يحدثُ به الناس. قال: وقال لي: الزم سوقك فإن الغنى من العافية.

وقال حُميد الطويل: قال أبو قلابة: إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهه، فالتمس له العذر جُهدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه، وكان رجل بالبصرة من بني سعد قائداً من قواد عبيد الله بن زياد فسقط عن السطح فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابة يعوده فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال: يا أبا قلابة! وأي خير في كسر رجلَيَّ جميعاً، فقال: ما ستر الله عليك أكثر، فلمّا كان بعد ثلاث ورد عليه كتابُ ابن زياد أن يخرج فيقاتل الحسين رضي الله عنه، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة لقد صدق، إنه كان خيرة لي.

هذا ومرض أبو قلابة ومات بالشام سنة أربع أو خمس ومئة رحمه الله تعالى.

● **الغزي:**

هو ربعي بن الأفكل، كان على مقدمة جيش أميره عبد الله بن المعتم وجعله على المقدمة بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أرسل عمر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعدما فتح الله على المسلمين المدائن أن يجهز جيشاً لأهل الموصل الذين اجتمعوا بتكريت على قائد يقال له: (الأنطاق) ويؤمِّر عليه

عبد الله بن المعتم، وأن يجعل ربعي بن الأفكل الغزي في مقدمته. كما عهد إليهم في كتابه إذا نصروا على تكريت أن يبعثوا ربعياً إلى الحصنين، وهي الموصل، فسار ربعي ومعه سرية إلى الحصنين بعد الانتصار في تكريت وأجاب أهلها إلى الصلح، وولي ربعي إمرة حرب الموصل.

●عامر بن عبد الله:

هو الذي يقال له: ابن عبد قيس، ويكنى أبا عمر، يقول فيه مالـك بن دينار: بلغنـا أن كعباً رأى عامراً فقال: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا عامر، فقال: هذا راهب هذه الأمة. أدرك عامر الصدر الأول، وروى عن عمر رضي الله عنه لكنّه اشتغل بالعبادة عن الرواية.

قيل: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم عامر بن عبد الله.

إنْ كان ليصلي فيتمثل له إبليس في صورة الحية، فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من جيبه فما يمسه، فقيل له: ألا تنحي الحية عنك؟ فقال: إني لأستحيي من الله عزَّ وجلّ أن أخاف سواه، فقيل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، وإن النار لتتقى بدون ما تصنع! فقال: والله لأجتهدنَّ ثم والله لأجتهدنّ، فإن نجوتُ فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي.

لما احتضر بكى، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟! فقال: ما لي لا أبكي؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء.

كان يقول: ما رأيتُ مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها.

وكـان إذا رأى ذمياً يُعتدى عليه، وثبَ إليه يخلصه من العدوان، ويقول: لا تُخفَرُ ذمةُ محمد ﷺ وأنا حي.

وقد سأل عامر ربَّه عزَّ وجل أن يهوِّنَ عليه الطهور في الشتاء: فكان يُؤتى بالماء وله بخار.

وقال: أربع آيات في كتاب الله تعالى إذا ذكرتهنَّ لا أبالي على ما أصبحتُ أو أمسيتُ: ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

ونختم بمسك سيرته كما جاء عن أبي عبدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض - وهو ما كان من الغنيمة قبل أن يقسم - أقبل رجل بِحُقٍّ معه - الحُق: الوعاء - فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا له: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به. فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: مَنْ أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكنِّي أحمدُ الله وأرضى بثوابه، فأَتْبَعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس.

● **أحمد بن أبي الحواري:**

يكنى أحمد أبا الحسن، واسم أبي الحواري ميمون.

سكن دمشق، وكان له ابن يقال له: عبد الله من الزهاد، وأخ يقال له: محمد يشبهه في الورع والزهد. وأبوه أبو الحواري من أهل الورع، فبيتهم بيت الورع والزهد.

وكان الجُنيد يقول: أحمد ريحانة الشام. وحسبك بما قال الجنيد.

وذكر يحيى بن معين أحمد فقال: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به.

كذلك محمود بن خالد قال فيه: ما أظن بقي على وجه الأرض مثله.

ومن أقواله: من أحبَّ أن يعرف بشيء من الخير، أو يذكر به فقد أشرك في عبادته، ومن عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه.

وقال: إني لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية، فيحار عقلي فيها، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه، وتلذذوا به، واستحلَوا المناجاة به؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رُزِقوا.

وقال العباس بن حمزة: قال أحمد: كلما ارتفعتْ منزلةُ القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

أسند أحمد بن أبي الحواري عن حفص بن غياث وأبي معاوية ووكيع ونظرائهم. وتوفي سنة ثلاثين ومئتين.

● **خالد بن زيد الكاتب:**

أبو الهيثم، أصله من خراسان، شاعر مشهور، رقيق الشعر، كان من كتّاب الجيش.

ومن شعره:

عِشْ فحبُّكَ سريعاً قاتلي والهوى أن تصلني وأصلي
طفر الشوقُ والقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحلي
فهما من اكتئاب وضنى تركاني كالقضيب الذابل
وبكى العاذل من رحمته فبكائي لبكاء العاذلِ

توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ).

● **ثابت البناني:**

هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني، وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب.

ولد في خلافة معاوية، وحدث عن عبد الله بن عمر كما في مسلم، وغيره كما في البخاري والنسائي والترمذي.

كان من أئمة العلم والعمل، قال أنس بن مالك: إن للخير أهلاً وإن ثابتاً هذا من مفاتيح الخير.

وقال غالب القطان عن بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة.

وعن ابن أبي رزين: أن ثابتاً قال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعّمتُ بها عشرين سنة.

عن حماد بن سلمة قال: كان ثابت يقول: اللهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري.

ويقال: إنَّ هذه الدعوة استُجيبت له، وإنه رُئي بعد موته يصلي في قبره.

وكان بكّاءً حتى كاد البكاءُ يضرُّ بنظره، فقال جعفر بن سليمان: نهى الكحّال ثابتاً عن البكاء خشية ذهاب عينه، فقال: فما خيرهما إذا لم يبكيا؟!.

وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت وهو يصلي قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ...﴾ [الكهف: ٣٧] فأخذ ينتحب وهو يرددها.

روى البخاري في تاريخه الأوسط: أن ثابتاً ومالك بن دينار ومحمد بن واسع ماتوا سنة (١٢٣هـ).

● **علي بن بكار البصري الزاهد:**

يكنى أبا الحسن، سكن المصيصة مرابطاً وكان فقيهاً.

قال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلي، فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، لا علوتك الليلة، فكان يصلي الغداة بوضوء العتمة.

وسئل عن حبه للقاء حذيفة المرعشي ـ وكان من الصالحين ـ فكره ذلك وقال: أخاف أن أتصنَّعَ له، فأتزيّن لغير الله، فأسقط من عين الله عزَّ وجلّ.

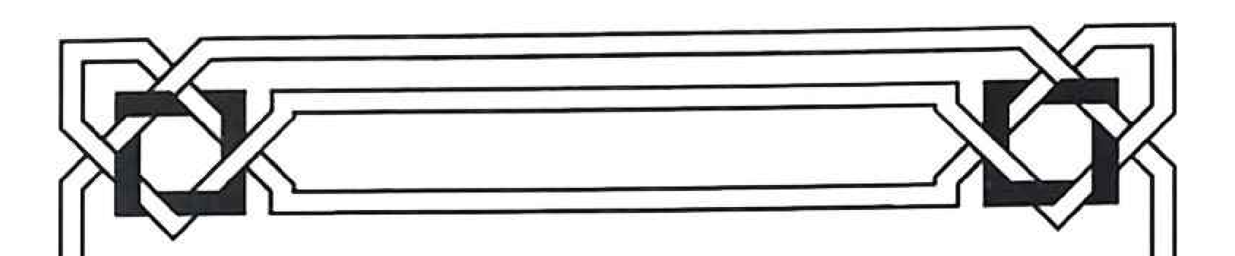
وقد استوصاه فيض بن إسحاق فقال: اتَّقِ اللهَ والزم بيتَك وأمسك لسانك، واترك مخالطة الناس تنزل عليك الحكمة من فوقك.

وخرج علي وأبو إسحاق الفزاري يحتطبان، فأبطأ علي حتى قام أبو إسحاق يبحث عنه في الجبل، فرآه جالساً وفي حجره رأس سبع وهو نائم يذب عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قعودك ههنا؟ فقال: لجأ إليَّ فرحمته، فأنا أنتظره لينتبه فألحقك.

هذا وقد طُعن فيما ذُكر في بعض مغازيه، فخرجت أمعاؤه على قربوس سرجه فردها إلى بطنه بالعمامة وقاتل.

صحب علي إبراهيم بن أدهم وتوفي بالمُصيصة سنة (١٩٩هـ). انظر ترجمته في: (صفة الصفوة) و(سير أعلام النبلاء).

* * *



الفهارس العامّة

١ ـ فهرس الآيات .

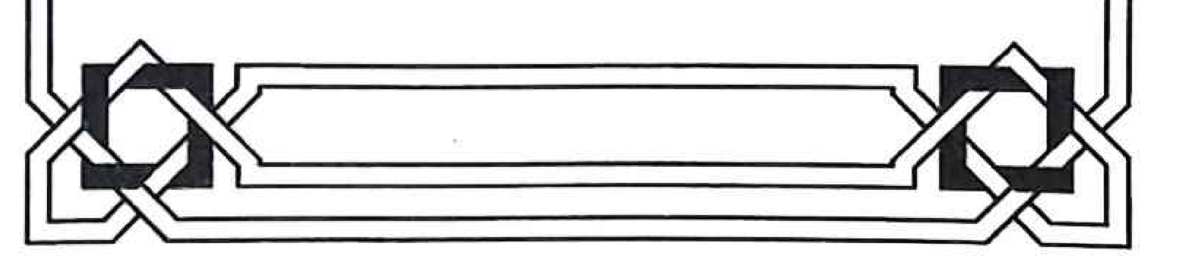
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار .

٣ ـ فهرس الشعر .

٤ ـ فهرس الموضوعات .

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم .

* * *



١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الفاتحة

ـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ٧٩
ـ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ ٩٠

البقرة

ـ ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ... ۝٢﴾ ٨٢
ـ ﴿عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ... ۝٥﴾ ٩٠
ـ ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ... ۝١٦﴾ .... ٩٤، ٣٣٦، ٥٧١
ـ ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ... ۝١٧﴾ ٦١
ـ ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... ۝١٩﴾ .... ٦١، ٧٢
ـ ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ... ۝٢٣﴾ .... ٦٧، ٢٢٦
ـ ﴿أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا... ۝٢٦﴾ ٦١
ـ ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ... ۝٢٨﴾ ١٠١
ـ ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ... ۝٢٩﴾ ٦٥
ـ ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ... ۝٣٠﴾ .... ٢٥٣، ٣٤١، ٣٧٢
٥١٣، ٥١٤، ٦١٩، ٦٨١
ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا... ۝٣١﴾ .... ٢٥٤، ٥٩٤
ـ ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ... ۝٣٢﴾ ١٦١
ـ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ... ۝٣٣﴾ .... ٣٤١، ٤٦٤، ٥٢٤
ـ ﴿ٱسۡجُدُواْ... ۝٣٤﴾ .... ٦٧، ١٦١، ٥٩٤، ٦٩٩
ـ ﴿ٱسۡكُنۡ... ۝٣٥﴾ .... ٦٥، ٦٩٩، ٧٣٧
ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ... ۝٣٧﴾ .... ٥٠٤، ٦٩٩، ٧٠٠
ـ ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا... ۝٣٨﴾ .... ٦٧، ٩٠، ٧٠١
ـ ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ... ۝٤٠﴾ ٩٩
ـ ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم... ۝٤٩﴾ ٦٨

- ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ... ﴿٥٠﴾ ﴾ ٧٦
- ﴿ لَن نُّؤْمِنَ... ﴿٥٥﴾ ﴾ ٢٠١
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ... ﴿٥٧﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا... ﴿٥٨﴾ ﴾ .... ٦٨، ٧٠، ٨٣
- ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا... ﴿٥٩﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .... ٦٥، ٧٣، ٣٩٣
- ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ... ﴿٦١﴾ ﴾ .... ٧٢، ٧٧، ٢٠١
- ﴿ وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ... ﴿٦٢﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٧٩
- ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... ﴿٦٤﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ... ﴿٧١﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا... ﴿٧٢﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا... ﴿٧٣﴾ ﴾ .... ٩٥، ٣٠٤
- ﴿ وَذِي الْقُرْبَىٰ... ﴿٨٣﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ... ﴿٩١﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴿١٠٤﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ... ﴿١٠٥﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا... ﴿١٠٦﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ... ﴿١١٨﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ... ﴿١٢٠﴾ ﴾ .... ٦٥، ٧٠
- ﴿ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ... ﴿١٢٤﴾ ﴾ ٤٨٢
- ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ .... ٦٥، ١١٦
- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا... ﴿١٢٧﴾ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا... ﴿١٢٨﴾ ﴾ ١٦٦
- ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ .... ٦٥، ٦٨
- ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ... ﴿١٣٧﴾ ﴾ ١٣٨
- ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ... ﴿١٤١﴾ ﴾ ٣٦٠
- ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴿١٤٣﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ... ﴿١٤٤﴾ ﴾ .... ٨٢، ٩٩

- ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (١٥٠) ٦٨٣
- ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٥٢) .... ٧٦٧، ٥٢٣، ٣٧٤
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ (١٥٥) .... ٣٨٢، ٢٩٤
- ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٧٠) ٦٥
- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١٧١) ٦١
- ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ (١٧٣) ٧٠
- ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ (١٧٩) .... ٢٠٢، ٦٣
- ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ (١٨٠) ٧٨
- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ﴾ (١٨٩) ١٠٢
- ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ (١٩٣) .... ٨١، ٦٨
- ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ (١٩٦) ٧٢
- ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ (١٩٧) ٨٤
- ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ ﴾ (٢٠٠) ٧٩
- ﴿ فِي ظُلَلٍ ﴾ (٢١٠) ٨٢
- ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ ﴾ (٢١٤) ٩٨
- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (٢١٩) ١٠٢
- ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ (٢٢٢) ٢٩٥
- ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ (٢٣٥) ٩٤
- ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (٢٣٧) .... ٦٠٣، ٤٩١، ٢٣٧، ٨٩
- ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ (٢٣٩) ٧٩
- ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ (٢٤٩) .... ٢٩٩، ٢٥٣
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ ﴾ (٢٥١) ٨٦
- ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٢٥٨) ١٧٢
- ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ (٢٥٩) .... ٨٣، ٧٢
- ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٢٦٠) ٦٣
- ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (٢٦١) ٦١
- ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ﴾ (٢٦٤) .... ٧٠، ٦١
- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ﴾ (٢٦٥) ٦١
- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ (٢٦٦) ٦١

- ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ... ﴾ (٢٦٧) ٨٩
- ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾ (٢٧٣) .... ٥٣٣، ٦٢٢
- ﴿ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ... ﴾ (٢٧٥) .... ٣٧، ٦١
- ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ ... ﴾ (٢٨٠) ٨٣
- ﴿ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ ... ﴾ (٢٨٢) .... ٧٢، ٧٧
- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾ (٢٨٤) ٨٥

آل عمران

- ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ... ﴾ (١٧) .... ٧٧، ٦٢٤
- ﴿ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ ... ﴾ (٢٦) .... ٧٧، ٧٨
- ﴿ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ... ﴾ (٣٦) ٢١٣
- ﴿ فَتَقَبَّلَهَا ... ﴾ (٣٧) .... ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧
- ﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ... ﴾ (٣٨) ٢١٧
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ ... ﴾ (٤٢) ٢١٥
- ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ... ﴾ (٤٤) .... ٢١٣، ٤١٣
- ﴿ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ... ﴾ (٥٢) ٢١٦
- ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ (٥٢) ٢١٦
- ﴿ وَمَكَرُواْ ... ﴾ (٥٤) ٢١٦
- ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ... ﴾ (٧٣) ٧٠
- ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ... ﴾ (٧٩) ٨٧
- ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ ... ﴾ (٨٤) .... ٦٥، ٦٨
- ﴿ كَانَ حِلّٗا ... ﴾ (٩٣) ٨٣
- ﴿ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ... ﴾ (٩٩) ٦٨
- ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ... ﴾ (١٠٣) .... ٦١، ٧٠١
- ﴿ أَكَفَرۡتُم ... ﴾ (١٠٦) .... ٥٩، ٦٠
- ﴿ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ ... ﴾ (١١٠) ٧٩
- ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ... ﴾ (١١٧) ٦١
- ﴿ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ ... ﴾ (١٢٦) .... ٦٨، ٧٠
- ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ ... ﴾ (١٣٣) ٧٥٧
- ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ... ﴾ (١٣٥) ٨٠

- ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ... (١٣٨)﴾ ٣٧
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ... (١٤٢)﴾ ١٠٠
- ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا... (١٥١)﴾ ٦٨
- ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ... (١٥٣)﴾ .... ٦٥، ٧٧
- ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ... (١٥٤)﴾ .... ٧٤، ٨٩
- ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ... (١٥٩)﴾ ٢٣٠
- ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ... (١٦٥)﴾ ٥٣٢
- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ... (١٧٣)﴾ ٩٤
- ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ... (١٧٨)﴾ .... ٥٧٣، ٧٣١
- ﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ... (١٧٩)﴾ ٨٥
- ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا... (٢٠٠)﴾ ٢٧٤

النساء

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ... (١)﴾ .... ٥٩، ٦٥
- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ ٧٢
- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ... (٥)﴾ ٥١٦
- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ... (٨)﴾ ٦١٨
- ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ ٧٨
- ﴿فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢)﴾ ٦٨
- ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ... (٣٤)﴾ ٤٧٨
- ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ... (٣٦)﴾ ٦٨
- ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ... (٤٢)﴾ .... ٧٣، ٧٧
- ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ... (٤٣)﴾ .... ٧٧، ٩٠، ٩٤، ٥٣٦
- ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ... (٥٨)﴾ ٧٤
- ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ... (٧٢)﴾ ٥٣٥
- ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا... (٧٧)﴾ ٨٧
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... (٨٣)﴾ ٨٦
- ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً... (٩٧)﴾ .... ٧٣، ٨٢
- ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا... (١٠١)﴾ ٨١
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ... (١١٣)﴾ ٨٦

- ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ... ﴾ (١٢٣) ٦٣
- ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ... ﴾ (١٢٩) ٤٧٨
- ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ... ﴾ (١٣٥) ٧٠
- ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ... ﴾ (١٤٢) ٩٩
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا... ﴾ (١٤٩) ٦٦
- ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ... ﴾ (١٦٤) ٢٥٤
- ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ... ﴾ (١٦٥) ٥٧٣
- ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ... ﴾ (١٧١) ٨٠

المائدة

- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ... ﴾ (٤) ٩٩
- ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ... ﴾ (٨) ٧٠
- ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾ (١٢) ٩٩
- ﴿ لَن نَّدْخُلَهَا... ﴾ (٢٢) ٢٠١
- ﴿ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ (٢٦) ٧٣
- ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ... ﴾ (٤١) ٨٢
- ﴿ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ... ﴾ (٥٢) ٧٤
- ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ... ﴾ (٥٤) .... ٣١٤، ٣٢٨، ٥٢٣، ٥٦٥
- ﴿ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ... ﴾ (٥٥) .... ٨٠، ٢٥٦
- ﴿ وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ... ﴾ (٦١) ٧٧
- ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ... ﴾ (٦٣) ٨٧
- ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ (٦٤) ٧٣
- ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ... ﴾ (٩٥) ٧٤
- ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ... ﴾ (١٠٤) ٦٥
- ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ... ﴾ (١٠٦) ٨١
- ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟... ﴾ (١٠٨) ٧٢

الأنعام

- ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ... ﴾ (٨) ٧٨
- ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ... ﴾ (١٧) .... ٧٨، ٨٣٣
- ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ... ﴾ (١٩) ٢٢٦

- ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ... ﴿٢٣﴾﴾ .... ٨١، ٩٠، ١٠١
- ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ... ﴿٣٧﴾﴾ ٨٧
- ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا... ﴿٤٣﴾﴾ ٨٧
- ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً... ﴿٤٤﴾﴾ ٧٤٢
- ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ... ﴿٥٠﴾﴾ ٦٩
- ﴿ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ... ﴿٧١﴾﴾ ٦١
- ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ... ﴿٧٣﴾﴾ ٧٧
- ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا... ﴿٨١﴾﴾ ٦٨
- ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ... ﴿٩٠﴾﴾ .... ٩٠، ١٦٥
- ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ... ﴿٩٣﴾﴾ ٧٣
- ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ... ﴿١٠٢﴾﴾ ٧٠
- ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ... ﴿١٤٥﴾﴾ ٧٠
- ﴿ أَوِ الْحَوَايَآ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ... ﴿١٤٦﴾﴾ ٧٢
- ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴿١٥١﴾﴾ .... ٦٦، ٧١
- ﴿ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا... ﴿١٦٠﴾﴾ ٧٤٤

الأعراف

- ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ اسْكُنْ... ﴿١٩﴾﴾ ٦٥
- ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا... ﴿٢٢﴾﴾ ٣٧٢
- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا... ﴿٢٣﴾﴾ .... ٥٩٤، ٦١٩
- ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ... ﴿٢٦﴾﴾ ٥٩
- ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ... ﴿٢٧﴾﴾ ٦٧٢
- ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... ﴿٢٩﴾﴾ ٥٩
- ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا... ﴿٣١﴾﴾ ٦٣
- ﴿ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم... ﴿٣٧﴾﴾ ٩٩
- ﴿ ادْخُلُوا فِىٓ أُمَمٍ... ﴿٣٨﴾﴾ ٨٢
- ﴿ هَدَىٰنَا لِهَٰذَا... ﴿٤٣﴾﴾ ٨٦
- ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ... ﴿٤٤﴾﴾ ١٠١
- ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ النَّارِ... ﴿٥٠﴾﴾ ١٠١
- ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ... ﴿٦٣﴾﴾ ٨٠

- ﴿ اَعْبُدُوا اللَّهَ ... ﴿٦٥﴾ ﴾ ١٦٩
- ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ... ﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ ... ﴿٨٠﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ... ﴿٨٦﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ... ﴿٨٩﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ .... ٦٩، ٧٤، ٩٧
- ﴿ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ... ﴿١٢٤﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ فَانتَقَمْنَا ... ﴿١٣٦﴾ ﴾ ٢٣١
- ﴿ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ... ﴿١٣٧﴾ ﴾ .... ٧٣، ٩٩
- ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ... ﴿١٤١﴾ ﴾ ٦٨
- ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ... ﴿١٤٢﴾ ﴾ .... ١٠٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
- ﴿ أَرِنِيٓ ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ .... ٢٨٩، ٦٨٥
- ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي الْأَلْوَاحِ ... ﴿١٤٥﴾ ﴾ ٣٩
- ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ... ﴿١٥٠﴾ ﴾ .... ٥٩، ٦٩، ١٩٠
- ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ... ﴿١٥٥﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ ... ﴿١٦٠﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .... ٦٨، ٧٠
- ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ... ﴿١٦٣﴾ ﴾ ٨٣
- ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ... ﴿١٧٢﴾ ﴾ .... ٢٥٧، ٢٦١، ٥١٨، ٥١٩، ٥٣٧، ٥٩٨
- ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ... ﴿١٧٦﴾ ﴾ .... ٦١، ٢٠٤
- ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ... ﴿١٨٨﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... ﴿١٨٩﴾ ﴾ ٦٥
- ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ... ﴿٢٠١﴾ ﴾ ٣٣٥
- ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ... ﴿٢٠٣﴾ ﴾ ٨٧

الأنفال

- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ... ﴿١﴾﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ... ﴿٢﴾﴾ ٦٣٢
- ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ... ﴿٨﴾﴾ ٧٧
- ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ... ﴿١٠﴾﴾ .... ٦٨، ٧٠
- ﴿ سَأُلْقِى... ﴿١٢﴾﴾ .... ٨٦، ٢٣٠
- ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟... ﴿١٩﴾﴾ ٢٣١
- ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا... ﴿٢٣﴾﴾ ٧٨
- ﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ... ﴿٢٤﴾﴾ ٥٧٩
- ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ... ﴿٣١﴾﴾ ١٠٢
- ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ... ﴿٤١﴾﴾ ٥٢٧
- ﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا... ﴿٤٢﴾﴾ ٧٤
- ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ... ﴿٦٨﴾﴾ ٨٦

التوبة

- ﴿ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ... ﴿٦﴾﴾ ٤٨١
- ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ... ﴿٢٤﴾﴾ ٧٤
- ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ... ﴿٣٢﴾﴾ ٦٦
- ﴿ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ... ﴿٣٣﴾﴾ ٧٩
- ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ... ﴿٣٦﴾﴾ ٧٩
- ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ... ﴿٣٩﴾﴾ ٦٩
- ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ... ﴿٤٠﴾﴾ ٦٦٠
- ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ... ﴿٤٧﴾﴾ ٦٣
- ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟... ﴿٤٩﴾﴾ ٨٢
- ﴿ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ... ﴿٥٠﴾﴾ ٧٤
- ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ... ﴿٦٢﴾﴾ ٩٥
- ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ... ﴿٦٦﴾﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ... ﴿٧٤﴾﴾ .... ٦٣، ٩٩

- ﴿ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ [٨١] ٤١٢
- ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ [٨٤] ٨١
- ﴿ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ ﴾ [٩٢] ٩٠
- ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [٩٤] ٩٩
- ﴿ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [١٠٢] ٣١٤
- ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [١٠٣] ٨١
- ﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [١٠٤] ٨١
- ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [١٠٨] ٥٨٤
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ ﴾ [١١١] .... ٧٧ ، ٥٨٣
- ﴿ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [١١٤] ١٠٠
- ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [١١٨] ٣٨٧
- ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ [١٢٣] ٢٧٨
- ﴿ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ ﴾ [١٢٦] ٨٢

يونس

- ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٣] ٧٤
- ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [٤] ٨٦
- ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم ﴾ [٩] ٣٢٨
- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ [١٢] .... ٧٥، ٨٦
- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ﴾ [١٩] ٨٦
- ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ [٢٠] ٨٨
- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ [٢٢] ٦٠
- ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٢٤] .... ٦١ ، ١٧١ ، ٢٦٥، ٥٦١
- ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [٢٥] ٧٠١
- ﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [٣٨] ٦٧
- ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [٥٩] ٧٣
- ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [٦٢] ٣٤٦
- ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ [٦٤] ١٠٠
- ﴿ وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [٧١] ١٠٠
- ﴿ لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً ﴾ [٨٥] ٨٢

- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ... ﴿٩٠﴾﴾ ٦٦
- ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ... ﴿٩٤﴾﴾ ٥٩
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ... ﴿٩٨﴾﴾ ٨٨

هود

- ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ... ﴿٦﴾﴾ .... ٧٣، ٨٣٣
- ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ... ﴿٨﴾﴾ ٨٥
- ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ... ﴿٩﴾﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ... ﴿١٢﴾﴾ ٨٨
- ﴿۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ... ﴿٢٤﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ... ﴿٣١﴾﴾ ٦٩
- ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ... ﴿٣٦﴾﴾ ١٦٧
- ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي... ﴿٣٧﴾﴾ ١٦٧
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا... ﴿٤٠﴾﴾ .... ٧٤، ١٦٧
- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ... ﴿٤٢﴾ لَا عَاصِمَ... ﴿٤٣﴾﴾ .... ٧٤، ٩٥، ١٣٤، ١٦٧، ٤٠٧، ٥٧٣
- ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي... ﴿٤٤﴾﴾ .... ٧٤، ١٦٨، ٦٣٧
- ﴿اهْبِطْ... ﴿٤٨﴾﴾ ٧٠١
- ﴿بِتَارِكِي آلِهَتِنَا... ﴿٥٣﴾﴾ ٨١
- ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ... ﴿٥٧﴾﴾ ٦٩
- ﴿أَلَا بُعْدًا... ﴿٦٠﴾﴾ ١٧٠
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ... ﴿٧٥﴾﴾ ٨٥
- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا... ﴿٧٧﴾﴾ .... ٦٩، ١٨٠
- ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي... ﴿٧٨﴾﴾ ١٨٠
- ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ... ﴿٧٩﴾﴾ ٧٧
- ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً... ﴿٨٠﴾﴾ ١٨٠
- ﴿فَأَسْرِ... ﴿٨١﴾﴾ .... ١٨٠، ١٨١
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً... ﴿٨٢﴾﴾ .... ٦٦، ١٨١
- ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ ١٨٣
- ﴿أَرَاكُم بِخَيْرٍ... ﴿٨٤﴾﴾ .... ٧٨، ١٩٢

- ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ... (٨٧)﴾ .... ٨١، ١٩٢
- ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)﴾ ١٩٩
- ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا... (٩١)﴾ .... ٨٢، ١٩٢
- ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ... (٩٥)﴾ .... ١٩٣، ٣٣٤
- ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ .... ٧٤، ١٠٣
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ... (١٠٢)﴾ ٧٤١
- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً... (١٠٣)(١٠٥)﴾ ٧٦٩
- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ... (١١٦)﴾ ٨٨

يوسف

- ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا... (٤)﴾ .... ٣٩، ١٨٤
- ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ... (٩)﴾ ١٨٥
- ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ... (١٠)﴾ ١٨٤
- ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا... (١١)﴾ ١٨٤
- ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم... (١٥)﴾ .... ١٨٤، ١٨٥
- ﴿عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)﴾ ١٨٤
- ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ... (١٨)﴾ ١٨٤
- ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ... (٢٠)﴾ .... ١٨٦، ٣٤٧
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ... (٢٢)﴾ ٦٩
- ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ... (٢٣)﴾ .... ٩٥، ٤٢٥
- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ... (٢٤)﴾ .... ٨٦، ١٨٤، ٢٤٨
٣٩٧، ٤٨٢، ٦٥٢
- ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ... (٢٥)﴾ .... ١٨٥، ٤٢٥
- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ... (٢٦)﴾ ١٨٥
- ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا... (٣٠)﴾ .... ٥١٣، ٦٨٦
- ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ... (٣١)﴾ .... ٥١٣، ٦٤٩
- ﴿فَاسْتَعْصَمَ... (٣٢)﴾ .... ١٨٥، ٦٥٢، ٦٨٦، ٧٠١
- ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ... (٤٢)﴾ ١٧٥
- ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)﴾ ٨٦

- ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ... ﴾ [٥١] .... ٩٧، ٤٢٥
- ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ... ﴾ [٥٢] .... ٩٠، ٩٧، ٢٩٩، ٤٣٧
- ﴿ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ... ﴾ [٥٣] ٧٠٥
- ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ... ﴾ [٥٥] ٧٣
- ﴿ مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ... ﴾ [٦٣] ١٨٦
- ﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ ... ﴾ [٧٠] ١٨٦
- ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ... ﴾ [٧٦] ٢٠٢
- ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ... ﴾ [٨٢] .... ٨٣، ٩٤
- ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ... ﴾ [٨٤] ٧٥٧
- ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ ... ﴾ [٨٥] ١٨٨
- ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ... ﴾ [٨٦] ٦٩٦
- ﴿ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ ... ﴾ [٨٧] .... ١٨٦، ٢٧٧، ٨٩١
- ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ... ﴾ [٨٨] .... ١٨٦، ١٨٧، ٥٧٩، ٦٨٦، ٧٦٧
- ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴾ [٩٢] .... ١٨٧، ٦٨٦
- ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي ... ﴾ [٩٣] ١٨٧
- ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ... ﴾ [٩٤] .... ١٨٧، ١٨٨

الرعد

- ﴿ ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٤] .... ٢٣٨، ٢٤٨
- ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ... ﴾ [٦] ٥٧١
- ﴿ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ... ﴾ [٧] .... ٨٨، ٩٠
- ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... ﴾ [١١] .... ٨٩، ٥٧٣
- ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ... ﴾ [١٣] .... ٢٤٨، ٢٤٩
- ﴿ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ ... ﴾ [١٤] .... ٦٢، ٧٣، ٧٧
- ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾ [١٧] .... ٦٢، ٥٠١
- ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ... ﴾ [٢٤] .... ٣٥٢، ٧٢٧
- ﴿ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ ... ﴾ [٣٥] ٦٢
- ﴿ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ... ﴾ [٣٧] ٦٥
- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ [٤٣] ١٠٢

إبراهيم

- ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ... ﴿١١﴾﴾ ٥٣٧
- ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴿١٨﴾﴾ .... ٦٢، ٧٠
- ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... ﴿٢٤﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ... ﴿٢٦﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ... ﴿٣٤﴾﴾ ٢٤٧
- ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ... ﴿٣٧﴾﴾ ١٦٥
- ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم... ﴿٤٤﴾﴾ ١٠٠
- ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ... ﴿٤٥﴾﴾ ١٠٠
- ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ... ﴿٤٦﴾﴾ ٤٣٦

الحجر

- ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ ١٠٢
- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ... ﴿١١﴾﴾ ٦٦
- ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ... ﴿١٢﴾﴾ ٦٦
- ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ... ﴿١٨﴾﴾ ٥٢٤
- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي... ﴿٢٩﴾﴾ ٣٤١
- ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ ٥٩
- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ .... ٩٠، ١٠٠
- ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ... ﴿٤٨﴾﴾ ٣٥٢
- ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ... ﴿٦٥﴾﴾ ٥٢٢
- ﴿هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي... ﴿٦٨﴾﴾ ٨٥
- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً... ﴿٧٤﴾﴾ ٦٦
- ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ... ﴿٨٨﴾﴾ ٤٨٥

النحل

- ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ... ﴿١﴾﴾ .... ٧٤، ٩٥
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ... ﴿٦﴾﴾ ٧٠١
- ﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ... ﴿٧﴾﴾ .... ٢٥٧، ٦٧٦
- ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ... ﴿١٤﴾﴾ .... ٧١، ٢٩١

- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ...﴾ (١٥) ٥٤٤
- ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ...﴾ (٢٤) ٣٤٦
- ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ...﴾ (٢٧) ٥٨٤
- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾ (٣٨) ١٠٠
- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...﴾ (٤١) ٨٠٤
- ﴿كُلِي...﴾ (٦٩) ٢١٥
- ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا...﴾ (٧٠) ٦٩
- ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢) ٦٩
- ﴿۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا...﴾ (٧٥) ٦٢
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ...﴾ (٧٦) ٦٢
- ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ...﴾ (٧٧) ٧٢
- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾ (٩٠) .... ٣٧، ٢٤٧
- ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ...﴾ (٩١) ٧٠١
- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا...﴾ (٩٢) ٢٧٩
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠) ٧٧
- ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ...﴾ (١٠٦) ٨٠٤
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً...﴾ (١١٢) .... ٦٢، ٨٣
- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا...﴾ (١١٨) ١٠٠
- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ (١٢٦) ٥٩
- ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) ٦٩

الإسراء

- ﴿أَسْرَى...﴾ (١) ٢٥٣
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ...﴾ (١١) ٧٥
- ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً...﴾ (٢٩) ٦٤
- ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ...﴾ (٣١) .... ٦٦، ٧١
- ﴿فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ٦٨
- ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ...﴾ (٣٥) ٤٧٨
- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾ (٤١) ٧١

- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ... (٤٤) ﴾ ٢٤٧
- ﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) ﴾ ٩٥
- ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ... (٥٨) ﴾ ٨٣
- ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ... (٦٤) ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ... (٧٢) ﴾ ٢٧٨
- ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ... (٧٤) ﴾ .... ٨٦، ٧٣٣
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ... (٨٥) ﴾ ٨٠
- ﴿ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ... (٨٨) ﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ... (٩٢) ﴾ ١٠٢
- ﴿ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ... (٩٤) ﴾ ٩٠
- ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا... (٩٦) ﴾ ٧١
- ﴿ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) ﴾ ٩٥
- ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ... (١١٠) ﴾ ٨١

الكهف

- ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا... (٢) ﴾ ٩٤
- ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ .... ٩٠، ٢٢١
- ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم... (١٥) ﴾ ٨٨
- ﴿ بِالْوَصِيدِ... (١٨) ﴾ ٢٢١
- ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ... (١٩) ﴾ ٢٢١
- ﴿ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ... (٢٥) ﴾ ٢٢٠
- ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... (٢٨) ﴾ ٣٤٨
- ﴿ مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ... (٣١) ﴾ .... ٨٩، ٢٤٠
- ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ... (٣٦) ﴾ ٦٦
- ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ... (٣٧) ﴾ ٨٣٦
- ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ... (٣٩) ﴾ ٨٨
- ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... (٤٥) ﴾ ٦٢
- ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ... (٥٠) ﴾ .... ٣٤١، ٥٢٤
- ﴿ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ... (٥٤) ﴾ ٧١

- ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (٥٧) ٦٦
- ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (٥٩) .... ٧٣٠، ٧٤١
- ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ (٦١) ٩٥
- ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ (٦٦) ٢٠١
- ﴿لَن﴾ (٦٧) ٢٠١
- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ (٦٨) .... ١٧٢، ٢٠١
- ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ (٧١) ٢٠٢
- ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ (٧٧) ٩٤
- ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ (٧٨) .... ٢٠١، ٢٨٦، ٤١٣، ٦٩٥
- ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ (٧٩) ٤٠١
- ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (٨٢) ٢٠٢
- ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣) ٨٠
- ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (٨٥) ١٧٦
- ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٩٤) ٧٣
- ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ (٩٥) ٦١٩
- ﴿انفُخُوا﴾ (٩٦) .... ٤٢٠، ٦١٩
- ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ (٩٧) .... ١٧٦، ٦١٩
- ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ (١٠١) ٣١١

مريم

- ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ (٤) ٢١٨
- ﴿يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ (١٥) ٢١٩
- ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ (١٧) .... ٨٠، ٢١٤
- ﴿إِنِّي أَعُوذُ﴾ (١٨) ٢١٤
- ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (١٩) ٢١٤
- ﴿أَنَّىٰ﴾ (٢٠) ٢١٥
- ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ (٢١) ٢١٨
- ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ (٢٣) .... ٢١٤، ٢١٥
- ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ (٢٤) ٢١٤
- ﴿وَهُزِّي﴾ (٢٥) .... ١٩٥، ٢١٥

- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ... ﴿٢٧﴾﴾ ٢١٥
- ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ... ﴿٢٨﴾﴾ ٢١٥
- ﴿مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ .... ٨٣، ٢١٥
- ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ... ﴿٣٠﴾﴾ ٢١٥
- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى... ﴿٣٢﴾﴾ ٢١٥
- ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ... ﴿٤٧﴾﴾ ١٠٠
- ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾ ٩٥
- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ... ﴿٦٧﴾﴾ ٧٥
- ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا... ﴿٧١﴾﴾ ٣٥١
- ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ ٨٤
- ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ... ﴿٧٩﴾﴾ ٨٤
- ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴿٨١﴾﴾ ٨٤
- ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ... ﴿٨٢﴾﴾ ٨٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ... ﴿٨٣﴾﴾ ١٠٠
- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ... ﴿٨٤﴾﴾ ٥٧٣
- ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ... ﴿٨٥﴾﴾ ٣٥١

طه

- ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ... ﴿١٠﴾﴾ ٣٢٩
- ﴿نُودِىَ... ﴿١١﴾﴾ ١٩٦
- ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ ٩٥
- ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ... ﴿٣٩﴾﴾ ١٩٤
- ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ... ﴿٤١﴾﴾ ١٩٤
- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا... ﴿٤٤﴾﴾ ١٠٠
- ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ... ﴿٤٧﴾﴾ ٦٦
- ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ ٥٩
- ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ ٩٠
- ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا... ﴿٥٣﴾﴾ ٦٦
- ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ... ﴿٦٦﴾﴾ ٦٩
- ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ... ﴿٧١﴾﴾ .... ٦٦، ٨٢

- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ... (٧٨)﴾ ٦٦
- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ... (٨٢)﴾ ٦٧٥
- ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ... (٩٤)﴾ .... ٦٩، ١٠٠
- ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ... (١٠٨)﴾ ٨٦
- ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ... (١١٦)﴾ ٦٨٠
- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ... (١١٧)﴾ .... ٥٩، ٦٨٠
- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا... (١١٨)﴾ ٥٠٣
- ﴿وَعَصَىٰٓ... (١٢١)﴾ .... ٥٩٤، ٦٥٢
- ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ... (١٢٣)﴾ ٦٧
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى... (١٢٤)﴾ ٨٠
- ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ... (١٣٣)﴾ ٨٨
- ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا... (١٣٤)﴾ ٨٨

الأنبياء

- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ... (٢)﴾ ٨٠
- ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ... (١٠)﴾ ٨٠
- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ... (١١)﴾ ٧٤١
- ﴿لَا يُسْـَٔلُ... (٢٣)﴾ .... ٢٤٧، ٣٨٩، ٤٦٥
- ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ... (٣٦)﴾ ٨٠
- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ... (٤٦)﴾ ٥٧٣
- ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ... (٥١)﴾ ١٧٢
- ﴿حَرِّقُوهُ... (٦٨)﴾ ٣٤٧
- ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا... (٦٩)﴾ .... ١٧٢، ٤٣٠
- ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا... (٧٠)﴾ ٦٧
- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ... (٧٣)﴾ ٧٨
- ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ... (٧٧)﴾ ٨٩
- ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ... (٨٧)﴾ ١٠٠
- ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا... (٨٩)﴾ ٢١٨
- ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا... (٩١)﴾ ٨٠

- ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ (٩٣) ٦٧
- ﴿ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ (١٠١) .... ١٩٤، ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٧٢
- ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ﴾ (١٠٣) ٣٧٧
- ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا ﴾ (١٠٥) ٧٣

الحج

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ (٤) ٦٤
- ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ (٥) ٦٩
- ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ ﴾ (٩) ٣٠٩
- ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ (١٧) ٧٠
- ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ (٢٢) .... ٦٩، ٤١٥
- ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٢٦) .... ٦٥، ١٦٦
- ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ (٢٧) ٢٥٧
- ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٣١) ٦٢
- ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ (٣٦) ٧٨
- ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾ (٣٩) ١٢٤
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ (٤٠) .... ٨١، ٨٦
- ﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ (٤٥) ٧٤١
- ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (٦٢) ٦٩
- ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ ﴾ (٧٣) ٦٢
- ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ (٧٨) .... ٧٠، ٨٢

المؤمنون

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ (١٢) .... ٧٥، ٩٤
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ (١٣) ٩٤
- ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾ (٢٠) ٩٤
- ﴿ أَنِ ٱصْنَعِ ﴾ (٢٧) ١٦٧
- ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم ﴾ (٥٣) ٦٧
- ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (٧٠) ٧٨
- ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (٧١) ٧٨
- ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم ﴾ (٧٥) ١٠٣

- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا... (٨٣)﴾ ٧١
- ﴿لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ... (٨٤)﴾ ٢٤٧
- ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ... (٩٩)﴾ .... ٤١٥، ٤٥٤، ٥١٧، ٥٣٠، ٥٦٢
- ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ... (١٠٠)﴾ .... ٨٤، ٤١٥، ٤٥٤
- ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا... (١٠٦)﴾ ٣٤٦
- ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩)﴾ ٧٨
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا... (١١٥)﴾ ٥٧٧

النور

- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ... (٢)﴾ ٧٩
- ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ... (١٢)﴾ .... ٧٨، ٨٨
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ... (٢٠)﴾ ٨٦
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ... (٢١)﴾ .... ٨٦.
- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ... (٢٥)﴾ ٧٩
- ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟... (٣٠)﴾ ٥٤٣
- ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا... (٣٣)﴾ ٧٨
- ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ... (٣٥)﴾ .... ٦٢، ٤٦٣
- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ... (٣٧)﴾ ٢٧٢
- ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ... (٣٩)﴾ ٦٢
- ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ... (٤٠)﴾ ٧٦٠
- ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ... (٥٨)﴾ ٨٦
- ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ... (٦٣)﴾ .... ٨٢.

الفرقان

- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ... (٧)﴾ .... ٨٨، ١٠٢
- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... (٢٠)﴾ .... ١٠٢، ٤٣٢
- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ... (٢١)﴾ ٨٨
- ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا (٢٩)﴾ ٧٥
- ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً... (٣٢)﴾ ٨٨
- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ... (٤٠)﴾ ٨٣

- ﴿ لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ... ﴿٤٢﴾ ﴾ ٨٦
- ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ ٧٧
- ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ ١٠٢
- ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٨٦

الشعراء

- ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ بِسِحْرِهِۦ ... ﴿٣٥﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .... ٦٩.
- ﴿ لَا ضَيْرَ ... ﴿٥٠﴾ ﴾ .... ٣٨٢، ٤٣٢
- ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ... ﴿٦٢﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ... ﴿٦٣﴾ ﴾ ٩٤
- ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ... ﴿٦٤﴾ ﴾ ٥٤٩
- ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ لَّهَا شِرْبٌ ... ﴿١٥٥﴾ ﴾ ١٧١
- ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا ... ﴿١٥٦﴾ ﴾ ١٧١
- ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا ... ﴿١٨٧﴾ ﴾ ١٩٢
- ﴿ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ... ﴿١٨٩﴾ ﴾ ١٩٢
- ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ... ﴿٢٠٠﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ ... ﴿٢٢٥﴾ ﴾ ٩٤

النمل

- ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ... ﴿١٢﴾ ﴾ ٦٧٥
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ ٣٠
- ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ... ﴿١٨﴾ ﴾ ٢١٠
- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... ﴿١٩﴾ ﴾ .... ٢١٠.
- ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ... ﴿٢١﴾ ﴾ ٢١٠
- ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢١٠
- ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴿٢٥﴾ ﴾ ٨٢

- ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ . . . ﴿٣٣﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ . . . ﴿٣٤﴾ ﴾ ٩٧
- ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ . . . ﴿٣٥﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ . . . ﴿٣٦﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا . . . ﴿٣٨﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ . . . ﴿٤٠﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ نَكِّرُواْ . . . ﴿٤١﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ . . . ﴿٤٢﴾ ﴾ ٢١١
- ﴿ ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ . . . ﴿٤٤﴾ ﴾ . . . . ٢١١، ٢١٢
- ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ . . . ﴿٤٥﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ . . . ﴿٤٦﴾ ﴾ ٨٨
- ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً . . . ﴿٥٢﴾ ﴾ ٤٦٤
- ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا . . . ﴿٦٨﴾ ﴾ ٧١
- ﴿ وَلَا تَكُن . . . ﴿٧٠﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ رَدِفَ لَكُم . . . ﴿٧٢﴾ ﴾ ٨٥
- ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ . . . ﴿٨٧﴾ ﴾ ٦٧
- ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ . . . ﴿٨٨﴾ ﴾ ٤٧٧

القصص

- ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ . . . ﴿٥﴾ ﴾ . . . . ١، ١٩٥
- ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ . . . ﴿٧﴾ ﴾ . . . . ١٩٤، ٢٠٢
- ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا . . . ﴿٨﴾ ﴾ . . . . ٨٦، ١٩٤
- ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ . . . ﴿٩﴾ ﴾ ١٩٤
- ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ . . . ﴿١٠﴾ ﴾ . . . . ٨٧، ١٩٥، ٣٤٨
- ﴿ قُصِّيهِ . . . ﴿١١﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا . . . ﴿١٢﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا . . . ﴿١٣﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ . . . ﴿١٤﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ فَوَكَزَهُۥ . . . ﴿١٥﴾ ﴾ . . . . ٢٠٢، ٥٧٨

- ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ... ﴿٢٠﴾ ﴾ ٧١
- ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ... ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ... ﴿٢٣﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ... ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ إِنَّ أَبِي... ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي... ﴿٢٧﴾ ﴾ ٤٢٦
- ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ... ﴿٢٩﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا... ﴿٣٠﴾ ﴾ ١٩٥
- ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ... ﴿٤٧﴾ ﴾ .... ٨٧، ٨٨
- ﴿ لَوْلَآ أُوتِيَ... ﴿٤٨﴾ ﴾ ٨٨
- ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ... ﴿٥٧﴾ ﴾ ٩٠
- ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم... ﴿٦٠﴾ ﴾ ٦٧
- ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ... ﴿٦٨﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٩٨
- ﴿ فَبَغَىٰ... ﴿٧٦﴾ ﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَٱبْتَغِ... ﴿٧٧﴾ ﴾ ٢٠٥
- ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ... ﴿٨١﴾ ﴾ ٢٠٥
- ﴿ وَيَقْدِرُ... ﴿٨٢﴾ ﴾ .... ٧٠، ٨٧
- ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ... ﴿٨٣﴾ ﴾ ٨٠٦

العنكبوت

- ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا... ﴿٢﴾ ﴾ ٥٥٧
- ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٣﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ... ﴿٨﴾ ﴾ ٧٥
- ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ... ﴿١٠﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴿١٤﴾ ﴾ ١٦٧
- ﴿ فَٱبْتَغُوا عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ... ﴿١٧﴾ ﴾ ٣٥٦
- ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ... ﴿٣٣﴾ ﴾ ٦٩
- ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً... ﴿٣٥﴾ ﴾ .... ٦٧، ١٨٣
- ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ... ﴿٤٠﴾ ﴾ .... ١٠٠، ٧٤٢

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . . ﴿٤١﴾﴾ .... ٦٢، ٣٨٠
- ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ . . . ﴿٥٠﴾﴾ ٨٨
- ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا . . . ﴿٥٢﴾﴾ ٧١
- ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى . . . ﴿٥٣﴾﴾ ٨٧
- ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ . . . ﴿٦٢﴾﴾ ٧٠
- ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ . . . ﴿٦٤﴾﴾ ٥٥٦
- ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .... ٦٩، ٤٨١

الروم

- ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ . . . ﴿٣﴾﴾ ٧٣
- ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ . . . ﴿٢٨﴾﴾ ٦٢
- ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ . . . ﴿٣٩﴾﴾ ٦٠
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ . . . ﴿٤٠﴾﴾ ٥٩
- ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ . . . ﴿٤٤﴾﴾ ٢٧٨

لقمان

- ﴿وَمَن يَشْكُرْ . . . ﴿١٢﴾﴾ ٧٠
- ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ . . . ﴿٣٠﴾﴾ ٧٠
- ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا . . . ﴿٣٣﴾﴾ ٦٧٢

السجدة

- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا . . . ﴿١٣﴾﴾ ٣٨٩
- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ . . . ﴿١٦﴾﴾ .... ٢٧٢، ٤٦٢، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٢٣، ٦٢٢، ٦٢٤
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ . . . ﴿١٧﴾﴾ ٦٢٢
- ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ . . . ﴿٢١﴾﴾ ٧٢
- ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ . . . ﴿٢٢﴾﴾ ٦٦

الأحزاب

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ . . . ﴿١﴾﴾ ٩٤
- ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . . . ﴿١١﴾﴾ ٢٩٤

- ﴿ مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ . . . ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ . . . ﴿٢٣﴾ ﴾ . . . . ٥٨٢، ٦١٣
- ﴿ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا . . . ﴿٢٥﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ . . . ﴿٢٧﴾ ﴾ ٧٤
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ . . . ﴿٤٥﴾ ﴾ ٥٩
- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا . . . ﴿٥٤﴾ ﴾ ٦٦
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ . . . ﴿٥٦﴾ ﴾ ٨١
- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ . . . ﴿٧٢﴾ ﴾ ٥١٣

سبأ

- ﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ . . . ﴿٩﴾ ﴾ ١٠٢
- ﴿ أَوِّبِى . . . ﴿١٠﴾ ﴾ . . . . ٢٠٧، ٢٦٧، ٦٤٨
- ﴿ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ . . . ﴿١١﴾ ﴾ . . . . ٢٠٧، ٧١٥
- ﴿ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا . . . ﴿٢٧﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ . . . ﴿٣١﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم . . . ﴿٣٧﴾ ﴾ ٢٥٩
- ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ . . . ﴿٥٤﴾ ﴾ . . . . ٥٧١، ٦٧١

فاطر

- ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ . . . ﴿٢﴾ ﴾ ٨٣٣
- ﴿ فِيهِ مَوَاخِرَ . . . ﴿١٢﴾ ﴾ ٧١
- ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم . . . ﴿٣٧﴾ ﴾ ٣٣٤
- ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ . . . ﴿٤٠﴾ ﴾ ٨٩

يس

- ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ ١٠٢
- ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا . . . ﴿١٣﴾ ﴾ ٨٣
- ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ . . . ﴿٢٠﴾ ﴾ ٧١
- ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ . . . ﴿٢٦﴾ ﴾ ٣٦٠
- ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا . . . ﴿٥٢﴾ ﴾ ٩٧
- ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ . . . ﴿٦٠﴾ ﴾ ٧٣٠

- ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا . . ﴿٧٠﴾ ﴾ ٤٨١

الصافات

- ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . . ﴿٨﴾ ﴾ ٢٥١
- ﴿ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ٩٠
- ﴿ وَقِفُوهُمْ . . ﴿٢٤﴾ ﴾ ٥٨٤
- ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ . . ﴿٣١﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي . . ﴿٥٧﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ . . ﴿٧٥﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ٧٠
- ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ . . ﴿٩٣﴾ ﴾ ١٧٢
- ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا . . ﴿٩٨﴾ ﴾ ٦٧
- ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ . . ﴿١٠٢﴾ ﴾ ١٧٤
- ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ ١٧٥
- ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ . . ﴿١٠٥﴾ ﴾ ١٧٥
- ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ١٧٥
- ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ . . ﴿١٤١﴾ ﴾ ٤١٣
- ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ ٨٧
- ﴿ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ ٧٢
- ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا . . ﴿١٧١﴾ ﴾ ١٠١

صٓ

- ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . . ﴿٣﴾ ﴾ ٥٧٣
- ﴿ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ . . ﴿٦﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ خَصْمَانِ . . ﴿٢٢﴾ ﴾ ٢٠٨
- ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ . . ﴿٢٤﴾ ﴾ ٢٠٨
- ﴿ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ . . ﴿٣٢﴾ ﴾ .... ٧٩، ٨٠، ٩٤
- ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ . . ﴿٣٦﴾ ﴾ ٤٣٦

- ﴿ مَسَّنِيَ... ﴿٤١﴾ ﴾ ١٩٠
- ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ... ﴿٤٢﴾ ﴾ .... ١٩٠، ٢٤٨، ٣٢٠، ٤٤٠
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ... ﴿٤٣﴾ ﴾ ٧٤٩
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا... ﴿٤٤﴾ ﴾ .... ١٩١، ٧٤٩
- ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم... ﴿٤٦﴾ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... ﴿٧٥﴾ ﴾ ٢٥٠
- ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ... ﴿٧٦﴾ ﴾ ١٦٣
- ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي... ﴿٧٨﴾ ﴾ ٧٤٤
- ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ... ﴿٨٨﴾ ﴾ ٥٦٠

الزمر

- ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ... ﴿٦﴾ ﴾ ٧٣
- ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا... ﴿٢٩﴾ ﴾ ٦٢
- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ... ﴿٣٠﴾ ﴾ ٨٠٠
- ﴿ يَتَوَفَّى... ﴿٤٢﴾ ﴾ ٦٢٢
- ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ... ﴿٤٧﴾ ﴾ .... ٣٨٨، ٨١٠
- ﴿ لَا تَقْنَطُوا... ﴿٥٣﴾ ﴾ .... ١٨٦، ٢٤٧
- ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ... ﴿٥٦﴾ ﴾ .... ٣١٠، ٥٧٣
- ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ... ﴿٦٠﴾ ﴾ ٩٩
- ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ... ﴿٦٨﴾ ﴾ ٦٧
- ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا... ﴿٦٩﴾ ﴾ ٣٦٥
- ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا... ﴿٧٣﴾ ﴾ ٣٥١

غافر / المؤمن

- ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ... ﴿١١﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ... ﴿١٥﴾ ﴾ ٢٤٧
- ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ... ﴿٢٦﴾ ﴾ ٤٩٤
- ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ١٠٣
- ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ ﴾ ١٠١

﴿ ... ﴿٣٣﴾ ٥٢٦

ـ ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ... ﴿٤٤﴾ ٧٢٩

فصلت

ـ ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ... ﴿١٢﴾ .... ٦٥، ٦٤٤

ـ ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ... ﴿١٥﴾ ١٦٩

ـ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ... ﴿٢٠﴾ ٤١٤

ـ ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ... ﴿٢٤﴾ ١٠٣

ـ ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ... ﴿٣٠﴾ .... ١٠٠، ٣٠٤

ـ ﴿ مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ ... ﴿٣١﴾ ٣٥٢

ـ ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ... ﴿٣٩﴾ ٤٩٠

ـ ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ... ﴿٤٤﴾ ٨٨

ـ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ... ﴿٤٦﴾ ٤١٢

ـ ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ... ﴿٥٠﴾ ٦٦

ـ ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ... ﴿٥٢﴾ ٦٧

الشورى

ـ ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴿٥﴾ .... ١٦٣، ٥١٢، ٧٤٤

ـ ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ ... ﴿٧﴾ ٤٢٢

ـ ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ... ﴿٢١﴾ ٨٧

ـ ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ... ﴿٢٨﴾ ٧٢

ـ ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم ﴿٣٦﴾ ٦٧

الزخرف

ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ ... ﴿٧﴾ ٦٦

ـ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ... ﴿١٠﴾ ٦٦

ـ ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ... ﴿١٥﴾ ٧٥

ـ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا ... ﴿٢٢﴾ ١٧٢

ـ ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ... ﴿٣١﴾ .... ٨٣، ٨٨، ١٠٣

ـ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ ... ﴿٤٤﴾ ٨٠

- ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ . . . ﴾ [٥١] .... ٤٢٥، ٤٣٦
- ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ . . . ﴾ [٥٣] ٨٨
- ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا . . . ﴾ [٧٧] ٦٩٥
- ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [٨٠] ٦٣

الدخان

- ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ . . . ﴾ [١٢] ١٠٣
- ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ . . . ﴾ [٢٩] ٦٨٩
- ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ . . . ﴾ [٣٧] ٧٩

الجاثية

- ﴿ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ . . . ﴾ [٢٣] ٥٩٠

الأحقاف

- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾ [١١] .... ٦٤، ٦٧
- ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ . . . ﴾ [١٥] .... ٧٥، ٣٢٩
- ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا . . . ﴾ [٢٤] ١٦٩
- ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ . . . ﴾ [٢٦] ١٦٩
- ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا . . . ﴾ [٢٨] ٨٨

محمد

- ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً . . . ﴾ [٤] .... ٢٧٨، ٤٨١
- ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ . . . ﴾ [١٥] ٦٣
- ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ . . . ﴾ [٢٠] .... ٦٣، ٨٨
- ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] ٣٣٥
- ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ . . . ﴾ [٣١] ٣٤٧
- ﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ . . . ﴾ [٣٨] ٨١

الفتح

- ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ . . . ﴾ [٣] ٢٣١
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا . . . ﴾ [٨] ٦٠
- ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ . . . ﴾ [٩] ٩٨

- ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ... ﴾ [٢٥] ٨٧
- ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ... ﴾ [٢٩] ٦٣

الحجرات

- ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ... ﴾ [٧] ٦٠
- ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ... ﴾ [١٦] ٧٩

قٓ

- ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ... ﴾ [٥] ٧٧
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ... ﴾ [١٦] ٧٥
- ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ... ﴾ [٣٥] ٣٥٢

الذاريات

- ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ [١٣] ﴾ ٨٢
- ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ... ﴾ [٣٩] ٧٧
- ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ... ﴾ [٥٠] ٤٦٨

الطور

- ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا... ﴾ [١٥] ٣٠
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ... ﴾ [٣٣] ١٠٣

النجم

- ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ... ﴾ [٩] ٧٢
- ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ [٣٤] ﴾ ٦٤
- ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ [٣٧] ﴾ .... ١٦٦، ٤٨٢

القمر

- ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ [١٠] ﴾ ١٠١
- ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ... ﴾ [٢٠] ١٧٠
- ﴿ فَتَعَاطَىٰ... ﴾ [٢٩] ١٧١
- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ... ﴾ [٤٤] ١٠٣
- ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ... ﴾ [٥٥] ٥٦٥

الرحمن

- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ ١٠٢
- ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ ٩٥
- ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ... ۝١٩﴾ ٣٤١
- ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٢٢﴾ ٩٥
- ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ .... ١٨٣، ٧٣٠
- ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ... ۝٢٧﴾ ٧٦٢

الواقعة

- ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦﴾ ٨٤
- ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ۝٧٠﴾ ٨٨
- ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ... ۝٧٣﴾ ٧٢٠
- ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣﴾ ٨٨
- ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ... ۝٨٦﴾ ٨٨
- ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ... ۝٨٩﴾ ٨٠

الحديد

- ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ... ۝٣﴾ ٢٤٥
- ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ... ۝١٣﴾ ٩٩
- ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ۝١٦﴾ ٧٨٦
- ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ... ۝٢٣﴾ ٦٥
- ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ... ۝٢٥﴾ ٧٣

المجادلة

- ﴿قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ... ۝٣﴾ ٣٥١
- ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ... ۝٧﴾ ٢٤٧
- ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ... ۝٨﴾ ٨٩
- ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ... ۝٢٢﴾ .... ٢٢٠، ٢٧٣، ٣٤١

الحشر

- ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ...﴿٢﴾﴾ ٨٦
- ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ...﴿٣﴾﴾ ٨٧
- ﴿وَيُؤْثِرُونَ...﴿٩﴾﴾ ٥٥٧
- ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴿١٨﴾﴾ ٥١٨

الصف

- ﴿لِيُطْفِـُٔوا۟...﴿٨﴾﴾ ٦٦
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ...﴿٩﴾﴾ ٢٥٠

الجمعة

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ...﴿٥﴾﴾ ٦٣
- ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴿٩﴾﴾ .... ٨٠، ٨١
- ﴿ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا...﴿١١﴾﴾ ٩٥

المنافقون

- ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ...﴿١٠﴾﴾ ٨٩

الطلاق

- ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ...﴿٦﴾﴾ ٤٧٨
- ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ ٨٣٣

التحريم

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴿٧﴾﴾ ٥٩
- ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...﴿٨﴾﴾ ٢٥١
- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴿١٠﴾﴾ ٦٣
- ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴿١١﴾﴾ ٦٣

الملك

- ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ...﴿٨﴾﴾ ٣٥١
- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ...﴿١٤﴾﴾ ٦٩٩
- ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا...﴿١٥﴾﴾ .... ١٦٤، ٤١٢

القلم

- ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ ﴾ ١٠٢
- ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ ﴾ ٨٢
- ﴿ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ٨٩
- ﴿ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٠١
- ﴿ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ . . . ﴿٤٩﴾ ﴾ ٨٧

الحاقة

- ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ ﴾ ١٧٠

المعارج

- ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ ﴾ ٥١٧
- ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ . . . ﴿١٥﴾ ﴾ ٨٤
- ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ ٣٥١
- ﴿ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ ٥٤٩
- ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٨
- ﴿ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ . . . ﴿٣٩﴾ ﴾ ٨٤

نوح

- ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ . . ﴿١٥﴾ ﴾ ١٠٠
- ﴿ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي . . . ﴿٢١﴾ ﴾ ١٦٧
- ﴿ لَا تَذَرۡ . . . ﴿٢٦﴾ ﴾ .... ١٦٧، ٢٢٦
- ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا . . . ﴿٢٧﴾ ﴾ ٦٤

الجن

- ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ ﴾ .... ٢٥١، ٣٤٦

المزمل

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ ٢٥١
- ﴿ قُمِ . . . ﴿٢﴾ ﴾ ٢٥١
- ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ ٧١٠
- ﴿ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ . . . ﴿١٣﴾ ﴾ ٦٣٨

المدثر

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ ٢٥٣
- ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ... ۝١٦ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢ ﴾ ٨٤
- ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ... ۝٣٨ ﴾ ٤١٤
- ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ ﴾ ٤١٤
- ﴿ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢ كَلَّا ... ۝٥٣ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ ﴾ .... ٦٧، ٨٤

القيامة

- ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ... ۝٣ ﴾ ٧٦
- ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا ... ۝١١ ﴾ ٨٤
- ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا ... ۝٢٠ ﴾ ٨٤
- ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ ﴾ ٨٤

الإنسان

- ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... ۝٦ ﴾ ٧٧
- ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ... ۝٨ ﴾ ٢٤٠
- ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ... ۝٩ ﴾ .... ٨٦، ٢٤٠
- ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا ... ۝١٣ ﴾ ٢٤٠
- ﴿ فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ... ۝٢١ ﴾ ٦٠
- ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا ... ۝٢٤ ﴾ ٧٢

النبأ

- ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ ٨٥

النازعات

- ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ... ۝٣٥ ﴾ ٧٠

عبس

- ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ ﴾ .... ٦٧، ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾ ٨٥

ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ ٧٦

التكوير

ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ... ﴿٢﴾﴾ ٧٠٦

الانفطار

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ... ﴿٦﴾﴾ .... ٥٩، ٧٦، ٣٧٢
ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ ٨٥

المطففين

ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ... ﴿٧﴾﴾ ٨٥
ـ ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ ٨٤
ـ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ... ﴿١٤﴾﴾ .... ٨٤، ٣٣٥، ٧٤٩
ـ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ... ﴿١٥﴾﴾ ٨٥
ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ... ﴿١٨﴾﴾ ٨٥
ـ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ... ﴿٣٦﴾﴾ ٢٣١

الانشقاق

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ... ﴿٦﴾﴾ ٧٦
ـ ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ ٧٦٠
ـ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ ٨١

الطارق

ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ ٧٦
ـ ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ ٨٥

الغاشية

ـ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ ٥١٨

الفجر

ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ... ﴿١٥﴾﴾ ٧٦
ـ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا... ﴿١٧﴾﴾ ٨٤

- ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ... ﴿٢١﴾﴾ ٨٥
- ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ... ﴿٢٣﴾﴾ ٧٠

البلد

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ ٧٦

الشمس

- ﴿فَدَمْدَمَ... ﴿١٤﴾﴾ ١٧١

الشرح

- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ... ﴿١﴾﴾ ٢٢٤

التين

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ... ﴿٤﴾﴾ ٧٦

العلق

- ﴿ٱقْرَأْ... ﴿١﴾﴾ ٢٥١
- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ .... ٧٦، ٨٥
- ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ... ﴿١٥﴾﴾ ٨٥
- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ... ﴿١٩﴾﴾ ٨٥

البينة

- ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ ٧٩

الزلزلة

- ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾﴾ ٧٦
- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ ٣٥١

العاديات

- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ ٧٦٠

التكاثر

- ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾ ٨٥
- ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ ٨٥
- ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ ﴾ ٨٥
- ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ ٥١٨

العصر

- ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ ﴾ ٧٦

الهمزة

- ﴿ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا . . . ۝٤ ﴾ ٨٤

الفيل

- ﴿ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝٥ ﴾ ١٦٦

* * *

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار

نص الحديث	الصفحة
ـ آدم ومن دونه	٢٢٦
ـ أبيت عن ربي	٢٢٩، ٢٤١
ـ أتدرون ما خرافة	٢١٨
ـ اتقوا دعوة المظلوم	٥٧١
ـ احتجموا	٨٣٢
ـ أحد جبل يحبنا ونحبه	٥١٠
ـ أدنيا مني أخاكما	٨٠٢
ـ إذا رأيتم أهل البلاء	٥١٢
ـ إذا أقيمت الصلاة	١٣٧
ـ إذا مات العبد الصالح	٦٨٩
ـ إذا مضى ثلث الليل	١٣٧
ـ أرسل ملك الموت	٥٠٩
ـ أسر إلى حذيفة	٦٥٦
ـ أسلم	٤٦٣
ـ أسلمتما	٧٩٣
ـ سلني أعطك	٨١٨
ـ ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة	٢٣٩
ـ أمتي أمتي	٢٥٤
ـ إن خير التابعين	٧٧٧
ـ إن كان ليوحى إلى رسول الله	٧١٠
ـ إن الله إذا أنعم	٨٢٩
ـ إن الله اصطفى كنانة	١١٩
ـ إن الله يحب العبد المؤمن	٣٩١
ـ إن الله يغضب لغضبك	٢٣٨
ـ إن في البدن ملكاً	٢٥٣

- إن من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- إن هذا بكى ٢٥٢
- أنا ابن الذبيحين ٢٤٨
- أنا أول الناس خروجاً ٢٥٤
- أنا جليس من ذكرني .... ٣٧٤، ٧٣٨
- أنا عند المنكسرة قلوبهم ٦٤٢
- أنا عنك راضٍ ٧٣٣
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى ٢٥٥
- إنك لتصل الرحم ٢٢٥
- إنما الأعمال بالنيات ٦٧٩
- إنما جاء ليسلم ٨٢٤
- إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ٣٨٢
- إن النبي ﷺ سجد ١٣٧
- إنه قد عرض عليكم ٣٩٥
- إني أخاف الله ٤٩٩
- إني لأجد نفس الرحمن ٦٦٤
- إني لأعرف حجراً .... ٢٥٥، ٧١١
- أنين المذنبين أحب عندنا ٥٧٧
- أين كنتم ٥٢٣
- اثبت أحد ٢٥٢
- احفظ الله يحفظك ٢٧٣
- اسكن حراء ٥٠٩
- أسلب حلاوة مناجاتي ٥٥٧
- بدأ الإسلام غريباً ٤٣٥
- بعيني ما يتحمل المتحملون ٢٩٥
- بينما راع يرعى غنماً له ٢٥٢
- تجدني عند المنكسرة قلوبهم ٣١٤ = أنا عند المنكسرة ٦٤٢
- تحت شجرة طوبى ٧٣٩
- توسل آدم بالنبي ﷺ ٢٥٠

ـ جاء ملك الموت إلى موسى يقبض ٥٠٩
ـ جز يا مؤمن ٤٦٣
ـ الحجر يسلم على الرسول ﷺ .... ٢٥٥، ٧١١
ـ حدثني بأرجى عمل ٧٨٨
ـ حسبي من سؤالي ٤٣٠
ـ حفت الجنة بالمكاره ٧٦٧
ـ حكيم أمتي عويمر ٨٢٤
ـ خرجت من نكاح ٦٥٥
ـ خلق الله تعالى التربة ١٤٥
ـ دخل الرسول ﷺ إلى بيت يهودي ٤٦٣
ـ ذكاة الجنين ذكاة أمه ٢٤١
ـ ربَّ أشعث أغبر .... ١٩٠، ٥٨٤، ٦٧٥
ـ زملوهم بكلومهم ١٩٨
ـ زملوني .... ٢٢٥، ٢٥١
ـ سبعة يظلهم الله ٤٤٩
ـ سلمان منا آل البيت ٣٤٧
ـ سلني ولو ملح عجينك ١٩٩
ـ صل من قطعك ٢٠٢
ـ عجب ربنا من رجل ٥١٥
ـ عزفت نفسي عن الدنيا ٥٤٤
ـ العلماء ورثة الأنبياء ٢٤٦
ـ عينان لا تمسهما النار ٦٢٧
ـ غضوا أبصاركم ٢٣٨
ـ فإذا نزل عيسى ٢٢٦
ـ الفار من الطاعون ١٣٨
ـ فاطمة بضعة مني .... ٢٣٨، ٢٤١
ـ فبي يسمع وبي يبصر .... ٣٧٤، ٥٤٥
ـ فتر الوحي عني فترة ٢٥٣
ـ فداك أبي وأمي ٢٥٥
ـ فر من المجذوم ٦٤٣

- فزجني في النور ٤٣٠
- فكان يخلو بغار حراء ٦٣١
- في كل صلاة يقرأ ١٣٧
- قل يسمع ٢٢٧
- القلوب بين أصبعين ٤٦٤
- القلوب جنود ٧٧٤
- قولوا مصاب ١٢
- كاد أمية أن يسلم ١٢٨
- كان ﷺ إذا أراد سفراً ٤١٨
- كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي ٧١٠
- كان ﷺ يتخوّلنا ٣٦
- كان ﷺ يصلي ولجوفه أزير كأزيز المرجل ٧١٠
- كذب من ادعى محبتي ٢٩٥
- كل عمل ليس عليه أمرنا ٢٢٦
- كل سكر حرام ٦٢٢
- كنت آخذه بزمام ٧١١
- كوني برداً وسلاماً لعمار ٢٢٥
- كيف تقضي ٨١٤
- لأنصرنك ولو بعد حين ٥٧١
- لا أبالي ٢٤٩
- لا إسعاد ولا عقر ٤٣٢
- لا تخيروني على موسى ٥٠٩
- لا بد من الوفاء ٣٨٢
- لا يجتمع حب هؤلاء ١٣٧
- لا يدخل الجنة قتّات ٤١٩
- لا نبي بعدي ٢٢٧
- لخلوف فم الصائم ٥١٤
- لست بقارئ ٢٥١
- لكل عابد فترة ٣٩١

- اللهمَّ اجعل له آية ٧٨٤
- اللهمَّ اهدِ دوساً ٧٨٤
- اللهمَّ إني أمسيت راضياً عنه ٨٠٢
- اللهمَّ ليس لهم ٨٢٤
- لو أن أحدهم نظر إلى قدميه ٢٢٨
- لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء ١٣٨
- لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلاّ اتّباعي ٢٢٦
- لو كشف الغطاء ٥٤٥
- لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ..... ١٦٢، ٥٢٣، ٧٠٠
- ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ٢٥٥
- ما ترك عبد لله أمراً ٤٣٦
- ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٢٢٨
- ما منكم من أحد ينجيه عمله ٧٤٤
- ما من يوم إلا والذي بعده ٧
- ما هذا ١٣٩
- ما وسعني أرضي ولا سمائي ٧٤٤
- مثل أمتي مثل المطر ١٣٩
- مثل لي جعفر ٧٩٢
- من ترك شيئاً لله ٤٣٦
- من اغتسل وحده ١٩١
- من الناس مفاتيح لذكر الله ٦٧٥
- من جاءني يمشي أتيته هرولة ٤٠٨
- من لهذه الفرقة ٨١٦
- نحن معاشر الأنبياء ٧١٠
- نصرت بالرعب ٢٢٥
- نعم الفارس عويمر ٨٢٤
- نهى عن بيع المجر ٣٢٢
- هؤلاء في الجنة ولا أبالي ..... ٢٤٩، ٤٧٦
- هل من سائل ..... ٣٧٢، ٥١٩، ٧٠١

- هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ٢٣١
- هي أحب إلي منك ٢٣٩
- هي بضعة مني ٢٤١ = فاطمة بضعة مني ٢٣٨
- وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً ٥٢٣
- وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ٦٦٤
- وعلى رأس كل واعظ ٣٦
- وقوع الجراد من ذهب ١٩١
- ولدت من نكاح لا من سفاح ٤١، ٦٥٥ = خرجت من نكاح ٦٥٥
- وليكن لسانك رطباً ١٢
- وهل ترك لنا عقيل من منزل ٥٥٦
- يا أبا الدرداء إن لجسدك ٨٢٥
- يا أبا سفيان ٧٤٨
- يا أسماء ٧٩٢
- يا أعرابي أين تريد ٢٥١
- يا حنان يا منان ٦٩٦
- يا معاذ ٨١٥
- ينزل ربنا ٤٠٨
- يدخل الجنة بشفاعته ٧٣٣
- يشفع في مثل ربيعة ومضر ٧٣٣
- يكون في أمتي رجل ٨٠٠
- يهلك الدجال ٣٩١
- يهم لما يلقى ٢٥١
- ينهى عن الوصال ١٣٨
- يوحي الله تعالى إلى جبريل ٥٥٧

* * *

٣ ـ فهرس الشعر

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
	ـ أ ـ		
ـ يأتي	نساءُ	ـ	٧١٧
ـ من رأى	البرحاء	ـ	٦٠٩
ـ حياتك	جزءا	ـ	٦٤٦
ـ لا تلحه	إغرائِه	ـ	٦٢٣
ـ نبأ ألمَّ	الأنباءِ	محمد بن عبد الملك	٧٧١
ـ عذل	سودائِه	المتنبي	٦٣٥
ـ إذا ما جررت	ورائي	ـ	٥١٤
	ـ ب ـ		
ـ ولي	أذهبُ	ـ	٦٧٦
ـ دع الهوى	أصعبُه	ـ	٦٢٤
ـ كم كم ذا الهجر	إيابُ	ـ	٢٧٩
ـ بكى	تجريبُ	ـ	٥٧٢
ـ سير الليالي	تعبُ	ـ	٧٥٤
ـ فكأن	تندبُ	ـ	٦٨٥
ـ رمت	جنوبُها	ـ	٦٨٤
ـ ألا من	حلوبُ	ـ	٦٢٦
ـ لقد علم	خطيبُها	ـ	٧٥٣
ـ وإني	دبيبُ	ـ	٦٣٢
ـ يا قلب	الذاهبُ	مهيار	٥٥٦
ـ ما لم يكن	ذنوبُ	ـ	٤٦٤
ـ الدهر	رطبُ	ـ	٤٩٣
ـ إذا خلوتَ	رقيبُ	أبو نواس	٧٧٥
ـ أمد	رقيبُها	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وقلبك	ركبُ	ـ	٥٦٧
ـ أفلح	ركبوا	ـ	٦٦١
ـ ولي قوادم	زغبُ	ـ	٥٦٧
ـ فما كل	زينبُ	ـ	٥٨٤
ـ لاح	شبوبُ	الخفاجي	٥١٥
ـ يا حبذا	شرابها	جعفر بن أبي طالب	٧٩٢
ـ إن في الأسر	صبُّ	ـ	٣٨٤
ـ أذكر	صحابُ	الرضي	٧١٩
ـ إذا ذكر	طروبُ	ـ	٦٨٥
ـ والله	غالبُ	الحارثي	٢٨٥
ـ لا تغضبن	الغضبُ	ـ	٤٦٤
ـ أحسن	فأجيبُ	ـ	٦٠٩
ـ أطاعوا	فكذبوه	ـ	٧٤٦
ـ يكون	فيطيبُ	المتنبي	٤٨٥
ـ على بعدك	القربُ	ـ	٥٥٧
ـ خطوا	كتابُ	امرؤ القيس	٢٥٦
ـ أحن إلى	كثيبُ	ـ	٣٣٠
ـ وواعدني	كعبُ	عمر بن الخطاب	٣١٨
ـ إذا أنا	لهيبُ	ـ	٧٠٧
ـ أرضاه	محبوبُ	ـ	٤٣١
ـ أحب	نسيبُ	الرضي	٥٨٠
ـ تمر الصبا	هبوبُها	ـ	٦٣٨
ـ كلما زاد	يحبُّه	ـ	٣٢٦
ـ جل الزمان	يذهبُ	ـ	٧٤٥
ـ فبت	يقشبُ	النابغة	٢٨٥
ـ يا آدمي	ينجابُ	ـ	٧٤٥
ـ لا يؤيسنك	ترتيبا	ابن هند	٦٣٧
ـ بالله	الربا	ـ	٤٦٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا لنسيم	الصبا	مهيار	٧٢١
ـ يا من	طلبا	ابن الجوزي	٣٣٢
ـ ألا يا نسيم	طيبا	ـ	٦٦٥
ـ دع	عجيبا	امرؤ القيس	٢٥٧
ـ يغلبني	مغلوبا	ـ	٥١٣
ـ وكيف	هبا	المتنبي	٥٤٠
ـ سرى	الوصبا	ـ	٧٣١
ـ بالله عليك	الأحباب	ـ	٥٣٦
ـ وإني	أحبابي	ـ	٣٩٢
ـ وكم دهى	بأنيابها	ابن المعتز	٣٠٣
ـ وكم ناحلٍ	أطنابها	صردر	٣٦٢، ٥٦٤
ـ أرى الدهر	بلبابِه	ـ	٥٥٣
ـ يدي	بالضربِ	ـ	٥٣٥
ـ لئن قدمت	جانبِ	ـ	٧٥٧
ـ يا نسيم	الجواب	ـ	٣٥٣
ـ يا ويح نفسي	حسيبي	ـ	٣٠٢
ـ وكل ملمات	الخطبِ	قيس بن ذريح	٨٠٩
ـ كم للمنية	الخطوبِ	ـ	٧٥٨
ـ يا مقيمين	الركابِ	ـ	٦٦٠
ـ يا صحابي	السربِ	صردر	٣٩٤
ـ رأيت	سرى بي	ـ	٤١٠
ـ لو قرب	طلابه	صردر	٢٧٣
ـ يا من	عليك به	ـ	٢٠٨
ـ فإن نهاري	غياهبِ	المتنبي	٦٢٤
ـ أنت	القربِ	ـ	٣٧٣
ـ عرجوا	قلبي	ابن الجوزي	٥٠٦
ـ سقياً	كأزماني بها	ابن الجوزي	٤٣٩
ـ تذل الرجال	لأربابها	ـ	٣٥٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ فخذ	للذهاب	ـ	٥٢٦
ـ لله أمر	مطلوبِ	ـ	٧٤٣
ـ ولما تزيلنا	مغرّبِ	ـ	٣٨٤
ـ لنا كل	النوائبِ	الرضي	٦٩٦
ـ بالله	الهبوب	ـ	٦٢٨
ـ يا صبا	الهبوبِ	ـ	٦٩٦
ـ هل الطرف	وجيبه	ـ	٦٥٠
ـ إذا ما انجلى	يشتبِه	ـ	٣٩٠
	ـ ت ـ		
ـ أرى الدنيا	أرهقتْهُ	ـ	٥٧٠
ـ ألا ذكراني	بيتُ	ـ	٣٣٩
ـ لا تجزعن	تشمتُ	ـ	٦٧٥
ـ إنما الدنيا	ثبوت	ـ	٧٥٢
ـ لو شئت	سلامتُهُ	ـ	٤١٩
ـ قد كنت	ميتا	ـ	٨٠٨
ـ إذا نلت	شتا	ـ	٢٦٥
ـ إذا ما	انتهِ	ـ	٣٧٧
ـ تراعي	ذاهباتِ	ـ	٧٣٠
ـ يا مدمن	اللذاتِ	ـ	٣٣٨
ـ وكنا	زلّتِ	كثير عزّة	٥٩٩
ـ تهيم	غنتِ	ـ	٦٢٦
ـ تنبه	لشتاتِ	ـ	٦٩٣
ـ الله	نيتي	ـ	١٠
ـ روحي	أقلعت	ـ	٦٢٧
ـ إن العهود	أنست	ـ	٢٨٠
ـ أستغفر الله	تأبّتْ	ـ	٤٨٨
ـ ولي زفرات	تولّتْ	ـ	٤٤١
ـ وعظتك	سبتْ	أبو العتاهية	٣٥٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا أسير	فات	ـ	٥٨٣
ـ ما لنفس	فعلت	ـ	٦٨٧
ـ قرن	نبات	ـ	٧٥١
	ـ ث ـ		
ـ قوم إذا هجروا	بعثوا	ـ	٣٩٣
ـ مالك	ورائَه	ـ	٥٦٦
ـ سابق	بلباثِ	ـ	٤٠٤
	ـ ج ـ		
ـ كدود	ناسجُه	ـ	٤٠٦
ـ إن بيتاً	السرجِ	الشبلي	٣٤٩
	ـ ح ـ		
ـ قطاة	الجناحُ	ـ	٦٧٣
ـ يا من	الشرحُ	ـ	٣٧٥
ـ الغيم	الصبوحُ	ـ	٧٥٧
ـ يا قلب	القبحُ	ـ	٥٦٣
ـ أحباي	مجروحُ	ـ	٧١٩
ـ يا من بصدود	نزحوا	ـ	٣٣٦
ـ وإذا تكامل	يجنحُ	البحتري	٥١٨
ـ كأن القلب	يراحُ	قيس بن الملوح	٢٨٥
ـ وكان	يمرحُ	ـ	٥٤٤
ـ يا نسيم	البرحا	مهيار	٦٢٣
ـ بينا	رائحه	ـ	٥٠٧
ـ يا من بسهامه	فرحا	ـ	٣٢٠
ـ خلقت	فمحى	ـ	٦٦٦
ـ يا غادياً	القبائحا	ـ	٤٨٤
ـ يا ندامى	المرحا	ـ	٧٠٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أبصر	منسفحا	ـ	٧٣١
ـ عندي	نزحا	الرضي	٥٦٠
ـ لم تبق	أشباحِ	ـ	٥٦٣
ـ علمتني	التقبيحِ	ـ	٣٥٥
ـ أليلى	ذريح	ـ	٥٤٩
ـ من لي	الرابخ	ـ	٥٠٤
ـ صبا	لمخ	ـ	٤٧٧
	ـ د ـ		
ـ وعادلون	أجدُ	ـ	٣٨٣
ـ فقلت له	أريدُ	ـ	١٩٩
ـ قل	بدُّ	ـ	٥٣٩
ـ هل الحب	بردُ	قيس بن ذريح	٦٣٢
ـ أين	بعدُ	ـ	٢٦٨
ـ مدام	تبيدُ	ـ	٢٤٥
ـ هل الدهر	تعودُ	ـ	٤٦
ـ أين الديار	ثمودُ	ـ	٧٦٠
ـ أيا عجباً	الجاحدُ	أبو العتاهية	٧٧٤
ـ حثوا	الحدُّ	ـ	٦٧٠
ـ ولقد أجن	زرودُ	مهيار	٦٦٢
ـ إذا جزت	سعدُ	البحتري	٣٨٤
ـ عودوا	شديدُ	ـ	٣٧٣
ـ مضى	شهيد	ـ	٦٨٢
ـ شم	صيدُ	ـ	٦٦٢
ـ هب	عائدُ	ـ	٤٧٨
ـ هذي	عهدُ	ـ	٢٨١
ـ اليوم	غدُ	ـ	٥٣٥
ـ نعم تحمل	قعودُ	ـ	٦٣٤
ـ يا نائم	العقودُ	ـ	٥٥٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ الجسم	الكمدُ	ـ	٣٠٧
ـ استعدي	المستعدّ	ـ	٥٦٢
ـ يا ابن آدم	معدود	ـ	٢٧٧
ـ قل	موعد	ـ	٤١
ـ أقتل	نجدُ	ـ	٥١٠
ـ تفوز	نرد	الرضي	٢٧٦
ـ جننا	نريدها	ـ	٧٦٧
ـ يا مظهرين	وارد	ـ	٧٥٦
ـ أمس	الولد	ـ	٥٣٣
ـ لا شيء	الولد	ورقة بن نوفل	٤٢٧
ـ تلفت	وقود	الرضي	٤٥٠
ـ رأيت	وقود	ـ	٥٣٣
ـ ذهب الظلام	يتجدد	ـ	٣٤٢
ـ رقد	يردده	القيرواني	٦٦٣
ـ ألا أبلغ	يريدها	ـ	٣٠١
ـ السقم	يزداد	ـ	٣٢٠
ـ بينما المرء	يصدّ	ـ	٧٣٥
ـ أما تقومون	يصعدُ	ـ	٣٣١
ـ مرض	يقادُ	صردر	٣٩٨
ـ يا صاح	اعتدى	ـ	٦٠٤
ـ بالفور	أنجدا	مهيار	٦١٢
ـ بني	أنجدا	الأعشى	٧٠٥
ـ تزوّد	بردا	ـ	٦٨١
ـ أبالغور	بعيدا	ـ	٥٠٥
ـ أقسم	تأودى	مهيار	٥١٣
ـ تظن	ثمدا	مهيار	٦٠٢
ـ ولما تيقنّا	خدّا	ـ	٥٢٨
ـ ليس	خدا	ـ	٧١٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ والله لو كانت	رغدا	مهيار	٢٦٥
ـ إذا هب	رندا	مهيار	٧٢٢
ـ سقوا	الرندا	ـ	٦٥٧
ـ شمس	زبرجدها	ـ	٢٥٠
ـ صحة	السهادا	ـ	٦١٤
ـ خبراني	عهدا	ـ	٦٥٢
ـ يا قلب	غدا	الرضي	٦٧٠
ـ وإني	مغدى	الرضي	٦١٧
ـ إن الشباب	مفسدَه	أبو العتاهية	٧٦٨
ـ لا عدا	نجدا	ـ	٢٩٤
ـ أنذرنني	نهدا	مهيار	٣٨٣
ـ	الوجدا	ـ	٦٠٩
ـ أحبابنا	وليدا	ـ	٣٥٣
ـ وقفت	أحدِ	النابغة	٣٨٤
ـ رأيت	الأساود	ـ	٤٤٦
ـ أكلف القلب	أضداد	صردر	٥٨٥
ـ ومن لم يبت	الأكبادِ	ـ	٦٠٠
ـ يا طرباً	باستبرادها	ـ	٦٨٤
ـ أحبكم	بعدي	ـ	٥٠٩
ـ سمعت	بعيدِ	ـ	٤٤٠
ـ يا منية	بمنقادِ	ـ	٤٣٢
ـ النجا	بوجدِ	صردر	٣٥٦
ـ قالت	تزدِ	ـ	٤٨٣
ـ شربت	تصريدُ	ـ	٧١٧
ـ إلى كم ذا	التمادي	المتنبي	٤١٠
ـ لها بوجهك	حادِ	ـ	٦٤٩
ـ يا ساهياً	زادِ	ـ	٥٣٠
ـ لبس	سوادِ	ـ	٤٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سرور	شديد	ـ	٧٠٦
ـ وإذا كان	الصعادِ	ـ	٦٨٠
ـ يا غادياً	عندي	ـ	٦٩٦
ـ يا دار	عندي	الرضي	٦٦٤
ـ ألا حبذا	العهدِ	قيس بن الملوح	٥١٩
ـ ولو أنهم	العهود	ـ	٣١١
ـ ليالينا	عودي	ـ	١٩٦
ـ بانوا	الغادي	ـ	٦٥٨
ـ رويداً	الغادي	ـ	٣٢٩
ـ هل مدلج	الغادي	صردر	٣٤٢
ـ يا من	غدِ	ـ	٣٧٠
ـ جزى الله	كالمزادِ	ـ	٥٥١
ـ رأيتك	اللحدِ	ـ	٥٣٠
ـ بلغ	مرادي	ـ	٣٥٣
ـ وفي وظر	الموارد	ـ	٧٥٧
ـ خذي	نجد	ـ	١٨٦
ـ ما أشوقني	نجد	ـ	٢٨٠
ـ وأنجدتم	نجد	أبو تمام	٣٨٨
ـ رأى بارقاً	نجد	ـ	٥٤٠
ـ ولما غرد	الوادي	ـ	٦٣١
ـ وإني لمجلوب	وجد	ـ	٤٧٧
ـ بين العقيق	ودي	ـ	٤٨٧
ـ أخفي	شاهدُ	ـ	٤١٩
	ـ ذ ـ		
ـ لاذ بهم	ملاذا	ـ	٦٤٤
	ـ ر ـ		
ـ من السلوة	آثارُ	ـ	٦٧٦
ـ خذي	أتستر	ـ	٦١١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إيه	أسمار	صردر	١٨٥، ٧١٢
ـ جد في الجد	الأمر	ـ	٢٧٩
ـ ردوا	اهجروا	ـ	٥٣٣
ـ حاشي	بوادره	المتنبي	٦٣٣
ـ سلبت	تحضر	الحارثي	٥٥١
ـ والمرء	تقصير	ـ	٤٧٥
ـ هذي	خبر	ـ	٣٩٨
ـ أراك	ثغورها	ـ	٢٨٩
ـ فيا حبهم	الحشر	ـ	٦٣٥
ـ كأنك	الدهر	ـ	٣٥٤
ـ خليلي	دورها	توبة	٤٧٤
ـ إن جرى	الديار	البحتري	١٦١
ـ سل	السدير	الخفاجي	٧٠٤
ـ إذا وصلتم	السهر	ـ	٣١٦
ـ تجاسرت	الصبر	ـ	٢٩٦
ـ أمرت	صبر	ـ	٧١٣
ـ لا ترقدن	العبر	ـ	٣١٧
ـ ساكن	فأذكره	ـ	٥١٤
ـ ليس	غرور	ـ	٥١٧
ـ ولما رأيت	فأسروا	ـ	٤٠٩
ـ فلزهم	الغرار	ـ	٢٣١
ـ ما لي	الفرار	ـ	٣٥٧
ـ متى رفعت	قرار	مهيار	٣٨٢
ـ سلوا	القطر	ـ	٥٠٤
ـ بدوت	قفرُ	أبو فراس	٣٥٥
ـ زموا المطايا	مأسور	ـ	٢٨٣
ـ سيان	مصطبرُ	ـ	٦٣٦
ـ يا نازلين	مضمره	ـ	٦٩١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا سائق	معقور	-	٦٨١
ـ منازل	منصور	-	٦٠٥
ـ يا حار	النار	-	١٩٦
ـ محت	نستعيرها	-	٦٢٥
ـ آه والشوق	أخرى	مهيار	٤٤١
ـ يا محب	الأخطارا	-	٤٣٤
ـ ذكرها	براها	-	٢٥٨
ـ هوّن	بالسرى	-	٧٤٨
ـ أترى	ترى	-	٦٩٧
ـ ألا غنياني	ثراها	-	٦٤٠
ـ وقولوا	جواريا	الرضي	٥٩١
ـ فلما عاين	حارا	-	١٩٩
ـ وحدثتك	الخبرا	-	٢٧٠
ـ ويعرف	ذعرا	-	٣٠٣
ـ الموت	ذكراه	-	٦٥٠
ـ أنت عين	ذكرا	-	٥٤٥
ـ أترى	السهرا	الخفاجي	٦٠٠
ـ قد كان	شبرا	-	٣٢٥
ـ إذا المرء	عبرة	-	٣٦٨
ـ مكتئب	عبرى	-	٦٣٧
ـ كفر حزناً	قفرا	-	٥٨٠
ـ يا مغرماً	كارها	-	٣١٣
ـ ألا يا غافلاً	الكبيرة	-	٧٢٦
ـ من لقلب	كرى	-	٥٣٣
ـ ألا من لقلب	مكره	ابن المعتز	٣٤٦
ـ لو عدلتن	نظرا	الخفاجي	٦٤٠
ـ صحب الله	وعرا	مهيار	٢٩٣
ـ يعزّ	يسيرا	-	٥٤١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ رقدت	آخر	خالد الكاتب	٦١٢
ـ سبحان	الإبرار	الخواص	٧٧٣
ـ الحب	أستاري	ـ	٦٤٥
ـ يا ليت شعري	افتقارك	ـ	٧٣٦
ـ ما دار	الأقدار	ـ	٤٨٠
ـ بحرمة	بالآخرِ	ـ	٥١٨
ـ تمد	بحاجر	مهيار	٥٢٥
ـ والمرء	بالخطر	ـ	٤٦٢
ـ بدم المحب	بالسعر	ـ	٤١٥
ـ لا يغرنك	بعسره	ـ	٤٤٨
ـ أو ما رأيت	بالعمر	الرضي	١٧٨
ـ إن نشق	بالنظر	ـ	٢٠٠
ـ حلفت	بالنفر	ـ	٦٨٨
ـ ودنياك	باليسارِ	ـ	٥٧٠
ـ أقول	حارِ	النابغة الذبياني	٧٢٠
ـ إليك	حجر	الشيرازي	٢٦٣
ـ أيها	حضور	ـ	٥٠٧
ـ زفّرها	الحناجر	مهيار	٥٦٥
ـ وإذا جئتم	خطري	ـ	٦٨٦
ـ يا نفس	ذري	الرضي	٤٦١
ـ يا قلب	الساري	الرضي	٦٢١
ـ وكنا جميعاً	سرور	ـ	٣٨٨
ـ وما هي	شهر	ـ	٣٢٧
ـ وهم	الصبر	الرضي	٤١٧
ـ تمتع	عرار	الصمة القشيري	٣١١
ـ بكى	الغير	ـ	٥٧١
ـ حكم	قرار	ـ	٥٣٠
ـ سبيلك	مسافر	ـ	٧٣٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ حداة	المسير	ـ	٥٠٣
ـ لولا مدامع	النار	ـ	٦٤٨
ـ تأوهت	نضير	مهيار	٥٩٤
ـ لله در	النفر	ـ	٢٥٩
ـ مما بيننا	الهجر	ـ	٥٣٧
ـ واويلاه	الهجر	ـ	٦٦٣
ـ وكيف	وافر	أبو فراس	٦٩٤
ـ لقد أخبرتك	وقر	ـ	٧٣٧
ـ وداع	يدري	ـ	١٨٦
ـ فإن حننت	أخز	ـ	٦٧٢
ـ أترك	بشر	ـ	٦٧٨
ـ يا نواسي	تصبر	أبو نواس	٧٧٤
ـ الفور	الخبر	ـ	٢٨٩
ـ أيها الناس	خبر	ـ	٥٣٤
ـ كم للمنايا	الصدود	ـ	٥٦٧
ـ وأصبحت	طائر	ـ	٦٥٣
ـ هل نجد	الوطر	ـ	٥٥٦
ـ أرى الشهد	يعتبر	ـ	٥٨٢
	ـ ز ـ		
ـ كم غودرت	العجوز	ـ	٧٨٦
	ـ س ـ		
ـ اغتنم	اختلاسُ	ـ	٦٦٦
ـ تبني	تختلسُ	ـ	٦٧٧
ـ حلفت	غموسُ	ـ	٥٤٤
ـ ركب	أكوسا	الخفاجي	٦٢٧
ـ أوحشتني	أنيسِ	ـ	٦١٦
ـ ولقد جعلتك	جلوسي	ـ	٧٩٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ تجهر	حبس	ـ	٥١٦
ـ وكم من عبرة	قاس	ـ	٥٢٢
ـ يا ساقي	كاسي	ـ	٦٢٦
ـ يا منتهى	لنفسي	ـ	٥١٢
ـ خذي	ملتبس	الرضي	٦٣٤
ـ والله يعلم	نبراس	ثعلب	٤١٥
ـ ما ضر	نفسه	ـ	٥٩٧
ـ والله ما طلعت	وسواسي	ـ	٣٥٧
	ـ ش ـ		
ـ إلى سلطان	الرشا	ـ	٤٢٩
	ـ ض ـ		
ـ عبرت	الحرضُ	ابن الجوزي	٥٤٢
ـ من أجلك	ترضى	ـ	٣٠٦
ـ أيها الرامي	الغرضا	مهيار	٥٤٦
ـ عند	غضا	ـ	٥٠٣
ـ إن كان	فرضا	ـ	٤٣٢
ـ قد قلق	الفضا	ـ	٤٣٩
ـ ليس	القضا	ـ	٤٧٠
ـ إلى كم عتاب	مضى	ـ	٢٩١
ـ مرنح	معرضا	ـ	٦٨٤
ـ لا تنكري	براضِ	ـ	٨٢٠
ـ متى شق	الغمضِ	ـ	٥٠٣
	ـ ع ـ		
ـ دون المعالي	أوقع	ـ	٣٣٠
ـ شجاك	تجزع	ـ	٤١٢
ـ وإني لا غرى	ربوع	الرضي	٥٨٠
ـ غدا	زرعوا	ـ	٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أتبكي	طائع	قيس بن ذريح	٣١٠
ـ ومسندون	فأسرعوا	ـ	٧٥٥
ـ هل بعد	مرتجعُ	مهيار	٥٤٠
ـ نهاري	المضاجع	ـ	٦٠٨
ـ وكيف	هجعوا	ـ	٤١٤
ـ أحست	يوضع	الرضي	٧١١
ـ من بمنى	أربعا	مهيار	٢٩٤
ـ إذا ما ونت	أسرعا	ـ	٦٨٤
ـ	ترفعا	ـ	٧٠٧
ـ قفا	تودعا	ـ	٤٥٢
ـ قد كنت	جزعا	ـ	٢٨١
ـ لا يغرنك	رقعه	ـ	٢١١
ـ اسمع	سماعا	ـ	٤٧٧
ـ ارخ لها	شسعا	مهيار	٤٩٤
ـ آه	صنعا	ـ	٧٠٠
ـ رعى الله	فضيعا	ـ	٥١٤
ـ لا وحبيك	مدفعا	ـ	٦٣٢
ـ إن هواك	مطيعا	ـ	٥٥٧
ـ تفرقنا	معا	ـ	٤٨١
ـ دعوها	النسوعا	مهيار	٥٦٤
ـ كل سحاب	أدمعي	صردر	٦١٣
ـ يا نفس	لا تهجعي	ـ	٣٥١
ـ هل مجاب	جمع	مهيار	٢٦٠
ـ رأيت	خدَّاع	ـ	٣٣٥
ـ يا عقيق	دمعي	ـ	٦٢٠
ـ آفة	دوافعِ	ـ	٦٣٣
ـ عارضا بي	سلع	الرضي	٢٩٣
ـ لا تبلني	ضلوعي	ـ	٣٧٥

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم بذكراك	الضلوع	ـ	٦٠٩
ـ أباسطه	الفزع	ـ	٦٦٤
ـ يا ليلتي	فارجعي	مهيار	٦٠٤
ـ نشدتك	لعلعِ	مهيار	٥٩٩
ـ كفى سائقاً	مدامعِ	ـ	٢٨٤
ـ أنجدت	معي	ـ	٧٥٣
ـ ومن عجب	معي	ـ	٦٢٩
ـ باحت	موضعي	ـ	٧٣١
ـ يا صاحبي	نرتعي	ـ	٦٩١
	ـ ف ـ		
ـ حملتم	أضعف	ـ	٣٣٠
ـ يا سائق	تتوقف	مهيار	٢٨٤
ـ أشكو	تجف	الرضي	٦٠٣
ـ إن القلوب	تعترف	أبو نواس	٧٧٤
ـ لست	تعطفوا	ـ	٣٨٧
ـ ذل	شرف	ـ	٦١٨
ـ ملكتم	منصرف	ـ	٦٥٤
ـ يا حادي	ننصرف	ـ	٥٩٤
ـ ولما وقفنا	تتوقفا	ـ	٦١٢
ـ مت	خلفا	ـ	٥٩٠
ـ واهاً	شفا	ـ	٤٤٢
ـ قد كان لي	صفا	ـ	٢٨٦
ـ قضت	موقفها	ـ	٥٩٢
ـ شوقي	أخفي	ـ	٤٧٣
ـ تركت	أسفي	ـ	٦١٣
ـ قف	الألفة	ـ	٥٠٩
ـ فما يزال	أنفِ	ـ	٥٩٤
ـ ميزت	تفي	ـ	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سبحان	الموقف	أبو نواس	٧٧٣
ـ ومتى بلغت	المعروفِ	ـ	٥٧٢
ـ الناس	وافِ	ـ	٥٦٨
	ـ ق ـ		
ـ واستعذبوا	الآماق	ـ	٦١٩
ـ ومشتت	إخفاق	ـ	٣١٤
ـ ولم يبق	أشهقُ	ـ	٦٥٣
ـ يا قومنا	انتقوا	ـ	٥٨٤
ـ بلغ سلامي	تائق	ـ	٥٦٠
ـ لا تحبسن	درياق	ـ	٥٦٠
ـ يا طالب	طلاقها	ـ	٤٩٩
ـ ألا كل	عريقُ	أبو نواس	٧٧٤
ـ بقلبي	علق	ـ	٦٢٨
ـ لما أتوا	الفرق	ـ	٤٢٣
ـ المرء	يتسق	ـ	٣٩٥
ـ يا حادي	يراق	ـ	٥٣٧
ـ الوجد	ينطقه	ـ	٦٣٣
ـ احبس	آبقا	صردر	٥٨٥
ـ تغن	الأبرقا	مهيار	٤٢٨
ـ ولي عبرات	تألقا	ـ	٥٩٥
ـ من أجل	ترقا	ـ	٢٧٥
ـ قف	تشوقا	ـ	٣٧٨
ـ ليكفكم	رفقا	ـ	٤٧٣
ـ أيدري	شاقا	المتنبي	٣٤٨
ـ بقيت	شرقا	ـ	٦٣١
ـ إلى كم	طريقا	مهيار	٣٠٠
ـ ضمنا	عشقا	ـ	٥٠٢
ـ لتحشرن	علقا	ـ	٤٣١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ قد سحب	فرقا	العباس بن الأحنف	٥٨٦
ـ عللونا	اللقا	ـ	٥٤١
ـ هذه دراهم	الآماق	الشبلي	٢٦٠
ـ سل	الأبرقِ	مهيار	٥١٩
ـ وتكاد	الأعناق	المتنبي	٦٦١
ـ بعينيك	بقي	المتنبي	٣٨٣
ـ وما تطابقت	الحدقِ	ـ	٥٤٥
ـ محلة	خرق	ـ	٣٥٠
ـ رأيت	راقِ	ـ	٢٩٨
ـ لما وردن	الرفاقِ	ـ	٧٣٩
ـ طرف	ساقِ	مهيار	٦٥٥
ـ فكل شيء	الساقي	ـ	١٩٨
ـ يا صاحبي	عشاقي	ـ	٥٨١
ـ عين	فراق	ـ	٦٢٨
ـ يا ساكن	الفراق	ـ	٣١
ـ أرقي	قلقي	ـ	٢٦٧
ـ ليت شعري	المضيق	ـ	٤٧٨
ـ رأى	الآماقْ	الرضي	٦٥٢
ـ ما على	أعنق	ـ	٧٢٩
ـ ما أجلب	فاشتاق	ـ	٣٢٨
ـ قد كنت	يطاق	ـ	٣٨٨

ـ ك ـ

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ رحل الأحبة	ما تركوا	ـ	٧٣٤
ـ تفكر	المليك	أبو نواس	٧٧٦
ـ يا دار	أبلاكا	الرضي	٥٢٣
ـ يا قلب	الأشراكا	الرضي	٤٢٥، ٦٧٢
ـ إذا اشتبكت	تباكا	ـ	٦٠٧
ـ يا عاذل	حاشاكا	الرضي	٥٩٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أروح	سواكا	المتنبي	٧٠٩
ـ فلو داواك	شفاكا	ـ	٣٢٠
ـ خف الله	فعالكا	ـ	٤٤٨
ـ بليت	كفاكا	أبو العتاهية	٤٦٦
ـ الماء	الباكي	الرضي	٥١٥
ـ قد لامني	السوافك	متمم بن نويرة	٥٣٤
ـ أيا بانة الغور	سواك	مهيار	٢٨٦
ـ يا ليت شعري	افتقارك	ـ	٧٣٦
ـ وهواك	ترك	ـ	٥٥٢
ـ كأنك	رحيلك	ـ	٧١٤
ـ أنت	لشتاتك	ـ	٣٨٠
ـ يا مالكاً	ملك	أبو نواس	٧٧٥
ـ قل للمؤمل	نظرك	ـ	٦٦٧
	ـ ل ـ		
ـ ألا أيهذا	الأجل	ـ	٣٢٢
ـ لا مرية	الأجل	صردر	٣٤٤
ـ هبت	أذيال	الغزي	٤٧٤
ـ أظن	أهل	ـ	٤٣٥
ـ لك يا منازل	أواهل	المتنبي	٧٢١
ـ سهر العيون	باطلُ	ـ	٥٥٩
ـ ألا فتى	بدا له	مهيار	٦٣٣
ـ قد لج	البلبال	ـ	٧١٣
ـ أفي نجد	تقول	الخفاجي	٥١٠
ـ إذا المرء	جميل	السموءل	٣٠٥
ـ ضمنت	حاله	ـ	٤٤٠
ـ قفوا	حاله	ـ	٥١٨
ـ ودعوا	حلوا	ابن الجوزي	٦١١
ـ وجدت	الراحل	ـ	٥٨٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يا قلب	رحلوا	ـ	٤٦٥
ـ ولم أنس	الرحيل	ـ	٥٢٨
ـ قف	رسول	ـ	٥٠٤
ـ إذا لم يكن	رسول	ـ	٣٧٢
ـ فلا تحسبوا	سهل	ـ	٣١٥
ـ سألت	شاغل	ـ	٣١٩
ـ وأبغضت	الضال	المعري	٣٤٧
ـ ولما وقفنا	طلول	مهيار	٣٢٦
ـ صافحوا	الظلال	ـ	٥٥١
ـ وما تلوم	عجل	ـ	٧٠٨
ـ وإني	عجول	الرضي	٦٤٩
ـ أليس	عجول	ـ	٧٣٥
ـ ما لي شغل	عدل	ـ	٣٤٢
ـ لم يبقَ	عمل	ـ	١٨٥
ـ من أخطأته	غزل	ـ	٤٢٣
ـ محا بعدكم	غولها	الرضي	١٩٠
ـ لا يدرك	فعال	المتنبي	٦٩٥
ـ قف بالمحصب	فعلوا	ـ	٧٢٧
ـ من القتيل	القاتل	ـ	٤٣٢
ـ بكرت	قاتله	ـ	٤١٢
ـ أترى	قتلوا	ـ	٣٨٩
ـ تقر	قلالها	ـ	٦٠٠
ـ سألت الدار	ما فعلوا	أبو العتاهية	٥٤٨
ـ أضحى	مغتال	ـ	٥٧٤
ـ صحا	نازل	ـ	٣٢٤
ـ وما شرقي	نزول	المتنبي	٧٢٢
ـ أطلت	يطول	ـ	٦٣٨
ـ أيها العذال	يقبل	ـ	٦١٩

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أيها الملك	أحلى	ابن المعتز	٣٥٦
ـ قم	الأرجلا	مهيار	٤٩٤
ـ فاستوف	أرحلها	ـ	٦٥٨
ـ ترجو	أعدله	ـ	٧٠١
ـ يا منزلاً	تبلى	ـ	٥٠٩
ـ نموت	تبلى	أبو نواس	٧٧٥
ـ نزلوا	جبالها	ـ	٤٨٦
ـ قم	جلا	مهيار	٤٩٤
ـ ثورها	جلالها	الخفاجي	٦٥٨
ـ وأخرج	خاليا	ـ	٦٣١
ـ دعها	عقالها	علي بن أفلح	٥٥٩
ـ بدا لها	كلالها	ـ	٥٨٧، ٦٣٩
ـ يقول	لسلاها	ـ	٤٤٧
ـ هذا ولهي	لها	ـ	٥٩٥
ـ أما اشتقت	مالا	ـ	٤١١
ـ عجبت	المحيلا	ـ	٣٧٩
ـ إن الليالي	آجال	ـ	٤٩٩
ـ تعلقت	الآمال	ـ	٦٦٠
ـ أجاب	الإبل	المتنبي	٤٧٣
ـ من أعلم	إبله	ـ	٢٥٩
ـ إنا لنفرح	الأجل	ـ	٨١٨
ـ وكيف	ارتحالي	ـ	٥٨٢
ـ عش	أصلي	خالد الكاتب	٨٣٥
ـ سر	إليه	ابن المعتز	٦٣٤
ـ كلما	أملي	ـ	٧٤٣
ـ	أملي	ـ	٤٠٣
ـ خل طرفي	أهل	ـ	٤٩٧
ـ يا لنفحات	بابل	ـ	٦٣٨

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ من يطلع	بالإبل	صردر	٤٦٢
ـ إذا لعب	بالرجال	ـ	٣٦١
ـ عثرت	بالزلل	مهيار	٥٤٤
ـ أسائل	بسؤالي	ـ	٧١٠
ـ لعل عتبك	بالعلل	المتنبي	١٦٢
ـ إذا ما الخيام	بقليل	ـ	٤٧٢
ـ زعمت	بلي	مهيار	٥٦٣
ـ أنفت	الترحال	ـ	٣٢٨
ـ دع شأن	تململ	ـ	٦٦٣
ـ فذي	الحابل	المتنبي	٥٥٥
ـ لأية علة	حبالي	ـ	٢٨٦
ـ ردوا	الزائل	مهيار	٦٠٠
ـ وكل	زوال	ـ	٥٢١
ـ مهلاً	المسبل	ـ	٦٣٥
ـ وإذا اشتغل	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ وشغلت	شغلي	ـ	٧٢٦
ـ يرنحني	الشمال	الرضي	٣٧٤
ـ سلام	شمالي	ـ	٤٦٩
ـ ما أسرع	الشمل	ـ	٧٢٦
ـ بي شغل	عاقل	ابن الجوزي	٣٢٥
ـ يا ليلتي	عود إلي	مهيار	٦٠٥
ـ أتذكراني	غافل	الرضي	٣٢٩
ـ كذلك الفخر	الفعال	ـ	٣٠١
ـ مالي شرقت	قبلي	ـ	٢٦٥
ـ خلني	قبلي	ـ	٧٣٢
ـ فإن الحسام	القاتل	ـ	٤٦٥
ـ أملي	قاتلي	ـ	٣٧٨
ـ لا أقبل	القتل	ـ	٣٤٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ جواهر	المثال	ـ	٧٠٣
ـ تقولين	مثلي	المتنبي	٦٢٢
ـ سألت عيني	محال	ـ	٥١٥
ـ حياتي	المحال	ـ	٣٥٧
ـ وإن شفائي	معول	ـ	٦٢٦
ـ وما ذرفت	مقتل	امرؤ القيس	٩٣
ـ ما اختص	منتبل	مهيار	١٨٩
ـ وإذا رامي	النضال	ـ	٢٠٧
ـ أين أيامك	وال	ـ	٤٣٩
ـ لو رأيت	الوصال	ـ	٤٧٤
ـ بحرمة	الوصل	ـ	٥٩٩
ـ نخطو	يطل	ـ	٢٦٩
ـ أيها السكران	الرحيلْ	ـ	٧٥١
ـ وعزمة	زحل	ـ	٥١٣
ـ خل	فاحتمل	ـ	٥٠٤
ـ إن كنت	فعل	مهيار	٣١٥
ـ هجرانك	قاتل	ـ	٤١٣
ـ كل حي	قبل	ـ	٧٥٥
ـ بين الحطيم	المقبل	ـ	٤٦٤
ـ من أعطى	المنازل	ـ	٣١٧
	ـ م ـ		
ـ وغطتنا	الأرحام	ـ	٢٨٢
ـ تركوا	أقاموا	الرضي	٣٦٢
ـ إذا لم يجد	أقاموا	ـ	٥٦٩
ـ يا من أشكو	أكتمه	ـ	٣١٦
ـ الناسكون	ألموا	ـ	٦٥٦
ـ كفى حزناً	إليكمو	ـ	٣٦٨
ـ ولوا	البهائم	أبو تمام	٧٧٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ ولما خلى	تغتنم	مهيار	٥٢٨
ـ أما الوقوف	تفهم	-	٦٩٠
ـ هذا	حاشاكمو	-	٦٩٦
ـ إذا دنت	الخيام	-	٢٦٠
ـ هذه	الخيام	-	٦٢٠
ـ أيا منعماً	الدائم	-	٣١٦
ـ جرت	الرسم	مهيار	٣٦٢
ـ نشدتك	الرسوم	-	١٨٧
ـ ودعت	السلام	-	٣١٦
ـ ليس عزماً	الظلام	المتنبي	٦١٩
ـ وجدي	عندكمو	-	٧١٣
ـ ما ناح	الغرام	-	٥٣٨
ـ يا حادي العيس	الغرام	-	٢٧٥
ـ لا توقدوا	غريم	-	٧٥٢
ـ أقل	الغنم	-	٦١٧
ـ لولا جنوني	قاموا	-	٣٠٦
ـ يطربني	القدم	مهيار	٣٧٨
ـ ومن البلية	لا يفهم	المتنبي	٥٩٨
ـ إذا بدا	لذكرهمو	-	٥٩٣
ـ تملكوا	لهمو	-	٤٣٠
ـ وقف	متقدم	أبو الشيص	٦٢٩، ٨١٩
ـ أجارتنا	المتيم	مهيار	٥٦١
ـ تحلى	المحرم	-	٤٣٥
ـ فحيَّ	المخيم	-	١٤
ـ لم أدر	مزموم	-	٧٢٩
ـ يا نسيم	المستهام	-	٣٥٦
ـ فداو	مضرمه	-	٣٩٩
ـ إن ترحلت	مقيم	-	٤٧٣
ـ على قدر	المكارم	المتنبي	٣٦٤، ٤٤٦

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ سلوا	منام	ـ	٣٦٢
ـ عاود	منامه	ـ	٥٠٠
ـ كثير	فهمو	مهيار	٦٦٣
ـ يحاول	نائم	ـ	٧٠٧
ـ طال ليلي	ناموا	ـ	٥٠٦
ـ أما والله	ما ناموا	ـ	٢٢١
ـ آراؤهم	نجوم	ابن الرومي	٨٢١
ـ الشري	ندم	ـ	٣٩٦
ـ خليلي	نسيم	ـ	٣٤٨
ـ أيا جبلي	نسيمها	ـ	٤٢٠
ـ أثبتهم	هم همو	ـ	٦١٨
ـ يا ربع	همو	ـ	٥٤١
ـ وإني لآتي	يراكم	ـ	٢٠٠
ـ كاد يمسكه	يستلم	ـ	٢٦١
ـ ومن لبه	يكتم	ـ	٦٢٦
ـ هواك	يلتام	ـ	٤٣٧
ـ قلبي	ينام	ـ	٧٠٧
ـ نظرت	يهيم	ـ	٥٧٠
ـ عزيز	استسلما	ـ	٤١١
ـ وبجرعاء	السلاما	مهيار	٤٣١
ـ تعاظمني	أعظما	أبو نواس	٧٧٥
ـ يا نسيم	الأوما	ـ	٥٠١
ـ أيها الراحلون	ترامى	ـ	٤١٢
ـ	تسلما	ـ	٥٠٩
ـ ها إنها	التسليما	ـ	٥٦٥
ـ والحر	جسيما	الرضي	٦٩٠
ـ قل لمن	حاما	ـ	٣٨٥
ـ ظن	دما	مهيار	٢٠٧
ـ قولوا	دما	ـ	٣٨٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أين سكانك	شأما	مهيار	٢٧٣
ـ ما آل	صارما	ـ	٦٧١
ـ الماء	الظما	ابن الجوزي	٥٩٥
ـ حبى	عظما	ـ	٥٠٢
ـ ما لبني	عمه	ـ	٦٥١
ـ من على	فداما	ـ	٣٥٩
ـ يا بريق	قياما	ابن الجوزي	٦١٤
ـ يا نفس	ما	ابن المعتز	٢٦٤
ـ أين كنت	مراغما	ـ	٧٢٨
ـ يا للرجال	مستسلما	ـ	٦٥٢
ـ قل	مسلما	ـ	٧٢١
ـ طال	المناما	ابن الجوزي	٥٤٦
ـ تنام	نائما	ـ	٦٦٨
ـ تزودنا	الأباهِمِ	الرضي	٧٠٦
ـ فيا ريح	احتكمي	مهيار	٤٤٠
ـ يا لنفس	أحلام	أبو العتاهية	٦٧٢
ـ إذا الصبا	إضم	الغزي	٢٧٢
ـ إذا هزنا	الأراقم	مهيار	٥١٥، ٦٠٦
ـ أبكي	زللي	أقدامي	٤٢٥
ـ ذم	الأقوام	ـ	٥٨٧
ـ ما زلت	بدم	المتنبي	٦٥٨
ـ يا مطولاً	بالمنام	ـ	٣٢١
ـ هب البعث	تضرم	ـ	٦٩٩
ـ ألا اسقني	تنعم	ـ	٥١٠
ـ إن المقادير	الحازم	ـ	٦٤٧
ـ فمنا	خزائم	ـ	٣٩٦
ـ إلى حتفي	دمي	الحجاج	٣٣٩
ـ احبسا	دمي	ـ	٥١٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ وتمشت	السقم	ـ	٦٢٣
ـ فليت	السقم	الرضي	٧٠٦
ـ نسيم الصبا	سلام	ـ	٦٩١
ـ ألا	سلامي	ـ	٦٨١
ـ ما شاغفتني	سلم	الرضي	٣٦٩
ـ سقمي	عدمي	ـ	٦٤٤
ـ يا حادي	عظام	ـ	٤١٩
ـ طلول	فهم	الغزي	٧٣٩
ـ وركب	قائم	ـ	٣٧٧
ـ لم يخل	قدم	ـ	٦٢٤
ـ والله	القدم	ـ	٦٦٩
ـ إلى أي حين	كم	المتنبي	٤٨٤
ـ وأمست	اللمم	الرضي	٣٩٢
ـ وما بحت	بالمتقادم	ـ	٦٦٥
ـ يا عمادي	المعامي	ـ	٧٦١
ـ عبتم	مقام	ـ	٥٠٠
ـ يا قلب	المقام	الرضي	٥٣٢
ـ هل لكما	الملتم	مهيار	١٨٨
ـ يا ويح	منصرم	ابن الجوزي	٧٢٣
ـ فيا آملاً	إرمْ	ـ	٢٨٨
ـ فلا تحسبوا	أنساكم	ـ	٢٦١
ـ أعد	رمم	ـ	٤٤٣
ـ إن في نأي	زنام	ـ	٦٤١
ـ الدمع	العزائم	ـ	٦٠٩
ـ يا نفس	فلم	ـ	٤٦١
ـ سروري	مغناكم	ـ	٧٦٢

ـ ن ـ

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم اصطبار	إذعان	الرضي	٤٩٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ يتشاكى	ألوان	ـ	٥٩٩
ـ لي بذات	البان	ـ	٤٩١
ـ هاتيك	بانوا	ـ	٣٤٣
ـ يا حبذا	بانوا	الغزي	٥٦٩
ـ سائل	بانوا	ابن الرومي	٦٣٧
ـ اسقني	ريان	ابن المعتز	٥٣٨
ـ يا حبذا	زمانه	ـ	٣٩٣
ـ جمعوا	سكنوا	ـ	٤٥٢
ـ عين المنية	سنان	ـ	٥٩٨
ـ ويأبى	اللسان	ـ	٦٨٦
ـ شرت	المغبون	الرضي	٢٢٤
ـ وانزل	ملآن	ـ	٢٦٠
ـ ردوا المطايا	نيران	ـ	٥٣٧
ـ قد علم	أحزانا	المتنبي	٦٥٤
ـ يا من سائل	أنا	ـ	٥٢٣
ـ اطلبوا	أنا	ـ	٦٧٤
ـ البين	البطينا	ـ	٢٧٤
ـ الموت	بنا	ـ	٧٦١
ـ هل الدهر	تفنى	ـ	٢٨٧
ـ لا تكذب	تكذبنه	ـ	٤٠٤
ـ ظللت	تلينا	صردر	٣٩٧، ٦٨٠
ـ ما رحلت	حسنا	الخفاجي	١٦١
ـ أمن خفوق	الحنينا	مهيار	٣٠٥
ـ واحبس	الدمنا	ـ	٥٧٩
ـ يا صاحبي	الدمنا	الرضي	٦٣٠
ـ بنفسي	رهينا	ـ	٢٧٢
ـ تشقينا	شقينا	ـ	٣٦١
ـ وصلوا	شقينا	ـ	٥٨٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ كم أحمل	ضنا	ـ	٢٧٣
ـ تعالوا	الظاعنينا	ـ	٣٨٨
ـ أهل الغرام	عتابنا	ـ	٤٠٨
ـ سل بسلع	عنا	مهيار	٣٧٣
ـ قم بنا	عنا	ـ	٥٩٩
ـ من قربنا	غافلينا	ـ	٥٩٠
ـ سقياً	غنى	ـ	٣٣٤
ـ وأنت	غنينا	مهيار	٣٩٩
ـ يا نفس	فتانا	ـ	٥٥٨
ـ وماذا	فخنا	ـ	٦٣٥
ـ خذني	القطينا	ـ	٣٧٨
ـ حرام	كانا	ـ	٦٠٣
ـ قد كنت	كتمانا	ـ	٢٧٢
ـ ظن	كتمانا	ـ	٥٩٥
ـ فلا ومن فطر	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ أسميك	لبنى	ـ	٣٧٩
ـ قتل ابن عفان	المسلمينا	ليلى الأخيلية	٨١٠
ـ لا ذاق	وسنا	ـ	٦٤٣
ـ وكم وقفت	وهلانا	ـ	٥٣٢
ـ ليت شعري	يذكرونا	ـ	٥٧٦
ـ إذا جزت	يمينا	ابن الجوزي	٥٩٣
ـ إن كنت	الأحزان	ـ	٧٤٤
ـ إنا ليجمعنا	الأشجان	ـ	٥٩٩
ـ مضى	أطربني	ـ	٦٤٥
ـ لم يبق	أماني	الرضي	٥٣١، ٧٤٧
ـ أوان	الأواني	الرضي	١٩٨
ـ ما أقل	بالأماني	الرضي	٥٢٠
ـ ما كان	بتبيان	ـ	٦٨٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ أينفق	بالموازين	-	٦٧٩
ـ سيقطع	البين	-	٥٧٨
ـ هو الحمى	تعاينه	ابن المعلم	٣٩٤
ـ ولقد تشكو	تفهمني	-	٤٠٢
ـ إن قلت	تواتيني	-	٤٦٧
ـ فكم هذا	التواني	-	٢٩٢
ـ ثواني	ثواني	-	٥٨٣
ـ جنونك	جنون	-	٣٤٠
ـ قوض الموت	حدثانِ	-	٣٠٩
ـ ألم ترني	حدثانها	-	٧٧٠
ـ ناحت سحراً	الحزن	-	٤٠٢
ـ أتظن	حزني	الخفاجي	٢٦٢
ـ قصوا	حزين	-	٦١٤
ـ فكانت	الزمان	-	٥١٨
ـ دعني	زمني	-	٣٧٦
ـ بلاني	شاني	السري الكندي	٦٣٩
ـ والذي	شجاني	-	٣٣٦
ـ يا بعيد	شجنه	العباس بن الأحنف	٢٦٧
ـ سلمت	شجن	-	٦١٢
ـ إن شفيعي	ظني	-	٢٠٩
ـ يا حادي	عني	-	٦٩٧
ـ أرضينا	غبن	-	٤٥٤
ـ إني أرقت	فأسعدني	أبو العتاهية	٣٠٨
ـ مكر الزمان	مظنون	-	٤٠٠
ـ ضنا	المعلن	مهيار	٥٨٦
ـ دع ملامي	مني	مهيار	٥٤٣
ـ أنا في	مني	-	٧٠٥
ـ سبحان من	مهين	أبو نواس	٧٧٤
ـ تعجب	هجرانها	مهيار	٢٧١

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ـ إن كان	وسني	-	٦٥٧
ـ هبيني	يفضحني	-	٦٠٨
ـ ومستخبر	يقين	جابر الجرمي	٦٠٨
ـ بح	تأمننها	-	٢٩٧
ـ اعف عني	الزمن	-	٢٨٥
ـ تشبهت	سكن	-	٥٨٧
ـ سلة الأحباب	فاستنن	-	٣٠١
	ـ هـ ـ		
ـ رأى	تيها	ابن المعتز	٣٦٣
ـ يا كثير	لديه	-	٣٥
	ـ و ـ		
ـ يا من	أبوه	-	٣٣٩
ـ دعوه	دعوه	-	٥٩٥
ـ أطاعوه	فكذبوه	-	٧٤٦
ـ ما إن يطيب	لهو	-	٣٧٦
ـ لم أشكو	البلوى	-	٦٤٤
ـ يا ملولاً	التوى	-	٦٤٧
	ـ ي ـ		
ـ خليلي	بداليا	-	٣٤٨
ـ وقولوا	بجواريا	الرضي	٥٩١
ـ وقد يجمع الله	تلاقيا	-	٦٨٩
ـ ولو قيل	خباياها	-	٣٠١
ـ ألا راحم	لسانيا	-	٦٨١
ـ أعد	اللياليا	-	٣٤٨
ـ مفندي	المآقيا	الرضي	٦٩٧
ـ سل الأيام	ساكنيها	-	٥٧٥

* * *

٤ ـ فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
- مقدمة فضيلة الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني ٧
- مقدمة التحقيق ١٥
- قالوا في الإمام ابن الجوزي ١٦
- ترجمة ابن الجوزي رحمه الله ١٧

أولاً: اسمه ونسبه وشهرته ١٧

ثانياً: نشأته وسيرته التعليمية ١٨

ثالثاً: أهم الصفات التي تميز بها ٢٠

رابعاً: ابن الجوزي واعظاً ٢٢

خامساً: شهادة العلماء لابن الجوزي ٣٠

سادساً: مختارات من غرر ألفاظ ابن الجوزي ٣٢

سابعاً: أشهر مؤلفات ابن الجوزي ٣٣

ثامناً: وفاته ٣٥

- تعريف عام بكتاب المدهش ٣٦

أولاً: موضوع الكتاب ٣٦

ثانياً: توثيق نسبة الكتاب لابن الجوزي ٣٧

ثالثاً: أشهر العلماء الذين نقلوا عن المدهش ٣٨

رابعاً: عرض نماذج لبعض العبارات الرائعة في المدهش ٤٠

- السبب في إعادة طبع الكتاب ٤٣

أولاً: منهج التحقيق والخطوات التي سلكناها لإخراج الكتاب ٤٤

ثانياً: وصف المخطوطتين ٤٦

- نماذج من المخطوطتين ٤٩

كتاب المدهش

الجزء الأول

- خطبة المؤلف ٥٥

الباب الأول

في علوم القرآن وبيانه (٥٧ ـ ٩٠)

- فصل: في ذكر أقسام الخطاب في القرآن ٥٩
- فصل: في ذكر أمثال القرآن ٦١
- فصول: في عيون المتشابه ٦٥
  - ـ فصل: في الحروف المبدلات ٦٥
  - ـ فصل: في الحروف الزوائد والنواقص ٦٧
  - ـ فصل: في المقدَّم والمؤخّر ٧٠
- أبواب منتخبة من الوجوه والنظائر ٧٢
  - ـ باب (أو): يتضمن معاني (أو) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (أدنى): يتضمن معاني (أدنى) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (الإنزال): يتضمن معاني (الإنزال) في القرآن ٧٢
  - ـ باب (الأرض): يتضمن معاني (الأرض) في القرآن ٧٣
  - ـ باب (الأمر): يتضمن معاني (الأمر) في القرآن ٧٤
  - ـ باب (الإنسان): يتضمن معاني (الإنسان) في القرآن ٧٥
  - ـ باب (الباء): يتضمن معاني (الباء) في القرآن ٧٦
  - ـ باب (الحق): يتضمن معاني (الحق) في القرآن ٧٧
  - ـ باب (الخير): يتضمن معاني (الخير) في القرآن ٧٨
  - ـ باب (الدين): يتضمن معاني (الدين) في القرآن ٧٩
  - ـ باب (الذكر): يتضمن معاني (الذكر) في القرآن ٧٩
  - ـ باب (الروح): يتضمن معاني (الروح) في القرآن ٨٠

- باب (الصلاة): يتضمن معاني (الصلاة) في القرآن ٨٠
- باب (عن): يتضمن معاني (عن) في القرآن ٨١
- باب (الفتنة): يتضمن معاني (الفتنة) في القرآن ٨١
- باب (في): يتضمن معاني (في) في القرآن ٨٢
- باب (القرية): يتضمن معاني (القرية) في القرآن ٨٣
- باب (كان): يتضمن معاني (كان) في القرآن ٨٣
- باب (كلا): يتضمن معاني (كلا) في القرآن ٨٤
- باب (اللام): يتضمن معاني (اللام) في القرآن ٨٥
- باب (لولا): يتضمن معاني (لولا) في القرآن ٨٦
- باب (مِنْ): يتضمن معاني (من) في القرآن ٨٩
- باب (الواو): يتضمن معاني (الواو) في القرآن ٨٩
- باب (الهدى): يتضمن معاني (الهدى) في القرآن ٩٠

الباب الثاني

في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها (٩١ ـ ١١٦)

- **فصل**: في انقسام اللغة إلى قسمين واشتمال القرآن عليهما ٩٣
- **فصل**: ورود عبارتين متصلتين لجهتين مختلفتين ٩٧
- **فصل**: رجوع كل من المجتمعين إلى ما يليق به ٩٨
- **فصل**: مجيء البيان متصلاً بالمبين ومنفصلاً عنه ٩٩
- **فصل**: مجيء جواب الكلام مقارناً له أو بعيداً عنه ١٠٢
- **فصل**: تصرف العرب في اللفظ بالحركات، والإعجام، والقلب ١٠٤
- **فصل**: التصرف في إطلاق الأسماء ودقتها ١٠٦
- **فصل**: اختلاف الأسماء باختلاف أحوال المسمى ١٠٨
- **فصل**: اختلاف الأوصاف باختلاف الموصوف ١١٢
- **فصل**: اختلاف الأسماء مع اتفاق الأحوال ١١٣
- **فصل**: للعرب في ألفاظها عام وخاص ١١٤

● فصل: أسماء تطلق على مسمّياتها بشروط ١١٥

الباب الثالث

في علوم الحديث (١١٧ ـ ١٤٢)

● فصل: في ذكر نبينا محمد ﷺ ١١٩
ـ ذكر نسبه ﷺ ١١٩
ـ ذكر أسمائه ﷺ ١١٩
ـ ذكر عمومته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر عماته ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أزواجه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر أولاده ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مواليه ﷺ ١٢٠
ـ ذكر مؤذّنيه ﷺ ١٢١
ـ ذكر كتّابه ﷺ ١٢١
ـ ذكر نقباء الأنصار رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية مَنْ جمع القرآن حفظاً في عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ ١٢١
ـ تسمية مَنْ تأخّر موته من الصحابة رضي الله عنهم ١٢١
ـ تسمية فقهاء المدينة السبعة رضي الله عنهم ١٢٢
● منتخب من ذكر الأوائل ١٢٣
ـ فصل: أوّليات في الجاهلية ١٢٣
ـ فصل: أوّليّات في الإسلام ١٢٤
ـ فصل: أوائل متفرقة ١٢٤
ـ فصل: أوائل متنوعة ١٢٥
ـ فصل: أوّليات مستقبلية ١٢٥
● منتخب في ذكر المنسوبين إلى غير آبائهم ١٢٦

● فصل: في ذكر أسماء تساوى فيها الرجال والنساء ١٢٨
● فصل: التشابه في الخط والاختلاف في اللفظ ١٢٩
● فصل: أسماء أطلقت على الرجال والنساء معاً ١٣٠
● فصل: أسماء وقع فيها إشكال ١٣٢
● منتخب من الأسماء المفردة ١٣٣
● منتخب من مشتبه الأسماء ١٣٤
● فصل: من مشتبه النسبة ١٣٦
● بيان أحاديث أهمل فيها تبين الأسماء المشتبهة ١٣٧
● منتخب من المتفق والمفترق ١٤١

الباب الرابع
في ذكر عيون التاريخ (١٤٣ ـ ١٥٦)

● فصل: في أقاليم الأرض ١٤٥
● فصل: في الجبال ١٤٦
● فصل: معادن الأرض ١٤٦
● فصل: آدم ونوح عليهما السلام وأولادهما ١٤٦
● فصل: في تسمية الحواريين ١٤٧
● فصل: من ملوك فارس ١٤٧
● فصل: في عجائب الأقرباء نسباً وحالاً ١٤٧
● فصل: في الجدوب وعموم الموت ١٥٠
● فصل: في الزلازل والآيات ١٥٢

الباب الخامس
في ذكر المواعظ (١٥٧ ـ ٧٦٤)

القسم الأول: ذكر القصص

● الفصل الأول: في قصة آدم عليه السلام ١٦١

● الفصل الثاني : في بناء الكعبة ١٦٤
● الفصل الثالث : في قصة سيدنا نوح عليه السلام ١٦٧
● الفصل الرابع : في قصة عاد ١٦٩
● الفصل الخامس : في قصة ثمود ١٧١
● الفصل السادس : في قصة الخليل عليه السلام ١٧٢
● الفصل السابع : في قصة الذبيح عليه السلام ١٧٤
● الفصل الثامن : في قصة ذي القرنين ١٧٦
● الفصل التاسع : في قصة قوم لوط عليه السلام ١٨٠
● الفصل العاشر : في قصة يوسف عليه السلام ١٨٤
● الفصل الحادي عشر : في قصة أيوب عليه السلام ١٨٩
● الفصل الثاني عشر : في قصة شعيب عليه السلام ١٩٢
● الفصل الثالث عشر : في ذكر بداية موسى عليه السلام ١٩٤
● الفصل الرابع عشر : في تكليم الله عزَّ وجلّ موسى عليه السلام ١٩٦
● الفصل الخامس عشر : في قصة الخضر عليه السلام ٢٠١
● الفصل السادس عشر : في قصة بلعام وموسى عليه السلام ٢٠٣
● الفصل السابع عشر : في قصة قارون ٢٠٥
● الفصل الثامن عشر : في قصة داود عليه السلام ٢٠٧
● الفصل التاسع عشر : في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس ٢١٠
● الفصل العشرون : في مريم وعيسى عليهما السلام ٢١٣
● الفصل الحادي والعشرون : في قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام ٢١٧
● الفصل الثاني والعشرون : في قصة أهل الكهف ٢٢٠
● الفصل الثالث والعشرون : في بداية أمر نبينا ﷺ ورضاعه ٢٢٣
● الفصل الرابع والعشرون : في قصة الغار والصدّيق رضي الله عنه ٢٢٨
● الفصل الخامس والعشرون : في قصة أهل بدر ٢٣٠
● الفصل السادس والعشرون : في تزويج علي بفاطمة رضي الله عنهما ٢٣٨

القسم الثاني: في المواعظ

● **الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ نذكر فيه التوحيد** ٢٤٥

- في التوحيد وانتفاء الشَّبَـهُ
- إثبات الصفات دون تشبيه أو تعطيل
- من مظاهر عظمته وأدلة وحدانيته
- اصطفاء أنبيائه وإقصاء أعدائه

● **الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾** ٢٥٠

- في فضل نبينا ﷺ وأن فضائل الأنبياء مجموعة فيه ﷺ
- تحنث النبي ﷺ في حراء ومجيء جبريل
- الإسراء والمعراج ومعجزات أخرى
- خصوصية بالمقام المحمود يوم القيامة
- صحابة النبي ﷺ صفوة الخلق بعد الرسل
- ميزات ثلة من صحابة النبي ﷺ

● **الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿وأذن في الناس بالحج﴾** ٢٥٧

- تلبية النداء شوقاً لرؤية البيت العتيق
- من أحوال العارفين في المناسك
- ما تفيضه رؤية المشاهد والآثار على القلوب من أسرار

● **الفصل الرابع:** ٢٦٤

- الاعتبار بمن نازله الموت قبل التأهب وإعداد الزاد
- قصر اللبث في الدنيا داعية إلى الجد في الخير وترك العبث
- من بواعث الكسل غلبة الهوى وطول الأمل
- اجتماع المذنبين في نادي الندم والأنين

● **الفصل الخامس:** ٢٦٩

- التأمل فيما يفنى ويبقى يقي من اتباع الهوى
- قوة عزمك على الخير رجولة وفتورك عنه أنوثة
- محبة الدنيا محنة وبلية

- من جعل الآخرة نصب عينيه جدّ في طلبها
- الصبر على المجاهدة سبيل الحظوة عند الملك
● الفصل السادس : ٢٧٦
- العمر يسير والعاقل يَقصر عن التقصير
- التأمل في عجائب تدبّر الحيوان للعواقب
- العاقل مَنْ يدبر دينه كما يدبر دنياه
- استنشاق ريح الأسحار يفيق قلب المخمور من الإسكار
● الفصل السابع : ٢٨٢
- المتيقظ ينتفع بوعظ الأيام ويبادر لتلافي الآثام
- الأسفار الستة التي يتقلب بها الإنسان
- صفات المتقين في طريقهم إلى مراتب اليقين
● الفصل الثامن : ٢٨٧
- غبن المغرور باللذات، وحزن المسرور بالشهوات
- دنيّ الهمة يقنع بالحاضر الفاني، ورفيع الهمة يطمح إلى الآجل الباقي
- دروس في تفاوت الهمم في عالم الحيوان
- معرفة حقيقة الدنيا تدعو للتعلق بالآخرة
- الهوى يعرقل عن سلوك سبيل الآخرة
● الفصل التاسع : ٢٩٢
- الاعتبار بالزمان حضّ العارفين على إصلاح الشأن
- اتّباع الهوى حصرٌ في سجن الدنيا، والتقوى انطلاقة في فضاء العزّ
- الحثّ على التخلّص من المعوّقات والقواطع
- التلطّف في الموعظة بين التشويق والتخويف
- أحوال العارفين بين الخوف والرجاء
● الفصل العاشر : ٢٩٧
- الدنيا غرّارة غدّارة خدّاعة مكّارة
- إنما تعجب الدنيا من لا فهم له، والعاقل يعرف حقيقتها

- الدنيا تتلف محبّيها وأهل الغفلة فيها
- على قدر الاجتهاد تعلو الرتب
- إسلام الصحابي الجليل ذي البجادين وشوقه إلى النبي ﷺ
● الفصل الحادي عشر: ٣٠٢
- دعوة النفس إلى تحقيق التوبة وإصلاح العيوب
- انقياد النفس للحازم وإباؤها على المتردد
- أثر المواعظ في إحياء قلوبٍ أماتتها الذنوب
- إصلاح القلوب مقدَّم على إصلاح الأبدان
- لا راحة للمحبّ إلا بلقاء محبوبه
● الفصل الثاني عشر: ٣٠٨
- الاعتبار بسطوة الموت والتنبّه قبل الفوت
- ركوب سفينة النجاة في لجج الحياة
- التهيؤ لساعةٍ ينادي فيها سعد فلان أو شقي فلان
- تمثّل جهنّم وأحوال الناس فيها
● الفصل الثالث عشر: ٣١٣
- معاول الساعات تهدم حائط الأجل
- تذكّر حلاوة العاقبة ينسي مرارة الصبر
- أثر الندم في قلع آثام الذنوب
● الفصل الرابع عشر: ٣١٧
- تمثّل هول عالم القبور يزهد في الدنيا الغرور
- كثرة الشواغل والطمع والغفلة مانعة من الفهم والاتعاظ
- طول الأمل عقدة في وجه منشار الجد
● الفصل الخامس عشر: ٣٢٢
- مَنْ أيقن بالرحيل بادر الأيام وحاذر الآثام
- مَنْ ولّى ظهره الدنيا، كشفت له الآخرة نقابها
- موانع الهوى تحجب وصول الموعظة إلى القلب

● الفصل السادس عشر : ٣٢٧

ـ مَنْ علم ما أمامه تهيّأ للرحيل وأصلح خيامه

ـ عزيمة الإنابة تقلع قواعد الهوى

ـ تعلقت همة ابن آدم بالآخرة لما لاح له جمالها

● الفصل السابع عشر : ٣٣٢

ـ الدنيا دار المحن ودائرة الفتن

ـ من علم حسن المآب عند الله آب

ـ الآخرة سكانها الأخلاق الجميلة

ـ الذلّ والبكاء بلسمٌ لجراحات الذنوب

● الفصل الثامن عشر : ٣٣٨

ـ من أحبّ الوسادات لم يَلحق بمقام السادات

ـ المبادرة بالعمل الصالح ونبذ التسويف

ـ الإنسان مختار الله في الكون

ـ نزول آدم إلى دار المجاهدة وظهور ثمارها

● الفصل التاسع عشر : ٣٤٤

ـ التأهُّب للرحيل من دار ليست بمناخ

ـ بسابقة القدر سعد أقوام وشقي آخرون

ـ رحلة سلمان الفارسي في طلب الهداية

● الفصل العشرون : ٣٥٠

ـ يرجع عن الميت أهله وماله ويبقى معه عمله

ـ نفخ إسرافيل في الصور وحشر الخلائق

ـ من عجائب تدبير الحيوان للعواقب

ـ بعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار

● الفصل الحادي والعشرون : ٣٥٤

ـ خَلِّ الأمل الكذوب فرُبَّ شروق بلا غروب

ـ الدنيا جيفة قد فاح ريحها لا يشمه مزكوم

- بتفريغ القلب من الشواغل تُضْرَبُ سرادقات المحبوب
- المحبون بذكر الله ينطقون، وبأمره يتحركون

● **الفصل الثاني والعشرون:** ٣٥٩
- التَّبِعات تبقى واللذّات تمرّ
- أخوك من عذَلك وصدَقك لا مَنْ عذرك وصدَّقك
- ظهور رياض الوصول يُهوِّن قطع بادية الرياضة

● **الفصل الثالث والعشرون:** ٣٦٤
- لا يُدرِك المفاخر مَنْ رضي بالصف الآخر
- شجرة المكاره تُثْمِر المكارم
- مَن امتطى راحلة الشوق لم يَشقَّ عليه بُعْدُ السفر
- غليظ الطبع مَنْ لا يُحرّكه تشويق ولا يُزعجه تخويف

● **الفصل الرابع والعشرون:** ٣٧٠
- التوبة التوبة قبل وصول النَّوْبة
- مَنْ ضاع قلبه طلبه في مجالس الذكر والفكر
- عناية الله بعبده محيطة به قبل وجوده وبعده
- مَنْ أقبل على ربه رأى من إقباله عليه العجب

● **الفصل الخامس والعشرون:** ٣٧٦
- ضَمُّ العيب إلى الشيب مذموم
- حاكم العقل يُدين، وقاضي الهوى يجور
- التنزّه في أخبار المحبين تورث القلب محبة

● **الفصل السادس والعشرون:** ٣٨٠
- الدنيا أسحر من هاروت وماروت
- العمر أنفاس تطير، والموت يقطعها بسيفه
- أمل لقاء الحبيب يُنسي مرارة الابتلاء
- اجتياز بعض الصحابة لمحنة الابتلاء

● الفصل السابع والعشرون: ٣٨٥
- لا يدفع الموتَ في انتفاضه مَشِيدُ الحصون
- لا يُفرِّقُ الهمة مثل غوغاء المنى وضوضاء الشهوات
- نَفَس الأسف ينسف كثبان الذنوب في بوادي القلوب
- خوف العارفين من سوابق الأقدار قَلْقَلَ قلوبهم
● الفصل الثامن والعشرون: ٣٩٠
- من تيقَّنَ طولَ الطريق تأهَّبَ لها بكثرة الزاد
- ضبط الجوارح سبيل لحفظ الدِّين
- طعم المناجاة في السَّحَر تُنسي كلَّ لذّة
- مجالس الوعظ يأخذ منها كلٌّ على قدر همَّته
● الفصل التاسع والعشرون: ٣٩٥
- من بواعث اليقظة التفكُّر في مصارع السابقين
- تلمُّح العواقب قبل الفعل أمان من الندم
- منْ زمَّ جوارحه ولازم الباب، فهو على رجاء الوصول
- المحبون يأنسون بمحبوبهم ويهيمون بذكره
● الفصل الثلاثون: ٤٠٠
- مَنْ عَلِمَ أنّ الخصم مُعِدٌّ والقَصْمَ مُجِدٌّ، بادر وجدّ
- جلاء البصيرة من قذى الهوى يُجلي على البصر عرائس الهدى
- مظاهر عَظَمة الله في مراحل خلق الإنسان
● الفصل الحادي والثلاثون: ٤٠٤
- حَظِيَ بالشر مَنْ جمع المال للغير، وترك التزوُّدَ في سَيْرِه
- إيثار ما يَفْنَى على ما يبقى عِلَّةٌ قاتلة
- أمثلة لتوظيف طاقات الإنسان في الفاني المنقطع
- مَنْ تفكَّر في طريق الهوى يتيقن المَعاثِر والصدمات
● الفصل الثاني والثلاثون: ٤١٠
- الحرص على الدنيا يورث صاحبه النَّصَب

- شرف الهمة ينأى بصاحبه عن الخسائس والأقذار
- صاحب الهوى يتبع المذهب الذي يوافق غرضه
- الشوق إلى الحبيب والندم على التقصير يقي من نار جهنم

● **الفصل الثالث والثلاثون:** ٤١٤

- مَنْ سكن اليقينُ قلبه، راقب بالأنفاس ربّه
- مَنْ قطع طعمه في الدنيا حاز عزائم الأولياء
- أحكم العارفون العلم فحكم عليهم بالعمل

● **الفصل الرابع والثلاثون:** ٤٢١

- رحيل مَنْ يرحل عن الدنيا نذير لمن بقي فيها
- التقصير في العمر القصير ندامة وسوء مصير
- الإصغاء إلى حديث الهوى يورث الصمم إلى النصائح
- الحِمية عن الذنب وامتلاك الهوى سبيل الرفعة ونيل العلا

● **الفصل الخامس والثلاثون:** ٤٢٧

- الدنيا معبر للآخرة ودار ابتلاء
- تُنال الجنة بالزهد وتُدفَع النار بترك الذنب
- مَنْ عَلِمَ أن البلاء مراد الحبيب استحلاه

● **الفصل السادس والثلاثون:** ٤٣٤

- الدنيا لمن اغترّ بها خادعة، ولمن أحبّها قاطعة
- المال بيد الكرام عابر سبيل
- مَنْ أعرض عن الدنيا أقبلت إليه الآخرة
- نيل الشهوات وتحصيل المراتب ضدان لا يجتمعان

● **الفصل السابع والثلاثون:** ٤٣٨

- الجِدُّ في طريق السابقين سبيلٌ للحاق بهم
- أوحش الذل ما كان بعد العزّ
- لسان الدمع أفصح من لسان الشكوى

- أبواب الملوك لا تطرق بالأيدي بل بنَفَس محتاج

● الفصل الثامن والثلاثون: ٤٤٣

- اعتبار المقيم بمن رحل
- من صدَّق الأمل كذّبه ومن أطاع الهوى عذّبه
- من مظاهر نعم الله وتدبيره في خلقه
- من الشقاء مقابلة النعمة بمخالفة المُنعِم

● الفصل التاسع والثلاثون: ٤٤٨

- من أيقن بشدة الحساب حاسب نفسه على الذرّة
- ما مضى من الدنيا حلم وما بقي فأماني
- الطريق إلى الله محفوفة بالمشاق ومبذولة فيها الأرواح

● الفصل الأربعون: ٤٥٢

- سحائب المنى تحجب شمس الاعتبار وتغفل عن سطوات الموت
- الشيب أذان والموت إقامة، والخاسر من ليس على طهارة
- سكران الهوى بعيد الإقامة
- ضم الندم على التفريط إلى العزيمة على الإنابة سعادة

انتهى الجزء الأول

كتاب المدهش

الجزء الثاني

● الفصل الحادي والأربعون: ٤٦١

- من راضَ مُهر نفسه هان عليه قيادها
- الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج
- نور النبوّة عمَّ الآفاق فرآه السعداء وعمي عنه الأشقياء
- الخوف من السابقة لا تنحل عقدته من قلوب العارفين

● الفصل الثاني والأربعون: ٤٦٦

- من انفكَّ من أسْرِ هواه أدرك مُناه

- دُرَرُ المواعظ تستنهض أصحاب الهمم
- العاقل من رعى قلبه في مزارع التقوى وحَماه من أدغال الغفلات
- سبق الاختيار يرفع من مهاوي الزلق إلى مراقي النجاة

● الفصل الثالث والأربعون: ٤٧١

- الفضائح تحتاج إلى وثبة أسد
- من أوقد مصباح الفكر لاحت له أعلام الهداية
- نماذج من زهد الصالحين وبكائهم
- تمكّن المحبة من القلوب تنأى بصاحبها عن نسيان المحبوب

● الفصل الرابع والأربعون: ٤٧٥

- شحم المنى هُزال ولذات الدنيا منام وخيال
- مَنْ له من نفسه باعث لم يحتج من خارجه لباعث
- نماذج من خصائص بعض المخلوقات
- استنشاق ريح المواعظ يسقط جنين الإصرار
- الاعتدال في سياسة النفس بما لها وما عليها

● الفصل الخامس والأربعون: ٤٨٠

- الدنيا حَلَبَةٌ لجريان الأعمار
- الشهوات مبثوثة في طريق المتيقن ما يسلم منها إلا الأولياء
- التواني عن التوبة والخيبة رضيعا لَبَان

● الفصل السادس والأربعون: ٤٨٤

- بئر الغفلة مُهلكة وبحار الجهل مُغرِقة
- من ذبح حَنْجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق قلبه من أسر الرق
- طلوع شمس العزيمة في نهار اليقظة يبث عالم النشاط

● الفصل السابع والأربعون: ٤٨٨

- عرائس الموجودات ترفل في حلل رائعة الصنعة
- العارفون نزلوا من الدنيا منزلة الأضياف فأخذوا منها الزاد دون إسراف

● الفصل الثامن والأربعون: ٤٩٣

ـ ما تعطيه الدنيا مفرَّقاً تسترجعه جملة

ـ من وزن حلوى المشتهى بمر العقاب بان له التفاوت

ـ انبعاث الجوارح في العمل دليل على قوة العلم بالأجر

ـ الفرح ببذل النفوس دليل على كمال المحبة

● الفصل التاسع والأربعون: ٤٩٩

ـ الاستعداد للآخرة قبل الندامة

ـ يشتد كرب المحب بمزاحمة رقباء المخالطة وبهبوب نسيم السحر يزول

ـ أرواح الأسحار أقوات الأرواح

● الفصل الخمسون: ٥٠٣

ـ تلمُّح سِير السابقين يُقلق المنقطعين

ـ غسل جنابة الجناية يؤهل لدخول الجنة

ـ من نصب الآخرة نُصْبَ عَيْنَيْه نصب بالطاعة

● الفصل الحادي والخمسون: ٥٠٧

ـ كم أباد الموت المُناصب أرباب المناصب

ـ سائق الحرص يضرب ظهر الحريص بعصا التحريض

ـ كره المحبون الموت لأنه يقطعهم عن عبادة محبوبهم

● الفصل الثاني والخمسون: ٥١٢

ـ العزلة حمية البدن والمناجاة قوت القلب

ـ تحقيق العبودية يرفع العبد فوق مراتب الملائكة

ـ لو عرف الإنسان قدر نفسه ما أهانها بالمعاصي

ـ أثر المحبة يظهر على جسد المحب

● الفصل الثالث والخمسون: ٥١٦

ـ العمل دائم الوجل من هجوم الأجل

ـ ما أشنع الخطايا في الصبا وهي في الشيب أقبح!

ـ من فتّش أحمال الأعمال قبل الرحيل أمن الرد عند المقيل

- المعرفة غرس في القلب، والتذكار ماء

● الفصل الرابع والخمسون: ٥٢٠

- القائم على سوق الشهوات في سوق الشبهات خسرت تجارته

- لا يغرّنك صفو العيش فالرسوب في أسفل الكأس

- خُلِقت الداران للإنسان، فالدنيا للتزوّد والأخرى للتوطّن

- محبة آدم للحبيب أصيلة، وتعبُّد إبليس تكلّف

● الفصل الخامس والخمسون: ٥٢٦

- من آمن بالسؤال يوم الحساب أعدَّ له أحسن الجواب

- من الشطط والخسران إنفاق نعم المولى في العصيان

- بخار الأماني يعقد بخار الكسل

- أحوال الصالحين عند الموت بين خائف ومشتاق

● الفصل السادس والخمسون: ٥٣٠

- مركب الحياة تجري في بحر البدن برخاء الأنفاس

- العقل يحثّ على التوبة، والهوى يمنع، والحرب بينهما سجال

- أُحصر الصالحون في سبيل المحبة، فأقعدتهم عن كل مطلوب

● الفصل السابع والخمسون: ٥٣٤

- اليقظ من يبكي على نفسه قبل أن يُبكَى عليه

- من علامة حياة القلب: الانكسار عند التوبيخ، والدمع عند العتاب

- متى صدقت توبة التائب بنى بيت التعبّد بصخور العزيمة

- التوبة الصادقة تقلع آثار الذنوب

● الفصل الثامن والخمسون: ٥٣٩

- وَعْظ الدنيا برحيلها أبلغ وعظ لمن كان له قلب

- ما أمَرَّ البعد بعد القرب! وما أشد الهجر بعد الوصل!

- المحبّ لا يبرح عن الباب ولو طُرِدَ، ولا يزول عن الجناب ولو أُبعِد

● الفصل التاسع والخمسون: ٥٤٣
- أكثر فساد القلب من تخليط العين
- إذا خيّم سلطان المعرفة بقاع القلب بثّ جنده في بقاع البدن
- عند المحبين شغل عن الجنة فكيف يلتفتون إلى الدنيا
- ألسنة المحبين تضجّ من طول حبسهم في الدنيا عن الحبيب
● الفصل الستون: ٥٤٨
- التفكُّر في الراحلين عن الدنيا ومنازلهم بعدها
- من رأى معاول النقض في أهل الدنيا ناح عليهم
- الأيام صحائف الأعمار، والسعيد من سجّل فيها أحسن الأعمال
- من دلائل المحبة نحول الجسم واصفرار اللون
● الفصل الحادي والستون: ٥٥٣
- الأيام واعظة بما تبنيه وتنقضه
- يوسف العقل ينظر في العاقبة، وزليخا الهوى تتلمَّح العاجلة
- كل صاف من الدنيا مقرون بكدر
- لا يدرك علم الربانية إلا من رُبيَ فيه
- لابدّ في سلوك الطريق من مصابرة رفيق
● الفصل الثاني والستون: ٥٥٨
- العاقل من يستدرك صبابة اليقظة
- لا بد لنجم الحياة من أُفول، ولشمس الممات من طلوع
- العمر قصير، والناقد بصير
- إذا خلا الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع
● الفصل الثالث والستون: ٥٦٢
- الأكياس يعاتبون النفس على التفريط ويحاسبونها على التقصير
- العزلة تجمع الهمَّ، والمخالطة نهّابة لجمع القلب على الله
- بانقشاع غيم الغفلة عن العيون يلوح هلال الهدى

- المحبّون أنضَوْا رواحل الأبدان حبّاً في تعجيل اللقاء
- من أراد اللحاق بالسادة خلى مخاللة الوسادة

● **الفصل الرابع والستون:** ٥٦٦
- من خطر ذكر الرحيل بباله، قنع بالبُلَغ في ترحاله
- يقدر على الحمية من تلمح العافية في العاقبة
- من أقفر قلبه من اليقظة فتحت نفسه باب الغفلة

● **الفصل الخامس والستون:** ٥٧٠
- إقبال الدنيا شغل، وإدبارها قتل
- الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب
- أحسن شعائر الشرائع العدل

● **الفصل السادس والستون:** ٥٧٤
- طول الأمل ينسي ذكر الأجل
- الأمن في طريق مُخيف يدلُّ على عقل سخيف
- النبيه من يخالط عالَم المعنى، ولا يقف مع الصور
- من صفت له الفكرة كان له في كلِّ شيءٍ عبرة

● **الفصل السابع والستون:** ٥٧٨
- الطريق الهادية واسعة الفجاج والدليل ظاهر
- من لم يصبر عن الهوى صَبْر يوسف حَزِنَ حُزْنَ يعقوب
- أنفاس المستغفرين نسائم السحر
- زكام الكسل والفتور يمنع استطابة رياح الأسحار

● **الفصل الثامن والستون:** ٥٨٢
- لا يَعمي البصر، ويُصِم السمع مثل الهوى
- شجرة الإخلاص أصلها ثابت، وشجرة الرياء مجتثة
- ريح المخلصين عطرية القبول، وللمرائي سَمُوم الإبعاد
- قلب من ترائيه بيد من تعصيه

- أحوال الصالحين في الاحتراس من الرياء

● **الفصل التاسع والستون: التفكر في عجائب خلق الله:** ٥٨٨

- العاقل من يخلو بنفسه ويعاتبها، ويأخذ على يدها ويحاسبها
- مَنْ تأمَّل حُسْن لُطفِه لخليقته حيّره الدهَش
- القلب جوهر في معدن البدن والكشف عنه بمعول المجاهدة
- المغبون من باع لحظة أُنس بالله بعمر الدنيا
- أنفاس الأسف كافية في الشفاعة من الزلل

● **الفصل السبعون:** ٥٩٢

- العجب ممن يشتري لذة ساعة بغمّ الأبد
- بضاعة المذنب دمعه، ورأس ماله حزنه
- أقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلل
- ليس للمحب دون لقاء محبوبه قرار

● **الفصل الحادي والسبعون:** ٥٩٧

- حبال الآمال مقطوعة، وساحر الهوى نفَّاث
- من عدى خلف موكب الهوى ما ربح إلا الغبار
- من لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذي آلم قلب يعقوب

● **الفصل الثاني والسبعون:** ٦٠٢

- أدعية ومناجاة في طلب القرب، والأمن من القطيعة
- العجب ممن عرفه ثم أحب غيره
- يرجى لمن استغاث بالواصلين اللحاق بهم
- ذكر الوصال في زمان الهجر تلف

● **الفصل الثالث والسبعون:** ٦٠٦

- الإخلاص مِسكٌ مصون في مَسْك القلب
- المرائي يحشو جراب العمل رملاً يُثقل ولا ينفع
- العبرة باستقامة الباطن وصلاح النية

ـ نماذج من حرص الصالحين على كتم الأعمال خشية الرياء

● الفصل الرابع والسبعون: ٦١١

ـ سار الصالحون على رواحل الصدق فوصلوا رياض الأنس

ـ حمائم الأرواح مسجونة في أقفاص الأشباح

ـ جليت أوصاف الحبيب في حلية الكمال، فقام العارفون على أقدام الشوق يسبحون

ـ لما تمكّنت المعرفة من قلوب الصالحين أثّرت شدّة الخوف

ـ المحبّ إن تذكّر الربع حنّ، وإن تفكّر في البعد أنّ

● الفصل الخامس والسبعون: ٦١٦

ـ الخلوة مَهْر بكر الفكر وسلَّمُ معراج الهمّة

ـ قطع العلائق أصل الأصول لتحقيق الوصول

ـ لا يظهر في خلوة المتيقظ إلا الحق

ـ الإقرار بالإفلاس غنى، والاعتراف بالخطأ إصابة

ـ كفى بطول الرقدة في القبور رقاداً

● الفصل السادس والسبعون: ٦٢١

ـ المقصّر عن طلب الزاد كيف يدرك المعالي بغير اجتهاد؟

ـ لما صفت خلوات الدجى فاز الأحباب بالفوائد

ـ ثوّرت في الليل الحداة، وربطت أحمال الأعمال

ـ أحوال المحبّين في قيامهم الليل

● الفصل السابع والسبعون: ٦٢٥

ـ إذا هبّت رياح المواعظ أثارت من قلوب المتيقظين غيم الغم

ـ بكاء المحبين رغبة ورهبة

ـ البكاء لأجل الذنوب مقام المريد، وعلى المحبوب مقام العارف

ـ المحب مع بذله الروح لا يرى ما بذل ثمناً لما طلب

● الفصل الثامن والسبعون: ٦٣١

ـ المحب يهيم في كل واد، يصبح على القلق، ويمسي على الحُرق

ـ مقاساة الخلق ظلمة، والحبيب يتجلّى في خلوة

ـ المحبة نزالة، وقوّتُها المُهَج

ـ المحب إذا أقلقه الحب ضجّ، وإذا أرَّقه الشوق عجّ

ـ أشد ما على المحب من مقاساة الحب سماع اللوم

● الفصل التاسع والسبعون: ٦٣٧

ـ سماع أخبار المتقين تحثّ على السير في سِربهم

ـ قلب المحبّ تحت فحمة الليل جمرة، كلما هبَّ النسيم التهبت

ـ شيمة المحب لا تخفى، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب

● الفصل الثمانون: ٦٤١

ـ من رأى قلبه مال إلى الهوى ذكره العقاب ليستقيم

ـ إن تأخرت الإجابة فابعث رائد الانكسار خلفها تنل

ـ مظاهر من لطف الله بضعفاء خلقه

ـ من تلاعبت خوادع الآمال ببضائع عمره صار مفلساً

ـ لما علم المحبون أن الصبر محبوب الحبيب شمّروا لحمل البلاء

● الفصل الحادي والثمانون: ٦٤٦

ـ مَنْ أحرم عن الحرام بنزع مخيط الهوى راعى القدر ضعف كسبه

ـ مراتب المصلين في معارج الصلاة

ـ في خلوات التلاوة تُـزَفُّ أبكار المعاني

ـ مَنْ أحبّ المخدوم حضر قلبه في الخدمة

● الفصل الثاني والثمانون: ٦٥١

ـ العجب ممن يرى فعل الموت بصحبه ثم ينسى قرب نحبه

ـ سعد من تدبَّر، وسلم من الأذى من تصبّر

ـ المحرمات حرم، ونظر المملوك إلى حرم المالك من أقبح الخيانة

- من سعى إلى جناب العزّ بأقدام المسكنة لم يعد بالخيبة
- صدور العلم من عامل به كالعربية ينطق بها البدوي

● الفصل الثالث والثمانون: ٦٥٦

- العارفون يخافون دخول الزيف في أعمالهم والمخلطون على بساط الأمن
- المحبون شغلهم حب مولاهم عن لذات الدنيا
- سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة
- الصالحون إذا ناموا توسّدوا أذرع الهمّ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق

● الفصل الرابع والثمانون: ٦٦٠

- مَنْ تذكّر ركوب الجنازة وطول المفازة أعدَّ الراحلة والزاد
- إذا تلاقحت غروس المجاهدة تلاحقت ثمار المدائح
- أشراف الأوصاف أوصاف الأشراف، وسادات العادات عادات السادات
- المحبون مع الحق حاضرون، عن الخلق غائبون
- من يجوز بنادي المحبة يرى المحبين كالفَراش تحت النيران

● الفصل الخامس والثمانون: ٦٦٦

- من لم يلتزم أسلوب المعاتبة ودستور المحاسبة باء بالخسارة
- بحر الوجود قد جمع الفنون، فالعلماء جوهره، والعباد عنبره
- لا تحتقرن يسير الطاعات، فالذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبل

● الفصل السادس والثمانون: ٦٧١

- المفروح به من الدنيا هو المحزون عليه
- من اغترّ بحبة الفخ نسي خنق الشَّرَك
- لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل
- من صابر مشقة الطريق انتهى سفره إلى جنات عدن
- ثمن المعالي جدّ الطالب، والفتور داء مُزمن

● الفصل السابع والثمانون: ٦٧٧

- غفلة المؤمن عن المساءلة دون يقين بالنجاة غرور

- ما في المقابر من دفين إلا وهو متألم من (سوف)
- منام المنى أضغاث، ورائد الآمال كذوب
- المجاهدة حرب لا يصلح لها إلا بطل
- لا تصح توبة من تاب بلسانه والإصرار ملء قلبه
● الفصل الثامن والثمانون: ٦٨٢
- أيام العافية غنيمة
- الخاسر من سجن عقله في مطمورة هواه
- خفيت العواقب على المتقين ففزعوا إلى القلق
- العارفون غائبون عند ذكر الدنيا، حاضرون عند ذكر الآخرة
- العالم المحقق يعتصر من كروم المعارف أكرم المعاني
- من جلس في كسر الانكسار فتح له باب الوصول
● الفصل التاسع والثمانون: ٦٨٧
- آه من نفس تقبل على عدوّها، وتبادر إلى ما يؤذيها
- من بعث قلبه وراء كل هوى عسر عليه حضوره في الصلاة
- العبارات حظ النفوس، والإشارات قوت القلوب
● الفصل التسعون: ٦٩٣
- لا يطعمنَّ البطَّال في منازل الأبطال، فلذة الراحة لا تنال بالراحة
- أعظم عذاب أهل النار جهلهم بالمعذِّب
- ليس الواعظ كالإبرة، تكسو غيرها وهي عريانة
● الفصل الحادي والتسعون: ٦٩٨
- سلب الآباء، وأخذ الأجداد، يُنَبِّه على إعداد الزاد
- نزول آدم إلى ميدان التعبّد، صعود في ميدان المجاهدة
- كلام المُذَكِّرين إذا سلم من بدعة كان قوتاً للنفس
● الفصل الثاني والتسعون: ٧٠٤
- أَوْلى مَنْ بكى على أقاربه الأموات أن يبكي على نفسه

- من لاحت الغاية لعين شيبه صاح بخيل المبادرة
- سطرت قدرة الصانع في ألواح التكوين عجائب الصنعة
- مَنْ تلمَّحَ آثار الحبيب على وجوه الصالحين رأى سطور القبول بمداد الأنوار

● **الفصل الثالث والتسعون:** ٧٠٩
- النهار يزيد في كرب المحب، والليل يشكفها في السحر
- شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق
- كلما قوي حامل المحبة زيد في حمله
- تمكن الحب في قلوب المحبين أخرجهم إلى الوَله

● **الفصل الرابع والتسعون:** ٧١٤
- باب البقاء في الدنيا قد سُدّ
- مياه المعاني مخزونة في صدر العالم تروي الظامئين
- مَنْ خُلِقَ للعلم شفّ جوهره من الصغر
- فواكه الألفاظ اللذيذة في مذاق الأفهام السليمة لا تُثمّن

● **الفصل الخامس والتسعون:** ٧١٨
- العجب من فطِن غرَّ به سرابٌ يلمع
- الدنيا دار كدر بذلك جرى القدر
- العارفون علموا قرب الرحيل فهيؤوا آلة السفر
- للمعاهد عهد كلّما تذكّره الصبّ صبّ الدموع

● **الفصل السادس والتسعون:** ٧٢٣
- من أراد استقامة نفسه سلمها إلى رائض العلم
- من علم بعواقب الجنايات تاب منها وعافها قبل الممات
- إيثار ما يفنى على ما يبقى من أشد المرض
- تخايل الصالحون لذة الصواب فسهلت عليهم مرارة الصبر

● **الفصل السابع والتسعون:** ٧٢٨
- مَنْ ركب الهوى هوى به، ومن استعمل التقوى تقوّى بها

ـ مَنْ حائطُ باطنه خرابٌ ما نفعه عمارة ظاهره
ـ ثقِّف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك
● الفصل الثامن والتسعون: ٧٣٤
ـ مَنْ عرف ما بين يديه من الأهوال لم يؤثر هواه
ـ ما جرى على العصاة يكفي عظة
ـ مَنْ احتقر معصية لصغرها فربّما أحرقه شررها
ـ وَحْلُ المخالطة يُلزم المهذب رفع أذيال قميص الدين
ـ من الأموات مَنْ تحيا بذكره النفوس، ومن الأحياء مَنْ تقسو برؤيته القلوب
ـ تحت شجرة طوبى مستراح العابدين
● الفصل التاسع والتسعون: ٧٤٠
ـ مَنْ هوَّن أمر الدنيا عليه هانت
ـ مَنْ دام على سلوك الجادة وصل وإن طال المسير
ـ النظر في تصاريف الأقدار أقلق قلوب العارفين
● الفصل المئة: ٧٤٥
ـ العجب ممن ينفق العمر النفيس في نيل الهوى الخسيس
ـ المستيقظ بعد فوات الوقت ينظر إلى نفسه بعين المقت
ـ لولا صبر المضمر على قلة العلف ما قيل: سبَّاق
ـ مَنْ لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه
● الفصل الأول بعد المئة: ٧٥٠
ـ الموت مُقاتل يقصد المقاتل
ـ الدنيا غدّارة وبرد لذاتها حرارة
ـ خلوة المحبين بالحبيب تشغلهم عن ما يطيب
● الفصل الثاني بعد المئة: ٧٥٤
ـ أرباب الأماني والأمل أخذوا بين سكر الهوى والثَّمَل
ـ مَنْ جاز على القبور بقلب حاضر رأى ما فعلت بكلّ وجه ناضر
ـ منادي القبول على منازل الوصول يقول: (سارعوا)

● الفصل الثالث بعد المئة : ٧٥٨

ـ الأيام طرق الجدّ، والساعات ركائب المجد

ـ مَنْ جاز قنطرة الهوى آبَ بتجارة لن تبور

ـ مَنْ كانت عزيمتُه شديدة البرودة لم توقده نارُ المواعظ

● ملحق التراجم .... (٧٦٥ـ٨٣٦)

● الفهارس العامة .... (٨٣٧ـ٩٤٢)

١ ـ فهرس الآيات ٨٣٩

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ٨٧٧

٣ ـ فهرس الشعر ٨٨٣

٤ ـ فهرس الموضوعات ٩١٥

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم ٩٤٣

* * *

٥ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم

ـ إبراهيم بن أدهم ٧٧٨
ـ إبراهيم النخعي ٨٣١
ـ أحمد بن أبي الحواري .. ٨٣٤
ـ الأسود بن يزيد ٧٧٩
ـ أسيد الضبي ٧٧٦
ـ أويس القرني ٧٧٧
ـ بشر الحافي ٧٨٧
ـ أبو بكر بن عياش ٧٦٩
ـ أبو بكر النهشلي ٧٦٩
ـ بلال بن رباح ٧٨٨
ـ أبو تمام ٧٧٠
ـ ثابت البناني ٨٣٥
ـ جعفر الصادق ٧٨٩
ـ جعفر الطيار ٧٩٢
ـ أبو جندل ٧٧١
ـ الجنيد ٧٧٩
ـ حبيب العجمي ٧٩٢
ـ حجّاج بن فرافصة الباهلي ٧٩٣
ـ حسان بن أبي حسان ... ٨٣٠
ـ الحسن البصري ٧٨٠
ـ الحكم الكوفي ٧٨١
ـ خالد بن زيد الكاتب ٨٣٥
ـ خبيب بن عدي ٧٩٣
ـ خبيب بن يساف ٧٩٣
ـ الخفاجي ٧٨٢
ـ داود بن أبي هند ٧٩٤
ـ أبو الدرداء ٨٢٤
ـ رابعة العدوية ٧٩٤
ـ رباح القيسي ٧٩٥
ـ الربيع بين خثيم ٧٨٢
ـ ابن الرومي (الزاهد) ٨٢١
ـ ابن الرومي (الشاعر) ٨٢١
ـ زجلة العابدة ٧٩٥
ـ السبتي ٧٨٢
ـ سحبان وائل ٧٩٦
ـ سري السقطي ٧٩٦
ـ سعيد بن المسيب ٧٩٧
ـ سفيان الثوري ٧٩٨
ـ أبو سليمان الداراني ٧٧١
ـ الشبلي ٧٨٣
ـ الشريف الرضي ٧٨٣
ـ أبو الشيص الخزاعي ٨١٩
ـ صرّدر ٧٩٩
ـ صلة بن أشيم ٨٠٠
ـ طاووس اليماني ٨٠١
ـ الطفيل بن عمر الدوسي ٧٨٣
ـ أبو الطيب المتنبي ٧٨٦
ـ العاصمي ٧٨٥
ـ عامر بن عبد الله ٨٠٢

- عامر بن عبد الله بن عبد قيس ٨٣٣
- عامر بن قيس الأشعري . . ٨٢٠
- عبد الله المزني ٨٠٢
- العباس بن أحمد ٨٣٢
- عبد الواحد بن زيد ٨٠٣
- أبو عبيدة الخواص ٧٧٢
- أبو العتاهية ٧٦٧
- عتبة الغلام ٨٢٣
- عطاء السليمي ٨٠٣
- العلاء بن زياد ٨٢٩
- أبو العلاء المعري ٧٦٨
- علي بن بكار ٨٣٦
- أبو علي الدقاق ٧٦٧
- عمار بن ياسر ٨٠٣
- أبو عمران الجوني ٧٧٣
- عمران بن حصين ٨٢٨
- عمر بن عبد العزيز ٨٠٤
- عمير بن هانئ ٨٠٦
- العوفي ٧٨٥
- الغزي ٨٣٢
- فتح بن شخرف ٨٠٧
- فتح بن سعيد الموصلي . ٨٠٦
- فتح بن محمد الموصلي ٨٠٧
- أبو فراس الأسلمي ٨١٨
- أبو فراس الحمداني . . . ٨١٨
- فرقد بن يعقوب السبخي ٨٠٨
- الفضيل بن عياض ٧٨٦
- أبو قلابة ٨٣٢
- قيس بن ذريح ٨٠٩
- كثير عزة ٨٠٩
- كهمس بن الحسن التميمي ٨٠٩
- ابن أبي ليلى ٧٧٨
- ليلى الأخيلية ٨١٠
- ماهان الحنفي ٨٢٧
- معاذ بن جبل ٨١٤
- محمد بن كعب القرظي . ٨٣٠
- محمد بن المنكدر ٨١٠
- محمد بن النضر ٨١١
- محمد بن واسع ٨١١
- ابن مرزوق ٧٧٩
- مسروق بن الأجدع . . . ٨١٢
- مسلم بن يسار ٨٢٠
- مصعب بن عمير ٨١٣
- مطرّف بن الشخير ٨١٣
- ابن المعتز ٧٧٩
- منصور بن المعتمر ٨١٥
- مهيار الديلمي ٧٨٧
- أبو نواس ٧٧٣
- ذو النون المصري ٨٢٧
- هشام بن حسّان ٨١٥
- وهب المزني ٨١٦
- وهيب بن الورد ٨١٧
- يحيى البكاء ٨١٧
- يحيى بن معاذ ٨١٧
- أبو يزيد البسطامي ٧٧٦
- يزيد الرقاشي ٨١٧

* * *